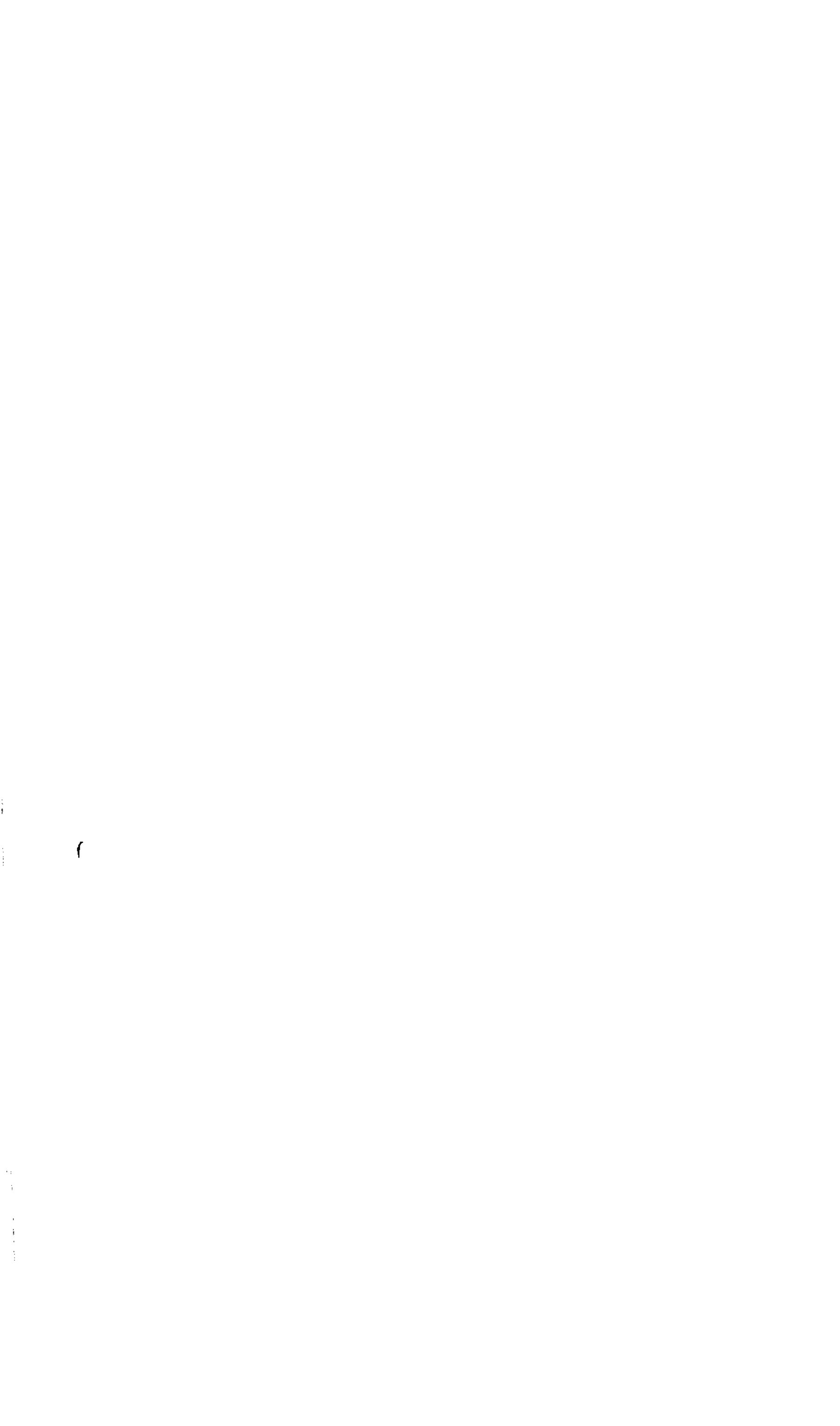
شرح
قصيدة الإمام ابن القيّم

تأليف
أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي



تَوضِيحُ المقَاصِدِ وَتصحِيح القواعِدْ
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيّم

الموْسُومَةُ بِالكَافِيَةِ الشَّافِيةِ في الإنتصارِ للفِرقَةِ النَّاجِيَةِ

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الاسلامي

الطبعة الاولى ١٣٨٢ دمشق

الطبعة الثانية ١٣٩٤ بيروت

المكتب الإسلامي

دمشق: ص.ب ٨٠٠ ـ هاتف: ١١١٦٣٧ ـ برقيًا: إسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١ ـ هاتف: ٢٨٥٨٢٧ ـ برقيًا: إسلاميًا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رب يسر وأعن يا كريم

حمداً لك اللهم على ما منحت من الإلهام، وفتحت من الأفهام، وأزحت من الشكوك والأوهام، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام عن موجبات التوبيخ والملام، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى وسنة رسولك المصطفى منهلاً يشفي الأوام ويبرىء العلل والأسقام، وأوضحت لنا في ظلمات الفلسفة نوراً نستضيء به في حنادس ذلك الظلام، وحفظتنا من خيالات المتصوفة، وشطحاتهم الفظيعة ودعاويهم الطويلة العريضة التي هي كسراب بقيعة، فعياذاً بك اللهم من تلك المقالات، ولياذاً بك من تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يمسي بها العمل الصالح مرفوعاً، ويضحي بها الزلل الفاضح موضوعاً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الحق هادياً، وبشيراً، ونزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً. فهداهم به إلى الحق وهم في ضلال مبين، وسلك بهم مسلك الهداية حتى أتاهم اليقين، ﷺ وعلى آله البررة، وصحبه الخيرة، مصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، وخلفاء الدين، وحلفاء اليقين، الذين بلغوا من محاسن الفضائل الغاية، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية، وعلى من تبعهم بإحسان، صلاة وسلاماً دائمين ما تناوب النيران، وتعاقب الملوان[1].

وبعد: فان المنظومة المشهورة في الطريقة السنية، والعقيدة الحنيفية،

(١) الملوان: الليل والنهار.

المسماة بـ « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » لم ينسج ناسج على منوالها ، ولم تسمح الدهور بشكلها وامثالها ، نظم الشيخ الإمام ، والعمدة القدوة الهمام ، شيخ الاسلام والمسلمين ، القائم ببيان الحق ونصر الدين ، العابد الناسك ، الورع الزاهد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد المعروف بـ : ابن قيم الجوزية ، أسكنه الله الغرف العلية . ولكنها من عهد مؤلفها ، وهي عروس لم يمط لثامها ، وخود[1] بكر لم يفتض ختامها ، وليس يخفى ماتضمنته من أصول الفصول ، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل والمحصول ، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة ، والاقوال الباطلة المحالة ، والمحدثات المضلة المخذولة ، والخزعبيلات المرذولة ، كالوجودية والجهمية ، والمعتزلة والرافضة ، والحرورية والكلابية ، والمرجئة والجبرة ، وغيرهم من أهل الضلالات ، والاقوال المحالات ، وقمع أباطيلهم ، وردع أضاليلهم بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

وموضوعها : المحاكمة بين الطوائف ، واثبات صفات الباري سبحانه على رغم كل مخالف ، ولما كنت نبغت في هذه الفنون قديماً ، وصبغت بها أديماً ، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميراً ونديماً ، وبرعت في تلك العلوم ، وكرعت من رحيقها المختوم ؛ عن لي أن أضع عليها شرحاً ، يفتح مغلقها ، ويقيد مطلقها ، ويكحل جفونها ، ويسهل حزونها ، وذلك مع تراكم الاشغال ، وتبلبل الافكار والبال ، وعدم معين في هذه الأمور الثقال ، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية التي تقصر فيها الخطا ، ويتيه في مطاويها القطا ، وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات ، ويبنى على أساسه في الأمور المعضلات . ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي التي هي رأس مالي رعيبتي ، إلا أن الله

---

[1] الخود : الحسنة الخلق الشابة ، أو الناعمة .

سبحانه بفضله أعان ، وأمد بأسباب لم تخطر على الاذهان .

فدونك شرحاً يشرح الصدور ، وتضيء من غضونه شموس وبدور ، وتتحلى بجواهره اللبات والنحور ، فهو كتاب جمع فأوعى ، وحوى من من كل شيء جنساً ونوعاً[1] ، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفاً من السآمة والملالة ، وهذا حين الشروع في المقصود مستعيناً بالملك المعبود فأقول وبالله أحول وأصول :

فصل

في ذكر ترجمة الناظم رحمه الله تعالى : هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بـ : ابن قيم الجوزية . قال في «الشذرات» بل هو المجتهد المطلق . قال الحافظ ابن رجب في « طبقات الحنابلة » في ترجمته : ولد شيخنا سنة ٦٩١ ، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ، وتفنن في كافة علوم الإسلام ، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه المنتهى فيها ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والأصول والعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف ، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل الى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغايه القصوى ، لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أرفي معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه شيخ

(١) قال استاذنا ابن مانع : هذا تعديل لنفسه وتزكية لها ، سبقه إلى نفس هذا اللفظ صاحب « القاموس »

الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والخوض في غوامضهم . وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة ، وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه [1] . ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في انواع العلوم ، وحصل له من الكتب مالم يحصل لغيره .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » هو محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي امام الجوزية وابن قيمها ، سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، فبرع في علوم متعددة لاسيا علم التفسير والحديث ، والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة ، لازمه الى أن مات ، فأخذ عنه علماً جماً مع ماسلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الصلوات والابتهال . وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستغيبه ، ولا يحقد على أحد ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف . وبالجملة فقد كان قليل النظير ، بل عديم النظير في مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه

---

(١) الظاهر أن هذا من الغلو الذي لايرضى به ابن القيم . (ابن مانع)

الخير ، والأخلاق الصالحة ، وكان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره . وقد كانت جنازته حافلة ، وشهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى . وقال غيره في ترجمته : ولد في سنة ٦٩١ ، وسمع على جماعة كثيرين مثل سليمان ابن حمزة الحاكم ، وابي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي ، وابن مكتوم والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلي ، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من « المغرب » .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة ، منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني ، قرأ عليه « مختصر أبي القاسم الخرقي » و« المقنع » لابن قدامة . ومنهم ابن أبي الفتح البعلي ، ومنهم الشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية قرأ عليه قطعة من « المحرر » تأليف جده ، وأخـوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده ، ثم على الشيخ تقي الدين بن تيمية .

وأما الأصول فأخذها عن جماعة ، منهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر « الروضة » لابن قدامة ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، قرأ عليه قطعة من « المحصول » ومن كتاب « الإحكام » للسيف الآمدي . وقرأ أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي مثل « الأربعين » و « المحصل » وقرأ على شيخ الاسلام ابن تيمية كثيراً من تصانيفه ، واشتغل كثيراً ، وناظر واجتهد ، وأكب على الطلب وصنف ، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً ، والفروع ، ولم يخلف الشيخ تقي الدين بن تيمية مثله .

ومن مصنفاته : «تهذيب سنن ابي داود» وايضاح مشكلاته ، والكلام على ما فيه من الاحاديث المعلولة مجلد . كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم . كتاب « مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين[1] » مجلدان ، وهو شرح « منازل السائرين » لشيخ الاسلام الانصاري ، كتاب جليل القدر . كتاب « عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » مجلد ضخم . كتاب « شرح اسماء الكتاب العزيز » مجلد . كتاب « زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء » كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات ، وهو كتاب عظيم جداً . كتاب « جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام » وبيان أحاديثها وعللها مجلد . كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » . كتاب « نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول » مجلد . كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات . كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي القصيدة النونية في السنة مجلد[2] . كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة » في مجلدات . كتاب « حادي الأرواح الى بلاد الافراح » وهو كتاب صفة الجنة مجلد . كتاب « نزهة المشتاقين وروضة المحبين » مجلد . كتاب « الداء والدواء » مجلد . كتاب « تحفة الودود في احكام المولود » مجلد . كتاب « مفتاح دار السعادة » مجلد ضخم . كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » مجلد « رفع اليدين في الصلاة » مجلد « نكاح المحرم » مجلد « تفضيل مكة على المدينة » مجلد « فضل العلم » مجلد « عدة الصابرين » مجلد كتاب « الكبائر » مجلد « حكم تارك الصلاة » مجلد . كتاب « نور المؤمن وحياته » مجلد . كتاب « إغمام هلال رمضان » « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » « جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه من دين

---

(١) المشهور بين العلماء أن اسمه « مدارج السالكين » .

(٢) وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم .

الشيطان » « بطلان الكيمياء من اربعين وجهاً » مجلد « الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » مجلد « الكلم الطيب والعمل الصالح » مجلد لطيف « الفتح القدسي » « التحفة المكية » كتاب « أمثال القرآن » « شرح الأسماء الحسنى » « أيمان القرآن » « المسائل الطرابلسية » ثلاث مجلدات « الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم » مجلدان . كتاب « الطاعون » مجلد لطيف . توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر ، ثم بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق كثير ، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة، رضي الله عنه، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في النوم ، وسأله عن منزلته، فأشار الى علوها فوق بعض الأكابر ، ثم قال : وانت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة .

ثم قال ابن رجب : قرىء على شيخنا الامام العلامة أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب وانا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتابه «صفة الجنة» وذكر بعض الميمية المشهورة[١] . وقال الحافظ السخاوي في حقه : العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ، ومعرفة الخلاف ، وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف ، وصاحب التصانيف السائرة ، والمحاسن الجمة .

---

(١) وهي :

وما ذاك الا غيرة أن ينالها ... سوى كفؤها والرب بالخلق أعلم

الخ ...

قوله : بسم الله الرحمن الرحيم.

ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » اقتداء بالكتاب العزيز ، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته للملوك وغيرهم ، وامتثالا لقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بـ : بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في « الاربعين البلدانية » وكذا الخطيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [١]. ومعنى ذي بال ، أي : حال شريف يحتفل له ، ويهتم به ، وبين يدي كل الامور المهمة ،

وقوله : أقطع أي : ناقص البركة ، وقد يكون غير معتد به . وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » اسناده صحيح [٢].

تنبيه : اختلف العلماء فيما اذا كان الكتاب كله شعراً ، فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن الزهري رحمه الله قال : مضت السنة أن لا يكتب في الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك ، وتابعه على ذلك الجمهور . وقال الخطيب : وهو

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » : قال النووي في « الاذكار » بعد سياق هذا الحديث : روينا هذه الالفاظ في « الاربعين » للرهاوي ، وهو حديث حسن ، وقد روي موصولا ومرسلا ، قال : ورواية الموصول جيدة الاسناد .

(٢) قال السندي : قد حسن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي . وقال ابن حجر : اختلف في وصله وارساله ، ورجح الدارقطني ارساله . وأخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان ، ورجال اسناده ثقات ، سوى قرة بن عبدالرحمن ، فان الحافظ قال عنه في « التقريب » : صدوق له مناكير .

المختار انتهى . ولاسيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم . قال بعض العلماء : الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر مالم يكن محرماً أو مكروهاً . قال : واما ماتعلق بالعلوم فمحل اتفاق .

قوله : بسم الله ، أي : باسم مسمى هذا اللفظ الأعظم ، الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف ، وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً ، أولى من تقديره اسما عاماً مقدماً . أما أولوية كونه فعلاً ، فلأنه الاصل في العمل ، وحينئذ فمحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر . واما أولوية كونه خاصاً ، فلأنه أدل على المطلوب ، فتقديره : أؤلف عند التأليف أولى من ابتدائي ، وكذا عند القراءة ، ونحو ذلك ، فيقدر عند كل أمر ما يناسبه . واما أولوية تقديره مؤخراً ، فلأمرين .

أحدهما : الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً ، لانه تعالى يقدم ذاتاً ، فقدم ذكراً ، ليوافق الاسم المسمى

والثاني : لافادة التخصيص ، كما في قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين) الفاتحة : ٥ . لا يقال : الأولى ملاحظة قول تعالى (اقرأ باسم ربك) العلق : ١ لانا نقول : المطلوب الأهم ثم القراءة ، لانها أول مانزل عليه ﷺ وأول ماطرق المسامع الشريفة من الوحي ، فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام ، والله أعلم .

فائدة : الاسم في المخلوق غير المسمى ، وفي حق الخالق تعالى لاغير ولا عين [١] . قال الامام المحقق ناظم هذه المنظومة في كتابه « بدائع الفوائد » : اسماء الله الحسنى في القرآن من كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق ، ولا يقال : هي غيره ، ولا هي هو . وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : اسماؤه غيره ، وهي مخلوقة . انتهى .

و « الله » علم على ربنا سبحانه . قال الكسائي والفراء : أصله الاله ، حذفوا

(١) قوله : لاغير ولا عين يخالف ما استدل به من كلام ابن القيم حيث قال : لايقال : هي غيره ولا هي هو . (ابن مانع)

الهمزة وأدغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال الناظم في « بدائع الفوائد » زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق . ولا ريب أنه إن اريد بالاشتقاق هـــذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى ، من العليم والقدير ، فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الاسماء ، كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى . ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله . وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وانما هو باعتبار أن احدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وانما هو اشتقاق تلازم ، يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقاً ، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه ، ولا محـــذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى . انتهى .

وقال أبو جعفر بن جرير : « الله » أصله « الاله » ، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة ، وهي ساكنة ، فأدغمت في الاخرى ، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة . انتهى .

وأما تأويل « الله » فانه على ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال : هو الذي يألهه كل شيء ، ويعبده كل خلق ، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال : الله ذو الألوهيه والعبودية على خلقه أجمعين . فان قال لنا قائل : وما دل على أن الألوهية هي العبادة ؟ وأن الإله هو المعبود ؟ وأن له

أصلاً في «فعل» و«يفعل»؟ وذكر بيت رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تأله

يعني من تعبدي ، وطلبي الله بعملي[1] . ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ فعل يفعل بغير زيادة ، وذلك ماحدثنا به سفيان بن وكيع ، وساق السند الى ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلا هتك) الاعراف ١٢٧ قال : عبادتك ، ويقول : انه كان يعبد ولا يعبد ، وذكر مثله عن مجاهد ، فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله عبد ، وأن الإلهة مصدره ، وساق حديثاً عن أبي سعيد مرفوعاً أن عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه ، فقال المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال عيسى : أتدري ما الله ؟ الله اله الآلهة .

الرحمن الرحيم

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً ، بنقله الى باب فعل بضم العين ، وبتنزيله منزلة اللازم ، اذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد ، والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً ، كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة ، كحذر وحاذر ، فان « حذر » أبلغ من « حاذر » . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة .

قال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فانها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه

---

(١) في الأصل : وطلب الله بعمل .

تعالى، ووصفه لاينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) الرحمن: ١ (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥ (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك: ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ، حسن مجيئه منفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه الله كذلك ، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن ، كاسم الله ، فانه دال على صفة الألوهية ولم يجىء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير ، والسميع والبصير ، ولهذا لاتجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع ، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي : صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ؛ أي : صفة فعل له سبحانه ، فاذا أردت فهم هذا ، فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب: ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) سورة التوبة: ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته . قال رحمه الله : وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها . انتهى .

ورحمة الله تعالى جل شأنه ، وتعالى سلطانه ، صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام . وأما تفسيرها برقة في القلب ، تقتضي التفضل ، فالتفضل غايتها ، فيراد منها غايتها ، كما يقوله من يقول من المتكلمة ، كالزمخشري في « كشافه » وغيره من النظار ، فهذا انما يليق برحمة المخلوق ، لابرحمة الخالق تعالى وتقدس ، وبينهما بون ، ونظير ذلك « العلم » فان حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق ، بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة

اليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق ، اذ هي في المخلوق ميل القلب الى الفعل أو الترك ، والله منزه عن ذلك ، وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضل ؛ فان فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل ، أو دفع ضرر عنه ؛ ولا كذلك فعله تعالى ، فما فر منه أهل التأويل موجود فيما فروا إليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى، فانه خلاف الاصل ، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة ، ولا تعذر هنا كما لا يخفى . وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه ، كما إذا قيل : زيد أسد أو بحر أو قمر ، لشجاعته أو كرمه أو حسنه ، فانه يصح أن تقول : زيد ليس بأسد ، أو ليس ببحر ؛ أو ليس بقمر ، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ، ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك . ولا ريب أن الرحمة صفة كمال ، وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها ، واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق، مجاز في خق الخالق .

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست الاعتبارات متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أنا نثبت ذاتاً ليست كالذوات ، فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق ، كما اشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في « بدائع الفوائد »[١]

قوله : الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جمع مخلوقاته ، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته ، وأدت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله الا هو، بما أودعها من لطيف صنعه ، وبديع آياته ، وسبحان الله

---

(١) الشارح لم يشرح جميع ماذكر هنا من هذه الجمل العظيمة ، وذلك - والله أعلم - خوفاً من التطويل . (ابن مانع)

وبحمده ، عــدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشـــه ، ومداد كلماته ، ولا إله إلا الله الأحـد الصمد الذي لاشريك له في ربوبيته ، ولا شبيه لـه في أفعاله ، ولا في صفاته ، ولا في ذاته ، والله أكبر عــدد ما أحاط به علمه ، وجرى به قلمه ، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، تفويض عبد لايملك لنفسه ضــراً ولا نفعـاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، بل هو بالله وإلى الله في مبادىء أمـــره ونهاياته .

الحمد لغة : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل . وعرفاً : فعل ينبىء عن تعظيم المنعم على الحــامد وغيره . والشكر لغة : هو الحمد اصطلاحاً . وعرفاً : صرف العبد جميـع مـــا أنعم الله بـــه عليه فيما خلق لأجله . فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة ، وينفرد الحمد فيم إذا كان باللسان لافي مقابلة نعمة ، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة . واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت ، على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ، لانه مـع كونه على نسق الكتاب العظيم ، أليق بالمقام ، وتفاؤلاً بذلك ، وهي وان كانت خبريـة لفظاً ، فهي إنشائيـــة معنى . و « أل » في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد ، أي : كل الحمد مستحق ، أو جنسه مختص ومملوك لله ، وعلامة « أل » الاستغراقية أن يخلفهـا كل ونحوها و « أل » الجنسية إذا تعقبها لام الاختصاص ، كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى ، فتفيد ماأفادته « أل » الاستغراقية ضمناً ، وإن كانت « أل » للعهد ، فالمعهود ثناء الله على نفسه ، وثناء ملائكته ورسله وأنبيائـــه وخواص خلقه ، ولا نظر لغير ثنائهم . و « اللام » في لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص . ولما ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقيـاً ، وهو الاتيان بها قبل كل شيء ؛ أعقبهـــا

بالحمدلة ابتداء إضافياً ، أي : بالنسبة لما بعدها ، وهو مايقدم على الشروع في المقصود في الذات جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة ، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز ، فإن الصحابة افتتحوا كتابته في الإمام الكبير بالتسمية ، والحمدلة تلوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار، سواء في ذلك من يقول : بأن البسملة آية ، ومن لايقول ذلك، فكان أولى .

قوله : **شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته الخ .**

المخلوق : هو المصنوع، ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه : أن العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لابد له من خالق ، والمصنوع لابد له من صانع ، والحادث لابد له من محدث، لاستحالة حدوث الحادث بنفسه ،كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) الطور:٣٥يقول سبحانه : أحدثوا من غير محدث، أم هم أحدثوا أنفسهم ؟ ، ومعلوم أن المحدث لايوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود إما حادث ، وإما قديم ، والحادث لابد له من قديم ، فيلزم ثبوت القديم على كل حال ، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لهما، فهي مفتقرة إليه دائماً ، حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط ،كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حال البقاء فقط ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له وكلا القولين خطأ كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة شمس الدين الأصبهاني » فالإمكان والحدوث متلازمان، فكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ، والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفتقرة إليه لاتستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصمد اليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه

الغني بنفسه ، المغني لما سواه . وله رحمه الله في هذا المعنى :

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً ... كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الالـــه أم كيف يجحده الجاحد ؟!

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وسئل أبو نواس عن وجود الصانع فأنشد

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ماصنع المليك

عيون من لجين ناظرات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

قوله :**وأدت له الشهادة جميع الكائنات الخ . . .** في هذه البراعة ، **الإشارة إلى توحيد الربوبيه، وتوحيد الألوهية ، وسيأتي بسط الكلام على** ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين .

قوله :الكائنات. قال في « القاموس » الكون :الحدث ، كالكينونة ، والكائنة كالحادثة ، وكونه أحدثه ، والله الأشياء أوجدها .

قوله : **وسبحان الله الخ** . . سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو **التنزيه** ، وانتصابه بفعل متروك إظهاره .

قوله : **ولا حول ولا قوة إلا بالله** . أي : لاتحول من حال الى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله ، وقيل : لاحول عن معصية الله الا بمعونة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، والمعنى الأول أجمع وأشمل .

قوله : وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا كفء له ، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده ، وحجته على خلقه . أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، ودروس من الكتب ، والكفر قد اضطرمت ناره ، وتطايرت في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى اليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقد استند كل قوم إلى ظُلم آرائهم ، وحكموا على الله سبحانه بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مدلهم ظلامه ، شديد قتامه ، وسبل الحق عافية آثارها ، مطموسة أعــلامها ، ففلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان ، فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً ، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وبصّر به العمى ، وأرشد به من الغي ، وكثّر به بعد القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانه ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين ، وقرن اسمه باسمه ، فاذا ذكر ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورســوله شهادة اليقين .

فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه كما عرفنا بالله ، وهدانا إليه ، وسلم تسليما كثيراً .

أي : أخبر أني قاطع بالوحدانية . قوله : وسفيره. قال في «القاموس» وسفره تسفيراً : أرسله الى السفر . قوله : وطموس من السبل . الطموس الدروس والإمحاء، يطمس ويطمس ، وطمسته طمساً : محوته، والشيء استأصلت أثره، ومنه (فإذا النجوم طمست) المرسلات : ٨ قاله في «القاموس» قوله : قتامه . القتام كسحاب : الغبار : قاله في « القاموس » قوله : عافية آثارها . قال في « القاموس » عفى شعر البعير : كثر وطال فغطى دبره ، وقد عفيته وأعفيته. قوله : حنادس الظلم . في « القاموس » الحندس بالكسر : الليل المظلم والظلمة ، جمع حنادس ، وتحندس الليل أظلم . قوله : الصغار . قال في «القاموس» صغر ككرم وفرح صغارة وصغراً كعنب ، وكذا صغاراً وصغارة بفتحهما ، وصغراً وصغراناً بضمهما ، وأصغره : جعله صاغراً . انتهى .

قوله : كما في الخطب والتشهد والتأذين . هذا ظاهر ، وهذا كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله : فصلى الله وملائكته الخ . الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير . هذا هو المشهور ، والجاري على ألسنة الجمهور ، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه « جلاء الافهام» و « بدائع الفوائد » وغيرهما ، ورده من وجوه ، منها : أن الله تعالى غاير

بينهما في قوله تعالى: (صلوات من ربهم ورحمة) البقرة: ١٥٧ الثاني: ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، والصلاة تختص بالنبي ﷺ وآله، فهي حق له ولآله، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره، يعني: غير سائر الأنبياء والملائكة، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين. الثالث: أن رحمة الله عامة، وسعت كل شيء، وصلاته خاصة لخواص عباده. وقولهم: الصلاة من العباد بمعنى الدعاء، مشكل أيضاً من وجوه: أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير. الثاني: أن «دعوت» يعدى باللام، «وصليت» لا يتعدى إلا بـ «على». ودعاء المعدى بـ «على» ليس بمعنى «صلى»، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء. الثالث: أن فعل الدعاء يقتضي مدعواً ومدعواً له. تقول: دعوت الله لك بخير، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك. لا تقول: صليت الله عليك، ولا لك، فدل على أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا؟! قال: ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد الى أرضه. قال في «البدائع» ورأيت لابي القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة، فذكر ما ملخصه أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع إلى الحنو والعطف، إلا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً، فالمحسوس منه صفات الاجسام، والمعقول صفة ذي الجلال والاكرام، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات، والكثير يكون صفة للمحسوسات، وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الأجسام، وصفات الأنام، فمهما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة، فإذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا: حنو وعطف، من قولك: صليت، أي حنيت صلاك وعطفته، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي

عطفا وحنواً ، تقول : اللهم اعطف علينا ؛ أي : ارحمنا . قال الشاعر :

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه ؛ انعطف على المرحوم ، وانثنى عليه . ورحمة الله للعباد جود وفضل ، فإذا صلى عليه فقد أفضل عليه ، وأنعم ، وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العباد ، فهي متعدية بـ « على » مخصوصة بالخير ، لاتخرج عنه الى غيره ، فرجعت كلها الى معنى واحد ، إلا أنها في معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة ؛ أي : انحناء معقول غير محسوس ، ثم هو من العبد الدعـــاء ؛ لأنه لا يقدر على أكثر منه ، وثمرته من الله الإحسان والانعام . فلم تختلف الصلاة في معناها ، وانما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها ، والصلاة التي هي الركوع والسجود، انحناء محسوس ، فلم يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول . وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ، ولذلك تعدت كلها بـ«على» واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز : صليت على العدو ؛ أي : دعوت عليه ، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة ، وإن كان راجعاً إليه ، إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم ، ويتعطف عليه من شدة الرحمة . انتهى . قوله : وسلم ، السلام بمعنى التحية ، والسلامة من النقائص والرذائل . وفي « المطلع » قال الأزهري في قولك : السلام عليك قولان : أحدهما : اسم السلام ، ومعناه : اسم الله عليك ، ومنه قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والثاني : سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها . قال الحافظ ابن الجزري في مفتاح « الحصن » واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى والاكمل والأفضل ، لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب : ٥٦

ولو اقتصر على احدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع ، منهم مسلم في « صحيحه » خلافاً للشافعية . وفي كلام بعضهم : لا اعلم أحداً نص على الكراهة ، حتى إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة « الرسالة » ، والله أعلم .

قوله : وقد نظر الجبار تبارك وتعالى الخ . يشير الى حديث عياض بن حمار المجاشعي الذي رواه مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا ، وان الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . . . » الحديث .

أما بعد فان الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، إذا اراد أن يكرم عبده بمعرفته ، ويجمع قلبه على محبته ، شرح صدره لقبول صفاته العلى ، وتلقيها من مشكاة الوحي ، فاذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول ، وتلقاه بالرضى والتسليم ، وأذعن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه ، واتسع له صدره ، وأمتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله ، فإنه نزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغداء اعظم ما كان اليه فاقة ، ومنزلة الشفاء أشد ما كان اليه حاجة ، فاشتد بها فرحه ، وعظم بها غناؤه ، وقويت بها معرفته ، واطمأنت اليها نفسه ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها ، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الاسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وان شرفه أيضاً

بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، وإليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجهل ، وإليه أكره ، ومنه أبعد . والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزل العبد الله من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً ، وعنها نافراً ومنفراً ، فالله له أشد بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً حتى تعود إلى قلبين : قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياتـــه ، ونعيمه وقرة عينه ، لو فارقه ذكرها طرفة عين ، ومحبتها لحظات لاستغاث : يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فلسان حاله يقول :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل[1]

ويقول :

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسياً ألفيت أحشائي بذاك شحاحا

ويقول :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته ، نافر من سماعها ، معرض بكليته عنها ، زاعم أن السلامة في ذلك ، كلا والله ، إلا الجهالة والخذلان والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته ، وأفعاله وأسمائه ، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك ، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يضرب على قلبـــه

(١) وعلى هامش الأصل : قوله : يراد من القلب نسيانكم الخ. هذا البيت للمتنبي من قصيدة. والطباع بالكسر السجية التي جبل عليها الانسان ، والطباع ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الاخلاق التي لاتزايلنا كالطابع كصحب ، قاله في « القاموس » .

سرادق الاعراض عنها والنفرة والتنفير ، والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله ، والإيمان به وبصفاته وأسمائه . والقلب الثاني : قلب مضروب بسياط الجهالة ، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة اسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود ، وقد قمش شبهاً من الكلام الباطل ، وارتوى من ماء آجن غير طائل ، تعج منـــه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً مما يسومها تحريفاً وتعطيلا ، ويؤول معانيها تحريفاً وتبديلا ، قد أعد[1] لدفعها أنواعـاً من العدد ، وهيأ لردهـــا ضروباً من القوانين . قوله: من القوانين . القانون : مقياس كل شـــيء ، جمعه قوانين . قاله في « القاموس » . وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال : تلك أدلة لفظية لاتفيد شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جنـــة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن ، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيماً وتشبيهاً ، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة . قوله : مزجي البضاعة. قال في « القاموس » : وبضاعة مزجـــاة ، أي . قليلة من العلم النافع الموروث عن خـــاتم الرسل والانبيـاء ، لكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجـــدال والمراء . قوله : الجدال والمراء . قال ابن الأثير في «النهاية» في معنى حـــديث « ما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا»[2] : الجدل: مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحـــديث: الجدل على الباطل ، وطلب

---

(١) وعلى هامش الأصل : أعد بفتح الهمزة وتشديد الدال ، أي : هيأ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/٢٥٦) عن ابي امامة بلفظ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمـــذي وابن ماجـــه وابن جرير . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

المغالبة . وأما الجدل لإظهار الحق فان ذلك محمود ، لقوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل: ١٢٥ انتهى . وفي «مختصر الصحاح» للقرطبي جدل : بالكسر جدلاً : أحكم الخصومة ، وجادله مجادلة وجدالاً : خاصمه . انتهى . والمراء : الجدال والمخاصمة . قال القرطبي في «مختصر الصحاح» ماريته أماريه مراء : جادلته . انتهى . وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» من المراء والجدال ، وهو المخاصمة والمحاججة وطلب القهر بالغلبة ، والترهيب في تركه للمحق والمبطل . انتهى . فعلمنا أن الجدال والمراء مترادفان ، وأن العطف فيهما عطف المترادفين . انتهى . خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب ، يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد ، وغاية الاحسان ، فابتلي بالوقوف على الابواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة من الجهل والتقليد ، والشبهة والعناد ، فاذا بذلت له النصيحة ، ودعي إلى الحق ؛ أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الايمان ، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان؟! والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) الفرقان : ٥٢ وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم ، مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم

جهنم وبئس المصير) التوبة ٧٤ فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، و « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » . وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يرى عسكر الايمان ، وجنود السنة والقرآن ، وقد لبسوا للحرب لأمته ، وأعدوا له عدته ، وأخذوا مصافهم ، ووقفوا مواقفهم ، وقد حمي الوطيس ، ودارت رحى الحرب ؛ واشتد القتال ، وتنادت الأقران : النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمدخل مع الخوالف كمين ، وإذا ساعد القدر ، وعزم على الخروج ، قعد على التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ؛ ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني كنت معكم ، وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين . فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان ، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والايمان ، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ماجاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء ، وانجلى الغبار ، وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة الضالة ، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الصافات : ٢٢ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبعده الإمام أحمد : أزواجهم : أشباههم ونظراؤهم ، قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) التكوير : ٧ قالوا . فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ، (يقول : ياليتني اتخذت

مع الرسول سبيلا . ياويلتى ليتني لم أتخـــذ فلانـاً خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) الفرقان : ٢٧ - ٢٩. شرع الناظم رحمه الله تعالى في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة فقال :

فصل

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ، وبين معطل لذلك ، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه ، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه ، فقال له : ماتقول في القرآن ومسألة الاستواء ؟ فقال المثبت : نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى ، وما قـاله نبينا ﷺ ، نصف الله تعالى بمـا وصف به نفسه ، وبمـا وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسـه من الأسماء والصفات ، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً ، فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحـد يعبد إلهاً واحداً صمداً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١.

والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما أنا نثبت ذاتاً لاتشبه الذوات ، فكذلك نقول في صفاته : إنها لاتشبه الصفات ، فليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفـاته ، ولا في أفعالـه ، فلا نشبه صفات الله صفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شـناعة

المشنعين وتلقيب المفترين ، كما أنا لانبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته ، لتسمية القدرية لنا مجبرة ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى ، لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية . ورحمة الله على القائل :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته فاني بحمد الله لها مثبت

إلى . . .

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فاني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث قال :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول :

ان كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فصل

وأما القرآن فاني أقول : إن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم وحياً ، وان (كهيعص) و (حم عسق) و (الـر) و (ق) و (ن) عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ ، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال : انه قول البشر فقد كفر ، والله يصليه

سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض كلام ، فقد جحد رسالة محمد ﷺ ، فان الله بعثه ليبلغ عنه كلامه، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . ونقول : إن الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وانه تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ، وان المسيح رفع بذاته الى الله، وإن رسول الله ﷺ عرج به الى الله حقيقة ، وإن أرواح المؤمنين تصعد الى الله عند الوفاة ، فتعرض عليه ، وتقف بين يديه ، وانه تعالى هو القاهر فوق عباده ، وهو العلي الأعلى ، وان المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وإن أيدي السائلين ترفع اليه ، وحوائجهم تعرض عليه ، فانه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار . فلما سمع المعطل منه ذلك ، أمسك ثم أسرها في نفسه ، وخلي بشياطينه وبني جنسه ، وأوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال ، وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال ، وعقدوا مجلساً بيتوا في مساء يومه مالا يرضاه الله من القول ، والله بما يعملون محيط ، وأتوا في مجلسهم بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت الى مجلسهم الذي عقدوه ، ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتموه ، فحبس الله سبحانه عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء اليه ، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر، وأخرج الناس لهم من المخبآت كائنها. قوله: المخبآت . خبأه كمنعه: ستره كخبأه واختبأه. قاله في « القاموس » قوله : كائنها. قال في « القاموس »

كمن له كنصر وسمع كموناً : استخفى، وأكمنه. والكمين كأمير: القوم يكمنون في الحرب . وقوى الله جأش عقد المثبت ، وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان ، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه ، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه ، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم ، فلم يذعنوا لذلك ، واستعفوا من عقده ، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث : مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف ، تحضر فيه النصوص النبوية ، والآثار السلفية ، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين . فقيل لهم : لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان ، ومالكم بمقاومة فرسانه يدان ، فدعاهم الى مكاتبته فيما يدعون إليه ، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت وتبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء واستعفوا غاية الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في موقف الابتهال حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال ، وظن المثبت ـ والله ـ أن القوم يجيبونه الى هذا ، فوطن نفسه عليه غاية التوطين ، وبات يحاسب نفسه ، ويعرض مايثبته وينفيه عن كلام رب العالمين ، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ، ويهوي بصاحبه إلى أسفل سافلين ، فلم يجيبوا الى ذلك أيضاً ، وأتوا من

الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه ، وعقد الله مجلساً بينه وبين خصمه ، يشهده القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد ، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد ، والمثبت المرمي بالتجسيم ، وقد خاصم في هذا المجلس بالله ، وحاكم إليه ، وبرىء الى الله من كل هوى وبدعة وضلالة ، وتحيز الى فئة غير رسول الله ﷺ وما كان أصحابه عليه . والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ، ولا الى شيء مما لديه ، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه ، وهو يرغب الى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه ، قاصد لرضى مولاه ، ثم يقرؤها متفكراً ، ويعيدها ويبديها متدبراً ، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين [١] فإن رأى حقاً قبله وشكر عليه ، وإن رأى باطلاً رده على قائله ، وأهدى الصواب اليه ، فان الحق لله ورسوله ، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان أهل التعطيل أولياءه ، إن أولياؤه الا المتقون المؤمنون المصدقون ، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ١٠٥ .

---

(١) قابلها أبو الحسن السبكي بالشتم واللعن برسالة زعم أنه رد بها على النونية ، ومن قرأها ظهر له جهل السبكي وجراءته على أهل العلم بما لا يرضي الله .

(ابن مانع)

فصل

وهذ أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ، ذكرتها قبل الشروع في المقصود ، فان ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) . العنكبوت : ٤٣ وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلا ، وكان ض السلف إذا قرأ مثلا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول : لست من العالمين . وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلا متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنه من كنوز العلم وحقائق الايمان ، وبالله المستعان وعليه التكلان [1] .

المثل الاول : ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف ، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل ، وثياب المشبه مضمخة بدم التشبيه ، وشرابه متغير بدم التمثيل . والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

المثل الثاني : شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار ، وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ، وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

المثل الثالث : شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالحلوق السليمة لاتبلعها ،

(١) قد وفقه الله للوفاء بوعده ، فألف فيها مجلداً متوسطاً . (ابن مانع)

وشجرة المشبه شجرة الحنظل فالنفوس المستقيمة لاتتبعها ، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها .

المثل الرابع : المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه الى البهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً الى الحي الذي لايموت .

المثل الخامس : مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل ، فطفىء وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عكر التشبيه ، فلا تقتبس منه الأنوار . العكر بفتحتين : دردي الزيت (١) وغيره ، وقد عكرت المسرجة من باب طرب : اجتمع فيها الدردي ، وعكر الشراب والمـــاء والدهن : آخره وخاثره ، وقد عكرفهو عكر ، وأعكره غيره وعكره تعكيراً : جعل فيه العكر . قاله في « مختار الصحاح » ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

المثل السادس : قلب المعطل متعلق بالعدم ، فهو أحقر الحقير ، وقلب لمشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد ن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع : نقود المعطل كلها زيوف فلا يروج عندنا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارةالموحد ينادى عليها يوم العرض على رؤوس أشهاد : هذه بضاعتناردت إلينا .

المثل الثامن : المعطل كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، واما أن د منه ريحاً خبيثة. والمشبه كبائع الخمر ، إما أن يسكرك ، وإماأن ينجسك. الموحد كبائع المسك ، إما أن يحذيك وإما أن يبيعك ، وإما أن تجد ه رائحة طيبة .

---

(١) دردي الزيت وغيره : مايبقى في أسفله : « مختار » (ابن مانع)

المثل التاسع : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها ، فأدركه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به في اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : (اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) هود : ٤١

المثل العاشر : منهل المعطل ، كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فرجـــع خاسئاً حسيراً ، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وقد سميتها :

« الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية »

وهذا حين الشروع في المحاكمة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله : (أما بعد) أي : أما بعد ما ذكر من حمد الله ، والصلاة والسلام على رسوله (أما) نائبة عن (مهما) ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها . و (بعد) من الظروف المبنية مالم تضف لفظاً ومعنى ، أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها ، أو تقطع عن الإضافة رأساً ، فتعرب حينئذ في الثلاثة ، وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب الى غيره ، أي : بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول اللـــه ﷺ .

ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات ، لأن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم .

واختلف في أول من نطق بها ، فقيل : داود عليه السلام . وعن الشعبي : أنها فصل الخطاب الذي أوتيه ، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد . وقيل : اول من نطق بها يعقوب . وقيل . أيوب . وقيل : سليمان ، عليهم السلام . وقيل : قس بن ساعدة الأيادي . وقيل : كعب بن لؤي . وقيل : يعرب بن قحطان ، والقول الأول ، وهو أن أول من نطق بها داود عليه السلام

أشبه ، كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره .

قوله : فإن الله جل ثناؤه الخ . الفاء في جواب (أما) النائبة عن (مهما) لتضمنها معنى الشرط .

قوله : قد قمش . قال في « القاموس » . القمش جمع القماش ، وهو ماعلى وجه الأرض من فتاة الأشياء ، حتى يقال لرذالة الناس : قماش . وما أعطاني إلا قماشاً ؛ أي : أردأ ماوجده

قوله : آجن . الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، أجن كضرب وفرح ونصر أَجناً وأَجناً وأجوناً . قاله في « القاموس »

قوله : تعج منه آيات الصفات الخ . قال في « القاموس » : عج يعج ويعج : كيمل ، عجاً وعجيجاً : صاح ورفع صوته .

قوله : وتضج الخ . قال في « القاموس » أضج [1] القوم إضجاجاً : صاحوا وجلبوا ، فإذاجزعوا وغلبوا ، ف :ضجوا يضجون ضجيجاً .

قوله : الوطيس . الوطيس هو التنور ، والآن حمي الوطيس ، أي اشتد الحرب . قاله في « القاموس » .

قوله : جنة . الجنة بالضم . قال في « القاموس » جنه الليل ، وعليه جناً وجنوناً ، وأجنه : ستره ، وكل ماستر عنك فقد جن عنك . وأجن عنه واستجن : استتر .

قوله : جأش المثبت . قال في « القاموس » : الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، ونفس الانسان ، وقد لايهمز ، جمعه :جؤوش .

قوله : في مواقف الابتهال . قال ابن هشام في « تهذيب السيرة »[2] : نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين : ندعو باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

---

(١) في الاصل : ضج ، وهو خطأ ، والتصويب من « القاموس ».

(٢) كذا الأصل ، ولعله يقصد السيرة نفسها .

لاتعقدن[1] وقد أكلتها حطباً نعوذ من شرها يوماً ونبتهل

يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلانا ؛ أي : لعنه ، وعليه بهلة الله ، أي : لعنة الله . ويقال : بهله الله ؛ أي : لعنه ، ونبتهل أيضاً : نجتهد في الدعاء . انتهى .

وأما حكم المباهلة ، فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب ، والسنة ، والآثار ، وكلام الأئمة . وحاصل كلامه فيها أنها لاتجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لايتيسر دفعه الا بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد اقامة الحجة والسعي في ازالة الشبهة ، وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة اليها . انتهى .

وهذا حين الشروع في شرح « النظم » فأقول والله الموفق :

بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل ، وهو مبني من ستة أجزاء :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حكم المحبة ثابت الاركان ماللصدود بفسخ ذاك يدان

إني وقاضي الحسن نفذ حكمها فلذا أقر بذلك الخصمان

وأتت شهود الوصل تشهد أنه حقاً جرى في مجلس الاحسان

فتأكد الحكم العزيز فلم تجد فسخ الوشاة اليه من سلطان

ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ أركان منه فخر للأذقان

وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي حكموا به متيقن البطلان

---

(١) في الأصل : لاتبعدا ، والتصويب من « سيرة ابن هشام »

ماصادف الحكم المحل ولا هو اسـ ... ـتوفى الشروط فصار ذا بطلان
فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً ... بفساد حكم الهجر والسلوان
وحكى لك الحكم المحال ونقضه ... فاسمع إذاً يا من له أذنان
حكم الوشاة بغير ما برهان ... ان المحبة والصدود لدان
والله ماهـذا بحكم مقسط ... أين الغرام وصد ذي هجران؟!
شتان بين الحالتين فان ترد ... جمعاً فما الضدان يجتمعان

افتتح الناظم رحمه الله هذه المنظومة بشيء من النسيب ، وهو والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما وافقهن ، وليس مما ذكر في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة [1] وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

قوله : حكم المحبة ثابت الأركان ، ركن الشيء : جانبه الأقوى ؛ أي : ولثبوت أركانه وشدتها لا يطيق الصدود فسخه .

قوله : إني وقاضي الحسن ؛ أي : كيف يقدر الصدود على فسخه وقد ثبت وتوطدت أركانه ، وذلك ان قاضي الحسن نفذ حكمها ؛ أي. نفذ حكم المحبة . وفي بعض النسخ « نفذ حكمه » والمعنى واحد . وفي قوله . قاضي الحسن ، وهو الجمال : استعارة ، وذلك أنه شبه الحسن في قوته وسلطنته على المحبوب وقهره له بسلطنة القاضي الحسي ، وقهره للخصوم ونفاذ حكمه ، فكذلك حسن هذه المحبوبة حكم على محبها بالمحبة [2] .

---

(١) هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي كاتب يضرب به المثل في البلاغة .

(٢) اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى شرح هذه الابيات التي افتتح ابن القيم بها النونية شرحاً إذا تأمله طالب العلم وجده غير مستقيم ، وبعيداً عن مقاصد ابن القيم . وللعلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن شرح لاول هذا النظم ذكر فيه ان قاضي الحسن هو العقل ، لان أهل السنة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين ، ثم بنى شرحه على ذلك وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم ، رحم الله الجميع . (ابن مانع)

وفي قوله: حكم المحبة الخ . براعة الاستهلال ، وهو ان يكون الابتداء مناسباً للمقصود ، لأن المنظومة المذكورة، وفي المحاكمة بين الطوائف .

قوله : فلذا أقر بذاك الخصمان ؛ اي : لما حكم قاضي الحسن بالمحبة أقر الخصمان بها .

قوله : وأتت شهود الوصل الخ ؛ اي : لما حصل وصل هذه المحبوبة وشهدت به الشهود ؛ تأكد الحكم فلم يبق سبيل للوشاة إلى فسخه ، وهذا معنى قوله : فتأكد الحكم العزيز .

وقوله : فسخ الوشاة هذا من الكلام المقلوب ، والمعنى : لم تجد الوشاة إلى فسخه من سلطان ، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء ، وإن كان اللفظ يجد بالتحتية . فهو ظاهر ، وفسخ فاعل يجد ، وفسخ مضاف ، والوشاة مضاف إليه .

قوله : ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه الخ ، اي : لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة ، خر حكم العذول وسقطت أركانه .

وقوله : وأتى الوشاة فصادفوا الخ ، لما اتى الوشاة صادفوا حكمهم باطلا ، وهو ماذكره بقوله : حكم الوشاة الخ ؛ اي حكم الوشاة أن المحبة والصدود لدان ؛ اي: سواء ، وذلك حكم جائر ليس بقسط ، وأشار إلى ذلك بقوله : أين الغرام ؟ وهو شدة المحبة، وشدة المحبة والصدود ليسا بسواء .

قوله : فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً الخ . أي إن قاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسلوان . والمحضر : السجل والمشهد ، قاله في «القاموس» اي : لما حصل الوصال ، حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والسلوان .

قوله : شتان بين الحالتين الخ . أي افترقت الحالتان ، وشتان بينهما .

قوله : الصدود . هو اسم مصدر ، صد يصد صدوداً . قال في « مختار الصحاح[1] » : صد يصد بضم الصاد صدوداً : أعرض عنه ، وصده عن الأمر : منعه وصرفه (عنه) من باب رد . انتهى .

قوله : يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء بسببه ، لأن القدرة هي تحرك اليد . يقال : فـــلان له يد في كذا وكذا ، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ، والاخرى فارغة .

قوله : الوشاة . جمع اش . يقال : وشى كلامه ؛ أي : كذب ، ووشى به الى السلطان وشاية ، أي : سعى « مختار الصحاح » قال العيني : الوشاة جمع واش من وشى به يشي وشاية ، اذا نم عليه وسعى به ، فهو واش .

قوله : لدان . اللدة كعدة : الترب ، جمع لدات ، قاله في «القاموس» والترب بالكسر : اللدة والسن ومن ولد معك ، قاله في «القاموس» .

قوله : والله ماهذا بحكم مقسط . القسط بالكسر : العدل . تقول منه أقسط الرجل فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : (إن الله لا يحب المقسطين) الحجرات : ٩ أي : ما هذا بحكم عادل .

قوله : الغرام . سمي الغرام لغريه . ومنه سمي عذاب النار : غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم . قال الله تعالى : (إن عذابها كان غراما) الفرقان : ٦٥

قوله : فما الضدان . الضدان هما اللذان لايجتمعان ؛ وقد يرتفعان كالسواد والبياض[2] .

قال الناظم :

ياوالهاً هانت عليه نفسه	إذ باعها غبناً بكل هوان
أتبيع من تهواه نفسك طائعاً	بالصد والتعذيب والهجران

---

(١) في الاصل « مختصر الصحاح » وما اثبتناه هو الصواب ، وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل بالاسم الذي سماه به مؤلفه ،

(٢) الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالخلافين ، كالمثال الذي ذكره .

أجهلت أوصاف المبيع وقدره ... أم كنت ذا جهل بذي الأثمان؟!

واهاً لقلب لا يفارق طيره الـ ... أغصان قائمة على الكثبان

ويظل يسجع فوقها ولغيره ... منها الثمار وكل قطف دان

ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ... ويظل يشكو وهو ذو هجران

هذا ولو أن الجمال معلق ... بالنجم همّ اليه بالطيران

لله زائرة بليل لم تخف ... عسس الأمير ومرصد السجان

قطعت بلاد الشام ثم تيممت ... من أرض طيبة مطلع الايمان

وأتت على وادي العقيق فجاوزت ... ميقاته حلاً بلا نكران

وأتت على وادي الأراك ولم يكن ... قصداً لها فألاّ بأن ستراني

وأتت على عرفات ثم محسر ... ومنى فكم نحرته من قربان

وأتت على الجمرات ثم تيممت ... ذات الستور وربة الأركان

هذا وما طافت ولا استلمت ولا ... رمت الجمار ولا سعت لقران

ورقت على أعلى الصفا فتيممت ... داراً هنالك للمحب العاني

أترى الدليل أعارها أثوابه ... والريح أعطتها من الخفقان

والله لو أن الدليل مكانها ... ما كان ذلك منه في إمكان

هذا ولو سارت مسير الريح ما ... وصلت به ليلا إلى نعمان

سارت وكان دليلها في سيرها ... سعد السعود وليس بالدبران

وردت جفار الدمع وهي غزيرة ... فلذاك ما احتاجت ورود الضان

وعلت على متن الهوى وتزودت ... ذكرى الحبيب ووصله المتداني

قوله : واهاً هي كلمة يقولها المتعجب قال الجوهري : اذا تعجبت من طيب الشيء قلت : واهاً له ، ماأطيبه ، وكذلك في التفجع واهاً، وواه أيضاً. انتهى .

قوله : لايفارق طيره الاغصان . المراد بالاغصان : القدود ، كقوله :

اأُغصان بان ماأرى امُ شمائل ؟

قوله : قائمة على الكثبان ، أي الأرداف ، لأن ذلك يسمى الكثيب والنقا [1] واعلم أن للشعر ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وان كانت في الأصل مجازاً لكثرة دورانها في كلامهم ، وتعاطيهم استعمالاتها ، لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام ، والكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف ، والورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجه ، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر ، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق ، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون ، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان ، العذار ، كل هذه انتقلت عن وضعها الأصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح .

قوله : بسجع . قال في « مختار الصحاح » السجع : الكلام المقفى ، وجمعه أسجاع وأساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجع أيضاً تسجيعاً ، وكلام مسجع وأساجيع ، وسجعت الحمامة : هدرت ، وسجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة . انتهى .

( ) قوله الأرداف الى آخره ماأبر هذا لتفسير وأبعده عن مقاصد ابن القيم أي فائدة بذلك . وبمطالعة ما كتبه الشيخ عبد اللطيف يعرف مقصد ابن القيم (ابن مانع)

قوله : لله زائرة بليل الخ . قولهم : لله فلان . أصله : لله در فلان بفتح الدال ، وهو اللبن ، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح ، أو يراد به لبن ارتضاعه ، أي : ما أعجب هذا اللبن الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة ، وعلى كل حال فاضافته لله للتعظيم ، لأنه منشيء العجائب .

قوله : عسس الأمير . قال في « مختار الصحاح » : عس من باب رد : طاف بالليل ، وعسساً أيضاً وهو نفض الليل عن أهل الريبة ، فهو عاس ، وقوم عسس كخادم وخدم ، وطالب وطلب ، واعتس ، مثل عس . انتهى .

قوله : من أرض طيبة ، هي المدينة المنورة .

قوله : وادي العقيق . قال الشيخ محمد طاهر الفتني في « مجمع البحار » : هو واد من أودية المدينة ، وورد أنه واد مبارك ، ومنه : أتاني آت بالعقيق ، والآتي جبريل ، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق ، وهو موضع قريب من ذات عرق ، وهو اسم مواضع كثيرة ، وكل موضع شققته من الأرض فهو عقيق . انتهى . وفي « منسك شيخ الاسلام » أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق .

وأتت على وادي لأراك ولم يكن   قصداً لها فالاً بأن ستراني

الأراك كالإرك بالكسر : شجر من الحمض يستاك به ، وإبل أراكية ترعاه ، قاله في « القاموس » أي : إن هذه العروس أتت على وادي الاراك ، وليس هو طريقاً لها ؛ ولكن فعلت ذلك تفاؤلاً [1] بأن ترى محبها .

قوله : سارت وكان دليلها في سيرها الخ . قال العلامة العيني في « شرح الشواهد الكبرى » في شرح قول الشاعر :

---

(١) وعلى هامش الاصل : قوله : فعلت ذلك تفاؤلاً ، فيه نظر ، فان التفاؤل ليس مقصوداً لها ، ولكنها أتته من غير قصد له فحصل التفاؤل .

إذا دبران منك يوماً لقيته أؤمل أن ألقاك غدواً بأسعد

قال : دبران : علم على الكوكب الذي يدبر الثريا، وهو خمسة كواكب في الثور . يقال انها سنامه . الى أن قال : والحاصل ان ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة ، وكنى بها عن الإدبار الذي هو ضد الإقبال والسعد ، وذكر الأسعد التي هي سعود النجوم ، وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس ؛ والمعنى : اذا رأيت منك ادباراً يوماً - يعني شيئاً أكرهه - فلا أقطع رجائي منك ؛ ولكن أؤمل حصول خيرك من بعد ذلك ؛ بأن ألقاك في سعد واقبال . انتهى . أي : لأن هذه العروس جاءت من الشام ؛ والجائي من الشام يتيمم جهة مطلع سعد السعود ؛ لأنه في جهة الجنوب ، ولو استدل بالدبران لما اهتدى . ويحتمل أن مراد الناظم التفاؤل باسم سعد السعود [1] لأن النبي ﷺ « كان يعجبه الفأل » [2] وكان يقول : « إذا بعثتم إلي بريداً فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه » [3] او كما قال . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعدت بزورتها فأوفت بالذي وعدت وكان بملتقى الأجفان

لم يفجأ المشتاق الا وهي دا خلة الستور بغير ما استئذان

قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما بالصبر لي عن ان أراك يدان

فتحدثت عندي حديثاً خلته صدقاً وقد كذبت به العينان

فعجبت منه وقلت من فرحي به طمعاً ولكن المنام دهاني

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن صفوان وشيعته الالى جحدوا صفات الخالق الديان

---

(١) الذي ذكره العلماء أن الفأل لا يقصد . (ابن مانع)

(٢) اخرجه ابن ماجه عن ابي هريرة ، والحاكم عن عائشة بلفظ : « كان يعجبه الفأل الحسن » وقد حسن الحافظ ابن حجر في « الفتح » اسناده . وروى الشيخان : « لا طيرة وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٣) اورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » ورمز له بالضعف .

قوله : وعدت بزورتها فأوفت بالذي الخ ؛ أي : أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام ، ولهذا قال : وكان بملتقى الاجفان . وكما قال قبل ذلك : لله زائرة بليل .. قوله : نقاب . قال في « القاموس » النقب بالكسر : الرجل العلاّمة[1] ، وما تنتقب به المرأة ، والطريق في الغلظ . قوله : إن كنت كاذبة الذي حدثتني الخ . . هذا يسمى حسن التخلص عند أهل البديع . قوله : جهم ابن صفوان . هو على ما قال الذهبي في « الميزان » : جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيما . وقال البخاري في « رسالة خلق أفعال العباد » حدثني أبو جعفر قال : حدثني يحيى بن أيوب ، قال : سمعت أبا نعيم البلخي ، قال : كان رجل من أهل مرو ، صديقاً لجهم ، ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : احتملت منه مالا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا ، أنسيها يحيى . فقال : ما كان أظرف محمداً ، فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (طه) فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . قال : أما والله لو وجدت سبيلاً الى حككتها لحككتها من المصاحف ؛ فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (القصص) فلما انتهى الى ذكر موسى قال : ماهنا ، ذكر قصته في موضع ؛ فلم يتمها ؛ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه . حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحيى بن أيوب ، قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري ، فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدث به . قال : ان لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : تقول لي : جهمي ، وجهم مكث أربعين يوماً لا يعرف ربه !؟ وقال البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » : بلغني أن جهماً كان يأخذ من الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري أمير العراق خطب ، فقال : اني مضح بالجعد بن درهم ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ، ولم يكلم

---

(١) في الاصل : الرحل والعلامة ، وهو خطأ ، والتصويب في « القاموس » .

موسى تكليما . ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال : قال عبد الله ابن المبارك :

ولا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً

وعن عبد الله بن شوذب قال : ترك الجهم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك ، وذكر الطبري في «تاريخه» في حوادث سنة ثمان[1] وعشرين (بعد المائة) أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية ، وحاربه ، والحارث حينئذ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ، وكان جهم حينئذ كاتبه ، ثم تراسلا بالصلح ، وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم ، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل ، فلم يقبل نصر ذلك ، واستمر على محاربة الحارث إلى ان قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) في خلافة مروان الحمار . فيقال : ان الجهم قتل في المعركة ومقاتل أسر ؛ فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله ؛ فادعى جهم الأمان فقال له سالم : لو كنت في بطني لشققته حتى أقتلك ؛ فقتله .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال : قال سالم حين أخذه : ياجهم إني لست أقتلك لأنك قاتلتني ؛ أنت عندي أحقر من ذلك ؛ ولكني سمعتك تتكلم بكلام ، أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا قتلتك ؛ فقتله . ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي ؛ بلغ سالم ابن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما ؛ فقتله . ومن طريق بكر بن معروف قال : رأيت سالم بن أحوز حين ضرب عنق جهم ؛ فاسود وجه جهم .

وأسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السنة» له أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، والمعتمد ماذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) .

---

(١) في الاصل : تسع ، وهو خطأ ، والتصويب من «تاريخ الطبري» .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال : قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له: جهم، من الدهرية ؛ فان ظفرت به فاقتله .

وقد ذكر الامام احمد رحمه الله بعض حال الجهم ؛ كما سيأتي في شرح قول الناظم . ولذلك لم يقر الجهم بالأرواح خارجة عن الأبدان .

وقال علي بن الحسن : سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهميه في غير موضع من كتاب الله، قولهم : إن الجنة تفنى . وقال الله تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ص : ٦٤ فمن قال : انها تنفد فقد كفر . وقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٣ فمن قال : انها تنقطع فقد كفر . وقال بلغوا الجهمية أنهم كفار ، وأن نساءهم طوالق .

وقال زهير البابي[1] : سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار . وقال وكيع : أحدثوا، هؤلاء المرجئة الجهمية، والجهمية كفار . وقال ابن الأسود : سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهمياً بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئاً .

وقال يزيد بن هارون : الجهمي أضر من مائتي شيطان . قال أبو عبدالله : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى . ولا يسلم عليهم ؛ ولا يعادون ؛ ولا يناكحون ؛ ولا يشهدون ؛ ولا تؤكل ذبائحهم . وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال : كافر . وقال عبد الله بن داود: لو كان لي على المثنى الانماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه ، وكان جهمياً . وحذر يزيد بن هارون من الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهمي . وقال ضمرة بن ربيعة عن صدوره : سمعت سليمان التيمي يقول : لو سئلت عن الله لقلت في السماء . فإن قال: فأين عرشه قبل السماء ؟ لقلت : على الماء . فان قال : فأين

---

(١) في الاصل : السختياني وهو خطأ . والتصويب من كتاب «الرد على الجهمية» .

كان عرشه قبل الماء ؟ قلت : لا أعلم . قال أبو عبد الله : وذلك لقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) البقرة : ٢٥٥ يعني : إلا بما بين . وقال محمد بن يوسف : من قال : ان الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر . وقيل لمحمد بن يوسف : أدركت الناس ، فهل سمعت أحداً يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان تكلم بهذا ؛ ومن تكلم في هذا والجهمي كافر . وقال ابن المبارك : لا نقول كما قال الجهمية : ان الله في الأرض ههنا ، بل على العرش استوى وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سمواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أبطنك خال منه ؟ فبهت الآخر . وقال سعيد بن عامر : الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى ؛ قد اجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على ان الله على العرش وقالوا هم : ليس على العرش . وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله ؛ نزل به جبريل ، ما يحاولون الا انه ليس في السماء إله . وقال علي : ان الذين قالوا : ان لله ولداً أكفر من الذين قالوا : ان الله لا يتكلم [1]. وقال : احذروا من المريسي واصحابه ؛ فان كلامهم اشتمل على الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً . وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : انا أومن برب يفعل مايشاء. وحدثني ابو جعفر ، قال : سمعت الحسن بن موسى الأشيب فنال منهم ، ثم قال : دخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له : شمعلة على المهدي فقال : دلني على اصحابك . فقال : أصحابي اكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة : الجهمية والقدرية . الجهمي اذا غلا قال : ليس ثم شيء ، وأشار الأشيب الى السماء ، والقدري اذا غلا قال : هما اثنان ؛ خالق خير وخالق شر . فضرب عنقه وصلبه . قال وكيع : الرافضة شر من القدرية ، والحرورية شر منهما ؛ والجهمية شر هذه الاصناف ، قال الله : (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ .

---

(١) لعل صواب الجملة : إن الذين قالوا : ان الله لا يتكلم أكفر من الذين قالوا : إن لله ولداً . وإلا لما كان لهذا الكلام معنى .

ويقولون : لم يتكلم . ويقولون : الايمان بالقلب : قال ابن عباس : لما كلم الله موسى كان النداء من السماء ، وكان الله في السماء. وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه مثل القبة . وقال ابن مسعود في قوله : ثم استوى على العرش . قال : العرش على الماء، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما انتم عليه . وقال قتادة في قوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤. قال : يعبد في السماء ، ويعبد في الأرض . وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ، لأنهم شبهوا ربهم بالصميم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر انتهى . ملتقط من مواضع . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الخ ما ذكره في «الحموية» : (ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال)[1] الصائبين ، فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه . وقيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ؛ واخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ؛ وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصائبة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران . وأخذ عن فلاسفة الصائبين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام وغيره لما ناظر السمنية (عن) بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ؛ فهذه أسانيد جهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين ، والفلاسفة الضالين ، إما عن الصائبين ؛ واما عن المشركين. انتهى . والمقصود

---

(١) ما بين القوسين سقط في الاصل . واستدركناه من «العقيدة الحموية الكبرى» لشيخ الاسلام ابن تيمية .

الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : جهم بن صفوان وشيعته الألى .
والألى اسم موصول بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان . المعنى أن جهماً وشيعته جحدوا صفات الباري سبحانه وتعالى . والجهم هو أعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى ، وقوله من جنس قول الباطنية القرامطة ، حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق ؛ لأن ذلك بزعمه من التشبه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية. وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ؛ إذ كان هو رأس الجبرة .

قال الناظم رحمه الله :

بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان؟!
وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ماله من خلقه ... أحد يكون خليله النفساني
وخليله المحتاج عندهم ، وفي ... ذا الوصف يدخل عابدو الاوثان
فالكل مفتقر اليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال ابراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة　　لله درك من أخي قربـان

قوله : وكلامه هو غيره . أي : ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات ، لأن كلامه غيره ، وما كان غيره مخلوق فهو مخلوق . قوله : وكذاك قالوا ماله من خلقه أحد الخ ؛ أي : أن الجهمية ينكرون الخلة والمحبة ؛ وإنما يثبتون الخلة بمعنى الفقر والحاجة ، فهم ينكرون أن الله سبحانه يحب أو يحب ، أي : فكل فقير لله ؛ فهو خليله بهذا المعنى ؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهـذا الالزام ؛ أي : ان الناس كلهم فقراء الى الله تعالى ؛ كما قال تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية فاطر : ١٥ . فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاء الله ، حتى عابدو الأوثان والأصنام . قوله : كلا ولا وصف يقوم به الخ ؛ أي : إن الباري تعالى وتقدس عندهم لايوصف الا بأنه الوجود المطلق ، والوجود المطلق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان.

قوله : وحياته هي نفسه ، أي : إن الصفـات ترجع إلى مجرد الذات المقدسة ؛ فهذا حال الجهمية الأولين ؛ وهم الجهمية الذكور ؛ وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري صاحب « منازل السائرين » الجهمية الاناث ؛ فقد قال شيخ الاسلام المذكور في كتابه « ذم الكلام » باب في ذكر كلام الأشعرية : ولما نظر المبرزون من علماء هذه الامة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية ، وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم تقف منهم إلا على التعطيل البحت ؛ وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقيدتهم ماصرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم ، أن الفلك دوار ؛ والسماء خالية ، وان قولهم : إنه تعالى في كل موضع ؛ وفي كل شيء ، مااستثنوا جوف كلب ؛ ولاخنزير ؛ ولا حشاً ـ فرار من الاثبات ؛ وذهاب عن التحقيق .

وان قولهم : سميع بلا سمع ؛ بصير بلا بصر ؛ عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ؛ إله بلا نفس ولا شخص ولا صورة ؛ ثم قالوا : لاحيـاة له ، ثم قالوا : لاشيء ، فانه لو كان شيئاً لأشبه الاشياء . حاموا[1] حول مقال رؤوس الزنادقة القدماء ، إذ قالوا : الباري لاصفة ؛ ولا صفة ، خافوا على قلوب ضعفى المسلمين وأهل الغفلة وقلة الفهم منهم ؛ إذ كان ظاهر تعلقهم بالقرآن ، وإن كان اعتصاماً به من السيف ؛ واجتناناً به منهم ؛ وإذ هم يرون التوحيد ؛ ويخاوضون المسلمين ؛ ويحملون الطيالسـة ؛ فأفصحوا بمعانيهم ؛ وصاحوا بسوء ضمائرهم ؛ ونادوا على خبايا نكتهم ؛ فيا طول مالقوا في أيامهم من سيوف الخلفاء ؛ وألسن العلماء ؛ وهجران الدهماء ؛ فقد شحنت كتاب تكفير الجهمية من مقالات علماء الاسلام فيهم ، ودأب الخلفاء فيهم ؛ ودق عامة أهل السنة عليهم ؛ واجماع المسلمين على اخراجهم من الملة ؛ ثقلت عليهم الوحشة ، وطالت عليهم الذلة ؛ وأعيتهم الحيلة ، إلا ان يظهروا الخلاف لأولاهم ؛ والرد عليهم ؛ ويصبغوا كلامهم صبغاً[2] يكون ألوح للأفهام ؛ وأنجع في العوام من أساس أولهم ؛ ليجدوا بذلك المساغ ؛ ويتخلصوا من خزي الشناعة ؛ فجاءت مخاريق تراءى للغبي بغير مافي الحشايا ؛ ينظر الناظر الفهم في جذورها ؛ فيرى مخ[3] الفلسفة يكسى لحاء السنة ؛ وعقد الجهمية ينحل ألقاب الحكمة ؛ ويردون على اليهود قولهم : يد الله مغلولة ، فينكرون الغل ؛ وينكرون اليد ، فيكونون أسوأ حالاً من اليهود ؛ لأن الله أثبت الصفة ، ونفى العيب ؛ واليهود أثبتت الصفة ؛ وأثبتت العيب ؛ وهؤلاء نفوا الصفة ؛ كما نفوا العيب ؛ ويردون على النصارى في مقالهم في عيسى وأمه ؛ فيقولون : لا يكون في المخلوق غير المخلوق ؛ فيبطلون القرآن ؛ فلا يخفى على ذوي الألباب أن كلام أولاهم وكلام أخراهم كخيط السحارة ؛ فاسمعوا ياأولي الألباب ، وانظروا مافضل هؤلاء على أولئك؟

(١) في الاصل : حاولو

(٢) في الاصل : ويصفوا كلامهم وصفاً . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » لشيخ الاسلام الهروي ، وهو من مخطوطات الظاهرية .

(٣) في الاصل : خدرها فيرمخ ، والتصحيح من « ذم الكلام وأهله » .

أولئك قالوا قبح الله مقالتهم : إن الله موجود بكل مكان ؛ وهؤلاء يقولون : ليس هو في مكان ؛ ولا يوصف بأين . وقد قال المبلغ عن الله لجارية معاوية بن الحكم : أين الله ؟ وقالوا : هو من فوق ؛ كما هو من تحت ؛ لايدرى أين هو ؛ ولا يوصف بمكان ؛ وليس هو في السماء ؛ وليس هو في الأرض . وأنكروا ؛ أي : الجهة والحد . وقال أولئك : ليس له كلام ، إنما خلق كلاماً ، وهؤلاء يقولون : تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم ، لم ينقطع عن الكلام ؛ ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به ، ثم قالوا: ليس هو صوت ولا حروف ، وقالوا :هذا زاج وورق ، وهذا صوف وخشب ، وهذا إنما قصد به النقش ، وأريد به النقر ، وهذا صوت القارىء ، أما ترى أن منه حسناً ومنه قبيحاً ، وهذا لفظه ، أماتراه مجازي به ، حتى قال رأس من رؤوسهم : أو يكون قرآن من لبد ؟ وقال آخر من خشب ، فراغوا فقالوا : هذا حكاية عبر بها عن القرآن ، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك: ثم قالوا : غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة ، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور بمرة ، والاشعرية الاناث بعشر مرات ، وأولئك قالوا : لاصفة ، وهؤلاء يقولون : وجه ، كما يقال : وجه النهار ، ووجه الأمر ، ووجه الحديث ، وعين كعين المتاع ، وسمع كأذن الجدار ، وبصر ، كما يقال: جداراهما يتراءيان ، ويد كيد المنة والعطية ، والأصابع ، كقولهم : خراسان بين اصبعي[1] الأمير ، والقدمان ، كقولهم: جعلت الخصومة تحت قدمي ، والقبضة ، كما قيل : فلان في قبضتي . أي ؛ أنا أملك أمره . وقالوا: الكرسي العلم ، والعرش الملك ، والضحك الرضى ، والاستواء الاستيلاء ، والنزول القبول ، والهرولة مثله ، فشبهوا من وجه ، وأنكروا من وجه ، وخالفوا السلف ، وتعدوا الظاهر ، وردوا الأصل ،

---

(١) في الاصل : اصابع . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله ».

ولم يثبتوا شيئاً ، ولم ينفوا موجوداً ، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة . فقالوا : لا نفسرها ، نجريها عربية كما وردت ، وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة ، أرادوا بهذه المخرقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غياباً وأعيا ذهاباً منها ، ليكونوا أوحش عند ذكرها ، وأشمس عند سماعها ، وكذبوا ، بل التفسير أن يقال : وجه ، ثم يقال : كيف؟ وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين . فأما العبارة فقد قال الله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة : ٦٤ ، وإنما قالوا اهم بالعبرانية ، فحكاها عنهم بالعربية ، وكان يكتب رسول الله ﷺ (كتابه) بالعربية فيها أسماء الله وصفاته ، فيعبر بالألسنة عنها ، ويكتب إليه بالسريانية ، فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية ، والله تعالى يدعى بكل لسان بأسمائه ، فيجيب ويحلف بها فيلزم ، وينشد فيجار ويوصف فيعرف ، ثم قالوا : ليس ذات الرسول بحجة ، وقالوا : ماهو بعد ما مات بمبلغ ، فلا تلزم به [1] الحجة ، فسقط من أقاويلهم ثلاثة أشياء ، أن ليس في السماء رب ، ولا في الروضة رسول ، ولا في الأرض كتاب ، كما سمعت يحيى بن عمار [2] يحكم به عليهم ، وإن كانوا [3] موهوها ووروا عنها واستوحشوا من تصريحها ، فان حقائقها لازمة لهم ، وأبطلوا التقليد ، فكفروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين ، وأوجبوا النظر في الكلام ، واضطروا اليه (الدين) بزعمهم ، فكفروا السلف (وقالت الطائفة منهم : الفرض لا يتكرر) فأبطلت الشرائع ، وسموا الاثبات تشبيهاً ، فعابوا القرآن وضللوا الرسول ﷺ فلا تكاد ترى منهم رجلا ورعاً ، ولا للشريعة معظماً ، ولا للقرآن محترماً ، ولا للحديث موقراً ، سلبوا التقوى ، ورقة القلب ، وبركة التعبد ، ووقار الخشوع ، واستفضلوا الرسول ، فانظر إلى احدهم ، فلا هو

---

(١) في الاصل : فيلزم . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

(٢) يحيى بن عمار : هو الإمام الواعظ السجستاني نزيل هراة ، أثنى عليه في « الشذرات » مات سنة ٤٢٢ (ابن مانع)

(٣) في الاصل : كان . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام وأهله » .

طالب آثاره[1]، ولا متتبع أخباره ، ولا مناضل عن سنته،ولا هو راغب في أسوته ، يتقلب بمرتبة العلم وما عرف حديثاً واحداً ، تراه يهزأ بالدين ، ويضرب له الأمثال ، ويتلعب بأهل السنة ، ويخرجهم أصلاً من العلم ، لا تنقر لهم عن بطانة إلا خانتك ، ولا عن عقيدة الا أرابتك ، ألبسوا ظلمة الهزء[2] ، وسلبوا هيبة الهدى ، فتنبو عنهم الأعين ، وتشمئز منهم القلوب انتهى . قوله : ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري الخ . أي : ولأجل إنكار الخلة والكلام ، ضحى خالد بن عبدالله القسري بالجعد بن درهم يوم الأضحى ، ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

وهو خالد بن عبد الله القسري بفتح القاف . قال : في « تهذيب الكمال » خالد بن عبدالله بن يزيد بن كرز بن عامر البجلي القسري أمير مكة للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك . وقال البخاري : كان خالد بن عبدالله القسري البجلي اليماني بواسط ، ثم قتل بالكوفة . وقال أبو المليح الرقي : سمعت خالد بن عبد الله يقول على المنبر : قد اجتمع من فيئكم هذا ألفا الف ، لم يظلم فيها مسلم ولا معاهد . وقال عبد الرحمن بن أحمد بن زيد : ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، ثنا الاصمعي ، قال : حدثنا عبد الله بن نوح قال : سمعت خالد بن عبد الله يقول : إني لأعشي كل ليلة تمراً وسويقاً ستة وثلاثين ألفاً . وقال الاصمعي : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله فقال : إني قد أنشدت فيك بيتين ، ولست أنشدهما الا بعشرة آلاف وخادم ، فقال له خالد : قل ، فأنشأ يقول :

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن سمعت من الاشياء شيئاً سوى نعم

(١) في الاصل : أثره ، والتصحيح من كتاب « ذم الكلام واهله » .

(٢) في الاصل : ألبسوا ظلمة الهوى . والتصحيح من كتاب « ذم الكلام واهله » للهروي

وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال خالد : ياغلام عشرة آلاف وخادم ، فحملها قال : ودخل عليه أعرابي فقال : إني قد قلت فيك شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد ان الحمد والأجر حاجتي فأيهما يأتي وأنت عماد

فقال له : سل يا أعرابي . قال : قد جعلت المسألة لي أصلح الله الأمير ؟ مائة الف درهم : أ كثرت يا أعرابي . فقال : أفأحطك أصلح الله الامير ؟ قال : نعم . قال : حططتك سبعين ألفاً ، فقال له خالد : يا أعرابي ، ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ ! فقال : إنك لما جعلت المسألة لي سألتك على قدرك ، وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطك حططتك على قدري وما أستأهله . فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبني ، ياغلام مائة ألف ، فدفعها اليه . قال خليفة : قتل خالد سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن نحو ستين سنة . انتهى مختصراً . وقد تقدمت ترجمة الجهم .

وأما الجعد فهو ابن درهم قال بخلق القرآن ، وهو الذي كان ينسب اليه مروان الجعدي ، أصله من حران . ويقال : إنه من موالي بني مروان ، وسكن دمشق .

قال الحافظ ابن عساكر : وقد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم وزوج ابنته ، عن لبيد ابن أعصم الساحر لعنه الله ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الجريري . وقيل : الترمذي ، وأقام ببلخ ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران ، حتى نفي الى ترمذ ، ثم قتل بأصبهان . وقيل بمرو .

وقتله نائبها مسلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر . وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية ، فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقية بها الجهم بن صفوان ، فتقلد عنه هذا القول ، ثم قتَله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة . وقد روى البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » وابن أبي حاتم في كتاب « السنة » وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ، كالطبراني ، وابن ابي عاصم ، وعبدالله بن أحمد ، أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له : مروان الجعدي نسبة إليه . وذكره الحافظ ابن عساكر في « التاريخ » وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وانه كان كلما راح الى وهب يغتسل ويقول : إنه أجمع للعقل . وكان يسأل وهباً عن ماهية الله عز وجل . فقال له وهب يوماً : ويلك ياجعد أنقص المسألة اني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعبد عندهمُ فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفان

وهبوب ريح أو تحرك نائم ... وتحرك الأشجار للميلان

والله يصليه على ما ليس من ... أفعاله حر الجحيم الآن

لكن يعاقبه على افعاله ... فيه تعالى الله ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته ... أنى ينزه عنه ذو السلطان ؟!
ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما ... هذا بمعقول لذي الأذهان

أي : والعبد عند الجهمية ليس بفاعل ، بل هو مجبور على أفعاله ، ولذلك قال الناظم : بل فعله كتحرك الرجفان ، أو تحرك الأشجار عند عند هبوب الريح . وقوله : المحال لذاته ، وذلك كالجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين . وأما المحال لغيره ، فهو كايمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن ، وذلك لأن الله تعالى انزل الكتب وبعث الرسل بطلب الايمان والاسلام من كل واحد ، وكلفهم ذلك ، وعلم أن بعضهم لا يؤمن . وفي الحديث القدسي حديث أبي ذرفي « صحيح مسلم » عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه قال : « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي الخ » . وفيه مسألتان : احداهما في الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه ، ونفاه عن نفسه لقوله : (وماظلمناهم) هود : ١٠١ . وقوله : (ولا يظلم ربك أحداً) الكهف . ٤٩ وقوله : (وما أنا بظلام للعبيد) ق : ٢٩ وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ فان الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعاً صاروا فيه بين طرفين متباعدين ، ووسط بينهما ، وخيار الأمور أوساطها ، وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع ، وإذ الخوض في ذلك بغير علم تام ، أوجب ضلال عامة الامم ، ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه ، فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولم يرد أن يكون الا ما أمر بأن يكون ، وغلاتهم المكذبون ، بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم الى أن الظلم منه هو نظير

الظلم من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه بالأفعال ، بأفعال عباده ، حتى كانوا ممثلة الأفعال ، وضربوا لله الأمثال ، ولم يجعلوا له المثل الأعلى ، بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد ، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي ، وقالوا عن هذا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالماً له ، فالتزموا أنه لا يقدر على أن يهدي ضالاً كما قالوا : إنه لا يقدر أن يضل مهتدياً ، وقالوا عن هذا ، إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالماً ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والاحسان ، جعلوا تركه لها ظلماً ، وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ، ومن لم يقم ، وان كان ذلك الاستحقاق قد خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة ، وهذا الموضع زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام ، فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر ، فقالوا : ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها ، بل هو من الامور الممتنعة لذاتها ، فلا يجوز أن يكون مقدوراً ، ولا أن يقال : انه تارك له باختياره ومشيئته ، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين ، وقلب القديم محدثاً ، والمحدث قديماً ، وإلا فمهما قدر وجوده في الذهن وكان وجوده ممكناً والله قادر ، فليس بظلم ، سواء فعله أو لم يفعله ، وتلقي هذا القول عن هذه الطوائف من أهل الاثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وربما تعلقوا بظاهر أقوال مأثورة ، كما روينا عن إياس بن معاوية أنه قال : ما ناظرت أحداً بعقلي كله إلا القدرية . قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك ، أو تتصرف فيما ليس لك . قلت : فلله كل شيء ، وهذا من إياس ليبين أن التصرفات الواقعة في ملكه ، فلا يكون ظلماً بموجب حدهم ، وهذا لا نزاع بين أهل

الاثبات فيه ، فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على أن كل مافعله الله فهو عدل ، وفي حديث الكرب الذي رواه الامـــام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ماأصاب عبـداً قط هم ولاحزن فقال : اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أواستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجـــلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله غمه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً » قالوا : يارسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال : « بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمن » فقد بين أن كل قضائه في عبده عدل ، ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عـدل . ويقال : أطعتك بفضلك والمنة لك ، وعصيتك بعدلك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، الا ماغفرت لي.

وهذه المناظرة من اياس كما قـال ربيعة بن عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان : ناشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى ؟ فقال : ناشدتك الله أترى الله يعصى قهراً ؟ فكأنما ألقمه حجراً ، فان قوله : يحب ان يعصى ، لفظ فيه اجمال ، وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المجملات ، خوفاً من لدد الخصم ، فيؤتى بالواضحات . فقال : أفتراه يعصى قهراً ؟ فان هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية ، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم ، فكذلك إياس رأي أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول وبالجملة فقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) طه : ١١٢ قال أهل التفسير من السلف : لايخاف ان يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم فينقص من حسناته ، ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه ، فيكون التقدير : ولايخاف ما هو ممتنع لذاته خارج

عن الممكنات والمقدورات ، فان مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكناً حتى تقولوا : إنه غير مقدور ، ولو أراد لخلق المثل ، فكيف يعقل وجوده ، فضلاً عن أن يتصور خوفه حتى ينفى خوفه . ثم اي فائدة في نفي خوف هذا ؛ وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم ، فعلم أن الظلم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير ، وأن الله لايجزيه إلا بعمله .

المسألة الثانية : ان الناس لهم في أفعال الله باعتبار مايصلح منه ، ومايجوز منه ، ومالايجوز منه ، ثلاثة أقوال ، طرفان ، ووسط ، فالطرف الواحد طرف القدرية ، وهم الذين حجروا عليه أن لايفعل إلا ماظنوا بعقولهم أنه الجائز له ، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز ، فأوجبوا عليه بعقولهم اموراً كثيرة ، وحرموا عليه بعقولهم أموراً كثيرة ، لابمعنى أن العقل آمر له وناه ، فان هذا لايقوله عاقل ، بل بمعنى أن تلك الأفعال علم بالعقول وجوبها وتحريمها ، ولكن أدخلوا في تلك المنكرات مابنوه على تكذيبهم بالقدر ، وتوابع ذلك ، والطرف الثاني : طرف الغلاة في الرد عليهم ، وهم الذين قالوا : لاينزه الله عن فعل من الأفعال ، ولا يعلم وجه امتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لايفعله ، المطابق لعلمه أنه لايفعله ، وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر مَن أنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم . قال تعالى :(وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الأنعام : ٥٤ وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً ، فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » أو لم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لايبين وجه فعله وتركه ، إذ الفعل يطابق المعلوم ، فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لايفعل هذا ليس فيه تعارض ، لأنه

كتب هذا على نفسه ، وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا أولا يفعل كذا ، لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ، ولا في ذلك مايبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا ، فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ، ليس فيه بيان مايدعو الى الفعل ولا إلى الترك ، بخلاف قوله : كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، فان التحريم مانع من الفعـــل و كتابته على نفسه داعية من الفعل ، وهذا بين واضح ، إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل ، وهو كتابة التقدير ، كما ثبت في « الصحيح » « أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سـنة وكان عرشه على الماء » فانه قال : كتب على نفسه الرحمة. ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة، إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون، ولكان قد حرم على نفسه كل مالم يفعله من الاحسان ، كما حرم الظلم ففرق بين ، فعله سبحانه ، وبين ماهو مفعول مخلوق له ، وليس في مخلوقه ماهو ظلم منه ، وان كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم ، كما أن أفعال الانسان هي بالنسبة إلية تكون سـرقة وزنـاً وصلاة وصوماً ، والله تعالى خالقها بمشيئته ، وليس بالنسبة إليه كذلك ، إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل ، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به ، لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات ، والله تعـــالى خالق كل صانع وصنعته ، كما جاء ذلك في الحديث ، وهو خالق كل موصوف وصفته .

ثم صفات المخلوقات ليست صفات له ، كالألوان والطعوم والروائح ، لعدم قيام ذلك به ، وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ، ولا أفعال له بهذا الاعتبار ، لكونها «مفعولات هو خلقها» . وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة ، والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء ، وهو

مقدس عن ترك هذا الذي لو تركه لكان تركه نقصاً ، وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه ، وهو مقدس عن فعله الذى لو كان لأوجب نقصاً ، وهذا بين ولله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايمان ، وهو أيضاً مستقر في عموم المؤمنين ، ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم ، فقابلهم من قابلهم بنوع من الكلام الباطل ، كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه ، وذلك أن المعتزلة قالوا : قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم ، كما دل عليه الكتاب والسنة . والظالم : من فعل الظلم ، كما أن العادل : من فعل العدل ، هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعاً وعقلاً . قالوا : ولو كان الله خالقاً لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالماً ، فعارضهم هؤلاء بأن قالوا : ليس الظالم من فعل الظلم ، بل الظالم من قام به الظلم . وقال بعضهم : الظالم من اكتسب الظلم وكان منهياً عنه . وقال بعضهم : الظالم من فعل محرماً عليه أو منهياً عنه . ومنهم من قال : من فعل الظلم لنفسه ، وهؤلاء يعنون أن يكون له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته . ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعاً عندهم لذاته ، كامتناع أن يكون فوقه آمر له ومساو . ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب تعالى من أفعاله حكم لنفسه ، وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل ، بل سلموا ذلك لهم ، وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية ، والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم : الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والعدل ، فذلك قائم به أيضاً ، ولا يعرف الناس من يسمى ظالماً ولم يقم به الفعل الذي صار به ظالماً ، بل لايعرفون ظالماً إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالماً ، وإن كان فعله متعلقاً بغيره وله مفعول منفصل عنه ، لكن لايعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك ، فكونكم

أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم ، وعنيتم بذلك من فعله في غيره ، فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة ، كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم : هو من فعل الكلام ولو في غيره ، فجعلتم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه قائماً بغيره متكلماً وان لم يقم به هو كلام أصلاً ، وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ، ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه ، وكذلك أيضاً ماخلقه في الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق ، وإنما قالت الجلود : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، ولم تقل ، نطق الله بذلك ، ولهذا قال من قال من السلف ، كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ، مامعناه : إنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حين قال (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ كالكلام الذي خلقه في الشجرة ، حتى قالت : (إنني أنا الله لا إله الا أنا) فإما أن يكون فرعون محقاً ، وإما أن تكون الشجرة كفرعون ، وإلى هذا المعنى تنحو الاتحادية من الجهمية ، وينشدون :

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

والمقصود الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : والعبد عندهم فليس بفاعل ، وسيأتي لهذا المقام زيادة بسط بحول الله تعالى في الكلام على قوله : وقضى بأن الله ليس بفاعل الخ .

فصل

وكذاك قالوا ماله من حكمة ... هي غاية للأمر والاتقان

ماثم غير مشيئة قد رجحت مثلا على مثل بلا رجحان

هذا وما تلك المشيئة وصفه بل ذاتــــه أو فعله قولان

وكلامه مذ كان غيراً كان مخـ لوقاً له من جملة الأكوان

قالوا وإقرار العباد بأنه خــلاقهم هو منتهى الإيمان

والناس في الايمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الاسنان

فاسأل أبا جهل وشيعته ومن والاهم من عابدي الاوثان

وسل اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبّل الصلبان

واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم أعداء نوح أمــة الطوفان

واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ خلاق أم أصبحت ذا نكران؟

واسأل شرار الخلق أعني أمة لوطية هم ناكحو الذكران

واسأل كذلك إمام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان

هل كان فيهم منكر للخالق الرب العظيم مكون الأكوان

فليبشروا مافيهم من كافر هم عند جهم كاملو الايمان

أي : إن الجهمية نفت الحكمة في خلقه تعالى ، فعندهم أنه لاحكمة في الأمر والنهي ، بل ماثم إلا الترجيح بمجرد المشيئة ، بل خلق المخلوقات ، وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة ، وهـــذا قول جمهور من

يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم ، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه ، وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية ، كابن حزم وأمثاله .

قال شيخ الاسلام : لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لاتقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً قولان . وهو يتسلسل الحكم ، أولا يتسلسل ، أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) البقرة : ١٤٣ وقوله : (كيلا يكون دولة) الحشر : ٧ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم) البقرة : ١٤٣ ونظائرها ، ولانه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ والاجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوبا عند المعتزلة ، فيفعل ما يريد بحكمته وقد أطال الناظم رحمه الله في كتابه « شرح منازل السائرين »[١] « ومفتاح دار السعادة » وغيرهما ، فمما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) الجاثية : ١٢ فدل على أن هذا حكم بشيء يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة كونه أنه لايكون ، ومن هذا إنكاره تعالى على من جوز أن يترك عباده سدى ، لايأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وإن هذا الحسبان باطل ، والله متعال عنه لمنافاته لحكمته ، فقال تعالى : (أيحسب الانسان أن

---

(١) وهو المشهور بـ : « مدارج السالكين » .

يترك سدى) القيامة ٣٦ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك الى احكم الحاكمين ، ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) المؤمنون: ١١٥، ١١٦ فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل ، كما يدل على اثباته بالسمع. ثم إنه رحمه الله بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس . وفي « منهاج السنة النبوية » لشيخ الاسلام قال : أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك. فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يثبتوا إلا العلم والارادة والقدرة . وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة ، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً . ومعلوم أن الارادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة ، بل تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية ، وانما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القياس وغير نفاته ، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم ، وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان ، وموافقيه كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون : ليس في القرآن لام في تعليل أفعال الله ، بل ليس فيه إلا لام العاقبة . أما الجمهور فيقولون :

لام التعليل داخلة في أفعال الله واحكامه ، والقاضي ابو يعلى وابو الحسن ابن الزعفراني[1] ونحوهما من أصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالاول ، فهم يقولون بالثاني أيضاً في غير موضع ، وكذلك امثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما . واما ابن عقيل في بعض المواضع ، والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلى ، وابو الخطاب ، فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من أهل النظر ، والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح ، والكرامية وامثالهم هم أيضـــاً من القائلين بالقدر والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان ، وهم أيضاً يقولون بالتعليل والحكمة ، وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة ، بل وبالتحسين والتقبيح العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة ، وغيرهم من أصحاب الشافعي ، وأبي الحسن التميمي ، وأبي الخطاب من أصحاب أحمد انتهى كلامه . قوله : وكلامه مذ كان الخ . أي : إن كلام الله غيره عندهم ، وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الأجسام ، نحو ذلك الجسم ابتداء ، ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا إرادة قول . وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والابهام ، فقال في كتابه « بدائع الفوائد » اللفظ : المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً له ، حقيقة متميزة متحصلة ، فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه ، لأنه شيء موجود في اللسان مسموع بالآذان ، فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم ، عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا ، واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال ، عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمى ، والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم ، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه ، فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس

---

(١) في الاصل : الزاغوني .

هو المسمى ، ولهذا تقول: سميت هـــذا الشخص بهذا الاسم ، كما تقول: حليته بهذه الحلية ، فالحلية غير المحلى ، فكذلك الاسم غير المسمى . وقد صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا وادعى أن مذهبه اتحادهما . قال الناظم : وما قال نحوي قط ولا عربي أن الاسم هو المسمى ، ويقولون : أجل مسمى ، ولا يقولون : أجـــل اسم ، ويقولـــون : مسمى هذا الاسم كذا ، ولا يقول أحـــد : اسم هذا الاسم كـــذا ، ويقولون : بسم الله ، ولا يقولون: بمسمى الله . وقال رسول الله ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسماً» ولا يصح أن يقال: تسعة وتسعون مسمى ، ونظائره كثيرة جداً . وقال : واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى ، فبقي هنا التسمية ، وهي التي اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى . والتسمية عبارة عن فعل المسمى ، ووضعه الاسم للمسمى ، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلى ، ووضعه الحلية على المحلى ، فهنا ثلاث حقائق : اسم ، ومسمى ، وتسمية . كحلية ومحلى وتحلية ، وعلامـــة ، ومعـــلم ، وتعليم . ولا سبيل الى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحـــد ، لتباين حقائقها ، فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد . فان قيل : ماشبهه من قال باتحادهما ؟ فالجواب : شبهته أشياء : منها أن الله تعالى هو وحده الخالق وما سواه مخلوق ، فلو كانت مخلوقة للزم أن لا يكون له اسم في الأزل ولا صفة ، لان أسماءه صفات ، وهذا أعظم ماقاد متكلمي الاثبات إلى القول باتحادهما . والجواب عن كشف هذه الشبهة ، أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنين حق وباطل ، فـــلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظه عليها ، ولا ريب أن الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منهـــا ، فلم يزل بصفاته وأسمائه ، وهو إله واحد ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ،

وصفاته وأسماؤه داخلة في مسمى اسمه ، وان كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق ، فليست صفاته وأسماؤه غيره ، وليست هي نفس الإله ، وبلاء القوم من لفظة الغير ، فانها يراد بها معنيان . أحدهما : المغاير لتلك الذات المسماة بالله ، وكل ماغاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقاً ، ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها . فاذا قيل : علم الله ، وكلام الله وغيره ، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ، كان المعنى صحيحاً ، ولكن الاطلاق باطل ، فاذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره ، كان باطلاً لفظاً ومعنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن . وقالوا : كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه ، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة ، وإذا كان القرآن كلامه ، وهو صفة من صفاته ، فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فاذا كان القرآن غير مخلوق ، ولا يقال : إنه غير الله ، فكيف يقال : إن بعض ماتضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره ؟ ! فقد حصحص الحق بحمد الله ، وانحسم الاشكال ، وإن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه ، وكلامه غير مخلوق . ولا يقال : هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : أسماؤه غيره ، وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول : اسمه نفس ذاته لا غيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب . ثم ذكر حجج القائلين بأن الاسم هو المسمى ، وأجاب عنها وأطال وأطاب رحمه الله تعالى ، والله أعلم . قوله . والاقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الإيمان . هذا بيان لمذهب جهم وأتباعه في الإيمان ، وذلك أن مذهبهم أن الإيمان هو المعرفة والتصديق ؛ أي : الإقرار بالله تعالى ، وبأنه خالق العالم ، والأقوال والأعمال عندهم ليست من الايمان ، وهذا مذهب الصالحي ، والشيخ أبي الحسن الاشعري في المشهور من قوليه .

وعندهم أن إيمان الناس سواء ، وأن الايمان لايتفاضل ، بل إيمان أصدق الناس وأبرهم كإيمان أفسقهم وأفجرهم ، ولهذا قال الناظم :

والناس في الايمان شيء واحد　　كالمشط عند تماثل الاسنان

ثم قال على سبيل الالزام : فأسأل ابا جهل وشيعته ، واسأل اليهود وثمود وعاد وقوم نوح وابليس وقوم لوط وفرعون وقارون وهامان . أي : إن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سبحانه وتعالى ، فاذا كان الايمان هو التصديق كما زعمت الجهمية ، فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية ، لأنهم مصدقون بالله سبحانه ، والله أعلم .

فصل

وقضى بأن الله كان معطلا　　والفعل ممتنع بلا إمكان

ثم استحال وصار مقدوراً له　　من غير أمر قام بالديان

بل حاله سبحانه في ذاته　　قبل الحدوث وبعده سيان

قوله : وقضى الخ . قال في « النهاية » : قد تكرر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله الفصل والقطع . يقال : قضى يقضي قضاء فهو قاض : إذا حكم وفصل . وقضاء الشيء : إحكامه وامضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق . وقال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها الى انقطاع الشيء وإتمامه ، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي أو اوجب أو أعلم أو أنفذ او أمضي . قال : وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث ،

ومنه القضاء المقرون بالقدر ، فالقضاء والقدر أمران متلازمـان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. انتهى .
أي : وقضى جهم وحكم بأن الله كان معطلاً في الأزل. تعالى الله عن ذلك ، لا يفعل شيئاً ، ثم فعل من غير أمر قام به سبحانه ، وذلك فرار من القول بدوام فاعليه الرب[1] . ولنبسط الكلام على هذه المسألة بحول الله تعالى فنقول : قـال شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة المصرية في القرآن : اعلم أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ، سلكوا في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع طريقة مبتدعة في الشرع ، مضطربة في العقل ، وأوجبوها ، وزعموا أنــه لا يمكن معرفة الصانع الا بها ، وتلك الطريق فيها مقدمات لها نتائج مجملة ، فغلط كثير من سالكيها في مقصود الشارع ومقتضى العقل ، فلم يفهموا ما جاءت به النصوص النبوية ، ولم يحرروا ما اقتضته الدلائل العقلية ، وذلك أنهم قالوا : لا يمكن معرفة الصانع الا باثبات حدوث العالم ، ولا يمكن إثبات حـدوث العالم ، إلا باثبات حدوث الأجسام . قالوا : والطريق إلى ذلك هو الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث ما قامت به الأعراض ، فمنهم من احتج بالحركة والسكون فقط ، ومنهم من احتج بالاكوان التي هي عنـــدهم الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، ومنهم من احتج بالأعراض مطلقاً ، وبنى الدليل على أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، لامتناع حوادث لا أول لهـــا . فقال لهم المعارضون لهم من أهـــل الملل وغيرهم : أنتم أثبتم حدوث العالم بطريق ، وحدوث العالم لا يتم الا مـــع

---

(١) الشارح لم يوضح الابيات . (ابن مانع)

نقيض ماأثبتوه ، فما جعلتموه دليلاً على حدوث العالم لايدل على حدوثه ، بل ولا يستلزم حدوثه . والدليل لابـد أن يكون مستلزمـاً للمدلول ، بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول ، بل هو مناف لحدوث العالم ، مناقض له ، وهو يقتضي امتناع حدوث العالم ، بل امتناع حدوثه شيء من الاشياء ، وهذا يقتضي بطلانه في نفسه ، وأنه لو صح لم يدل الا على نقيض المطلوب ونقيض ما يقوله كل عاقل ، فان كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة ، سواء قيل بقدم الأفلاك ، أو لم يقل بذلك ، وذلك ان مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وأن الارادة الأزلية التي نسبتها الى جميع المرادات على السواء ترجح مراداً على مراد بلا مرجح ، غير المرجح الذي نسبته الى جميع المرجحات نسبة واحدة لاتتفاضل . ومن المعلوم أن ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح ، أو ترجيح احد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضي ذلك ، باطل في بديهة العقل . ولو قيل : إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع وحدوث العالم ، فان مبنى الدليل على أن المحدث لا بد له من محدث ، وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لا بد من مرجح ، ولابد أن يكون للمحدث مرجح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدث الذي جعله موجوداً ، وإلا إذا لم يلزم وجوده ، كان وجوده جائزاً ممكناً ، كان محتملاً للوجود والعدم ، فترجيح الوجود على العدم لا بد له من مرجح محـــدث له ، وكل ما أمكن حدوثه إن لم يحصل له ما يستلزم حدوثه ، لم يحصل ، فما شاء الله كان لا محالة ، ووجب وجوده بمشيئة الله ، وما لم يشأ لم يكن ، بل يمتنع وجوده مع عدم مشيئة الله تعالى ، فما شاء الله حدوثه ، كان لازم الحدوث واجب الحدوث بمشيئته لا بنفسه ، وما لم يشأ حدوثه ، كان ممتنع الحدوث لازم العدم واجب العدم ، لأنه لا يوجد

بمشيئة الله المستلزمة لحدوثه . ثم إن الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم قالوا : ماذكرتموه من الدليل لا يدل على الحدوث ، بل يقتضي عـــدم الحدوث ، لأن حدوث الحوادث عن ذات لم تزل معطلة عن الفعل باطل ، فيكون العالم قديماً . وعبروا عن ذلك بأن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلاً ان وجدت في الأزل ، لزم وجود الفعل في الأزل ، والا لزم تخلف المقتضي عن المقتضى التام، وحينئذ فاذا وجدت بعد ذلك لزم الترجيح بلا مرجح ، وإن لم توجد في الأزل ، فوجودها بعد ذلك أمر حادث ، فيقتضي أمراً حادثاً ، وإلا لزم الحدوث بلا محدث ، وحينئذ فيلزم تسلسل الحوادث ، فان القول في هذا الحادث كالقول في غيره ، وهـــذا مما ينكره المعتزلة وموافقوهم المتكلمون . قالوا : فأنتم بين أمرين : اما إثبات التسلسل في الحوادث ، وإما إثبات الترجيح بلا مرجح ، وكلاهما ممتنع عندكم . ثم زعم هؤلاء الفلاسفة ان العالم قديم بناء على هذه الحجة ، ومن سلك سبيل السلف والأئمة ، أثبت ما أثبته الرسول من حدوث العالم بالدليل العقلي الذي لا يحتمل النقيض ، وبين خطأ المتكلمين من المعتزلة ونحوهم الذين خالفوا السلف والأئمة بابتداع بدعة مخالفة للشرع والعقل ، وبين أن ضلال الفلاسفة القائلين بقدم العـــالم ومخالفتهم للعقل والشرع أعظم من ضلال أولئك ، وبيان الاستدلال على حدوث العالم لا يحتاج الى الطريق التي سلكها أولئك المتكلمون ، بل يمكن إثبات حدوثه بطريق أخرى صحيحة لا يعارضها عقل صريح ولا نقل صحيح ، وثبت بذلك أن كل ماسوى الله فانه محدث ، كان بعد أن لم يكن ، سواء سمي جسماً أو عقلاً أو نفساً أو غير ذلك ، فان أولئك المتكلمين من المعتزلة وأتباعهم ، لمـــا لم يكن في حجتهم إلا إثبات حدوث أجسام العالم ، قالت الفلاسفة ومن وافقهم من المتأخرين ، كالشهرستاني والرازي ، والآمدي وغيرهم : إنكم لم تقيموا دليلاً على نفي

ما سوى الأجسام ، وحينئذ فاثبات حدوث أجسام العالم لا يقتضي حدوث ما سوى الله إن لم تبينوا أن كل ما سواه جسم ، وأنتم لم تثبتوا ذلك ، ولهذا صار بعض المتأخرين كالأرموي ومن وافقه ، الى أن أجسام العالم محدثة ، وأما العقول والنفوس فتوقفوا عن حدوثها ، أو قالوا بقدمها ، وان كان حقيقة قولهم إنه موجب بالذات لها ، وإنه محدث للأجسام بسبب حدوث لبعض التصورات والارادات التي تحدث للنفوس ، فيصير ذلك سبباً لحدوث الأجسام ، وهذا القول كما أنه معلوم البطلان في الشرع ، فهو أيضاً معلوم البطلان في العقل ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى فنقول : الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث ، يتناول هذا وهذا ، وأيضاً فإذا كان موجباً بالذات ، كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ماقبله ، وما بعده يفتقر الى مخصص ، والموجب بذاته لا يصدر عنه ما يختص بوقت دون وقت ، إذ لو جاز ذلك لم يكن موجباً بذاته ، ولجاز حدوث العالم عنه ، ولأن النفوس التي يثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك ، فيمتنع وجودها بدون الفلك ، وعند ابن سينا وطائفة أنها جوهر قائم بنفسه ، لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، وحينئذ فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً ، بل كانت عقلاً ، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم ، فاذا قال هؤلاء : ان النفس أزلية دون الأجسام ، كان هذا القول باطلاً بصريح العقل ، مع أنه لم يعرف به قائل من العقلاء قبل هؤلاء ، وانما ألجأ هؤلاء إلى هذا ظنهم صحة دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وصحة قول الفلاسفة بوجود موجود ممكن غير الاجسام ، وإثبات الموجب بالذات ، فلما بنوا قولهم على الأصل الفاسد لهؤلاء ولهؤلاء ، لزم هذا ، مع أنهم متناقضون في الجمع بين هذين ، فان عمدة المتكلمين على إبطال « حوادث لا أول لها » وعمدة الفلاسفة على أن المؤثرية من لوازم

الواجب بنفسه ، فاذا قالوا بقدم نفس لها تصورات وإرادات لا تتناهى ، لزم جواز حوادث لا تتناهى ، فبطل أصل قول المتكلمين الذي بنوا عليه حدوث الأجسام ، فكان حينئذ موافقتهم للمتكلمين بلا حجة عقلية ، فعلم أنهم جمعوا بين المتناقضين ، وأبو عبد الله بن الخطيب وأمثاله كانوا أفضل من هؤلاء ، وعرفوا أنه لا يمكن الجمع بين هذا وهذا ، فلم يقولوا هذا القول المتناقض ، ولم يهتدوا الى مذهب السلف والأئمة ، وإن كانوا يذكرون أصوله في مواضع أخر ، ويثبتون أن جمهور العقلاء يلتزمونها ، فلو تفطنوا لما يقوم بذات الله من كلامه وفعاله المتعلق بمشيئته وقدرته ودوام اتصافه بصفات الكمال ، خلصوا من هذه المحاورات ، ونحن ننبه على بعض الطرق العقلية التي يعلم بها حدوث كل ما سوى الله تعالى ، وهي أن يقال : لو كان فيها شيء سوى الله قديم لكان صادراً عن علة تامة موجبة بذاتها ، مستلزمة لمعلولها ، سواء ثبت له مشيئة واختيار أو لم يثبت ، فان القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه ، لا يتصور وجوده إن لم يكن له في الأزل مقتضى تام يستلزم ثبوته ، وهذا كما أنه معلوم بضرورة العقل، فلا نزاع فيه بين العقلاء ، فلا يقول أحد : إن القديم الأزلي صادر عن مؤثر لا يلزمه أثره ، ولا يقول : انه صادر عن علة غير تامة مستلزمة لمعلولها ، ولا يقول : إنه صادر عن موجب بذاته لا يقارنه موجبه ومقتضاه ، ولا يقول : انه صادر عن فاعل بالاختيار يمكن أن يتأخر مفعوله ، فإنه إذا أمكن تأخر مفعوله ، أمكن ان يكون ذلك القديم الأزلي قديماً أزلياً ، فيكون ثبوته في الأزل ، فإن ثبوت الممكن الأزلي بدون مقتض تام مستلزم له ، ممتنع بضرورة العقل ؛ إذ قد علم بصريح العقل أن شيئاً من الممكن لا يكون حتى يحصل المقتضى التام المستلزم لثبوته ؛ ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم وقال : انه لا ينتهي الى

حد الوجوب بل يكون العقل بالوجوب أولى منه بالعدم ، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزلياً مقارناً له ، بل هذا مما لا ينازع فيه لاهؤلاء ولا غيرهم ، فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزلياً ، للزم ان يكون له مؤثر تام مستلزم له في الأزل سواء، سمي علة تامة أو موجباً بالذات ، أو قدر أنه فاعل بالارادة وأن مراده المعين يكون أزلياً مقارناً له ، وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية ممتنع ، لأن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها ، لايتخلف عنها شيء من معلولها ، فانه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها ، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجباً بذاته ، وأن يتخلف عنه موجبه ، أو شيء من موجبه ، فان الموجب بالذات لشيء لابد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارناً لذاته ، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها شيء من معلولها ، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة ، كذلك المتأخرون من الفلاسفة يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، فان ذلك جمع بين النقيضين ، إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي ، وان شئت قلت : يمتنع أن يكون موجباً بذاته في الأزل لأمر حادث ليس بأزلي ، سواء كان ايجابه له بواسطة أو بغير واسطة ، فان تلك الواسطة ، إن كانت أزلية كان اللازم لها أزلياً ، وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحادث بتوسطها ، وهذا الذي سلموه معلوم أيضاً بصريح العقل ، فالمتقدمة برهانية مسلمة ، لكن يقولون : إنه علة تامة لما هو قديم ، كالافلاك عندهم ، وليس علة تامة للحوادث ، وهذا أيضاً باطل ، وذلك أن كل مايقال : إنه قديم كالافلاك ، إما أن يجب أن يكون مقارناً للحوادث ، كما يقولون في الفلك : إنه يجب له لزوم الحركة ، وإنه لم يزل متحركاً ، وإما أنه لايجب أن يكون مقارناً لشيء من الحوادث ،

فان كان الأول لزم أن يكون علة تامة للحوادث ، وكونه علة تامة للحوادث محال ، لأن ماقارنته الحوادث ولم يخل منها بل هي لازمة له ، امتنع صدوره عن الموجب بدونها ، ووجود الملزوم بدون اللازم محال ، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك ، يجب ان يكون علة تامة موجبة للوازمه ، وعلة تامة في الأزل بحركته ، لكن العلة التامة الأزلية لايجوز ان تكون علة تامة أزلية للحوادث ، لا الحركة ولا غيرها ، لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها في الأزل ، وأن لايتأخر عنها شيء من موجبها ومقتضاها ومعلولها ، والحركة التي توجد شيئاً فشيئاً هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، ليس كل واحد منها قديماً ، بل كل منها حادث مسبوق بآخر ، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولاً للعلة التامة الأزلية ، لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديماً ، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل ، ويمتنع وجود المستلزم للحوادث ، إلا مع حادث من الحوادث ، أو مع مجموع الحوادث ، واذا كان كلاهما يمتنع أن يكون قديماً امتنع أن يكون شيء مما يستلزم الحوادث قديماً ، فامتنع ان يكون لشيء من الحوادث أو ما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة ، فامتنع صدور الحوادث ، أو شيء منها ، أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة ، فامتنع أن يكون شيء لايخلو عن الحوادث صادراً عن علة تامة أزلية ، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة ، ولو كان قديماً لصدر عن علة تامة قديمة ، فإذا لم يكن قديماً ، إلا إذا كان المقتضى التام ثابتاً في الأزل ، فثبوت المقتضى التام له ممتنع ، كما أن قدمه ممتنع . وأما إن قيل : إن الممتنع شيء غير مقارن للحوادث ، ولا مستلزم لها ، مثل أن يقال : القديم أعيان ساكنة هي المعلول الاول ، فيقال : ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الاحوال ، إما فيه أو عنه أو غير ذلك ، وإما أن لايجوز ، فإن جاز حدوث حال من الأحوال له ، امتنع حدوث ذلك الحادث عن علة

تامة أزلية ، وهو الموجب بالذات كما تقدم ، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء ، فلا بد له من محدث ، والمحدث ان كان سوى الله ، فالقول في حدوثه إن كان محدثاً ، أو في حدوث ذلك الاحداث له بعد ان لم يكن ، كالقول في حدوث ذلك الحادث ، وان كان هوالله تعالى ، امتنع أن يكون موجباً بالذات له ، اذ القديم لايكون موجباً بالذات لحادث كما بين ، فامتنع ثبوت العلة القديمة ؛ واذا لم يكن الصانع موجباً بالذات ، فلا يكون علة تامة ، امتنع قدم شيء من العالم ، لأنه لايكون قديم إلا عن علة تامة . وإن قيل : إنه لايجوز حدوث لما فرض قديماً معلولاً للاول ، فهذا مع أنه لم يقل به أحد من العقلاء فهو باطل لوجوه :

أَحدها : ان واجب الوجود يحدث له النسب والاضافات باتفاق العقلاء ، فحدوث ذلك الغير أولى .

الثاني : ان الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي ، وهذه الحوادث صادرة عن الله اما بواسطة او بغير واسطة ، فان كانت بواسطة فتلك الوسائط حدثت عنها أمور بعد ان لم تكن ، فلزم حدوث الاحوال للقديم ، سواء كان هو الصانع او كان هو الوسائط للصانع ، وان قيل : القديم هو شيء ليس بواسطة في شيء آخر . قيل : لابد ان يكون ذلك قابلاً لحدوث الاحوال ، فانه يمكن حدوث النسب والاضافات لله عز وجل بالضرورة واتفاق العقلاء ، فإمكان ذلك لغيره أولى ، واذا كان قابلاً لها ، أمكن أن تحدث له الأحوال كما تحدث لغيره من الممكنات ، فان الله لايمتنع حدوث الحوادث عنه ، امابواسطة او بغير واسطة ، فاذا كان ذلك قابلاً وصدور ذلك عن الصانع ممكن ، أمكن حدوث الحوادث عنه أو فيه بعد ان لم يكن ، وحينئذ ، فالقول في حدوثها كالقول في حدوث سائر مايحدث عنه ، وذلك محال من العلة التامة المستلزمة لمعلولها ، فقد تبين بهذا البرهان الباهر أن كون

الاول علة تامة لشيء من العالم محال ، لافرق في ذلك بين الفلك وغيره ، سواء قدر ذلك الغير جسماً أو غير جسم ، وسواء قدر مستلزماً للحوادث فيه أو عنه ، كما يقول الفلاسفة الدهرية ، كالفارابي ، وابن سينا ، وامثالها وسلفهما من اليونان ، فانهم يقولون : الفلك مستلزم للحوادث القائمة به ، والعقول والنفوس مستلزمة للحوادث التي تحدث عنها ، وكل منها مقارن للحوادث ، لايجوز تقدمه عليها ، مع كون ذلك جميعه معلولاً للموجب بذاته ؛ فاذا تبين أن الموجب بذاته يمتنع أن يصدر عنه في الازل حادث أو مستلزم لحادث ، بطل كون صانع العالم علة تامة في الأزل ، ومتى بطل كونه علة تامة في الأزل ، امتنع أن يكون فيما سواه شيء قديم بعينه ، فبهذا تبين أن كل ماسوى الله محدث كائن بعد أن لم يكن ، سواء قيل بجواز دوام الحوادث ، أو قيل بامتناع ذلك ، وإن قيل بجواز دوام الحوادث ، لزم حدوث كل مالا يخلو عن الحوادث ، وان قيل بجواز دوام الحوادث ، فكل منها حادث بعد أن لم يكن مسبوقاً بالعدم ، وكل من العالم مستلزم لحادث بعد أن لم يكن مسبوقاً[1] بالعدم ، وكل ما كان مصنوعاً وهو مستلزم للحوادث ، امتنع أن يكون صانعه علة تامة قديمة موجبة له ، فاذا امتنع ذلك امتنع أن يكون من العالم ماهو قديم بعينه والله اعلم . وإذا أحطت خبراً بهذا المقام ، واتضح لديك ماتقدم من الكلام ، فاسمع كلام بعض أئمة الفلاسفة في هذه المسألة ، وهي القول بجواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال أبو الوليد ابن الوليد ابن رشد في كتاب « تهافت التهافت » بعد ما حكى قول الامام أبي حامد الغزالي حاكياً حجة الفلاسفة في قدم العالم قال : قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلق ، لأنا لو فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ثم صدر ، فانما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح ، بل وجود العالم ممكن عنه امكاناً صرفاً ،

---

(١) في الاصل : مسبوق

فاذا حدث لم يخل أن يتجدد مرجح أو لا يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح ، لم رجح الآن ولم يرجح قبل ؟! فإما أن يمر الامر الى غير نهاية ، أو ينتهي الامر الى مرجح لم يزل مرجحاً . قال أبو حامد : الاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكرون على من يقول : إن العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر عدمه الى الغاية التي يستمر عليها ، وأن يبتدئ الوجود من حيث بدأ ، وأن الوجود قبل لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث ، فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ قال ابن رشد : قلت : هذا قول سفسطائي ، وذلك أنه لما لم يمكنه أن يقول بجواز تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له ، وعزمه على الفعل اذا كان فاعلاً مختاراً ، قال بجواز تراخيه عن ارادة الفاعل ، وتراخي المفعول عن ارادة الفاعل جائز ، وأما تراخيه عن فعل الفاعل لـــه فغير جائز ، وكذلك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المريد ، فالشـــك باق بعينه ، وإنما كان يجب أن يلقاه بأحد أمرين ، إما لأن فعل الفاعل ليس يوجب في الفاعل تغيراً ، فيجب أن يكون له مغير في الخارج ، أو أن من التغيرات ما يكون من ذات المتغير من غير حاجة إلى مغير يلحقه منه ، وأن من التغييرات ما يجوز أن يلحق القديم من غير مغير ، وذلك أن الذي يتمسك بـــه الخصوم ها هنا هو شيئان : أحدهما أن فعل الفاعل يلزمه التغير ، وأن كل تغير فله مغير . والأصل الثاني : أن القديم لا يتغير بضرب من ضروب التغير ، وهذا كله عسير البيان ، والذي لا مخلص للاشعرية منه ، هو انزال فاعل أول ، وإنزال فعل له أول ، لأنهم لا يمكنهم أن يصفوا أن حالة الفاعل من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالتـه في وقت عـــدم

الفعـل هنالك ، ولا بـد من حال متجددة ، أو نسبة لم تكن ، وذلك ضرورة ، إما في الفاعل ، أو في المفعول ، أو في كليهما ، واذا كان كذلك ، فتلك الحال المتجددة اذا أوجبنا أن لكل حال متجددة فاعلا ، فلا بد أن يكون الفاعل لها إمـا فاعل آخر ، فـلا يكون ذلك الفاعل هو الاول ، ولا يكون مكتفياً بفعله بنفسه ، بل بغيره ، وإما أن يكون الفاعل لتلك الحال التي هي شرط في فعله هو نفسه ، ولا يكون ذلك الفعل الذي فرض صادراً عنه أولاً ، بـل يكون فعله لتلك الحـال التي هي شرط في المفعول قبل فعله المفعول ، وهذا لازم كما ترى ضرورة ، إلا أن يجوز مجوز أن من الأحوال الحادثة في الفاعلين ما لا يحتاج الى محدث ، وهذا بعيد إلا على قول من يجوز أن هـهنا أشياء تحدث من تلقائهـا ، وهو قول الأوائـل من القدماء الذين أنكروا الفاعل ، وهو قول بين سقوطه بنفسه . انتهى كلامه والمقصود من كلامه ، ماذكره في رد حجة المتكـلمين على جواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان

فاذا همـا خلقا لنوم معادنا ... فهـما على الاوقات فانيتـان

وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة [1] جاهل مجان

قال الفناء يكون في الحركات لا ... في الذات واعجباً لذا الهذيان

أيصير أهل الخلد في جناتهم ... وجحيمهم كحجارة البنيان ؟!

---

(١) وضحكة : يكثر الناس الضحك منه ، فهو من صفات الناس « مصباح »

(ابن مانع)

ماحال من قد كان يغشى أهله / عندا نقضاء تحرك الحيوان ؟
وكذاك ماحال الذي رفعت يدا / ه أكلة من صحفة وخوان؟
فتناهت الحركات قبل وصولها / للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ماحال الذي امتدت يد / منه إلى قنو من القنوان ؟
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل / يبقى كذلك سائر الأزمان
تباً لهاتيك العقول فإنها / والله قد مسخت على الأبدان
تباً لمن أضحى يقدمها على الـ / آثار والأخبار والقرآن

أي : وحكم الجهم بأن الجنة والنار لم تخلقا ، وانما يخلقان يوم المعاد ، ثم إذا خلقتا يوم المعاد ، فهما لابد فانيتان ، وانما قال هذا الجهم طرداً للدليل ، وهو الدليل المسمى بـ : دليل الأكوان ، إذ مبناه على قطع التسلسل ، وهو منع حوادث لاأول لها ، فكذا يمتنع حوادث لا آخر لها . وفي «الغنية» للشيخ عبدالقادر [١] رحمه الله تعالى . وأما الجهمية فمنسوبة الى جهم بن صفوان وكان يقول : الإيمان : هو المعرفة بالله ورسله وجميع ماجاؤوا به عن عنده فقط ، ويزعمون أن القرآن مخلوق ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى ، وأنه تعالى لم يتكلم ، ولايرى ، ولا يعرف له مكان ، وليس له عرش ولا كرسي ، ولاهو على العرش ، وأنكروا الميزان ، وعذاب القبر ، وكون الجنة والنار مخلوقتين ، وادعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان ، وان الله تعالى لايكلم خلقه ولا ينظر اليه يوم القيامة ، ولا ينظر أهل الجنة إليه ، ولا يرونه فيها ، وان الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان ،

---

(١) وهو المعروف بـ الجيلاني : من كبار فقهاء الحنابلة ، وأحد شيوخ شيخ الاسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي .

وأنكروا جميع صفات الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قوله : وتلطف العلاف . هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي . قال الذهبي في «تاريخ الاسلام» أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم، واسمه محمد بن الهذيل ، كان من أجلاء القوم ورؤوسهم ، وأنكر الصفات المقدسة . يروى أن المأمون قال لحاجبه : من بالباب؟ قال : ابو الهذيل العلاف، وعبد الله بن أباض الخارجي ، وهشام بن الكلبي الرافضي . فقال : مابقي من رؤوس جهنم احد إلا وقد حضر . أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل صاحب واصل بن عطاء ، وقد طال عمره ، وصنف الكتب ونيف على التسعين ، مات سنة ٢٢٦ ، أي: وتلطف العلاف بأن قال : الفناء يكون في الحركات ، لا في الذوات ، وذلك لأجل التزام دليل الاكوان . ثم قال الناظم رحمه الله تعالى على طريق التهكم بمقالة أبي الهذيل هذه : أيصير أهل الخلد في جناتهم وجحيمهم كحجارة البنيان ؟ إلى آخر كلامه . يقول : ما حال الذي ذكر تناهي الحركات يغشى أهله ، وكذا الذي رفعت يداه أكلة من صحفة ، وتناهت الحركات قبل فراغه من أهله ، وقبل وصول يد الآكل لفمه ، وكذا تناهت الحركات للذي قدم يده إلى قنو من القنوان قبل الأخذ . أيصيرون هكذا أبد الأبد كالحجارة . قوله : وخوان . الخوان ، كغراب ، وكتاب : مايؤكل عليه . قاله في « القاموس » ولهـذا قال الناظم : تباً لمن أضحى يقدمها على الآثار والأخبار والقرآن . تباً بفتح التاء، والتباب : الهلاك ، ومنه قولهم: أشابة ام تابة ؟ أي : هالكة من الهرم والتعجيز. قال في« القاموس »: التب والتبب : النقص والخسارة ، وتباً له. وتبا تبيباً مبالغة ، وتببه : قال له ذلك . قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه　　عدماً ويقلبه وجوداً ثاني

العرش والكرسي والارواح وال　　أملاك والافلاك والقمران

والارض والبحر المحيط وسائر الـ　　أكوان من عرض ومن جثمان

كل سيفنيه الفناء المحض لا　　يبقى له أثر كظل فان

ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً　　محض الوجود إعادة بزمان

هذا المعاد وذلك المبدا الذي　　جهم وقد نسبوه للقرآن

هذا القول مبني على اثبات الجواهر . قال شيخ الاسلام في كلامه على سورة (الإخلاص) بعد كلام سبق : والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق ، وهو القول باثبات الجوهر الفرد ، كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه ، فصاروا على قولين ، منهم من قال : تعدم الجواهر ، ثم تعاد ، ومنهم من قال : تفرق الأجزاء ، ثم تجتمع ، فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر ، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً ، فما الذي يعاد ؟ اهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ماجاءت به النصوص ، وإن كان غير ذلك ، فليس بعض الأبدان أولى من بعض ، فادعى بعضهم ان في الإنسان

اجزاءاً اصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون أن بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق ، فصار ماذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الأبدان ، وأوجب ان صار طائفة من النظار الى أن الله يخلق بدناً آخر ، تعود الروح اليه ، والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها ، سواء كان في هذا البدن ، أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن ، وهذا المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل اصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة ، الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد ، وكلا الطريقين فاسدة ، إذ بنوه على مقدمات فاسدة . والقول الذي عليه السلف ، وجمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال الى حال ، ، إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء هذا القول ، وهو القول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ، ويحيلها من جسم الى جسم ، هو الذي عليه السلف ، والفقهاء قاطبة والجمهور. انتهى . قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا الذي قادا ابن سينا والالى ... قالوا مقالته الى الكفران

لم تقبل الاذهان ذا وتوهموا ... أن الرسول عناه بالإيمان

هذا كتاب الله أنى قال ذا ... أو عبده المبعوث بالبرهان

أو صحبه من بعده أو تابع ... لهم على الايمان والإحسان

بل صرح الوحي المبين بأنه ... حقاً مغير هذه الاكوان

فيبدل الله السموات العلى والارض ايضاً ذات تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النيران عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الارض التي كنا بها أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه لاشيء هذا ليس في الامكان؟!
لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ثم تبدل وهي ذات كيان
وتمد أيضاً مثل مد أديمنا من غير أودية ولا كثبان
وتقيء يوم العرض من أكبادها كالاسطوان نفائس الاثمان
كل يراه بعينه وعيانه مالامرىء بالأخذ منه يدان

أراد المصنف أن ابن سينا ، والذين قالوا مقالته ، وأنكروا المعاد ، وظنوا أن هذا الذي اعتقد جهم في المعاد هو ماجاء به الرسول ﷺ ، فلذاك كفروا بالمعاد ، لأن هذا شيء لاتقبله العقول . ثم بين الناظم أمر المعاد على ماجاء به في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ بقوله : بل صرح الوحي المبين الخ . قال الله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ابراهيم : ٤٨ والتبديل قد يكون في الذات ، كما في بدلت الدراهم بالدنانير ، وقد يكون في الصفات ، كما بدلت الحلقة خاتماً ، والآية تحتمل الأمرين ، وبالثاني قال الأكثر . وتبدل السموات غير السموات ، لدلالة ماقبله عليه

على الاختلاف الذي مر ، وتقديم تبديل الأرض لقربانها ، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا . وروى مسلم وغيره من حديث ثوبان ، قال : جاء رجل من اليهود الى رسول الله ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الارض ؟ فقال رسول الله ﷺ « في الظلمة دون الجسر » وروى مسلم أيضاً ،وغيره من حديث عائشة ، قالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قلت : اين الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي [1] ليس فيها علم لأحد » وفيهما أيضاً من حديث أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده ... » الحديث . وقد أطال القرطبي في بيان ذلك في « تفسيره » و « تذكرته » وحاصله أن هذه الاحاديث نص في ان الأرض والسموات تبدل وتزال ، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها النــاس بعد كونهم على الجسر ، وهو الصراط . قوله : وكذلك يقبض أرضه وسماءه الخ . دليله ما في الصحيح عن ابن عمر ، قال : لما قرأ النبي ﷺ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الزمر : ٩٧ قال : يقبض الله سمواته بيده والارضين بيده الأخرى ، ثم يمجد نفسه ، فيقول : أنا الملك ، انا القدوس ، انا السلام ، انا المؤمن ، انا المهيمن ، انا الجبار ، انا المتكبر ، انا الذي بدأت الدنيا ، ولم تك شيئاً ، وأنا الذي أعدتها ،

---

(١) النقي : الدقيق الحواري . وعفراء : بيضاء الى حمرة .

أين الملوك ؟ اين الجبارون ؟ اين المتكبرون [١] ؟ او كما قال . وقوله : وتحدث الأرض التي كنا بها . دليله قوله تعالى : (يومئذ تحدث اخبارها) الزلزال: ٤ عن ابي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) قال : « أتدرون ما أخبارها ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم قال : «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، وتقول : عمل كذا وكذا ، فهذه أخبارها » رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي [٢] . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ، وقرأ رسول الله ﷺ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ (يومئذ تحدث أخبارها) » أخرجه ابن مردويه والبيهقي . قوله : وتقيء يوم العرض من أكبادها الخ . قال تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) الزلزال: ٢ ؛ اي : مافي جوفها من الاموات والدفائن . والأثقال : جمع ثقل ، قال ابو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . قال مجاهد : أثقالها : موتاها ، تخرجهم في النفخة الثانية ، وقد قيل للجن والانس : الثقلان . وإظهار الأرض في موضع الإضمار ، لزيادة التقرير . قال ابن عباس : أثقالها : الموتى والكنوز . وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل ، فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء

(١) رواه مسلم بلفظ « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الارض » وبلفظ آخر اطول من هذا ، ولم نره باللفظ الذي اورده الشارح في احد « الصحيحين » .

(١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق ، فيقول : في هـذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » وهذا معنى قول الناظم: «ما لامرىء بالأخذ منه يدان . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا الجبال تفتّ فتاً محكماً فتعود مثل الرمل ذي الكثبان

وتكون كالعهن الذي ألوانه وصباغه من سائر الألوان

وتبس بساً مثل ذاك فتنثني مثل الهباء لناظر الانسان

قال الله تعالى : (إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبـــال بسا) الواقعة : ٤ ، ٥ ؛ أي : إذا حركت حركة شديدة ، يقال : رجه يرجه رجاً : اذا حركه ، والرجة: الاضطراب ، وارتج البحر وغيره: اضطرب. قال المفسرون : ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل مـــا عليها ، وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها. وبست الجبال بساً . البس : الفت ، يقال : بس الشيء ، اذا فته حتى يصير فتـاتا ، ويقال : بس السويق ، اذا لته بالسمن أو بالزيت . قال مجاهد ومقاتل : المعنى: ان الجبال فتت فتا وبه قال ابن عباس . وقال السدي : كسرت كسراً . وقال الحسن : قلعت من أصلها . وقال مجاهد أيضاً : بست كما يبس الدقيق بالسمن ، أو بالزيت ، والمعنى أنها خلطت ، فصارت كالدقيق الملتوت . وقوله تعالى : (فكانت هباء منبثاً) الواقعة : ٦ ؛ أي : غباراً متفرقاً منتشراً بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه . وقال مجـــاهد : الهباء: الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبـــار. وقيل : هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ، ثم يذهب ، وقيل : ما تطاير من النار اذا اضطرمت .

قوله :وتكون كالعهن الذي؛ أي : كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف : عهن الا اذا كان مصبوغاً . قال الحسن : تكون الجبـــال كالصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف ، وقيل : العهن: الصوف ذو الألوان ، فشبه الجبال به في تكونها الوانا كما في قوله : (جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود) فاطر : ٢٠ فاذا بست ، وطيرت في الهواء ؛ أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ، وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة . وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ، ثم عهناً منفوشاً ، ثم هباء منثوراً . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا البحار فإنها مسجورة ... قد فجرت تفجير ذي سلطان

وكذلك القمران يأذن ربنا ... لهما فيجتمعان يلتقيـــان

هذي مكورة وهذا خاسف ... وكلاهما في النار مطروحان

وكواكب الافلاك تنثر كلها ... كلآلىء نثرت على ميدان

وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً ... وتمور أيضاً أيما مَوَران

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ... ـذا المهل أُو تك وردة كدهان

قال الله تعالى (واذا البحار سجرت) التكوير : ٦ أي : أوقدت فصارت ناراً تضطرم ، وقال الفراء : ملئت بأن صارت بحراً واحداً ، وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل : أرسل عذبها على مالحها ، ومالحها على عذبها حتى

امتلأت ، وقيل: فجرت فصارت بحراً واحداً ، وقال القشيري : هو من سجرت التنور أسجره سجراً : إذا أحميته . قال ابن يزيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت ناراً . وقال ابن عباس : تسجر حتى تصير ناراً ، وقال أيضاً : سجرت . أي : اختلط ماؤها بماء الارض . قوله هذي مكورة وهكذا خاسف . التكوير : الجمع ، وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها . قـــال الزجـــاج : لفت كما تلف العمامـــة. يقال : كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً، و كورتها تكويراً : إذا لففتها . قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة ، تلف فتجمع . قال الربيع بن خيثم : كورت ، أي : رمي بها ، ومنه كورته فتكور ، أي: سقط . وقال مقاتل وقتادة والكلبي : ذهب ضوؤها . وقال مجاهـــد : اضمحلت . قال الواحدي : قال المفسرون : تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف ويرمى بها . فالحاصل أن التكوير لها بمعنى لف جرمها ، أو لف ضوؤها ، أو الرمي بها . قـــال ابن أبي حاتم : ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن أبي بكر ابن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ . قـــال : كورت في جهنم (وإذا النجوم انكدرت) قال : انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، فلو رضيا أن يعبدا لدخلاها . قال الحافظ ابن رجب : غريب جداً ، وأبو بكر ابن أبي مريم فيه ضعف . وروي أن الشمس والقمر يكوران في النار . رواه عبد العزيز ابن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار يوم القيامة » أخرجه البزار وغيره ، وخرجه البخاري مختصراً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

« الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » أخرجه البخاري . قوله : وهذا خاسف . خسف القمر : ذهب ضوؤه وأظلم . ويقـــال : خسف : إذا ذهب جميع ضوئه . وكسف : إذا ذهب بعض ضوئه . قوله: وكواكب الافلاك تنثر كلها الخ قال تعالى (وإذا النجوم انكدرت) التكوير : ٢ أي : تهافتت ، وتساقطت ، وانقضت ، وتناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهوى ، اذا انقض ، والأصل في الانكدار الانصباب ، قال الخليل : يقال : انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم . قال أبو عبيدة: انصب كما ينصب العقاب . قال الكلبي وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوماً ، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الارض ، وقيـــل:انكدارها : طمس نورها . وقال ابن عباس : تغيرت . قوله : وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً . الخ قال الله سبحانه (إذا السماء انشقت) الانشقاق : ١ ؛ أي : انصدعت ، وتفطرت . فيه حـــذف ، والتقدير : إذا انشقت السماء انشقت ، لأن اذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية ، وماجاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص ، والسماء فاعل لفعل محـــذوف . قال الواحدي : قال المفسرون : انشقاقها من علامات القيامة ، ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الأبيض ، كما في قوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) الفرقان ٢٥ وقيل: تنشق من المجرة ، وبه قال علي بن أبي طالب . والمجرة باب السماء ، وأهل الهيئة يقولون : انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس . واختلف في جواب إذا ، فقال الفراء: إنه أذنت ، والواو زائدة ، وكذلك ألقت ، قال ابن الأنباري : هذا غلط ، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى ، كقوله (حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها) الزمر : ٧١ ومع لما كقوله (ولما أسلما وتـــله

للجبين وناديناه) الصافات ١٠٣ ولا تقحم مع غير هذين . وقيل: إن الجواب في قوله (فملاقيه) أي : فأنت ملاقيه ، وبه قال الاخفش . قوله : وتمور أيضاً أيما موران . قال تعالى (يوم تمور السماء موراً) الطور ٩٠ المور : الاضطراب والحركة ، قال أهل اللغة : مار الشيء يمور موراً : إذا تحرك ودار وجاء وذهب ، قاله الاخفش وأبو عبيدة . وقال ابن عباس : تحرك. وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض . وقال مجاهد : تدور دوراً. وقيل: تجري جرياً ، وقيل تتكفأ ، قاله الاخفش . قال البغوي : والمور يجمع هذه المعاني ، إذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب ، ويطلق المور على الموج ، ومنه ناقة موارة اليد ، أي سريعة تموج في مشيها موجاً ، ومعنى الآية أن العذاب يقع بالعصاة ، ولا يدفعه عنه دافع في هذا اليوم ؛ الذي تكون فيه السماء هكذا ، وهو يوم القيامة . قوله : وتصير بعد الانشقاق كمثل هذا المهل الخ . . . قال الله تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) الرحمن : ٣٧ انشقت ، أي : انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ، وانفك بعضها من بعض ، لقيام الساعة . وقيل : انفجرت فصارت أبواباً ، لنزول الملائكة ، لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض لئلا يهرب بعضهم من المحشر . وقيل . المراد منه خراب السماء ، وفيه تهويل وتعظيم للأمر . (فكانت وردة) أي : كوردة حمراء أو محمرة مثلها . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى فكانت حمراء ، وقيل : فكانت كلون الفرس الورد . قال ابن عباس ، وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة كالدهان . قال الفراء وأبو عبيد : تصير السماء كالأديم ، لشدة حر النار . وقال ابن عباس :

كالأديم الأحمر ، أي على خلاف العهد بها ، وهو الزرقة . وقال الفراء أيضاً : شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وشبه الورد في ألوانهـا بالدهن واختلاف ألوانه . والدهان جمع دهن ، نحو قرظ وقراظ ، ورمح ورماح. وقيل : إنه اسم مفرد ؛ أي : اسم لما يدهن به ، كالحزام ، والادام . قاله الزمخشري . وقيل: المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها . وقال الحسن: كالدهان ؛ أي : كصبيب الدهن ، فانك إذا صببته ترى فيه ألواناً. وقال زيد بن أسلم : تصير كعصير الزيت . وقال الزجاج وقتادة : إنها اليوم خضراء ، وسيكون لها لون أحمر . حكاه الثعلبي . قال الماوردي : زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل والحواجز ، يرى الدم في العروق أزرق ، ولا هواء هناك يمنع من اللون الاصلي . ذكره الكرخي والعمادي والكازروني . والمهل : ماأذيب من النحاس والرصاص والفضة . وقال مجاهد : هو القيح من الصديد والدم. وقال عكرمة وغيره : هو دردي[1] الزيت ، وبه قال ابن عباس . قال الناظم :

والعرش والكرسي لا يفنيها   أيضاً وإنهما لمخلوقـان
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ   مأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها   عدم ولم تخلق الى ذا الآن
والانبياء فانهم تحت الثرى   أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم   أبداً وهم تحت التراب يدان

(١) قال في « المختار » : دردي الزيت وغيره . مايبقى في آخره .
(ابن مانع)

وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى　　منه تركب خلقـــة الانسان

قوله : والعرش والكرسي الخ . . . المستثنى من الهـــلاك في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص : ٨٨ ثمانية أشياء، نظمها الجـــلال السيوطي فقال :

ثمانية حكم البقاء يعمهـــا　　من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي ونار وجنة　　وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وقد زاد الناظم على ذلك الحـــور في قوله: والحور لا تفنى الخ . . . قال الامام احمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والارض فقد زالتا ، لأن أهلها صاروا الى الجنة والى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يهلك ولا يبيد . واما قوله : (كل شيء هالك الا وجهه) وذلك أن الله تعالى أنزل (كل من عليها فان) فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض، فطمعوا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه). يعني . كل شيء ميت الا وجهه ، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند عند ذلك بالموت . انتهى كلامه . وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر ابن يعقوب الاصطخري : ذكره ابو الحسين في كتاب « الطبقات » قال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم ، وأصحاب الأثر وأهل السنة ، المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ الى يومنا هذا ، وأدركت من العلماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن

فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وساق أقوالهم . . الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقها الله عز وجل ، وخلق لهما أهلاً، ولا يفنيان ، ولا يفنى مافيها أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن . قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت . فمن قال خلاف ذلك ؛ فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل . وأطال الإمام أحمد رحمه الله الكلام .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم بالـ ... أرواح خارجة عن الأبدان

لكنها من بعض أعراض بها ... قامت وذا في غاية البطلان

فالشأن للارواح بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شان

إما عذاب أو نعيم دائم ... قد نعمت بالروح والريحان

وتصير طيراً سارحاً مع شكلها ... تجني الثمار بجنة الحيوان

وتظل واردة لأنهار بها ... حتى تعود لذلك الجثمان

لكنّ أرواح الذين استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريان

فلهم بذاك مزية في عيشهم ونعيمهم بالروح والابـــدان

بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم أجسام تلك الطير بالاحسان

ولها قناديل اليها تنتهي مأوى لها كمساكن الانسان

فالروح بعد الموت أكمل حالة منها بهذي الدار في جثمان

وعذاب أشقاها أشد من الذي قد عاينت أبصارها بعيان

قوله : ولأجل ذلك لم يقر الجهم الخ ؛ أي : أن الجهم بن صفوان يقول : إن الروح لا داخل البدن ، ولا خارجه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، كما ذكر ذلك عنه الإمام أحمد رحمه الله في كتاب « الرد على الجهمية » قال : وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس الى المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تبارك وتعالى ، فلقي ناساً من المشركين يقال لهم : السمنية : فعرفوا الجهم ، فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، وكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهم : نعم ، فقالوا له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل سمعت كلامه ؟ قال : لا ، قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له حساً ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له لمساً ؟ قال : لا ، قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ قال : فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً ، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة

الزنادقة من النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هي من روح الله ، من ذات الله ، وإذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه ، فتكلم على بعض لسان خلقه ، ويأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب عن الأبصار ، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمني : ألست تزعم أن فيك روحاً ؟ فقال : نعم. قال : فهل رأيت روحك ؟ قال لا ، قال : فسمعت كلامه ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له حساً ؟ قال لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، فلا يكون في مكان دون مكان . قال : ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه ، قوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ . (وهو الله في السموات وفي الأرض) الأنعام : ٣ . (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الأنعام : ١٠٣ . فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف شيئاً مما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسول الله ﷺ كان كافراً ، وكان من المشبهة ، وأضل بشراً كثيراً ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية ، فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهم ، إمام المتكلمين ، فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين السمنية من الهند ، وجحدوا الإله ، لكون الجهم لم يدركه بشيء من حواسه لا بسمعه ولا ببصره ، ولا بشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه ، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الانسان بحواسه الخمس ، فإنه ينكره ولا يقربه ، فأجابهم بأنه قد يكون في

الوجود مالايمكن الإحساس به بشيء من هـذه الحواس ، وهي الروح التي في العبد ، وزعم أنها لاتختص بشيء من الأمكنة ، وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين . وحاصل هذه الأبيات في شـأن الأرواح بعد المفارقة بالموت ، وما لها من النعيم والعذاب ، وذكر أرواح الشهداء وما أعـد الله لهم من النعيم المقيم. قال الله تعالى : (فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية جحيم) الواقعة : ٨٨ - ٩٤ فقسم سبحانه الأرواح الى ثلاثة أقسام، مقربين، وأخبر أنها في جنة النعيم ، وأصحاب يمين ، وحكم لهـا بالسلام ، وهو يتضمن سلامتها من العذاب ، ومكذبة ضالة ، وأخبر أن لها نزلاً من حميم. وتصلية جحيم . وقال تعالى : (يا أيتهـا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي) الفجر : ٢٧ - ٢٩ قال غير واحد من الصحابة والتابعين : إن هذا يقال عند خروجها من الدنيا ، يبشرهـا الملك بذلك ، ولا ينافي ذلك قول من قال : إن هذا يقال لها في الآخرة ، فانه يقال لها عند الموت ، وعند البعث ، وهذا من البشرى التي قال الله تعالى (إن الذين قالوا ربنـا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت ٣٠ وهـذا التنزل يكون عند الموت ، ويكون في القبر ، ويكون عند البعث ، وأول بشارة الآخرة عند الموت . وفي حديث البراء بن عازب ان الملك يقولها عند قبضها : أبشري بروح وريحان ، وهذا من الجنة . وروى مالك في « الموطأ » عن ابن شهاب عن عبـد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أباه كعب بن

مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه» قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر : واختلف العلماء في معنى هذا الحديث. فقال قائلون منهم : أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين ، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم. واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيداً من غير شهيد ، واحتجوا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الابرار في عليين، وأرواح الفجار في سجين . وعن عبد الله ابن عمر ، ومثل ذلك قال أبو عمر ، وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله ، وهو قوله « اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من اهل الجنة ، فمن أهل الجنة، وان كان من اهل النار فمن أهل النار . يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة»[1] وقال آخرون : إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم ، لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك ، اما القرآن فقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) الاية آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ وأما الآثار ، فذكر حديث أبي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد مرفوعاً : « الشهداء يغدون ويروحون ، يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش ، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى : هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها ؟ فيقولون : لا ، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

مرة أخرى فنقتل في سبيلك » رواه عن هناد عن اسماعيل بن المختار عن عطية ، ثم ساق حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما أصيب اخوانكم -يعني يوم أحد- جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا أننا احياء في الجنة نرزق لئلا يتكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والحديث في « مسند الامام أحمد » و « سنن أبي داود » ، ثم ذكر حديث لاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ فقال : أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله فقال : «أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ، تأوي الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» . والحديث في « صحيح مسلم »

قلت : وفي «صحيح البخاري » عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ألا

تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب - فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » ثم ساق ابن عبد البر من طريق بقي بن مخلد : ثنا يحيي بن عبد الحميد ، ثنا ابن عيينة ، عن عبيدالله ابن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة . ثم ذكر عن معمر عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو : أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون، ويرزقون من ثمر الجنة . قال أبو عمرو : هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم . وفي بعضها : في صور طير . وفي بعضها: في أجواف طير . وفي بعضها: كطير خضر . قال : والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول من قال : كطير أو صور طير ، لمطابقته لحديثنا المذكور ، يريد حديث كعب بن مالك . وقوله فيه : نسمة المؤمن كطائر ، ولم يقل : في جوف طائر . قال: وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله: كطير خضر . قلت : والذي في « صحيح مسلم » «في أجواف طير خضر » قال أبو عمر : فعلى هذا التأويل فكأنه ﷺ قال : «انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة» قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الروح » قلت : لا تنافي بين قوله ﷺ «: نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » وبين قوله : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعدة بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن

أهل النار » وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد ، كما أن قوله : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشهيد وغيره ، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ترد روحه أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها . وأما المقعد الخاص به ، والبيت الذي أعد له ، فانه إنما يدخله يوم القيامة . ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي اليها أرواحهم في البرزخ قطعاً ، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فان الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ، ودخول الارواح في الجنة في البرزخ أمر دون ذلك . ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً ، فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ ، فتنعم الارواح بالجنة في البرزخ شيء ، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر ، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دو غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال : تعلق في شجر الجنة ؛ أي : تأكل . وأما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع ، فانما يكون إذا ردت الى أجسادها يوم القيامة ، فظهر أنه لايعارض هذا القول من السنة شيء ، وانما تعاضده السنة وتوافقه .

وأما قول من قال : ان حديث كعب في الشهداء دون غيرهم ، فتخصيص ليس في اللفظ مايدل عليه ، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته ، فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جداً ، والنبي ﷺ علق هذا الجزاء بوصف الايمان ، فهو المقتضي له ، ولم يعلقه بوصف الشهادة. ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة، كقوله في حديث المقدام

ابن معدي كرب : « للشهيد عند الله سبع خصال : يغفر له في أول دفعة من دمـــه ، ويرى مقعده من الجنـــة ، ويحلى حلة الايمـــان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » فلما كان هذا يختص بالشهيد قال : ان للشهيد ، ولم يقل: ان للمؤمن ، وكذلك قوله في حديث قيس الجزامي : يعطى الشهيد ست خصال . وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة ، وأما ما علق عيه الجزاء بالايمان، فانه يتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد . وأمـا النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة ، فكلها حق ، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولاسيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس . فيقال لهؤلاء : ما تقولون في أرواح الصديقين ، هل هي في الجنة أم لا ؟ فإن قالوا : إنها في الجنة ، ولا يسوغ لهم غير هذا القول ؛ قيل : فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك ، وإن قالوا : ليست في الجنة ؛ لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة ، كأبي بكر الصديق ، وأبي بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي الدرداء ، وحذيفة بن اليمان ، وأشباههم ليست في الجنة ، وأرواح شهداء زماننا في الجنة ، وهذا معلوم البطلان ضرورة . فان قيل : فإذا كان هذا حكماً لا يختص بالشهداء ؛ فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص ؟ قيل : الموجب لذلك التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها ، وإن هذا مضمون لأهلها ولا بد ، وان لهم أوفر

نصيب ، فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وان كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم ، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل ارواح الشهداء في أجواف طير خضر ، فانهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه ، أعاضهم منها في البرزخ ابداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة ، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير . وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال : « نسمة المؤمن طير » فهذا يعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهداء قال : « هي في جوف طير » ومعلوم أنها اذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير ، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضاً ، ويدل على أنه حق من عند الله ، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى : أرواحهم كطير خضر ، بل الروايتان حق وصواب ، فهي كطير أخضر ، وفي أجواف طير خضر . انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى . قوله : حتى تعود لذلك الجثمان . الجثمان : هو الجسم . قال الجوهري : قال أبو زيد : الجسم الجسد ، وكذلك الجسمان والجثمان . وقال الاصمعي : الجسم والجسمان : الجسد ، والجثمان الشخص ، قال : وجماعة[1] جسم الانسان أيضاً يقال له : الجسمان ، مثل ذئب وذؤبان . انتهى . وقول الناظم :

لكن أرواح الذين استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريان

(١) في الاصل : وقال جماعة . وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الذي جاء في «الصحاح»

يعني : أن الشهداء لهم خصوصية بأن أرواحهم تجعل في جوف طير خضر ، كما صرح بذلك في كلامه المتقدم بقوله . ثم خص الشهداء بأن قال : هي في جوف طير ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والقائلون بأنها عرض أبوا ... ذا كله تبـــاً لذي نكران

واذا أراد الله إخراج الورى ... بعد الممات الى المعاد الثاني

ألقى على الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلطان

مطراً غليظاً أبيضا متتابعاً ... عشراً وعشراً بعدها عشران

فتظل تنبت منه أجسام الورى ... ولحومهم كمنـــابت الريحان

حتى اذا ما الأم حان ولادها ... وتمخضت فنفاسهـــا متدان

أوحى لها رب السما فتشققت ... فبدا الجنين كأكمل الشبان

وتخلت الأم الولود فأخرجت ... أثقالها أنثى ومن ذكــران

والله ينشيء خلقه في نشأة ... أخرى كما قد قال في القرآن

هذا الذي جاء الكتاب وسنة الهـ ... ـادي به فاحرص على الايمان

ما قال إن الله يعدم خلقه ... طراً كقول الجاهل الحيران

قوله : والقائلون بأنها عرض . أي : إن القائلين بأن الروح عرض أبو ذا كله ، لأنها عندهم تعدم وتتلاشى ، وعندهم أنهـــا عرض من أعراض

البدن ، وهو الحياة ، وهذا قول الباقلاني ومن تبعه . وكذلك قال أبو الهذيل العلاف : النفس عرض من الأعراض ، وقال غيرهم بأنه الحياة ، كما عينه ابن الباقلاني ، ثم قال : هي عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات ، عدمت روحه كما تعدم سائر أعراضه المشروطة بالحياة . ومن يقول منهم : إن العرض لا يبقى زمانين ، كما يقوله أكثر الأشعرية ، فمن قولهم : إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل ، وهو لا ينفك يحدث له روح ، ثم تغير ، ثم روح ، ثم تغير ، هكذا أبداً ، فيبدله ألف روح فأكثر في ساعة من الزمان فما دونها ، فإذا مات فلا روح تصعد الى السماء ، وتعود الى القبر ، وتقبضها الملائكة ، ويستفتحون لها أبواب السموات ، ولا تنعم ، ولا تعذب ، وإنما ينعم ويعذب الجسد ، إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه ، رد الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه ، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة . وقال بعض أرباب هذا القول : ترد الحياة الى عجب الذنب ، فهو الذي يعذب وينعم فحسب ، وهذا قول يرده الكتاب والسنة ، واجماع الصحابة ، وأدلة العقول والفطرة ، وهو قول من لم يعرف روحه ، فضلاً عن روح غيره ، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل ، وتقبض وتمسك ، وترسل وتستفتح لها أبواب السماء ، وتسجد وتتكلم ، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة ، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة او النار ، وأن ملك الموت يأخذها بيده ، ثم يتناولها الملائكة من يده ، ويشم لها كأطيب نفحة مسك ، أو كأنتن جيفة ، وتشيع من سماء الى سماء ، ثم تعاد الى الأرض مع الملائكة ، وأنها إذا خرجت تبعها البصر حيث يراها ، وهي خارجة ، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها ، وجميع

ماوردمن الأدلة الدالة على تلاقي الارواح وتعارفها ، وأنها اجناد مجندة... الى غير ذلك، يبطل هذا القول . وقد شاهد النبي ﷺ الأرواح ليلة الإسراء عن يمين آدم وشماله ، وأخبر النبي ﷺ أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تعرض على النار غدواً وعشياً . ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب وقال : يخرج على هذا أحد وجهين ، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم ، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب حبة خردل، وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة . وأي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من المرات ، فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ، ولا تصعد ولا تنزل ، ولا تمسك ولا ترسل ، فهذا قول مخالف للعقل ، ونصوص الكتاب والسنة ، والفطرة ، وهو قول من لم يعرف نفسه ، والله أعلم . وقوله : وإذا أراد الله إخراج الورى الخ . أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مابين النفختين أربعون » قيل : أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة : أبيت ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الانسان شيء الا يبلى ، إلا عظم واحد ، وهو عجب الذنب ، منه يركب الخلق يوم القيامة » وفي رواية المسلم « ان في الانسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً ، فيه يركب الخلق يوم القيامة ، قالوا : أي عظم هو يارسول الله ؟ قال : عجب الذنب » رواه الإمام مالك وأبو داود، والنسائي باختصار قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ؛

وفيه يركب » قـــال الحافظ المنذري كغيره : عجب الذنب . بفتح العين المهملة ، وإسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم : هو العظم الذي يكون في أسفل الصلب . وأصل الذنب من ذوات الأربع . وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «يأكل التراب كل شيء من الانسان إلا عجب ذنبه . قيل : ماهو يارسول الله ؟ قال : مثل حبـــة خردل منه تنشؤون» . وروى الثعلبي في تفسير سورة (الأعراف) وابن عطية في تفسيره عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم : إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى ، يعني : نفخة الصعق ، أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان ، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم ، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية ، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم ، كما يجده القائم إذا استيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون : (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) يس : ٥٢ . وقول أبي هريرة رضي الله عنه : أبيت ، فيه ثلاث تأويلات ، أحدها : امتنعت من بيان ذلك . وقيل : أبيت أن أسأل النبي ﷺ عن ذلك . وقيل : نسيت . وقيل : إن سر ذلك لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ، لأنه من أسرار الربوبية ، لكن في حديث «إن بين النفختين أربعين عاماً[1]» وقول الناظم : طرا هو بضم الطاء ، أي : جميعاً . قال الناظم رحمه تعالى :

وقضى بأن الله ليس بفاعـــل فعلا يقوم به بلا برهان

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » ووقع لولي الله النووي في « مسلم » «أربعين سنة » قال ابن حجر : وليس كذلك .

بل فعله المفعول خارج ذاته ... كالوصف غير الذات في الحسبان

والجبر مذهبه الذي قرت به ... عين العصاة وشيعة الشيطان

كانوا على وجل من العصيان إذ ... هو فعلهم والذنب للانسان

واللوم لا يعدوه إذ هو فاعل ... بإرادة وبقدرة الحيوان

فأراحهم جهم وشيعته من اللـ ... ـوم العنيف وما قضوا بأمان

لكنهم حملوا ذنوبهم على ... رب العباد بعزة وأمان

وتبرؤوا منها وقالوا إنها ... أفعاله ما حيلة الإنسان

ما كلف الجبار نفساً وسعها ... أنى وقد جبرت على العصيان ؟!

وكذا على الطاعات أيضاً قد غدت ... مجبورة فلها إذاً جبران

والعبد في التحقيق شبه نعامة ... قد كلفت بالحمل والطيران

إذ كان صورتها تدل عليهما ... هذا وليس لها بذاك يدان

تضمن كلام الناظم رحمه تعالى مسألتين عظيمتين ، إحداهما في أفعال الله تعالى ، هل لله تعالى فعل يقوم به بمشيئته وقدرته ، أم الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ؟ فالاول هو الذي ذكره الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك في كتبهم ، كما ذكره فقهاء الحنفية ، كالطحاوي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم ، وكما ذكره البغوي في « شرح السنة » وكما ذكره أصحاب أحمد ، كأبي إسحاق ، وأبي بكر عبد العزيز ، والقاضي ذكره في الخلق : هل هو المخلوق أو غيره ؟ على قولين ، ولكن استقر قوله على

ان الخالق غير المخلوق ، وان خالف ابن عقيل . وكما ذكره أبو بكر محمـد ابن اسحـاق الكلاباذي في كتاب له ، وكما ذكره أئمـة الحديث والسنة . قـال البخاري في آخر « الصحيح » في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة : باب ماجاء في تخليق السموات والارض ونحوها من الخلائق . وهو فعل الرب وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعول مخلوق مكون ، وذهبت الجهمية والمعتزلة أو أكثرهم ، والكلابية والاشعرية إلى أن الخالق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ، وليس لهؤلاء عنـد الرب فعل ولا صنـع يقوم بـه . تعـالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً . قوله : والجبر مذهبه الذي قرت به الخ . أي : ان مذهب جهم هو الجـبر ، ومعنى ذلك أن الناس اختلفوا في أفعال العباد هل هي مقدورة للرب والعبد أم لا ؟ فقال جهم وأتباعه الجبرية : إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد ، وكذلك قال الأشعري وأتباعه : إن المؤثر فيه قدرة الرب دون قدرة العبد . وقال جمهور المعتزلة : إن الرب لايقدر على عين مقدور العبد ، واختلفوا : هل يقدر على مثل مقدوره ؟ فأثبته البصريون كأبي علي وأبي هاشم ، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون ، واحتج المعتزلة بأنه لو كان مقدوراً لهما للزم إذا أراد أحدهما شيئاً أو أمراً ، وكرهه الآخر ، مثل أن يريـد الرب تحريكه ، ويكرهه العبد ، أن يكون موجوداً معدوماً ، لأن المقدور من شأنه أن يوجد عند توفر دواعي القادر ، وأن يبقى على العدم عند توفر صارفه ، فلو كان مقدور العبد مقدوراً لله لكان إذا أراد الله وقوعه ،

وكره العبد وقوعه ، لزم أن يوجد لتحقق الدواعي ، ولا يوجد لتحقق الصارف ، وهو محال . وقد أجاب الجبرية عن هذا بما ذكره الرازي ، وهو أن البقاء على العدم عند تحقق الصارف ممنوع مطلقاً ، بل يجب إذا لم يقم مقامه سبب آخر مستقل ، وهذا أول المسألة ، وهذا جواب ضعيف ، فإن الكلام فى فعل العبد القائم به إذا قام بقلبه الصارف عنه دون الداعي إليه ، وهذا يمتنع وجوده من العبد في هذه الحال ، وما قدر وجوده بدون إرادته لم يكن فعلاً اختيارياً ، بل يكون بمنزلة حركة المرتعش ، والكلام إنما هو في الاختياري ، ولكن الجواب منع هذا التقدير ، فإن ما لم يرده العبد بأفعاله يمتنع أن يكون الله مريداً لوقوعه ، إذ لو شاء وقوعه جعل العبد مريداً له ، فإذا لم يجعله مريداً له علم أنه لم يشأه . ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن الانسان لو قال : والله لأفعلن كذا وكذا إن شاء الله ؛ ثم لم يفعله أنه لا يحنث ، لأنه لما لم يفعله علم أن الله لم يشأه ، إذ لو شاءه لفعله العبد ، فلما لم يفعله علم أن الله لم يشأه . واحتج الجبرية بما ذكره الرازي وغيره بقولهم : إذا أراد الله تحريك جسم ، وأراد العبد تسكينه ، فإما أن يمتنعا معاً ، وهو محال ، لأن المانع من وقوع مراد كل واحد منهما هو موجود مراد الآخر ، فلو امتنعا معاً ، لوجدا معاً وهو محال ، أو يقعا ، وهو محال أيضاً ، أو يقع أحدهما ، وهو باطل ؛ لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور الواحد ، والشيء الواحد حقيقة لا تقبل التفاوت ، فإذا القدرتان بالنسبة إلى اقتضاء وجود ذلك المقدور على السوية ، وإنما التفاوت في أمور خارجة عن هذا المعنى ، وإذا كان كذلك امتنع الترجيح فيقال : هذه الحجة باطلة على المذهبين أما أهل السنة فعندهم يمتنع أن يريد الله

تحريك جسم ، ويجعل العبد مريداً ، لأن يجعله العبد ساكناً مع قدرته على ذلك ، فإن الارادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المقدور ، فلو جعله الرب مريداً مع قدرته لزم وجود مقدوره ، فيكون العبد يشاء ما لا يشاء الله وجوده ، وهذا ممتنع ، بل ماشاء الله وجوده يجعل القادر عليه مريداً لوجوده ، لايجعله مريداً لما يناقض مراد الرب . وأما على قول المعتزلة فعندهم تمتنع قدرة الرب على عين مقدور العبد ، فيمتنع اختلاف الإرادتين في شيء واحد ، وكلا الحجتين باطلة ، فإنهما مبنيتان على تناقض الإرادتين ، وهذاممتنع ، فإن العبدإذاشاءأن يكون «شيء»لم يشأهحتى يشاء الله مشيئته ، كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا ان يشاء الله رب العالمين) ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذاشاءالله جعل العبد شائياً له ؛ واذا جعل العبد كارهاً له غير مريد له،لم يكن هو في هذهالحال شائياً له ،فهم بنوا الدليل على تقدير مشيئةالله له،وكراهةالعبد له ، وهذا تقدير ممتنع ، وهذا تناقض من تقدير ربين وإلهين ، وهوقياس باطل، لأن العبد مخلوق لله ، وهو وجميع مفعولاته ليس هو مثلاً لله ، ولا نداً، والله أعلم . وقول الناظم رحمه الله تعالى :

كانوا على وجل من العصيان إذ   هو فعلهم والذنب للانسان

أي : إن أفعال العباد غير اختيارية ، بل هم مجبورون عليها ، كحركة المرتعش ، وتحريك الهواء للاشجار ، ونحو ذلك ، فإذا كان أصل القدرية المجبرة أن ارادة الرب تعالى هي عين محبته ورضاه ، فكل ماشاءه فقد أحبه ورضيه ، وكل مالم يشأه فهو مسخوط له مبغوض ، فالمبغوض المسخوط هو ما لم يشأه، والمحبوب المرضي هو ماشاءه ،هذا أصل القدرية الجبرية ، المنكرين

للحكم ، والتعليل والاسباب ، وتحسين العقل وتقبيحه ، وأن الافعال كلها سواء لايختص بعضها بما صار حسناً لأجله ، وبعضها بما صار قبيحاً لأجله ، ويجوز في العقل ان يأمر بما نهى عنه وينهى عما أمر به ، ولا يكون ذلك مناقضاً للحكمة ، اذ الحكمة ترجع عندهم الى مطابقة العلم الازلي لمعلومه والارادة الازلية لمرادها ، والقدرة لمقدورها ، فاذاً الافعال بالنسبة إلى المشيئة والارادة مستوية لاتوصف بحسن ولاقبح ، فاذا تعلق بها الأمر والنهي صارت حينئذ حسنة وقبيحة ، وليس حسنها وقبحها زائداً على كونها مأموراً بها ومنهياً عنها .

قوله : والعبد في التحقيق شبه نعامة الخ . . أي : لأجل أن لها أجنحة فتشبه الطير من هذا الوجه ولها اخفاف تشبه اخفاف الناقة ، فلهذا قال : قد كلفت بالحمل والطيران .

قوله : وليس لها بذاك يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء باسم سببه ، لأن القدرة هي تحريك اليد . يقال : فلان له يد في كذا وكذا .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فلذاك قال بأن طاعات الورى ... وكذاك ما فعلوه من عصيان

هي عين فعل الرب لا أفعالهم ... فيصح عنهم عند ذا نفيان

نفي لقدرتهم عليها أولا ... وصدورها منهم بنفي ثان

فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا ... زكوا ولا ذبحوا من القربان

وكذاك ماشربوا وما قتلوا وما ... سرقوا ولا فيهم غوي زان

وكذاك لم يأتوا اختياراً منهم ... بالكفر والاسلام والايمان

الا على وجه المجاز لانها قامت بهم كالطعم والألوان

جبروا على ماشاءه خلاّقهم ما ثم ذو عون وغير معان

والكل مجبور وغير ميسر كالميت أدرج داخل الاكفان

وكذاك أفعال المهيمن لم تقم أيضاً به خوفاً من الحدثان

فاذا جمعت مقالتيه أنتجا كذباً وزوراً واضح البهتان

إذ ليست الافعال فعل إلهنا والرب ليس بفاعل العصيان

فاذا انتفت صفة الإله وفعله وكلامه وفعائل الانسان

فهناك لاخلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على القول بالجبر ، وذكر بعض ما يلزم أهله ، شرع أيضاً في بيان ما يلزمهم من وجه آخر من الشناعات ، فقال : وكذاك افعال المهيمن الخ ... أي : أن مذهب الجهمية ومن وافقهم ،أن الرب تعالى لاتقوم به الأفعال الاختيارية،بل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، كما تقدم حكاية ذلك عنهم ، لأنهم على زعمهم إذا قالوا بذلك لزم قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى ، فيلزم حدوثه تعالى وتقدس ، كما أن ما قامت به الحوادث ، فهو حادث . والعبد عندهم أيضاً ليس بفاعل بالاختيار ، بل هو مجبور ، وغير ميسر ، وحركته كحركة المرتعش ، أو كالميت أدرج داخل الأكفان، فإذا كان فعل الرب تعالى غير قائم به عندهم ، بل المفعول هو المفعول ، والعبد عندهم ليس بفاعل ،فلذلك

قال الناظم : فاذا جمعت مقالتيه انتجا ، اي: إذا كان الفعل ليس فعلاً للرب ، والعبد مجبور لا فعل له في الحقيقة ، بل تسمى أفعالا له مجازاً ، كان نسبة ذلك إلى الرب تعالى كذباً ، لأن الرب ليس بفاعل للمعاصي ، وصار نسبته للعبد أيضاً كذباً ، لأنه ليس بفاعل ، وإنما هو مجبور ، فاذا انتفت صفة الفعل والكلام في حق الرب تعالى،فهناك لاخلق ولا أمر ولا وحي ولا تكاليف ، كما ألزمهم به الناظم رحمه الله تعالى . قوله: الكل مجبور الخ ... قال الناظم في « شرح منازل السائرين » مشهد أصحاب الجبر ،وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم ، بل لايشهدون أنها أفعالهم البتة ، ويقولون : ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ، ولا قادر ، وأن الفاعل فيه ، والمحرك له سواه وأنه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح ، وحركات الأشجار ، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر ، وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغلون في ذلك حتى يروا افعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ، لموافقتها المشيئة والقدر ، ويقولون: كما ان موافقة الأمر طاعة ، فموافقة المشيئة طاعة ، كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلاً على امره بها ورضاه بها قال : وهؤلاء شر من القدرية النفاة ، واشد عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسله ودينه ، حتى إن من هؤلاء من يعتذر عن ابليس لعنه الله ، ويتوجع له ، ويقيم عنده بجهده ، وينسب ربه الى ظلمه بلسان الحال والقال ، ويقول : ماذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؛ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه ، وارادته منه ! ثم كيف يمكنه السجود ، وهو الذي منعه منه ، وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك سجوده لغيرك محسناً؟ ولكن:

إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته الا ذنوب

قال رحمه الله : وهؤلاء أعداء الله حقاً وأولياء إبليس وأحبابه وإخوانه ، واذا ناح منهم نائح على إبليس ، رأيت من البكاء والحنين أمراً عجيباً ، ورأيت من تظلم الاقدار واتهام الجبار ما يبدو على فلتات ألسنتهم ، وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم التظلم والتوجع ماتسمعه من الخصم المغلوب ، العاجز عن خصمه . قال : فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته

ويدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طراً فرقة القدرية

يعني : الجبرية . انتهى . وقول الناظم رحمه الله تعالى : وغير ميسر اشارة الى أنهم خالفوا ماثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ ، أنه قال : « مامنكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ، ومقعده من النار. قالوا يارسول الله : أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وفي « الصحيح » أيضاً أنه قيل : يارسول الله أرأيت مايكدح الناس فيه اليوم ، ويعملون ، شيء قضي عليهم ومضى ، أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة ؟ فقال : بل شيء قضي عليهم ، ومضى فيهم . قالوا : يارسول الله ؛ أفلا ندع العمل ، ونتكل على كتابنا ، فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وقضى على أسمائه بحدوثها وبخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والا ... أفعال والأسماء للرحمن

ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من ... نفي ومن جحد ومن كفران

لكنه أبدى المقالة هكذا ... في قالب التنزيه للرحمن

وأتى الى الكفر العظيم فصاغه ... عجلاً ليفتن أمة الثيران

وكساه أنواع الجواهر والحلى ... من لؤلؤ صاف ومن عقيان

فرآه ثيران الورى فأصابهم ... كمصاب إخوتهم قديم زمان

عجلان قد فتن العباد بصوته ... إحداهما وبحرفه ذا الثان

والناس أكثرهم فأهل ظواهر ... تبدو لهم ليسوا بأهل معان

فهم القشور وبالقشور قوامهم ... واللب حظ خلاصة الانسان

ولذا تقسمت الطوائف قوله ... وتوارثوه إرث ذي السهمان

لم ينج من أقواله طراً سوى ... أهل الحديث وشيعة القرآن

فتبرؤوا منها براءة حيدر ... وبراءة المولود من عمران

من كل شيعي خبيث وصفه ... وصف اليهود محللي الحيتان

أي : إن جهماً وأتباعه ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب تعالى وقالوا : أسماء الله تعالى غيره ، فان أسماء الله تعالى من كلامه ، وكلامه غيره ، ثم قالوا : وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه . وقول الناظم : فانظر إلى تعطيله الأوصاف والأفعال والأسماء للرحمن . أي : لأنه يقول بحدوث أسماء الله

تعالى ، وأنها مخلوقة. وتعطيله الاوصاف ، أي : أنه نفى صفات الباري سبحانه. وتعطيل الأفعال ؛ أي : بأنه يقول : الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق. فانظر إلى ماتضمنه هذا من الجحد والتعطيل والكفران. وقوله : لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن . أقول : قال العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتاب « الخطط » بعد كلام سبق : ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق ، فعظمت الفتنة به ، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة ، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً ، أثرت في الملة الاسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير ، وكان قبيل المائة من سني الهجرة ، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل ، فأكبر أهل الاسلام بدعته ، وتمالؤوا على انكارها ، وتضليل أهلها ، وحذروا من الجهمية ، وعادوهم في الله ، وذموا من جلس إليهم ، وكتبوا في الرد عليهم ماهو معروف عند أهله . انتهى كلامه . وقد تقدم في كلام الإمام أحمد والبخاري وعبد الله بن المبارك وغيرهم رضي الله عنهم أشياء من أحوال جهم وأتباعه ، والتحذير من بدعهم . ولقد زرع هذا الخبيث في الإسلام شراً عظيماً لايزول إلى قيام الساعة ، نعوذ بالله من الخذلان .

قوله : فتبرؤوا منها براءة حيدر . هو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه والمولود من عمران : هو موسى عليه السلام . يعني : أن أهل الحديث والسنة تبرؤوا من مذهب الجهم وشيعته كما تبرأ موسى عليه السلام من بني اسرائيل الذين عبدوا العجل ، وكما تبرأ علي رضي الله عنه من الشيعة الذين تبرؤوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، بل ادعى بعضهم فيه الإلهية ، فاستتابهم فلم يتوبوا ، فخدد لهم الأخاديد وأضرم فيها النار ، وأحرقهم فيها

قال :

إني اذا شاهدت أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبرا

والقصة معروفة . قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

في مقدمة نافعة قبل التحكيم

يا أيها الرجل المريد نجاته   إسمع مقالة ناصح معوان

كن في أمورك كلها متمسكاً   بالوحي لا بزخارف الهذيان

وانصر كتاب الله والسنن التي   جاءت عن المبعوث بالفرقان

واضرب بسيف الوحي كل معطل   ضرب المجاهد فوق كل بنان

واحمل بعزم الصدق حملة مخلص   متجرد لله غير جبان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى   فإذا أصبت ففي رضى الرحمن

واجعل كتاب الله والسنن التي   ثبتت سلاحك ثم صح بجنان

من ذا يبارز فليقدّم نفسه   أو من يسابق يبده في الميدان؟

واصدع بما قال الرسول ولا تخف   من قلة الانصار والأعوان

فالله ناصر دينه وكتابه   والله كاف عبده بأمان

لا تخش من كيد العدو ومكرهم   فقتالهم بالكذب والبهتان

فجنود أتباع الرسول ملائك　　وجنودهم فعساكر الشيطان

شتان بين العسكرين فمن يكن　　متحيزاً فلينظر الفئتان

واثبت وقاتل تحت رايات الهدى　　واصبر فنصر الله ربك دان

واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى　　لله در مقاتل الفرسان

وادرء بلفظ النص في نحر العدى　　وارجمهم بثواقب الشهبان

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى　　وذبابه أتخاف من ذبان ؟!

واشغلهم عند الجدال ببعضهم　　بعضاً فذلك الحزم للفرسان

واذا هم حملوا عليك فلا تكن　　فزعاً لحملتهم ولا بجبان

واثبت ولا تحمل بلا جند فما　　هذا بمحمود لدى الشجعان

فإذا رأيت عصابة الاسلام قد　　وافت عساكرها مع السلطان

فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن　　بالعاجز الواني ولا الفزعان

هذا شروع في وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف ، أوصى بها المصنف قدس الله روحه ، ونور ضريحه لمن يعقل عن الله ، وذلك أن الانسان لم يخلق سدى مهملاً ، بل خلقه الله لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبته وخشيته والذل والخضوع له ، وهيـأ دارين دار جزاء للمحسنين ، ودار عقاب للمخالفين ، فيتعين على من طلب نجاة نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه ، وينجيه

من عقابه وعذابه ، ولاسبيل الى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل ، وتقديم طاعته على طاعة غيره ، فلهذا قال : يا أيها الرجل المريد نجاته الخ ... وكما قال المصنف فيما يأتي : يامن يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران ، اتبع رسول الله في الاعمال والأقوال الخ ...

قوله : مقدمة بكسر الدال كمقدمة الجيش ، أول مايتقدم منه ، وبفتحها على قلة ، وقوله : معوان . هو اسم فاعل . وعاونه معاونة وعواناً : أعانه . والمعوان : الحسن المعونة أو كثيرها . قاله في « القاموس » قوله : اضرب بسيف الوحي . استعار اسم السيف للوحي اشارة الى قطعه المنازع ، لأن الوحي دليل قاطع سمعي عقلي ، والوحي هو العلم النافع والدليل القاطع ، لازخارف المتكلمين ، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين ، القاطعة عن الله ورسوله . من تبعها وقدمها على الوحي المبين ، والمنهج الواضح المستبين ، وهو كتاب الله المتين ، وسنة رسوله الصادق الأمين ، فقد ضل سواء السبيل . ولله در القائل :

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة	بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً	حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به	من فرقة التعطيل والتمويه

قوله : وادرأ بلفظ النص في نحر العدى . الدرء : الدفع ، وبابه قطع

قوله : همج . الهمج بفتحتين جمع همجة ، وهي ذباب صغير كالبعوض ، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، ويقال للرعاع الحمقى : انمـــا هم همج . « مختار الصحاح » قوله : ذباب . الذب : المنع والدفع ، وبابه رد ، والذبانة بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء[1] واحدة الذباب . ولا[2] تقل : ذبانة بالكسر . وجمع الذباب في القلة : أذبة ، والكثير : ذبان كغراب وأغربة وغربان « مختار الصحاح » قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمّة وهوان

ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالانصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان

واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران

وتمسكنّ بحبله وبوحيـــه ... وتوكلنّ حقيقة التكلان

فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ ... هادي إليه لصاحب الإيمـــان

وهو الصراط عليه رب العرش أيـ ... ضاً ذا وذا قد جاء في القرآن

والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن

وبذاك يظهر حزبه من حزبه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان

ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... كفار مذ قام الورى سجلان

---

(١) في الأصل : قبل إنها

(٢) في الأصل : و لان .

لكنما العقبي لأهل الحق إن   فاتت هنا كانت لدى الديان

قوله : تعر . فعل أمر من التعري. يقال : عري من ثيابه بالكسر عرياً بالضم فهو عار وعريان، والمرأة عريانة ، وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء . قاله في « مختار الصحاح » قوله : الجهل المركب : هو تصور الشيء على غير ماهيته ، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد ، وهو الجهل المركب ، لتركيبه من عدم العلم بالشيء، واعتقاد غير مطابق ، فهو أن يجهل الحق ، ويجهل جهله به . والجهل البسيط : عدم العلم ، وقيل : عدم معرفة الممكن بالفعل لا بالقوة .

قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي اليه لصاحب الإيمان. أما اشتقاق الصراط ، فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه : إذا بلعته بلعاً سهلاً ، فسمي الطريق صراطاً ، لأنه يصترط المارة فيه . والصراط : ما جمع خمسة أوصاف : ن يكون طريقاً مستقيماً ، سهلاً، مسلوكاً ، واسعاً ، موصلاً إلى المقصود ، فلا تسمي الطريق المعوج صراطاً ، ولا الصعب المشق ، ولا المسدود غير الموصل ، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين ذلك، قال :

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعوج الموارد مستقيم [1]

وبنوا الصراط على زنة فعال ، لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحق على الشيء المسروط . وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء ، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش . كذا أفاده الناظم . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي . إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق ، كما في الحديث

---

(١) القائل : هو جرير

الصحيح في «صحيح البخاري» من حديث عبدالله بن عباس «اللهم أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق . . » الحديث. وقوله : وهو الصراط عليه رب العرش ، يشير إلى قوله تعالى : (إن ربي على صراط مستقيم) هود: ٥٦؛ أي: هو على الحق والعدل .

قوله : وهو صراطه الخ . . قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام: ١٥٤. قال ابن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . وهذا لأن الطريق الموصلة إلى الله واحدة ، وهو مابعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، لا يصل اليه أحد إلا من هذه الطريق ، ولو اتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا الطريق الواحد ، فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله . قال تعالى : (هذا صراط علي مستقيم) الحجر: ٤١ قال الحسن : معناه : صراط إلي مستقيم ، وهذا يحتمل أمرين : ان يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة (علي) مقام (إلي) ، والثاني أنه أراد التفسير على المعنى ، وهو الأشبه بطريق السلف : ؛ أي : صراط موصل إلي . وقال مجاهد : الحق يرجع الى الله ، وعليه طريقه لا يعرج على شيء . ومثل قول الحسن ، وأبين منه ، وهو من أصح ماقيل في الآية . وقيل : (علي) فيه للوجوب ؛ أي : علي بيانه

وتعريفه والدلالة عليه. والقولان نظير القولين في آية النحل ، وهي (وعلى الله قصد السبيل) النحل : ٩ والصحيح فيها كالصحيح في آية (الحجر) أن السبيل القاصد ، وهو المستقيم المعتدل يرجع الى الله ويوصل اليه . قال طفيل الغنوي :

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم ... وصرف المنايا بالرجال تقلب

أي مرورنا عليهم ، واليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أي واد سلكته ... عليها طريقي أو عليّ طريقها

أفاده المصنف في تفسير هذه الآيات . قال الناظم رحمه الله تعالى :

واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم ... فهما على كل امرىء فرضان

فالهجرة الاولى إلى الرحمن با ... إخلاص في سر وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالاقوال والا ... أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من إشراكه ... ويصير حقـــاً عابد الرحمن

والهجرة الاخرى الى المبعوث با ... حق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله ... نفياً واثباتاً بلا روغـــان

ويحكّم الوحي المبين على الذي ... قال الشيوخ فعنده حكمان

لايحكمان بباطل أبداً وكلُ العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم　　فيه الشفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله　　ما ثم غيرهما لذي إيمان

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا　　سمعاً لداعي الكفر والعصيان

قل لا كرامة لا ولا نعماً ولا　　طوعاً لمن يدعو الى طغيان

واذا دعيت الى الرسول فقل لهم　　سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان

وإذا تكاثرت الخصوم وصيّحوا　　فاثبت فصيحتهم كمثل دخان

يرقى الى الأوج الرفيع وبعده　　يهوي الى قعر الحضيض الداني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر الهجرتين ، فالهجرة الأولى الى الله تعالى باخلاص الاعمال والتوجه اليه ، بامتثال أمره ، واجتناب نهيه . والهجرة الثانية الى الرسول ﷺ ، باتباعه ، وتقديم قوله في الدق والجل ، وترك قول غيره لقوله . وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب سماه « سفر الهجرتين وطريق السعادتين » أتى بما لا مزيد عليه ، فراجعه إن شئت . وقوله: إلى الأوج الرفيع . الأوج معرب أوك ، وهو كلمة أعجمية ، معناها: العلو . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث انه أهدي الى رسول الله ﷺ هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : « ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد »[١] يعني ضعه بالارض. قال الناظم رحمه الله تعالى :

(١) في الاصل : العبيد ، والتصحيح من « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير. والحضيض : قرار الارض وأسفل الجبل .

هذا وان قتال حزب الله بالـ أعمال لا بكتائب الشجعان

والله ما فتحوا البلاد بكثرة أنى وأعداهم بلا حسبان

وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الـ آراء بل بالعلم والايمان

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في نفس وذا محذور كل جبان

وشجاعة الحكام والعلماء زهـ ـد في الثنا من كل ذي بطلان

فاذا هما اجتمعا لقلب صادق شدت ركائبه الى الرحمن

واقصد الى الأقران لا أطرافها فالعز تحت مقاتل الاقران

واسمع نصيحة من له خبر بما عند الورى من كثرة الجولان[1]

ما عندهم والله خير غير ما أخذوه عمن جاء بالقرآن

والكل بعد فبدعة أو فرية أو بحث تشكيك ورأي فلان

فاصدع بأمر الله لا تخش الورى في الله واخشاه تفز بأمان

واهجر ولو كل الورى في ذاته لا في هواك ونخوة الشيطان

واصبر بغير تسخط وشكاية واصفح بغير عتاب من هو جان

واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى ان لم يكن بد من الهجران

---

(١) يقال : جال في الحرب جولاً وجولاناً

قوله : والله مافتحوا البلاد بكثرة الخ ... أي : ان الاسلام في بدايته كان غريباً كما قال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ »[١] وكما في حديث عمرو بن عبسة لما قدم على النبي ﷺ وهو مستخف بمكة ، فقال له : من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ؛ يعني أبا بكر وبلالاً رضي الله عنهما ، ثم فتح الله عليه وعلى أصحابه من بعده ماهو معروف في كتب السير . والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الخيل والجيش .

قوله : والكل بعد فبدعة أو فرية . البدعة هي : ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة . والفرية : الكذب . يقال : فرى كذباً ، خلقه ، والاسم الفرية . وقوله تعالى : (شيئاً فرياً) مريم : ٢٧ اي : مصنوعاً مختلقاً . وقوله : الجولان . جال من باب قال ، وجولاناً أيضاً ، بفتح الواو . الجولان بسكون الواو جبل بالشام ، وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض « مختار الصحاح » .

قوله : نخوة الشيطان . النخوة : الكبر والعظمة . يقال : انتخى فلان علينا ؛ أي : افتخر وتعظم ، قاله في « مختار الصحاح » .

قوله : واهجرهم الهجر الجميل الخ .. قال الناظم في « بدائع الفوائد » سمعت شيخ الاسلام يقول : ذكر الله الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل . فالصبر الجميل : الذي لاشكوى معه ، والهجر الجميل : الذي لا أذى معه ، والصفح الجميل : الذي لاعتاب معه . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » وفيه أيضاً عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » .

وانظر الى الأقدار جارية بما قد شاء من غي ومن ايمان

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما بالحق في ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وارحمهم بها اذ لاترد مشيئة الديان

وانظر بعين الأمر واحملهم على أحـــكامه فهما اذاً نظران

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى خرجت عليك كسرت كسر مهان

واذا انتصرت لها فأنت كمن بغى طفي الدخان بموقد النيران

والله أخبر وهو أصدق قائل أن سوف ينصر عبده بأمان

من يعمل السوآى سيجزى مثلها أو يعمل الحسنى يفز بجنان

هذي وصية ناصح ولنفسه وصى وبعد لسائر الاخوان

مراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الابيات أن يبين الحكم الكوني القدري ، والحكم الديني الامري الشرعي ، فان جميع أفعال الخلق من الطاعات والايمان ، والكفر والايمان ، لاتخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري ، فان جميع الأشياء خلقه تعالى بقدرته ومشيئته ، ولكن مع ذلك لابد من النظر الى الحكم الديني الشرعي ، فمعنى كلامه : إنك إذا نظرت الى الخلق بعين الحكم رحمتهم ، لأن مشيئة الله تعالى لاترد ، وما شاء

الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولكن مع ذلك انظر الى عين الامر ، واحملهم عليها ، أي : فحد الزاني ، واقطع السارق ، واجلد القاذف ، واقتل القاتل ، ونحو ذلك مما امر الله ورسوله به. وهذا معنى قوله: فانظر بعين الحكم وارحمهم بها الخ.. ومعنى قوله: وانظر بعين الامر واحملهم على الخ.. قال المصنف رحمه الله تعالى في «شرح منازل السائرين» في منزلة الفكرة لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية. فصل: وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤية تفرد الله بخلق الاشياء وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه ؛ فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله اياها ، ومشيئته لها وقدرته عليها ، وشمول قيوميته وربوبيته لها ، ولا يشهد مافترقت فيه من محبة الله لهذا ، وبغضه لهذا ، وأمره به ، ونهيه عما نهى عنه ، وموالاته لقوم ، ومعاداته لآخرين ، فلا يشهد التفرقة في الجمع ، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية ، وتفرقة موجب الالهية في جمع الربوبية ، وتفرقة الارادة الدينية في جمع الارادة الكونية ، وتفرقة مايحبه ويرضاه في جمع ماقدره وقضاه ، ولا يشهد الكثرة في الوحدة ، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ؛ واقتضاؤه لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها ، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته ، فهو الله لا اله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وكل اسم له صفة والصفة حكم ، فهو سبحانه واحد الذات ، كثير الأسماء والصفات ، فهذه كثرة في وحدة . والفرق بين مأموره ومنهيه ، ومحبوبه ومبغوضه ، ووليه وعدوه ، تفرقة في جمع ، فمن لم يتسع شهوده لهذه الامور الأربعة فليس من خاصة أولياء الله العارفين ، بل لو ضاق شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص ، وإن جحدها أو شيئاً منها ، فكفر صريح ، أو بتأويل ،

مثل أن يجحد تفرقة الأمر والنهي ، أو جمع القضاء والقدر ، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدة الذات ، فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر ، وليعرف قدره ، فانه مجامع طرق العالمين ، وأصل تفرقهم . قد ضبطت لك معاقده ، وأحكمت لك قواعده ، وبالله التوفيق . وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار واقتحم البحار ، وعرض له مايعرض لسالك القفر وراكب البحر ، ولم يسافر ويخرج عن وطن طبعه ومرباه ، وما الف عليه اصحابه وأهل زمانه ، فهو بمعزل عن هذا ، فان عرف قدره وكفى الناس شره ، فهذا يرجى له السلامة ، وان عدا طوره ، وأنكر ما لم يعرفه ، وكذب بما لم يحط به علماً ، ثم تجاوز الى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ، ويرضى بما رضي به لنفسه ، فذلك هو الظالم الجاهل الذي ماضر الا نفسه ، ولا أضاع الا حظه . انتهى ، والله اعلم .

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم .

فاجلس إذاً في مجلس الحكمين للرحمن لا للنفس والشيطان

الاول النقل الصحيح وبعده ال عقل الصريح وفطرة الرحمن

واحكم اذاً في رفقة قد سافروا يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا عند افتراق الطرق بالحيران

فأتى فريق ثم قال وجدته　　هذا الوجود بعينه وعيان

ما ثم موجود سواه وانما　　غلط اللسان فقال موجودان

فهو السماء بعينها ونجومها　　وكذلك الأفلاك والقمران

وهو الغمام بعينه والثلج والا　　أمطار مع برد ومع حسبان

وهو الهواء بعينه والماء والتـــرب الثقيل ونفس ذي النيران

هذي بسائطه ومنه تركبت　　هذي المظاهر ما هنا شيئان

وهو الفقير لها لاجل ظهوره　　فيها كفقر الروح للأبدان

وهي التي افتقرت اليه لأنه　　هو ذاتها ووجودها الحقان

وتظل تلبسه وتخلعه وذا الا　　إيجاد والاعـــدام كل أوان

ويظل يلبسها ويخلعها وذا　　حكم المظاهر كي يرى بعيان

وتكثر الموجود كالأعضاء في الـ　　محسوس من بشر ومن حيوان

أو كالقوى في النفس ذلك واحد　　متكثر قامت به الأمران

فيكون كلاً هذه أجزاؤه　　هذي مقالة مدعي العرفان

أو أنها كتكثر الانواع في　　جنس كما قال الفريق الثاني

فيكون كلياً وجزئياته　　هذا الوجود فهذه قولان

حداهما نص «الفصوص» وبعده　　قول ابن سبعين وما القولان

عند العفيف التلمساني الذي　　هو غاية في الكفر والبهتان

إلا من الاغلاط في حس وفي　　وهم وتلك طبيعة الانسـان

والكل شيء واحد في نفسه　　ما للتعدد فيـه من سلطان

فالضيف والمأكول شيء واحد　　والوهم يحسب هـا هنا شيئان

وكذلك الموطوء عين الوطء وا　　وهم البعيد يقول ذان اثنان

تقسيم الكل الى أجزائه ، كانقسام السكنجبين الى خل وعسل ، وتقسيم الكلي الى جزئياته كانقسام الحيوان الى انسان وفرس ·

وإربما قالا مقالته كما　　قد قال قولهما بـلا فرقان

وأبى سواهم ذا وقال مظاهر　　تجلوه ذات توحـد ومثان

فالظاهر المجلو شيء واحد　　لكن مظاهره بـلا حسبان

هذي عبارات لهم مضمونها　　ماثم غير قط في الاعيـان

فالقوم ما صانوه عن إنس ولا　　جن ولا شجر ولا حيوان

كلا ولا علو ولا سفل ولا　　واد ولا جبل ولا كثبان

كلا ولا طعم ولا ريح ولا　　صوت ولا لون من الألوان

لكنه المطعوم والملبوس وا　　مشموم والمسموع بالآذان

وكذاك قالوا انه المنكوح وا　　مذبوح بل عين الغوي الزاني

والكفر عندهم هدى ولو انه ... دين المجوس وعابدي الأوثان

قالوا وما عبدوا سواه وانما ... ضلوا بما خصوا من الاعيان

ولو انهم عموا وقالوا كلها ... معبودة ما كان من كفران

فالكفر ستر حقيقة المعبود بالتخصيص عند محقق رباني

قالوا ولم يك كافراً في قوله ... أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

بل كان حقاً قوله إذ كان عيـ ... ـن الحق مضطلعاً بهذا الشان

ولذا غدا تغريقه في البحر تطـ ... ـهيراً من الاوهام والحسبان

قالوا ولم يك منكراً موسى لما ... عبدوه من عجل لذي الخوران

الا على من كان ليس بعابد ... معهم وأصبح ضيق الأعطان

ولذاك جر بلحية الأخ حيث لم ... يك واسعاً في قومه لبطان

بل فرق الانكار منه بينهم ... لما سرى في وهمه غيران

ولقد رأى ابليس عارفهم فأهـ ... ـوى بالسجود هوى ذي خضعان

قالوا له ماذا صنعت فقال هل ... غير الإله وأنتما عميان

ما ثم غير فاسجدوا ان شئتم ... للشمس والاصنام والشيطان

فالكل عين الله عند محقق ... والكل معبود لذي العرفان

هذا هو المعبود عندهم فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان

يا أمة معبودها موطوؤها　　أين الإله وثغــرة الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها　　جزء يسيّر جملة الكفران

أقول وبالله التوفيق : شرع الناظم رحمه الله تعالى فيما وضع له الكتاب وهو المحاكمة بين الطوائف ، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض ، نعوذ بالله من الزيغ .

قوله : فيكون كلاًّ هذه أجزاؤه ؛ أي : إن أحد قوليهم : إنه كالأعضاء في الصورة الحيوانية ، او كالقوى المعنوية في النفس ، فيكون كلًّا . وأجزاؤه الاعضاء ، أو القوى . وعلى القول الثاني لهم : إنه كتكثر الأنواع في الجنس . فتكون الموجودات جزئياته . وهو كلي لها . تعالى الله عما يقول الزائغون علواً كبيراً ، والأول نص «الفصوص» والثاني قول ابن سبعين ، ولكن عند العفيف التلمساني القولان من الأغلاط . والكل عنده شيء واحد في نفسه ، وربما قالا مقالته ، أي : ابن سبعين ، وابن عربي ربما قالا مقالته ، وهو قد يقول قولهما ، نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه المسمى بـ «السبعينية» أقوال هؤلاء ، فذكر أن كلام صاحب « الفصوص » يدور على أصلين أحدهما : أن الاشياء كلها ثابتة في العدم ، مستغنية بنفسها ، نظير قول من يقول : المعدوم شيء ، لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق ، وذات المخلوق ، اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة ، وان كان قد يتناقض في ذلك قولهم ، فانهم كلهم يتناقضون ، وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض . قال تعالى (إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) الذاريات : ٨، ٩ وقال : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء ، ٨٢

الأصل الثاني ان الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة ، هو عين وجود الحق الواجب ، ولهذا قال في أول «الفصوص» الشيثية : ومن هؤلاء يعني الذين لايسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله،هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ، ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل . وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين ، منهم من يعلم ذلك مجملاً ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلاً ، والذي يعلمه مفصلاً أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملاً ، فانه يعلم ما في علم الله فيه ، إما باعلام الله إياه بما اعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة ، وانتقالات الأحوال عليها ، الى مالا يتناهى ، وهو اعلى ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لأن الأخذ من معدن واحد ، هذا لفظه . وقد كشف شيخ الاسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ، وأوضح كلام كل واحد. منهم في رسالته الى الشيخ نصر المنبجي ، قال فيها : وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم اليه إلا من أنكر وجود الصانع ، مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وان وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم ، لأنه أمر مبهم الأول: أن يقولوا : ان الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ، وان ذاتها أبدية أزليه ، حتى ذوات الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والحركات ،

والسكنات ، وان وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق ، وذواتهم ليست ذات الحق يفرقون بين الوجود والثبوت ، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك ، ويقولون : ان الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ، ولا أغنى أحداً ، ولا أسعده ، ولا أشقاه ، وانما وجوده فاض على الذوات ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولاتذم إلا نفسك . ويقولون: إن هذا هو سر القدر ، وان الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم ، خارجاً عن نفسه المقدسة ، ويقولون : ان الله تعالى لايقدر أن يغير ذرة من العالم ، وأنهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم ، وعلم الله تعالى من معدن واحد ، وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل ، ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ، ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ، وان عباد الاصنام ماعبدوا إلا الله سبحانه ، وان قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه)الاسراء: ٢٣ بمعنى حكم ، لابمعنى أمر ، فما عبد غير الله في كل معبود ، فان الله تعالى ماقضى بشيء إلا وقع ، ويقولون : إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو ؛ فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ، وان قوم نوح قالوا : لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ، لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منهم ، لأن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، وينكره من أنكره ، وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، فان الجاهل يقول : هذا حجر وشجر ، والعارف يقول : هذا مجلى إلهي ، ينبغي تعظيمه ، فلا تقتصر ، وان

النصارى إنما كفروا ، لأنهم خصصوا ، وان عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شيء ، والله أيضاً يعبد كل شيء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والاحكام ، وهو غذاؤها بالوجود وهو فقير اليها ، وهي فقيرة اليه ، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى . ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة واضافة بين الوجود والثبوت ، وليست إلا أموراً عدمية . ويقولون : من أسمائه الحسنى (العلي) .عن ماذا وماثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ، وما نكح الا نفسه ، وما ذبح سوى نفسه ، والمتكلم هو عين المستمع ، وان موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه . وإن موسى كان أوسع في العلم ، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله ، وأن أعلى ماعبد الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه ، فما عبد إلا الله ، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين ، وقد صدقه السحرة في قوله (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ وفي قوله : (ما علمت لكم من إله غيري) القصص : ٣٨ وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء وأقول : إن حقيقة امرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون : نحن على قول فرعون ، وهذه المعاني كلها هي قول صاحب « الفصوص » والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منهم والأموات ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود أن هذا حقيقة ماتضمنه كتاب « الفصوص » المضاف الى النبي ﷺ أنه جاء به ، وهو ما إذا فهمه المسلم ، علم بالاضطرار أن جميع

الأنبياء والمرسلين ، وجميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع عوام أهـــل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يبرؤون الى الله تعالى من بعض هذا القول ، فكيف منه كله ، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان ، والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخـــالق البارىء المصور الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ربهم ورب آبائهم الاولين ، رب المشرق والمغرب ، ولا يقول أحد منهم : إنه عين المخلوقات ، ولا نفس المصنوعات كما يقوله هؤلاء ، حتى إنهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله ، وهذا مركب من أصلين ، أحدهما : أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع . وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر ، كفر من يقول بهذا ، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها ، وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى ، فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمـه القديم الأزلي ، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم) العلق : ١ - ٥ فذكر المراتب الأربعة، وهي الوجود العيني الذي خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه ، ولهذا ذكر التعليم بالقلم ، فانه مستلزم للمراتب الثلاثة ، وهذا القول أعني قول من يقول : ان المعدوم شيء ثابت في نفسه ، خارج عن علم الله تعالى ، وان كان باطلا ، ودلالته واضحة ، لكنه قد ابتدع في

الاسلام من نحو أربعمائة سنة، وابن عربي وافق اصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في « الفصوص ».

والأصل الثاني أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن عربي[١] اقربهم الى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ماهي عليه، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكه، فينتفعون بذلك، وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي، فإنه كان متفلسفاً، فهو أبعد عن الشريعة والاسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم متروحنا متفلسفاً، والآخر فيلسوفاً متروحناً، يعني الصدر الرومي، فانه كان قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي، وهو في كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات، فاذا تعين لم يقل: إنه هو، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقاً، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة، ولا ثبوت، إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات، ولهذا يقول هو وشيخه: ان الله تعالى لا يرى أصلاً، وانه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده، تعالى الله عما يقولون.

---

(١) في الاصل: ابن العربي، وهو الطائي المعروف صاحب « الفصوص » و « الفتوحات المكية » والصواب تنكيره، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي صاحب « أحكام القرآن » و « العارضة ».

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم ، وأعمقهم في الكفر ، فانه لايفرق بين الوجود والثبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق الرومي ، ولكن عنده ماثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه ، وأن العبد إنما يشهد السوى مادام محجوباً ، فاذا انكشف حجابه، ورأى أنه ماثم غير ، يتبين له الأمر ، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات ، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا ، وانما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام ، فقلنا: حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : أنا ماأمسك بشريعة واحدة . واذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل الى الجنة ، وكلامنا يوصل الى الله تعالى ، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له ، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره في صناعة الشعر جيد ، ولكنه كما قيل : لحم خنزير في طبق صيني ، وصنف للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه . وأما ابن سبعين ، فانه في البدء والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه ماثم غير ، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك ، لكن لم يصرح ، هل يقول بمثل قول التلمساني ، أو قول الرومي، أو قول ابن عربي ، وهو الى كلام التلمساني أقرب ، لكن مارأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني ، وآخر يقال له: البلناني من مشايخ شيراز ، ومن أشعارهم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

وأيضـــاً

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

وأيضـــاً

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواكم

وأيضـــاً

ما بال عينك لا يقر قرارها وإلام ظلك لا يني متنقـــلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليـــك اذا بلغت المنزلا

وأيضـــاً

ما الأمر الانسق واحـــد مافيه من حمـــد ولا ذم

وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكـــم

وأيضـــاً

ياعاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهّاء وأمّار

فان أطعك وأعص الوجد نلت عمى عن العيان الى أوهام أخبار

فعين ماأنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهي ياجـــار

أيضـــاً

وما البحر الا الموج لا شيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

إلى أمثال هذه الأشعار ، وفي النثر مالا يحصى ، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة ، مثل سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك

ابن انس، والأوزاعي ، وابراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والشافعي ، وأبي سليمان الداراني ، وأحمد ابن حنبل ، وبشر الحافي ، وعبد الله بن المبـــارك ، وشقيق البلخي ، ومن لا يحصى كثرة ، الى مثل المتأخرين ، مثل الجنيد بن محمد القواريري ، وسهل ابن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومن بعدهم الى أبي طالب المكي . الى مثل الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، والشيخ عدي ، والشيخ أبي البيان ، والشيخ أبي مدين ، والشيخ عقيل ، والشيخ أبي الوفاء ، والشيخ رسلان ، والشيخ عبدالرحيم ، والشيخ عبد الله اليونيني ، والشيخ القرشي ، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز ، والشـــام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وخراسان ، من الأولين والآخرين ، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ، فـان الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقـه ، ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعـة الإلهية ، من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن ، وعليه فطر الله تعالى عباده ، وعلى ذلك دلت العقول ، وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتـار ، واندراس شريعة الاســـلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله ، فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم ، أما على رأي صاحب « الفصوص » فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم ، لعظم ذاته الثابتة في العدم ، وأما على رأي الرومي ، فان بعض المتعينات يكون أكبر ، فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض ، وأما على رأي البقية ، فالكل أجزاء منه ، وبعض الاجزاء أكبر من بعض ، فالدجال عند

هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد ﷺ، وإبراهيم، وموسى وعيسى عليهم السلام، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى - الذي قيل فيه إنه الله تعالى، وهو بريء من ذلك - على مسيح الضلالة الذي قال: إنه الله، ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي ﷺ قال: «إنه أعور»[1] وكونه قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا، لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور. فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى الحلولية، ظهر سر دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة، فانه بعث رحمة للعالمين، فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر، أو يقول: إنه هو البشر، كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على انتفاء الالهية عنه. وقد خاطبني قديماً شخص من خيار أصحابنا كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه، وذكر هذا الحديث، فبينت له وجهه، وجاء الينا شخص كان يقول: إنه خاتم الأولياء، فزعم أن الحلاج لما قال: أنا الحق، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ، كان من هذا الباب، فبينت له فساد هذا، وأنه لو كان كذلك، كان الصحابة بمنزل موسى بن عمران، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق، وهذا يقوله قوم من الاتحادية، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب إليه الفاجر التلمساني وذووه، وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية، وقد كان سلف

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود ، كما قال عبد الله بن المبارك ، والبخاري ، وغيرهما ، وانما كانوا يلوحون تلويحاً ، وقل أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان . وأما هؤلاء الاتحادية فانهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السلف والأئمة أعلم بالاسلام وبحقائقه ، فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى ، فلما اطلع السلف على سر القول ، نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد ، فهو يصف ربه بصفات العدم والموت . وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد ، والقلب لا يقصد إلا موجوداً ، لا معدوماً ، فيحتاج أن يعبد المخلوقات ، إما الوجود المطلق ، وإما بعض المظاهر ، كالشمس ، والقمر ، والبشر ، والأوثان ، وغير ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ويعم ، ولا يوحدون الله سبحانه وتعالى ، وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات ، فهم بربهم يعدلون . ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند ، وقال : إن ارض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء ، حتى النبات ، والحيوان ، وهذا حقيقة قول الاتحادية . وأعرف ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام ، وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية ، فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ليس بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات ، كما يقوله المسلمون ، لكن يجحدون صفات الاثبات التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، واذا صار لأحدهم ذوق ، ووجد له تأله ، وسلك طريق الاتحادية وقال : إنه هو الموجودات

كلها ، فاذا قيل له : إن ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال ذلك عقدي ، وهذا ذوقي ، فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووجد لايطابق الاعتقاد ، فأحدهما أو كلاهما باطل ، وانما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فان علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال ، ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أمروا بعبادة الله وحده لاشريك له ، ووصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، واتبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهدى ، ووجدوا برد اليقين ، وقرة العين ، فان الامر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل ، واثبات مجمل . فالقرآن مملوء من قوله تعالى : (ان الله بكل شيء عليم) العنكبوت : ٦٢ و (على كل شيء قدير) الملك : ١ و (إن الله سميع بصير) الحج : ٧٥ (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر : ٧ ، وفي النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ انتهى المقصود منه . ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله السعودي الحنفي أنه رفع سؤالاً الى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب « الفصوص » لابن عربي ، ونصه : ماتقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، عن كتاب بين أظهر الناس ، زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس باذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة ، وعكس وضد عن

عن قول أنبياء الله المرسلة ؛ فما قال فيه : إن آدم عليه السلام إنما سمي انساناً لأنه الحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ، ثم قال : فان للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله ، فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر ، حتى العبد ، وإن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة ، ثم قال في قوم هود عليه السلام : إنهم حصلوا في عين القرب ، فزال مسمى جهنم في حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة ، وانما أخذوه بما استحقت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ، وكانوا على صراط الرب المستقيم ، ثم انه أنكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد ، فهل يكفر من يصدقه في ذلك ، أو يرضى به منه ، أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً ولم ينكره بلسانه ، أو بقلبه ؟ أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبيان ، فقد أضر الاهمال بالضعفاء والجهال ، وبالله المستعان ، وعلى الله الاتكال ، أن يعجل للملحدين النكال اصلاح الحال ، وحسم مادة الضلال . فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الاسلام والعلماء الأعلام ، كالشمس محمد بن يوسف الجزري ، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي ، والشيخ نور الدين البكري ، والزواوي المالكي ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والامام نجم الدين محمد بن عقيل البالسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بأجوبة طويلة كافية شافية ، ذكرها السخاوي رحمه الله ، وتركناذكرها اختصاراً . ثم قال السخاوي رحمه الله تعالى : قرأت له ،

يعني السيف السعودي مصنفاً أفادنيه العلامة مفخر الزمان الأمين أبو زكريا الأقصرائي الحنفي ؛ فسح الله في أجله، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي، جمعه السيف في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وسماه « بيان حكم ما في « الفصوص » من الاعتقادات المفسودة، والاعتقادات الباطلة المردودة، التي من اعتقدها كفر ، ومن لم ينكرها أثم وخسر ، والاستدلال لصحة ذلك بالكتاب والسنة الواضحة عنه أهل المعرفة والفطنة ، ونسخ فتاوى أهل العلم والأئمة من أهل المراتب والحلم على اختلاف مذاهبهم ، واتفاق مطالبهم ، لنصرة دين الله ، واتباع رسوله الخاتم ، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالمخالفة ضال ظالم ، وافتتحه بقصيدتين من نظمه ، قافية الاولى على الهاء المكسورة ، مطلعها :

عجبت لمنكر إنكار قوم على منشي «الفصوص» ومفتريه

وهي تسعة وعشرون بيتاً ، والثانية أولها

فرض علينا اتباع نبينا بحقيقة منا وحكم جازم

وذكرها وهي سبعة وأربعون بيتاً . ثم قال : وهذه قصيدة ثالثة أوردها الناظم أثناء كتابه . وقال : إنه لقبها بـ « جلاء الفصوص على فهم كل تقي مخصوص » فقدمتها هنا .

تفنى المحابر دون شرح كلامه في وصف جرأته وفي إقدامه
من يستبيح بأن يقول تعمداً كذباً على الهادي بزور منامه
أقواله تنبي اللبيب بأنه كذب بلا شك لسوء مرامه

لولا الحليم بحلمه عم الورى فضلا وجوداً ذاك من إنعامه

لاندكت الاجبال مما قاله في حق منشيه وفي علامه

اذ قال فيه إنه هو خلقه والخلق يشمل ذكر كل هوامه

ويراه صورة كل شيء قد بدا وعيونه ووجود وصف قوامه

وهو المنعم باللاذ وضدها يتألم الوجدان من إيلامه

ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل صمد يكون له غذاً كطعامه

ما كل ماقد قال يمكن شرحه لقبيح مفهوم وثبت حرامه

جل المقدس والمعظم دائماً عن كل فهم جل عن إعظامه

هي فتنة للامتحان بلية لبيان دين القوم عند كلامه

فالمؤمنون المتقون تراهم قاموا انتصر الدين حق قيامه

غضبوا فلما يرضهم إنكاره بالقول فيه كلائم لغلامه

لكنهم لو مكنوا لرأيتهم كلا مكان القول ضرب حسامه

للملحدين الزاعمين لوحده فيها استباح القول نص حرامه

وعبادة الأصنام عرفان لهم وبذاك كل سل من إسلامه

سجدوا بما زعموا وإن لم يسجدوا مع كل ذي شرك لدى أصنامه

قاموا بكفر الكافرين بأسرهم قصداً وعقداً ثم في إبرامه

ومصدق لهم بحكم مثلهم وسط الضلالة باتباع إمامه

قد حاز كل الاثم ممن قد مضى وله مزيد الكفل مع آثامه

هذا نصيب رئيسهم وإمامهم في الورد إذ وردوا على أقدامه

من قال في أعداء نوح إنهم كانوا على حق وجوب لزامه

ولو استجابوا تاركي أصنامهم جهلوا حقائق فيه حق تمامه

من قال في عــاد بأنهم ثووا في عين قرب وسط دار سلامه

سلكوا الصراط المستقيم بجرمهم وبه استحقوا الجود من إكرامه

ما نيلهم للقرب منه منة لكنه حق يرى بقيامه

من قال في حق الخليل بأنه لم يدر تعبيراً لحلم منامه

من بعد حصر صفات ذات قدست إثبات مالم يرتقي لمرامه

فأراد يذبح إبنه بتوهم ففداه رب العرش من أوهامه

من قال في اسماعيل مرضيّ له وكذاك مرضيّ جميع أنامه

هذا الكلام جميعه متناقض في الحكم معناه لدى فهّامه

من قال في فرعون ما قد قاله فهو البريء لديه من إجرامه

ويقول مات مطهراً في وقته من كفره حكماً ومن آثامه

علم المجهول بحكم مالم يبده موسى الرسول المصطفى لكلامه

وكذا النبيّ المصطفى لم يبده   بمقالة للنـــاس في إفهامـــه

من قال في موسى الكليم بأنه   لما بـــدا بعتابـــه وخصامه

لأخيه هارون النبي معنفاً   لمْ لا اتسعت وذاك من إفهامه

إن العبادة صادفت من قومه   في العجل عين الحق في اقسامه

لو كان ذاك لم يحرّق عجلهم   وبنفسه في اليم محو نظامـــه

من قال في أيوب جهل صبره   اذ لم يعجل باشتكاء سقامـــه

من قال ان عذاب خلد ذوقه   كنعيم خلد لذ في إلمامه

في حق كل الكافرين بأسرهم   والفرق رأي العين وصف قيامه

فعسى يكون نصيبه ماقاله   من وهمه يلقاه بعد حمامـــه

فيرى خلاف فساد وهم ظنونه   نزع الشوى منه وحطم عظامه

من جهّل الرسل الكرام بأسرهم   بمقاله فيهم وسوء مسامه

فشهادتاه[1] هو الخداع وهكذا   حكم الصلاة وحكم وصف قيامه

يحمي به النفس الخبيثة خائفاً   من قتلها كفراً لدى حكامه

جهل الشرائع والحقائق كلها   هلك الذي والاه باستسلامه

خاب المقلد غير معصوم وقد   أبدى خلاف الحق في إيهامه

من كان متبع الرسول فحكمه   فيه كمعصوم لفضل إمامـــه

---

(١) في الاصل . فشهادتيه . وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه .

من صد عنـــه مخالفاً بتعمد　　أصمـاه راميه بوقع سهامــه

إبليس قوس الرمي هذا وصفه　　وسهامه الأقوال من إلزامه

من نقص المختار ضل عن الهدى　　في قوله فيه بنقض ختامه

ومقاله في إستقم لم يدر مــا　　منه المراد فشاب من إيهامه

ماشك قط المصطفى في قوبه　　وبسر عصمته علو مقامــه

فيقول شاب لأنه لم يدر هل　　قول استقم في الامر من اقسامه

ويقول في غير النبيّ بأنـــه　　ساوى الآلـه بعلمه لدوامه

في حكم أقدار عليه مفصلا　　أبداً يحقق ذاك في أحكامه

من يستحق سواه ما قد قاله　　في تابع إن صح من خدامه

من جهّل الصدّيق فيما قاله　　من عجز إدراك لعظم مرامه

هل بعد جملة ماذكرت ضلالة　　قد عم ظلمة من مضى بظلامه

أقوال ضد للشرائع كلها　　ومخالف العلام في إعلامــه

فعليه من غضب الاله بعلمه　　مايستحق بظنــه وكلامه

وعلى مصدّقه ومن يرضى به　　أبداً يجدد مع مــدى أيامه

واغفر لناظمها وكـل موفق　　لبيان وجــه الحق بإستلزامه

عبد اللطيف مراده في وضعها　　تبيان لبس القول في إعجامه

لزوال وهم تخيل عن فهم من — قد صد ظناً منه في إحجامه

لتابع الحق المبين بلا امترا — فينال فضل الجود من قسامه

فيها نصيحة كل بر صالـــح — وعداوة المفتون مـع اغمامه

وشفاء صدر سالم من غله — ومزيد ذي الإصمام من اصمامه

من صد عنها معرضاً متعللا — متوقفاً بالوهم مع أخصامـه

دع مايقول و تابع الهادي الذي — تهدى به وتحل بين خيامـــه

فتصير مع أهل الخيام برملة — وتنال منه حقيقة لذمامـــه

فيها النجاة لكل عبد مسلم — فعليه من ربي دوام سلامـة

وعلى النبي وآله مع صحبه [١] — علماء أصل الدين عقدنظامه

والحمد لله العظيم ختامهـا — حمداً وشكراً فهو في إلهامه

حمداً بدا من جوده أجـزاؤه — وعليه بالإفضال حكم تمامه

فيه الوصول لواصل لمراده — وبه تمسك واتقى بعصامه

ثم قال الناظم : تمت الابيات مختصرة المعاني ، صحيحة المباني ، متضمنة اعتقاده ، ومبينة لكل لبيب فساده بذكر مازعمه وأراده . فلنورد مقدمات الفتاوى مع بيان ماأوجب ذلك من الكتاب والسنة بما هـــو ظاهر لذوي البصائر والفطنة ، ثم أجوبة العلماء التابعين لخاتم الانبياء بتكفير صاحب « الفصوص » والمصدق له فيا أورده من مخالفة النصوص ، وتحذير من لم

---

(١) في الاصل : وعلى نبيه مع آله وصحبه . ولا يستقيم به الوزن

ينكره من الوقوع في المخالفة والمحنة . وبيان أنه بمن أخطأ طريق الجنة الا إن كان غير عالم بما وجب عليه ، وندب من الله ورسوله إليـــه من القيام بالإنكار ، وابداء المداوة لأعداء الله الفجار ، قال : وكان الواجب لأخذ هـــذه الفتاوى ماقرره النبي ﷺ بما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعاً «الدين النصيحة» قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : «لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» فمفهوم مضمون هذا الحديث أنه لايحل لمسلم يسمع في حق الله مالا يليق بكماله ، وعظمته وجلاله ، أو يسمع من يلحد في آياته ، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ، ويحرفه عن مواضعه ، أو يخرجه في الاحكام عن مواقعه ، كتحليل حرامه ، أو تحريم حلاله ، أو تغيير كلامه ، أو مناقضة شيء من أحــــكامه ، أو يسمع من يتنقص رسله الكرام ، أو يرد قولاً من أقوال نبيه عليه السلام ، أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم ، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم ، ثم يسكت إن أمكنه الكلام ، أو يرضى به أحد من الأنام إن وسعه السكوت . والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومة بالمناصحة في الدين ، وإعانتهم على مصالح المسلمين . وأمـــا النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم بـه من المعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والمساعدة والعون بما تصل إليـه القدرة بما حض الله ورسوله عليه ، ودفع ضرر الأديان أهم ، وهـو في النفع أخص ، وفي بذل النصيحة أعم ، ويؤيد المقصود في هـــذا المعنى مارواه مسلم في «صحيحه» أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من امته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعـــدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهـدهم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج : ٧٨ الاية . فقد ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في كل زمان ومكان ، وبذل الاجتهاد طلباً لرضوان رب العباد ، ولا يصح لك شاهد الاجتباء ، لا بوجود الغضب لله ، والمجاهدة في سبيله ديناً ومذهباً ، لكونه صار في الذمة حتماً مرتباً ، وقال عز من قائل : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) المجادلة : ٢٢ الآية . وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت ، لقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) البقرة : ٢٥٦ فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً لا يمكن وجود الايمان إلا بوجوده ، وصاحب « الفصوص » زعم في التوحيد أن ترك عبادة الأصنام جهل ، وذا كاف لمن رد عليه ، والسلام . وهذا هو الموجب للقيام ، وأخذ الفتاوي ليرتدع المشاقق والمناوي ، بعد أن رأيت من يعتقد صحة مقاله ، ويزعم أنه حق ؛ فبادرت لبيان ضلاله ، وإثبات محاله ، فإن في قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره ، وأبدا ما أظهره خفي ما أضمره ، من رده نص محكم الكتاب ، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب ، وتمييزه من تعاطاه على من أنكره . وقد ثبت في الاحكام ، وشاع فهمه بين الأنام أنه ماعبد الأصنام إلا أجهل الخلق اللئام ، ولا أنكره عليهم الا أفضل الخلق ، وأعلمهم بالله ، أعني : الرسل الكرام ، والانبياء عليهم الصلاة والسلام . فانظر الى هذا الإقدام ، والتجرىء على الله بما يخالف ملة الاسلام بل سائر الملل عند ذي الأفهام ... الى أن قال بعد خطبة الكتاب : ولما

كملت المائة السادسة من الهجرة ظهرت مبادىء تلك الفترة بظهور من ينسب الى العلم والتصوف ممن أعطي في ألفاظه نوعاً من التصرف ، لا كتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية وغيرهما من العلوم التي لايرجى خيرها ، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات ، وانواع إشارات بلسان يستغرب ، وعند غير العارف الذكي تستعذب ، وهي فاسدة المعاني ،واهية المباني ،مخالفة لظواهر النصوص ، معاكسة لقول كل نبي مخصوص ، مع تحريفه تأويل ما يعتضد به من المنقول على حكم اعتقاده في الوحـــدة ، أو الاتحاد والحلول ، وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضادة ، وأظهر المخالفة والمعاندة بمـــا وضعه في كتاب « الفصوص » المشارك لـــه في وضـــعه إبليس ، قصـداً للتدليس ، واظهاراً للتلبيس ، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق ، فمن أعظم تحيلاته ، وكذبه على الله ، وافتئاته ، مازعمه في مقدمة الكتاب المذكور من البهتان والزور حيث قال : إنه رأى النبي ﷺ في المنام ، وبيده كتاب ، فقال له : هذا كتاب « فصوص الحكم » خذه وأخرجه إلى الناس ينتفعون به ، وأنه أخرجه كما حده له النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان . فانظر الى هذا الخلل ، وظهور دلائل الزلل ، وذلك أنه زعم أنه ناوله اياه وسماه له ، ولم يقل : قرأته عليـــه ، ولا انتبهت فوجدته في يدي ، فكيف عرف حده وكل مافيه من قول ومعنى ، من نظم ونثر ، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من العلوم التي لا تنسب إلى الحضرة المحمدية ، وما فيها من الشعر ، فلا ينسب الى نبي ، ولا ملك ، ولا الى حضرة إلهية من مبادىء تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره ، هذا إذا كان الشعر والكلام موافقاً لما جاءت به الرسل الكرام ، فظهرت دلائل كذبه فيما جعله لدفع الشبهة عنه من أقوى سببه ليلفت به اليه العوام ، ويصغي نحوه أهل البلادة بالايهام ، فيحصل منهم عنه

فيما ينكرونه عليه الإحجام . وكان أول منكر بدأ بالانكار عليه ، وثبت كفره وكذبه لديه ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام عز الدين بن عبد السلام ، مع أنه ما اتصل بنا أنه وقف على كتاب « الفصوص » ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص ، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله ، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله . ثم تابعه في الانكار ، الشيخ الامام ، بركة الاسلام ، القطب القسطلاني تغمده الله برحمته ، وأسكنه أعالي غرف جنته ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه بـ « الارتباط » ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ثم الشيخ الصالح العارف ، المحقق برهان الدين الجعبري ، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول ، بما هو مذكور عنه ومنقول ، ثم بعد ذلك تواتر الانكار من الصلحاء العباد ، والاتقياء الزهاد ، وأهل الورع من الأفراد ، مما لا سبيل لحصرهم ، ولا تفصيل ذكرهم ، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام ، ونبه عليه الخاص والعام ، وأذهب عن المنكرين ببيانه الاحجام ، وأزال بتبيانه الشبهة عن الأوهام ، واستضاء اهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن ، إذ علموا أن به يتضح الفرقان ، وان صحيح الأحاديث النبوية عمدة أهل العرفان ، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة ، فقوله مردود ، وهو عن جناب الحق مبعود ، ومن صدقه ضل ، وعقد دينه بتصديقه انحل ، فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق بسيوف فتاويهم القاطعة ، وأنوار أدلتهم الساطعة لما سمعوا منادي الإسلام ينادي : الصلاة جامعة ، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم ، نصيحة لرب العالمين ، ونصرة لكتابه المبين ، وتأييداً لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين ، وانتصاراً لرسله الكرام وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، من كيد إلحاد الملحدين ، ممن جعل

الكفر إيماناً ، والجهل عرفاناً ، والشرك توحيداً ، والعصيان طاعـــة ، لايستحق العاصي عليه وعيداً ، ولم يفرق بين عباده الصنم والصمد ، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد ، فأصاب العلماء المفتون ، واستجابوا لداعي الحق بالصـــدق وهم منتصرون . ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد واستمرار ماتقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد ، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبذة من كلامه ، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه ، ليشملها خطوط العلماء السادة الذين أورثهم الله بالعلم الخشية فاغتبطوا بالافادة ، فأسرعوا بالبيان والإيضاح والتبيان ، قياماً بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس ، وهو في كل زمان فرض باق ، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه ، وامتنع من التنبه مخافة غـــيره وخشيه ، فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه ، والممتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه ، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين ، فتلك محنة في الدين ، وكفى بالله رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وهو الغني بعلمه ، المحيط عن أخبار المخبرين ، المطلع على سرائر الصامتين ، وضمائر المجيبين ، ثم كتب السؤال الماضي ذكره ، وساق ألفاظ المجيبين ، وهم : ابن جماعـــة الحارثي والجزري والكناني والبكري والزواوي والبالسي وقال : ولما تمت الفتاوى المذكورة ، المرقومة المسطورة ، قال لي بعض الفضلاء ، الذين يقولون الحق ، ويعتمدون الصدق في النصح بين الخلق : لم لاسألت التقي ابن تيمية ، فإن غيرته في دين الله قوية ، ومعرفته بأقوال المبدعين وفية ؟ . فقلت له : إنهم يزعمون أنه لهم غريماً ، وبعاداتهم في دين الله موسوماً ، فقال : الم الم لا يستخصم ، والحاكم العادل لا يستظلم ، والمفتي لايكتب بقلمه إلا ما يعتضد فيه بالكتاب والسنة ، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة ، ويعلم

أنه مسؤول عما كتب ، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرتب ،أو في الآخرة من الرب العظيم الذي يخشى ويرتقب ،في يوم تجثو فيه الأمم على الركب ، فبان لي وجه الصواب في قول القائـــل ، وأض عن تأويل الم رض الجاهل ، وأرسلت اليه . فبادر بالجواب ، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب ، وما راعى غير الله فيما علم ، ولا أبقى ممكناً فيما إظهاره لزم ، ثم أورد الجواب ، وفيه طول تركناه اختصاراً ، ودعا له بالتأييد فيما يرومه من إظهار الحق للحق بالحق في الخلق ، ويقصده من قيامه ونصرته ، فإنه أشفى وما اشتفى ، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى ، فإن الغضب إذا كان لله لايزول مده إلا بزوال موجبـــه ، ولكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبه ، ثم ساق السيف عن أبي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة: ان الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لايزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير . فهذا فصل من عقائد المسلمين يتضمن بمعانيها ومفهوم ألفاظها ضده قول صاحب « الفصوص » اللعين . ثم قال الطحاوي فيها : إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فكيف بصاحب « الفصوص » القـــائل بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه ، وأن العـــالم صورته وهويته ؟ إلى غير ذلك ممـــا تقدم . ثم قـــال الطحاوي : إن من رد حكم كتاب الله عز وجل ، فهو

من الكافرين ، وكم قد رد صاحب « الفصوص » من حكم الله من أصول الشرائع التي لاتنقض ولا تنسخ ، ككفر عباد الأصنام ، وضلال مخالفي الرسل ، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله ، وأنهم أهل النار ، ولهم فيها الخزي والعذاب الشديد السرمد . وقال في الجنة والنار : إنهما واحد في الذوق ، وانما التغاير في اللون ، هذه خضراء ، وتلك سوداء أو حمراء ، وإن الطائع ، والعاصي ، والمؤمن ، والكافر ، الكل مرضيون مستحقون الوعد ، وما ثم وعيد أصلاً . وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار اليها : إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة ، وإن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب غاية الأمن ، ونهاية الكفر ، نسأل الله السلامة . ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي في تصنيف له في الأصول ، أن من تكلم بكلمة الكفر ، فضحك غيره ، واستحسن ، كفر ، وكذا من وصف الله بما لايليق به كفر ؛ ومن أنكر وعده أو وعيده كفر ، أو قال : الله في ست جهات ، أو قال : يوجد في كل مكان ، ومن عاب نبياً من الأنبياء ، أو صغر اسمه ، أو لم يرض بسنته ، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الحل ، فقال : أنا لاأحبه ، أو سخر بالشريعة ، أو بحكم من أحكامها ، أو قال : إن الخمر لم يثبت تحريمه بالقرآن ، أو صدق كلام أهل الأهواء ، أو قال : إنه كلام معنوي ، أوله معنى صحيح ، أو من يعرف أن الله يرحم الكافر ، أو الشيطان وأهل الأهواء ؛ فإنه يكفر بذلك كله ، فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون ، وجعل كل كافر ، وفاجر ، وفاسق ، وعاص عند ربه مرضياً ؟! فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة إن مات على اعتقاد ماوضعه في كتابه المذكور ، ثم نقل عن القاضي عياض قوله في « الشفاء » : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ ،

أو عابه ، أو ألحق به نقصاً في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو خصلة من خصائله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب ، يقتل كما بينته ، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد ، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً . ونقل عن ابن عتاب أنه قال : الكتاب والسنة موجبان ، ان من قصد النبي ﷺ بأذى ، أو نقص ، معرضاً ، أو مصرحاً وان قل ، فقتله واجب . قال : وقد علمت تنقيص صاحب « الفصوص » للمرسلين والأنبياء تصريحاً لا تلويحاً ، وأورد من كلامه قوله : وأما العارفون بالأمر على ماهو عليه ، فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور ، لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم ، الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت مع علمهم بأنهم ماعبدوا من تلك الصور أعيانها ، وانما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لا علم له بما تجلى ، فيا أهل العلم والمتقين من أولي الفهم ، معلوم باجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، واليهود والنصارى ، أن ماعبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ماعبدته الكفار الا أجهل الناس في كل زمان ، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء ، ومن تبعهم من الصديقين ، وصالح المؤمنين الموفقين ، وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع ، ونسبهم الى الجهل وعدم الفهم ، وأثبت لعباد الأصنام والأوثان الاصابة والمعرفة بالله ،

فعليه إن مات عليـــه وكان[١] معتقده لعنة الله وغضبه والناس أجمعين. انتهى كلامـــه .

أقـــول : ماذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعـــه من الشناعات والكفريات ، قليـل من كثير ، وغيض من فيض ، وينبغي أن تعلم أن ابن عربي ونحوه لايتجاسرون على إعـــلان هذه الكفريات ، وانما يدسونها دساً في كتبهم ، لأنـ الاسلام قد بقيت منـــه بقية ، والعلماء والسلاطين قائمون في نحر من يبدي شيئاً من هذه الضلالات ، ولما ضعف الاسلام ، وانحلت عراه ، واشتدت غربته ، صار هؤلاء الأبالسة[٢] لا يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات ، وصار كثير من الخواص وأكثر العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء وخلاصة الاتقياء ، فلاتسأل عما أحدثه هؤلاء الطواغيت ، وان شئت فانظر كتاب « الانسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ، ترى مافيه من الطامات ، والامور الفظيعة ، والقبائح الشنيعة ، فالله المستعان .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

قالوا ولم يك كافراً في قوله ‏ ‏ ‏ أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

أقول : قال ابن عربي في « الفصوص » لما كان فرعون في منصب الحكم صاحب السيف ، وإن جاز في العرف : الناموسي لذلك ، قال : أنا ربكم الأعلى ؛ أي : وان كان الكل أرباباً نسبة ما ، فأناأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له وقالوا (اقض ماأنت قاض إنماتقضي هذه الحياة الدنيا) طه : ٧٢ فصح قول

(١) في الاصل : كذا .
(٢) في الاصل : الابابسة ؛ والمعهود في كتب اللغة ان جمع ابليس أباليس ، وأبالسة .

فرعون : أنا ربكم الاعلى ، فكان فرعون عين الحق . وقد صنف الشيخ محمد سعيد الدواني المدني مصنفاً في إيمان فرعون متابعة لابن عربي ، وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري الهروي ، برسالة سماها « فر العون عن مدعي إيمان فرعون » أجاد فيها وأفاد ، جزاه الله خيراً . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في جواب له عن هؤلاء الوجودية بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون قال : وهذا القول كفر ، معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، لم يسبق ابن عربي اليه فيما أعلم أحـــد من أهل القبلة ، ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون ، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والالهية مثل فرعون ، وأطال الكلام .

قوله : ولقد رأى ابليس عارفهم الخ . . لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي ، والله اعلم .

قوله : ثغرة الطعان . الثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين ، قالـــه في « القاموس » وممن جاهد أتباع هؤلاء الملاعين حق الجهاد ، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والالحاد ، العلامـة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله بن المقري الشافعي صاحب « عنوان الشرف » و « مختصر الحاوي » و « الروضة » وغيرهما من التصانيف البديعة ، فانه قام في تقبيح ابن عربي وأتباعه أتم قيام ، وصار ينظم القصائد الحسان في ذكر قبائح المنتمين إلى هذا المذهب ، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان ، وأفرد من « الفصوص » كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء ، وأكثر من النظم في ذلك نظماً رائقاً يرسخ بسماعه الايمان في قلوب المؤمنـــين ، وتنسجم به

عبرات المحبين لشرائع النبيين ؛ وتتزلزل به أقدام المبتدعـــين ، وانتشرت قصائده ، وظهرت بها فضائحه عند أهل تهامة وأهل الجبال ، اذ نقلت الى الامام علي بن صلاح بصنعاء ، ونظم بعض فقهاء الأشراف على نحو نظمه شكراً له وتحريضاً ، فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الوصفية بـ : زبيد . وقال التقي الفاسي: انه حدثه من حال ابن عربي بما لم يبينه غيره ، لأن جماعة من صوفية زبيد أوهموا من ليس له كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي ، ونفي العيب عن كلامه ، قال : وقد ذكر ذلك ابن المقري مع شيء من حال المتصوفة المشار اليهم في قصيدة طويلة من نظمه ، وهي على قافية الراء المكسورة ، وقد سماها ناظمها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغـــة » وهي مائتان وثلاثة وأربعون بيتاً ، موجودة في ديوانه. وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة ، وخذلان هذه الطائفة ، وهي احدى وأربعون بيتاً . وصنف رحمه الله تصنيفين في هذا المعنى ، سمى أحدهما « النصيحة » والآخر « الذريعة الى مكارم الشريعة » قال الحافظ السخاوي في « القول المنبي » وقد قال ابن المقري في الردة من كتاب « الروض » مختصر « الروضة » من تردد في تكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر ، وقد ترجم له ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » وقال بعد أن بالغ في مدحه : ناظر أتباع ابن عربي حتى عميت منهم الأبصار ، ودمغهم بما بلغ حجة في الافكار . انتهى

قوله: نص « الفصوص» هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور ، وهو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي ، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل الى اشبيلية سنة ٥٧٨ [1] ثم ارتحل وطاف البلدان ،

(١) في الاصل : سنة ٧٨ ، ولعلها ٥٧٨ كما أثبتناه لان وفاته كانت سنة ٦٣٧

فطوف بلاد الشام ، والروم ، والمشرق ، ودخل بغداد ، وحدث بها بشيء من مصنفاته ، ولـــه التآليف الكثيرة ، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنه ٦٣٧ ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق في دار القـــاضي محي الدين بن الزكي ، وحمل الى قاسيون فدفن في تربته المعلومة ، وهوصاحب المقالات الشنيعة ، والكفريات الفظيعة ، أســـأل الله العافيـــة . وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في الرد على « الفصوص » وصاحبه ، فمن ذالك كتاب « أشعة النصوص في هتك استار الفصوص » للشيخ الامام الأوحد أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، وكتاب « تسورات النصوص على تهورات الفصوص » للشيخ الامام شمس الدين محمد بن محمد العيزري تلميذ التاج السبكي ، والعلامة الملا علي بن محمد القاري ، والحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني ، والفقيه محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليماني ، وغيرهم . وقال العلامة سيبويه زمانه ، جمـــال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الانصاري النحوي صاحب « المغني » و « التوضيح » وغـــيرهما لما وقف على « الفصوص » مانصـــه :

هـذا الـــذي بضـــلاله ضلت أوائل مع أواخر

من ظن فيـــه غير ذا فليناً عني فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذام عن وصفه ، وقد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، لأنه مخالف لماأرســـل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وفطر عليه خليقته ، وذلك أني لما وقفت على هذا الكتاب ، وجدته قد عقد لكل نبي من الأنبياء فصاً ، فوقفت على فص

نوح عليه السلام ، فقال فيه : لو قال بدل قوله : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً) الى آخر كلامه : ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب ، لأجابوه. انتهى وقد أدرجه العيزري فيمن كفره . وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » وهو مجلد عن الحافظ الجهبذ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال بعد كلام حكاه عن ابن عربي بعد حكايته : أستغفر الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر ، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في « العبر » و« الميزان » . . . الى ان قال الذهبي : ومن أمعن النظر في « فصوص الحكم » وأنعم التأمل ، لاح له العجب ، فان الذكي اذا تأمل من ذلك الاقوال والنظائر والأشباه ؛ فهو أحد رجلين ؛ اما من الاتحادية في الباطن ؛ واما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر . نسأل الله العافية ، وأن يكتب الايمان في قلوبنا ؛ وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ؛ ويؤمن بالله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان ، وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب ، أو عمل مائة خلوة . وقال الذهبي في ترجمة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري من « تاريخه الكبير » بعد أن نقل كلاماً للسيف بن المجد فيه : رحم الله السيف بن المجد ، ورضي الله عنه ، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي [١] الذي هو محض الكفر والزندقة ، لقال : ان هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان ابن عربي منقبضاً عن الناس ، انما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولا يصرح بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه الا بعد موته

---

(١) في الاصل : ابن العربي ، والصواب ابن عربي ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي .

عدة . ولهذا تمادى أمره ، فلما كان على رأس السبعمائة ، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحته ، ودار بين العلماء كتابه « الفصوص » وقــد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابراهيم بن معضاد الجعبري ، فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البرنباري ، أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عــربي قال : كان يقول بقدم العالم ، ولايحرم فرجاً ، وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير اسناد . قلت : ورأيت في جواب لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن سؤال سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية ، قال : حدثني تاج الدين البرنباري الفقيه المصري الفاضل ، أنه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول : رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية ، وهو شيخ نجس ، يكفر بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي ارسله الله ، قال : وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنــــه قال : كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسرو شاهي : إن كلاهما زنديق ، أو كلاماً هذا معناه . وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البرنباري أنه سمع الشيخ العارف ابراهيم الجعبري يقول : رأيت في منامي ابن عربي ، وابن الفارض ، وهما شيخان أعميان ، يمشيان ويقرآن ، ويقولان : كيف الطريق ؟ أين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين بن مري ، عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكم عن أبيه أنه قال : قدمت دمشق ، فصادفت موت ابن عربي ، فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد ، فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء ، وقال : فعلمت ان هذه أونحوهذا ، وعن أبيه عن الشيخ عن اسماعيل الكوراني أنه كان يقول : ابن عربي شيطان . ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامــة شيخ الوقت ابراهيم الرقي أنه حذر من « الفصوص » وقال في موضع آخر : وممن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي ابراهيم الرقي . قال السخاوي :

ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي من « تاريخ الاسلام » نقلاً عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي ، وابن الفارض ، مثله ، مثل عسل أديف فيه سم ، فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوته ، ولا يشعر بالسم ، فيسري فيه وهو لا يشعر ، فلا يزال فيه حتى يهلكه . قال السخاوي : وكذا قال شيخنا المحب البغدادي الحنبلي فيما سمعه من البدر الدميري عن ابن الفارض أنه أخذ شهداً أدخل فيه سماً . قال السخاوي : أنبأني العز ابو محمد الحنفي رحمه الله عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إيبك الصفدي أنه سمع الحافظ ابن سيد الناس يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي فقال : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً . انتهى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسألوه عنه فقال : هو شيخ سوء كذاب ، مقبوح ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً . وقال ابن مرزوق : حدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخنا عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه : شيخ سوء كذاب ، وذكر ما سمعه مما يقتضي كذبه ، وأفتى هو وابن الحاجب بتكفيره . انتهى : قال السخاوي : أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي بمكة مشافهة . قال : أنبأ والدي أبو اسحق عن الحافظ ابي الفتح اليعمري فيما وجد بخطه قال : سمعت الامام الحافظ الزاهد العلامة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول : سمعت شيخنا الامام أبا محمد بن عبد السلام ، وجرى ذكر ابي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سوء مقبوح كذاب . فقلت له : وكذاب أيضاً ؟ قال : نعم ، تذاكرنا يوماً بمسجد الجامع بدمشق التزويج بجواري الجن ، فقال : هذا فرض محال ، لأن الإنس جنس كثيف ، والجن روح لطيف ، ولن يعلو

الجسم الكثيف الروح اللطيف ، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة ، فسألته عن سببها ، فقال : تزوجت امرأة من الجن ، ورزقت منها ثلاثة أولاد ، فاتفق أن تفاوضنا ، فأغضبتها ، فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة ، فانصرفت فلم أرها بعد هذا ، أو معناه . وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء : حدثني شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين بن ابي عمر ابن كثير من لفظه غير مرة قال : حدثني شيخ الاسلام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قال : حدثني الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي قال : حدثني شيخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره: لي أربعون سنة ماتكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي عن ابن عربي قال : شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ثم قال ابن الجزري : كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه ، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي ، وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام ، وهي أنه وقع بيني وبينه يوماً كلاماً في وجود الجن ، فأنكر وجودهم ، ثم رأيته بعد ذلك فقال : رجعت عن ذلك القول . واني قد تزوجت بجنية وولدت لي وغضبت علي يوماً فشجتني في وجهي ، وهذه الشجة منها ، وأشار الى وجهه انتهى . قال الذهبي : وممن افتى بأن كتابه « الفصوص » فيه الكفر الأكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وقاضي القضاة سعد الدين مسعود الحارثي والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني ، وجماعة سواهم . قال الذهبي :

ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود، ثم رجع وجدد إسلامه ، وبينوا أن مقالة هؤلاء : ان الوجود هوالله تعالى، وأنه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً . وقال العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي في تفسير سورة (المائدة) من كتابه « البحر المحيط » عند قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) المائدة : ٧٢ ومن بعض اعتقادات النصارى ، استنبط بعض من تستر بالاسلام وانتمى الى الصوفية ، حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة ، كالحلاج ، والشوذي ، وابن أحلى ، وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء ، كابن سبعين ، والششتري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بـ « مرسية » والصفار المقتول بـ « غرناطة » وابن لباح ، وأبو الحسن المقيم كان بـ « لورقة » وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة . وابن عياش المالقي الأسود الأقطع . المقيم كان بـ « دمشق » وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بـ « صعيد مصر » والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بـ « خانكان سعيد السعدا » بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر ، تلميذ الششتري المقيم كان بـ « حارة زويلة » بالقاهرة ، وانما سردت أسماء هؤلاء نصحاً للدين ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ، ويقولون بقدم العالم ، وينكرون البعث ، وقد أولع جماعة ممن ينتمي الى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه ، والأمر فيهم كما ذكرت ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة ، هو من علم أصول الدين . انتهى .

وقال السخاوي في « القول المنبي » نقلاً عن شيخ الاسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي : وقرأت بخطه على فتيا أيضاً مانصه : لم يكن هذا الفاجر المذكور يعني ابن عربي ، على الكتاب والسنة بل كان مخالفاً ، ولا يحل اعتقاد عقيدته ، ولا العمل بما يأتي من الباطل ، وليس لكلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة ، ومن اعتقد عقد الباطل ، أو تمسك به ، فليس على طريق الحق ، بل هو على طريق الباطل ، فيلزم من اعتقد ذلك ، أو تمسك به ، أن يتوب الى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته ، فان تاب والا ضربت عنقه لزندقته . وقد كتبت على ذلك كراريس بالقاهرة ودمشق ، بينت فيها أنه أتى بأنـــواع من الكفر والالحاد والزندقة ، ولم يأت بها غيره ، فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان ، ومن طريقة من اتبعه ، وأن يجنبنا ماابتدعه ، والحال ماذكر ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قال السخاوي : وسمعت شيخنا حافظ العصر ، فريد الدهر ، الشهاب أبا الفضل ، أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المـ ر ف [١] بابن حجر ، سمعته يقول مراراً : انه جرى بيني وبين شخص يقال له : ابن الأمين من المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي ، حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في امره ، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، يعتقده الظاهر برقوق ، فهددني المذكور بأنه يغريه بي فيذكر للسلطان أن بمصر جماعة منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك فقلت : ماللسلطان في هذا مدخل ، لكن نتباهل أنا وإياك في امره ، لأنه

---

(١) في الاصل : عرف

قلما يتباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فأجاب للمباهلة . قال شيخنا فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقنا . قال : وكان يسكن الروضة : فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة ، فحضر عنده لضيافته ، ثم بدا له عدم المبيت عنده ، وخرج في أول الليل ، وصحبه من يشيعه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم ، فانظروا ، فلم يروا شيئاً ، وما رجع إلى منزله الا وقد عمي بصره ، وما أصبح الا ميتاً ؛ وكان ذلك في ذي القعدة ، سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها . قال : وكنت عند وقوع المباهلة ، عرفت من حضر ، أن من كان مبطلاً في المباهلة ، لا تمضي عليه السنة . انتهى . وقد حكاها القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقال : سمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر ، وذكر معناها ، وأنه كتبها له بخطه . قلت : وأحوال هذا الرجل ، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة كثير مشهور ، ومن أراد استقصاء ذلك ، فليطالع كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » وفيما ذكرناه كفاية . ولقد أحسن العلامة شرف الدين أبو محمد اسماعيل ابن أبي بكر المقري اليمني الشافعي رحمه الله تعالى حيث يقول في منظومته الرائية التي سماها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة »

فقد حدثت في المسلمين حوادث ... كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها ... بها عز من عز بين الحواضر

تجاسر فيها ابن العرابي[1] واجترى ... على الله فيما قال كل التجاسر

فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير

وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده ... إله وعبد فهو إنكار جائر

وخطأ إلا من يرى الخلق صورة ... وهوّية لله عند التناظر

وقال يحل الحق في كل صورة ... تجلى عليها فهي احدى المظاهر

وأنكر أن الله يغني عن الورى ... ويغنون عنه لاستواء المقادر

كما ظل في التهليل يهزأ بنفيه ... وإثباته مستجهلا للمغاير

وقال الذي ينفيه عين الذي أتى ... به مثبتاً لا غير عند التحاذر

فأفسد معنى ما به الناس أسلموا ... وألغاه الغأبينات التهاتر

فسبحان رب العرش عما يقوله ... أعاديه من أمثال هذي الأكابر

وقال عذاب الله عذب وربنا ... ينعّم في نيرانه كل فاجر

وقال بأن الله لم يعص في الورى ... فما ثم محتاج لعاف وغافر

وقال مراد الله وفق لأمره ... فما كافر إلا مطيع الأوامر

وكل امرىء عند المهيمن مرتضى ... سعيد فما عاص لديه بخاسر

---

(١) يريد ابن عربي الطائي صاحب « الفصوص » وغيرها المليئة بالطامات. والاصل تنكيره (ابن عربي) وعرف ومد لضرورة الشعر .

وقال يموت الكافرون جميعهم ... وقد آمنوا غير المفاجي المبادر

وما خص بالايمان فرعون وحده ... لدى موته بل عم كل الكوافر

فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن ... وإلا فصدقه تكن شر كافر

وأثنى على من لم يجب نوح اذ دعا ... الى ترك ود أو سواع وناسر

وسمى جهولا من يطاوع أمره ... على تركها قول الكفور المجاهر

ولم ير بالطوفان إغراق قومه ... ورد على من قال رد المناكر

وقال بلى قد أغرقوا في معارف ... من العلم والباري لهم خير ناصر

كما قال فازت عاد بالقرب واللقا ... من الله في الدنيا وفي اليوم الاخر

وقد أخبر الباري بلعنته لهم ... وإبعادهم فاعجب له من مكابر

وصدق فرعون وصحح قوله ... أنا الرب الاعلى وارتضى كل سامر

وقال خليل الله في الذبح واهم ... ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر

ويعظم أهل الكفر والانبياء لا ... يعاملهم الا بحط المقادر

ويثني على الاصنام خيراً ولا يرى ... لها عابداً ممن عصى أمر آمر

وكم من جراآت على الله قالها ... وتحريف آيات بسوء تفاسر

ولم يبق كفر لم يلابسه عامداً ... ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم ... من الأولياء الأولياء الأكابر
له رتبة فوق النبي ورتبـــة ... له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لأنـــه ... من التابعيه في الأمور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعاً ... لمقداره الأعلى وليس بحافر
فان يدن عنه لاتباع فانه ... يرى منه أعلا من وجوه أواخر
ترى خال نقصاً في (وجوب)[1] اتباعه ... لاحمد حتى جا بهذي المعاذر
فلا قدس الرحمن شخصاً يحبه ... على مايرى من قبح هذي المخابر
وقال بأن الانبياء جميعهم ... بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر

الى أن قال :

فهل أبصرت يا ابن الأحاير

بأكذب من هذا وأكفر في الورى ... وأجرا على غشيان هذه البواطر
فلا يدعي من صدقوه ولاية ... وقد ختمت فليؤ خذوا بالأقادر
فيا لعباد الله مائم ذو حجى ... لـه بعض تمييز بقلب وناظر
اذا كان ذو كفر مطيعاً كمؤمن ... ولا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا إن كل أوامر ... من الله جاءت فهي وفق المقادر
فلمْ بعثت رسل وسنت شرائع ... وأنزل قرآن بهذي الزواجر

---

(١) زيادة لم تكن في الاصل . ولا يستقيم الوزن بدونها .

أيخلع منكم ربقة الدين عاقل لقول غريق في الضلالة حائر

ويترك ما جاءت به الرسل من هدى لأقوال هذا الفيلسوف المغادر

فيا محسني ظن بما في «فصوصه» وما في «فتوحات» الشرور الدوائر

عليكم بدين الله لا تصبحوا غداً مساعر نار قبحت من مساعر

فليس عذاب الله عذباً كمثل ما يمنيكم بعض الشيوخ المدابر

ولكن أليم مثل ما قال ربنا به الجلد ينضج ان يبدل بآخر

غداً تعلمون الصادق القول منهما اذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر

ويبدو لكم غير الذي يعدونكم بأن عذاب الله ليس بضائر

ويحكم رب العرش بين محمد ومن سن علم الباطن المتهاتر

ومن جا بدين مفتر غير دينه فأهلك أغمـــاراً به كالأباقر

فلا تخذلن المسلمين عن الهدى وما للنبي المصطفى من مآثر

ولا تؤثروا غير النبي على النبي فليس كنور الصبح ظلم الدياجر

دعوا كل ذي قول لقول محمد فمــا آمن في دينه كمخاطر

وأمار جالات «الفصوص» فانهم يعومون في بحر من الكفر ظاهر

إذا راح بالربح المتابع أحمداً على هديه راحوا بصفقة خاسر

سيحكي لهم فرعون في دار خلده بإسلامه المقبول عند التحاور

ويا أيها الصوفي خف من «فصوصه» خواتم سوء غيرها في الخناصر
فلاسفة باسم التصوف أبرزوا عقائد كفر بالمهيمن ظاهر
كلام «الفصوص» احذره فهو كما ترى وتسمع لا تعدل به كفر كافر
وحار به في الباري فقد ضل واعتدى وكان على الاسلام أجور جائر
وفي بعض ما أمليته من كلامه غنى بعضه كاف لأهل البصائر
ويا علماء الدين ما العذر في غد من الله ان عوتبتمُ في التدابر
أما أخذ الميثاق في أن تبينوا علومكمُ للناس عند التذاكر
وأوجب لعناً منه في معشر عصوا ولم يتناهوا عن فعال المناكر
يسب إله العرش فيكم وكلكم حضور ألا لا قدست من محاضر
يقال بأن الرب عبد وعبده هو الرب والتكليف ليس بظاهر
وان رسول الله يأتي وراءه من الصين من يعلوه عند التفاخر
ويطرق سمعاً بينكم مثل هذه ويهنيكم طعم الكرى في المحاجر
أيدعى بمحيي الدين هذا فتسكتوا برئت الى الرحمن من كل غادر
أما لكم في الله والرسل غيره أما رجل منكم شديد المرائر
أعيذكم أن تسمعوا فيهم الاذى وتبدون حلم الموجع المتصابر

فان لم تصبكم في الإله حمية وتفتوا بما دونتم في الدفاتر

وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ولا وضعت أقلامكم في المحابر

لمن تحفظون العلم أو تدخرونه اذا لم تقوموا عند مذي الجرائر

أفي الله أو في المصطفى ذو صداقة تحابونه او ذو وداد معاشر

وهل من عزيز عندكم تؤثرونه على الله والمختار عند التضافر

تباع وتقرا هذه الكتب فيكم وانتم سواء والذي في المقابر

فان قلتمُ لم تنه فينا علومه فها أنا قد أنهيت هل من مبارز

أما أحرقت في مصر والشام كتبه باجماع أهل العلم باد وحاضر

أما رجعوا فيها الى ملك أرضهم فشد لنصر الله عقد المآزر

وذب عن الدين الحنيفي بسيفه برغم عرانين الأنوف الصواغر

فما العذر إن لم تنهضوا وتناصروا على ما أمرتم عنده بالتناصر

وللطير في الخطب اجتماع وضجة فهل أنتمُ في الضعف دون العصافر

الى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي .

فان قلت دين ابن العرابي(٢) ديننا وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر

---

(١) عرف هنا ومد لضرورة الشعر.

أقل إنك الآن المكفر نفسه　　وأنت الذي ألقيتها في التهاتر

فذلك دين غير دين محمد　　وكفر لجوج في الضلالة ماهر

أتى بمحال لو عقلت رفضته　　وكنت له في الله أول هاجر

كلام كأقوال المجانين بثه　　اليكم جرف من الكفر هائر

أضل به من يقتفيه من الورى　　فما منكم للمقتفين بعاذر

تجنيت لي ذنباً بذمي «فصوصكم»　　وذلك عند الله إحدى ذخائر

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة　　وهل سب عرضاً من نهى عن مناكر

وهي طويلة نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتاً .

وأما ابن سبعين ، فهو عبد الحق بن ابراهيم . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » عبد الحق بن ابراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف ، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد ، مات بمكة سنة ٦٦٩ وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله ، فهرب اليها وأظهر لأبي نمي - يعني الشريف صاحب مكة - أشياء من السيمياء والكيمياء ، حتى صار عنده في الذروة ، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي يخطب فيها المؤذن على قبة زمزم ، ويذكر نسبه الى علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ؛ وقال ابن سبعين لأبي نمي : دعني أخرب هذا الركن الاسود، وأستخرج لك من تحته سراً ليس عند ملك مثله . قــال : فحكاها لخطيب مكة ، فزاد فيها ، أنه قال : وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا ، وكان يعيب الطائفين ويقول : لماذا يدور أحدهم حول البيت ؟! وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة ، فيسجد للشمس ، وكان يسجد للقطب الشمالي ، ولمـــا مات لم يشيعه إلا نفر قليل جداً ، فان الناس شكوا في أمره ، وظهر منه أعمال من جنس السحر . انتهى .

قال الذهبي : قلت : مازال ابن سبعين بحمد الله تعالى ممقوتاً عند علمـاء الإسلام ، إلا من كان على خبيث نحلته ، قال : والسبعينية ، فقهاء زنادقة ، يتركون الصلاة ، ويفعلون العظائم ، ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها ، ثم قال : إن فتحنا باب التأويل عن المقالات والضلالات ، بطلت دواوين الملل والنحل ، لأن أبا حامد ذكر في « مشكاة الأنوار » فصلا في حال الحسين الحلاج ، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الاطلاقات الكفرية ، وأقبل يحملها على محامل بعيدة ، وقال هذا من شدة الوجـــد ، كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

قال الذهبي : قلت : كان البدريين أشد حباً لله ، فما تطفوا بهذا ، وقد يقول العارف كلاماً لابأس بالاعتذار عنه ، أما من يقول : أن هذا العالم هو حقيقة الله ، فهذا لعين . والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء ، وأمعن النظر فيها ، حصل له مالا يندفع أنهم فرقة مارقة عن الاســـلام ، وأنهم يقولون : إن الخالق هو عـين المخلوقين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون لا يجسرون أن يعلنوا

بافكهم في مساجد الإسلام ، ولا في بلاد الكتاب والسنة ، فسل ربك الثبات على كلمة التقوى . انتهى كلامه .

وذكره ابن عبد الملك في «التكملة» وقال فيه : وكثر أتباعه على مذهبه[١] الذي كان يدعو إليه من التصوف ، نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقاً وغرباً لا يخلى أحد منها بطائل ، وهي إلى وساوس المخبولين ، وهذيان الممرورين ، أقرب منها الى منازع أهل العلم ، ولفظه[٢] غير بلد وصقع ، لما كان يرمى به من بلايا ، الله أعلم بحقيقتها ، ومطلع على سريرته فيها . وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقال : كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه ، فانه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير ولا كرامة[٣] ولا والله مع أهل التوحيد .

وأما العفيف التلمساني ، فهو سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني الأديب . قال الذهبي : من فحول الشعراء وكبار الاتحادية ، يدعي العرفان ، له شعر رائق ، وكان كاتباً على سوق الغنم بدمشق ، له هيئة وحرمة ، وكان يتعاطى[٤] الخمر ويتملطخ بعايب ، نسأل الله العفو ، وكان قد دخل الروم ، وعمل الخلوة وجاع ، وشرح « مواقف النفري »[٥] وهو القائل :

---

(١) في الاصل : مذهبهم .

(٢) اللفظ : أن ترمي بشيء كان في فيك . ويقال : البحر يلفظ الشيء ، أي : يرمي به الى الساحل ، واللفظ مالفظ ، أي : طرح ، والمعنى : لم يقبله غير بلد وصقع لما كان يرمى به (ابن سبعين) من البلايا .

(٣) في الاصل : ولا كره ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الاصل : يتغانى .

(٥) في الاصل : « مقامات النفري » وهو خطأ ، والتصويب من « الشذرات » و « الاعلام » .

الى الراح هبوا حين تدعو المثالث　　　فما الراح للارواح الا بواعث

هي الجوهر الصرف القديم فان بدت　　　لها حبب زينت بها وهو حادث

مات سنة ٦٠٩ وذكره أبو حيان فقال : ورأيت بالقاهرة العفيف أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي ، وكان يحضر عندي في بيتي في المدرسة الصالحية ، وينظر في شيء من النحو ، وأنشد لي قطعاً من شعره ، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين ، وأولدها ولداً يسمى : محمداً ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومات وهو شاب ، ولما حضر معنا للقراءة على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني ، سأله : من أنت ؟ فقال : أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني ، فتبسم وقال : أنت عريق في الالوهية ، أمك بنت ابن سبعين ، وأبوك العفيف التلمساني ، وكان هذا التلمساني متقلباً في أحواله ، فتارة يكون شيخ زاوية ، وتارة يشتغل في ديوان الخدم ، قدم علينا القاهرة ، فنزل في « خانكاه سعيد السعدا » في ايالة شيخ الشيوخ إذ ذاك ، وأقام أشهراً ، ثم حكي عنه أنه حضر مجلس أنس ومعهم مغن مليح فشاع عنه أنه قبل المغني ، وقال : أنت الله ، فرمى الصبي الطار من يده ، ووجم لمقالة العفيف ، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف ، فخاف على نفسه ، وخرج فاراً قبل الظهر الى الشام .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى : وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه ، أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد ، قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته

مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال: قلت له : ماالفرق عندكم بين الزوجة الأجنبيه والأخت ، الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً . فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثمّ حرام . وحدثني كمال الدين بن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذكور ؛ قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك ، فانهم كانوا قد عظموه عندنا ، ونحن مشتاقون الى معرفة «فصوص الحكم » فلما صار يشرحه الي أقول : هذا خلاف القرآن والاحاديث ، فقال : ارم هذا كله خلف الباب ، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد ، أو كما قال . ثم خاف أن أشيع ذلك عنه ، فجاء إلي باكياً وقال : استر عني ما سمعته مني .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قال وجدته ... بالذات موجوداً بكل مكان

هو كالهواء بعينه لا عينه ... ملأ الخلو ولا يرى بعيان

والقوم ماصانوه عن بئر ولا ... قبر ولا حش ولا أ[illegible]

بل منهم من قد رأى تشبيهه　　بالروح داخل هذه الأبدان

ما فيهم من قال ليس بداخل　　أو خارج عن جملة الاكوان

لكنهم حاموا على هذا ولم　　يتجاسروا من عسكر الايمان

وعليهم رد الأئمة أحمــد　　وصحابه من كل ذي عرفان

فهم الخصوم لكل صاحب سنة　　وهم الخصوم لمنزل القرآن

ولهم مقالات ذكرت أصولها　　لما ذكرت الجهم في الأوزان

أقول : هذا الذي ذكره الناظم ، هو قول النجارية ، وهو أن الله تعالى بذاته في كل مكان ، وأما الجهمية الفحول ، فهم يقولون : إنــه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولهذا قال الناظم : وعليهم رد الأئمه أحمد الخ . أي ، إن كلام الامام أحمد وأصحابه إنما هو في الرد على القائلين بأن الله في كل مكان .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « الايمان » : كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع ، كما تجــدهم في الجهمية ، إنما يحكون عنهم أن الله في كل مكان ، وهذا قول طائفة منهم ، كالنجارية ، وهو قول عوامهم ، وعبادهم ، وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم ، فانما يقولون : هو لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو فوق العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا ولكن جد في الكفران

فأسرّ قول معطل ومكذب ... في قـــالب التنزيه للرحمن

إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هو خارج عن جملة الاكوان

بل قال ليس ببائن عنها ولا ... فيها ولا هو عينها ببيان

كلا ولا فوق السموات العلى ... والعرش من رب ولا رحمن

والعرش ليس عليه معبود سوى ... العدم الذي لا شيء في الأعيان

بل حظه من ربه حظ الثرى ... منه وحظ قواعد البنيان

لو كان فوق العرش كان كهذه الـــ ... أجسام سبحان العظيم الشان

ولقد وجدت لفاضل منهم مقا ... ماً قامه في الناس منذ زمان

قال اسمعوا يا قوم إن نبيكم ... قد قال قولاً واضح البرهان

لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على ... ذي النون يونس ذلك الغضبان

هذا يرد على المجسم قوله الله فوق العرش والاكوان

ويدل أن إلهنا سبحانه وبحمده يلقى بكل مكان

قالواله بيّن لنا هـذا فلم يفعل فأعطوه من الأثمان

ألفاً من الذهب العتيق فقال في تبيانه فاسمع لذا التبيان

قد كان يونس في قرار البحر تحـت الماء في قبر من الحيتان

ومحمد صعد السماء وجاوز السـبع الطباق وجاز كل عنان

وكلاهما في قربه من ربـه سبحانه إذ ذاك مستويان

فالعلو والسفل اللذان كلاهما في بعده من ضده طرفان

إن ينسبا لله نـزه عنهما بالاختصاص بلى هما سيان

في قرب من أضحى مقيماً فيهما من ربه فكلاهما مثلان

فلأجل هذا خص يونس دونهم بالذكر تحقيقاً لهذا الشان

فأتى النثار عليه من أصحابه من كل ناحية بلا حسبان

فاحمد إلهك أيها السني اذ عافاك من تحريف ذي بهتان

والله مايرضى بهذا خائف من ربه أمسى على الايمان

هذا هو الالحاد حقاً بل هو التـ حريف محضاً أبردّ الهذيان

والله مابلي المجسم قط ذي الـ بلوى ولا أمسى بذي الخذلان

أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ   أديان حين سرى الى الأديان

والله لولا الله حافظ دينه   لتهدمت منه قوى الاركـان

أقول : هذا الركب هم الأشاعرة ، وقوله : ولقد وجدت لفاضل منهم الخ . . هذا الفاضل هو الامام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين . مولده كما في « الكامل » سنة عشر وأربعمائة وفي « تاريخ ابن ابي الدم » سنة تسع عشرة وأربعمائة ، امام العلماء في وقته ، فحل المذهب ، سافر الى بغداد ، ثم الى الحجاز ، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف ، وأم في الحرمين الشريفين ، وبذلك لقب ، ثم رجع الى نيسابور ، وجعل اليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة ، وحظي عند نظام الملك . ومن تلاميذه الغزالي ، وأبو القاسم الأنصاري ، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي ، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق ، لأن أركانه حاصلة له ، ثم عـــاد إلى اللائق به ، وتقليد الامام الشافعي . ولما مرض حمل الى قرية موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء اسمها « بشنقان » فمات بها ونقل الى نيسابور تلك الليلة ، ودفن من الغد في داره ، ثم نقل بعد ست سنين الى مقبرة الحسين ، فدفن بجنب أبيه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فأغلقت الاسواق يوم موته ، وكسر منبره في الجامع ، وقعد الناس لعزائه ، ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقـــالي   وأيام الورى شـــبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يوماً   وقدمات الامام أبو المعالي

وكانت تلامذته يومئذ نحو أربعمائة . ومن مصنفاته « نهاية المطلب في دراية المذهب » و « الشامل » و « الارشاد » كلاهما في اصول الدين ، و « الرسالة النظامية في الأركان الاسلامية » و « البرهان » في أصول الفقه . وغيرها . توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب « النبلاء » في ترجمة الامام أبي المعالي ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته ، لايدري الحديث كما يليق به ، لا متنا ولا إسناداً ذكر في كتاب « البرهان » حديث معاذ في القياس ، فقال : هو مدون في الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث ابن عمرو ، وفيه جهالة عن رجال من أهل حمص ، عن معاذ ؟ فاسناده صالح . انتهى .

وقصة مقامه المذكور ذكرها الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في « تذكرته » فقال : فصل : قوله ﷺ « ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » للعلماء فيه تأويلات ، أحسنها وأجملها ماذكره القاضي أبو بكر ابن العربي . قال : أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أنه سئل : هل الباري في جهة؟ فقال : لا ، هو يتعالى عن ذلك . قيل له : فما الدليل عليه؟ قال : الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » فقيل له : وما وجه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال : لاأقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي به ديناً ، فقام رجلان فقالا : هي علينا ،

فقال : لا يتبع بها اثنين ، لأنه يشق عليه ، فقال واحد : هي علي . فقال: إن يونس بن متى ﷺ رمي بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قعر البحر فى ظلمـــات ثلاثة ، ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبياء : ٨٧ كما أخبر الله ، ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر ، وارتقى به صعداً حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجى به ، وأوحى اليه ما أوحى ؛ بأقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر . انتهى سياق القرطبي .

قلت : كان هذا الامام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه ؛ ففي كتاب « الشامل » وكتاب « الارشاد » مشى على تأويل الصفات الخبرية ، وفي كتاب « الرسالة النظامية » مشى على ان التأويل محرم . قال في « الرسالة النظامية » : اختلف مسالك العلماء في هـــذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آي الكتاب، وما يصح من السنن . وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب عز وجل . والذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة ، والدليل القاطع السمعي في ذلك ، وأن إجماع الأمة حجة متبعة . فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجـه المتبع ، فلتجر آية الاستواء ، وآية المجيء ، وقـــوله : (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ على ذلك .

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » قال الحافظ الحجة عبد القادر الرهاوي : سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحاجي يقول : سمعت محمد بن

طـــاهر المقدسي يقول : سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني بنيسابور : يقول ـ وكان يختلف إلى دروس الاستاذ ابي المعالي الجويني ، يقرأ عليه الكلام يقـــول ـ : سمعت الاستاذ أبا المعالي اليوم يقول : يا أصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ، مااشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي الذي أجـــاز لكريمة : حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال : دخلنا على الامـــام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته ، فقعد، فقال لنا : اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ماقـال السلف الصالح ، واني أموت على مـاتموت عليه عجـائز نيسابور . قـــال أبو منصور بن الوليد الحـــافظ في رسالة له إلى الزنجاني : أنبأ عبد القادر الحافظ بحران ، أنبأ الحافظ أبو العلاء ، أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قـــوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ فقال : كان الله ولا عرش ؛ وجعل يتخبط في الكلام ، فقلت : قد علمنا ماأشرت اليه ، فهل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال: ماتريد بهذا القول ؛ وما تعني بهذه الإشارة ؟ فقلت : ماقال عارف قط : يارباه ؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه ، قصد لايلتفت يمنة ولا يسرة ، يقصد الفوق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ، وبكيت وبكى الخلق ، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح بالحيرة ، وخرق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل ولم يجبني الا : ياحبيبي الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون :

سمعناه يقول : حيرني الهمذاني . توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الاصول والفروع ، يتوقد ذكاء ، لكن قول الناظم يرحمه الله تعالى عن إمام الحرمين في حكاية مذهبه : ويدل أن إلهنا سبحانه يلقى بكل مكان ؛ فيه نظر ، فان القول بأن الله تعالى في كل مكان ، هو قول النجارية . وأما الاشاعرة . فقولهم : إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوقه ولا تحته ، ولا يوصف بأن له مكاناً ؛ فضلاً عن أن يقال : إنه بكل مكان ؛ كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في أول الأبيات . ولهذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التسعينية قال : لما نوظر ابن فورك قدام محمود بن سبكتكين أمير المشرق ؛ فقيل له : لو وصف المعدوم لم يوصف الا بما وصفت به الرب ، من كونه لا داخل العالم ولا خارجه ، كتب الى أبي اسحاق الاسفراييني في ذلك ولم يكن جوابهم الا أنه لو كان خارج العالم للزم أن يكون جسماً . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا وزاد عليه في الميزان

قال اسمعوا ياقوم لاتلهيكم ... هذي الأماني هن شر أماني

أتعبت راحلتي وكلت مهجتي وبذلت مجهودي وقد أعياني

فتشت فوق وتحت ثم أمامنا ووراء ثم يسار مع أيمان

ما دلني أحد عليه هنا كمُ كلا ولا بشر اليه هداني

الا طوائف بالحديث تمسكت تعزي مذاهبها الى القرآن

قالوا الذي نبغيه فوق عباده فوق السماء وفوق كل مكان

وهو الذي حقاً على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

واليه يصعد كل قول طيب واليه يرفع سعي ذي الشكران

والروح والاملاك منه تنزلت واليه تعرج عند كل أوان

واليه أيدي السائلين توجهت نحو العلو بفطرة الرحمن

واليه قد عرج الرسول فقدرت من قربه من ربه قوسان

واليه قد رفع المسيح حقيقة ولسوف ينزل كي يرى بعيان

واليه تصعد روح كل مصدق عند الممات فتنثني بأمان

واليه آمال العباد توجهت نحو العلو بلا تواص ثان

بل فطرة الله التي لم يفطروا الا عليها الخلق والثقلان

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى أن هذا الركب أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، من العقائد التي تضمنها

هذا الفصل ؛ وذكر نصوص الفوقية ، والعلو ، والاستواء ، والصعود ، كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (ثم استوى الى السماء) فصلت : ١١ وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر : ٤،٥ وذكر معراج الرسول ﷺ إلى الله الذي تواترت به الأحاديث ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . عن أنس ان مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال : « بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعاً[1] إذ آتاني آت » فذكر الحديث ، وفيه قال « ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند أقصى [2] طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ فقال . جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء. قال : ففتح ، فلما خلصت ، إذا فيها آدم . قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم صعد حتى أتى

---

(١) في الاصل : مضجع ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري ».

(٢) في الاصل : عند انقضى ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم » « منتهى طرفه » .

السماء الثانية . فاستفتح . قيل : من هـــذا ؟ قـــال : جبريل . قيل : ومن معك ؟قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ؛ فسلمت ، فردا السلام ، وقالا : مرحباً بالاخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قـال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليـه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟قال : نعم.قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا إدريس.قال : هذاادريس ؛فسلم عليه ؛فسلمت عليه ،فردالسلام ثم قال: مرحباًبالأخالصالح والنبي الصالح : قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامســـة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ، قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال:ففتح ،فلماخلصت فاذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فلسمت عليـــه ، فرد السلام ثم قـــال : مرحباًبالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرســـل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبـــاً به ونعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت فـــاذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت فرد السلام ؛ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ؛ والنبي الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى . فقيل : ما يبكيك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قل : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا ابراهيم قال : هذا ابراهيم ، فسلم عليه ؛ قال فسلمت ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال : ثم رفعت الى سدرة المنتهى ، ثم رفع لي البيت المعمور . قال : ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم ؛ فرجعت ؛ فمررت على موسى . فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ؛ واني قد خبرت[1] الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت ؛ فوضع عني عشراً ؛ فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : بأربعين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ؛ واني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى . فقال بم أمرت ؟

---

(١) في صحيح البخاري جربت ، حيث وردت ، وفي « صحيح مسلم » فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم .

قلت بعشرين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشرين صلاة كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بعشر صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشر صلوات كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة . قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم ، فلما نفذت ، نادى مناد : قد أنفذت فريضي ، وخففت عن عبادي » متفق عليه . قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : الحق الذي عليه أكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، أنه أسري بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل . انتهى .

قوله : فقدرت من قربه من ربه قوسان . يشير إلى قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨,٩ وهذا على أحد

التفسيرين في الآية ، وان الرب عز وجل هو الذي دنا فتـدلى [١] وسيأتي بسط الكلام على ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه . والله أعلم . وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ الآية .

وقوله : واليه تصعد روح كل مصـدق الخ ... يعني أن روح المؤمن المصدق تصعد الى الله بعد الموت . وقد روى ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قـــال : إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس

---

(١) الحق أن الضمير في قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل عليه السلام، لا على الله تعالى . وهو الذي يفهم من الآيات المتقدمة (ان هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى . ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى) لان الوحي إنما هو بواسطة جبريل ، وكذلك ثبت في « الصحيحين » عن عائشة ام المؤمنين ، وابن مسعود، وهو كذلك في «صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بها . وما جاء في «صحيح البخاري» من رواية شريك ابن عبدالله بن ابي نمر عن أنس بن مالك في حديث الاسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » وقـــد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية . وذكروا اشياء فيها من الغرابة، وان شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه . وقال الحافظ البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل ، يعني قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » قال : وقول عائشة وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل اصح . وهذا الذي قاله الحافظي البيهقي رحمه الله تعالى هو الحق . ومن شاء الزيادة على ذلك فليرجع الى «تفسير ابن كثير » في أول سورة (الاسراء) وعند قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) من سورة (النجم).

الطيبـــة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقـــال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى . وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

وقوله : فتنثني بأمان . يشير إلى ما في حـديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا الى القبر ولما يلحد ، فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطير ، فأزم قليلاً – والازمام : السكوت – فلما رفع رأسه قال : « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا ، نزل عليه ملائكة من السماء ، معهم حنوط من الجنة ، وكفن من الجنة ، فيجلسون منه مد بصره ، وجاءه ملك الموت ، فجلس عند رأسه ، ثم يقول : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه ، فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء ، فاذا خرجت نفسه ، صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، إلا الثقلين . ثم يصعد به الى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، الى العرش ، مقربو كل سماء ، فاذا انتهى الى العرش ، كتب كتابه في عليين ، فيقول الرب عز وجل : ردوا عبدي الى مضجعه ، فاني وعـدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة اخرى ، فـــيرد الى مضجعه . وذكر الحديث[1].

قوله : واليه آمال العباد توجهت الخ ... عن سلمان الفارسيّ قال : قال

---

(١) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ : ان ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه اليه يدعو أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء »[1] هذا حديث مشهور .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا أنهم فطروا على ... إقرارهم لا شك بالديان

لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان

فسألت عنهم رفقتي وأحبتي ... أصحاب جهم حزب جنكسخان

من هؤلاء ومن يقال لهم فقد ... جاؤوا بأمر مالىء الآذان

ولهم علينا صولة ما صالها ... ذو باطل بل صاحب البرهان

أوَ ما سمعتم قولهم وكلامهم ... مثل الصواغر ليس ذا الجبان

جاؤوكم من فوقكم وأتيتم ... من تحتهم ما أنتم سيان

جاؤوكم بالوحي لكن جئتمُ ... بنحاتة الافكار والاذهان

قال في « القاموس » نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه. والنحاته بالضم : البراية .

قالوا مشبهة مجسمة فلا ... تسمع مقال مجسم حيوان

والعنهم لعناً كبيراً واغزهم ... بعساكر التعطيل غير جبان

---

(١) رواه أحمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : حسن غريب ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : سنده جيد .

واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم أولا فشردهم عن الأوطان

حذر صحابك منهم فهم أضل من اليهود وعابدي الصلبان

واحذر تجادلهم بـ« قال الله » أو « قال الرسول » فتنثني بهوان

أنى وهم أولى به قد أنفذوا فيه قوى الأذهان والأبدان

فاذا ابتليت بهم فغالطهم على التـ أويل للأخبـار والقرآن

وكذاك غالطهم على التكذيب للـ آحاد ذا ولصحبنا أصلان

أوصى به أشياخنا أشياخهم فاحفظهما بيديك والأسنان

واذا اجتمعت بهم بمشهد مجلس فابدر بايراد وشغل زمان

لا يملكوه عليك بالآثار والـ أخبار والتفسير للفرقـان

فتصير إن وافقت مثلهم وان عارضت زنديقاً أخا كفران

واذا سكت يقال هذا جاهل فابدر ولو بالفشر والهذيان

الفشار الذي تستعمله العامة ، بمعنى الهذيان ، ليس من كلام العرب ، قاله في « القاموس »

هذا الذي أوصى به أشياخنا في سالف الاوقات والأزمان

فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ومطيتي قـد آذنت بحران

قال في « القـاموس » : حرنت الدابة كنصر وكرم ، حرانا

بالكسر والضم ، فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت ، خاص بذوات الحوافر .

عطل ركابك واسترح من سيرها ماثم شيء غير ذي الاكوان

لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان

او كان رب بائن عن ذي الورى كان المجسم صاحب الايمـان

ولكان عند الناس أولى الخلق بالـ إسلام والإيمان والإحسان

ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنـان

أي لو كانت هذه الأقوال حقاً وهي اعتقاد المجسمة بزعمهم ، لكانوا عند الله أولى بالاسلام والايمان والاحسان ، ولكان هذا الحزب فوق رؤوس الناس ، ولأجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان .

فدع التكاليف التي حملتها واخلع عذارك وارم بالارسان

خلع العذار كناية.

ماثم فوق العرش من رب ولم يتكلم الرحمن بالقرآن

لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان

أي : لو نقول بأن الله فوق العرش ، لزم أن يكون متحيزاً يكون له مكان .

لو كان ذا القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً كان ذا جثمان

فاذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نفرا علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هذا القرآن عين كلام الرب سبحانه ، فكيف بقاء الايمان مع ذلك ؟!

فدع الحلال مع الحرام لأهله ... فبها السياج لهم على البستان

فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه ... قد هيئت لك سائر الالوان

وترى بها ما لا يراه محجب ... من كل ماتهوى به زوجان

قال في « القاموس » : سياج ككتاب : الحائط ، وما أحيط به على شيء ، مثل النخل والكرم ، وقد سيج حائطه تسييجاً .

واقطع علائقك التي قد قيدت ... هذا الورى من سالف الازمان

لتصير حراً لست تحت أوامر ... كلا ولا نهي ولا فرقان

لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى ... فوق السما للناس من ديان

لو قلت ما فوق السماء مدبر ... والعرش تخليه من الرحمن

والله ليس مكلما لعباده ... كلا ولا متكلما بقران

ما قال قط ولا يقول ولا له ... قول بدا منه إلى إنسان

لحللت طلسمه وفزت بكنزه ... وعلمت أن الناس في هذيان

قوله : منه بدا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة الاصفهاني » : قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه تعالى غير مخلوق ، وانكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم . إن كلامه تعالى مخلوق ، خلقه

في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود . قال : ومعنى قولهم : منه بدأ . أي : هو المتكلم به ، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات ؛ وأنه سبحانه لم يقم به كلام . قال : ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف ؛ بل صفة المخلوق لا تفارقه ، وتنتقل الى غيره ؛ فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره ؟ ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام الله ليس ببائن منه ، قال شيخ الاسلام : ومعنى قول السلف : واليه يعود ، ما جاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية . وما جاءت بـه الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين ، كالحديث الذي رواه الامام احمد في « المسند » وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي ﷺ أنـه قال : « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منـه » يعني القرآن . وفي لفظ « أحب اليه مما خرج منه » وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة : إن هذا كلام لم يخرج من إله . أي : من رب . وقول ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع قائلاً يقول لميت لما وضع في لحده : اللهم رب القرآن ، اغفر له . فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقـال : مه ؛ القرآن كلام الله ، ليس بمربوب ، منه بدأ ، واليه يعود . وهـذا الكلام معروف عن ابن عباس ، وقول السلف : القرآن كلام الله غـير مخلوق ، منه بدأ ، واليـه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة .

قال شيخ الاسلام في « شرح الاصفهانية » : وهذه الروايات لايدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم ، وينتقل الى غيره ، وإنما تدل على ان الله هو المتكلم بالقرآن - ومنه سمع - لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك الامام أحمد وغيره من الأئمة .

قال ابو بكر الخلال : سئل الامام أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، واليه يعود ، يعني ماقدمنا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زعمت بأن ربك بائن ... من خلقه إذ قلت موجودان

وزعمت أن الله فوق العرش والـ ... ـكرسي حقاً فوقه القدمان

وزعمت أن الله يسمع خلقه ... ويراهم من فوق ست ثمان

وزعمت أن كلامه منه بدا ... وإليه يرجع آخر الأزمان

ووصفته بارادة وبقدرة ... وكراهة ومحبة وحنان

ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لاينبغي إلا لذي الجثمان

وزعمت أن الله يعلم كل ما ... في الكون من سر ومن إعلان

والعلم وصف زائد عن ذاته ... عرضاً يقوم بغير ذي جثمان

وزعمت أن الله كلم عبده ... موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الأذنان

وكذا النداء فانه صوت باجمـ ... ـاع النحاة واهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضـ ... ـد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونا   جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل   نوعاه محذوران ممتنعان

قوله : ويراهم من فوق ست ثمان . أي : السموات السبع ، والإرضين السبع .

قوله : والعلم وصف زائد عن ذاته . لاخصوصية للعلم عن سائر الصفات ، فان مراد أهل الاثبات بقولهم : نحن نقول باثبات صفات لله زائدة على ذاته ، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات ، فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات ، فقال أهل الاثبات : نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء . وأما الذات نفسها الموجودة ، فتلك لايتصور أن تتحقق بلا صفة أصلا ، بل هذا بمنزلة من قال : اثبت انسانا ، لاحيواناً ، ولا ناطقاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ، ولا حياة ، ولا حركة ، ولا سكون ، ونحو ذلك ، أو قال : أثبت نخلة ليس لها ساق . ولا جذع ، ولا ليف ، ولا غير ذلك ، فان هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج . ولا يعقل ، ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفاة ، معطلة ، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله ، وان كانوا هم قد لايعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل ، والله أعلم . وهذا الركب الرابع الذي ذكره الناظم قولهم ، هم فيما يظهر ، الفخر الرازي ، والأسدي ، والشهرستاني والأثير الأبهري ، ونحوهم ممن خلط الكلام بالفلسفة ، فان لهم كلاماً يشبه ماذكره الناظم ، خصوصاً الفخر الرازي ، فانه قال في كتاب «أقسام اللذات» لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم ، وأنه ثلاث مقامات : العلم بالذات ، والصفات ، والأفعال ، وعلى كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة ، هل

الوجود هو الماهية أو زائدة على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة ، هل الصفات زائدة على الذات أو لا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة ، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ، ثم قال : ومن الذي وصل الى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ، ثم أنشد :

نهاية أقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولاتروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٧ ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : وكذاك غالطهم على التكذيب الآحاد الخ .. يشير الى أن المخالفين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله أصلين : أحدهما التأويل الآيات والأحاديث . والثاني : دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد ، وهي لاتفيد العلم واليقين . وللامام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك كتاب « إبطال التأويل » مجلد ، وكذلك للشيخ الامام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب « ذم التأويل » في جزء لطيف ، فارجع اليها ان شئت .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كلامه : ولهـــذا اعترض عبد الجبار ، وابن خطيب الري على الحديث ، وجعلوه من الآحـــاد ، لما رأوا أحاديث تخالف العقل ، وهي في الأصل موضوعة . انتهى .

وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحـاد ، وأنها تفيد العـلم ، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب « الصواعق »[1] .

الأول : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت الى الكعبة ، قبلوا خبره ، وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا الى القبلة ؛ ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ، بل شكروا على ذلك . وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الاولى ؛ فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لايفيد العلم . وغاية مايقال فيه إنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول : لايفيد العـلم بقرينة . ولا غيرها ، وهذا في غاية المكابرة . ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير نكير ، من أقوى القرائن وأظهرها ، فأي قرينة فرضتها ؛ كانت تلك أقوى منها .

الثاني قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات : ٦ وفي القراءة الاخرى (فتثبتوا) وهـذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ؛ لأنه يحتاج الى التثبت ؛ ولو كان خبره لايفيد العلم ؛ لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . وأيضاً فالسلف الصالح وأئمة الاســلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وفعل كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهـــذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي « صحيح البخاري » قال رسول الله ﷺ في عـــدة مواضع ؛ وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله ﷺ ، وإنما سمعه من صحابي غيره ،

---

(١) هو كتاب « الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه اليه من قول أو فعل . فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان شاهداً على رسول الله ﷺ بغير علم .

الثالث : أن أهل بالحديث لم يزالوا يقولون : صح عن رسول الله ﷺ ، وذلك جزم منهم بأنه قاله .

الرابع : قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٢٢ والطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم اذا رجعوا اليهم ، فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان ذلك الانذار أمراً بما لافائدة فيه .

الخامس : قوله : (ولا تقف ماليس لك به علم) الاسراء : ٣٦ أي : لاتتبعه ، ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لاتفيد علماً ، لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ماليس لهم به علم .

السادس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) النحل ٤٣ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولو الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم ، لم يأمر بسؤال من لايفيد خبره علماً ، وهو سبحانه لم يقل : سلوا عدد التواتر ، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً ، فلو كان واحداً ، لكان سؤاله وجوابه كافياً .

السابع : قوله تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال : (وما على الرسول

الا البلاغ المبين) المائدة : ٩٩ وقال النبي ﷺ : « بلغوا عني »[١] وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : « أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون؟» قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت[٢] ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد ، فان الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم . وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال : إن أخبار رسول الله ﷺ لا تفيد العلم أحد أمرين : إما أن يقول : ان الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ، وإما أن يقول : إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي علماً ، وإذا بطل هذان الامران ، بطل القول بأن أخباره ﷺ التي رواها الثقات العدول الحفاظ ، وتلقتها الامة بالقبول ، لا تفيد علماً ، وهذا ظاهر لا خفاء به .

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟» قالوا : نشهد انك قد بلغت ، واديت ونصحت . ورواه بلفظ « انتم مسؤولون عني » ابو داود ، والدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

الثامن : قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة : ١٤٣ . وقوله : (وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس) الحج : ٧٨. وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولاً خياراً ، ليشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم عن الله رسالته ، وأدوا عليهم ذلك ، وهذا يتناول شهادتهم على الأمم الماضية ، وشهادتهم على أهل عصرهم ومن بعدهم أن رسول الله ﷺ أمرهم بكذا ، ونهاهم عن كذا ، فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ وزعم أنه لم يأتهم من الله ماتقوم به عليه الحجة ، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل اليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة ، فلو كانت أحاديث رسول الله لا تفيد (العلم) لم يشهد به الشاهد ، ولم تقم به الحجة على المشهود عليه .

التاسع : قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف : ٨٦. وهذه الاخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن رسول الله ﷺ ، إما أن تكون حقاً ، وإما أن تكون باطلاً ، أو مشكوكاً فيها ، ولا يدرى هل هي حق أو باطل ، فان كانت باطلاً أو مشكوكاً فيها ، وجب اطراحها وأن لا يلتفت اليها ، وهـــذا انسلاخ من الاسلام بالكلية . وان كانت حقاً ، فتجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ ، وكان الشاهد بذلك شاهـــداً بالحق وهو يعلم صحة المشهود به .

العاشر : قول النبي ﷺ « على مثلها فاشهد »[1] وأشار الى الشمس ،

(١) اخرجه ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : « ترى الشمس ؟ » قال : نعم . قال : « على مثلها فاشهد او دع » . وقال الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » اخرجه ابن عدي باسناد ضعيف ، وصححه الحاكم فأخطأ .

ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على القطع أنه قال كذا وأمر به ، ونهى عنه ، وفعله ، لما بلغهم إياه الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، فيقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وحرم كذا ، وأباح كذا ، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به كالشمس في الوضوح ، ولا ريب أن كل من له التفات الى سنة رسـول الله ﷺ واعتناء بها ، يشهد شهادة جازمة إن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامـة ، وأن قوماً من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعـة ، وان الصراط حـق ، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك ، وأن الولاء لمن أعتق ، الى غير أضعاف أضعاف ذلك ، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقى بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها .

الحادي عشر : أن هؤلاء المنكرين لافادة أخبـار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم ، وأنهم قـالوا وقيل لهم . (ولو قيـل لهم)[1] : انها لم تصح عنهم ، لأنكروا ذلك غاية الانكار ، وتعجبوا من جهل قائله . ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم الا الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ونحوهم ، لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقيناً ، فكيف حصل لهم العلم الضروري ، أو المقـارب للضروري ، بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا ، وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهـم العلم بما أخـبر به أبو بكر الصـديق ، وعمر بن الخطاب ، وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ، ولا بما رواه عنهم التابعون ، وشـاع في الأمـة وذاع ، وتعددت طرقـه ، وتنوعت ، وكان حرصه عليـه أعظم

---

(١) جملة « ولو قيل لهم » زيادة وجدت على هامش الاصل .

بكثير من حرص أولئك على أقوال متبوعهم . إن هذا هو العجب العجاب .

الثاني عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال : ٢٤ . ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، ودعوته نوعان : مواجهة ، ونوع بواسطة المبلغ ، وهو مأمور باجابة الدعوتين في الحالتين ، وقد علم أن حياته في تلك الدعوة ، والاستجابة لها ، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالاجابة لما لا يفيد علماً ، أو يحييه بما لا يفيد علماً ، أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً ، بأنه إن لم يفعل عاقبه ، وحال بينه وبين قلبه .

الثالث عشر : قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ . وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ الى يوم القيامة ، ولو كان ما بلغه لم يفد علماً ، لما كان متعرضاً بمخالفة ما لا يفيد علماً للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الرابع عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء : ٥٩ الى قوله : (واليوم الآخر) النساء : ٥٩ ووجه الاستدلال أنه أمر أن يرد ما تنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله ، والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته ، فلولا أن المردود اليه يفيد العلم وفصل النزاع ، لم يكن في الرد اليه فائدة ، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى ما لا يفيد علماً البتة ، ولا يدري أحق هو أم باطل ؟!

وهذا برهان قاطع بحمد الله ، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله

ﷺ لاتفيد علماً : إنا نرد ماتنازعنا فيه إلى العقول ، والآراء ، والأقيسة ، فانها تفيد العلم .

الخامس عشر [١] : ما احتج به الشافعي رحمه الله تعالى ، فانه قال : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه الى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ،

---

(١) إن كل ماتقدم من الادلة على ان خبر الواحد العدل يفيد العلم ، إنما هو منقول عن كتاب « مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للعلامة ابن القيم ، وقد اسقط الشارح هنا الدليل الخامس عشر ، وانتقل الى السادس عشر فسماه : الخامس عشر . فأحببنا اثبات الدليل الخامس عشر الذي اسقطه الشارح هنا : الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) المائدة : ٤٩ الى قوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة : ٥٠ ووجه الاستدلال ان كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما انزل الله ، وهو ذكر من الله انزل على رسوله ، وقد تكفل سبحانه بحفظه ، فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة ولم يقم دليل على غلط وسهو ناقله ، لسقط حكم ضمان الله وكفالته لحفظه ، وهذا من اعظم الباطل ، ونحن لا ندعي عصمة الرواة ، بل نقول : إن الراوي اذا كذب او غلط او سها ، فلا بد ان يقوم دليل على ذلك ، ولا بد ان يكون في الامة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحججه وأدلته ، ولا تلتبس بما ليس منها ، فانه من حكم الجاهلية ، بخلاف من زعم انه يجوز ان تكون كل هذه الاخبار والاحكام المنقولة الينا آحاداً كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغايتها ان يكون كما قاله من لا علم عنده : (ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) الجاثية : ٣٢ .

فان دعوتهم تحيط من ورائهم (١)

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله ﷺ الى استماع مقالتـــه وحفظها وأدائها ، أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لايأمر من يؤدي عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدي اليه ، لأنه إنما يؤدى عنـه حلال يؤتى ، وحرام يتجنب ، وحد يقام ، ومـــال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا ، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه ، يكون له حافظاً ولا يكون فيه فقيهاً ، وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ، مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم . انتهى .

والمقصود أن خبر الواحد العدل ، لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لايقبل من أدى اليه إلا من عدد التواتر الذي لايحصل العلم إلا بخبرهم ، ولم يدع للحامل المؤدي ، وان كان واحداً ، لأن ماحمله لايفيد العلم ، فلم يفعل مايستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه الى أهل التواتر ، وهذا خلاف مااقتضاه الحديث .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب الى ذلك ، وحث عليه ، وأمر به لتقوم به الحجة على من أدي اليه ، فلو لم يفد العلم ، لم يكن فيه حجة .

---

(١) اورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » في الترغيب في الاخـــلاص والترغيب في سماع الحديث وتبليغه ، مطولاً ومختصراً ، من رواية احمد ، وابي داود ، والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ومن رواية ابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » والبزار والطبراني في « الاوسط » و « الكبير » قال المنذري : وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود ، ومعـــاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وابي الدرداء ، وابي قرصافة جندرة بن خشينة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واسانيد بعضهم صحاح .

السادس عشر ، حديث أبي رافع الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري يقول : لاندري ماهذا ؟ بينا وبينكم القرآن ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه » ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه ، أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ، بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ ، انها من الله أوحاها اليه ، فلو لم تفد علماً لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لاتفيد علماً ، فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ، ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ، ونهاهم عنه . ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله ، حذرهم منه ، فان القائل : إن أخباره لاتفيد العلم ، هكذا يقول ، سواء ، ماندري ماهذه الأحاديث ، وكان سلف هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخلفهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك وقالوا : نقدم العقول على هذه الاحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسة عليها .

السابع عشر : مارواه مالك عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبا طلحة الانصاري ، وأبي بن كعب شراباً من فضيخ ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة : قم ياأنس الى هذه الجرار فاكسرها ، فقمت الى مهراس لنا فضربتها بأسفله ، حتى كسرتها .

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول خبر التحريم حيث ثبت به التحريم لما كان حلالاً وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شفاها ،

وأكد ذلك القبول باتلاف الإناء وما فيه ، وهو مال ، وما كان ليقدم على اتلاف المال بخبر من لا يفيد خبره العلم ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ ، بحيث لم يشكوا ولم يرتابوا في صدقه ، والمتكلفون يقولون : إن مثل ذلك الخبر لا يفيد العلم ، لا بقرينة ولا بغير قرينه .

الثامن عشر : أن خبر الواحد لو لم يفد العلم ، لم يثبت به الصحابة التحليل ، والتحريم ، والاباحة ، والفروض ، ويجعلون ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر ، فهذا الصديق رضي الله عنه زاد في الفروض التي في القرآن ، فرض الجدة ، وجعله شريعة مستمرة الى يوم القيامة بخبر محمد ابن مسلمة ، والمغيره بن شعبة فقط ، وجعل حكم ذلك الخبر في اثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في اثبات فرض الأم ، ثم اتفق الصحابه والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ، وأثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبر حمل بن مالك دية الجنين ، وجعلها فرضاً لازماً للأمة ، وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي وحده ، وصار ذلك شرعاً مستمراً الى يوم القيامة ، وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريعة بنت مالك وحدها ، وهذا اكثر من أن يذكر ، بل هو إجماع معلوم منهم . ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات ، ونحن لا ننكر ذلك ، لأنا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ، ولو جاز أن يكون كذباً أو غلطاً في نفس الأمر ، لكانت الامة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به ، وهذا قدح في الدين والأمة .

التاسع عشر : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر

الواحد ، ويقطعون بمضمونه ، فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة قائلاً له : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) القصص ٢٠ فجزم بخبره ، وخرج هارباً من المدينة ، وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) القصص : ٢٥ وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي ، وتزوجها بخبره ، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك ، وقال له : (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة) يوسف : ٥٠ وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له ، وغزاهم بخبرهم ، واستباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذراريهم . ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها ، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً ، وكذلك الامة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن تكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به ، بل يجوز أن يكون كذباً وخطأ في نفس الأمر ، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر .

العشرون : أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول ، لو لم يفد العلم ، لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن ، لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطاباتهم ، فيقولون : شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله ﷺ ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق الأخبار ، جازمين بها ، لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولاً[1] على الله ورسوله بغير علم . لعمر الله هذا حقيقة [illegible] بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها .

---

(١) في الاصل : والقول.

قال أبو عمرو ابن الصلاح وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته : وهـذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد الا الظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول ، لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطىء. قال : وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي المذهب الذي اخترناه هو الصحيح ، لأن ظن من هـو معصوم من الخطأ لا يخطىء ، والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ، ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ، وهـذه نكتة نفيسة نافعة . انتهى .

ونقل الناظم ايضاً قال : قال شيخ الاسلام ابن تيمية وقد قسم الأخبار الى تواتر وآحاد ، فقال بعد ذكر التواتر : وأما القسم الثاني من الأخبار ، فهو ما لا يرويه الا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه . ولكن تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به ، أو تصديقاً له ، كخبر عمر بن الخطاب . « إنما الأعمـال بالنيات »[١] وخبر ابن عمر « نهى عن بيع الولاء وهبته »[٢] وخبر أنس « دخل مكة وعلى رأسه المغفر »[٣] وكخبر أبي هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها »[٤] وكقوله : « يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب »[٥] وقوله : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها ، فقد وجب الغسل »[٦] وقوله في المطلقة ثلاثاً :

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم في « صحيحه » عن عائشة بهذا اللفظ . وور بلفظ آخـر في « الصحيحين » عن عائشة « ان الرضاعة تحرم ماتحرم الولادة » .

(٦) متفق عليه من حديث ابي هريرة .

« حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك »[١] وقوله : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ »[٢] وقوله : « إنما الولاء لمن أعتق »[٣] وقوله ، يعني ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان « على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى .»[٤] وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين.

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، مثل السرخسي ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي الطيب ، والشيخ أبي اسحاق من الشافعية ، وابن خويز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي أبي يعلى ، وابن أبي موسى ، وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ، ومثل اسحق الاسفرايينى ، وابن فورك ، وأبي اسحاق النظام من المتكلمين ؛ وانما نازع في ذلك طائفة ، كابن الباقلاني ومن تبعه ، مثل أبي المعالي ، والغزالي ، وابن عقيل ، وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول ، وصححه ، واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني ، فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وانما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : « أتريدين ان ترجعي الى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ؟ ! »

(٢) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه بمعناه ، وهو ملفق من حديثين .

القائلين به ليتقوى بهم ، وانما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة ، أن هـذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو ، انفرد به عن الجمهور ، وعـذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل الى مايجدونه من كلام ابن الحـاجب . وإن ارتقوا درجة ، صعدوا الى السيف الآمدي ، والى ابن الخطيب ، فان علا سندهم صعدوا الى الغزالي ، والجويني ،والباقلاني . قال : وجميـع أهـل الحديث على ماذكر الشيخ أبو عمرو ، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً وعملاً إجماع منهم ، والأمـة لاتجتمع على ضلالة ، كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق ، او اسم حقيقة ، أو على موجب قياس ، فانها لاتجتمع على خطأ ، وان كان الواحـد منهم لوجود النظر اليه لم يؤمن عليه الخطأ ، فان العصمة ثبتت بالسنة الاجماعية ، كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده ، ولا يجوز على المجموع ، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها ، كما قال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر ،فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر »[١] فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها ، والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنونا بشروطها ، فاذا قويت صـارت علوماً ، واذا ضعفت صارت أوهاماً وخيالات فاسدة ، قال : وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره ، اذ هو خلاف ماوصفهم الله تعالى به . فان قيل : أما الجزم بصدقـــه ، فلا يمكن منهم ، وأما العمل به ، فهو الواجب عليهم ، وان لم يكن صحيحاً

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، بلفظ « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر » .

ورواه البخاري ايضاً بلفظ «أرى رؤياكم في العشر الاواخر فاطلبوها في الوتر منها ».

في الباطن ، وهذا سؤال ابن الباقلاني . قلنا : وأما الجزم بصدقه ، فانه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم ، إذالقرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها ، فكيف اذا احتفت بالخبر ، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي ، أن العلم بمجرد الأخبار لايحصل الا من جهة العدد ، فلزمه أن يقول ما دون العدد لا يفيد أصلاً ، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه ، وأما العمل به ، فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً - وقد وجب علينا العمل به - لانعقد الاجماع على ماهو كذب وخطأ في نفس الأمر ، وهذا باطل ، فاذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول باجماع السلف والصحابة، أولى أن يدل على صدقه ، فانه لا يمكن أحداً أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك ، فقد انتشرت انتشاراً لاتضبط أقوال جميعها .

قال : واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب ، كما ذكر الشيخ أبو عمرو ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، فانما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق، فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فان الاعتبار في الاجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به ، دون غيرهم ، كما لم يعتبر على الاجماع في الأحكام الشرعية الا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم ، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم الى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم، فضلا (عن) أن يتواتر

عندكم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله ، يعلمون من ذلك علماً لايشكون فيه ، مما لاشعور لغيرهم به البتة ، فخبر أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود ، ونحوهم ، يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ ، أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك .

وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة ، قاطعون بصحتها عنه ، وغيرهم لاعلم عنده بذلك ، والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء . انتهى .

وقد أطال الناظم رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام ، وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ، ولكن تركناه اختصاراً ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله أعلم .

وقول الناظم :

وزعمت أن الله كلم عبده ... موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الأذنان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الاذنان

ولذا النداء فانه صوت باجمـ ... ـاع النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضـ ... ـد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونـــا جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل نوعان محذوران ممتنعـــان

هذا إشارة الى الرد على القائلين بالكلام النفسي ، والمعنى المجرد .

قال شيخ الاسلام : فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ (وناديناه من جانب الطور الايمـــن وقربناه نجيا) مريم : ٥٢ (فلما أتاها نودي ياموسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) طه : ١١ - ١٤ الآيات ؛ تكليم يسمعه موسى ، والمعنى المجرد لايسمع بالضرورة ، ومن قال : إنـــه يسمع فهو مكابر ، ودل الدليل على أنه ناداه ، والنداء لايكون إلا صوتاً مسموعاً ، فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً . انتهى .

وقال الامام موفق الدين بن قدامـــة في قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) (وكلمه ربه) وقال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) وقال تعالى : (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) أجمعنا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله ، لا من شجرة ، ولا من حجر ، ولا من غيره ، لأنـــه لو سمع من غير الله تعالى ، لكان بنو اسرائيل أفضل في ذلك منه ، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منـــه موسى ، لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام ، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة . ثم يقال لهم : لم سمي موسى كليم الله ، وإذا ثبت أن موسى عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحرفاً ، فانه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية ، لم يكن

ذلك تكليما لموسى ، ولا هو شيء يسمع ، والفكر لايسمى مناداة ، فان قالوا : نحن لانسميه صوتاً مع كونه مسموعاً . قلنا : هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لايعني بالصوت الا ما كان مسموعاً ، ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار .

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم إياه إلهاماً . قال : وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياسات على أصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم ، فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لاتقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من « شرح البخاري » قوله ﷺ : « ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد » حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف ، أي : يأمر من ينادي ، فاستبعده بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله : « يسمعه من بعد » إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضاً لم يصعقوا . قال : فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ، ليس يشبه صوت غيره ، إذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين . قال : وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » انتهى .

ومن الاحاديث في اثبات الصوت ، مارواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن أنيس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله العباد ،

«الناس» وأومأ بيده الى الشام «حفاة عراة غرلاً بهماً» قال: ليس معهم شيء . قال : «فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبة بظلمه حتى اللطمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بظلمة حتى اللطمة » قلنا : كيف وانما نأتي حفاة عراة غرلاً ؟ ! قال : « بالحسنات والسيئات » أخرج أصله البخاري تعليقاً مستشهداً بـــه إلى قوله : « أنا الملك ، أنا الديان » وأخرجـــه الامام أحمد[1] وأبو يعلى الموصلي ، والطبراني ، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : بلغني أن للنبي ﷺ حديثاً في القصاص، وكان صاحب الحديث بمصـــر ، فاشتريت بعيراً ، فشددت عليه رحلاً ، وسرت حتى وردت مصر ، فمضيت الى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه ، فخرج الي مملوكه ، فنظر في وجهي ولم يكلمني ، فدخل الى سيده فقـــال : أعرابي. فقال : سله من انت ؟ فقال: جابر بن عبد الله الانصاري : فخرج الي مولاه ، فلما تراءينا اعتنق أحدنا بصاحبه ، فقال : ياجابر ، ماجئت تعرف؟ فقلت: حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص ، ولا تظنن أن أحداً ممن مضى وممن بقي أحفظ له منك . قال : نعم ياجابر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أن الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلاً بهما ، ثم ينادي بصوت رفيع غير

---

(١) واورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » بلفظ قريب مما أورده الشارح هنا عن عبدالله بن أنيس ، وقال في آخره : رواه احمد باسناد حسن .

فظيع ، يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان ؛ لاتظالم اليوم ، أمـــا وعزتي لايجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، أو يد على يده ألا وان أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط ، فلترتقب أمتي العذاب ، اذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال » . وقد رواه عبد الحق الاشبيلي من طريق الحارث بن ابي أسامة ، ومن « مسنده » نقله ، وخرجه علي بن معبد البغوي الملكي وغيره ، وفيه : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، ثم سرت اليه ؛ فسرت شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري ، فأتيت منزله ، فأرسلت اليه أن جابراً على الباب ، فرجع الرسول الي فقال : جابر بن عبد الله ؟ قلت : نعم ، فرجع اليه ، فخرج فاعتنقته : فقلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد » أو قال : « الناس » . . . الحديث . وفي حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر[١] السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، فيقولون : ياجبريل ماذاقال ربك ؟ قال : فيقول :[٢] الحق ، فينادون : الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري ؛ وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، وكذا رواه الامام أحمد ، وابنه عبد الله ، وقال : سألت أبي ، فقلت : ياأبي ، الجهمية يزعمون أن الله لايتكلم بصوت ، فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل .

---

(١) في الاصل : كحجر ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن ابي داود » .

(٢) في الاصل : يقول ، والتصحيح من « سنن ابي داود »

وروى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . قال السجزي . وما في رواة هذا الخبر الا إمام مقبول ، وتتمة الخبر : فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال : سكن عن قلوبهم - قال أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق . قال كذا وكذا . قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل هذا لايقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفاً ، لأنه إثبات صفة للذات . انتهى .

وقد روي في اثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثاً ، بعضها صحاح ، وبعضها حسان ؛ ويحتج بها ، أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره .

وأخرج الإمام أحمد غالبها ، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضاً في « شرح البخاري » واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث ، على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الأصل ، واعتقدوه ، واعتمدوا على ذلك ، منزهين الله تعالى عما لايليق بجلاله من شبهات الحدوث ، وسمات النقص ، كما قالوا في سائر الصفات ، فاذا رأينا أحداً من الناس ممن لايقدر عشر معشار هؤلاء ، قد دونوا هذه الصفات ، وعملوا بها ، ودانوا لله سبحانه وتعالى بها ، وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت ، لايشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة ، معتمدين على ماصح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لاينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، مع اعتقادهم الجازم الذي لايعتريه شك ولا وهم ولا خيال ، نفي التشبيه والتمثيل ، والتحريف ، والتعطيل ، بل يقولون في صفة الكلام ، كما يقولون في سائر الصفات ، إثباتاً بلا تمثيل ،

وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما عليه سلف الامة ، وفحول الأئمة ، فهو حق اليقين ، وما بعد الحق الا الضلال .

قال الناظم رحمه الله تعالى

وزعمت أن محمداً أسري به ليلا إليـــه فهو منه دان

وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان

حتى يرى المختار حقاً قاعداً معه على العرش الرفيع الشان

وزعمت أن لعرشه أطاً بـه كالرحل أط براكب عجلان

وزعمت أن الله أبدى بعضه للطور حتى عاد كالكثبان

لما تجلى يوم تكليم الرضى موســى الكليم مكلّم الرحمن

وزعمت للمعبود وجهاً باقيا وله يمين بل زعمت يــدان

وزعمت أن يديه للسبع العلى والارض يوم الحشر قابضتان

وزعمت أن يمينه ملأى من الخيرات ما غاضت على الازمان

وزعمت ان العدل في الاخرى بها رفع وخفض وهو بالميزان

وزعمت ان الخلق طراً عنده يهتز فوق اصابع الرحمن

وزعمت ايضاً ان قلب العبد ما بين اثنتين من الأصابع عان

وزعمت ان الله يضحك عندما يتقابل الصفان يقتتلان

من عبده يأتي فيبدي نحره لعدوه طلباً لنيل جنـــان

وكذاك يضحك عندما يثب الفتى من فرشه لتلاوة القرآن

وكذاك يضحك من قنوط عباده إذ أجدبوا والغيث منهم دان

وزعمت ان الله يرضى عن أولي الحسنى ويغضب من أولي العصيان

وزعمت ان الله يسمع صوته يوم المعاد بعيدهم والداني

لما يناديهم أنا الديان لا ظلم لديّ فيسمع الثقلان

وزعمت أن الله يشرق نوره في الارض يوم الفصل والميزان

وزعمت ان الله يكشف ساقه فيخر ذاك الجمع للأذقان

وزعمت ان الله يبسط كفه لمسيئنا ليتوب من عصيان

وزعمت ان يمينه تطوي السما طي السجل على كتاب بيان

وزعمت ان الله ينزل في الدجى في ثلث ليل آخر أو ثان

فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني

وزعمت أن له نزولا ثانيا يوم القيامة للقضاء الثاني

وزعمت أن الله يبدو جهرة لعباده حتي يرى بعيان

بل يسمعون كلامه ويرونه فالمقلتان اليه ناظرتان

وزعمت أن لربنا قدماً وان الله واضعها على النيران

فهناك يدنو بعضها من بعضها وتقول قط قط حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم كل يحاضر ربه ويداني

بالحاء مع ضاد وجامع صادها وجهان في ذا اللفظ محفوظان

في الترمذي ومسند وسواهما من كتب تجسيم بلا كتمان

ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار وذانك الأصلان

أصل التفرق بين هذا الخلق في الباري فكن في النفي غير جبان

أولا فلا تلعب بدينك ناقضاً نفياً باثبات[1] بلا فرقان

فالناس بين معطل او مثبت او ثالث متناقض صنعان

والله لست برابع لهم بلى إما حماراً او من الثيران

فاسمح بانكار الجميع ولا تكن متناقضاً رجل له وجهان

اولا ففرق بين ما أثبته ونفيته بالنص والبرهان

فالباب باب واحد في النفي والـ إثبات في عقل وفي ميزان

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع او ائت بالفرقان

ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله فمجسم متناقض ديصان

فذروا المراء وصرحوا بمذاهب القدماء وانسلخوا من الايمان

قول الناظم رحمه الله تعالى : وزعمت أن محمداً أسري به الخ . تقدم الكلام في الاسراء بما يغني عن الاعادة .

قوله . وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان الخ

---

(١) في الاصل : واثبات ، والصواب ما اثبتاه .

ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب «العلو» قال: أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن بن المبارك: أنبأنا عبد الله بن أحمد الفقيه، أنبأ ابن البطي، أنبأ ابن خيرون، أنبأنا أبو علي ابن شاذان، أنبأنا أبو سهل القطان، ثنا عبد الكريم الدير عاقولي، ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا: أنبأنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يجلسه، أو يقعده على العرش، هذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروذي مصنفاً، ثم قال الذهبي بعد ذلك: فأما قضية قعود نبينا على العرش، فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه، فقد أنكره بعض أهل الكلام. فقام المروذي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً، وطرق قول مجاهد، منه رواية ليث ابن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وأبي يحيى القتات، وجابر بن يزيد، فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الاثر يسلم ولا يعارض، أبو داود السجستاني صاحب «السنن» وابراهيم الحربي، وخلق، بحيث أن ابن الامام أحمد قال عقيب قول مجاهد: أنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء منهم، سمعته من جماعة، وما رأيت محدثاً ينكره. وعندنا إنما تنكره الجهمية. وقد حدثنا هارون ابن معروف، ثنا محمد بن فضيل، عن ليث عن مجاهد في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يقعده على العرش، فحدثت به أبي رحمه الله. فقال: لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل، بحيث أن المروذي روى حكاية (ينزل) عن إبراهيم بن عرفة: سمعت ابن عمير يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: هذا قد تلقته العلماء بالقبول. وقال المروذي: قال أبو داود السجستاني. ثنا ابن أبي صفوان الثقفي،

ثنا يحيى بن كثير ، ثنا سالم بن جعفر وكان ثقة ، ثنا الجريري ، ثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم ﷺ ، حتى يجلس بين يدي الله عز وجل على كرسيه . . . الحديث

وقد رواه ابن جرير في تفسيره ، أعني قول مجاهد ، ثم قال ابن جرير : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره ، وكذلك أخرجه النقاش في تفسيره . وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من انكره . انتهى .

قوله : وزعمت أن لعرشه أطاً به الخ . . عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال . فاستسق ربك ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ، سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال : ويحك أتدري ما الله : إن شأنه أعظم من ذلك ، إنه لايستشفع به على أحد ، إنه لفوق سمواته على عرشه ، وانه عليه لهكذا » وأشار وهب بيده مثل القبة عليه . وأشار ابن الازهر أيضاً « وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب »[١] أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد عن وهب ، ولفظه : إن عرشه على سمواته ، ساقه الذهبي في كتاب « العلو » من عدة طرق ، من طريق ابن إسحق ، ثم قال : هذا حديث غريب جداً فرد ، وابن اسحق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم ، هل قال ﷺ هذا أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ،

(١) هذا الحديث رواه محمد بن اسحاق معنعناً ، فهو ضعيف لتدليسه ، ولايصح في أطيط العرش حديث .

ولا إله غيره . والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل . ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الأحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فأما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فإنا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب . انتهى كلامه .

قوله : وزعمت أن الله أبدى بعضه الخ ... روى الترمذي في « جامعه » عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) الاعراف : ١٤٣ قال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبل ، وخر موسى صعقاً . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وروى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه إلا مثل الخنصر . قال : فجعله دكاً . قال : تراباً (وخر موسى صعقاً) غشي عليه ، (فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك) عن أن أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال : أول من آمن بك من بني اسرائيل . ورواه الطبراني أيضاً . ورواه البيهقي في كتاب إثبات الرؤية له : اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن اسحق . يعني العدناني ، ثنا عمرو ابن طلحة في التفسير ، ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعله دكاً .

قوله : وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله عين الخ ... يأتي الكلام في الوجه

واليدين إن شاء الله تعالى [١]

قوله : وزعمت أن يده للسبع العلى الخ.. روى البخاري في « صحيحه » عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : «ان الله يقبض يوم القيامة الأرض ، وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » . وفي « الصحيحين » أيضاً ، واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بيـــده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

قوله : وزعمت أن يمينه ملأى الخ . . . يشير إلى قوله ﷺ : «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم مـــا أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض مافي يمينه ، وفي يده الأخرى العدل ، يخفض بها ويرفع » . قوله : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ... يشير الى قوله ﷺ (« يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ») [٢] .

قوله : وزعمت أيضاً أن قلب العبد ما...الخ . . عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

---

(١) في الاصل بياض هنا ، ولعله اراد ان يقول : يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى في بابه .

(٢) في الاصل بياض هنا ، وأثبتنا هذا الحديث الذي رواه البخاري بين القوسين ، لانه هو الذي يشير الى قول المصنف : وزعمت ان الله يضحك عندما الخ .

قوله: وكذلك يضحك من قنوط عباده . . يشير الى ما في حديث أبي رزين عن النبي ﷺ قال : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، ينظر اليكم أذلين قنطين ، ويظل يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب » فقال له أبو رزين : أو يضحك الرب ؟ قال : نعم . فقال : لن نعدم - من رب يضحك - خيراً .

قوله : وزعمت أن الله يبسط كفه ... يشير الى حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم ، (وقوله في الحديث المتفق على صحته «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، تقبلها بيمينه » وقوله : « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم »)[١] .

قال الخلال في كتاب « السنة » قال حنبل : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي إن الله تبارك وتعالى ينزل الى سماء الدنيا ، وأن الله يرى ، وأن الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث . فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق اذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ، ولا غاية ، ليس كمثله شيء . وقال حنبل في موضع آخر : ليس كمثله شيء في ذاته ، كما وصف به نفسه . وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة

---

(١) كان في الأصل هنا بياض ، فاخترنا هذه الزيادة التي بين القوسين تتميما للفائدة .

لنفسه ، فحد لنفسه صفة ، ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة، ولا معلومة ، إلا بما وصف الله نفسه به . قال الله تبارك وتعالى : (وهو السميع البصير) الشورى : ١١ وقال حنبل في موضع آخر : وهو سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ووصف وصف به نفسه من كلام ، وخلوه بعبده ، ووضعه كنفه عليه ، هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا بدعة . والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكلما غفوراً عالمـــاً ، عالم الغيب والشهادة ، علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه ، لا ترد ولا تدفع ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٧ كيف شاء ، المشيئة إليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه ، سميع بصير بلا حد . ولا تقدير قول إبراهيم لأبيه (لم تعبد مـــا لا يسمع ولا يبصر) مريم : ٤٢ فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن والحديث والخبر : يضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وتثبيت القرآن ، لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عمـــا تقول الجهمية والمشبهة . قلت له : والمشبهة مايقولون ؟ قال : من قال : بصر كبصري ، ويد كيدي . انتهى .

قوله : فالنـــاس بين معطل أو مثبت الخ . . . المعطلة ، كالجهمية ، والمعتزلة . والمثبتة ، يعني السلف وأتباعهم . والثالث المتناقض ، كالذين

يثبتون بعض الصفات ، وينفون بعضها ، ولهذا قال الناظم : فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع ؛ أي : إنه يلزمكم إذا أثبتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها ، وإلا فانفوها جميعها ، اذ ليس بأيديكم فرق صحيح ، وسيأتي إبطال ما فرقوا به في كلام الناظم رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وقوله : ديصان . قال الناظم في « إغاثة اللهفان » وحكى أرباب المقالات عنهم ، أي عن الثنوية أن قوماً منهم يقال لهم : الديصانية ، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة[1] ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم - زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه ، فتوحل فيها[2] واختلط بها ، فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور ، فما كان من جهة الصلاح ، فمن النور ، وما كان من جهة الفساد ، فمن الظلمة. قال : وهؤلاء يقتالون الناس ويخنقونهم ، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك ، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . انتهى .

وقوله : القدماء ، يعني الفلاسفة .

اوقاتلوا مع يمة[3] التجسيم والتشبيه تحت لواء ذي القرآن

أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان

فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه ببيان

والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو شبيه أتان

فاصنع من التنزيه ترساً محكما وانف الجميع بصنعة وبيان

وكذاك لقب مذهب الإثبات بالتجسيم ثم احمل على الأقران

---

(١) في الاصل حسنة . (٢) في الاصل : فتحول عنها

(٣) أي مع أئمة ، وحذفت الهمزتان لضرورة الوزن .

فمتى شبحت لهم بوصف واحد حملوا عليك بحملة الفرسان
فصرعت صرعة من غدا متلبطاً وسط العرين ممزق اللحمان
فلذاك أنكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن
ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا في سالف الازمان
ولنا ملوك قاوموا الرسل الأُلى جاؤوا باثبات الصفات كمان
في آل فرعون وقارون وها مان ونمروذ وجنكسخان

قوله : جنكسخان ، ويقال : جنكزخان ، وهو طاغية التتار ، وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩ هـ)[1] واستولى على بخارى وسمرقند ١٠ سنة ، واستولى على مدن خراسان ١٧ سنة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند ، ووصل الى مدينة سكب من بلاد الخطا ، فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان ٦٢٤ سنة فكانت أيام ملكه خمساً وعشرين سنة . وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجي ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الاولاد ستة ، وفوض الأمر إلى أوكتاي أحدهم بعد ما استشار الخمسة الباقين ، فلما مات امتنع أوكتاي من الملك ، وقال : في إخواني وأعمامي من هو أكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم ، ولقبوه :

---

(١) في الاصل « ٥٠٩ » وهو خطأ ، والتصحيح من « البداية والنهاية » لابن كثير.

القان الأعظم ، ومعناه : الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات، وطالت أيامه ، وولي بعده الامر موتكوقا ، وهو القان الذي هو لا كو من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر الى سنة ٧٤٠ ومات بمدينة خان بالق ، يقال : إنــه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ، ويقتلهم ، ويسبي ذراريهم وأولادهم ، ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم ، اجتمع[١] التتار ، وشكوا ما يلاقون[٢] من خوارزم شاه ، وما هم فيه من الضيق والبلاء . فقال لهم جنكزخان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعـــة واتباع الذي أضعه لكم شرعة ، رددت خوارزم عنكم ، فالتزموا له بذلك ، وكان مما وضعه لهم أن قال : كل من أحب امرأة بنتاً كانت او غيرها ، لا يمنع من التزوج ، ولو كان زبالاً والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه ان يتناكحوا بشهوة شديدة[٣] ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنته عشرين سنة ؛ فما جاءت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يحصون ، ولا يحصرون . وكان من جملة ماقرره أنه إذا حرم القان على احد شيئاً ، فلايحل له الى أن تأتيه الممات ، وقرر لهم أن (من) رعف وهو يأكل قتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمــه أنهم يداخلهم الحسد له ، ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سماطه ، فرعف فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر ، وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً ، وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتم حكم

---

(١) في الاصل : اجتمعوا (٢) في الاصل : يلاقوا .

(٣) في الاصل شديد .

اليسق في ، وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك .
فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل
أكابرهم ، واستراح منهم. والترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم
أماكن فيها غاب الغاب ، لايقربه أحد من الذكران ، وأن أمه أعتقت
فرجها ، وراحت الى ذلك الغاب وغابت فيه مدة ، وأتتهم
وقالت : هذا من الشمس ، لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا
أغتسل ، فحملت بهذا . ويقال : إنه كان حداداً ، والله اعلم ، كذا في
« تاريخ ابن شاكر »

قوله : أتان بفتح الهمزة : هي الأنثى من الحمير . قال ابن السكيت :
ولا يقال أتانة : وجمع القلة: أتن ، مثل عنق وأعنق ، وجمع الكثرة :
أتن بضمتين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى … لم يعبؤوا أصلاً بذي الأديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى … هذا الأوان وعند كل أوان
مافيهم من قال إن الله فو … ق العرش خارج هذه الاكوان
كلا ولا قالوا بأن إلهنا … متكلم بالوحي والقرآن
ولأجل هذا رد فرعون على … موسى ولم يقدر على الإيمان
إذ قال موسى ربنا متكلم … فوق السماء وأنه ناداني

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهان

وكذلك الطوسيّ لما أن غدا ذا قدرة لم يخش من سلطان

قتل الخليفة والقضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان

إذ هم مشبهة مجسمة وما دانوا بدين أكابر اليونان

ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل والتشبيه آل سنان

ولنا تصانيف بها غالبتم مثل «الشفا» و«رسائل الاخوان»

وكذا الاشارات التي هي عندكم قد ضمنت لقواطع البرهان

قد صرحت بالضد مما جاء في التوراة والانجيل والفرقان

هي عندكم مثل النصوص وفوقها في حجة قطعية وبيان

وإذا تحاكمنا فانّ اليهم يقع التحاكم لا إلى القرآن

إذ قد تساعدنا بأن نصوصه لفظية عزلت عن الايقان

فلذاك حكّمنا عليه وأنتم قول المعلم أولاً والثاني

يا ويح جهم وابن درهم والألى قالوا بقولهما من الخوران

بقيت من التشبيه فيه بقية نقضت قواعده من الأركان

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا يلوي على خبر ولا قرآن

ويقول إن الله يسمع أو يرى وكذاك يعلم سر كل جنان

ويقول إن الله قد شاء الذي ... هو كائن من هذه الاكوان
ويقول إن الفعل مقدور له ... والكون ينسبه الى الحدثان
وبنفيه التجسيم يصرخ في الورى ... والله ما هذان متفقان
لكننا قلنا محال كل ذا ... حذراً من التشبيه والإمكان

أما ابن سينا ، فهو على مافي « تاريخ ابن خلكان » وغيره . أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري (والده من بلخ . سكن بخارى أيام الأمير نوح ، ثم تزوج امرأة بقرية (أفشنة) وبها ولد أبو علي المذكور الملقب بالرئيس ، وختم القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي ، وحل اقليدس ، والمجسطي ، والطب، وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ثم انتقل من بخارى الى جرجان وغيرها ، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة ابن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن شكمير ، ثم قصد علاء الدولة ابن كاكويه بأصبهان ، وتقدم عنده ، ثم مرض بالصرع ، والقولنج ، وترك الحمية ، ومضى الى همذان مريضاً ومات بها سنة ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرين ، وعمره إحدى وخمسون سنة[١] . قال ابن خلكان : ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية على ما قيل ، ترك المداراة ، واغتسل ، وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة ختمة . مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان وقيل : مات في السجن ، وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين ، والله أعلم . وله نحو مائة مصنف ، منها كتاب « الشفاء » في الحكمة « و الاشارات » ، وفي الطب « القانون » وغيره ، وله شعر ، ومنه القصيدة المشهورة في الروح ، وهي :

---

(١) في الاصل : ومات سنة اربعمائة وثمان وثلاثين سنة ، وعمره ثمان وخمسون سنة وهو خطأ ، والتصحيح من « الاعلام » و « وفيات الاعيان » .

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنّع

وأما النصير الطوسي . فهو محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي ، صاحب « الرياضي » ، « و « الرصد » ، كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد ، والمجسطي ، فانه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي ، وغيره ، وكان ذا حرمة وافرة ، ومنزلة عالية عند هولا كو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى بـ(مراغة) قبة ، ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، و لأها من الكتب التي نهبت من بغداد ، والشام ، والجزيرة ، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة الف مجلد ، وقرر بالرصد المنجمين ، والفلاسفة ، والعقلاء ، وجعل له أوقافاً ، وكان حسن الصورة ، سمحاً كريماً ، جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضائل ، واختصر « المحصل » للامام فخر الدين ، وهذبه ، وزاد فيه ، وشرح « الاشارات » ورد على الامام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح ، وما هو بشرح . وقال فيه : حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً . ومن تصانيفه « التجريد » في المنطق و « أوصاف الاشراف » و « قواعد العقائد » و « التلخيص » في الكلام و « شرح كتاب ثمرة بطليموس[1] » ، وكتاب « المجسطي » و « شرح مسألة العلم » و « رسالة الإمامة » ورسالة الى نجم الدين الكاتبي في اثبات الواجب ، وحواشي على كليات « القانون » وغير ذلك . وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلي ، ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وغيرهما ، وكان منجماً لا ئقاً[2] بعد أبيه ،

---

(١) في الاصل : « وشرح الهمزة لبطليموس » ، والتصحيح من كتاب « الاعلام » .

(٢) هذه الكلمة لم تكن واضحة في الأصل .

وكان يعمل الوزارة لهولاكو ، من غير أن يدخل يده في الأمـوال ، واحتوى على عقله ، حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به ، ومولد النصير بطوس ٥٩٧ سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ، ودفن في مشهد الكاظم . انتهى ملخصاً من « تاريخ ابن شاكر »

قلت : ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في « منهاج السنة النبوية » في الرد على ابن المطهر الرافضي لما ذكر قوله : قال شيخنا الأعظم خواجه نصر الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، الى آخر ما ذكر ابن المطهر . فقال الشيخ في الجواب :

الجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا الامامي قد كفر من قال : إن الله موجب بالذات ، كما تقدم من قوله : يلزم أن يكون موجباً بذاته لا مختاراً ، فيلزم الكفر ، وهذا الذي جعله شيخه الاعظم ، واحتج بقوله ، هو ممن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب « شرح الاشارات » له ، فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافراً ، والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين .

الثاني : ان هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الاسماعيلية بالألموت ، ثم لما قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجاؤوا الى بغداد دار الخلافة ، كان هـذا منجماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاكو . أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء

المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة وأمثالهم ، وانه لما بنى الرصد الذي
بـ(مراغة) على طريقة الصابئة ، كان أخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل
أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعد عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ،
ومثل المعطلة ، وسائر المشركين ، وان ارتزقوا[1] بالنجوم والطب ونحو ذلك.

ومن المشهور عنه وعن أتباعه ، الاستهتار بواجبات الاسلام وحرماته ،
لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش
والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى إنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من
إضاعة الصلوات ، والفواحش ، وشرب الخمور ، ما يعرفه أهل الخبرة بهم ،
ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود
والنصارى ، ولهذا كلما قوي الاسلام في المغول[2] وغيرهم من الترك ،
ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للاسلام وأهله ، ولهذا كانوا من أنقص الناس
منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغول غازان
الى الاسلام ، والتزم له ان ينصره اذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا
من النجشية السحرة وغيرهم ، وهدم البدخانات ، وكسر الأصنام ، ومزق
سدنتها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر
الاسلام في المغول وأتباعهم .

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الاسلام والمسلمين أشهر وأعرف
من أن يعرف ، ويوصف ، ومع هذا فقد قيل : إنه كان في آخر عمره
يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشتغل بتفسير البغوي ، وبالفقه ، ونحو ذلك ،
فان كان قد تاب من الالحاد ، فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات ، والله يقول : (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر : ٥٣ لكن ماذكره

(١) في الاصل : ارتزقوم .   (٢) في الاصل : المغل

عنه هذا ، إن كان قبل التوبة ، لم يقبل قوله ، وان كان بعد التوبة ، لم يكن قد تاب من الرفض ، بل من الالحاد وحده . وعلى التقديرين ، فلا يقبل قوله ، والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين ، والالحاد معروف من حاله إذ ذاك . انتهى كلام شيخ الاسلام .

وقول الناظم : آل سنان . هو سنان البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة . وأما « الشفاء » فهو من مصنفات ابن سينا ، وكذا « الاشارات » ، من تصانيفه أيضاً . وقوله : و « رسائل الاخوان » هي « رسائل اخوان الصفا » وهي على ما في « كشف الظنون » و « شرح عقيدة السفاريني » إحدى وخمسون رسالة ، وهي أصل مذهب القرامطة ، وربما نسبوها الى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجاً . وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه ، أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهر جوري ، والعرفي يزيد بن رفاعة ، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة ، وفي « فتاوى ابن حجر الحديثية » ما نصه : نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل ، وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن قاسم الأندلسي ، كان جامعاً لعلوم الحكمة ، من الالهيات ، والطبيعيات ، والهندسة ، والتنجيم ، وعلوم الكيمياء وغيرها ، واليه انتهى علم الحكمة بالأندلس ، وعنه أخذ حكماؤها . وتوفي سنة ٣٥٣ وممن ذكره ابن بشكوال ، وكتابه فيه أشياء حكمية ، وفلسفية ، وشرعية . انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المنهاج » : حتى إن طائفة من الناس يظنون أن « رسائل إخوان الصفا » مأخوذة عن جعفر الصادق ، وهذا من الكذب المعلوم ، فان جعفراً توفي سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة ، وضعت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية ، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة ، وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فأظهروا اتباع الشريعة ، وأن لها باطناً مخالفاً لظاهرها ، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة ؛ وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل ؛ وضعها طائفة من المتفلسفة ؛ معروفون ؛ وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام ؛ وكان أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة ٣٠٠ من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة. انتهى كلامه . قول الناظم :

فلذاك حكمنا عليه وأنتمُ ... قول المعلم أولاً والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس ؛ والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي : وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي ، صاحب المصنفات المشهورة في المنطق ؛ والحكمة ؛ والموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله . مات سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله نحو من ٨٠ سنة .

قوله :

ياويح جهم وابن درهم والألى ... قالوا بقولهما من الحوَران

هذا على سبيل التهكم ، وإلزام جهم والجعد بن درهم التناقض ؛ أي : أن الجهم يقول : «إن الله يسمع» ويرى ، ويعلم ، ويثبت المشيئة والعلم لله»ومع ذلك ينفي التجسيم ؛ أي فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات ، وهذا من الحور ، أي الضعف .

قوله : ياويح . ويح : كلمه ترحم وتوجع ، تقال لمن وقــع في هلكة لا يستحقها . قال في « القاموس » : ويح لزيد ، وويحاً له : كلمة رحمة ، ورفعه على الابتداء ، ونصبه بإضمار فعل ، وويح زيد ، ويا ويحه ، بنصبها أيضاً ، وويحـا زيد بمعناه ، وأصله : وي ، فوصلت بحـاء مرة ، وبـلام مرة . انتهى .

قال شيخ الاسلام في كتابه « التسعينية » : وكذلك الجهمية على ثلاث درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ، ولا عالم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا يكلم ، ولا يتكلم ، وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم ، كما ذكره الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهميه ، قال : فعندذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية . فاذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر هذا الخلق . فقلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً ، انما تدفعون عن انفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية . واذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم الى ضلال وكفر . قال : وقال ابو الحسن الأشعري في « المقالات » : الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعمى العمين ، وحيرة المتحيرين ، الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا : ان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لا صفات له ، ولا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ،

ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزة له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ولا كبرياء له . وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه . قال : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حي ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قدير ، وعبروا عنه بأن قالوا : نقول: عين لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه ، فنفوا أن يكون للباري ، علم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن الخوف يمنعهم من إظهار ذلك . قال : قد أفصح بذلك رجل يعرف بـ (ابن الايادي) كان ينتحل قولهم ، فزعم أن الباري، عالم ، قادر ، سميع ، بصير في المجاز لا في الحقيقة ، وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة ، هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم ، هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة ، الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية . لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ، الى آخر ماذكره رحمه الله تعالى. وقد تقدم ماذكره شيخ الاسلام في موضع آخر . والجهم هو

اعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللاسماء الحسنى .

قوله : من جنس قول الباطنية القرامطة . حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الاسماء التي يسمى بها المخلوق ، لأن ذلك بزعمه من التشبيه والممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية ، وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ، إذ كان هو رأس المجبرة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

قال الناظم :

فصل

في قدوم ركب الايمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا   قد جئتكم من مطلع الايمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد   بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الإله فدلني الـ   ـهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله   وصريح عقلي فاعتلى ببيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة الـ   ـرحمن والمعقول في إيمان

شهدوا بأن الله جل جلاله   متفرد بالملك والسلطان

وهو الاله الحق لا معبود إلا   وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل   من عرشه حتى الحضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبـــه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... مادار حتى قامت القطبان

ومـــداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالاخـلاص والاحســـان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وتارة ... إلا الذي قامت به الأصلان

ينج بفتح الياء وضم الجيم ، مبني للفاعل ؛ أي : لم ينج من غضب الاله وناره الا الذي قام به الاخلاص والاحسان .

والناس بعد فمشرك بإ آلهه ... أو ذو ابتداع أوله الوصفان

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان

يشير إلى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) الملك : ٢ قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالعارفون مرادهم إحسانه ... والجاهلون عموا عن الاحسان

وكذاك قدشهدوا بأن الله ذو ... سمع وذو بصر هما صفتان

وهو العلي يرى ويسمع خلقه ... من فوق عرش فوق ست ثمان

فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ويرى كذاك تقلب الأجفان

وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا تتشابه الصوتان

وهو العليم بما يوسوس عبده في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع القاصي وذو الإسرار والإعلان

وهو العليم بما يكون غداً وما قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون موجوداً لذي الاعيان

وهو القدير فكل شيء فهو مقدور له طوعاً بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان

هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب بالـــأقدار ما انفتحت لهم عينان

نظروا بعيني أعور إذ فاتهم نظر البصير وغارت العينان

فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الامام شفا القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات بيان

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى اثبات صفات الله تعالى التي نطق بها كتابه ، وسنة رسوله ﷺ . ومذهب سلف الأمة وأئمتها، إثبات صفات الله

تعالى التي ورد بها الكتاب ، وصحيح السنة وحسنها ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، خلافاً للجهمية ، والمعتزلة ، والاشاعرة ، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله تشبيهاً . انتهى . بل هو إثبات على مايليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قوله : وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون الخ . وذلك نحو خبر الله عن أهل النار أنهم (لو ردوا لعادوا الى مانهوا عنه) الانعام : ٢٨ وأنه (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الأنفال : ٢٣ وأنه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الأنبياء : ٢٢ وأنه (لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلًا) الاسراء : ٤٢ وأنه (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) التوبة : ٤٧ وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً) النور : ٢١ ونحو ذلك . وقد تقدمت الإشارة الى اثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى ، وكذلك تقدم الكلام في خلق أفعال العباد .

وأما الكلام في القدر ، فهو طويل ، ولكن نشير إلى ذلك اشارة ، فنقول : قول الناظم رحمه الله : لكن أهل الجبر والتكذيب بالأقدار الخ ... أي : إن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على أفعالهم من الطاعات والمعاصي ، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهواء للأشجار ، وبمنزلة حركة المرتعش . وقابلهم النفاة للقدر ، وهم الذين جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى .

وقد روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،

عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم بالقدر في البصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي . فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لاقدر ، وأن الأمر أنف . فقال : إذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برآء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرني عن الاسلام . قال رسول الله ﷺ : « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا » قال : صدقت ، فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الايمان . قال « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » . قال فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرني عن أماراتها . قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : فانطلق فلبثت ثلاثاً . وفي رواية مسلم : ملياً ، ثم قال : « ياعمر ، أتدري من

السائل ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ؛ حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : ياأبتاه أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فقال : يابني ، إنك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : ياأبتاه، كيف أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال : أن تعلم أن ماأخطاك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى ، وإحاطته بما كان ومايكون في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢

وقد قال الامام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ، قال : القدر قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، كما ذكره الناظم . والمعنى أنه لايمنع عن قدرة الله شيء . ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى، فضلوا عن سواء السبيل .

وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا .

وفي المسند » و « سنن ابي داود » عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله

ابن فيروز ؛ قال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبدالله بن مسعود ؛ فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت . قال : فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك . واخرجه ابن ماجه . وقال العماد بن كثير رحمه الله : عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش عن رجل ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي : عن شعبة ، عن ربعي ، عن علي ... فذكره .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانيء الخولاني ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » زاد ابن وهب : « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب .

وكل هذه الاحاديث ، وما في معناها ، فيها الوعيد الشديد على عدم الايمان بالقدر ، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر ،

وأعظم المعاصي . وفي الحقيقية إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة ، من إثبات القـــدر ، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذهبهم ، هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصافه ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال والـ أسماء حقاً ذانك الوصفان

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذي عمران

اسما الاله الأعظم اشتملا على اسـ ـم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها الى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشان

أي : ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً، ذانك الوصفان ، وقوله : ولأجل ذا جاء الحديث الخ ... أي : جاء الحديث بأن الحي القيوم ، هما: اسما الله الأعظم . يشير الى مارواه ابو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذي وصححه ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله

عنها ، أن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ ، وفاتحة سورة آل عمران (آلم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

واخرج الامام أحمد ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت وهو يصلي ، وهو يقول : اللهم اني اسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت ، ياحنان يا منان ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله ﷺ : « لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى » . رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وزاد هؤلاء الاربعة[1]: «ياحي ، ياقيوم» – وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وزاد الحاكم في رواية له – « أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار » .

وفي « جلاء الأفهام » للناظم قال : وفي « مسند أبي يعلى » الموصلي عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم ، فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم : يا بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام . انتهى .

وله الارادة والكراهة والرضى ... وله المحبة وهو ذو الاحسان
وله الكمال المطلق العاري عن التشبيه والتمثيل بالانسان
وكمال من أعطى الكمال بنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وماله ... ذاك الكمال أذاك ذو إمكان؟!
أيكون إنسان سميعاً مبصراً ... متكلماً بمشيئة وبيان؟!

---

(١) اي : ابو داود ، والنسائي ، وابن حيان ، والحاكم .

وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلّيّ والأعيان

والله قد أعطاه ذاك وليس هـذا وصفه فاعجب من البهتان

بخلاف نوم العبد ثم جماعه والأكل منه وحاجة الأبدان

إذ تلك ملزومات كون العبد محـ تاجا وتلك لوازم النقصان

وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان

يتقدس الرحمن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جثمان

قوله : وله الكمال المطلق الخ ... اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمول تستوي أفراده ، فان الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كليه تستوي أفرادها ، ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الالهية ، لم يصلوا بها الى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً ، كما قال تعالى : (ولله المثل الأعلى) النحل : ٦٠ مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ـ وهو ما كان كمالاً للموجود ، غير مستلزم للعدم ـ فالواجب القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، ثبت نوعه المخلوق المربوب المعلول المدبر ، فانما استفاده من خالقه وربه ومدبره ، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه

- وهو ماتضمن سلب هذا الكمال - اذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ، وأنه أحق بالامور الوجودية من كل موجود . وأما الامور العدمية ، فالممكن المحدث بها أحق ، ونحو ذلك ، ومثل هذه الطرق ، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب ، كما استعمل نحوها الامام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الاسلام ، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد ، ونحو ذلك . أفاده شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » .

والله ربي لم يزل متكلماً وكلامه المسموع بالآذان
صدقاً وعدلاً أُحكمت كلماته طلباً وإخباراً بلا نقصان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إثبات صفة الكلام ، وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم الى أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الالهية ، وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ليس ببائن (ولا) مخلوق ، ولا يقولون : إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا إن كلام الله من حيث هو حادث ، بل مازال متكلماً اذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لاينفد ، كما قال تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) الكهف : ١٠٩ الآيـة . ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن الله سبحانه وتعالى صفات الكمال ، ويجعلونه كالجمادات التي لاتكلم ، ولاتسمع ، ولا تبصر ، فلا تكلم عابديها ، ولا تهديهم سبيلا ، ولا ترجع اليهم قولاً ، ولاتملك لهم ضراً ولا نفعاً . ومن

جعل كلام الله لايقوم الا بغيره ، كان المتصف به هو ذلك الغير ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني انا الله) طـه ١٤ ولهـذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك ، وقالوا: هذا نظير قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ أي : هذا كلام قائم بغير الله ، وهذا كلام قائم بغير الله ، وأهل هذا القول الموافقون للسلف لايقولون : إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل ، وإنه كان عاجزاً عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل ، والذين يقولون : ان القرآن مخلوق ، يجعلون الكلام لغيره ، فيسلبونه صفات الكمال ، ويقولون : انه لا يقدر على الكلام في الأزل ، لا على كلام مخلوق ولا غيره ، وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام ، فهو لازم لقولهم .

قوله : وكلامه المسموع بالآذان . أي : ان كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام ، وكما سمع موسى عليه السلام .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ورسوله قدعاذبالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـــإشراك وهو معلم الإيمان؟!

بل عاذبالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

لكنّ أصوات العباد وفعلهم كمدادهم والرق مخلوقان

فالصوت للقاري ولكن الكلا م كلام رب العرش ذي الاحسان

هذا اذا ما كان ثَمّ وساطة كقراءة المخلوق للقرآن

فاذا انتفت تلك الوساطة مثلما قد كلم المولود من عمران

فهنالك المخلوق نفس السمع لا شيء من المسموع فافهم ذان

هذي مقالة أحمد ومحمد[1] وخصومهم من بعد طائفتان

إحداهما زعمت بأن كلامه خلق له ألفاظه ومعان

والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشطر قام بالرحمن

زعموا القُران عبارة وحكاية قلنا كما زعموه قرآنان

هذا الذي نتلوه مخلوق كما قال الوليد وبعده الفئتان

والآخر المعنى القديم فقائم بالنفس لم يسمع من الديان

والأمر عين النهي واستفهامه هو عين اخبار وذو وحدان

وهو الزبور وعين توراة وإنـ جيل وعين الذكر والفرقان

الكل شيء واحد في نفسه لا يقبل التبعيض في الاذهان

ما إن له كل ولا بعض ولا حرف ولا عربي ولا عبراني

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

(١) اي: محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح » .

ياقوم قد غلط النصارى قبل، في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم إذ قيل كلمة خالق رحمان

ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا هوتاً قديماً بعد، متحدان

ونظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير ذي حدثان

والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته لكن هما غيران

فانظر الى ذا الاتفاق فانه عجب وطالع سنة الرحمن

وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان

تلك التي ذكرت ومعنى جامع لجميعها كالأس للبنيان

فيكون أنواعاً وعند نظيرهم أوصافه وهما فمتفقان

ان الذي جاء الرسول به لمخ لوق ولم يسمع من الديان

والخلف بينهمُ فقيل محمد أنشاه تعبيراً عن القرآن

والآخرون أبوا وقالوا إنما جبريل أنشأه عن المنان

وتكايست أخري وقالت إنه نقل من اللوح الرفيع الشان

فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان

هذي مقالات لهم فانظر ترى في كتبهم يامن له عينان

لكنّ أهل الحق قالوا إنما جبريل بلّغه عن الرحمن

ألقاه مسموعاً له من ربه   للصادق المصدوق بالبرهان

قوله : ورسوله قد عاذ بالكلمات الخ . . أقول : احتج الامام احمد وغيره ، على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله في غير حديث . فقال : « أعوذ بكلمات الله التامة » ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة » وذكر الحديث . وفي « صحيح مسلم » عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء ، حتى يرحل من منزله ذلك » . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وذكر الحديث ، وذلك في أحاديث أخر . قال أحمد وغيره : ولا يجوز أن يقال : أعيذك بالسماء ، أو بالجبال ، أو بالانبياء ، أو بالملائكة ، أو بالعرش ، أو بالأرض ، أو بشيء مما خلق الله ، ولا يتعوذ إلا بالله ، أو بكلماته . قال البيهقي : ولا يصح أن يستعيذ من مخلوق بمخلوق ، فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته . وذاته غير مخلوقة . ثم قال : وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

وقول الناظم : هو قول ربي كله لابعضه الخ . هذا إشارة إلى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ومن اتبعه ، كالقلانسي ، وابي الحسن الأشعري ، وغيرهم : إن كلام الله معنى قائم بذات الله ، هو الأمر بكل مأمور أمر به ، والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا . والأمر والنهي والخبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام اليها ، وانما

كلها صفات له اضافية ، كما يوصف الشخص الواحد بانه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر ، والقائلون بهذا القول موافقون للمعتزلة ، في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا ، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وأن المعتزلة يقولون : إن المخلوق كلام الله ، والأشعرية لايقولون : إنه كلام الله ، نعم يسمونه كلام الله مجازاً ، هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم : لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا ، وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون: إن المخلوق كلام الله حقيقة، كما يقوله المعتزلة مع قولهم : إن كلامه حقيقة ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله ، وهو كلامه حقيقة .

قال شيخ الاسلام : وهذا شر من قول المعتزلة ، وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه ، فقول المعتزلة أقرب . قال : وقول الآخرين وهو قول الجهمية المحضة ؛ لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني : إن هؤلاء يقولون: كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون : لايقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجه ، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر . ولكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون : إن اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق ؛ لأنهم يقولون عن الكلام النفسي : إنه معنى واحد ، هو الأمر والنهي ؛ والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية

كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا . وجمهور العقلاء يقولون : إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ، فانا إذا عربنا التوراة والانجيل ، لم يكن معناهما معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا ، وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى (آية الكرسي) آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ، فجوزوا أن يكون العلم ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، صفة واحدة ، فالتزم أئمة هذا القول ، بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي . ثم منهم من قال : الناس في الصفات ، إما مثبت لها ، واما ناف لها ، وأما إثباتها واتحادها ، فخلاف الاجماع ، وممن اعترف بأن ليس له جواب أبو الحسن الآمدي .

وقول الناظم : لكن أصوات العباد وفعلهم الخ . أي : ان مذهب أئمة أهل الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والقرآن بلغه جبريل عن الله الى محمد ، وبلغه محمد الى الخلق ، والكلام المبلغ عن قائله لا يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلغه عنه مؤدياً ، فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى »[١] وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد ، حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به ، إنا سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وانما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته . ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نسمعه ، وانما سمعنا صوت المحدث عنه ، والكلام كلام رسول الله ﷺ لا كلام المحدث ، فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ كان مفترياً ، وكذلك من قال : ان هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ ، وانما أحدثه في غيره ؛ وإن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه ؛ بل كان ساكتاً ، أو عاجزاً عن التكلم بذلك ، فعلم غيره ما في نفسه ، فنظم هذه الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ، أو نحو هذا الكلام ، فمن قال هذا ، كان مفترياً . ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ ، كان مفترياً ، فاذا كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى باثبات مايستحقه من صفات الكمال ، وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله ، هي صفات العباد وأفعالهم ، أو مثل صفات العباد وأفعالهم ، فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله ، كما قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ ليس هو كلاماً لغيره ، لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عنه جبريل ، وبلغه محمد عن جبريل ، ولهذا أضافه الله الى كل من الرسولين ؛ لأنه بلغه وأداه ، لا لأنه أحدث لا لفظه ولا معناه ، إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك ، لم يصح إضافة الاحداث إلى الآخر ، فقال تعالى (انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون) الحاقة ٤٠ - ٤٢ فهذا محمد ﷺ ، وقال تعالى (انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكوير ١٩ - ٢١ فهذا جبريل عليه السلام . وقد توعد تعالى من قال : (إن هذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ (ومن) قال : إن هذا القرآن قول البشر ، فقد كفر ، وقال

بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر . ومن قال : إن شيئاً منه قول البشر ، فقد قال ببعض قوله . ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم ، وإنما هو قول شاعر ، أو مجنون ، أو مفتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ، ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون . وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه ، أو من المبلغ عنه ، وان موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة . ونحن انما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ، واذا كان الفرق ثابتاً بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ، ومن سمعه من الصاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن افعال المخلوق وصفاته ، أشبه بافعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته ، بأفعال الله وصفاته .

قوله : وخصومهم من بعد طائفتان .

إحداهما زعمت بأن كلامه   خلق له ألفاظه ومعان

أقول : هذا مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته .

قولـــه :

والآخرون أبوا وقالوا شطره   خلق وشطر قام بالرحمـــن

هذا قول الأشعرية والكلابية ، كما سيأتي الكلام على ذلك .

قوله : زعموا القرآن عبارة الخ . أي : قالت الأشاعرة : إن القرآن عبارة عن المعنى . وابن كلاب ومن تابعه قالوا : حكاية .

قوله :

ودليلهم في ذاك بيت قاله   فيما يقال الأخطل النصراني

أي : ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : انهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه ، وهذا يروي عن أبي محمد بن الخشاب . قال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد . ومن العجب أنه لو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالاسناد ، لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام؟!

ويقال أيضاً : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر ، فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كما عرفوا مسمى الرأس ، واليد ، والرجل .

وأيضاً ، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه من الحدود ، فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا . بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف لغتهم من استعمالهم ، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد إن كان قال ذلك ، مافسر به المفسرون للشعر . أي : أصل الكلام من الفؤاد ، هو المعنى ، واذا قال الانسان بلسانه ماليس في قلبه ، فلا تثق به ، وهذا كالاقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك .

لا يعجبنّك من خطيب خطبة ... حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه في الأصل ، ولهذا . قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا .

وقوله : مع الكلام . دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله : مع الكلام ، مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه والمقصود به ، واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر ، فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ، ليس من الشعراء القدماء ، وهو نصراني كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام ، وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه ، هو نفس كلمة الله ، ولهذا قال الناظم :

ياقوم قد غلط النصارى قبل في　　　معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

قال شيخ الاسلام : في « التسعينية » بعد كلام سبق : وأيضاً فهم - يعني الاشاعرة - في لفظ القرآن الذي حروفه واشتماله على المعنى لهم ، مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي (هو) متدرع اللاهوت ، فان هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بل هي مخلوقة ؛ كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزله بهذه الحروف المخلوقة ، فمنهم من يسمي الحروف : كلام الله حقيقة ، كما يسمي المعنى : كلام الله حقيقة ، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى ، منهم من

يجعل لاهوتاً حقيقة لا تحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ووعاؤه . ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت ، وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد ، وهو محله بطريق الحلول ، فعظم لذلك ، وهؤلاء يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ، ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا تكلم بها ، بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها ؛ فأظهر بها المعنى القديم ، ودل بها عليه ، فاستحقت الاكرام والتحريم لذلك حيث تدخل في حكمه ، بحيث لا يفصل بينهما ؛ أو يفصل بأن يقال : هذا مظهر هذا ودليله ؛ وجعلوا ماليس هو كلام الله ؛ ولا تكلم الله به قط ؛ كلاماً لله معظماً تعظيم كلام الله ، كما جعلت الناسوت - الذي ليس بآله قط ، ولا هو الكلمة - إلهاً وعظموه تعظيم الاله الذي هو كلمة الله عنده .

ومنها أن النصارى على ماحكى عنهم المتكلمون ، كابن الباقلاني أو غيره ، ينفون الصفات ، ويقولون : إن الأقانيم التي هي الوجود ، والحياة ، والعلم ، هي خواص ، هي صفات نفسية للجوهر ، وليست صفات زائدة على الذات ، ويقولون : إن الكلمة هي العلم ، ليست هي كلام الله ، فان كلامه صفة فعل ، وهو مخلوق ، فقولهم في هذا كقول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، وهذا يكون قول بعضهم ممن خاطبه متكلمو الجهمية من النسطورية وغيرهم ، ومن تفلسف منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء . وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات ، بل غالية في ذلك ، كما أن اليهود أيضاً فيهم المثبته والنفاة ؛ والمقصود هنا أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك العلم ليس هو أمراً معقولاً كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ، ضاهاهم في ذلك هؤلاء

الذين يقولون : الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك المعنى هو المعقول من معـــاني الكلام . فحرفوا اسم الكلام ومعناه ، كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها . انتهى كلامه .

قولـــه :

وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان

تكايست . قال في «القاموس » . الكيس خلاف الحمق ، والجمـــاع ، والطب ، والجود ، والعقل ، والغلبة بالكياسة ، وقد كاسه يكيسه . ثم قال بعد ذلك : تكيس : تظرف ، وكايسه : غلبه في الكيس . قال الآمدي في في « ابكار الافكار » فان قيل : إذا قلتم : ان الكلام قضية واحدة ، وان اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة ، فلم لم تجوزوا أن تكون[1] الارادة ، والعلم ، والقدرة ، وباقي الصفات راجعة الى معنى واحـــد ؟! ويكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب المتعلقات ، لا بسبب اختـلافه في ذاته ، وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص ، وقادرة عند تعلقه بالايجاد ، وهكذا سائر الصفات . وان جاز ذلك ، فلم لا يجوز أن يعود ذلك كله إلى نفس الذات ، من غير احتياج الى الصفات ؟! وقـــال : أجاب الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة بسبب التعلقات والمتعلقات ، اذ القدرة معنى من شأنه تأتي الايجـاد به ، والارادة معنى من شأنة تأتي التخصيص الحادث بحال دون حال ، وعند اختلاف التأثيرات ، لابد من الاختلاف في نفس المؤثر ، وهذا بخلاف الكلام ؛ فان تعلقاته بمتعلقاته لا يوجب أثراً ، فضلاً عن كونه مختلفاً . قال : وفيه نظر ، وذلك أنه وان سلم امتناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع امكان النزاع فيه ؛ فهو موجب للاختلاف في نفس القدرة : وذلك

---

(١) في الاصل : فلم لا جوزتم ان يكون .

لأن القدرة مؤثرة في الوجود ؛ والوجود عند أصحابنا نفس الذات ؛ لا أنه زائد عليها ، وإلا كانت الذوات ثابتة في العدم ؛ وذلك مما لانقول به . وإذا كان الوجود هو نفس الذات ، فالذوات مختلفة ؛ فتأثير القدرة في آثار مختلفة ، فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه ؛ وليس كذلك . وأيضاً فان ماذكروه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة ، فغير مستمر في باقي الصفات ؛ كالعلم ؛ والحياة ، والسمع ؛ والبصر ؛ لعدم كونها مؤثرة في أثر ما. قال : والحق أن ما أوردوه من الاشكال على القول باتحاد الكلام ، وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات ؛ مشكل ؛ وعسى أن يكون عند غيري حله ؛ ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا الى القول بأن كلام الله القائم بذاته ؛ خمس صفات مختلفة ؛ وهي الأمر ؛ والنهي والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء. انتهى كلامه .

قلت : وهذا الذي ذكره الآمدي هو الذي أراده الناظم بقوله : « وتكايست أخرى الخ . فيكون الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ، والاستخبار ، والنداء ، صفات للمعنى النفسي على ما ذكره الآمدي عن هؤلاء . والصواب أن الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء ؛ أنواع للكلام ؛ والله أعلم .

قوله :

وتكايست أخرى وقالت إنه   نقل من اللوح الرفيع الشان

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل ؛ واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ؛ ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن

المكان ؛ وعلّمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان . وفي التنزيل طريقان .

أحدهما : أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية، وأخذه من جبريل .

والثاني : ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ؛ والأول أصعب الحالين . انتهى .

وقال القطب الرازي في حواشي « الكشاف » الإنزال لغة : بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو الى أسفل ؛ وكلاهما لا يتحققان في الكلام ؛ فهو مستعمل فيه في معنى مجازي ؛ فمن قال : القرآن معنى قائم بذات اللـه تعالى؛ فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ؛ ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ؛ فإنزاله :مجرد اثباته في اللوح المحفوظ ؛ وهذا المعنى مناسب؛ لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين ؛ ويمكن أن يكون المراد بانزاله، إثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ ؛ وهذا مناسب للمعنى الثاني . والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً ، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم . انتهى . وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ : كل حرف منها بقدر جبل قاف؛ وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا اللـه . انتهى . وقال بعضهم : في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ؛ وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

والثاني : أن جبريل انما انزل بالمعاني خاصة ؛ وأنه ﷺ علم تلك المعاني

وعبر عنها بلغة العرب ؛ وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) الشعراء : ١٩٣

والثالث : أن جبريل ألقى اليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . انتهى .

ولما أشار الناظم الى هذه الاقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ناسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ، ويتحقق بطلانها ، والله أعلم .

قولـــه :

لكنّ أهل الحق قالوا إنما جبريل بلّغه عن الرحمن

أقول : قال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول » وذكر اثنا عشر إماماً ، وهم: الشافعي ، ومالك ، والثوري ، وأحمد ، والبخاري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحق بن راهويه ، وأبوزرعة ، وأبو حاتم : سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الامام أبا بكر عبد اللـه بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفراييني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام اللـه غير مخلوق ، ومن قـال: مخلوق، فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل عليـه السلام مسموعاً من اللـه تعالى ، والصحابة سمعوه من رسول اللـه ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ومنقوشاً ، وكل حرف منه كالباء والتاء ، كله كلام اللـه غير مخلوق . ومن قال: مخلوق ، فهو كافر عليه لعائن اللـه والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مجامع طرق أهل الارض واختلافهم في القرآن

واذا أردت مجامع الطّرق التي فيها افتراق الناس في القرآن
فمدارها أصلان قام عليهما هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل في ذاته أم خارج هــذان؟
أصل اختلاف جميع أهل الأرض في الـ قرآن فاطلب مقتضى البرهان
ثم الألى قالوا بغير مشيئة وإرادة منــه فطائفتان
إحداهما جعلته معنى قائماً بالنفس او قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كي تبديه معقولا الى الاذهان
وكذاك قالوا إنها ليست هي القرآن بل دلت على القرآن
ولربما سمي بها القرآن تســ ـمية المجاز وذاك وضع ثان
وكذلك اختلفوا فقيل حكاية عنه وقيل عبارة لبيــان
اذ كان ما يحكى كمحكيٍّ وهــذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه اذ كان أوله نظير الثــاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان

والآخرون يرون هذا البحث لفـظياً ومافيه كبير معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم، وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين، وهما: هـل قوله بمشيئة وارادة، أم هو بغير مشيئة وارادة؟ وهـل كلامه تعالى في ذاته، أم هو خارج الذات؟ وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وارادة طائفتان. إحداهما: الكلابية والاشاعرة، والطائفـة الثانية الاقترانية، وهم السالمية أتباع ابي الحسن بن سالم، وهذا هو البناء الأصيل، والبرهان الذي يقوم عليه الدليل، لا ماذكره الدواني في معنى اختـلاف النـاس في القرآن من الكلام الجزاف، والهذيان الذي بطلانه غير خاف، وذلك أنه قال في شرحه لـ «العقائد العضدية»: لاخلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلماً، أي: موصوفاً بهذه الصفة، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه، هل هو نفسي أو لفظي؟ وحدوثه وقدمه، وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة، وهما: كلام الله تعالى، صفة له، وكل ماهو صفة له فهو قديم، فكلام الله تعالى قديم. وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود، وكل ماهو كذلك فهو حادث، فكلام الله تعالى حادث، اضطروا الى القدح في أحـد القياسين ضرورة امتناع حقية النقيضين، فمنع كل طائفة بعض المقـدمات، فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات، وهي قديمـة، ومنعوا قول: إن كل ماهو مؤلف من حروف وأصوات مترتبة، فهو حادث، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف. قال: قلت: مابالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد؟! قال: وقيل: إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام

اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي ، كما قال بعض الأشاعرة : إن كلامه تعالى ليس قائماً بلسان أو قلب ، ولا حالاً في مصحف أو لوح ، ومنع اطلاق القول بحدوث كلامه ، وان كان المراد هو اللفظي رعاية الادب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم الى حدوث الكلام الأزلي . والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ؛ وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره ؛ ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في الجسم ، كاللوح المحفوظ ، أو كجبريل ، أو النبي ﷺ ؛ أو غيرها ؛ كشجرة موسى عليه السلام ، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة .

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل ، وأن ماالتزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره ، وأن معنى كونه متكلماً ، كونه خالقاً للكلام في الغير ، مخالف للعرف واللغة ، ذهبوا إلى إن كلامه تعالى صفة له ، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى ، فهم منعوا أن كل ماهو صفة له فهو قديم ، والأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى ، قديم ، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات . ولا نزاع بين الشيخ [1] والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي ، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه ، وذهب المصنف الى أن مذهب الشيخ ، يعني الأشعري ، أن الألفاظ أيضاً قديمة ، وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وأخرى على القائم بالغير ، فالشيخ لما قال: هو المعنى

(١) أي الاشعري .

النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ ،وهو القديم عنده ، وأما العبارات ، فإنما سميت كلاماً مجازاً ، لدلالتها على ماهو الكلام الحقيقي ، حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه ، ولكنها ليست كلاماً له تعالى حقيقة ، الى غير ذلك مما لايخفى على المتفطنين في الاحكام الدينية ، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني ، فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، قائماً بذات الله تعالى . انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهن مثل بيت العنكبوت ، وأحسن منه البكم والسكوت ، وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها .

الأول : قوله : إن الناس لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة الخ . يقال : أكثر أهل الاسلام لم يرفعوا بالمنطق رأساً ، ولم يراعوا هذه القواعد ، وإذا شئت أن تعرف ذلك ، فانظر الى ردود متكلمي أهل الاسلام على المنطق ، وبيان فساده وتناقضه ، كأبي سعيد السيرافي النحوي ، والقاضي أبي بكر ابن الطيب ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ، والجبائي وابنه ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي القاسم الأنصاري ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن له في نقضه كتابين ، صغير وكبير ، وبالله العجب ؟! أترى المعتزلة والكلابية والكرامية ، أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق ، فضلاً عن السلف وأتباعهم ؟! هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق ، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم .

الثاني : قوله : بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف ، ثم تهكم بقوله : مالهم ، لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟!

أقول : انظر الى هذا الكذب المجرد ، فبالله قل لي : من قال هذا القول منهم ؟ وفي أي كتاب يوجد من كتبهم ؟ ونحو مما حكاه الدواني

ماذكره أبو المعالي الجويني قال : وذهب الحشوية المنتمون الى الظاهر الى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات . وقطعوا بأن المسموع من اصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم ، وهذا قياس جهالاتهم ، ثم قالوا : اذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلمات ، فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد كان اذ كان جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت . وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها ، كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى ، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات . انتهى كلامه .

قال شيخ الاسلام بعد أن حكى هذا الكلام عن ابي المعالي : ومعلوم أن هذا القول لايقوله عاقل يتصور مايقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم ، فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد ، ان المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ، ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم الى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب ، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يحرر قوله ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين ، ولايميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم الآخر ، الى آخر ماذكره . وأقبح من ذلك قوله ، أي : الدواني . وقيل : انهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام

النفسي ، فيالله العجب من هذا الاعتذار البارد ! فان الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي ، بل ينفونه أشد النفي ، ويرونه من أعظم الباطل ، والكلام عندهم اسم للفظ والمعنى جميعاً ، كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم . ويسأل هذا المتحذلق : هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى ؟ اللهم إلا كلام المجانين ، أو اللفظ المهمل ، فهو لا يسمى كلاماً ، إذ ليس له معنى ، وهذا معنى قول النحاة : الكلام لفظ مفيد ، فانه لا يفيد حتى يكون له معنى .

الثالث . قوله : والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة الخ . . يقال : إن كان مخالفة الضرورة ضاراً ، فأصحابك الاشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي ، فالتزموا أن الساكت متكلم ، والأخرس متكلم ، وغير ذلك من الشناعات .

الرابع . قوله : والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ، وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره الخ .

يقال : هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة ، فانهم قضوا بحدوث الحروف ، وأنها مخلوقة ، وصرحوا بأنها إنشاء جبريل ، أو إنشاء محمد ﷺ ، أو أنها خلقت في محل آخر ، كاللوح المحفوظ ، والشجرة ، أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا : إن محمد ﷺ أنشأه ، هو قول من قال : (إن هـذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ ثم أصحابك أثبتوا شيئاً لا دليل على ثبوته ؛ وهو المعنى النفسي ، وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعاً ، فان الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعاً ؛ وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل ، وإنه غير قائم بالله تعالى ، وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به الكلام ، ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام ،

وقالوا : الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك ، فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ؛ ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة ؛ إذ الألفاظ عندهم مخلوقة ، كما هو قولكم ؛ والمعنى الذي أثبتموه وخالفتم به جميع فرق الأمة ؛ هو شيء لاحقيقة له ، وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد الخ . . .

وهذا البيت لم ينقل عن قائله باسناد ، لا واحد ولا اكثر ، ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في « الصحيحين » لم تقبلوه ، وقلتم : هذه أخبار آحاد .

الخامس : أن اصحابك خالفوا فرق الأمة في اثبات هذا المعنى ، والأمر كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي ، قال : إن الأشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه ، وسماه عبارة ، وسلب الفكر والرؤية اسمها ، وسماهما كلاماً .

السادس : قولك : الأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط ، ثم نقلت عن صاحب « المواقف » أنه أفرد لذلك مقالة ، حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال : هو المعنى النفسي ، أن ذلك يكون شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، ثم سكت عن إنكاره ، فكيف كان في الأول بسيطاً ، ثم صار مركباً من المعنى واللفظ ؟؟

السابع : أن تلميذك عفيف الدين الأيجي ، قد رد مذهب أصحابك ، وقدح فيه غاية القدح ، فقال ماحاصله : إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن الكلام له معنى آخر يسمى : النفسي ، باطل ، فاذا قلنا : زيد قائم ، فهناك أربعة أشياء : الأول : العبارة الصادرة عنه ، والثاني : مدلول هذه العبارة ، وما وضعت له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها . الثالث : علمه بثبوت تلك

النسبة وانتفائها . الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفائها بالواقع ؛ والأخيران ليسا كلاماً اتفاقاً، والأول لايمكن أن يكون كلام الله حقيقةعلى مذهبهم ، فبقي الثاني ، وكذا نقول : في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور : الاول : الارادة والكراهة الحقيقية . الثاني : اللفظ الصادر عنه . الثالث : مفهوم لفظه ومعناه ، الأول ليس كلاماً اتفاقاً ، والثاني كذلك على مذهبهم ، فبقي الثالث ، وبه صرح أكثر محققيهم ، وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله ـ تعالى شأنه ـ محكوماً عليه بأحكام مختلفة ، باطل من وجوه : الاول : أنه مخالف للعرف واللغة ، فان الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف . الثاني : أنه لايوافق الشرع ، إذ قد ورد فيما لايحصى كتاباً وسنة ، أن الله تعالى ينادي عباده ، ولا ريب أن النداء لايكون إلا بصوت ، بل قد صرح به في الأخبار الصحيحة وباب المجاز – وإن لم يغلق بعد ، الا ان حمل مايزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها – مما لايقبله العقل السليم . الثالث : أن ماقالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل، فانه لاشك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ، ومدلول الخبر يخالف مدلول الانشاء ، بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر ، وكذا في الخبر . ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لايمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية ، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على مااشتمل عليه الآخر ، وليس كذلك ، وكيف يكون معنى واحد خبراً وانشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل ؟! وهو جمع بين النفي والاثبات . انتهى كلامه .

الثامن : قوله: ان الكرامية لمارأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة، يقال :

كلا ليس هذا مأخذ الكرامية ، وانما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل ، فلهذا جعلوا لكلام الله تعالى أولاً ، كما جعلوا لفعله أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل ، فيسد ذاك عليهم اثبات الباري سبحانه ، وكلامه كفعاله ، الكل عندهم له بداية ، فوضح بطلان كلام الدواني من كل وجه.

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولربما سمي بها القرآن تسمية المجاز وذاك وضع ثان

أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم ، على انها مخلوقة ، هل تسمى كلام الله مجازاً ، أو يطلق الكلام عليها وعلى المعنى بالاشتراك؟ وقد تقدم أن القول بالاشتراك يهدم مذهبهم ، لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً الا لمن قام به الكلام ، فاذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك ؛ لزمهم مذهب المعتزلة . وقوله : وكذلك اختلفوا ، فقيل : حكاية عنه وقيل : عبارة لبيان . أي : ان القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم ؛ هل يقال : هي حكاية عن المعنى القديم ؛ كما قاله ابن كلاب ؛ أو يقال : عبارة ؛ كما قال الأشعري ؟ فابن كلاب قال : الحرف حكاية عن كلام الله ، وليست من كلام الله ؛ لأن الكلام لابد ان يقوم بالمتكلم ؛ والله يمتنع أن يقوم به حروف واصوات ؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي ، فجاء الأشعري بعده ، وهو موافق لابن كلاب على عامة اصوله ؛ فقال : الحكاية تقتضي ان يكون مثل المحكي ؛ وليست الحروف مثل المعنى ، بل هي عبارة عن المعنى ودالة ، وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظياً لا طائل تحته ، كما قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذهب الاقترانية

والفرقة الأخرى فقالت انه لفظ ومعنى ليس ينفصلان

واللفظ كالمعنى قديم قائم بالنفس ليس بقابل الحدثان

فالسين عند الباء لا مسبوقة لكن هما حرفان مقترنان

والقائلون بذا يقولوا[1] انما ترتيبها في السمع بالآذان

ولها اقتران ثابت لذواتها فاعجب لذا التخليط والهذيان

لكنّ زاغونيهم قد قالَ إنّ ذواتها ووجودها غيران

فترتبت بوجودها لا ذاتها يا للعقول وزيغة الاذهان

ليس الوجود سوى حقيقتها الذي الـ أذهان بل في هذه الاعيان

لكن اذاً أخذ الحقيقة خارجاً ووجودها ذهناً فمختلفان

والعكس أيضاً مثل ذا فاذاهما اتحدا اعتباراً لم يكن شيئان

---

(١) كان حقه أن يقول : والقائلون بذا يقولون، باثبات نون (يقولون) ، ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

وبذا تزول جميع إشكالاتهم   في ذاته ووجوده الرحمن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذهب الاقترانية في القرآن، وهم السالمية ومن وافقهم، وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم. ثم إن جمهورهم لا يقولون: ان تلك الأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء، ولهم في ذلك تفاصيل، ليس هذا موضع ذكرها.

وقول الناظم رحمه الله تعالى:

لكن زاغونيهم قد قـال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني أن الزاغوني[١] من أئمة هذه الطائفة قال: ان وجود هذه الكلمات غير ذواتها، فرد عليه الناظم بقوله: يا للعقول وزيغة الاذهان؛ أي: كيف يكون وجود الشيء غير ذاته؟! ثم قرر الناظم رحمه الله تعالى ما هو الحق في المسألة، وهو أن الوجود والماهية إن أخذا ذهنيين، فالوجود الذهني عين الماهية الذهنية، وكذلك إن أخذا خارجيين، اتحدا أيضاً، فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن، هذا خيال محض، وكذلك حصول الماهية في الذهن هو عين

---

(١) ابن الزاغوني، من علماء الفلسفة والكلام، واسمه علي، وهو المذكور والله أعلم في « ميزان الاعتدال » للذهبي و « لسان الميزان » لابن حجر، وأما علي ابن الزاغوني شيخ ابن الجوزي، فقد اثنى عليه ابن الجوزي في « المنتظم » وكذا ابن رجب، ومثله صاحب « الشذرات » وشيخ الحنابلة وواعظهم، والمتكلم ايضاً حنبلي، والظاهر انهما اثنان، ولا يضر اتفاقهما في الاسم واسم الاب والكنية والمذهب، فكلاهما حنبلي.

(ابن مانع)

وجودها، فليس في الذهن ماهية ووجود متغايرين ، بل ان أخذا ، أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فأحدهما غير الآخر . ولما قرر المصنف هذا قال:

وبذا تزول جميع إشكالاتهـــم في ذاته ووجوده الرحمن

قال الناظم :

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والارادة

والقائلون بأنــه بمشيئـــة وإرادة أيضاً فهم صنفان

إحداهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والاكـــوان

قالوا وصار كلامه باضافة الـــتشريف مثل البيت ذي الاركان

ما قال عندهمُ ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان

فالقول مفعول لديهم قائم بالغير كالاعراض والاكوان

هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معلمو الصبيان

لكنّ أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

وهم الألى اعتزلوا عن الحسن الرضى الـــبصريّ ذاك العالم الرباني

وكذاك أتباع على منهاجهم من قبل جهم صاحب الحدثان

لكنّما متأخروهم بعد ذا ... لك وافقوا جهماً على الكفران

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ... ل ثوبهم أضحى له علمان

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الامام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رحمه اللـه تعالى في بيان مذاهب القائلين بأن كلام اللـه تعالى متعلق بالمشيئة والارادة . فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ومن تبعهم من المعتزلة ، وذلك أن الكلام عندهم صفة فعل ، قالوا : وانما سمي : كلام اللـه ، للتشريف ، كما يقال : بيت اللـه ، وإلا فاللـه تعالى عندهم ما تكلم ولا يتكلم ، كما قال الامام أحمد رحمه اللـه تعالى فيما خرجه في الرد على الجهمية : بيان ما أنكرت الجهمية أن اللـه كلم موسى ﷺ ، وعلى نبينا . قلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : لأن اللـه لم يتكلم ، ولا يتكلم ، وانما كون شيئاً ، فعبر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ، وفم ، وشفتين ، ولسان . فقلنا : فهل يجوز لمكون ، أو لغير اللـه أن يقول لموسى : (لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه : ١٤ و(إني أنا ربك) طه : ١٢ ؟ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير اللـه ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمية أن اللـه كون شيئاً ، كأن يقول ذلك المكون : يا موسى ان اللـه رب العالمين ، لا يجوز ان يقول : اني انا اللـه رب العالمين . وقد قال جل ثناؤه (وكلم اللـه موسى تكليما) النساء : ١٦٤ وقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ وقال (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) الأعراف : ١٤٤ فهذا منصوص

القرآن. قال: وأما ماقالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان»، [١] قال: وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، وشفتين ولسان، أليس قال الله للسموات والارض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت: ١١ أترى انها قالت بجوف، وشفتين، ولسان. وقال الله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) الأنبياء ٧٩ أتراها أنها سبحت بفم، وجوف، ولسان، وشفتين. والجوارح إذا شهدت على الكفار[٢]. فقالوا (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت: ٢١ أتراها نطقت بجوف، وشفتين، وفم، ولسان، ولكن الله أنطقها كيف شاء، من غير أن يقول: فم، ولسان، وشفتين. قال: فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، الا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. قلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يارب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم ياموسى هو كلامي، وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الالسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وانما كلمتك على قدر مايطيق بدنك، ولو كلمتك باكثر من ذلك مت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) في الاصل: الكافر:

أصفه لكم؟ قالوا : شبهه . قال : أسمعتم أشد مايسمع من أصوات الصواعق، فكأنه مثله[١] .

قال : وقلنا للجهمية من القائل لعيسى يوم القيامة (ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) المائدة : ١١٦ أليس الله هو القائل ؟ قالوا : يكون الله شيئاً يعبر عن الله ، كما كون لموسى فعبر ؟ فقلنا : فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) الاعراف : ٦ أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما يكون الله شيئاً ، فيعبر عن الله . قلنا : قد أعظمتم على الله الفرية ، حين زعمتم أن الله لايتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الأصنام لاتتكلم ، ولا تتحرك ، ولا تزول من مكان الى مكان ، فلما ظهرت عليه الحجة قال : أقول : ان الله قد يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق . قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لايتكلم ، حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لايتكلمون ، حتى خلق لهم كلاماً ، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة ، بل نقول : إن الله جل ثناؤه ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً ، ولانقول : إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولانقول : إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ، ولا نقول : إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة .

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا من الله هذه الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى ، حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته . فقلنا : لانقول : إن الله لم يزل

---

(١) في الاصل : قال : أسمعتم أصوات الصواعق التي في تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله ، وهذا الاثر موجود في « تفسير الطبري » عن الزهري بغير هذا اللفظ .

وقدرته ، ولم يزل ونوره ، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر . فقالوا : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله ولاشيء . فقلنا : نحن نقول : كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ، وضربنا لهم مثلاً في ذلك . فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع ، وكرب ، وليف ، وسعف ، وخوص ، وجمار ، واسمها اسم واحد ، سميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله جل ثناؤه ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم ، والذي لايعلم فهو جاهل ، ولكن تقول : لم يزل الله قادراً ، عالماً ، مالكاً ، لا متى ، ولا كيف ، وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) المدثر : ١١ وقد كان لهذا الذي سماه الله (وحيداً) عينان ، وأذنان ، ولسان ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة . فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

وفي «التسعينية» لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ، ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ، ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر ؛ وان كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم ، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل ؛ وأقدموا على ذلك ؛ وهؤلاء (إما) منافقون زنادقة ؛ وإما جهال بنفاق أنفسهم ؛ صاروا في الجمع بين

تكذيبهم الباطن ؛ وتصديقهم الظاهر ؛ جامعين بين النقيضين ؛ مضطرين الى السفسطـة في العقليات ، والقرمطة في السمعيات ، مفسدين للعقل والدين .

وقولهم بخلق القرآن ،ونفي الصفات من أصول نفاقهم ؛وذلك أنه من المعلوم ببداية العقول ؛أن الحي لا يكون حياً الا بحياة تقوم به ،لا يكون حياً بلا حياة ،أو بحياة تقوم ،بغيره وكذلك العالم ، والقادر ؛ لا يكون عالماً ، ولا قادراً الا بعلم وقدرة تقوم به ،لا يكون عالماً قادراً بلا علم ولا قدرة ؛أو بعلم وقدرة تقوم بغيره وكذلك ، الحكيم ؛ والرحيم ، والمريد ، لا يكون حكيماً ، ولا رحيماً ، أو متكلماً أو مريداً ، إلا بحكمة ورحمة تقوم بغـــيره ، ولا يكون متلكماً ولا مريداً بلا كلام ولا إرادة ، أو بكلام وإرادة تقوم بغيره ، وكذلك من المعلوم ببداية العقول أن الكلام ، والارادة ، والعلم ، والقدرة لاتقوم إلا بمحل ؛ إذ هــــذه صفات لاتقوم بأنفسها ؛ ومن المعلوم ببداية العقول أن المحـــل الذي يقوم به العلم يكون عالمـاً ، والذي تقوم به القدرة يكون قادراً ، والذي يقوم به الكلام يكون متكلماً ، والذي تقوم به الرحمة يكون رحيماً ، والذي تقوم به الارادة ، يكون مريداً ،فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس ، تعلمها قلوبهم علماً فطرياً ضرورياً ، والألفـــاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغـات التي اتفق عليها بنو آدم ، فلا يسمون عالماً قادراً إلا من قام به العلم والقـدرة ، ومن قام بـه العلم والقدرة سموه عالماً قادراً ، وهذا معنى قول من قال من أهـــل الاثبات : إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل ، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم ، دون غيره . ومعني قولهم : إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منهـا اسم كما يشتق لمحل العلم عليم ، ولمحل الكلام متكلم ، ومعنى قولهم : إن صدق المشتق لاينفك عن صدق المشتق منه أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم

والكلام ، فاذا صدق في الموصوف أنه عليم ، لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ، ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة من قال : مخلوق ، وأن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام ، بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره ، وعلموا أن هـــذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، دون الله ، وأن الله لا يكون متكلماً أصلاً ؛ صاروا يذكرون قولهم بحسب ماهو عليه في نفسه ، وهو أن الله لا يتكلم وإنما خلق شيئاً تكلم عنه . وهكذا كانت الجهمية تقول أولاً ، ثم إنها زعمت أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره . واختلفوا هـــل يسمى متكلماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين . فلهم في تسمية الله تعالى متكلماً بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو حقيقة قولهم وهم فيه أصدق لاظهارهم كفرهم : ان الله لاتكلم ، ولا يتكلم .

والثاني :ـ وهم فيه متوسطون في النفاق ـ إنه يسمى متكلماً بطريق المجاز .

والثالث ـ وهم فيه منافقون نفاقاً محضاً ـ : إنه يسمى متكلماً بطريق الحقيقة ، وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب ، فلهذا كانوا من أكذب الناس في تسمية الله متكلماً بكلام ليس قائماً به ، وإنما هو مخلوق في غيره ، كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالماً ، قادراً ، مريداً ، متكلماً بلا علم يقوم به ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها ، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن . (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الفرقان : ٦٠ وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم ، كما قال الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية : فاذا

قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . قلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا : نعم. قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لاتثبتون شيئاً ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ،وقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ، ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فإذا سمع الجاهل قولهم ،يظن أنهم من أشد الناس تعظيماالله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودون قولهم إلى ضلالة و كفر . انتهى كلامه .

قوله :

لكن أهل الاعتزال قديمهم   لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي : أن قدماء المعتزلة ، ك . واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهما لم يذهبوا الى القول بخلق القرآن ، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن ، ولهذا قال الناظم :

فهم بذا جهمية أهل اعتزا   ل ثوبهم أضحى له علمان

العلم : رسم الثوب ورقمه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ . أي : أن القائلين بخلق القرآن ، كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين ، وهذا معنى قول الناظم : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ .

قوله : واللالكائي الامام حكاه عنهم الخ .

قال الامام الحافظ ابو القاسم اللالكائي وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين ، وأتباع

التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ، ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، قال . ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكن اختصرت ، فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لاينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، وأمروا بقتله ، أو نفيه ، أو صلبه . قال : ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق ، الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان . فأما جعد ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم ، فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسأذكر قصتها إن شاء الله تعالى ، وقد حكى نحواً من هذا الطبراني ، كما ذكر الناظم رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل
في مذهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة ... في ذاته أيضاً فهم نوعان
إحداهما جعلته مبدوءاً به ... نوعاً حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات خالق هذه الاكوان
فلذاك قالوا إنه ذو أول ... ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما ... ذو مبدء بل ليس ينتهيان

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا　　وأتوا بتشنيع بلا برهان
قلنا كما قالوه في أفعاله　　بل بيننا بون من الفرقان
بل نحن أسعد منهم بالحق إذ　　قلنا هما بالله قائمتان
وهم فقالوا لم يقم بالله لا　　فعل ولا قول فتعطيلان
لفعاله ومقاله شر وأبطل من حلول حوادث ببيان
تعطيله عن فعله وكلامه　　شر من التشنيع بالهذيان
هذي مقالات ابن كرام وما　　ردوا عليه قط بالبرهان
أنى وماقد قال أقرب منهم　　للعقل والآثار والقرآن
لكنهم جاؤوا له بجعاجع　　وفراقع وقعاقع بشنان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة ، فذكر مقالة الكرامية بتشديد الراء ، وهم أتباع أبي عبد الله محمد ابن كرام ، أبو عبد الله السجستاني الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية ، مات سنة ٢٥٥ وفي « القاموس » ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش ، وأنه جوهر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مذهب الكرامية ان كلام الله تعالى حادث ، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام ، بل مازال عندهم قادراً على الكلام ، وهو عندهم لم يزل متكلماً ، بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام ، وإلا فوجود الكلام

عندهم في الأزل ممتنع ، كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من اهل الكلام ، كالمعتزلة وأتباعهم ، وهم يقولون : إنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته ، ولا يقولون : ان الأصوات المسموعة ، والمداد الذي في المصحف قديم ، بل يقولون : ان ذلك محدث .

قوله : إحداهما جعلته مبدوءاً به . . الى قوله :

وكلام كفعاله وكلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي : إن الكرامية قالت : ان كلام الله تعالى له أول ، ولفعاله أول ، ولكن لانهاية لهما عندهم .

وقوله: حذار تسلسل الأعيان . أي : أن الكرامية قالوا هذا القول خوفاً من لزوم التسلسل ، وذلك لأنهم شاركوا الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الاعراض المشهور بين المتكلمين ، ومبنى الدليل على منع التسلسل . قالوا : فلو كان الباري تعالى متكلماً في الأزل بكلام لا أول له ، وفاعلاً لأفعال لا أول لها ، لزمنا القول بالتسلسل ، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم .

وقوله : قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا الخ . أي : قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام : انا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى ، فان لها أولاً عندكم ، فليكن كلامه كذلك ، وأنتم قلتم : كلام الله وأفعاله غير قائمة به ، وهذا شيء غير معقول ، إذ لا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام ، ولا فاعلاً الا من قام به الفعل ، وأنتم قلتم : هو قائل بقول لا يقوم به ، وفاعل بفعل لا يقوم

به ، فهذا تعطيل لفعاله ومقاله ، وهو شر من القول بحلول الحوادث، ولهذا قال النـاظم :

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في « الأربعين » ان مسألة حلول الحوادث تلزم عامة الطوائف ، وذكر في « الأربعين » أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضاً . فقال : ان الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطواف . وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وان انكروه باللسان ، فان أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعها قالوا : انه يريد بارادة حادثة ، ويكره بكراهـــة حادثة ، لا في محل، إلا أن صفة المريدية والكارهيـــة محدثة ، واذا حصل المرئي والمسموع ، حدث في ذاته تعـالى صفة السامعية والمبصرية ، لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث ، وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات ، والأشعرية يثبتون نسخ الحـــكم مفسرين ذلك برفعـه أو انتهائه ، والارتفاع والانتهاء عدم بعـد الوجود ، ويقولون :إنه عالم بعلم واحد ، يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع، وبعده يزول ذلك المتعلق ، ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون بأن قدرته تتعلق بإيجاد المعين ، واذا وجد انقطع ذلك التعلق لامتناع إيجـاد الموجود ، وكذلك تعلق الارادة بترجيـح المعين ، وأيضاً المعدوم لايكون مرئياً ولا مسموعاً وعند الوجود يصير مرئياً مسموعاً ، فهـذه التعلقات حادثة ، فان التزم جاهل كون المعدوم مرئياً مسموعاً ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ، لأن رؤية الموجود معأمدو ، أو بالعكس ، غلط ، وإنه يوجب ماذكرنا ،والفلاسفة مع بعدهم

عن هذا يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية والمعية موجودة في الأعيان ، فيكون الله مع كل حادث ، وذلك الوصف الاضافي حدث ذاته . وأبوالبركات من المتأخرين منهم صرح في « المعتبر » بارادات محدثة ، وعلوم محدثة في ذاته تعالى ، زاعماً بأنه لايمكن الاعتراف بكونه إلهاً لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : الاجلال من هذا الاجلال ، والتنزيه من هذا التنزيه واجب :

قال الرازي : واعلم أن الصفة إما حقيقة عارية عن الاضافة ، كالسواد والبياض ، أو حقيقة يلزمها إضافة ، كالعلم والقدرة ، فانه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو اضافة مخصوصة بينهما ، واما إضافية محضة ، ككون الشيء قبل غيره وبعده ، ويمينه ويساره ، فان تغير هذه الأشياء لايوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقية منها ، فنقول : تغير الاضافات لا محيص عنه ، وأما تغير الصفات الحقيقية ، فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر الفرق بين مذهب الكرامية : لايسمى ذلك صفة ، ولانقول : ان ذلك تغير في الصفات الحقيقية . انتهى .

ونقل السيد الشريف في « شرح المواقف » قال : وقالت الكرامية : العقلاء يوافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سبحانه وتعالى ، وإن انكروا علينا[1] باللسان ، فان الجبائية قالوا بارادة وكراهية حادثتين لا في محل ، لكن المريدية والكارهية (قالوا) : حادثتان في ذاته تعالى ، وكذا السامعية والمبصرية تحدث بحدوث المسموع والمبصر ، وأبو الحسين يثبت علوماً متجددة ، والاشعرية يثبتون النسخ ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو انتهاؤه ، وهما عدم بعد الوجود ، فيكونان حادثين . انتهى .

قوله : لكنهم جاؤوا له بجعاجع الخ ، الجعجعة : صوت الرحى

---

(١) في الاصل : وإن أنكرونا .

والقعاقع : تتابع أصوات الرعد ، فرقع الأصابع نقضها ، فتفرقعت وافرنقعت ، قاله في « القاموس » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في ذكر مذهب اهل الحديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ومحمد وأئمة الايمان

قالوا بأن الله حقاً لم يزل ... متكلماً بمشيئه وبيان

إن الكلام هو الكمال فكيف يخلو عنه في أزل بلا امكان

ويصير فيما لم يزل متكلماً ... ماذا اقتضاه له من الامكان

وتعاقب الكلمات أمر ثابت ... للذات مثل تعاقب الازمان

والله رب العرش قال حقيقة ... (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلما ... قد رتبت في مسمع الانسان

وقتان في وقت محال هكذا ... حرفان أيضاً يوجدا في آن

من واحد متكلم بل يوجدا ... بالرسم أو بتكلم الرجلان

هذا هو المعقول أما الاقترا ... ن فليس معقولاً لذي الاذهان

وكذا كلام من سوى متكلم | أيضاً محال ليس في الامكان
الا لمن قام الكلام به فذا | ك كلامه المعقول في الاذهان
أيكون حياً سامعاً أو مبصراً | من غير ماسمع وغير عيان
والسمع والابصار قام بغيره | هذا المحال وواضح البهتان
وكذا مريد والارادة لم تكن | وصفاً له هذا من الهذيان
وكذا قدير ماله من قدرة | قامت به من أوضح البطلان
والله جل جلاله متكلم | بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل الإله عليه لم | ينكره من أتباعهم رجلان
فكلامه حقاً يقوم به والا لم يكن متكلماً بقران
والله قال وقائل وكذا يقول الحق ليس كلامه بالفاني
ويكلم الثقلين يوم معادهم | حقا فيسمع قوله الثقلان
وكذا يكلم حزبه في جنة الحيوان بالتسليم والرضوان
وكذا يكلم رسله يوم اللقا | حقاً فيسألهم عن التبيان
ويراجع التكليم جل جلاله | وقت الجدال له من الانسان
ويكلم الكفار في العرصات تو | بيخاً وتقريعاً بلا غفران
ويكلم الكفار أيضاً في الجحيم أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب النوع الثـاني القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وارادة ، وانه سبحانه يتكلم من ذاته ، وهم أهـل الحديث ، فقال : والآخرون أولو الحديث ، كأحمد ، ومحمد الخ . أي : أن أصحاب الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته اذا شاء ، وذلك أن الكلام من صفات الكمال ، فالذي لا يتكلم ، أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً ، ناقص ، وهذا هو معنى قول الناظم :

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـلو عنه في أزل بلا إمكان
ويصير فيما لم يزل متكلماً ماذا اقتضاه له من الامكان

أي : كيف صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً .

وقوله .

والله رب العرش قال حقيقة (حم) مع (طه) بغير قران
بل أحرف مترتبات مثلما قد رتبت في مسمع الانسان

هذا إشارة إلى رد مذهب السالمية ومن وافقهم ، القائلين بأن كلام الله تعالى حروف واصوات قديمة أزليه ، وأن لها اقـتراناً ثابتاً [1] لذواتها ، وأن السين لا تسبق الباء الخ .

ولهذا قال الناظم : وقتان في وقت محال هكذا ، أي : كما أنه لا يمكن أن يوجد وقتان في وقت ، فمحال أن يوجد حرفان في آن . أي : في وقت من متكلم واحد ، بل يمكن ذلك في الرسم . أي : في الخط ، أو بتكلم رجلين . فذلك يمكن أن يكون في وقت

---

(١) في الاصل اقتران ثابت

واحد، وأما النطق بحرفين معاً، فهو محال غير ممكن، ثم أشار الى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره، وذلك محال أيضاً، فلا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعاً أو مبصراً الا من قام به السمع والبصر، وإلا فلا يسمى سامعاً او مبصراً بسمع او بصر قائم بغيره، وكذا لا يسمى مريداً وقديراً إلا من قامت به الارادة والقدرة، لا يسمى مريداً أو قديراً بارادة او قدرة بغيره. ثم قال الناظم.

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرت مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن، بما أغنى عن إعادته.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفاً فراجعها من القرآن

وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفذه بكل مكان

واذكر حديثاً «في صحيح محمد» ... ذاك البخاري العظيم الشان

فيه نـدا الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصياً والداني

هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان

ورواه عندكم البخاري المجسم بل رواه مجسم فوقان

أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ءٌ ليس مسموعاً لنا بأذان

أم أجمع العلماء والعقلاء من أهل اللسان وأهل كل لسان
ان الندا الصوت الرفيع وضده فهو النجاء كلاهما صوتان
والله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن
واذكر حديثاً لابن مسعود صريحاً انه ذو أحرف ببيان
للحرف منه في الجزا عشر من الـ حسنات مافيهن من نقصان
وانظر الى السور التي افتتحت بأحـر فها ترى سراً عظيم الشان
لم يأت قط بسورة الا أتى في إثرها خبر عن القرآن
اذ كان إخباراً به عنها وفي هذا الشفاء لطالب الايمان
ويدل أن كلامه هو نفسها لا غيرها والحق ذو تبيان
فانظر الى مبدا الكتاب وبعدها (الاعراف) ثم كذا الى (لقمان)
مع تلوها أيضاً ومع (حم) مع (يس) وافهم مقتضى الفرقان

قوله : وأتى الندا في تسع آيات له الخ . وهو قوله تعالى في سورة الأعراف (وناداهما ربهما) الأعراف : ٢٢ الآية . وفي مريم (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ . وفي طه (فلما أتاها نودي ياموسى إني أنا ربك) طه : ١١ ، ١٢ . الآية . وفي سورة الشعراء (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) الشعراء : ١٠ . وفي النمل (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) النمل : ٨ . وفي القصص (فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) القصص : ٣٠ .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) القصص : ٤٦ . (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص : ٦٢ ، ٧٤ - في موضعين - (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) القصص : ٦٥ . وفي الصافات (وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ . وفي النازعات (وهل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) النازعات : ١٥ ، ١٦ .

وقوله : وكذا يكلم جبرئيل بأمره . يشير الى حديث النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، فاذا تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل فيقول جبريل : (قال الحق وهو العلي الكبير) سبأ : ٢٣ . فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض ، رواه ابن أبي حاتم[١] .

وقوله : واذكر حديثاً في « صحيح محمد » الخ . يشير الى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في القصاص ، وقد تقدم .

وقوله . ورواه عندكم البخاري المجسم الخ . يحكى عن الصاحب بن عباد أنه قال عن البخاري : إنه مجسم ساقط .

قوله : أيصح في عقل وفي نقل ندا . قال شيخ الاسلام في « منهاج السنة » . النداء لايكون الا أصواتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس .

---

(١) كان في هذا الحديث نقص ، فاستدركناه من « تفسير ابن كثير » .

وقول الناظم : وأتى الندا في تسع آيات له الخ. بل أتى النداء في عشرة مواضع أو أكثر ، كما في « المنهاج » .

قوله : واذكر حديثاً لابن مسعود . هو ما رواه الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غيره من الأئمة ، وفيه : « أما إني لا أقول (الٓمٓ) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

قوله : وانظر الى السور التي افتتحت الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « بدائع الفوائد » : تأمل سر (الٓمٓ) كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ، فالألف اذا بدىء بها أولاً كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ، ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الحلق ، واللسان ، والشفتين ، وتنزلت في التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية ، فهذه الحروف تعتمد (على) المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها ثمانية[1] وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينها ، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته ، وتوسطه ، فمشتملة على تخليق العالم وغايته ، وعلى المتوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ، وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فان الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها ، وهي الجهر ، والشدة ،

(١) في الاصل تسعة .

والاستعلاء ، والقلقلة ، والاطباق . والسين حرف مهموس، رخو، مستقل، صفير ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع الى الطاء الاحرف (التي) يقابلها ، كالسين والهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرر القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين قول العبد ، وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين، وذكر القبل مرتين، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن الا تكرار القول والمحاورة ، وسر آخر ، وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة، والجهر ، والعلو، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح، فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ ، وقولهم (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) ص : ٥ الى آخر كلامهم . ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات ، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم.

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها ، وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، والله سبحانه أعلم. آخر كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

والله عز وجل موص آمر ناه مثيب مرسل لبيان

ومخاطب ومحاسب ومنبيء ومحدث ومخبر بالشان

ومكلم متكلم بل قائل ومحذر ومبشر بأمان

هاد يقول الحق يرشد خلقه بكلامه للحق والايمان

فاذا انتفت صفة الكلام فكل هـ ـذا منتف متحقق البطلان

واذا انتفت صفة الكلام كذلك الا إرسال منفي بلا فرقان

فرسالة المبعوث تبليغ كلا م المرسل الداعي بلا نقصان

وحقيقة الارسال نفس خطابه للمرسلين وأنه نوعان

نوع بغير وساطة ككلامه موسى وجبريل القريب الداني

منه اليه من وراء حجابه إذ لا تراه هاهنا العينان

والآخر التكليم منه بالوسا طة وهو أيضاً عنده ضربان

وحي وإرسال اليه وذاك في الشورى أتى في أحسن التبيان

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة ، اذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، فاذا انتفت صفة الكلام ، لزم نفي الرسالة ، ثم ذكر أن حقيقة الارسال نفس خطابه تعالى للمرسلين ، وهو نوعان : بغير وساطة ، ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب ، والنوع الثاني : تكليم بالوساطة ، كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل ، كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه مايشاء) الشورى:٥١ الآيـة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم التشبية للرب بالجماد الناقص اذا انتفت صفة الكلام

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها ... خرس وذلك غاية النقصان

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي ... هو قابل من أمة الحيوان

والرب ليس بقابل صفة الكلا ... م فنفيها ما فيه من نقصان

فيقال سلب كلامه وقبوله ... صفة الكلام أتم للنقصان

إذ أخرس الانسان أكمل حالة ... من ذا الجماد بأوضح البرهان

فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ ... ـجسيم والتشبيه بالانسان

ووقعت في تشبيهه بالجامدا ... ت الناقصات وذا من الخذلان

الله أكبر هتكت أستاركم حتى غدوتم ضحكة الصبيان

قول الناظم :

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها خرس وذلك غاية النقصان

لاشك أن الكلام صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما ، فالخالق أحق به ، لأنه هو الذي خلقه ، وكل كمال اتصف به موجود ممكن وحادث ، فالموجود الواجب القديم أولى به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث ، فالخالق أولى بتنزيهه عنه .

قوله : فلئن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل الخ . قالت النفاة من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم : لما قيل لهم ، اذا لم يوصف بالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والكلام ، لزم أن يتصف بما يقابل ذلك ، كالعجز ، والجهل ، والموت ، والبكم . فقالوا : إنما يلزم ذلك لو كان قابلاً للاتصاف بذلك ، فان المتقابلين تقابل السلب والايجاب ، كالوجود والعدم ، اذا عدم أحدهما ثبت الآخر ، وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة ، كالحياة والموت ، والعمى والبصر ، فقد يخلو المحل عنهما ، كالجماد ، فانه لايوصف لا بهذا ولا بهذا . فقال لهم أهل الاثبات : فررتم (من)[1] تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لايسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، مع امكان ذلك منه ، فشبهتموه بالجماد الذي لايقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا ، فكان مافررتم اليه شراً مما فررتم منه .

(١) في الاصل : عن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفعال العباد خليقة الرحمن

من ألف وجه أو قريب الالف يحصيها الذي يعنى بهذا الشان

فيكون كل كلام هذا الخلق عين كلامه سبحان ذي السلطان

اذ كان منسوباً اليه كلامه خلقاً كبيت الله ذي الاركان

هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد مصرحاً ببيان

حذر التناقض إذ تناقضتم ولكن طرده في غاية الكفران

فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كبيته وكلاهما خلقان

فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو م (ولا الخصوص)[1] كرب ذي الأكوان

ويقال رب العرش أيضاً هكذا تخصيصه لاضافة القرآن

لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غاية الايضاح والتبيان

هذا الالزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف ، الزموا به الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأن إضافته الى الله اضافة تشريف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، فألزمهم السلف بأن جميع كلام

---

(١) جملة : « ولا الخصوص » زيادة لم تكن في الاصل ، ولا في غيره ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

الخلق عين كلام الله . قال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر ، وإذا كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ . وزعموا أن هذا مخلوق . وقال (انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني) طه : ١٤ . فقد ادعى ما ادعى فرعون ، فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى) من هذا ، وكلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك ابو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق « أفعال العباد » ، وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى ابن سعيد القطان ، ولهذا قال الناظم : هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد ، أي : أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم ، فقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

ولكن طرد هذا ، كما قال الناظم : في غاية الكفران ، أي : ان القول بهذا هو غاية الكفران ، بل لا أكفر ممن يقول ذلك ، نعوذ بالله .

قوله : فلئن زعمتم أن تخصيص القران الخ . أي : كما أنه اذا قيل : رب الأكوان ، ورب المخلوقات ، فالعرش داخل في عموم الأكوان والمخلوقات ، فاذا قلتم : ان اضافة القرآن اليه تعالى للتشريف ، لزمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله ، والتخصيص في القرآن لاينفي العموم ، كما اذا قيل : رب العرش ، ورب الأكوان ، كما لايخفى ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ ـأمر الصريح وذاك في الفرقان

وكلاهما عند المنازع واحد والكل خلق ما هنا شيئان

والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه وذاك في القرآن

فيقال هذا ذو امتناع ظاهر في آيـة التفريق ذو تبيان

فالله بعد الخلق أخبر أنها قد سخرت والأمر للجريان

وأبان عن تسخيرها سبحانه بالأمر بعد الخلق والتبيان

والأمر إما مصدر أو كان مفـ ـعولاً هما في ذاك مستويان

مأموره هو قابل للأمر كالـ ـمصنوع قابل صنعة الرحمن

فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان

وانظر الى نظم السياق تجد به سراً عجيباً واضح البرهان

ذكر الخصوص وبعده متقدماً والوصف والتعميم في ذا الثاني

فأتى بنوعي خلقه وبأمره فعلاً ووصفاً موجزاً ببيان

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

قوله : ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الخ . أي : ان الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ فجعل الخلق غير الأمر ، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا: ان الخلق هنا هو الأمر ، وقالوا : العطف لا يقتضي المغايرة ، بل هو من عطف الخاص على العام ، وهذا معنى قول الناظم : والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه الخ. وهذا مردود ؛ لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنها بعد الخلق قد سخرت بالأمر .

قوله : والأمر إما مصدر الخ . أي : ان الأمر في الآية ، إما ان يكون مصدراً ، كما هو الأظهر ، وإما ان يكون المراد به المأمور ، كما يقوله أهل التأويل ، فهما سواء ، فإن المأمور لابد له من آمر ، ولذلك سمي مأموراً ، كما ان المخلوق ينفى اذ انتفى الحدثان .

وقال الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في شرح « جمع الجوامع » قال البويطي عن الشافعي : انما خلق الله الخلق بـ (كن) ، فلو كانت هي مخلوقة ، فمخلوق خلق مخلوقاً . قال الأئمة : ولو كان (كن) الأول مخلوقاً، فهو مخلوق بأخرى ، وأخرى الى ما لا يتناهى ،وهو مستحيل. وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ الأمر: القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لم يكن لتفصيله معنى . قال ابن عيينة : فرق بين الأمر والخلق ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وأما ان القرآن هو الأمر ، فلقوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) الدخان : ٣ ـ ٥ وروي هذا الاستنباط عن احمد بن حنبل، ومحمد ابن يحيى الذهلي ، واحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة ، وذكر البيهقي بإسناد

صحيح عن عمرو بن دينار قال : سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : ومشيخته جماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن الزبير ، وأكابر التابعين ، ثم قال : وروينا هذا القول عن الليث بن سعد ، وسفيان ، وابن المبارك ، وحماد ابن زيد ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ، والبخاري ، ومشيخة سواهم . وانما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم ، وعنه كان يأخذ الجهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الاوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه … منه ومجرور بمن نوعان

عين ووصف قائم بالعين فالـ … أعيان خلق الخالق الرحمن

والوصف بالمجرور قام لأنه … أولى به في عرف كل لسان

ونظير ذا أيضاً سواء ما يضـا … ف اليه من صفة ومن أعيان

فاضافة الأوصاف ثابتة لمن … قامت به كارادة الرحمن

وإضافة الاعيان ثابتة له … ملكاً وخلقاً ما هما سيان

فانظر إلى بيت الإله وعلمه … لما أضيف كيف يفترقان

وكلامه كحياته وكعلمه ... في ذي الإضافة إذ هما وصفان

لكن ناقته وبيت إلهنا ... فكعبده أيضاً هما ذاتان

فانظر إلى الجهمي لما فاته الـ ... حق المبين واضح الفرقان

كان الجميع لديه باباً واحداً ... والصبح لاح لمن له عينان

قوله : والله أخبر في القران بأنه الخ . أي : كما في قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) الانعام : ١١٤ وقال تعالى عن المسيح (وروح منه) النساء : ١٧١ ومن لابتداء الغاية . وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) الجاثية : ١٣ ومن لابتداء الغاية.

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى لايقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات ، وجب ان يكون صفة لله تعالى قائمة به ، وامتنع اضافته اضافة مخلوق مربوب ، واذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كجبريل ، وعيسى عليهما السلام ، وأرواح بني آدم ، امتنع ان يكون صفة لله تعالى ، لأن ماقام بنفسه لايكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة الى الله تعالى على وجهين :

أحدهما : أن تضاف اليه بكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شامل لجميع المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيد الله ، وجميع المال مال الله .

الوجه الثاني : ان يضاف اليه لما خصه به من معنى يحبه ، ويأمر به ، ويرضاه ، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لاتكون في غيره ، وكما يقال

في مال الخمس والفيء : هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه ، فعباد الله هم الذين عبدوه أوطاعوا أمره ، فهذه اضافة تتضمن ألوهيته ، وشرعه ، ودينه ، وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقه . انتهى ملخصاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما　　للناس قرآن ولا إثنان

بل أربع كل يسمى بالقرا　　ن وذاك قول بيّن البطلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت　　في الرسم يدعى المصحف العثماني

والثالث المحفوظ بين صدورنا　　هذي الثلاث خليقة الرحمن

والرابع المعنى القديم كعلمه　　كل يعبر عنه بالقرآن

وأظنه قد رام شيئاً لم يجد　　عنه عبارة ناطق ببيان

إن المعين ذو مراتب أربع　　عقلت فلا تخفى على إنسان

في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثم الرسم حين تخطه ببنان

وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ　　أولى به الموجود في الأعيان

بخلاف قول ابن الخطيب فانه　　قد قال ان الوضع للأذهان

فالشيء شيء واحد لا أربع　　فدهى ابن حزم قلة العرفان

ابن حزم : هو الامام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري المشهور ، عالم الأندلس ، صاحب المصنفات المشهورة ، كـ « الملل والنحل » و « المحلى شرح المجلى »[1] وكتاب « الاجماع » وكتاب « الايصال » وغير ذلك ، وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره ، والاسهاب في أمره . وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » : ولد رحمه الله تعالى بقرطبة سنة ٣٨٤ أربـــع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع من أبي عمر أحمد بن الحسور ، ويحيى بن مسعود ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحمام بن أحمد القاضي ، وعبد الله ابن ربيع التميمي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وخلق . روى عنه أبو عبد الله الحميدي فأكثر ، وابنه أبو رافع الفضل ، وطائفة . وكان إليه المنتهى في الذكاء ، والحفظ ، وسعة الدائرة في العلوم ، وكان شافعياً ، ثم انتقل الى القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية ، وكان صاحب فنون ، فيه دين ، وتورع ، وتزهد ، وتحر للصدق ، وكان أبوه وزيراً جليلاً ، محتشماً ، كبير الشأن ، وكان لأبي محمد كتب عظيمة ، لاسيما كتب الحديث ، والفقه ، وقد صنف كتاباً كبيراً في فقـه الحديث سماه « الايصال الى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام والحلال والحرام » اورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم ، والحجة لكل قول ، وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » مجلدان ، وكتاب « المجلى » في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد ، وشرحه وهو « المحلى » في ثمـــاني مجلدات ، وكتاب « الفصل في الملل والنحل » ثلاث مجلدات ، وكتاب « إظهار تبديل اليهود

---

(١) لقد جمع ابن حزم مسائل مختصرة في كتاب سماه « المجلى » ثم رغب اليه بعض الناس أن يشرحه ، فاستجاب وسماه « المحلى شرح المجلى » وهو كتاب عظيم ومرجع كبير في الفقه الاسلامي ، غير أنه ـ رحمه الله ـ كان شديد اللهجة في الرد على مخالفيه.

والنصارى للكتابين التوراة والانجيل » وكتاب « التقريب لحد المنطق » والمدخل اليه بألفاظ أهل العلم ، لا بألفاظ أهـل الفلسفة ، ومثله بالأمثلة الفقهية . أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي ، وأمعن فيه ، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء .

قال أبو حامد الغزالي : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه .

وقال صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، ومعرفته بالسنن والآثار . اخبرني ولده الفضل أنـه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تآليفه أربعمائة مجلد ، يحتوي على نحو من ثمانين الف ورقة .

قال الحميدي : كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستنبطاً للاحكام من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء ، وسرعـة الحفظ ، وكرم النفس والتـدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير ، جمعه على حروف المعجم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاته ، سوى المجلد الأخـير من كتاب « الفصل » وقرأنا عليه من كتاب « الإيصال » سبع مجلدات في سنة ست وخمسين[1] ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ومن تآليفه كتاب « الصادع » في الرد على من قال بالتقليد ، وكتاب « شرح أحاديث الموطأ » ، وكتاب « الجامع » في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، وكتاب « منتقى الإجماع » وكتاب

---

(١) لعله يقصد : سنة ست وخمسين بعد الاربعمائة .

« كشف الالتباس لما بين الظاهرية وأصحاب القياس » وله « السيرة النبوية » في مجلد ، وتصانيفه كثيرة .

قال أبو مروان بن حيان : كان ابن حزم حامل فنون ، من حديث ، وفقه ، وجدل ، ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة ، من المنطق ، والفلسفة ، وله كتب كثيرة ، لم يخل فيها من غلط ، لجراءته في التسور على الفنون ، لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض ، ومال أولاً في النظر الى الشافعي ، وناضل عنه ، حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل عن ذلك الى الظاهر ، فنقحه وجادل عنه ، ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولابتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، وينشقه انشقاق الخردل ، فتنفر عنه القلوب ، وتقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالؤوا عليه ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منه ، فطفق الملوك يقصدونه ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ، ولاراجع ، الى آخر كلام لأبي حيان ، تركته اختصاراً . انتهى . توفي ٤٥٦ سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقوله في القرآن قول مهجور ، لا نعلم قائلاً به ، وهو من جمله مجازفته وتهوره ، رحمه الله ، ولكن الناظم ، لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ، ذكر هذا القول ، لأنه من جملة الأقوال التي قيلت ، والا فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قد ذكر في المسألة المصرية أقوال الناس في القرآن ، فبلغت

سبعة أقوال ، أو ثمانية ، ولم يذكر قــول ابن حزم هذا ، وحيث ذكره الناظم ، فلا بد من بيان معناه . فقوله : بل أربع كل يسمى بالقرآن، هذا الذي يتلى ، والثـاني : المـكتوب في المصاحف ، والثالث : المحفوظ في الصدور ، والمراد بالرسم : الخط . وقوله : هذه الثلاث خليقــة الرحمن ، وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن ، ولذلك قال الناظم : وذاك قول بين البطلان .

قوله : والرابع المعنى القديم الخ . كأنه والله أعــلم وافق الاشاعرة والكلابية في إثبات المعنى النفسي ، وقد تقـدم القول في المعنى النفسي بما أغني عن الإعادة .

وقول الناظم : وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ، إلى قوله : ان المعيّن ذو مراتب أربع الخ .. أي : أن المعين كزيد مثلا له أربع وجودات : وجــود خارجي ، ووجود ذهني ، ووجود لفظي ، أي : في اللفظ ، اذا تلفظت بلفظ زيد ، ووجود رسمي ، أي : خطي ، فهذه الوجودات الأربعة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق. إقرأ وربك الاكرم .الذي عـلم بالقلم) القـلم : ١ — ٤ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، فمذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق ، وهي وجوده العيني ، واللفظي ، والرسمي ، ولكن الاولى بالتسمية بالقرآن ــ وهو وجوده العيني ــ بقي عنده المعنى القديم ، فهو غير مخلوق ، كالعلم .

وقول الناظم . بخلاف قول ابن الخطيب الخ . أي : أن قول ابن

الخطيب ، أي الفخر الرازي ، قال : ان الكلام موضوع لما في الذهن . وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الاشاعرة ، وإنه معنى واحد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله أخبر أنه سبحانه ... متكلم بالوحي والفرقان

وكذاك أخبرنا بأن كلامه ... بصدور أهل العلم والايمان

وكذاك أخبر أنه المكتوب في ... صحف مطهرة من الرحمن[1]

وكذاك أخبر أنه المتلو والـ ... مقروء عند تلاوة الانسان

والكل شيء واحد لا أنه ... هو أربع وثلاثة واثنان

وتلاوة القرآن أفعال لنا ... وكذا الكتابة فهي خط بنان

لكنما المتلو والمكتوب والـ ... محفوظ قول الواحد المنان

والعبد يقرؤه بصوت طيب ... وبضده فهما له صوتان

وكذاك يكتبه بخط جيد ... وبضده فهما له خطان

أصواتنا ومدادنا وأداتنا ... والرق ثم كتابة القرآن

ولقد أتى في نظمه من قال قو ... ل الحق فيه وهو غير جبان

إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرق مخلوقان

(١) في الاصل : الشيطان ، وعلى هامش الاصل : نسخة الرحمن .

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقاً هما شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الاذهان والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن في تعريفها   باللام قد يعنى بها شيئان

يعنى بها المتلو فهو كلامه   هو غير مخلوق كذي الاكوان

ويراد أفعال العباد كصوتهم   وأدائهم وكلاهما خلقان

هذا الذي نصت عليه أئمة الـ   إسلام اهل العلم والعرفان

وهو الذي قصد البخاري الرضى   لكن تقاصر قاصر الاذهان

عن فهمه كتقاصر الافهام عن   قول الإمام الاعظم الشيباني

في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان

فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا   كتلفظ بتلاوة القرآن

وكذاك يصلح نفس ملفوظ به   وهو القرآن فذان محتملان

فلذاك أنكر أحمد الاطلاق في   نفي وإثبات بلا فرقان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان القراءة ، والمقروء ، والتلاوة ، والمتلو ، والكتابة ، والمكتوب ، والمحفوظ ، واللفظ ، والملفوظ ،

وأطنب في ذلك لكثرة ماوقع في ذلك من التخبيط والتخليط، فقال[1]: والله أخبر أنه سبحانه متكلم الخ . كما قال تعالى (حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتو العلم) العنكبوت : ٤٩، وقال تعالى (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة) عبس : ١٣، ١٤ وقال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة : ١٨ ثم قال : والكل شيء واحد ، لأنه هو أربع ، وثلاثة ، واثنان ، ثم قال:

وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الاسلام بعد كلام سبق: وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، أي: في مسألة اللفظ في القرآن، فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي ، وطوائف غير هؤلاء ، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك ، أو يقف فيه ، ففهم ذلك بعض الأئمة ، فصار يقول : أفعال العباد (و) أصواتهم مخلوقه ، رداً لهؤلاء ، كما فعل البخاري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة ، وأهواء للنفوس ، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ماهو معروف ، وصار قوم مع البخاري ، كمسلم بن الحجاج ونحوه . وقوم عليه ، كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، ونحوهما ، وكلا هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل ، ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم ، إلا في مسألة اللفظ ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، وليس

---

(١) أي الناظم .

مرادهم بالتلاوة المصدر ، فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهـــل العلم والسنة ، قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول ، والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو . وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء . والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ، أرادو بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البجاري ، وهو مقصود صحيح . انتهى كلامه ملخصاً من كتاب « العقل والنقل » .

وقال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» : قال عبدالرحمن بن محمد الحافظ : حدثنا عبدالله بن محمد بن الفضل الصيداوي ، سمعت اسحق بن داود الشعراني يذكر أنه عرض على محمد بن أسلم الطوسي كلام بعض من تكلم في القرآن ، فقال محمد : القرآن كلام الله غير مخلوق أين ماتلي وحيث ما كتب ، لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل . قال الذهبي : صدق والله ، فانك تنقل من المصحف مائة مصحف ، وذلك الأول لايتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيئته لايفصل عنك ولا يتغير ، وذلك لأن المكتوب واحد ، والكتابة تعددت ، والذي في صدرك واحد ، ومـا في صدور المقرئين ، هو عين ما في صدرك سواء ، والمتلو وان تعدد التالون به ، واحد ، مع كونه صور وآيات ، وأجزاء متعددة ، وهو كلام الله ووحيه ، وتنزيله وإنشاؤه ، ليس هو بكلامنا أصلاً . نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنـــا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا . قال الله عز وجل (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنـا ، كلام الله ، ليس بمخلوق ، وهذا إنما يحصله الذهن . وأما في الخارج ، فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال وفي مصحف ، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من

رب العالمين ، فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين ، ولهذا يقول الامام أحمد : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن ، فهو جهمي ، فتأمل هذا ، فالمسألة صعبة ، وما فصلته فيها - وإن كان حقاً - فأحمد رحمه الله تعالى وعلماء السلف ، لم يأذنوا في التعبير عن ذلك ، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن ، حتى إن حرب بن اسماعيل قال : سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل يقول : القرآن ليس بمخلوق ، وقراءتي إياه مخاوقة ، لأني أحكيه ، فقال : هذا بدعة لايقار على هذا حتى يدع قوله .

قلت : أظن اسحق نفر من قوله : لأني أحكيه ، بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال: سألت أبي في رجل قال: التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، قال : هذا كلام الجهمية . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال النبي ﷺ : «حتى أبلغ كلام ربي »(١) وقال : « إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام النـــاس» (٢)

---

(١) الذي في « سنن أبي داود » « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشاً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي » كان يقول ذلك عندما يعرض نفسه على الناس في المواسم .

(٢) والحديث بتمامه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه : ما شأنكم تنظرون الي - قـــال - فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي وأمي ، مارأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ، وقراءة القرآن » . رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . وابو داود ، وقال : « لا يحل » مكان « لا يصلح » .

وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، او يقال : مخلوق، أو غير مخلوق.

قلت : فعل الامام أحمد رضي الله عنه هذا حسما للمادة ، والا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا . انتهى كلام الذهبي . وقول الناظم : وهو الذي قصد البخاري الرضى الى آخره . يعني ان الامام أحمد قال فيما نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

قال الناظم في كتاب « الصواعق المرسلة »[1] فان قيل : فاذا كان الأمر كما قررتم ، فكيف أنكر الامام احمد على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وبدعة ، ونسبه الى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري الا على ذلك ، حتى هجره أهل الحديث ، ونسبوه الى القول بخلق القرآن . قيل : معاذ الله أن يظن بأئمة الاسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد » وفي آخر « الجامع » [2] بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.. الى أن قال : فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه ، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله ، فان الامام احمد سد الذريعة ، حيث منع اطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ ، وهذا المنع في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة ، وتحقيقه لهذا الباب ، فانه امتحن بما لم يمتحن به غيره ، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران : أحدهما :

---

(١) على الجهمية والمعطلة .

(٢) أي « الجامع الصحيح » وهو المعروف بـ « صحيح البخاري » .

الملفوظ نفسه ، وهو غير مقدور للعبد ، ولا فعل له . والثاني : التلفظ به ، والادالة ، وفعل العبد ، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الاول ، وهو خطأ ، واطلاق نفي الخلق عليه ، قد يوهم المعنى الثاني ، وهو خطأ ، فمنع الاطلاقين . وأبو عبد الله البخاري ، ميز ، وفصل ، وأشبع الكلام في ذلك ، وفرق بين ماقام بالرب ، وبين ما قام بالعبد ، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد ، وأصواتهم ، وحركاتهم ، وأكسابهم ، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى ، وسمعه محمد ﷺ من جبريل ، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب « خلق أفعال العباد » وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ، ويوضح الحق ، ويبين محله من الامامه والدين ، ورد على الطائفتين أحسن الرد. وقال أبو عبد الله البخاري : فأما ما احتج به الفريقان لمذاهب احمد ، ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت كثير من اخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن احمد وأهل العلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق ، وما سواه فهو مخلوق ، وانهم كرهوا البحث والتفتيش عن الاشياء الغامضة. و (كان) يجتنب أهل الكلام ، والخوض ، والتنازع الا فيما جاء به العلم ، وبينه النبي ﷺ ، والفريقان اللذين عناهما البخاري ، وتصدى للرد عليهما وابطال قولهما ، ثم أخبر البخاري أن كل واحدة من الطائفتين الزائغتين تحتج بأحمد ، وتزعم ان قولها قوله ، وهو كما قال رحمه الله ، فان اولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنه على ذلك استقر أمره ، وهذا قول من يقول : التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، والكتابة هي المكتوب ، والطائفة الثانية الذين يقولون : التلاوة والقراءة مخلوقه ، ويقولون : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، ومرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألفاظ القرآن العربي الذي

سمع من رسول الله ﷺ ، والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس، وهو غير مخلوق ، وهو اسم للقرآن ، فاذا قالوا: القرآن غير مخلوق ، أرادوا به ذلك المعنى ، وهو المتلو والمقروء . وأما المقروء والمسموع المثبت في المصاحف ، فهو عبارة عنه ، وهو مخلوق ، وهؤلاء يقولون : التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ، وهي مخلوقة ، والمتلو المقروء غير مخلوق ، وهو غير مسموع ، فانه ليس بحروف ولا أصوات ، والفريقان مع كل منهما حق وباطل .

فنقول وبالله التوفيق . اما الفريق الاول ، فأصابوا في قولهم : إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن، على الحقيقة حروفه ومعانيه ، تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته ، وليس هذا القرآن العربي مخلوقاً من جملة المخلوقات ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا الصوت المسموع من القارىء هو الصوت القائم بذات الرب تعالى ، وانه غير مخلوق ، وان تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة ، فهذا غلو في الاثبات يجمع بين الحق والباطل . وأما الفريق الثاني ، فأصابوا في قولهم : إن أصوات العباد، وتلاوتهم ، وقراءتهم ، وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن، وكتابتهم له ، مخلوق، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا القرآن العربي الذي بلغه رسول الله ﷺ عن الله ، مخلوق ، ولم يتكلم به الرب ، ولا سمع منه ، وان كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ، ليس بحروف ، ولا سور ، ولا آيات ، ولا له بعض ، ولا كل ، وليس بعربي ، ولا عبراني ، بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعني ، والحرب واقع بين هذين الفريقين من بعد موت الامام أحمد الى الآن ، فانه لما مات الامام احمد قال طائفة ممن ينسب اليه ، منهم محمد بن داود المصيصي وغيره : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وحكوا

ذلك عن الامام أحمد ، فأنكر عليهم صاحب الامام أحمد ، وأخص الناس به ، أبو بكر المروذي ذلك ، وصنف كتاباً مشهوراً ذكره الخلال في « السنة » ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد ، وأبو نصر السجزي ، وغيرهما ، ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ، ثم ابن الزاغوني ، وهو خطأ على أحمد ، فقابل هؤلاء الفريق الثاني .وقالوا : إن نفس هذه الألفاظ مخلوقة ، لم يتكلم الله بها ، ولم تسمع منه ، وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه وقالوا : هذا قول أحمد ، والبخاري . وأئمة السنة براء من هذين القولين ، والثابت المتواتر عن الامام أحمد ، هو مانقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه : صالح ، وعبد الله ، والمروذي ، وغيرهم ، الانكار على الطائفتين جميعاً ، كما ذكره والبخاري ؛ فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين ، وكان يقول : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق » فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق ، فهو مبتدع ، وإن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ، هو كلام الله على الحقيقة ، وحيث تعرف كلام الله ، فهو غير مخلوق . وكان يقول بخلق أفعال العباد وأصواتهم ، وأن الصوت المسموع من القارىء هو صوته وهو مخلوق ، ويقول في قول النبي ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »[1] معناه : يحسنه بصوته ، كما قال : « زينوا القرآن بأصواتكم »[2] انتهى كلام الناظم .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة في كتاب التوحيد : باب قوله تعالى (وأسروا قولكم او اجهروا به) ورواه احمد وابو داود .

(٢) رواه البخاري تعليقاً وابو داود ، ولدارمي ، والحاكم وهو حديث صحيح

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعاً   للمسلمين بافك ذي بهتان

فرآه فيضاً فاض من عقل هو الـ   ـفعال علة هذه الأكوان

حتى تلقاه زكي فاضل   حسن التخيل جيد التبيان

فأتى به للعالمين خطابة   ومواعظاً عريت عن البرهان

ما صرحت أخباره بالحق بل   رمزت اليه إشارة لمعان

وخطاب هذا الحق والجمهور بالـ   ـحق الصريح فغير ذي إمكان

لا يقبلون حقائق المعقول الا   في مثال الحس والاعيان

ومشارب العقلاء لا يردونها   الا اذا وضعت لهم بأوان

من جنس ما ألفت طباعهم من المـ   ـحسوس في ذا العالم الجثمان

فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجـ   ـسيم وتخييل الى الاذهان

ولذاك يحرم عندهم تأويله   لكنه حل لذي العرفان

فاذا تأولناه كان جناية   منا وخرق سياج ذا البستان

لكن حقيقة قولهم أن قد اتوا بالكذب عند[1] مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم متفاوتان وما هما عدلان
اما الرسول ففيلسوف عوامهم والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيا قاله اتباع صاحب منطق اليونان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى كلام المتفلسفة في كلام الله تعالى ، كابن سينا وأتباعه ، ومن وافقهم من متصوف ومتكلم ، فان كلام الله عندم ليس له وجود خارج عن نفوس العباد ، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني إعلاما أو طلباً ، اما من العقل الفعال ، كما يقوله كثير من المتفلسفة ، واما مطلقاً ، كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة . أفاده شيخ الاسلام ، وقال في كلامه على حديث النزول[2] بعد كلام سبق : ثم لما أرادوا تقرير النبوة ، جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال ، أو غيره ، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولاً معيناً ، ولا يميز بين موسى ، وعيسى ؛ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ ، إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون به ، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق ، وعلمت الناس ما الأمر عليه ، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء ؟ على

(١) في الاصل : فيه .

(٢) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان : « شرح حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيميه .

قولين لهم ، الى غير ذلك من أنواع الالحاد ، والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، وان تظاهروا بالاسلام ، فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ، ولم يكن على عهد حذيفة من وصل الى هذا النفاق ، ولا إلى قريب منه . انتهى .

قوله : خطابة : بفتح الخاء : ماركب من مقدمات مقبولة ، أو من مقدمات مظنونة ، وسميت بذلك ، لأن القصد منها ترغيب المخاطب فيما يفعله الخطباء ، كذا ذكر المنطقيون .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومضى على هذي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كل موحد رباني

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء رسل الله والقرآن

صوفيهم عبد الوجود المطلق الـ ... ـمعدوم عند العقل في الاعيان

أو ملحد بالاتحاد يدين لا الـ ... ـتوحيد منسلخ من الاديان

معبوده موطوؤه فيه يرى   وصف الجمال ومظهر الاحسان

الله أكبر كم على ذا المذهب الـ   ملعون بين الناس من شيخان

يبغون منهم دعوة ويقبّلو   ن أياديا منهم رجا الغفران

لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم   رجموهم لا شك بالصوان

فابذرهم ان كنت تبغي كشفهم   وافرش لهم كفاً من الأتبان

واظهر بمظهر قابل منهم ولا   تظهر بمظهر صاحب النكران

وانظر الى أنهار كفر فجرت   وتهم لولا السيف بالجريان

يقول الناظم: إنه قد مضى على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا، منهم نصير الكفر وأصحابه، يعني النصير الطوسي، ونحوه قوله: فاغتذوا بلبان اللبان، بكسر اللام. قال الأعلم: هو للآدميين، واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع. قوله: صوفيهم عبد الوجود المطلق الخ، أي أن صوفيتهم عندهم أن الرب ـ تعالى عن قولهم ـ هو الوجود المطلق الساري في الموجوات، والوجود المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه قدوم ركبهم. قوله: معبوده موطوؤه، أي أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق .

قوله :

الله اكبر كم على ذا المذهب الـ   ملعون بين الناس من شيخان

أي : كم على هذا المذهب من مشايخ الضلال المنتحلين لأنواع الكفر والمحال . قوله : من شيخان بكسر الشين هو جمع شيخ ، أي : على ذا المذهب مشايخ كثيرون ، والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم ، ولأنهم يظهرون التقى والتقشف ، ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب

والسنة ، وتعظيم الرسل ظاهراً ، ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف . وينتحلون أقوالهم ويعظمونها ، فلهذا التبس أمرهم على الناس . وقد يوجد في كلام بعضهم ، كابن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة ؛ كالجنيد وامثاله ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله .

وفي كتاب « الفرقان »[١] لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات » المكية و « الفصوص »[٢] وأشباه ذلك بمدح الكفار مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم ، ويتنقص بالأنبياء ، كنوح ، وابراهيم ، وموسى ، وهرون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهيل بن عبد الله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه. انتهى .

وقوله : يبغون منهم دعوة ويقبلون أياديا. هي جمع يد ، أي: أن الناس يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ، ويطلبون منهم الدعاء ، ولو علموا حقيقة قولهم ، أي : لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود ، لرجموهم[٣] لاشك بالصوان ، أي : بالحجارة الصوانة مشددة ، ضرب من الحجارة شديد ، جمع صوان ، قاله في « القاموس » .

وقوله : فابذرلهم إن كنت تبغي كشفهم الخ . أي : إن أردت أن

---

(١) هو «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الاسلام ابن تيميه ، وقد قام المكتب الاسلامي قريباً بطبعه مع تخريج احاديثه .

(٢) هو ابن عربي الطائي ، صاحب الشطحات .

(٣) في الاصل : رجموهم .

يظهروا لك حقيقـــة اعتقادهم ، فأعطهم شيئاً من حطام الدنيا ، واظهر بمظهر قابل منهم ، ولا تبد لهم الإنكار ، فانك إذا فعلت ذلك أظهروا لك أقوالهم الكفرية المتضمنة للكذب والسخرية .

وقوله :

وانظر إلى أنهار كفر فجرت وتهمّ لولا السيف بالجريان

يقال :ـ والله المستعان ـ قد جرت تلك الانهار حتى ملأت الديار والقفار ، وقد أثقلت كتب هؤلاء الملاعين ظهر البسيطة ، فانظر ترى يامن له عينان ، والله المستعان ، وان شئت أن تعرف ذلك ، فطالع كتب ابن عربي كـ « الفتوحات المكية » و « الفصوص » وشروحها و « تائية ابن الفارض » وشروحها ، وتصانيف العفيف التلمساني ، والشيخ عبد الغني النابلسي ، ومؤلفات عبد الرزاق الكاشي ، وكتاب « الانساني الكامل » للجيلي وقصيدته العينية ، وغيرها ، والله الموعد .

ولقد أحسن أبو حيان النحوي في قوله:

حلبت الدهر أشطره زماناً وأغناني العيان عن السؤال

فما أبصرت من خل وفيّ ولا ألفيت مشكور الخلال

ذئاب في ثياب قد تبدّت لرائيها بأشكال الرجال

فمن يك يدّعي منهم صلاحاً فزنديق تغلغل في الضلال

فيأخذ مالهم ويصيب منهم نساءهم بمقبوح الفعال

ويأخذ حاله زوراً فيرمي عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس تقرمط في العقيدة والفعال

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله

وأتت طوائف الاتحاد بملة طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هـذا الخلق من جن ومن إنسان
نظماً ونثراً زوره وصحيحه صدقاً وكذباً واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول الله جل جلاله وكلامه حقاً بلا نكران
هـذا الذي أدى اليه أصلهم وعليه قام مكسح البنيان
إذ أصلهم أن الاله حقيقة عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله وصفاته ما هاهنا قولان
وكذاك قالوا إنه الموصوف بالضدين من قبح ومن احسان[1]

(١) هذا البيت سقط من الاصل ، واستدركناه من مخطوطة المتن .

وكذاك قد وصفوه أيضاً بالكما ل وضده من سائر النقصان

هذي مقالات الطوائف كلها حملت اليك رخيصة الاثمان

وأظن لو فتشت كتب الناس ما ألفيتها أبداً بذا التبيان

زفت اليك فان يكن لك ناظر أبصرت ذات الحسن والاحسان

أقول : حاصل كلام الاتحادية ، كما قال الناظم[١] ان جميع كلام الخلق كلام الله ، نظمه ونثره ، زوره وصحيحه ، صدقه وكذبه ، جميعه كلام الله تعالى عن ذلك، كما قالو :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء كان علينا نثره ونظامه

عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم الدين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاعطف[٢] على الجهمية المغل الألى خرقوا سياج العقل والقرآن

تقدم معنى السياج .

شرد بهم من خلفهم واكسرهم بل ناد في ناديهم بأذان

أفسدتم المنقول والمعقول والـ ـمسموع من لغة بكل لسان

أيصح وصف الشيء بالمشتق للـ ـمسلوب معناه لذي الأذهان؟!

أيصح صبّار ولا صبر له ويصح شكار بلا شكران؟!

---

(١) أي كما قال الناظم حاكياً قول الاتحادية .

(٢) في الاصل : وعطف ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

ويصح علام ولا علم له ويصح غفار بلا غفران ؟!

ويقال هذا سامع أو مبصر والسمع والأبصار مفقودان ؟!

هذا محال في العقول وفي النقـ ـول وفي اللغات وغير ذي إمكان

فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفي اشتقاق اللفظ للمـ ـوجود معناه به وثبوته للثاني

أعني الذي ما قام معناه به قلب الحقائق أقبح البهتان

ونظير ذا اخوان هذا مبصر وأخوه معدود من العميان

سميتم الأعمى بصيراً إذ أخو ه مبصر وبعكسه في الثاني

فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله كالخلق للأكوان

والفعل ليس بقائم بإلهنا إذ لا يكون محل ذي حدثان

ويصح أن يشتق منه خالق فكذلك المتكلم الوحدان ؟!

هو فاعل لكلامه وكتابه ليس الكلام له بوصف معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في توضيح ما تقدم فقال : فاعطف على الجهمية المغل الألى الخ . أي : أن الجهمية خالفوا العقل والنقل ، فلهذا قال : شرد بهم من خلفهم . والتشريد : التفريق مع الاضطراب ، والازعاج . قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : (فشرد بهم من خلفهم) الأنفال ٥٧

قال : شردهم ، سمع بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم . يقال : شردت بني فلان: قلعتهم عن مواضعهم ، وطردتهم عنها حتى فارقوها ، ومنه شرد البعير ، إذا فارق صاحبه ، بـل ناد في ناديهم بأذان . أي : ارفع صوتك في ناديهم ، أي : مجلسهم ، والنادي : قال في « القاموس » النادي والندوة والمنتدى : مجلس القوم نهاراً ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، والأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى : (وأذان من الله ورسوله) التوبة :٣ أي : قل للجهمية: أفسدتم المعقول ، والمنقول ، واللغة التي نزل بها القرآن . وقل : أيصح وصف الشيء بالمشتق للمسلوب ؟ معناه : فهل يصح صبار ولا صبر له ؟ وهل يصح شكار ولا شكر له ؟ ويصح علام ولا علم له ؟ ويصح غفار بلا مغفرة ؟ ويصح أن يقال : هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر ؟ ان هذا محال في العقل ، والنقل ، واللغة .

قوله : مكسح البنيان ، هو اسم مفعول من كسح يكسح كسحاً[1] ، فهو مكسح . قال في « القاموس » : الكساحة : الكناسة ، والزمانة في اليدين . كسح ، كفرح ، وهو أكسح وكسحان . والكساح : داء للابل . والمكسح : المقشر ، والكسيح[2] : العاجز ، والاكسح : الأعرج ، والمقعد ، جمع كسحان . انتهى .

ثم قال :

فلئن زعمتم انه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفى اشتقاق اللفظ الخ .

أي : أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفـظ الموجود معناه به الخ . . لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام ، واذا أضفتم الكلام

(١) في الاصل : كسح يكسح تكسيحاً ؛ وهو خطأ ، والتصويب من « اللسان »

(٢) في الاصل: المكسر: المقشر، والكسح ، وهو خطأ ، والتصحيح من « القاموس »

الى غير من قام به ، كان ذلك محالاً ، وهو قلب للحقائق ، وهو بمنزلة أخوين بصير ، وأعمى ، فهل يسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه مبصر ؟ وهل يسمى المبصر أعمى لأن أخاه أعمى ؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا ؟!

وقوله : فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله الخ. أي : إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله . أي : لأن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والفعل ليس قائماً بالله تعالى عندهم ، لئلا تقوم به الحوادث عندهم ، ولكن يصح أن يشتق منه خالق ، فكذلك الكلام ، فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ، ولم يزد الناظم على هذا القول هنا ، لأنه سيبسط الكلام عليه فيما بعد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومخالف المعقول والمنقول والـ ... ـفطرات والمسموع للانسان

من قال إن كلامه سبحانه ... وصف قديم أحرف ومعان

والسين عند الباء ليست بعدها ... لكن هما حرفان مقترنان

أو قال إن كلامه سبحانه ... معنى قديم قام بالرحمن

ما إن له كل ولا بعض ولا الـ ... ـعربي حقيقته[1] ولا العبراني

والأمر عين النهي واستفهامه ... هو عين إخبار بلا فرقان

وكلامه كحياته ما ذاك مقـ ... ـدوراً له بل لازم الرحمن

هذا الذي قد خالف المعقول والـ ... ـمنقول والفطرات للانسان

---

(١) في الاصل : حقيقة ، والتصحيح من المتن المطبوع .

أما الذي قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيان

وكلامه بمشيئة وإدارة كالفعل منه كلاهما سيان

فهو الذي قد قال قولا يعلم الـعقلاء صحته بلا نكران

فلأي شيء كان ما قد قلتمُ أولى وأقرب منه للبرهان

ولأي شيء دائماً كفّرتم أصحاب هذا القول بالعدوان

فدعوا الدعاوي واجثوا معنا بتحقيق وإنصاف بلا عدوان

وارفوا مذاهبكم وسدّوا خرقها إن كان ذاك الرفو في الامكان

فاحكم هداك الله بينهمُ فقد أدلوا اليك بحجة وبيان

لاتنصرنّ سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن والايمان

وتحيزن اليهمُ لا غيرهم لتكون منصوراً لدى الرحمن

ذكر الناظم رحمه الله مذهب الاقترانية ومذهب الكلابية والاشاعرة في كلام الله تعالى ، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية ، ثم بسط الكلام في مسألة : هل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ؟ فقال :

فنقول هذا القدر قد أعيى على أهل الكلام وقاده أصلان

إحداهما هل فعله مفعوله أو غيره فهما لهم قولان

والقائلون بأنه هو عينه فروا من الأوصاف بالحدثان

لكن حقيقة قولهم وصريحه تعطيل خالق هذه الاكوان

عن فعـله إذ فعله مفعوله لكنه ما قـام بالرحمن

فعلى[1] الحقيقة ماله فعل اذ الـمفعول منفصل عن الديان

والقائلون بأنه غيرٌ له متنازعون وهم فطائفتان

إحداهما قالت قديم قائم بالذات وهو كقدرة المنان

سموه تكويناً قديماً قاله أتباع شيخ العـالم النعمان

وخصومهم لم ينصفوا في رده بل كابروهم ما أتوا ببيان

والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قـام وأنهم نوعان

إحداهما جعلته مفتتحاً به حذر التسلسل ليس ذا إمكان

هذا الذي قالته كرامية ففعاله وكلامه سيان

والآخرون أولو الحديث كأحمد ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني

قد قال إن الله حقاً لم يزل متكلماً ان شاء ذو إحسان

جعل الكلام صفات فعل قائم بالذات لم يفقد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بالـإحسان أيضاً في مكان ثان

وكذا ابن عباس فراجع قوله لما أجاب مسائل القرآن

وكذاك جعفرٌ الامام الصادق الـمقبول عند الخلق ذي العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسناً براً جواداً عند كل أوان

---

(١) في الاصل : فعل ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

وكذا الامام الدارمي فانه | قد قال مافيه هدى الحيران
قال الحياة مع الفعال كلاهما | متلازمان فليس يفترقان
صدق الامام فكل حي فهو فعا | ل وذا في غاية التبيان
الا اذا ما كان ثَمّ موانع | من آفة أو قاسر الحيوان
والرب ليس لفعله من مانع | ما شاء كان بقدرة الديان
ومشيئة الرحمن لازمة له | وكذاك قدرة ربنا الرحمن
هذا وقد فطر الإله عباده | ان المهيمن دائم الاحسانِ
أولست تسمع قول كل موحد | يا دائم المعروف والسلطان
وقديم الاحسان الكثير ودائم السجود العظيم وصاحب الغفران
من غير إنكار عليهم فطرة | فطروا عليها لا تواصٍ ثان
أو ليس فعل الرب تابع وصفه | وكماله أفذاك ذو حدثان؟!
وكماله سبب الفعال وخلقه | أفعالهم سبب الكمال الثاني
أو ما فعال الرب عين كماله | أفذاك ممتنع على المنان؟!
أزلاً الى أن صار فيما لم يزل | متمكناً والفعل ذو إمكان
تالله قد ضلت عقول القوم إذ | قالوا بهذا القول ذي البطلان
ماذا الذي أضحى له متجدداً | حتى تمكن فانطقوا ببيان

والرب ليس معطلا عن فعله   بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى النزاع في الأصل المشهور : وهو أنه : هل الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ؟ ومعنى ذلك أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة المضافة الى الرب سبحانه وتعالى ، مثل المجيء ، والاتيان ، والاستواء الى السماء ، والى العرش ، بل وفي الأفعال المتعدية ، مثل الخلق ، والاحسان ، والعدل ، وغير ذلك : هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلاً فعله غير المخلوق ، أم فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟ على قولين معروفين ، والأول هو المأثور عن السلف ، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب « خلق الأفعال »[١] عن العلماء مطلقاً ، ولم يذكروا فيه نزاعاً .

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب « خلق الافعال » : اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ، وقالت الجبرية ، الأفاعيل كلها من الله . وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : (كن) مخلوق . وقال : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول من سواه من المخلوقات . انتهى .

وكذلك ذكره البغوي وغيره عن مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره أبو علي الثقفي والضبعي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب « التعرف لمذهب التصوف » أنه مذهب الصوفية ، وهو مذهب الحنفية ، وهو مشهور عندهم ، وهو قول السلف ، وجمهور الطوائف ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدميهم[٢] ، وأكثر المتأخرين منهم ،

---

(١) وهو المعروف بكتاب « خلق أفعال العباد » .

(٢) في الاصل : متقدموهم كلهم .

وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى ، وكذلك قول أئمة الشافعية ، والمالكية ، وأهل الحديث ، وأكثر أهل الكلام ، كالهشامية والكلابية ، والكرامية كلهم ، وبعض المعتزلة ، وكثير من أساطين الفلاسفة . وذهب متقدموهم ، ومتأخروهم ، وآخرون من أهل الكلام ، الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله عند هؤلاء صنع ، ولا خلق ، ولا فعل ، ولا إبداع الا المخلوقات أنفسها ، وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ[١] قالوا بأن الرب مبدع ، كابن سيناء ونحوه .

قوله : والقائلون بأنه غير ؛ أي : القائلون بأن الخلق هو المخلوق ، فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى ، والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق ، أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق ، لكان ذلك الخلق إما قديماً وإما حادثاً ، فان كان قديماً ، لزم قدم كل مخلوق ، وهذا مكابرة ، وإن كان حادثاً ، فان قام بالرب ، لزم قيام الحوادث به ، وان لم يقم به ، كان الخلق قائماً بغير الخالق ، وهذا ممتنع ، وسواء قام به ، أو لم يقم به ، يفتقر ذلك الخلق الى خلق آخر ، ويلزم التسلسل . هذا عمدتهم ، وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية ، فلتطلب من المطولات . وأما حجة القائلين بأن الخلق غير المخلوق ، فقد ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، ولكن الكرامية - كما ذكر الناظم - جعلت له أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل .

وقوله : إحداهما قالت قديم قائم الخ . أي : إن أتباع شيخ العالم بفتح اللام ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، عالم العراق رحمه الله تعالى ، قد قالوا : ان التكوين قديم قائم بالذات ، والمكون حادث ، وهو كقدرته سبحانه ، كما قال الامام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته

---

(١) في الاصل : إذا

المشهورة[1] : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ،ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا باحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبيه ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محي الموتى بعد ما أحي استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهى .

قوله : والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام الخ . أي: أن الكرامية رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ، ولكن له أول ، وهو معنى قول الناظم عنهم ، ففعاله وكلامه سيان ، يعني أن كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامية .

قوله : والآخرون أولو الحديث كأحمد الخ . أي : أن مذهب أهل الحديث ، كأحمد بن حنبل وغيره ، أن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولم يزل فعالاً ، ولهذا قال الناظم عن الامام أحمد : إن الله حقاً لم يزل متكلماً إن شاء . قال الامام أحمد في رواية حنبل : لم يزل الله عالماً متكلما غفوراً . وقال في الرد على الجهمية : لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً، لامتى ولا كيف.

قوله : وكذا ابن عباس فراجع قوله الخ . يريد مارواه البخاري في « صحيحه » عن سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس قال : إني أجد

---

(١) وقد قنا بطبعها مع شرحها مصححة محققة وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

في القرآن أشياء تختلف عليّ»، فذكر مسائله ، ومنها قال : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) النساء : ٩٦ (وكان الله عزيزاً حكيما) النساء : ١٥٨ (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ وكأنه كان ثم مضى . فقال ابن عباس : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي : لم أزل كذلك ، هذا لفظ البخاري بتمامه ؛ واختصر الحديث ، ورواه البرقاني عن طريق شيخ البخاري بتمامه ، فقال ابن عباس : فأما قوله : (وكان الله غفوراً رحيما) (وكان الله عزيزاً حكيما) (وكان الله سميعاً بصيراً) فان الله جعل نفسه ذلك ؛ وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله أحداً غيره ، وكان الله . أي : لم يزل كذلك ، هذا لفظ الحميدي صاحب «الجمع» . ورواه البيهقي عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي ، عن يوسف بن عدي شيخ البخاري قال : إن الله سمى نفسه ذلك ، ولم ينحله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل كذلك ، ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان . عن يوسف ، ولفظ ابن عباس : فان الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل .

قوله : وكذلك جعفر الامام الخ . يعني مارواه الثعالبي في تفسيره باسناده عن جعفر بن محمد الصادق ، أنه سئل عن قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) المؤمنون : ١١٥ لم خلق الخلق؟ فقال : لأن الله كان محسناً بما لم يزل ، فيما لم يزل ، الى مالم يزل ، فأراد تعالى أن يفيض إحسانه الى خلقه ، وكان غنياً عنهم ، لم يخلقهم لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، ولكن خلقهم ، وأحسن اليهم ، وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافأه بالجنة ، ومن عصى كافأه بالنار .

قوله : وكذا الامام الدارمي الخ . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي

في كتاب « النقض على المريسي »[١] حين احتج بقوله تعالى (الله لا إله الا هو الحي القيوم) البقره : ٢٥٥ وادعى أن تفسير القيوم : الذي لايزول ، يعني الذي لا ينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض.ولا يبسط . قال عثمان[٢] وكان واضحاً عند العلماء وأهل البصر بالعربية ، أن معنى لا يزول : لا يفنى ولا يبيد ، لأنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان إذا شاء ، كما كان يقال في الشيء الفاني : هو زائل ، كما قال لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل ‏ ‏ ‏ ‏ وكل نعيم لامحالة زائل

يعني : فان ، لا أنه متحرك ، فان أمارة مابين الحي والميت التحرك ، وما لا يتحرك ، فهو ميت لايوصف بحياة ، كمالاتوصف الأصنام الميتة (بالحياة). قال الله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم لايخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) النحل : ٢٠ ، ٢١ فالله الحي ، القيوم ، القابض ، الباسط ، يتحرك إذا شاء ، ويفعل مايشاء ، بخلاف الأصنام التي لاتزول حتى تزال . وقال البخاري : ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لاتعرف الحي من الميت الا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . قال : وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع ، بل البدع والترؤس بالجهل لغيرهم أولى ، اذ يفتون بالآراء المختلفة بما لم يأذن به الله . انتهى .

---

(١) وقد قمنا بطبعه قريباً بعنوان «الرد على الجهمية» للامـــام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي .

(٢) اي الدارمي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والأمر والتكوين وصف كماله | مـا فقد ذا ووجوده سيان
وتخلف التأثير بعد تمام مو | جبه محال ليس في الامكان
والله ربي لم يزل ذا قدرة | ومشـيئة ويليهما وصفـان
العلم مع وصف الحياة وهذه | أوصاف ذات الخالق المنان
وبها تمام الفعل ليس بدونها | فعل يتم بواضح البرهان
فلأي شيء قـد تأخر فعله | مع موجب قد تم بالأركان
ما كان ممتنعاً عليه الفعل بل | ما زال فعل الله ذا إمكان
والله عاب المشركين بأنهم | عبدوا الحجارة في رضى الشيطان
ونعى عليهم كونها ليست بخا | لقة وليست ذات نطق بيان
فأبان أن الفعل والتكليم من | أوثانهم لا شـك مفقودان
فاذا هما فقدا فما مسلوبها | باله حق وهو ذو بطلان
والله فهو إله حق دائمـاً | أفعنه ذا الوصفان مسلوبان ؟!
أزلاً وليس لفقدها من غاية | هذا المحال وأعظم البطلان
إن كان رب العرش حقاً لم يزل | أبداً إله الحق ذا سلطـان
فكذاك أيضاً لم يزل متكلماً | بل فاعلاً ماشاء ذا إحسان

والله ما في العقل ما يقضي لذا   بالرد والابطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته   للخالق الأزليّ ذي الاحسان
هذا وما دون المهيمن حادث   ليس القديم سواه في الاكوان
والله سابق كل شيء غيره   ما ربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شيء غيره   سبحانه جل العظيم الشان
لسنا نقول كما يقول الملحد الـ   ـزنديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والـ   أرواح في أزل وليس بفان
هذي مقالات الملاحدة الأُلى   كفروا بخالق هذه الاكوان

قوله :

وتخلف التأثير بعد تمام مو   جبه محال ليس في الإمكان

والمولى سبحانه لم يزل ذا قدرة، ومشيئة، وعلم، وحياة ، وهذه كما قال الناظم: أوصاف ذات الخالق المنان. وبها تمام الفعل، ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود الأثر ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك ، فالرب سبحانه لم يزل فعالاً متكلما إذا شاء ، ولهذا لما قال المتكلمون بوجوب تأخر الأثر ، أورد عليهم من الاشكالات ما لا جواب لهم عنه ، ثم قال الناظم : والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الحجارة الخ . أي : أن الله عاب على المشركين عبادة الأصنام، ونعى عليهم كونها لاتخلق ولا تتكلم ، واذا فقد الفعل والكلام ، فليس مسلوبها بالله حق ، والله تعالى وتقدس لم يزل متكلما فعالاً محسناً ، وما سواه حادث ، كما قال الناظم : هذا وما دون المهيمن حادث .

وقوله : والله كان وليس شيء غيره الخ . أي : ان المولى سبحانه كان

وليس معه شيء من خلقه ، كما قال : ماربنا والخلق مقترنان .

وقوله : ماربنا والخلق مقترنان . هـــذا إشارة الى الرد على ابن سينا وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية ، وأن العالم لم يزل مع الله أزلاً وأبداً ، ويقولون : العلة متقدمة على المعلول ، وإن قارنته بالزمان . فيقال لهم : إن أردتم بالعلة ما هو شرط في وجود المعلول لا مبدعاً له ، كان حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعاً للممكنات ولا رباً لهـــا ، بل وجوده شرط في وجودها ، وهذا حقيقـة قول هؤلاء ، فالرب على أصلهم والعالم متلازمان ، كل منهما شرط في الآخر ، والرب محتاج الى العالم ، كما أن العالم محتاج الى الرب ، وهم يبالغون في اثبات غناه عن غيره، وعلى أصلهم فقره الى غيره كفقر بعض المخلوقات ، وإن أرادوا بالعلة ما هو مبدع للمعلول ، فهذا لا يعقل ، مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول تقدماً حقيقياً ، وهو التقدم المعقول ، واذا شبهوا وجود الفلك مع الرب بالصوت مع الحركة ، والضوء مع الشمس ، كان هذا ونحوه تشبيهـاً باطلاً لا يفيد امكان صحة قولهم ، فضلاً عن إثبات صحته ، فان هـــذه الأمور وأمثالها إما أن يقال فيها : إن الثاني موجود متصل بالأول كاجزاء الزمان والحركة ، لأنه معه في الزمان ، وأما أن يقال : الثاني مشروط بالأول ، لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له ، فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل لغيره ، مع أن زمانهما معاً أصلاً ، وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون الشيء المعين مراداً مقدوراً يوجب العلم بكونه حادثاً بعد أن لم يكن ، بل هذا عندهم من الامور الضرورية ، ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء مقدور للفاعل مراد له فعله بمشيئته وقدرته ، يوجب العلم بأنه حادث ، بل مجرد تصورهم كون الشيء مفعولاً أو مخلوقاً أو مصنوعاً أو نحو ذلك من

العبارات ، يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن ، ثم بعد هـذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته ، وإذا علم أن الفاعل لايكون فاعلًا الا بمشيئته وقدرته ، وما كان مقدوراً ومراداً فهو محدث ،كان هذا أيضاً دليلًا ثابتاً على أنه محدث ، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض ، أو خلق شيئاً من الاشياء ، كان هذا مستلزماً لكون ذلك المحدث مخلوقاً ، كائناً بعد أن لم يكن ، واذا قيل لبعضهم : هو قديم مخلوق ، أو قديم ، وعنى بالمخلوق مايعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهريه المتأخرون الذين يريدون بلفظ المحدث أنـه معلول ، ويقولون : إنه قديم أزلي ، مع كونه معلولاً ممكناً ، يقبل الوجود والعدم ، فاذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه ، وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقاً محدثاً معلولاً مفعولاً ممكناً أن يوجد وأن يعدم ، وقدروه مع ذلك قديماً أزلياً واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد بسطنا هـذا في الكلام على المحصل وغيره ، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته ، أنه لم يقله أحد منهم ، بل هم متفقون على أن كل مفعول فانه لايكون الا محدثاً ، وكل ما قدر أنه معلول لعلة فاعلة ، فانه لايكون الا محدثاً ، وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا ، من أن الممكن وجوده وعدمه ،قد يكون قديماً أزلياً ، قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين ، فانهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لايكون الا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن ، وأرسطو

اذا قال : إن الفلك قديم ؛ لم يجعله مع ذلك ممكناً يمكن وجوده وعدمه ، والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدوراً مراداً يوجب العلم بكونه محدثاً ، بل العلم بكونه مفعولاً يوجب العلم بكونه محدثاً ، فان الفعل والخلق والابداع والصنع ونحو ذلك ، لايعقل الا مع قصور حدوث المفعول . وأيضاً فالجمع بين كون الشيء مفعولاً وبين كونه قديماً أزلياً مقارناً للفاعل في الزمان ، جمع بين المتناقضين ، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه مفعوله المعين ، سواء سمي علة ، أو لم يسم ، ولكن يعقل كون الشرط مقارناً للمشروط ، والمثل الذي يذكرونه من قولهم : حركت يدي فتحرك خاتمي ، او كمي ، او المفتاح ، ونحو ذلك ، حجة عليهم لالهم ، فان حركة اليد ليست هي العلة التامة ، ولا الفاعل لحركة الخاتم ، بل الخاتم مع الاصبع كالاصبع من الكف ، فالخاتم متصل بالاصبع ، والأصبع متصلة بالكف ، لكن الخاتم يمكن نزعه بلا ألم ، بخلاف الكف . وقد يفرض بين الاصبع والخاتم تقدم بيسير ، بخلاف أبعاض الكف ، ولكن حركة الاصبع شرط في حركة الخاتم ، كما أن حركة الكف شرط في حركة الاصبع ، أعني في الحركة المعينة التي مبدؤها من اليد ، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم او الاصبع ابتداء ، فان هذه تتصل منها الى الكف ، كمن يجر أصبع غيره ، فيجر معه كفه ، وما يذكرونه من ان التقديم يكون بالذات والعلة ، كحركة الاصبع ، ويكون بالطبع ، كتقدم الواحد على الاثنين ، وتكون بالمكانة ، كتقدم العالم على الجاهل ، ويكون بالمكان ، كتقدم الصف الأول على الثاني ، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره ، وتكون بالزمان ؛ كلام مستدرك ، فان التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان ، فان قبل وبعد ومع ونحو ذلك ، معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني ، وأما التقدم بالعلية ، او الذات مع المقارنة في الزمان ، فهذا لا يعقل البتة ،

ولاله مثال مطابق في الوجود ، بل هو مجرد تخييل لاحقيقة له ، وأمـــا تقدم الواحد على الاثنين ، فان عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق، فيكون مقدماً في التصور تقدماً زمانياً ، وإن لم يعن به هذا ، فلا تقدم، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لايتأخر عن المشروط ، بل قد يقارنه وقد يكون معه ، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني ، وأما التقدم بالمكان ؛ فذاك نوع آخر ، وأصله من التقدم بالزمان ، فان مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره ، فالامام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم ، فسمي محل الفعل المتقدم متقدماً، وأصله هذا ،وكذلك التقدم بالرتبة ، فان أهل الفضائل مقدمون في الافعال الشريفة والامكنة ، وغير ذلك على من دونهم ، فسمي ذلك تقدماً وأصله هذا .

وحينئذ فاذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ماسواه ، كان كل شيء متأخراً عنه ، وإن قدر أنه لم يزل فاعلًا ، فكل فعل معين، فهو متأخر عنه ، وإذا قيل : الزمان مقدار الحركة ، فليس هو مقدار حركة معينة ، كحركة الشمس ، او الفلك ، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة ، وقد كان قبل أن تخلق السموات،والأرض ، والشمس، والقمر،حركات وأزمنة، وبعدأن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ، ويكون في الجنة حركات ، كماقال تعالى: (ولهم رزقهم فيها بكرةوعشياً) مريم:٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش ،وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد ، يوم الجمعة ، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القويـة ، وان كانت الجنة كلها نوراً يزهر ونهراً يطرد ، لكن يظهر (في) بعض الأوقات نور آخر يتميز به الليل عن النهار ، فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلماً بمشيئته ، كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل ، هو الوقت الذي يحدث مايحدث فيه من مفعولاته ، وهو سبحانـــه متقدم على كل ماسواه التقدم الحقيقي

المعقول . وأطال الشيخ رحمه الله في هذه المسألة ، ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لا يشترط فيه تقدم العدم ، فذكروا حججاً ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم ، واستقصاها الرازي في « المباحث الشرقية » وذكر في ذلك ما سماه عشرة براهين ، وكلها باطلة ، وفي ذكرها وأجوبتها طول يخل بالمقصود ، وهذا جواب عما لعله يتوهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن الرب تعالى لم يزل فعالاً ، لزمكم القول بقدم العالم ، كما تقوله الفلاسفة ، فنفى ذلك بقوله : لسنا نقول كما يقول الملحد الزنديق الخ . وقد بسط الجواب عن هذا الايراد في فصل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى ، كما سيأتي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان

لكنه الأزلي ليس بمحدث ما كان معدوماً ولا هو فان

وأتى بصلح بين طائفتين بينهما الحروب وما هما سلمان

أنى يكون المسلمون وشيعة اليونان صلحاً قط في الايمان

والسيف بين الأنبياء وبينهم والحرب بينهما فحرب عوان

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح بصارم منه وسل لسان

وأتى الى الاسلام يهدم أصله من أسه وقواعد البنيان

عمر المدارس للفلاسفة الألى كفروا بدين الله والقرآن

وأتى الى أوقاف أهل الدين ينقلها إليهم فعل ذي أضغان

وأراد تحويل الاشارات التي | هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا | ميس التي كانت لدى اليونان
لكنه علم اللعين بأن هـــذا ليس في المقدور والامكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضـــاة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذاك وساعد المقدور بالــ أمر الذي هو حكمة الرحمن
فأشار ان يضع التتار سيوفهم | في عسكر الايمان والقرآن
لكنهم يبقون أهل صنائع الــدنيا لأجــل مصالح الابدان
فغدا على سيف التتار الالف في | مثل لهــا مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئينها في ألفهـا | مضروبة بالعد والحسبان
حتى بكى الاسلام أعداءُ اليهو | د كذا المجوس وعابدو الصلبان
فشفى اللعين النفس من حــزب الرسول وعسكر الايمان والقرآن
وبوده لو كان في أحد وقد | شهد الوقيعة مع ابي سفيان
لأقر أعينهم وأوفى نــذره | أو أن يرى متمزق اللحمان

قوله : وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان الخ .

أي : ان ابن سينا قال : ان العالم ممكن ، ومعنى ذلك عنده ، أن القديم ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، وهذا مما خالف[1] فيه جمهور

---

(١) في الاصل : خلف .

العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، حتى إنه هو تناقض في ذلك، فوافق سلفه وجميع العقلاء ؛ وصرح بأن الممكن لايكون إلا مايقبل الوجود والعدم . وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة ، كأرسطو وأصحابه ؛ بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة ؛ بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بذات واجب الوجود ، ويقولون : إنه تقوم به الصفات والارادات ؛ وإن كونه واجباً بنفسه لاينافي ذلك ، كما لاينافي عندهم جميعاً كونه قديماً ؛ ولكن ابن سينا وأتباعه ؛ لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات ؛ وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم ؛ سلكوا في إثبات رب العالمين طريقاً غير طريقة سلفهم[1] المشائين ؛ كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الاولى بحركة الفلك الاراديه ؛ وأن لها محركا يحركها كحركة المعشوق لعاشقه ؛ وهو يحرك الفلك للتشبه بالعلة الاولى ؛ فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة الى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة اهل الكلام الذين يحتجون بالمحدث على المحدث ، وهو لايقول بحدوث العالم ؛ فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب ، ورأى اولئك المتكلمين قسموا الوجود الى قديم ومحدث ، فقسمه هو الى واجب ، وممكن ، وأثبت الواجب بهذا الطريق . وابن سينا يعجب بهذه الطريقة ، ويقول : إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج الى الاستدلال بالحركة ، كما فعل أسلافه .

قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : وكل هؤلاء يقولون : ما كان معلولاً يمكن وجوده ، ويمكن عدمه ، لايكون الا حادثاً مسبوقاً بالعدم ، وممن قال ذلك ، أرسطو وأتباعه ، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك ، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك ، فزعم ان الفلك هو قديم أزلي مع كونه ممكناً يقبل الوجود والعدم ، وهذا مخالف لما صرح به هو، وصرح

(١) في الاصل : سنفه .

به أئمته وسائر العقلاء ، وهو مما أنكره عليه ابن رشد الحفيد، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطو وسائر الفلاسفة ، وأن هذا لم يقله أحد قبله ؛ وأرسطو لم يكن يقسم الوجود الى واجب وممكن ، ولا يقول : ان الأول موجب بذاته للعالم ، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله ، وهو وإن كان أقرب الى الحق مع فساده وتناقضه ؛ فليس هو قول سلفه ؛ بل قول أرسطو وأتباعه : إن الأول إنما افتقر اليه الفلك لكونه يتحرك للتشبيه به ، لا لكون الأول علة فاعلة له ، وحقيقة قول أرسطو وأتباعه إنما كان واجب الوجود ، أنه لا يكون مفتقراً الى غيره ، فيكون جسما مركباً حاملًا للأعراض ، فان الفلك عندهم واجب بذاته ، وهو كذلك كما قد بسط كلامهم والرد عليهم في غير هذا الموضع .

قلت : قال ابن رشد في كتاب « التهافت » في الرد على ابن سينا :

فاما مايريده ابن سينا في هذه الطريقة ويقول: ان الممكن الوجود يجب أن ينتهي إما الى واجب الوجود من غيره ، أو واجب الوجود من ذاته ، فان انتهى الى واجب الوجود من غيره ، وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازماً عن واجب الوجود لذاته ؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته ، والممكن يحتاج الى واجب ، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلًا وخطأ ، لأن الواجب كيفما فرض ليس فيه إمكان أصلًا ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة . ويقال في تلك الطبيعة : انها ممكنة من جهة واجبة من جهة ، لأنه قد بين القوم أن الواجب ليس فيه امكان أصلًا ، لأن الممكن نقيض الواجب ، وانما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعية ما ، ممكن من جهة طبيعية أخرى ، مثل ما يظن الأمر عليه في الجرم السماوي ، أعني أنه واجب في الجوهر ، ممكن في الحركة في الأين ؛ وانما الذي قاده الى هذا

التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، ممكنة من ذاتها، وقد قلنا في غير ما موضع : ان هذا لايصح بالبرهان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود، متى لم يفصل هذا التفصيل، وعين هذا التعيين، كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية، ومتى حصل، كان من طبيعة الأقاويل البرهانية. انتهى كلامه.

قوله : وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح الخ. تقدمت ترجمة الطوسي، وذكر شيء من أحواله، ومافعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع، أشار الناظم الى ذلك بقوله : فأشار أن يضع التتار سيوفهم الخ. وذلك لما قاتل التتار الخليفة المستعصم بالله والمسلمين في بغداد، والقصة مشهورة في التاريخ، فأما ما جرى على بغداد، فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره. قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » وفي سنة ٦٥٦ أحاط أمر الله ببغداد، فأصبحت خاوية على عروشها، وبقيت حصيداً كأن لم تغن بالأمس، فانا لله وانا اليه راجعون، نازلها المغول في أخلاط من السفل، وأوباش من المنافقين، وكل من لم يؤمن بالحساب. قال : وكان ابن العلقمي الوزير والياً على المسلمين، وكان رافضياً جلداً، فلما استداروا ببغداد، وخارت القوى، وجف الريق، وانخلعت الافئدة، أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال : دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح، فخرج، فاستوثق لنفسه ولمن أراد، وجاء الى الخليفة وقال: إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر، ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية، ويرحل عنك، فأجبه الى ذلك، فان فيه حقن الدماء، وأرى أن تخرج اليه، فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو، فأنزله في خيمة، ثم دخل الوزير فاستدعى الأكابر

لحضور العقد ، فحضروا وضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة[١] فيقتلون ، ثم صيح في البلد ، وبذل السيف ، واستمر القتل، والسبي والحريق ، والنهب ، وقامت قيامة بغداد ـ فلاحـول ولاقوة الا بالله ـ بضعاً وثلاثين يوماً ، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة ، حتى جرت السيول من الدماء ، وردمت فجاج المدينة من القتلى، حتى قيل: انه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف . قال :والاصح أنهم بلغوا نحواً من ثمانمائة ألف . وهذا شيء لايكاد ينضبط ، فانهم قتلوا في الطرق ، والجوامع والبيوت ، والأسطحة ، وبظاهر البلد ، مالا يحصى ،بل هي ملحمة ماجرى قط في الاسلام مثلها ، وسبوا من النسـاء والصغار ماملأ الفضاء ، وممن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه ، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبدالرحمن ، وممن قتل مع الخليفة من الاعيان أعمامه علي ،والحسين ، ويوسف ، وجماعة من أهل بيته ، وأخرج الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي ، وبنوه : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فضربت أعناقهم ، وممن قتل صبراً جماعة مستكثرون من العلماء ، والامراء، والاكابر ، وخلت بغداد من أهلها ، ودثرت المحال ، واستولى عليها الحريق ، واحترقت دار الخلافة ، والجامـع الكبير ، حتى وصلت النار الى خزانة الكتب ، وعم الحريق جميع البلاد ، وما سلم الا مافيه (من) هؤلاء الملاعين، وضاقت بالقتلى ، وانداسوا بالارجل[٢] ، ولم يبق ممر إلا على القتلى ، وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا ،وعاين من سلم من الأهوال مالا يعبر عنه، ثم وقع الوباء ، وكثر الموت ، وكثر الذباب جداً ، حتى غطى الجدران ، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا ، وجاءت القوافل بالجلب من (الحـلة) بخبز وجبن وبيض ، وتعوض أهل الجلب بالكتب ،يأخذون المجلد بفلس ،

---

(١) في الاصل : يخرج كل طائفة بعد طائفة . (٢) في الاصل : في الأرجل .

ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل ، وألقي خلق من القتلى فى دجلة ، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير ، جعل الله ذلك كفارة وتمحيصاً . وزعم العلقمي أنه[1] يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفة علوياً ؛ فلم يتهيأ له ذلك ، ثم لم يلبث أن هلك ، ولم يبق من بغداد وأهلها الا مقدار الثمن ، ونحو ذلك . وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء للملحمة ببغداد ، واتصل الوباء بالشام ، ومات أمم بدمشق وغيرها . انتهى كلامه .

ومعنى ماذكره الناظم رحمه الله تعالى فى قوله : فغدا على سيف التتار الألف في مثل لها مضروبة بوزان . وكذا ثمان مئينها في ألفها الخ . أي : أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة الف ، لكن في هذا نظر ، كما ذكره الذهبي . قال : والأصح أنهم بلغوا نحواً من من ثمانمائة ألف ، وهذا معنى قول الناظم : فشفى اللعين النفس من حزب الرسول الخ . قوله : وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع أبي سفيان . اي : ان النصير يود لو أنه شهد أحداً مع أبي سفيان قائد جيش قريش ، حتى يبلغ أربه ، ويقضي وطره من الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا نهاية العداوة للرسول وأصحابه وحزبه . نعوذ بالله من الخذلان .

قال الناظم رحمه الله :

وشواهد الاحداث ظاهرة على	ذا العالم المخلوق بالبرهان
وأدلة التوحيد تشهد كلها	بحدوث كل ما سوى الرحمن
لو كان غير الله جل جلاله	معه قديماً كان رباً ثاني
إذ كان عن رب العلى مستغنياً	فيكون حينئذ لنا ربان
والرب باستقلاله متوحد	أفممكن أن يستقل اثنان
لو كان ذاك تنافيا وتساقطا	فاذا هما عدمان ممتنعان

(١) في الاصل : أن

والقهر والتوحيد يشهد منهما كل لصاحبه همـــا عدلان

ولذلك اقترنا جميعاً في صفا ت الله فانظر ذاك في القرآن

فالواحد القهار حقاً ليس في الـــ إمكان أن تحظى به ذاتان

أقول : شرع الناظم رحمه الله تعالى في سياق دليل التمانع المشهور بين المتكلمين . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعـــالى في كتابه « شرح عقيدة الأصبهاني » : وهذا التوحيد يعني توحيدالربوبية ، لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفةمن بني آدم ،ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : ان العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال . قال : فان الثنوية من المجوس ، والمانوية القائلين بالأصلين : النور ، والظلمة ، وأن العالم صـــدر عنهما ، متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهو الاله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة ؟ أو محدثة ؟ فلم يسووا بين ربين متماثلين وهم كفار ضـــلال ، وأما النصارى القائلون بالتثليث ، فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ، ويقولون باسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، اله واحد ، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ، فانهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم ، وهذا دأب كل مضل منحد في كل شريعة وملة يكتم الالحـــاد والضلال عن اكثر أتباعه ، لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام ، ولهذا لا يكاد أحـــد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد

اثنان منهم يتفقان على قول واحد ، فانهم يقولون . هو واحد بالذات ، ثلاثة بالأقنوم ، والأقانيم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص ، ويقولون : ان الاقانيم هي أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وكلام النصارى على غاية من الفهاهة والبلادة ، وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء : لو اجتمع عشرة من علماء النصارى لافترقوا عن أحد عشر مذهباً . والحاصل أنهم لا يقولون : خالق الخلق ثلاثة ، بل واحد بالذات ، والله اعلم . والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة ، تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره ، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يتلقى من السمع ، والمشهور عند النظار إثباته بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، وهو أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ، فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم،ويريدالآخر تسكينه ، أو يريد(أحدهما)احياءه،ويريد الآخر إماتته ، فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لايكون إلهاً، ولأن المانع من فعل أحدهما،هوفعل الآخر،فلوامتنع مرادهما، لزم كون كل منهما مانعاً للآخر،وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر ، لان كونه مانعاً يقتضي القدرة،وكونه ممنوعاً يقتضي العجز،وذلك تناقض ،واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ،كان هذا هو الاله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للالهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ لاعتقادهم أن

توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الالهية الذي بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل ، وليس الامر كذلك . وقال في موضع آخر : وقد نقلنا أنه ليس في أهل الارض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال . بل هذا ممتنع لذاته ، وامتناعه ظاهر في العقول ، بخلاف مايظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة ، نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقاً لبعض العالم ، كالثنوية في الظلمة ، وكالقدرية في أفعال الحيوان ، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها ، فهم المشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في إلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك ، فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه بقوله تعالى : (ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون : ٩١ والموجود خلاف هذا ، فان العالم مرتبط بعضه ببعض ، ما من مخلوق الا وهو متصل بغيره من المخلوقات ، محتاج اليه ، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل ، وذلك الأصل من غيره ، وهلم جرا ، وهو أيضاً مفتقر الى الهواء والماء والتراب ، بل والى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر الى أثر الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، وغير ذلك ، والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك مفتقرة بعضها الى بعض ، والعالم العلوي مفتقر الى العالم السفلي ، فلوقدر أن صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه لايفير أحدهما مصنوع الآخر ، لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً في الارض ، فلا تؤثر الشمس والقمر في الارض ، وان يكون ما يصعد من الأدخنة ،

والأبخرة ، والأغبرة ، لا يؤثر في نور الشمس والقمر والهواء، والواقع خلافه ، وتقرير هذا يطول . انتهى كلامه .

وقال الناظم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ الآية ، قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الآله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً ، اذ الآله الحق لا شريك له ، ولاسمي له ، ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء مافيه صلاحها بتأله الآله الحق ، كما أنها لا توجد الا باسنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين ، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان

كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان

والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان

فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقاً يبين لصالح الأذهان

وكذاك سوى الجهم بينهما كذا الـ ـعلاف في الانكار والبطلان

ولأجل ذا حكما بحكم باطل قطعاً على الجنات والنيران

فالجهم أفنى الذات والعلاف للـ ـحركات أفنى قاله الثوران

وأبو علي وابنه والأشعري وبعده ابن الطيب الرباني

وجميع أرباب الكلام الباطل الـ ـمذموم عند أئمة الايمان

فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان

قالوا لأجل تناقض الازلي والـ ـاحداث ماهذان يجتمعان

لكن دوام الفعل في مستقبل مافيه محذور من النكران

فانظر الى التلبيس في ذا الفرق تر ويحا على العوران والعميان

ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لذي ذهن ولا اعيان

بل كل فرد فهو مسبوق بفر د قبله ابداً بلا حسبان

ونظير هذا كل فرد فهو ملـ ـحوق بفرد بعده حكمان

النوع والآحاد مسبوق وملـ ـحوق وكل فهو منها فان

والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا يفنى كذلك اولاً ببيان

وتعاقب الآنات أمر ثابت في الذهن وهو كذاك في الأعيان

أما تعريف التسلسل ، فهو ترتيب أمور غير متناهية . واعلم أن التسلسل نوعان : تسلسل في المؤثرين ، وتسلسل في الآثار ، فاما الأول فهو

محال باتفاق العقلاء ، وأما الثاني ، ففيه قولان للنظـار وغيرهم ، وجوازه قول الأثير الأبهري ، والأرموي. فقول الناظم: فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل أي : إن زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب تعـالى تسلل ، قلنا : نعم ، وذلك صحيح ، كما جوز ارباب الكلام ، كالأشعري ، وابن البـاقلاني ، وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل ، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي ، وابنه أبي هاشم ، وغيرهمـا من المعتزلة ، جوزوا ذلك في الأبد ، فألزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الازل كما جوزوه في الأبد، وأما الجهمية، وأبو الهذيل العلاف، فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين: الأزل، والأبد ، لأنهم قالوا : إذا قلنا : كل خلق قبله لا إلى غاية ، وكل خلق بعده لا إلى نهاية ، لزمنا القول بعدم العالم ، وانما قال الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم ، لأن مبناه على امتناع التسلسل ، وسيرد الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي . والاشعري : هو أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري ، قدم بغداد ، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى السـاجي ، وتفقه بابن سريج ، وقـد كان معتزلياً ، فتاب بالبصرة فوق المنبر ، وأظهر فضائحهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف «الموجز» وغيره ، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً ، وذكر أن دخله في كل سنة كان سبعة عشر درهماً ، وأنه كان من اكثر الناس دعابة ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين . وقيل : سنة ٢٦٠ ستين ومائتين ، ومـات سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائـة . وقيل : ٣٠[1] سنة . وقيل: سنة بضع وثلاثين ، والله أعلم .

---

(١) أي ثلاثين ومائتين .

قلت : وللحافظ ابن عساكر كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري » مجلد .

وابن الطيب هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقـــلاني القاضي ، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومن اكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها كتاب « التبصرة » و « دقائق الحقائق » و « التمهيد » في أصول الفقه و « وشرح الابانة » وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنيـة الذي سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد اختلفوا في مذهبـــه على الفروع . فقيل : شافعي . وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي . وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى ، كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة ، مات في الحجة سنة ٤٠٣ ثلاث واربعمائة .

وأبو علي : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن ابي السكن الجبائي ، ولد سنة ٢٣٥ خمس وثلاثين ومائتين ، وهو من معتزلة البصرة ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه ، لا يدافعه أحد عن ذلك ، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وتوفي سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة ، فدفن بـ(جبى)[1] وله خمس وسبعون مصنفاً .

وابنه أبو هاشم : وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي ، قدم بغداد سنة ٣١٤ أربع عشرة وثلاثمائة ، وتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وكان

(١) قرية من قرى بصرى .

ذكياً ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام ، مقتدراً عليه ، قيماً به ، له مصنفات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فـــاذا أبيتم ذا وقلتم أول الأانات مفتتح بلا نكران

ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرى الا بسلب وجوده الحقــان

فيقال ما تعنون بالأانات هل تعنون مدة هذه الازمان

من حين إحداث السموات العلى والأرض والأفلاك والقمران

ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن من قبلها شيء من الاكوان

هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان

هذا الكتاب وهذه الآثار والــــمعقول في الفطرات والاذهان

إنا نحاكمكم الى ما شئتم منها فحكم الحق في تبيان

أوليس خلق الكون في الايام كا ن وذاك مأخوذ من القرآن

أو ليس ذلكم الزمان بمدة لحدوث شيء وهو عين زمان

فحقيقة الأزمان نسبة حادث لسواه تلك حقيقة الازمان

واذكر حديث السبق للتقدير والـــــتوقيت قبل جميع ذي الاعيان

خمسين ألفاً من سنين عدها الـــــمختار سابقة لذي الاكوان

هذا وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان

يقول الناظم رحمه الله تعالى : فاذا أبيتم ماذكرنا ، وقلتم : ان الأنات لها أول ، ولا يصير ذاك أولاً الا بسلب وجوده ، وإلا لم يكن أولاً ، فنقول : ماتعنون بالأنات ؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان ؟ أي : من حين خلق الله السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ؟ والأرض ، وأن عندكم لم يكن قبلها شيء من الأكوان ، أي : من المخلوقات ، فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء ؟ فهاتوا برهانكم على ذاك من الأثر والنظر ، ونحن نحاكمكم الى ماشئتم من ذلك ، ويدل على أن قبلها مخلوقات ، أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتلك الأيام قبل وجود السموات والأرض ، والنجوم ، والجبال ، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[1] وهذا معنى هذه الأبيات التي ذكرها الناظم .

قوله : فحقيقة الأزمان نسبة حادث الخ . أي : أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان ، فان الزمان إذا قيل : إنه مقدار حركة الشمس أو الفلك ، وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات ، وهو الدخان الذي هو البخار ، كما قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة. قال : وكان عرشه على الماء ». ورواه الترمذي بلفظ «قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارضين بخمسين ألف سنة » وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب .

طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت : ٩١ وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً ، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين ، وكما عليه أهل الكتاب ، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك ، فان هذا مما خلق في تلك الأيام ، بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السموات ، وأقام القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) مريم : ٦٢ وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة ، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين ، وليس في الجنة شمس ، ولا قمر ، ولا هناك حركة فلك ، بل ذلك مقدر بحركات ، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش . هذا تقرير كلام الناظم رحمه الله تعالى ، وقد اختلف الناس في حقيقة الزمان ، فقيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني . أي : ليس بجسم ، ولا داخل في الجسم ، فهو قائم بنفسه ، مجرد عن المادة . وقيل : فلك معدل النهار . وقيل : عرض . فقيل : حركة معدل النهار . وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها . وقيل : إنه مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ، إزالة للايهام من الأول بمقارنته للثاني ، كما في : آتيك عند طلوع الشمس ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء . وفي « القاموس » الزمن محركة وكسحاب : العصر ، واسمان لقليل الوقت وكثيرة ، جمع أزمان ، وأزمنة وأزمن . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس مختلفون في القلم الذي   كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلى الهمذاني

والحق أن العرش قيل لانه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

لما براه الله قال اكتب كذا ... فغدا بأمر الله ذا جريان

فجرى بما هو كائن ابداً الى ... يوم المعاد بقدرة الرحمن

أفكان رب العرش جل جلاله ... من قبل ذا عجز وذا نقصان

أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقـــدور له أبداً وذو إمكان

قوله : والناس مختلفون الخ . قال شيخ الاسلام : قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين ، كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيره ، أحدهما :أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل، كابن أبي عروبة الحراني ، وأبي القاسم الطبراني ، للحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن عبادة بن الصامت ؛ وفيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « أول ماخلق الله القلم ؛ فقال : اكتب» الحديث...[1] والثاني أن العرش خلق أولاً . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٧٠٠) ولفظه بتمامه:« ان اول ماخلق الله القلم، فقال له : اكتب:.قال:رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» ثم قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«من مات على غير هذا فليس مني » .

« الرد على الجهمية[١] » حدثنا ابن كثير العبدي ، أنبأنا سفيان الثوري ، حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ؛ فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك ذكر الحافظ البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»؛ لما ذكر بدء الخلق ؛ ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

وروي حديث القاسم ابن أبي بردة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « أول شيء خلقه الله القلم ، وأمره فكتب كل شيء يكون» قال البيهقي : وإنما أراد - والله أعلم - أول شيء خلقه بعد الماء ، والريح ، والعرش ، والقلم ، وذلك في حديث عمران بن حصين « ثم خلق السموات والأرض » أقول : حديث عمران بن حصين الذي أشار اليه ، هو مارواه البخاري من غير وجه مرفوعاً « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء »[٢] ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني

---

(١) وقد طبعناه قريباً .

(٢) رواه البخاري في « كتاب التوحيد » باب : « وكان عرشه على المـاء وهو رب العرش العظيم . عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وجاء في كتاب « بدء الخلق» بلفظ: « كان الله ولم يكن شيء غيره » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه ».

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقوله في بعض الكتب في هـذا الحديث «كان الله ولا شيء معه ،وهو الآن على ما عليه كان » هي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث .

في « مسنده » وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ، عن أبي اسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وذكر أحاديث وآثاراً . ثم قال مامعناه : فثبت بالنصوص الصحيحة ، أن العرش خلق أولاً . قال ابن كثير : قال قائلون : خلق القلم أولاً . وهذا اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق ، وبعده العرش . واحتجوا بحديث عبادة . والذي عليه الجمهو أن العرش مخلوق قبل ذلك ، كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » يعني حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم[١] قالوا : وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير ، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير ، كما ذهب الى ذلك الجماهير ، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... أداهم لخلاف ذا التبيان

ولأي شيء لم يقولوا إنه ... سبحانه هو دائم الاحسان

فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن

---

(١) ولفظه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان تخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ـ قال ـ وكان عرشه على الماء » .

وعن الحديث ومقتضى المعقول بل ... عن فطرة الرحمن والبرهان
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم ... قسراً إلى التعطيل والبهتان
نفي القيام لكل أمر حادث ... بالرب خوف تسلسل الاعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات صانع هذه الاكوان
إذ أثبتوه بكون ذي الأُجسام حا ... دثة فلا تنفك عن حدثان
فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها اذ ذاك من برهان
فلاجل ذا قالوا التسلسل باطل ... والجسم لا يخلو عن الحدثان
فيصح حينئذ حدوث الجسم من ... هذا الدليل بواضح البرهان
هذي نهايات لأُقدام الورى ... في ذا المقام الضيق الاعطان
فمن الذي يأتي بفتح بيّن ... ينجي الورى من غمرة الحيران
فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان

أي : ان سألت أيها الناظر في هذا الكتاب ، وقلت : لم لم يقل المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى ، وقالوا بوجوب تراخي الأثر ؟ فاعلم أنهم لما أسسوا أصل الكلام ، عموا عن الكتاب والسنة ، وهو أنهم استدلوا على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور ، وأنهم استدلوا على حدوث الاجسام بحدوث الأعراض ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، والأعراض حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل . قالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى به ، لزم قيام الحوادث به

ولزم التسلسل . وهو عندهم ممتنع . قالوا : فاذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه ، وأنه لم يزل يفعل شيأ بعد شيىء ، لزم قيام الحوادث به تعالى ، ولزم التسلسل ، وهذا معنى قوله :

فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها إذ ذاك من برهان

فلهذا قالوا ببطلان التسلسل ، والتسلسل الباطل انما هو التسلسل في المؤثرين ، وأما التسلسل في الآثار ، فهو جائز .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : نفي القيام[1] لكل أمر حادث بالرب . فيه تسامح ، لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث ، وانما هي أفعال اختياريه ، تقوم به بمشيئته وقدرته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل ... ومشبه وهداك ذو الغفران

هذا الدليل هو الذي أرداهم ... بل هد كل قواعد القرآن

وهو الدليل الباطل المردود عنـ ... ـد أئمة التحقيق والعرفان

ما زال أمر الناس معتدلاً الى ... أن دار في الاوراق والاذهان

وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم ... فأتت لوازمه الى الايمان

رفعت قواعده وتحت[2] أسه ... فهوى البناء وخر للأركان

(١) قلت ومعنى قيامها بهسبحانه، إنما هو قدرته عليها، واعتراض الشارح على الناظم غير وجيه

(٢) في الاصل : ونحت . والتصحيح من مخطوطة المتن . (ابن مانع)

وجنوا على الاسلام كل جناية ... إذ سلطوا الأعداء بالعدوان

حملوا بأسلحة المحال فخانهم ... ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان

وأتى العدو الى سلاحهم فقا ... تلهم به في غيبة الفرسان

يامحنة الاسلام والقرآن من ... جهد الصديق وبغي ذي طغيان

والله لولا الله ناصر دينه ... وكتابه بالحق والبرهان

لتخطفت أعداؤه أرواحنا ... ولقطعت منا عرى الايمان

أيكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى ... خير القرون له محال ذان

وفقتمُ للحق اذ حرموه في ... أصل اليقين ومقعد العرفان

وهديتمونا للذي لم يهتدوا ... أبداً به واشدة الحرمان

ودخلتمُ للحق من باب وما ... دخلوه واعجباً لذا الخذلان

وسلكتمُ طرق الهدى والعلم دو ... ن القوم واعجباً لذا البهتان

وعرفتم الرحمن بالاجسام والـ ... أعراض والحركات والالوان[(١)]

وهمُ فما عرفوه منها بل من الـ ... آيات وهي فغير ذي برهان

الله أكبر أنتم أو هم على ... حق وفي غي وفي خسران

دع ذا أليس الله قد أبدى لنا ... حق الأدلة وهي في القرآن

متنوعات صّرفت وتظاهرت ... في كل وجه فهي ذو أفنان

---

(١) في الاصل : الاكوان ، وهو خطأ ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

معلومة للعقل أو مشهودة ... للحس أو في فطرة الرحمن

أسمعتمُ لدليلكم في بعضها ... خبراً او احسستم له ببيان

أيكون أصل الدين ما تم الهدى ... إلا به وبه قوى الايمان

وسواه ليس بموجب من لم يحط ... علماً به لم ينج من كفران

والله ثم رسوله قد بينا ... طرق الهدى في غاية التبيان

فلأي شيء أعرضا عنه ولم ... نسمعه في أُثر ولا قرآن

لكنْ أُتانا بعد خير قروننا ... فظهور أُحداث من الشيطان

وعلى لسان الجهم جاء وحزبه ... من كل صاحب بدعة حيران

ولذلك اشتد النكير عليهمُ ... من سائر العلماء في البلدان

صاحوا بهم في كل قطر بل رموا ... في إثرهم بثواقب الشهبان

عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ... ودليلهم بحقيقة العرفان

وأخو الجهالة في خفارة جهله ... والجهل قد ينجي من الكفران

أقول : قد تقدم الكلام في دليل الأكوان مبسوطاً في الفصل الذي أوله : وقضى بأن الله كان معطلا. عن: شيخ الاسلام وغيره : ونحن نشير الى ذلك بعض الاشارة .

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل» في الكلام على اصول الدين بعد كلام سبق : وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل ، فليس ذلك من أصول الدين ، وان أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة ،

مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الاعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها، إما الاكوان، وإما غيرها . وتقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من إثبات الاعراض التي هي الصفات أولاً، أو إثبات بعضها، كالاكوان التي هي الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق واثبات حدوثها باثبات إبطال ظهورها بعد الكمون، وابطال انتقالها من محل الى محل، ثم اثبات امتناع خلو الجسم، إما عن كل جنس من أجناس الأعراض باثبات أن الجسم قابل لها، وان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده، وإما عن الأكوان وامتناع حوادث لا أول لها . رابعاً : وهو مبني على مقدمتين : إحداهما أن الجسم لا يخلو عن الاعراض باثبات أن الجسم لايخلو عن الاعراض التي هي الصفات . والثانية : أن ما لايخلو عن الصفات التي هي الاعراض، فهو محدث، لأن الصفات التي هي الأعراض لاتكون الا محدثة، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض، كالألوان، وما لا يخلو عن جنس الحوادث، فهو حادث، لامتناع حوادث لاتتناهى، فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق، ونبوة أنبيائه، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام، كالاشعري وغيره أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم . بل المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه، فأحد الأمرين لازم له، إما أن يطلع على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة، وهذا تارة، كما هو حال طوائف منهم، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل، كما

التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها كالاشعري وغيره أن الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ، له طعم ولون وريح ، ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الاعراض كالطعم واللون وغيرهما لايجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الاجسام بصفاتها ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض أي : أنها تعرض فتزول ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ، وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم ، من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه ، لأن عدمه ، إما أن يكون باحداث ضد ، أو بفوات شرط ، أو اختيار الفاعل ، وكل ذلك ممتنع ، فهذه العمدة لايختارها آخرون منهم ، بل يجوزون أن الفاعل المختار ، يعدم الموجود ، كما يحدث المعدوم ، ولايقولون : ان عدم الاجسام لايكون الا بقطع الأعراض عنها ، كما قاله أولئك ، ولا يخلق ضد هو الفناء لافي محل ، كما قاله من قاله من المعتزلة ، وأما جمهور عقلاء بني آدم ، فقالوا : هذه مخالفة للمعلوم بالحس ، والتزم طوائف من أهل الكلام ، من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقاً ، أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الاشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه ، الى امثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم ، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء : أصول الدين ، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده .

وقال[1] في كلامه على « حديث النزول »[2] لما تكلم على هذه الطريقة :
أما قولكم : إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده ، فانه من المعلوم لكل من علم حال الرسول وأصحابه ، وماجاء به من الايمان والقرآن ، أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ، والذي جاءبالايمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة،ولا سلكها منهم أحد،والذين علموا ان هذه طريقةمبتدعةحزبان :حزب ظنوا أنهاصحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي والحليمي ، والقاضي ابي يعلى ،وابن عقيل وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء .
والثاني:قول من يقول:بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ،ولهذا ذمها السلف ، وعدلوا عنها . وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، واسحق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك بن أنس ، وابن الماجشون عبد العزيز . وغير هؤلاء من السلف . انتهى .

وقال الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: الذي أقول : إنه اذا نظر الى إسلام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ،وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين

---

(١) أي : شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه الحراني النمري الدمشقي رحمه الله تعالى .

(٢) وقد قمنا قريباً بطبعه ، بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيميه .

الله أفواجاً ، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلابتصديق النبيين ، وأعلام النبوة ، ودلائل الرسائل، لامن قبل حركة وسكون، ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازماً ، ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان من علمهم مشهوراً ، ومن أخلاقهم معروفاً، لاستفاض عنهم وشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الرد على الجهميه المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق السموات اله يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة .

والله كان وليس شيء غيره ... وبرى البرية وهي ذو حدثان

فسل المعطل هل يراها خارجاً ... عن ذاته أم فيه حلت ذان

لابد من إحداهما أو أنها ... هي عينه ما ثم موجودان

ما ثم مخلوق وخالقه وما ... شيء مغاير هذه الاعيان

لا بد من احدى ثلاث مالها ... من رابع خلو عن الروغان

ولذاك قال محقق القوم الذي ... رفع القواعد مدعي العرفان

هو عين هذا الكون ليس بغيره ... أنى وليس مباين الاكوان

كلا وليس مجانبا ايضاً لها ... فهو الوجود بعينه وعيان

ان لم يكن فوق الخلائق ربها ... فالقول هذا القول في الميزان

اذ ليس يعقل بعد إلا أنه ... قد حل فيها وهي كالابدان

والروح ذات الحق جل جلاله ... حلت بها كمقالة النصراني

فاحكم على من قال ليس بخارج ... عنها ولا فيها بحكم بيان

بخلافه الوحيين والاجماع والعقل ... الصريح وفطرة الرحمن

فعليه اوقع حد معدوم بلى ... حد المحال بغير ما فرقان

يا للعقول اذا نفيتم مخبراً ... ونقيض حد ذاك في امكان

ان كان نفي دخوله وخروجه ... لا يصدقان معاً لذى امكان

الا على عدم صريح نفيه ... متحقق ببديهة الانسان

أيصح في المعقول يا أهل النهى ... ذاتان لا بالغير قائمتان

ليست تباين منهما ذات لاخرى ... أو تحايثها فيجتمعان

قوله أو تحايثها قال في القاموس حيث كلمة دالة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره . انتهى .

ان كان في الدنيا محال فهو ذا ... فارجع الى المعقول والبرهان

فلئن زعمتم ان ذلك في الذي ... هو قابل من جسم أو جثمان

والرب ليس كذا فنفي دخوله　　وخروجه ما فيه من بطلان

فيقال هذا أولاً من قولكم　　دعوى مجردة بلا برهان

ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الـوحي المبين بحكمة اليونان

احتج الناظم رحمه الله تعالى على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله سبحانه على خلقه بهذه الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فقال : والله كان وليس شيء غيره . يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء »[1] يقول إذا كان الله تعالى في الأزل لم يكن معه غيره ، وخلق المخلوقات ، وهذا معنى قوله : وبرى البرية الخ . فسل المعطل هل خلقها خارجاً عن ذاته المقدسة ، أو خلقها في ذاته المقدسة ، تعالى عن ذلك ، أو هي عينه كما يقوله الوجودية ، لعنهم الله تعالى ، وهذه قسمة حاصرة ، لأن المخلوقات إما أن يكون خلقها في ذاته ، أو خارجاً عنها ، أو هي عينه ، ولا قسم غير هذه الثلاثة ، ولذلك قال الناظم : ولذاك قال محقق القوم الذي رفع القواعد ، يعني القائلين بوحدة الوجود ، فانهم قالوا : وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ماثم غير ولا سوى البتة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال : إن لم يكن فوق الخلائق ربها الخ . أي : إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه ، فالقول هذا القول في الميزان ، أي : في العدل والقياس ، فانه إذا لم يكن تعالى مبايناً للاكوان ولا محايثاً لها داخلاً فيها ، لم يبق الا هذا القول ، إذ ليس يعقل إلا هذا ، وأن الروح ذات

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

الحق تعالى حلت بهذا العالم ، كما تقوله النصارى في عيسى عليه السلام .

قوله : فاحكم على من قال : ليس بخارج الخ . هذا الكلام لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، حكاه عنه الامام أبو بكر ابن فورك في كتاب « المجرد » فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من الخبر والنظر قول من قال : لا هو في العالم ، ولاخارجاً منه ، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له : صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك مالا يجوز في نص ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته أعلمهم بالأين ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له بالايمان عند ذلك . وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به ، قال : ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالانكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لاتقولي ذلك فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ماقلت . كلا فقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وانه من الإيمان ، بل الامر الذي يجب به الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالايمان حين قالته ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك ، وشاهد له ، وقد غرس في نبيه الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لاتسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولاعجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فتقول : أين ربك ، إلا قال : في السماء أفصح ، أو أومأ بيده ، أو أشار بطرفه ان كان لايفصح ولا يشير الى غير ذلك ، وما رأينا أحداً إذا عن له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون

أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الاخبار ، واهتــدى جهم وخمسون رجلاً معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن . انتهى كلامه .

قوله : ياللعقول إذا نفيتم مخـبراً الخ . بفتح اللام اسم منادى مجرور باللام،إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف يا ، وكونها مذكورة، وغلب جره بلام واجبة الفتح ، كقول عمر رضي الله عنه : يالله للمسلمين ، معنى كلام الناظم : إنكم نفيتم عنه تعالى النقيضين ، وهما لايجتمعان ولا يرتفعان ، فإذا كان تعالى عندكم لاداخل العالم ولاخارجه ، فهذا حدالمعدوم، لأنه هو الذي لاداخل العالم ولاخارجه ، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى بما يمتنــع معه وجوده ، فضلاً عن وجوبه ، لأن المعدوم لا يوصف إلا إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى . ثم قال الناظم : فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل الخ . أي : أن هـذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن توصف بذلك ، والرب تعالى ليس بجسم ، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، غير محذور ، فأجابهم الناظم بقوله : فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى الخ.. هذه دعوى مجردة عن البرهان ، وإنما هي من اصطلاح فلاسفة اليونان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كل لسان
أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الــظلم المحال وليس ذا إمكان
ونسيت نفي النوم والسنةالتي ليست لرب العرش في الإمكان
ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبوله والنفي في القرآن

ونسيت نفي ولادة أو زوجة　　وهما على الرحمن ممتنعان

والله قد وصف الجماد بأنه　　ميت أصم ومـاله عينان

وكذا نفى عنه الشعور ونطقه　　والخلق نفياً واضح التبيان

هذا وليس لهـا قبول للذي　　ينفى ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى ، أن الشيء يصدق نفيه عن قابل وغير قابل ، كما في قوله تعالى (لاتأخذه سنة ولا نوم) البقره : ٢٥٥ معناه أن الرب تعالى لايجوز عليه النوم والسنة ، كما نفى الطعم عنه سبحانه في قوله : (وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وكما في قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ وكما نفى سبحانه الظلم عن نفسه وهو عندكم محال في حق الرب ، وليس بممكن ، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم : والظلم عندهم المحال لذاته الخ ، بما يغني عن الاعادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً ثانياً لو صح هـذا الشرط كان لما هما ضدان

لا في النقيضين اللذين كلاهما　　لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة النقيضين والضدين ، فالنقيضان هما اللذان لايجتمعان ولا يرتفعان ، كالحركة ، والسكون ، والضدان هما اللذان لايجتمعان وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض ، فمعنى كلام الناظم أن هذا الشرط لو صح وهو ان النفي لايصح إلا عن القابل ، لكان ذلك في الضدين ، لا في النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً نفيكم لقبوله ... لهما يزيل حقيقة الإمكان

بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو ... بالغير في الفطرات والاذهان

فإذا المعطل قال إن قيامه ... بالنفس او بالغير ذو بطلان

إذ ليس يقبل واحداً من ذينك الـ ... أمرين إلا وهو ذو إمكان

جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا ... عرض يقوم بغيره أخوان

في حكم إمكان وليس بواجب ... ما كان فيه حقيقة الإمكان

أي اذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه ، فهذا كنفي قيامه بالنفس او بالغير ، فاذا قال المعطل : ان قيامه بنفسه او بغيره باطل ، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع ، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع ، لأنه قد يقال : إن جميع الممتنعات ترجع الى الجمع بين النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق »[1] هذه الحجة العقلية ، وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائماً بنفسه على كونه مبايناً للعالم ، وذلك ملزوم بكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت مما ناظر بها الكرامية لأبي اسحق الاسفراييني ، فر أبو اسحاق الى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول ، وقال : لا نسلم أنه قائم بنفسه ، إلا بمعنى أنه غني عن المحل ، فجعل قيامه بنفسه وصفاً عدمياً لا ثبوتياً ،

---

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه . ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع ان يكون عدمياً بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه إحق ان لا يكون أمراً عدمياً بل وجودياً ، واذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال ، وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فكلاكما ينفي الاله حقيقة ... وكلاكما في نفيه سيان

ما ذا يرد عليه من هو مثله ... في النفي صرفاً إذ هما عدلان

والفرق ليس بممكن لك بعدما ... ضاهيت هذا النفي في البطلان

فوزان هذا النفي ما قد قلته ... حرفاً بحرف أنتما صنوان

والخصم يزعم أن ماهو قابل ... لكليهما فكقابل لمكان

فافرق لنا فرقاً يبين مواقع الـ ... إثبات والتعطيل بالبرهان

أولا فأعط القوس باريها وخل الفشر عنك وكثرة الهذيان

قال الرضي في « شرح الكافية » قد يقدر نصب الياء في السعة أيضاً ، وذكر المثل ، فإن «باريها» مفعول أعط ، وهو ساكن الياء ، وهو في هذا تابع للزمخشري في « المفصل » . قال الميداني في أمثاله ؛ أي : استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه ، وينشد :

يا باري القوس برياً لست تحسنها ... لا تفسدنها وأعط القوس باريها

قوله : فكلاكما ينفي الإله حقيقة الخ ؛ أي : ان المعطل إذا قال :

إن قيامه تعالى بنفسه او بغيره باطل[1] فقولكم : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، مثله في البطلان ، فكلا كما ينفي الاله حقيقة وكلا كما سواء في نفيه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة ... تردي قواعده من الاركان

قل للمعطل هل تقول إلهنا المـعبود حقاً خارج الاذهان

فإذا نفى هذا فذاك معطل ... للرب حقاً بالغ الكفران

وإذ أقربه فسله ثانياً ... أتراه غير جميع ذي الاكوان

فاذا نفى هذا وقال بأنه ... هو عينها ما ها هنا غيران

فقد ارتدى بالاتحاد مصرحا ... بالكفر جاحد ربه الرحمن

حاشا النصارى أن يكونوا امثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وامه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وإذ أقر بأنه غير الورى ... عبد ومعبود هما شيئان

(١) في الاصل : باطلاً ، والصواب الرفع على أنه خبر (أن)

فاسأله هل هذا الورى في ذاته ... أم ذاته فيه هنـــا أمران

فإذا أقر بواحد من ذينك الـ ... أمرين قبل خــده النصراني

ويقول أهلاً بالذي هو مثلنا ... خشداشنا وحبيبنا الحقـان

وإذا نفى الأمرين فاسأله اذاً ... هل ذاته استغنت عن الاكوان

فلذاك قام بنفسه أم قـام بالـ ... أعيان كالأعراض والألوان[1]

فاذا أقر وقال بل هو قائم ... بالنفس فاسأله وقل ذا تان؟

بالنفس قائمتان أخبرني هما ... مثلان أو ضدان أو غيران؟

وعلى التقادير الثلاث فإنـه ... لولا التباين لم يكن شيئان

ضدين أو مثلين أو غيرين كا ... نا بل هما لا شك متحدان

فلذاك قلنا إنكم باب لمن ... بالاتحـاد يقول بل بابان

نقطتم لهمُ وهم خطوا على ... نقط لكم كمعلّمَ الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول : سل المعطل عن خمس مسائل : الاولى : هل تقول : إن الله تعالى خارج الأذهان ، فان نفى ذلك فقد كفر حقاً بلا شك . والثانية : سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية ، وهو أنه ، هل هو الأكوان او غيرها ؟ فإنه لابد ان يقول : هو الأكوان او غيرها ، فاذا قال : هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد ، وهو أكفر قول وأشنع مذهب ، بل القائل بذلك أكفر من النصارى ، لأن النصاري خصصوه بالمسيح وأمه ، وهؤلاء عمموه بكل موجود ، ولهذا قال الناظم :

---

(١) في الاصل : الأكوان ،

حاشا النصارى ان يكونوا مثله الخ . وإذا أقر المعطل بأنه غير الورى ، فسله ثالثاً : هل هذا الورى في ذاته ، او ذاته فيه ؟ فاذا أقر بواحد من هذين فقد قال بالحلول ، ولهذا قال الناظم :

فاذا أقر بواحد من ذينك الأمرين قبل خده النصراني

وقوله : خشداشنا . هذه كلمة تعظيم ، وهي غير عربية ، وإن نفى المعطل الأمرين ؛ أي : إن نفى ان ذاته حلت في الورى ، او حل الورى في ذاته ، فاسأله: هل ذاته تعالى استغنت عن الأكوان ولذلك قام بنفسه ، أم قام بالأعراض والألوان ؟ وإن أقر وقال : بل هو قائم بالنفس ، فاسأله ، وقل : ذاتان قامتا بالنفس ؟ أخبرني : هل هما مثلان او ضدان او غيران ؟ الضدان : هما اللذان لايجتمعان ، وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض . والمثلان : لايجتمعان ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض . والغيران : هما المختلفان .وقيل: هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه . والخلافان : ما قام أحدهما مقام الآخر ، وسد مسده ، وعمل عمله . وقيل : هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة ، فهما لايجتمعان ، ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض ، كل موجودين غير متفقين في جميع صفات النفس ، والغيران نحو منهما ، والمثلان ضد لهما :

وقول الناظم :

وعلى التقادير الثلاث فانه لولا التباين لم يكن شيئان

أي : لأن الموجودين ، إما ان يكونا ضدين ، او مثلين ، او غيرين ، وعلى جميع هذه التقادير ، فلابد من ثبوت شيئين ، ثم قال : فلذا قلنا : إنكم باب لمن يقول بالاتحاد ، بل بابان ، نقطتم لهم ، وهم خطوا على نقط

لكم ؛ أي كما أن معلم الصبيان أولاً ينقط لهم حروف الهجاء ، ثم يكتبها ، فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة الى الطرق النقلية الدالة على ان الله سبحانه فوق سمواته على عرشه

ولقد أُتى في عشر أنواع من الـــمنقول في فوقيـــة الرحمن

مع مثلها أيضاً يزيد بواحد   ها نحن نسردها بلا كتمان

منها استواء الرب فوق العرش في   سبع أتت في محكم القرآن

وكذلك اطردت بلا لام ولو   كانت بمعنى اللام في الأذهان

لأتت بها في موضع كي يحمل الــسباقي عليها بالبيان الثاني

ونظير ذا إضمارهم في موضع   حملاً على المذكور في التبيان

لا يضمرون مع اطراد دون ذكــــر المضمر المحذوف دون بيان

بل في محل الحذف يكثر ذكره   فإذاهمُ ألفوه ألف لسان

حذفوه تخفيفاً وإيجازاً فلا   يخفى المراد به على الانسان

هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التــفسير باستولى لذي العرفان

قد أُفردت بمصنف لإمام هــــذا الشأن بحر العالم الحراني

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه .

قوله : في سبع أتت في محكم القرآن ، وهي قوله تعـالى في سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ وفي سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) يونس : ٣ وفي سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الرعد : ٢ وفي سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) الفرقان : ٥٩ وفي طه (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وفي سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) السجدة : ٤ وفي سورة الحديـد (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مـا يلج في الأرض وما يخرج منها) الحديد : ٤ الآية .

قوله: وكذلك اطردت بلا لام الخ ... أي : أن لفظة استوى اطردت بلا لام ؛ أي : بلا لام استولى ، فلو كانت بمعنى اللام ، لأتت باللام في بعض المواضع ، كي يحمل الباقي عليها ، كما أنهم يضمرون في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع أخر ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق المرسلة » في إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء: الوجه الرابع : أن هذا اللفظ قـد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء ، دون الاستيلاء ، ولو كان معناه استولى ، لـكان استعماله في اكثر موارده كذلك ، فاذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف المعهود ، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد ، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ، ففي غاية الفساد ، هذا ولم يكن

في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه ، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك ؟! انتهى .

قوله : هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى الخ ...أي : أن شيخ الاسلام أفرد مصنفاً في تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً ، وزاد الناظم وجهاً ، فصارت إحدى وعشرين . وفي « الصواعق المرسلة » رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى معر فـــة (أتتك هنا)[1] لقصد بيـان

إن العلو له بمطلقه على الـــتعميم والاطلاق بالبرهان

وله العلو من الوجوه جميعها ... ذاتا وقهراً مع علو الشاني

لكن نفاة علوه سلبوه إكما ... ل العلو فصار ذا نقصان

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن

(١) ما بين القوسين ، زيادة لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

كل إذا ما نابه أمر يرى　　متوجهاً بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه　　وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخـميش　　وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والـمعقول عند بداية الأذهان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشـبهات　　هذا بيّن البطلان
واذا البداية قابلتها هذه الشـبهات لم تحتج إلى بطلان
شتان بين مقالة أوصى بها　　بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الاله عباده　　حقاً عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه ، وحاصل كلام الناظم أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو ، وأتى في ذلك لفظان : أحـدهما : لفظ العلي في قوله تعالى (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ والثاني : لفظ الأعلى كما في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى : ١ وذلك لبيان أن العلو مطلقاً له سبحانه ، أي : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر . وأما النفاة ، فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر ، وعلو القهر ، ونفوا علو الذات ، تعالى الله عما يقولون . وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليقـة مسلمها وكافرها ، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين ، ولهذا ترى الخلق مجمعين على ذلك ، فترى من نابه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة ، وقـد تقدم ما أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك ،

وأنه قال له : يأستاذ ، أخبرنا عن هذه الضروة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال قط عارف، يا الله: إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، أراد الشيخ أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق، هو أمر ضروري عقلي فطري ، وأنت دليلك في نفي العلو نظري ، والنظري لا يعارض الضروري ، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري ، مثل قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد جبهته على الأرض ، ونحو ذلك ، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله : ونهاية الشبهات تشكيك وتخميش .

وقوله : وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات ؛ أي : أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة ، فلا يعارض بالنظريات والشبهات ، فأما قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، فقول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانياً ، فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه ، كما نستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الإنسان بيديه أو رأسه مثلاً ، لا يسمى قبلة أصلاً ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، ولم يثبت ذلك في شرع أصلاً ، وأما النقض بوضع الجبهة ، فما أفسده من نقض ! فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل ، لا أن يميل اليه ، إذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد . وأيضاً فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سبحانه وتعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مـصحوبا بمن وبدونها نوعان

إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان

فإذا ادعى تأويل ذلك مدع لم تقبل الدعوى بلا برهان

لكنما المجرور ليس بقابل الـتأويل في لغة وعرف لسان

وأصخ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان

إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان

أضحى كنص قاطع لا يقبل الـتأويل يعرف ذا أولو الأذهان

فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـ أحوال إنهما لنا صنوان

إحداهما للعين مشهود بها لكن ذاك لمسمع الإنسان

فإذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان

وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الـ أحوال كان كأقبح الكتمان

فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له ان كنت ذا عرفان

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان

لكن نفاة الفوق ماوفّوابه ... جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعـــلى لا بفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ... ذهب يرى من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا ... بالذات بل في مقتضى الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها ... لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر والـــفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو صريح الفوق، مصحوباً بـ(من) كما في قوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم)النحل ٥٠ وأتى صريح الفوق أيضاً غير مصحوب بـ(من). كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) الانعام : ١٨، ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور بـ(من) لايقبل التأويل أصلاً، وأما غير المجرور بـ(من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه، لأن الأصل الحقيقة، فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل، ولا دليل هناك، وهذا في غاية الظهور.

قوله : وأصخ لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر ، فقال : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : أحدهما عدم احتماله لغير معناه وضعاً. والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معناه ، لايقبل تأويلاً ولا مجازاً ، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر ، لايتطرق احتمال الكذب إليه ، وان تطرق الى كل واحد بمفرده ، وهذه قاعده نافعة تدل

على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل انما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج إلى تأويله ليوافقها ، وأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، صارت بمنزلة النص وأقوى ، وتأويلها ممتنع . انتهى .

قولـــه :

والفوق وصف ثابت بالذات   من كل الوجوه لربنا الرحمن

أي : فوقية الذات ، وفوقيه القدر ، وفوقية القهر ، ثابتة لربنا سبحانه ، لكن المعطلة جحدوا فوقية الذات ، وتأولوها بقولهم : ان هذا مثل قول الناس في الذهب : وإنه فوق الفضة . أي فوقية القدر ، والأمير فوق الوزير . ومعلوم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة ، فان قول القائل ابتداءً : الله خير من عباده ، أو خير من عرشه ، من جنس قوله : الثلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، ونحو ذلك ، وليس في ذلك أيضاً تمجيد ولا تعظيم لله تعالى ، بل هو من أرذل الكلام ، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟!.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـــ   أملاك صاعدة الى الرحمن

ولقد أتى في سورتين كلاهما اشتملا على التقدير بالأزمان

في سورة فيها المعارج قدرت خمسين ألفاً كامل الحسبان

وبسجدة التنزيل ألفاً قدرت فلأجل ذا قالوا هما يومان

يوم المعاد بذي المعارج ذكره واليوم في تنزيل في ذا الآن

وكلاهما عندي فيوم واحد وعروجهم فيه الى الديان

فالألف فيه مسافة لنزولهم وصعودهم نحو الرفيع الداني

هذي السماء فإنها قد قدرت خمسين في عشر وذا ضعفان

لكنما الخمسون ألف مسافة الـ سبع الطباق وبعد ذي الأكوان

من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الاسفل التحتاني

واختار هذا القول في تفسيره الـ بغويّ ذاك العالم الرباني

ومجاهد قد قال هذا القول لـ كن ابن اسحاق الجليل الشان

قال المسافة بيننا والعرش ذا الـ مقدار في سير من الإنسان

والقول الاول قول عكرمة وقو ل قتادة وهما لنا علمان

واختاره الحسن الرضى ورواه عن بحر العلوم مفسّر القرآن

ويرجح القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمران

إحداهما ما في الصحيح لمانع لزكاته من هذه الأعيان

يكوى بها يوم القيامة ظهره   وجبينه وكذلك الجنبان

خمسون ألفاً قدر ذاك اليوم في   هذا الحديث وذاك ذو تبيان

فالظاهر اليومان في الوجهين يو   م واحد ما ان هما يومان

قالوا وايراد السياق يبين الـ   ـمضون[1] منه بأوضح التبيان

فانظر الى الإضمار ضمن يرونه   ونراه[2] ما تفسيره ببيان

فاليوم بالتفسير أولى من عذا   ب، واقع للقرب والجيران

ويكون ذكر عروجهم في هذه الـ   ـدنيا ويوم قيامة الأبدان

فنزولهم أيضاً هنالك ثابت   كنزولهم أيضاً هنا للشان

وعروجهم بعد القضا كعروجهم   أيضاً هنا فلهم إذاً شأنان

ويزول هذا السقف يوم معادنا   فعروجهم للعرش والرحمن

هذا وما نضجت لديّ وعلمها الـ   ـموكول بعدُ لمنزل القرآن

وأعوذ بالرحمن من جزم بلا   علم وهذا غاية الإمكان

والله أعلم بالمراد بقوله   ورسوله المبعوث بالفرقان

هذا هو الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو عروج الروح والملائكة اليه تعالى.

قوله : ولقد أتى في سورتين كلاهما الخ .. ففي سورة المعارج قال : (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) المعارج: ٤

---

(١) في الاصل : المقصود .   (٢) في الاصل: ورآه

وفي سورة السجدة قال : (يدبر الامر من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقدار ألف سنة مما تعدون) السجدة : ٥ والمراد بالروح هنا جبريل عليه السلام ، يعرج الى الله تعالى . واختلف المفسرون في تفسير الآيتين ، وقد حكى الناظم ذلك الاختلاف ، واختار أنهما يوم واحد ، وأن المراد في آية السجدة من الأرض إلى السماء الدنيا ألف سنة ، مسافة لصعودهم ونزولهم ، وذلك الف سنة ، وأما في سورة (المعارج) فالمعنى أن ذلك مسافة السبع الطباق ، من العرش إلى الثرى ، أي : أسفل الأرض السابعة ، وذكر أن البغوي اختار هذا القول ، وهو قول مجاهـــد ، والقول الأول قول عكرمة ، وقتاده ، والحسن . وعبارة البغوي في تفسيره ، قال قوله تعالى : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد غير الملك ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله فوق السماء السابعة . وروى ليث عن مجاهد ، أن مقدار هـذا خمسين ألف سنة ، وقال محمد بن إسحاق : لوسار بنو آدم من الدنيـــا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة . وقال عكرمة ، وقتادة : وهو يوم القيامـة ، وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسين ألف سنة من سني الدنيا ، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره ، لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر ، لأنه يوم محدود ، ولو كان له آخر ، كان منقطعاً . وروي عن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يوم القيـامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة . ثم روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قيل لرسول الله ﷺ عليه وسلم : يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فما أطول هـــذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا »[1] وقيل معناه

(١) رواه أحمد في « مسنده » وفي سنده . دراج أبو السمح ، وشيخه ابو الهيثم ، وهما ضعيفان .

لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله ، لم يفرغ منـه في خمسين الف سنة ،وهذا معنى قول ابن عباس ، ومقاتل . قـــال عطاء : ويفرغ الله في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا . انتهى كلام البغوي . واحتج الناظم لما اختاره بما في « الصحيح » عنه ﷺ في عقوبة مانع الزكاة أنها تحمى عليه صفائح من نار فيكوى بها جبينه ، وظهره ، وجنبه كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ... الحديث[1] قوله : وما نضجت لدي الخ ... قال في « القاموس » نضج التمر واللحم نُضجاً ونَضجاً ، أدرك فهو نضيج ، وناضج ، وأنضجته ، وهو نضيج الرأي : محكمه . انتهى . يعني الناظم أن هذه المسألة لم تنضج عنده ، ولهذا فوض علمها الى الله سبحانه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا	بالطيبات اليه والاحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحا	ت اليه من اعمال ذي الايمان

---

(١) في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بهـــا جنبه وجبهته وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار .. »

وكذا صعود تصدق من طيّب ... أيضاً اليه عند كل أوان

وكذا عروج ملائك قد وكلوا ... منّا بأعمـــال وهم بدلان

فاليه تعرج بكرة وعشية ... والصبح يجمعهم على القرآن

كي يشهدون ويعرجون[١] اليه بالـــ ... أعمال سبحان العظيم الشان

وكذاك سعي الليل ترفعه الى الـــ ... رحمن من قبل النهار الثاني

وكذاك سعي اليوم يرفعه له ... من قبل ليل حافظ الانسان

وكذاك معراج الرسول اليه حـــ ... ق ثابت ما فيه من نكران

بل جاوز السبع الطباق وقد دنا ... منه[٢] الى أن قدرت قوسان

بل عاد من موسى اليه صاعدا ... خمسا عداد الفرض في الحسبان

وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى ... حقاً اليه جاء في القرآن

وكذاك تصعد روح كل مصدّق ... لما تفوز بفرقة الأبدان

حقاً اليه كي تفوز بقربـــه ... وتعود يوم العرض للجثمان

وكذا دعا المضطر ايضا صاعد ... أبداً اليـــه عند كل أوان

وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد ... حقاً اليه قاطع الاكوان

هذا هو الدليل الخامس على علو الرب تعالى فوق خلقه ، ذكر الناظم مما يدل على ذلك قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وكذا ذكر صعود الباقيات الصالحات . هذا من القرآن .

---

(١) كان حقه ان يقول : يشهدوا ، ويعرجوا ، بحذف نونها ، ولكن اثبتها لضرورة وزن الشعر .

(٢) الصواب ان الدنو كان لجبريل عليه السلام ، دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس الدنو للرسول صلى الله عليه وسلم نحو ربه ، انظر الصفحة «١٩٩» في هذا الموضوع .

قوله : وكذا صعود تصدق من طيب الخ يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعـــدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد الى الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل » متفق عليه .

وحديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « الملائكة يتعاقبون[1] فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعـــلم بهم : كيف تركتم عبادي ، فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

قوله : وكذاك سعي الليـــل يرفعه الخ . يشير الى حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمـــل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النـــار أو ـ النور ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[2] رواه مسلم .

وكذاك معراج الرسول الخ . تقـــدم الكلام في المعراج . وقوله : وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى . يشير الى قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ قوله : وكذاك تصعد روح كل مصدق الخ . يشير الى حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج

---

(١) لقد ورد هذا الحديث في « صحيح البخاري » بعدة ألفاظ منها هذا ، ومنها « يتعاقبون فيكم ملائكة » على لغة بلحارث وهو كذلك في« صحيح مسلم » ومنها ؛ « إن لله ملائكة يتعاقبون » وجاء في «الحلية» بسند صحيح بلفظ « إن الملائكة فيكم يعتقبون».

(٢) في الاصل : « لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره »والتصحيح «من صحيح مسلم » رقم (٢٩٣) .

ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى » وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

قوله : وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقو دعوة المظلوم ، فانها تصعد إلى الله كأنها شرارة »[١] قال الذهبي : غريب . وإسناده جيد ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا ، يرى في أول الصحيفه خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال الله لملائكته : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي مابين طرفي الصحيفة »[٢] رواه أبو يعلى ، والبزار .

قوله : وقد دنا منه الى أن قدرت قوسان . ظاهر كلام الناظم عود الضمير إلى الرب عز وجل ، وأنه هو الذي دنا فتدلى ، وهذا على أحد التفسيرين في الآية[٣] ولكن هذا خلاف ما اختاره في غير هذا الموضع . فانه قال بعد كلام ذكره : لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة اخرى ، عندسدرة المنتهى) النجم :١٣-١٤

---

(١) رواه الحاكم ، وقال : رواته متفق على الاحتجاج بهم إلا «عاصم» بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

(٢) رواه ابو يعلى في « مسنده » والبزار ، والبيهقي عن أنس بن مالك . وفي سنده (تمام بن نجيح) قال الحافظ في « التقريب » ضعيف .

(٣) الحق ان الضمير في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل . انظر التعليق الذي على الصفحة (١٩٩) .

هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة. قالت عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﷺ عن هـــذه الآية فقال : « ذاك جبريل ، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين » رواه مسلم . قال : ولفظ القرآن لايدل على غير ذلك ، ثم ساق سبعة أوجه دالة على ذلك . قال : وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » فقد تكلم الناس فيه وقالوا : إن شريكا غلط فيه ، وذكر فيـه أموراً منكرة . قال : والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هـــذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية . وقـــال أيضاً في تفسير الذي (دنا فتدلى) إنه جبريل ، هذا هو الصحيح في التفسير ، كما دل عليـــه كلام الصحابة رضي الله عنهم . واختلف في المراد من قوله تعـالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي حيث الوتر من القوس ، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: قاب قوسين ، أي : دار قوسين ، أو أدنى ، أو أقرب . والقاب : مابين القبضة والسية من القوس. قال الواحدي: هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمى بها. قال: وهل المراد بها الذراع ، لأنه يقاس بها الشيء؟ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح : فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القاب : القدر ، والقوسان : الذراعان[1] . ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها ، لم يمثل بذلك ليحتاج الى التنبيه ، فكان يقـال مثلاً: قاب رمح ، أو نحو ذلك . انتهى ، والقاب ، والقيب ، والقاد ، والقيد : المقدار ، ذكر معناه في الصحاح . انتهى .

---

(١) في الاصل : والقوسين : الذراعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزو ... ل كذلك التنزيل للقرآن

والله أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهـــان

أيكون تنزيلاً وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان

أيكون تنزيلاً من الرحمن والــــرحمن ليس مباين الأكوان

وكذا نزول الرب جلاله ... في النصف من ليل وذاك الثاني

من ذاك يسالني فيعطى سؤله ... من ذا يتوب إليَّ من عصيان

فيقول لست بسائل غيري بأحــــوال العباد أنا العظيم الشان

من ذاك يسألني فأغفر ذنبه ... فأنا الودود الواسع الغفران

من ذا يريد شفاءه من سقمه ... فانا القريب مجيب من ناداني

ذا شـــأنه سبحانه وبحمده ... حتى يكون الفجر فجراً ثاني

يا قوم ليس نزوله وعلوه ... حقاً لديكم بل هما عدمان

وكذاك ليس يقول شيئاً عندكم ... لا ذا ولا قولاً[1] سواه ثان

كل مجاز لا حقيقة تحتـــه ... أوّل وزد وانقص بلا برهان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الدليل السادس والسابع من أدلة العلو ، وهما التنزيل ، والنزول . قال الله تعـــالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز

(١) في الاصل : قول .

العليم) غافر : ٢ وقال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل ١٠٢ وقال تعالى : (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ قال الناظم رحمه الله تعالى في « بدائع الفوائد » في الكلام على قوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) غافر : ٢ الى قوله : (المصير) غافر : ٣ افتتح الآية بقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) والتنزيل يستلزم علو المنزل عند (من) لا تعقل العرب من لغاتها ، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك . وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه ، فهذا يدل على شيئين : أحدهما : علوه تبارك وتعالى على خلقه . والثاني : أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل ، لا غيره ، فانه أخبر أنه منه ، وهذا يقتضي أن يكون منه قولاً . كما أنه منه تنزيلاً ، فان غيره لو كان هو المتكلم به ، لكان الكتاب من ذلك الغير ، فان الكلام إنما يضاف الى المتكلم به ، ومثل هذا (ولكن حق القول مني) السجدة : ١٣ ومثله (نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ ومثله (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ فاستمسك بحرف (من) في هذه المواضع ، فانه يقطع شغب المعتزلة والجهمية ، وتأمل كيف قال : تنزيل منه ، ولم يقل : تنزيله ، فتضمنت الآية اثبات علوه ، وكلامه ، وثبوت الرسالة . انتهى المقصود منه .

وقوله : وكذا نزول الرب الخ . يشير الى حديث النزول ، وهو متواتر عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » أخرجه أصحاب الصحاح ، كالبخاري ، ومسلم ، واخرجه غيرهما . قال الحافظ الذهبي : وقد ألفت أحاديث النزول في جزء ، وذلك متواتر ، أقطع به . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » لما تكلم على حديث النزول ، قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح

الاسناد ، لاختلاف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على ان الله عز وجل في السماء على العرش ، من فوق سبع سموات ، كما قاله الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله تعالى . وذكر بعض الآيات ... الى أن قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الى اكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يخالفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقول الناظم : فيقول : لست بسائل غيري الخ . يشير الى الحديث الذي رواه النسائي ، وابن ماجه ، وغيرهما بسند صحيح ، أنه تعالى يقول : «لا يسأل عن عبادي غيري »

وقوله : ياقوم ليس نزوله وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان ، يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين ، فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول ، كما روى بعضهم حديث النزول ،(ينزل) بالضم ، وهذا كما قرأ بعضهم ، (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى . وبعضهم يفسر النزول بنزول الرحمة ، أو نزول ملك أو غير ذلك . فيقال له : الرحمة التي تثبتها ، إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها ، فان كانت عينا وقد نزلت الى السماء الدنيا ، لم يمكن أن تقول : « من يدعوني فأستجيب له » كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك ، وأن كانت صفة من الصفات ، فهي لاتقوم بنفسها ، بل لا بد لها من محل ، ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ، او محلها ، ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا ، فأي منفعة في ذلك .

والحاصل كما قال الناظم : إن هذه النصوص عند المعطلة مجاز لا حقيقة، ولهذا قال عنهم : أوّل وزد وانقص بلا برهان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هـــذا وثامنها بسورة غافر ... هو رفعة الدرجات للرحمن

درجاته مرفوعة كمعارج ... أيضاً له وكلاهما رفعان

وفعيل فيها ليس معنى فاعل ... وسيـــاقها يأباه ذو التبيان

لكنها مرفوعة درجاته ... لكمال رفعته على الأكوان

هذا هو القول الصحيح فلا تحد ... عنه وخذ معناه في القرآن

فنظيرها المبدي لنا تفسيرها ... في ذي المعارج ليس يفترقان

والروح والأملاك تصعد في معـــارجه إليه جل ذو السلطان

ذا رفعة الدرجات حقاً ما هما ... إلا سواء او هما شبهان

فخذ الكتاب ببعضه بعضا كذا ... تفسير أهل العلم للقرآن

ذكر الناظم الدليل الثامن على العلو ، وهو رفعة الدرجات . ومعنى رفعة الدرجات ، أن درجاته تعالى مرفوعة ، لكمال رفعته ، وليس رفيع هنا بمعنى رافع ، كما تقوله المعطلة . وأشار الى ذلك بقوله : وفعيل فيها ليس

معنى فاعل . قال ابن كثير في « تفسيره » تحت قوله تعالى : (رفيع الدرجات ذو العرش) غافر : ١٥ الآية : يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته ، كالسقف لها ، كما قال تعالى (من الله ذي المعارج . تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) المعارج : ٣ ، ٤ وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه مسافة مابين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء، اتساع مابين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه من الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وفي حديث الأوعال[1] مايدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . أنتهى .

قوله : فنظيرها المبدي لنا تفسيرها الآيه ، أي : أن هذه الآية الكريمة تفسير آية سورة هي غافر)، وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ فالمعنى أن الروح والأملاك تصعد في معارجه اليه تعالى .

قوله : فخذ الكتاب ببعضه ، أي فسر بعض القرآن ببعض كما هو سبيل أهل العلم والإيمان ، جعلنا الله منهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه   فوق السماء وذا بلا حسبان

فاستحضر الوحيين وانظر ذاك تلـــقاه مبيناً   واضح التبيان

---

(١) وهو حديث ضعيف ، رواه الترمذي، وابو داود وفي سنده (عبد الله بن عميرة) قال الذهبي : فيه جهالة .

ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـــب كي تقوم شواهد الايمان

واذا أتتك فلا تكن[1] مستوحشاً منها ولا تك عندها بجبان

ليست تدل على انحصار إلهنا عقلاً ولا عرفاً ولا بلسان

إذ أجمع السلف الكرام بأن معـــناها كمعنى فوق بالبرهان

او ان لفظ سمائه يعنى به نفس العلو المطلق الحقان

والرب فيه وليس يحصره من الـــمخلوق شيء ز ذو السلطان

كل الجهات بأسرها عدمية من حقه هو فوقها ببيان

قد بان عنها كلها فهو المحيـــط ولا يحاط بخالق الأكوان

ماذا كينقم بعد ذو التعطيل في وصف العلو لربنا الرحمن

ايرد ذو عقل سليم قط ذا بعد التصور يا اولي الأذهان

والله مارد امرؤ هـــذا بـــغير الجهل او بحمية الشيطان

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه ، وهذه[2] نصوص الفوقية من الكتاب والسنة ، كقوله تعـــالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الاية

وروى الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم لآتينهم من بين أيديهم) قـال : لم يستطيع أن يقول : (من فوقهم) علم أن الله تعالى من فوقهم . وأما الأحاديث ، فعن زينب

---

(١) في الاصل : وإذا أتت في لا تكن . (٢) في الاصل وهي .

بنت جحش أنها كانت تقول للنبي ﷺ : زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وفي لفظ البخاري ، كانت تقول : إن الله أنكحني من فوق سبع سموات. وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : جاء زيد ابن حارثة يشكو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله الحديث.. » وفيه : وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات . وفي رواية للبخاري عن أنس ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء. وعن سعد ابن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال لسعد ، يعني ابن معاذ : « لقد حكمت اليوم فيهم - يعني بني قريظة - بحكم الملك من فوق سبع سموات » قال الذهبي : هذا حديث صحيح . وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة ، قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة »[1] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ « : بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . قال : وذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ قال : فينظر اليهم ، وينظرون اليه ، فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره ». رواه ابن ماجه ! وعن العباس بن عبد المطلب ، قال . كنا بالبطحاء جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ماهذا؟ قلنا السحاب قال: « والمزن» : قلنا والمزن. قال: والعنان. فسكتنا. قال :« هل تدرون كم بين السماء والارض ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء

(١) رواه بنحو هذا اللفظ ابن اسحاق من مرسل علقمة بن وقاص . والذي في البخاري : « لقد قضيت بحكم الله - وربما قال : بحكم الملك » .

الى سماء مسيرة خمسمائة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم . وعن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ نحوه . أخرجه أبو داود[1] وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر ، ويرويه ابراهيم بن طهمان ، وعمرو بن (أبي) قيس عن سماك وقد حسنه الترمذي[2] . وأخرجه الحافظ الضياء في « المختارة » وأخرجه الذهبي من طريق آخر ، وفيه : ثم عد سبع سموات كذلك ، ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء الى سماء ، والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش اخرجه الحافظ ابو عبد الله ابن مندة في كتاب « التوحيد » قال الذهبي : قرأ على عمر بن عبد المنعم بـ (عربيل) ، وأنا أسمع عن ابي القاسم الحرستاني ، عن ابي عبد الله الفراوي قال : أنبا أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » له قال : وأنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد ابن أبي عمر ، وقالا : ثنا محمد ، ثنا هارون بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : بين السماء والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماءين خمسائة عام ، وبين السابعة والكرسي خمسائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله فوق الكرسي ، ويعلم ما أنتم عليه . رواه بنحوه المسعودي عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل بدل (زر) ، عن عبد الله ، ولفظه : والله فوق ذلك ،

---

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر في « التقريب ضعيف . وفيه أيضاً (عبدالله بن عميرة) .قال الحافظ الذهبي في «الميزان» فيه جهالة.

(٢) لم يحسنه الترمذي ، بل قال : هذا حديث غريب .

لايخفى عليه شيء من أعمالكم . وله طرق[1] . انتهى كلامه .

قوله : ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب الخ .. يشير الى قوله تعالى (أأ منتم من في السماء) الملك : ١٦ والحديث الذي فيه « حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله » ونحو ذلك. وذكر رحمه الله تعالى أن هذه النصوص لا تدل على انحصار إلهنا تعالى وتقدس ، لا عقلاً ولا عرفاً ، إذ أجمع السلف على أن معناها كمعنى فوق ، وأن لفظ السماء يعني به نفس العلو المطلق ، وسيأتي بسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن

وكذا اختصاص كتاب رحمته بعنـــد الله فوق العرش ذو تبيان

لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعاً عند ذي السلطان

ويكون عند الله ابليس وجبريـــل هما في العند مستويان

هذا هو الدليل العاشر من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه ، وهو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه ، كقوله تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الأعراف : ٢٠٦ وقوله تعالى : (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الأنبياء : ٢٩ الآية . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده

(١) لاتخلو من ضعف

فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »[1] وفي لفظ عن ابي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » وفي لفظ عن ابي هريرة « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه ، فهو مرفوع فوق العرش ، ان رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي » فلو لم يكن الله جل وعلا فوق عرشه لما كان لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى ، ولكان إبليس وجبريل في العندية سواء ، نعوذ بالله من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتمام ذاك القول ان محبة الـ ... ـرحمن غير[2] ارادة الأكوان

وكلاهما محبوبه ومراده ... وكلاهما هو عنده سيان

ان قلتم عندية التكوين فالـ ... ـذاتان عند الله مخلوقان

أو قلتم عندية التقريب تقـ ... ـريب الحبيب وما هما عدلان

فالحب عندكم المشيئة نفسها ... وكلاهما في حكمها مثلان

لكن منازعكم يقول بأنها ... عندية حقاً بلا روغان

جمعت له حب الإله وقربه ... من ذاته وكرامة الاحسان

والحب وصف وهو غير مشيئة ... والعند قرب ظاهر التبيان

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

(٢) في الاصل: عين .

حاصل هذه الأبيات أن محبة الله تعالى عندكم عين إرادته ، فلا يظهر وجه اختصاص العند بالملائكة، لأنكم إن قلتم : إن المراد بالعندية التكوين، فابليس وجبريل كلاهما عند الله مخلوقان مكونان ، فـلا يبقى للتخصيص بالعندية معنى ، وان قلتم : ان المراد بالعندية عندية المحبة ، فهو أيضاً لا يصح بناء على قولكم ، لأن المحبـة عندكم هي المشيئة نفسها ، وجبريل وابليس في نفس المشيئة متساويان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحادي عشرهن اشارة ... نحو العلو بأصبع وبنان

لله جل جـلاله لاغيره ... إذ ذاك اشراك من الانسان

ولقد أشار رسوله في مجمع الـــحج العظيم بموقف الغفران

نحو السماء بأصبع قد كرمت ... مستشهداً للواحد الرحمن

يارب فاشهد انني بلغتهم ... ويشير نحوهم لقصد بيان

فغدا البنان مرفّعاً ومصوّباً ... صلى عليك الله ذو الغفران

أديت ثم نصحت إذ بلّغتنا ... حق البلاغ الواجب الشكران

هـذا هو الدليل الحادي عشر من أدلة علو الله تعـالى على خلقه ، وهو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكبها[1] الى الناس ، ويقول : « اللهم اشهد »

(١) في نسخ مسلم التي بين ايدينا «ينكتها» بالتاء وفي بعض نسخ «سنن ابي داود» ينكبها بالباء

كما رواه مسلم في حديث جابر الطويل في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وفيه : « فقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدإن اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون عني ،فما أنتم قائلون » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت، ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد » ثلاث مرات .

قوله : ينكبها : يقال : نكب أصبعه : أمالها الى الناس ، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم ، قاله ابن الاثير في غريب «جامع الاصول » .

قوله : ومصوباً . الصوب : المجيء من علٍ « قاموس » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثاني عشرها وصف الظهو	ر له كما قد جاء في القرآن
والظاهر العالي الذي ما فوقه	شيء كما قد قال ذو البرهان
حقاً رسول الله ذا تفسيره	ولقد رواه مسلم بضمان
فاقبله لا تقبل سواه من التفا	سير التي قيلت بلا برهان
والشيء حين يتم منه علوه	فظهوره في غاية التبيان
أو ما ترى هذي السما وعلوّها	وظهورها وكذلك القمران
والعكس أيضاً ثابت فسفوله	وخفاؤه اذ ذاك مصطحبان

فانظر الى علو المحيط وأخذه صفة الظهور وذاك ذو تبيان

وانظر خفاء المركز الأُدنى ووصف السفل فيه وكونه تحتاني

وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه فهما له صفتان

لاتجحدنهّما جحود الجهم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان

وظهوره هو مقتض لعلوه وعلوه لظهوره ببيان

وكذاك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب مؤذنة بهذا الشان

فتأملنْ تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقرآن

إذ قال أنت كذا فليس لضده أبداً اليك تطرق الاتيان

ثبت في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه قال : «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وعن مقاتل بن سليمان قال : بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : (هو الأول) الحديد : ٣قال : قبل كل شيء ، والآخر قال : بعد كل شيء ، والظاهر قال : فوق كل شيء ، والباطن ، قال : أقرب من كل شيء .

قوله : والشيء حين يتم منه علوه الخ ... أي : أن الشيء اذا كان في غاية العلو ضوءأظهر ما يكون ، والعكس أيضاً ثابت ، أي : كلما سفل الشيء كان في غاية الخفاء،ثم مثل لذلك بالمحيط والمركز ، فان المحيط لتمام علوه في غاية الظهور، والمركز لسفوله في غاية الخفاء ، ولهذا قال الناظم :

وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه ؛ أي : أن ظهوره سبحانه مقتض لعلوه وعلوه مقتض لظهوره .

وقوله : ولذاك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب الخ .. يعني الفاء التي في قوله ﷺ « وانت الظاهر فليس فوقك شيء » يعنى انها فاء السببية ، والمراد بالمحيط هنا الفلك ، والمركز وسط الأرض .

قال الناظم :

فصل

هذا وثالث عشرها أخباره ... انا نراه بجنة الحيوان

فسل المعطل هل يرى من تحتنا ... أم عن شمائلنا وعن أيمان

أم خلفنا وأمامنا سبحانه ... أم هل يرى من فوقنا ببيان

ياقوم مافي الأمر شيء غير ذا ... أو أن رؤيته بلا إمكان

إذ رؤية لا في مقابلة من الـ ... ـرائي محال ليس في الإمكان

ومن ادعى شيئاً سوى ذا كان دعـ ... ـواه مكابرة على الاذهان

هذا هو الدليل الثالث عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو رؤيته تعالى في الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله عز وجل : (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ رواه ابن ماجه في « سننه » . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت :

ماهذه ياجبريل ؟ قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . فقلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس له يقسم إلا أذخر له ماهو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة ، نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون ، حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء ، حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب ، فيتجلى لهم ربهم عزوجل حتى ينظروا الى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ويسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر إلى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاً لا فصم فيها ولا وصم ، أو ياقوته حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، منها غرفها وأبوابها مطردة فيها انهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا الى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً الى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد »[1] قال الذهبي : هذا حديث مشهور ، وافر الطرق . أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » له عن عبد الأعلى بن حماد النرسي ، عن عمر بن يونس .

---

(١) رواه ابن ابي الدنيا ، والطبراني في «الأوسط» ، وابو يعلى مختصراً ، والبزار.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولذاك قال محقق منكم لأهـــل الاعتزال مقـــالة بأمان

مابيننا خلف وبينكم لدى الـــتحقيق في معنى فيا إخوان

شدوا بأجمعنا لنحمل حملة تذر المجسم في أذل هوان

اذ قال إن إلهنـا حقاً يرى يوم المعاد كما يرى القمران

وتصير أبصار العباد نواظراً حقاً اليه رؤية بعيان

لا ريب أنهم اذا قالوا بذا لزم العلو لفاطر الأكوان

ويكون فوق العرش جل جلاله فلذاك نحن وحزبهم خصمان

لكننا سلم وأنتم اذ تساعـــــدنا على نفي العلو لربنا الرحمن

فعلوه عين المحال وليس فو ق العرش من رب ولا ديان

لاتنصبوا معنا الخلاف فماله طعم فنحن وأنتم سلمان

هذا الذي والله مودع كتبهم فانظر ترى يامن له عينان

لما ذكر الناظم أن أهل الجنة يرونه سبحانه وتعالى ، وأن رؤيته تعالى لاتكون إلا من فوق ، وإلا فرؤيته سبحانه محال ، ولهذا قال في هـــذه الأبيات : ولهذا قال محقق منكم لاهل الاعتزال الخ . قوله : منكم . أي : من الاشاعرة ، ولم أقف على تعيين هذا المحقق . وقد قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : والمقصود هنا أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة وغـــيرهم اذا قالوا : إثباتها يستلزم أن يكون الله جسماً ، وذلك منتف ،

وادعوا أن العقل دل على المقدمتين ، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين أو إحداهما ، فاما أن يبطل نفي التلازم ، أو نفي اللازم ، أو المقدمتان جميعاً ، وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤيـــة ، فطائفة نازعت في الاولى كالأشعري وأمثاله ، وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة ، وقالوا : لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسماً ، فقالت النفاة : لأن كل مرئي في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، فافترقت نفاة الجسم على قولين : طائفة قالت : لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة ، فهو جسم ، فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين ، وأن المنازع فيها مكابر ، وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية ، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة ، فاذا أطلقوها موافقة لأهل السنة ، فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابع عشرها إقرار سا ... ئله بلفظ الأين للـــرحمن

ولقد رواه أبو رزين بعدما ... سأل الرسول بلفظه بوزان

ورواه تبليغـــاً له ومقرراً ... لما أقربه بـــلا نكران

هذا وما كان الجواب جواب من ... لكن جواب اللفظ بالميزان

كلا وليس لمن دخول قط في ... هذا السياق لمن له أذنان

دع ذا فقد قال الرسول بنفسه ... أين الإله لعالم بلسان

والله ما قصد المخاطب غير معـــناها الذي وضعت له الحقان

والله ما فهم المخاطب غيره ... واللفظ موضوع لقصد بيان

ياقوم لفظ الأين ممتنع على الـــرحمن عندكم وذو بطلان

ويكاد قائلكم يكفرنا به ... بل قد وهذا غاية العدوان

لفظ صريح جاء عن خير الورى ... قولاً وإقراراً هما نوعان

والله ماكان الرسول بعاجز ... عن لفظ من مع أنها حرفان

والأين أحرفها ثلاث وهي ذو ... لبس ومن في غاية التبيان

والله ما الملكان أفصح منه إذ ... في القبر من رب السما يسلان[1]

ويقول أين الله يعني من فلا ... والله ما اللفظان متحدان

كلا ولا معناهما أيضاً لذي ... لغة ولا شرع ولا إنسان

هذا هو الدليل الرابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .

قوله : ولقد رواه أبو رزين الخ . عن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يارسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال . كان في عماء مافوقه هواء ، وماتحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي ، وابن ماجة . قال الذهبي : واسناده حسن[2] رواه إسحق

(١) أي يسألان ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

(٢) قال الترمذي فيه : هذا حديث غريب .

ابن راهويه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد ، وعنده . « ثم كان العرش ،فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء ، وفوقه هواء » يعني السحاب ومن الاحاديث المتواترة ، حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم قبل أحد والجوانية . وفيها جارية لي ، فاطلعت ذات يوم ، فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم ، فأسفت ، فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي . فقلت : يارسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها ، فدعوتها . قال فقال لها : « أين الله : » قالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله صلى الله عليك وسلم . قال : « اعتقها فانها مؤمنـــة » هذا حديث صحيح ، رواه جماعة من الثقات ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن هلال ابن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي . أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغير واحد من الأئمة . قال الذهبي : أخبرنا أحمد بن ابراهيم الخطيب ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن المظفر ، قالوا : أنبأنا السخاوي ، أنبأنا السلفي ، أنبأنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين أنا علي بن الحسين بن جابر ، أنبأنا محمد بن علي النقاش ، ثنا القاسم بن الليث ، ثنا المعافى بن سليمان ، ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم ترعى بالعذيب ، فكنت أتعهدها ، وفيها جارية لي سوداء ، فجئتها يوماً ففقدت شاة من خيار الغنم ، فقلت : أين الفلانية ؟ قالت : أكلها الذئب ، فأسفت وأنا من بني آدم ، فضربت وجهها ، ثم ندمت على ما صنعت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : أضربت وجهها ؟ وعظم ذلك تعظيماً شديداً . فقلت : يارسول الله ان من توبتي أن أعتقها . قال :فائتني بها قبل أن تعتقها ، فجئته

بها . فقال لها : « من ربك ؟ » قالت : الله . قال : « وأين هو ؟ » قالت : في السماء . قال : «فمن أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله .قال : « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح : قال الذهبي : وهكذا رأينا كل من يسأل: أين الله ، يبادر ويقول :في السماء ، ففي الخبر مسألتان . إحداهما شرعية . قول المسلم : أين الله . وثانيها قول المسؤول : في السماء . فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر على المصطفى ﷺ .انتهى . وقوله الناظم :هذا وما كان الجواب جواب من الخ . أي لأن النفاة أولوا قول النبي ﷺ « أين الله »يعني:من الله.قال شيخ الاسلام« في العقل والنقل »بعد كلام سبق . وهذا مما يبين أن سؤال السائل ، أين كان ربنا في حديث ابي رزين ، لم يكن هذا السؤال فاسداً عنده ﷺ كسؤال السائل: من خلق الله ، فإنه لم ينه السائل عن ذلك ، ولا أمره بالاستعاذة ،بل النبي ﷺ سأل بذلك لغير واحد فقال له : أين الله، وهو منزه أن يسأل سؤالاً فاسداً . وسمع الجواب عن ذلك وهو منزه عن أن يقر على جواب فاسد ، لما سئل عن ذلك أجاب . فكان سائلاً به تارة ، ومجيباً عنه أخرى ، ولوكان المقصود مجرد التمييز بين الرب والصنم ، مع علم الرسول ان السؤال والجواب فاسدان ، كان في الأسئلة الصحيحة مايغني غير الرسول ﷺ عن الأسئلة الفاسدة، فكيف يكون الرسول ﷺ ، فإنه كان يمكن أن يقول : من ربك، من تعبدين، كما قال لحصين الخزاعي :ياحصين كم تعبد اليوم إلهاً،قال: أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحداً في السماء . قال : فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء . فقال : « أسلم حتى أعلمك كلمة ينفعك الله بها . » فلما أسلم ، سأله عن الدعوة . فقال : « قل : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ، رواه أحمد في «المسند»و(رواه)غير أحمد[1].انتهى .

قوله :ياقوم لفظ الاين ممتنع على الرحمن الخ . أي أنه لايجوز عندهم أن

(١) ورواه الترمذي واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن غريب .

يقال : أين الله ، ويكاد قائلكم يكفرنا به ، بل قد .أي يقارب قائلكم أن يكفرنا به ، بل قد. أي كفرنا به ، وهذا على طريق الاكتفاء . وقد عرفه علماء البديع بأنه ، هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر ، وقافيته متعلقة بمحذوف ،فلم يفتقر الى ذكر المحذوف ، لدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفى بما هو معلوم في الذهن كقوله : لا أنتهي ، لا أنثني ، لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ،ولا إذا ...

وقوله : والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من.أي:لو كان مراده بقوله : أين الله . السؤال من الله، لما كان عاجزاً عن ذلك،ولفظ(من) حرفان ، ولفظ أين ثلاثة أحرف .

وقوله : والله ماالملكان أفصح منه اذ . أي ما الملكان اللذان يسألان الميت ، فيقولان : من ربك ومن نبيك؟ ومادينك ؟ بأفصح منه ، أفيقول الرسول ﷺ أين الله ، يعني من الله ، فلا والله ما اللفظان بسواء ، ولا معناهما أيضاً بسواء ، لا في لغة ولاشرع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذاوخامس عشرها الاجماع من ... رسل الإله الواحد المنان

فالمرسلون جميعهم مع كتبهم ... قدصرحوا بالفوق للرحمن

وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى ... والدين عبدالقادر الجيلاني

وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى | إجماعهم أعني ابن رشد الثاني [1]
وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى | إجماعهم علم الهدى الحراني [2]
وله اطلاع لم يكن من قبله | لسواه من متكلم بلسان

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام سيد الوعاظ أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي [3] في كتاب « الغنية » له : أما معرفة الصانع بالآيات والاختصار ، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد .. الى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش ، يحتو على الملك ، محيط علمه بالاشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال : إنه في السماء على العرش ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وذكر آيات وأحاديث ... الى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وانه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلاً .

وقال الناظم: في كتابه « إغاثة اللهفان » قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب « الكشف » عن مناهج الأدلة : القول في الجهة ، أما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه ، حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة ، كأبي المعالي ، ومن اقتدى بقوله ...

---

(١) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، ابو الوليد ، صاحب كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » توفي سنة (٥٩٥) ويلقب : (ابن رشد الحفيد) تمييزاً له عن جده (ابي الوليد محمد بن احمد) المتوفي سنة (٥٢٠) ﻫ .

(٢) هو شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني الدمشقي .

(٣) وهو المعروف بالجيلاني ، فقيه من فقهاء الحنابلة ، وهو شيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي توفي سنة (٥٦١) .

إلى ان قال : والشرائع كلها مبينة على أن الله في السماء ، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين ، وأن من السموات أنزلت الكتب ، واليها كان الاسراء بالنبي ﷺ ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ، كما اتفق جميع الشرائع على ذلك ، ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم ... الى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأن إبطاله إبطال الشرائع كلها . انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في بعض أجوبته بعد كلام سبق : مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فهذا إجماع الرسل الذي نقل شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ونقطع نحن أيضاً أنه ... إجماعهم قطعاً على البرهان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الصفات لخالق الأكوان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الكلام لربنا الرحمن

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات المعاد لهذه الابدان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بتوحيد الإله وماله من ثان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات القضاء ومالهم قولان

فالرسل متفقون قطعاً في اصول الدين دون شرائع الايمان

كل له شرع ومنهاج وذا في الأمر لا التوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان
دين الإله اختاره لعباده ولنفسه هو قيم الاديان
فمن المحال بأن يكون لرسله في وصفه خبران مختلفان

شرح الناظم رحمه الله في ذكر أشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه ، واثبات صفاته تعالى ، وكلامه ، وإثبات معاد الأبدان ، والتوحيد ، وإثبات القضاء والقدر ، وذلك مما يقطع به ضرورة ، ثم قال : فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين ، وذلك بغير شك ، وأما شرائعهم فمختلفة ، كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائده : ٤٨ .

قال ابن كثير : قال ابن ابي حاتم : وساق السند الى ابن عباس : (لكل جعلنا منكم شرعة) قال : سبيلاً ، وساق أيضاً عن ابن عباس ، (منهاجاً) قال : وسنة . وكذا روي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجاً) ؛ أي : سبيلا وسنة ، وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وقتاده ، والضحاك ، والسدي ، وأبي اسحاق السبيعي ، أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجاً) ؛ أي : سبيلاً وسنة . وعن ابن عباس أيضاً ، ومجاهد ، وعطاء الخراساني عكسه ؛ أي : سنة وسبيلاً ، والأول أنسب ، فان الشرعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ؛ اي : ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة ، وهي ما يشرع فيها الماء . إما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن الطرائق ، فتفسير قوله : (شرعة

ومنهاجاً) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، والله اعلم . انتهى كلامه .

قوله : في الأمر لا التوحيد الخ ... اي : أن جميع الرسل متفقون في التوحيد ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد[1] » يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) الانبياء : ٢٥ وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل : ٣٦ الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، وهـذا معنى قول الناظم : في الأمر لا التوحيد فافهم ذان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعد	ل الله بين طوائف الانسان
وكذاك نقطع أنهم ايضاً دعوا	للخمس وهي قواعد الايمان
إيماننا بالله ثم برسله	وبكتبه وقيامة الابدان
وبجنده وهم الملائكة الأُلى	هم رسله لمصالح الأكوان
هذي أُصول الدين حقاً لا أصو	ل الخمس للقاضي هو الهمذاني

(١) رواية البخاري بلفظ « الانبياء إخوة لعلات ، أمها تهم شتى ودينهم واحد ».

تلك الأُصول للاعتزال وكم لها فرع فمنه الخلق للقرآن
وجحود أوصاف الإله ونفيهم لعلوه والفوق للرحمن
وكذاك نفيهم لرؤيتنا له يوم اللقاء كما يرى القمران
ونفوا قضاء الرب والقدر الذي سبق الكتاب به هما حتمان
من أجل هاتيك الاصول وخلدوا أهل الكبائر في لظى النيران
ولأجلها نفوا الشفاعة فيهمُ ورموا رواة حديثها بطعان
ولأُجلها قالو بأن الله لم يقدر على اصلاح ذي العصيان
ولأُجلها قالوا بأن الله لم يقدر على إيمان ذي الكفران
ولأُجلها حكموا على الرحمن بالـ شرع المحال شريعة البهتان
ولأجلها هم يوجبون رعاية لـ الأصلح الموجود في الإمكان
حقاً على رب الورى بعقولهم سبحانك اللهم ذا السبحان

أي نقطع أن الرسل دعوا لأصول الايمان الخمسة ، وهي : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وقوله :

هذي أَصول الدين حقاً لا الأصو ل الخمس للقاضي هو الهمذاني

أي : أَن هذه أصول الدين ، لا الأصول الخمسة للمعتزلة ، وذلك أن أصولهم خمسة يسمونها ، التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وإنفاذ الوعيد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ، ولهذا سمى ابن التومرت أَصحابه الموحدين ، وهذا إنما هو

إلحاد في أسماء الله وآياته ، ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر ، وهو خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات أو القدرة على شيء ، ومنهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب ، لكن هذا ليس قول أئمتهم ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه ، كما لا يسمى كافراً ، فنزلوه منزلة بين منزلتين. وانفاذ الوعيد عندهم معناه ان فساق الملة مخلدون في الدار ، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة ، وقتالهم بالسيف .

وقول الناظم : تلك الأصول للاعتزال ، وكم لها فرع فمنه الخ أي : ان المعتزلة قالوا بخلق القرآن . ونفوا صفات الله تعالى ، وعلوه على خلقه ، ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ، ونفوا القضاء والقدر ، والشفاعة في عصاة الموحدين ، وقالوا بأن الله لايقدر على اصلاح العصاة ، ولايقدر على ايمان الكفار ، وأوجبوا على الله رعاية الأصلح ، ونحو ذلك .

وقوله: للقاضي هو الهمذاني .أي : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي ، شافعي الفروع ، معتزلي الأصول ، وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسين الهمذاني ، قاضي الري وأعمالها ، وكان شيخ المذهب ، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال .

قال ابن كثير في « تاريخه »: ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب « دلائل النبوة » في مجلدين ، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة ، وقد طال عمره ، ورحل الناس اليه من الأقطار ، واستفادوا به ، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥ خمس عشرة واربعمائة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهـل العلم أعني حجة الأزمان

من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران

إن الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مباين الأكوان

هو ربنا سبحانه وبحمده حقاً على العرش استوا الرحمن

فاسمع إذاً أقوالهم واشهد عليهم بعدها بالكفر والايمان

واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الاسناد فهي هداية الحيران

هذا هو الدليل السادس عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث . قال :

وانظر الى قول ابن عباس بتفسير استوى ان كنت ذا عرفان

قال البغوي في « تفسيره » المشهور. قال: ابن عباس واكثر مفسري السلف : استوى الى السماء : ارتفع الى السماء.

وانظر الى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران

قال البخاري في « صحيحه » باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ قال أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع . وقال مجاهد في

استوى : علا على العرش . وروى عبد الله ابن الامـــام أحمد في كتاب « السنة » له عن أبيه عن نوح بن ميمون ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمـــه معهم . وروى البيهقي باسناده عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله اعـــلم في قوله تعالى (هو الاول والآخر) الحديد : ٣ قال: هوالاول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وانما قربه بعلمه ، وهو فوق عرشه.

وانظر الى الكلبي ايضاً والذي قد قاله من غير ما نكران

روى البيهقي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (ثم استوى على العرش) يقول : استقر على العرش

وكـذا رفيـع التابعيّ أجلهم ذاك الرياحيّ العظـيم الشان

رفيـع بضم الراء مصغراً . هو ابو العالية ، وقد تـقدم مانقله البخاري عنه . قال أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع

كم صاحب ألقى اليه علمه فلذاك مااختلفا[1] عليه اثنان

فليهن من قد سبه إذ لم يوا فق قوله تحريف ذي البهتان

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن

(١) في الأصل : ما اختلفت .

حكى الفراء عن ابن عباس (ثم استوى) صعد . أبو عبيده : هو معمر ابن المثنى التيمي البصري .

قوله : صاحب الشيباني هو أبو عمرو بن العلاء[١] واسمه اسحق كما ذكر ذلك الذهبي في « تاريخ الاسلام » وقيل : إنما قيل له الشيباني لانقطاعه الى أناس من بني شيبان .

والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول أتباع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قاله[٢] من موجز وإبانة ومقالة ببيان

أي : أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه ، كـ « الموجز » و « الابانة » و « المقالات » قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « الابانة في اصول الديانة » له في باب الاستواء :

فان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له : إن الله مستو على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه :٥ وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء . ١٥٨ وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذباً) غافر : ٣٦ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات وقال عز وجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل ما علا فهو

---

(١) ابو عمرو بن العلاء شيخ ابي عمر الشيباني فقوله : ابي العلاء سبق قلم .
(٢) في الاصل: قد قال ذا ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

سماء ، وليس إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السموات ، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال : (وجعل القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ ولم يرد أنه يملأهن جميعاً . قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون، من المعتزلة ، والجهمية ، والحرورية: إن معنى استوى : استولى ، وملك ، وقهر ، وإنه تعالى في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الارض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء ؛ والارض فالله قادر عليها ، وعلى الحشوش ، وكذا لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يكون مستوياً على الاشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله مستو على الأخلية ، والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء ، وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك ، وكتاب « الابانة » من أشهر تصانيف أبي الحسن شهرة ، والحافظ ابن عساكر اعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامـــام محيي الدين النووي ، كذا ذكره الحافظ الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذلك البغوي أيضاً قد حكا ٥ عنهمُ بمعالم القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحســين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب « معالم التنزيل » عند قـــوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ قال الكلبي ، ومقاتل : استقر . وقال أبو عبيدة : صعد ، ثم قال البغوي : وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به .

وقال في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع الى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله) البقرة : ٢١٠ الاولى في هذه الآية وماشا كلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم . انتهى .

وانظر كلام إمامنا هو مالك قد صح عنه قول ذي إتقان
في الاستواء بأنه المعلوم لكن كيفه خاف على الأذهان

روى البيهقي وابو الشيخ الاصبهاني ، عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعاً . فأمر به أن يخرج . وساق البيهقي باسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني ، عن ابن وهب قال : كنت عند مالك ، فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك (رأسه) ، وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة . أخرجوه . قال الذهبي في كتاب « العلو » بعد ماساق كلام الامام مالك : وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، وأن استواءه

معلوم ، كما اخبر به في كتابه ، وانه كما يليق به ، لا نعمق ، ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ، ونقف كما وقف السلف ، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في نزوله . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وروى ابن نافع الصدوق سماعه ... منه على التحقيق والاتقان

الله حقاً في السماء وعلمه ... سبحانه حقاً بكل مكان

فانظر الى التفريق بين الذات والـمعلوم من ذا العالم الرباني

فالذات خصت بالسماء وانما الـمعلوم عم جميع ذي الاكوان

ذا ثابت عن مالك من رده ... فلسوف يلقى مالكاً بهوان

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية : حدثني أبي ، ثنا شريح بن النعمان ، عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لايخلو منه شيء ، فانظر كيف فرق مالك رحمه الله تعالى بين الذات والمعلوم ، فخص الذات بالسماء ، واما المعلوم فهو عام كل شيء . والمراد بالمعلوم هنا العلم ، كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى .

وقوله : ذا ثابت عن مالك الخ . يعني بقوله : فلسوف يلقى مالكاً خازن النار ، نعوذ بالله من ذلك ، ولكن لايخلو كلامه من مبالغة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قال الترمذي بجامع ... عن بعض أهل العلم والايمان

الله فوق العرش لكن علمه ... مع خلقه تفسير ذي إيمان

ذكر الحافظ أبو عيسى الترمذي في «جامعه» لما روى حديث أبي هريرة، وهو خبر منكر «لو أنكم دليتم بحبل إلى الارض السفلى لهبط على الله»[1] فقال: قال أهل العلم: أراد: لهبط على علم الله، وهو على العرش، كما وصف نفسه في كتابه. وقال أبو عيسى إثر ماروى حديث أبي هريرة. «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها» روت عائشة عن النبي ﷺ نحوه. وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا ومايشبهه من الصفات، ونزول الرب: نثبت هده الروايات في هذا، ونؤمن به. ولا يتوهم، ولا يقال: كيف هذا؟ روي عن مالك، وابن عيينة، وابن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية، فأنكرت هذه الروايات، وقالوا هذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وانما معنى اليد هاهنا: النعمة، وهذا القول في باب فضل الصدقة من الجامع، وقال نحواً من ذلك أيضاً في تفسير (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة: ٦٤.

وكذاك أوزاعيهم أيضاً حكى ... عن سائر العلماء في البلدان

من قرنه والتابعين جميعهم ... متوافرين وهم أولو العرفان

إيمانهم بعلوه سبحانه ... فوق العباد وفوق ذي الاكوان

روى البيهقي في «الأسماء والصفات» باسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وروى أبو بكر الخلال في كتاب

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

« السنة » عن الأوزاعي قـال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقال أمروها كما جاءت . وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والاوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت . وفي رواية فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وكذاك قال الشافعي حكاه عنـه البيهقي وشيخه الربـاني
حقاً قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لأصدق العبدان
حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشـل ولا متوان
فانظر الى المقضي في ذي الارض لـكن في السماء قضاء ذي السلطان
وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهـذا واضح البرهان

قال الشافعي رضي الله عنه : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده . انتهى . أي : أن المقضي في الارض ، والقضاء في السماء ، وهو فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته .

قوله : حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني . مراده بشيخ البيهقي ، الحافظ أبو عبد الله الحاكم رحمهما الله تعالى .

قوله : العبدان جمع عبد ، وقوله : حب الرسول الخ . يعني : أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقال الامام ابن الامـام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رضي الله عنـه : حدثنا أبو شعيب ، وأبو ثور عن أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى قال : القول في السنة التي أنا عليها ،

ورأيت أصحابنا عليها ،أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخـذت عنهم ، مثـل سفيان ، ومالك وغيرهما : الاقرار بشهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كيف شاء .

قال :

وكذلك النعمان قال وبعده ... يعقوب والألفاظ للنعمان

من لم يقر بعرشـه سبحانه ... فوق السماء وفوق كل مكان

ويقر أن الله فوق العرش لا ... تخفى عليه هواجس الأذهان

فهو الذي لا شك في تكفيره ... لله درك من إمام زمـان

هذا الذي في الفقه الاكبر عندهم ... وله شروح عـــدة لبيان

قوله : النعمان . هو الامام عالم العراق ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت .

وقوله : يعقوب :هو ابن ابراهيم أبو يوسف القاضي.

قلت : قال في كتاب « الفقه الاكبر » المشهور المروي بالاسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبـد الله البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء ، أو في الارض . قال : قد كفر ، لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول . أقـول على العرش استوى ، ولكن قال : لا يدري العرش في السماء أو في الأرض . فقال : إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر . رواها صاحب الفاروق باسناد عن أبي بكر نصير بن يحيي عن الحكم .

قال الذهبي : وسمعت القاضي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان

قال سمعت الامام أبا محمد عبدالله بن احمد المقدسي مؤلف «المقنع»[١] رحم الله ثراه، وجعل الجنة مثواه يقول : بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر .

وانظر مقالة أحمد ونصوصه　　　في ذاك تلقاها بلا حسبان

فجميعها قد صرحت بعلوه　　　وبالاستوا والفوق للرحمن

وله نصوص واردات لم تقع　　　لسواه من فرسان هذا الشان

اذ كان ممتحناً باعداء الحديث　　　وشيعة التعطيل والكفران

واذا أردت نصوصه فانظر الى　　　ماقد حكى الخلال ذو الاتقان

يعني أن الامام أحمد له من النصوص والكلام في صفات الله تعالى وفي كلامه ماليس لغيره من الأئمة ، لأنه كان ممتحناً بالمعطلة والجهمية ، وما جرى عليه من المحنة في ذلك ، والضرب ، مشهور مذكور في الكتب التي صنفت في مناقبه ، كمناقبه للامام ابي اسماعيل الأنصاري ، وللحافظ ابي الفرج ابن الجوزي ، والحافظ ابي بكر البيهقي ، وغيرهم ، وكذلك كتب التواريخ .

وقوله : الخلال . هو أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر الخلال ، كان أحد من صرف عنايته إلى جمع علوم الامام أحمد بن حنبل ، وسافر الى البلاد لأجلها ، وسمعها عالية ونازلة ، وصنف كتاب « الجامع » وهو في عدة مجلدات ، وكتاب « السنة » وكتاب « العلل » لأحمد بن حنبل ، وغير ذلك . قال ابو بكر بن شهرباز : كلنا تبع للخلال ، لأنه لم يسبقنا إلى جمع علم أحمد أحد قبله . قال الخطيب : جمع ـ يعني الخلال ـ علوم أحمد ،

(١) هو المعروف بـ « موفق الدين بن قدامه المقدسي » صاحب « المغني » شرح « مختصر الخرقي » وقد قام المكتب الاسلامي بطبع هذا المختصر .

وطلبها ، وسافر لأجلها ، وكتبها ، وصنفها كتباً ، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع منه لذلك ، توفي في ربيع الأول سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلثمائة ، وقد نيف عن الثمانين . انتهى ملخصاً من « تاريخ الذهبي » وأما نصوص الامام أحمد في ذلك ، فنذكر منها قليلاً من كثير قال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه . وقال أبو طالب أحمد بن حميد : سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الاية ، ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر أن الله يعلم) المجادلة : ٧ فعلمه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق : ١٦ فعلمه معهم . قال المروذي قلت لابي عبد الله : إن رجلاً قال : أقول كما قال الله : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) أقول هذا ، ولا أجاوزه الى غيره . فقال هذا كلام الجهمية ، بل علمه معهم ، فأول الاية يدل على أنه علمه . رواه ابن بطة في كتاب « الابانة » عن عمر بن محمد بن رجاء عن محمد بن داود عن المروذي . وقال حنبل ابن اسحق : قيل لأبي عبد الله : ما معنى (وهو معكم) قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وكلامه رحمه الله تعالى في هذا كثير شهير ، وفيما ذكرنا كفاية .

وكذاك اسحاق الامام فانه   قد قال مافيه هدى الحيران

قال الخلال : أنا المروذي ، قال : قال اسحق بن ابراهيم بن راهويه

قال الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ اجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء في أسفل الارض السابعة وفي قعور البحار ، ورؤوس الآكام ، وبطون الأودية ، وفي كل موضع ، كما يعلم علم مافي السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علماً فلا تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات البر والبحر الا قد عرف ذلك كله ، وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره .

وابن المبارك قال قولاً شافياً إنكاره علم على البهتان

قالوا له ما ذاك نعرف ربنا حقاً به لنكون ذا إيمان

فأجاب نعرفه بوصف علوه فوق السماء مباين الأكوان

وبأنه سبحانه حقا على الـعرش الرفيع فجل ذو السلطان

قال الخلال : ثنا أبو بكر المروذي ، قال : سمعت أبا عبد الله قيل له : روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد ، قال : قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ، ثم قال أبو عبد الله : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ ثم قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وروى شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني باسناده الثابت عن عبد الله بن المبارك انه قال : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته ، بائناً من خلقه ، ولا نقول كما قال الجهمية بأنه ههنا ، وأشار بيده الى الارض . وهو عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، فكان ابن المبارك

إذا قدمها أحسن الى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، ولد سنة ثماني عشرة ومائة ، وسمع اسماعيل ابن أبي خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة وحميد الطويل ؛ وغيرهم من أئمة التابعين ، وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزهد ، والكرم ، والشجاعة وله التصانيف الحسان ، والشعر المتضمن حكماً جمـــة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف تدور بتجارة في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم ببلدة أحسن إليه . وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة الف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة ، وربما أنفق من رأس المال . قال سفيان بن عيينة : نظرت أمر الصحابة ، فما رأيتهم يفضلون عليه إلا بصحبتهم رسول الله ﷺ . وقال اسمعيل بن عياش : ما أعلم على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة (من) الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك . ولقـــد حدثني أصحابه أنهم صحبوه من مصر الى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقد قدم مرة الى « الرقة » وبها هارون الرشيد فلما دخلها انجفل الناس يهرعون الى ابن المبارك ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر فقالت : ما للناس ؟ فقيل : هذا رجل من علماء خراسان ، يقال له : ابن المبارك ، فقالت المرأة . هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس بالسوط والعصا . وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر . أجمع العلماء على قبوله ، وجلالته ، وإمامته ، وعدالتـه . توفي بـ « هيت » في سنة ١٨١ احدى وثمانين ومائة في رمضان عن ثلاث وستين سنة .

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة إذ سل سيف الحق والعرفان

وقضى بقتل المنكرين علوّه ... بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يلقون بعد القتل فو ... ق مزابل الميتات والانتان

فشفى الامام العالم الحبر الذي ... يدعى إمام أئمة الأزمان

ولقد حكاه الحاكم العدل الرضى ... في كتبه عنه بلا نكران

قال شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في « عقيدته » أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، يعني الحاكم في كتاب « التاريخ » الذي جمعه لأهل نيسابور ، وفي كتاب « معرفة أصول الحديث » اللذين جمعهما ، ولم يسبق الى مثلهما . قال : سمعت ابا جعفر محمد بن صالح بن هانىء ، سمعت الامام أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول : من لم يقر أن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته ، فهو كافر به ، حلال الدم ، يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه[1] وألقي على بعض المزابل .

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان

إجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش لم ينكره ذو إيمان

وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرض على العميان

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » : لما ذكر حديث النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الاسناد ، لايختلف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار

(١) في الاصل : ضربت عنه .

العدول ، عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قال الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله بكل مكان . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقوله عز وجل (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٢٤ وقال سبحانه (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥ وقال : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ وقال لعيسى عليه السلام (اني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب .أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً) غافر: ٣٦، ٣٧ يعني أظن موسى كاذباً أن له إلهاً في السماء، هذه الاية تدل على أن موسى كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذباً . قال : ومن الحجة أيضاً في أنه على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوههم الى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها ، مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال النبي ﷺ الأمة التي أراد مولاها عتقها وكانت عليه رقبه مؤمنة ، فاختبرها رسول الله ﷺ

بأن قال لها : « أين الله » فأشارت الى السماء . قال : « من أنا» قالت : رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة »[١] فاكتفى رسول الله ﷺ برفعها رأسها الى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه. قال ابو عمر رضي الله عنه: أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، وأما أهل البدع ، الجهمية، والمعتزلة كلها ، والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقربها مشبه ، وهم عند من أقربها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله . انتهى كلامه .

وكذا علي الأشعريّ فانـــه ... في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقـــالة ... ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو ... ق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التـــقرير فانظر كتبه بعيان
والله ما قال المجسم مثل مـا ... قـــد قاله ذا العالم الرباني
فارموه ويحكمُ بما ترموا به ... هذا المجسم يا أولي العدوان
أو لا فقولوا إن ثَمَّ حزازة ... وتنفس الصعداء من حران
فسلوا الإله شفاء ذا الداء العضا ... ل مجانب الاسلامَ والايمان

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في حديث طويل في باب « تحريم الكلام في الصلاة » .

يعني ان الامام أبا الحسن الأشعري قد أوضح في كتبه كـ « الابانة » و « الموجز » و «مقالات الاسلاميين » ورسائله الى الثغر استواء الرب فوق عرشه ، وبرهن على ذلك ، وقرره بأحسن تقرير[1] ، وذلك في كتبه ، فانظرها إن شئت ، وقد تقدم بعض كلامه في ذلك .

قوله : والله ما قال المجسم مثل ما قد قاله ذا العالم الرباني ؛ أي : ما قال المنبوذ عندكم بالتجسيم مثل ما قد قال الأشعري .

قوله : فارموه ويحكم بما ترموا به هذا المجسم الخ ... أي : فشنعوا بمثل ما شنعتم به على اصحاب الحديث الذين هم عندكم مجسمة .

وقوله : بما ترموا به . الأصل : ترمون به ، ولكن حذف النون للوزن .

وقوله : تنفس الصعداء كالبرحاء : تنفس طويل ، قاله في « القاموس » .

وقوله : الداء العضال . قال في « القاموس » داء عضال ، كغراب ، يعني غالب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وانظر الى حرب وإجماع حكى ... لله درك من فتى كرمان

حرب : هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني ، صاحب الامام أحمد ، صاحب المسائل المعروفة التي نقلها عن أحمد ، واسحاق ، وغيرهما ، وذكر معها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكره ، وهو كتاب كبير ، صنفه على طريقة « الموطأ » ونحوه من المصنفات . قال في آخره في « الجامع » : باب : القول في المذهب ، هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق ، والحجاز ، والشام ، وغيرهم عليها ،

(١) في الاصل : بأحسن التقرير .

فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد ، واسحق بن ابراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الكلام في الايمان والقدر ، والوعيد ، والإمامة ، وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك .. الى أن قال : وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ، والله على عرشه عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره ، والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويعفو ، ويغفر ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . . الى أن قال : ولم يزل الله متكلماً ، عالماً ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وانظر الى قول ابن وهب أوحد الـعلماء مثل الشمس في الميزان

ابن وهب : هو الامام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب الامام مالك بن أنس ، ولم أقف على كلامه فأحكيه .

وانظر الى ما قال عبد الله في   تلك الرسالة مفصحاً ببيان
من أنه سبحانـه وبجمده   بالذات فوق العرش والأكوان

قال الامام أبو محمد ابن أبي زيد المغربي القيرواني ، شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب الامام مالك : وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وانه في كل مكان بعلمه . وذكر ابن أبي زيد أيضاً في كتاب « الفرد » في السنة تقرير العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير . وقال في « مختصر المدونة » : وانه تعالى فوق عرشه بذاته ، فوق سمواته دون أرضه .

وانظر الى ما قاله الكرخي في شرح لتصنيف امرىء رباني

وانظر الى الاصل الذي هو شرحه فهما الهدى للمدد حيران

لم أقف على شرح الكرخي ، ولا أصله فأسوقه .

وانظر الى تفسير عبد ما الذي فيه من الآثار في ذا الشان

وانظر الى تفسير ذاك الفاضل الثبت الرضى المتضلع الرباني

ذاك الامام ابن الامام وشيخه وأبوه سفيان فرازيّان[1]

يريد التفسير المشهور تأليف الامام الحافظ الثبت أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم ، محمد بن ادريس الرازي رحمهما الله تعالى ؛ وتفسيره المذكور في أربع مجلدات ، والبيت الثاني فيه قلق ، ولم يظهر المراد منه

قوله : وشيخه وأبوه سفيان ، أما أبوه فهو الحافظ أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي . وأما قوله : وأبوه سفيان فلا نعلم ما المراد به . وفي بعض النسخ ، فانظر ذان ، وفي بعضها فرا زيّان .

وانظر الى النسائي في تفسيره هو عندنا سفر جليل معان

---

(١) في الاصل : فانظر ذان .

النسائي : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب « السنن »

واقرأ كتاب العرش للعبسي وهـو محمد المولود من عثمان

قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن ابي شيبة العبسي ، محدث الكوفة في وقته ، قال في كتاب « العرش » : وذكروا أن الجهمية يقولون : ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، وأنكروا العرش ، وأن يكون الله فوقه ، وقالوا : إنه في كل مكان ، ففسرت العلماء (وهو معكم) الحديد : ٤ يعني علمه ، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه ، فهو فوق العرش ، متخلصاً من خلقه ، بائناً منهم انتهى كلامه .

واقرأ لمسند عمه ومصنف أتراهما نجمين بل شمسان

واقرأ كتاب الاستقامة للرضى ذاك ابن أصرم حافظ رباني

واقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضى في السنة العليا فتى الشيباني

ذاك ابن أحمد أوحد الحفاظ قد شهدت له الحفاظ بالاتقان

هو الامام الحافظ الثقة عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وكتابه المشهور في « السنة » نحو مجلد

واقرأ كتاب الاثرم العدل الرضى في السنة الأولى امام زمان

هو ابو بكر أحمد بن محمد بن هانىء ابو بكر الأثرم .

وكذا الامام ابن الامام المرتضى حقاً ابي داود ذي العرفان

تصنيفه نثراً ونظماً واضحاً　　في السنة المثلى هما نجمان

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أحمد بن عبد الحميد ، أنبانا أبو محمد بن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة ، أخبرتنا فاطمة بنت علي ، أنبأنا علي بن بيان ، أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري أنبأنا ابو حفص ابن شاهين. قال : شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة وجعلها محنة .

تمسك بحبل الله واتبع الهدى　　ولا تك بدعيا لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي　　أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وقل غير مخلوق كلام مليكنا　　بذلك دان الاتقياء وأفصحوا

ولا تقل القرآن خلق قراءة　　فان كلام الله باللفظ يوضح

وقل يتجلى الله للخلق جهرة　　كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولود وليس بوالد　　وليس له شبه تعالى المسبح

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا　　بمصداق ما قلنا حديث مصرح

رواه جرير عن مقال محمد　　فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

وقل ينزل الجبار في كل ليلة　　بلا كيف جل الواحد المتمدّح

الى طبق الدنيا يمن بفضله　　فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول ألا مستغفر يلق غافراً　　ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم　　ألا خاب قوم كذبوهم وقبّحوا

وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدما ثم عثمان الارجح

ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير ممنح

وإنهمُ والرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح

وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعاناً تعيب وتجرح

فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي في الصحابة تمدح

وبالقدر المقدور أيقن فانه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح

ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح

وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من النار أجساداً من الفحم تطرح

على النهر في الفردوس[1] تحيى بمائه ... كحبة حمل السيل إذجاء يطفح

وإن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حق موضح

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... وكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح

ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ... ألا انما المرجيّ بالدين يمزح

وقل إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مصرح

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ... بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

(١) في الاصل : في الفردود.

ودع عنك آراء الرجال وقولهم   فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تك من قوم تلهوا[1] بدينهم   فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه   فأنت على خير تبيت وتصبح

هذه القصيده متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري ، قلت : وقد شرحها أيضاً أبو علي ابن البنا الحنبلي ، وصنف لها شرحاً ، وابو عبد الله ابن بطة في « الابانة » قال ابن ابي داود ، هذا قول أبي ، وقول شيوخنا ، وقول العلماء ممن لم نرهم ، كما بلغنا عنهم ، فمن قال غير ذلك فقد كذب . كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ، ما هو بدون أبيه ، صنف التصانيف ، انتهت اليه رئاسة الحنابلة ببغداد توفي سنة ٣١٦ . انتهى كلام الذهبي .

واقرأ كتاب السنة الأولى الذي   أرواه مضطلع من الإيمان
ذاك النبيل ابن النبيل كتـــابه   أيضا نبيل واضح البرهان

قال الحافظ الامام قاضي أصبهان ، وصاحب التصانيف ، أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا كتاب « السنة الكبير » الذي فيه الأبواب من الاخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم ، فنحن نؤمن بها لصحتها ، وعدالة ناقليها ، ويجب التسليم لها على ظاهرها ، وترك تكلف الكلام في كيفيتها ، فذكر من ذلك النزول الى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، سمعت عاتكة بنت أبي بكر هذا الكلام من أبيها ، وكانت فقيهه عالمـــة ، وكان أبوها شيخ الظاهرية بأصبهان ، كما أن شيخهم بالعراق داود بن علي . روى عن أصحاب شعبة ، وحماد بن سلمة ، ووقع لنا جملة من تصانيفه ، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين (٢٨٧) ، لم يلحق

(١) اي جعلوا دينهم لهواً.

جده أبا عاصم النبيل ، ولحق جده لأمه موسى بن اسماعيل التبوذكي .

وانظر الى قول ابن أسباط الرضى وانظر الى قول الرضى سفيان

أي سفيان بن عيينه . قال أحمد بن ابراهيم الدورقي : حدثني أحمد بن نصر قال : سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة ، فجعلت ألح عليه في المسألة فقال : دعني أتنفس ، فقلت : كيف حديث عبد الله عن النبي ﷺ « ان الله يحمل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع »[١] وحديث « إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٢] وحديث « إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الاسواق » فقال سفيان : هي كما جاءت ، نقر بها ، ونحدث بها بلا كيف .

وانظر الى قول ابن زيد ذاك حمّـــاد وحماد الامام الثاني

حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو اسمعيل البصري مولى آل جرير بن حازم ، وكان جده درهم من سبي سجستان . روى عن أنس ابن سيرين ، وثابت البناني ، وحميد الطويل ، وأبي حازم مسلمة بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، وهشام بن عروة ، ويحي بن سعيد الانصاري ، وهؤلاء كلهم تابعيون في جماعة آخرين . وعنه الاسود بن عامر شاذان ، وسعيد بن منصور ، وسفيان الثوري ، وهو أكبر منه ، وسفيان بن عيينة ، وهو من أقرانه ، وعبد الله بن المبارك ،

---

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن» . ورواه احمد في « مسنده » أيضاً .

وعبدالله بن وهب ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعلي بن المديني ، ووكيع والهيثم بن سهل التستري ، وهو آخر من روى عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري في الكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشــام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقـال : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد . وقال مرة : مارأيت بالبصرة أفقه منه . وقال أحمد بن حنبل : حماد بن زيد أحب الينا من عبد الوارث ، حماد بن زيد من أئمة المسلمين من اهل الدين والاسلام ، وهو أحب الي من حماد بن سلمة . وقــال أحمد بن سعيد الدارمي : سمعت أبا عاصم يقول : مات حماد بن زيد يوم مات ، ولا أعلم له في الاسلام نظيراً فيما أظنه . قال : وسمعته وكان عبد الله بن المبارك ينشد

ايها الطالب علمـــاً	إئت حماد بن زيد
فخذ العلم بحـــلم	ثم قيده بقيـــد
لا كثور وكجهم	وكعمرو بن عبيد

مات سنة تسع وستين ومائة[1] ، قاله جماعة ، منهم عارم ، والفلاس. زاد عارم : يوم الجمعة لعشر ليال خلون من رمضان . روى له الأئمة الستة . قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي الحافظ في كتاب «الرد على الجهمية» ثنا أبي ، ثنا سليمان بن حرب ، سمعت حماد بن زيد يقول : إنما يدورون على أن يقولوا : ليس في السماء اله ، يعني الجهمية .

قوله : وحماد الامام الثاني ، وهو حماد بن سلمة بن دينار الامام العالم أبو ســلمة البصري ، عن أبي عمران الجوني ، وثابت ، وابن مليك ،

(١) في « تهذيب التهذيب » مات سنة (١٧٩) .

وعبدالله بن كثير ، وخلق . وعنه مالك، وشعبة ، وسفيان، وابن مهدي، وعارم ، وعفان ، وأمم . وكان ثقة ، له أوهام . قال أحمد : هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل ، وأثبتهم فيه . وقال ابن معين : هو أعلم الناس بثابت . وقال آخر : إذا رأيت الرجـــل يقع في حماد فاتهمه على الاسلام . قال علي بن المديني : كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث . وقال ابن المبارك : مارأيت أحداً كان أشبه بمالك الأول من حماد بن زيد . وروى الكوسج عن ابن معين : ثقة . وقال آخر: كان من الابدال ، وعلامة الابدال أن لا يولد لهم ، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له قال أبو عمرو الجرمي : مارأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد ابن سلمة . وقال عفان : رأيت من هـــو أعبد من حماد ، لكن مارأيت أشد مواظبة على الخير ، وقراءة القرآن ، والعمل لله منه ، ولو قلت : انني ما رأيته ضاحكاً قط صدقت ، كان مشغولاً بنفسه ، إما يقرأ ، أو يسبح ، أو يحدث ، أو يصلي . وقال ابن مهدي : لو قيل لحماد : إنك تموت غداً ماقـــدر أن يزيد في عمله شيئاً . وقال يونس المؤدب : مات حماد في المسجد ، وهو يصلي . وقال ابن حبان : لم ينصف من جانب حديث حماد، واحتج بأبي بكر ابن عياش ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن دينار ، وكان خزازاً ، من العباد المجابي الدعوة . وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا . وقال عفان : اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة ، فصرنا الى خالد بن الحارث ، فسألناه فقال : حماد أحسنها حديثاً ، وأثبتها لزوماً للسنة ، فرجعنا الى يحيى القطان فأخبرناه فقال : أقال لكم : وأحفظها ؟ قلنا : لا . وقال أحمد : ويحيى ثقة . وقال ابن المديني : من

سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه . وقال رجل لعفان : أحدثك عن حماد قال : من حماد ويلك ؟ قال : ابن سلمة . قال : ألا تقول: أمير المؤمنين ؟ مات حماد رحمه الله تعالى سنة ١٦٧ سبع وستين ومائة[١].انتهى ملخصاً من « الميزان » للذهبي رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى ... عثمان ذاك الدارمي الرباني

في نقضه والرد يا لهما كتا ... با سنة وهما لنا علمان

هدمت قواعد فرقة جهمية ... خرّت[٢] سقوفهم على الحيطان

أي : وانظر الى ما قاله الامام العلامة عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المسمى: «رد عثمان بن سيعد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» ، وكتاب « الرد على الجهمية » فانهما كتابان حافلان بنقض شبهات الجهمية ، وقمع أضاليلهم ، وقطع أباطيلهم ، فرحمه الله من إمام .

وانظر الى ما في صحيح محمد ... ذاك البخاريّ العظيم الشان

من رده ما قاله الجهمي بالنـ ... ـقل الصحيح الواضح البرهان

وانظر الى تلك التراجم ما الذي ... في ضمنها ان كنت ذا عرفان

وانظر الى ما قاله الطبري في الشـ ... ـرح الذي هو عندكم سفران

أعني الفقيه الشافعي اللا ... لكائي المسدد ناصر الايمان

أي : وانظر الى ما قاله أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري في كتاب « شرح اعتقاد أهل السنة » وهو مجلد ضخم . قال : الامام

(١) في الاصل : ١٦٩ ، والتصحيح من « الميزان » للذهبي .
(٢) في الاصل : فخرت .

الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الشافعي مصنف كتاب « شرح اعتقادأهل السنه» سياق ما روي في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وإن الله على عرشه . قال الله عز وجل (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ فدلت هذه الآيات أنه في السماء ، وعلمه بكل مكان . روي ذلك عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وام سلمة : ومن التابعين : ربيعة ، وسليمان التيمي ، ومقاتل بن حيان ، وبه قال مالك ، والثوري ، وأحمد .

وانظر الى ما قاله علم الهدى التميمي في إيضاحه وبيان
ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكل لسان

قال : الامام الحافظ ابو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني مصنف « الترغيب والترهيب » ، وقد سئل عن صفات الرب فقال : مذهب مالك ، والثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وحماد ابن سلمة ، وحماد بن زيد ، وأحمد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، واسحاق بن راهويه : أن صفات الله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من السمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ، وسائر أوصافه ، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها ، ولا تشبيه ، ولا تأويل . قال ابن عيينة : كل شيء وصف الله به نفسه ، فقراءته تفسيره ، ثم قال : أي : هو على ظاهره لايجوز صرفه الى المجاز بنوع من التأويل . وقال رحمه الله تعالى في كتاب « الحجة » : قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه . وقالت المعتزلة : وهو بذاته

في كل مكان . قال : وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان . قال : وزعم هؤلاء أن معني (الرحمن على العرش استوى) طه : ٢٥ أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه . قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه . قال : وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الاشارة الى الله بالرؤوس ، والأصابع الى فوق ، فان ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة ، لا علو الذات ، وعند المسلمين أن لله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ، لأن صفة العلو صفة مدح ، فثبت أن لله تعالى علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر ، والغلبة . وفي منعهم الاشارة الى الله من جهة الفوق ، خلاف (١) لسائر الملل ، لأن المسلمين وقع منهم الاجماع على الاشارة الى الله من جهة الفوق ، في الدعاء ، والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة . وقد أخبر عن فرعون أنه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦، ٣٧ فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه كان يثبت إلهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع اليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم بايمان الجارية حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي

(١) في الاصل : خلافاً .

يكفر من يقول ذلك . انتهى كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى. توفي سنة ٥٣٥

قال الناظم :

وانظر الى ما قالـــه في السنة الكبرى سليمان هو الطبراني

صنف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي نزيل أصبهان كتاب « السنة » قال فيه : باب ماجاء في استواء الله على عرشه ، بائن من خلقه ، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي . قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا ؟ وحديث عبد الله بن خليفة عن عمر في علو الرب على عرشه ، وحديث الأوعال[1] وأن العرش على ظهورهن ، وأن الله فوقه . وقول مجاهد في المقام المحمود توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ ستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله شيخ الهدى يدعى بطلمنكيهم ذو شان

قال الحافظ الامام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبـــد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب « الوصول الى معرفة الاصول » وهو مجلدان : أجمع المسلمون من أهل السنة ، على أن معنى قوله تعالى :(وهو معكم أينما كنتم) الحديد : ٤ ونحو ذلك من القرآن ، أنه علمه ، وان الله تعالى فوق السموات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء . وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ، لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية : لايجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ، ويسمى بها المخلوق ، فنفوا عن الله الحقائق

---

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب» وابو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سنده عبد الله بن عميرة ، قال الحافظ الذهبي : فيه جهالة وفيه أيضاً (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب» ضعيف .

من أسمائه ، وأثبتوها لخلقه ، فاذا سئلوا : ما الذي حملهم على هذا الزيغ ؟ قالوا : الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه ، قلنا : هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها ، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يشتبه بالتسمية ، وانما تشتبه الأشياء بأنفسها ، أو بهيئات فيها ، كالبياض بالبياض ، والسواد بالسواد ، والطويل بالطويل ، والقصير بالقصير ، ولو كانت الأشياء توجب اشتباهاً ، لاشتبهت الأشياء كلها ، لعموم اسم الشيء لها ، وعموم تسمية الاشياء به ، فنسألهم : أتقولون : إن الله موجود ؟ فان قالوا : نعم . قيل لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين ، وان قالوا : موجود ، ولايوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا : فكذلك هو ، حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم . يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات .

كان الطلمنكي من كبار الحفاظ ، وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بضعاً وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وانظر الى قول الطحاوي الرضى وأجره من تحريف ذي بهتان

قال الامام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله « في العقيدة التي ألفها »[١] (في) ذكر بيان (عقيدة أهل) السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، رضي الله عنهم : نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ،

---

(١) وقد قمنا قريباً بطبعها مع شرحها طبعة جيدة محققة .

وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ، ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، والرؤية لأهل الجنة حق ، بغير احاطة ، ولا كيفية ، وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا يثبت قدم الاسلام الا على التسليم والاستسلام ، فمن رام ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه ، زل ، ولم يصب التنزيه . . الى ان قال : والعرش والكرسي حق ، كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش ، وما دونه محيط بكل شيء ، وفوقه . انتهى .

وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـــن الباقلاني قائد الفرسان

قد قال في تمهيده ورسائل والشرح ما فيه جلي بيـان

في بعضها حقاً على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

وأتى بتقرير العلو وأبطل الـــلام التي زيدت على القرآن

من أوجه شتى وذا في كتبه باد لمن كانت له عينان

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري في كتابه « التمهيد في أصول الدين » وهو من أشهر كتبه : فان قال قائل : فهل تقولون : إنه في كل مكان ؟ قيل : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر في كتابه . فقال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ ولو كان في كل مكان ، لكان في جوف الأنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش ، والمواضع القذرة التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم قـــال ،

تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤ المراد أنه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض ، كما يقال : فلان سيد مطاع في المصرين ؛ أي : عند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز ، وبالعراق موجودة .

وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل : ١٢٨ يعني بالحفظ والنصر والتأييد ، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى ، وقوله : (إنني معكما أسمع وأرى) طه : ٤٦ محمول على هذا التأويل .

وقوله : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ إنه عالم بهم ، وبما خفي من سرهم ونجواهم ، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلا يجوز أن يقال قياساً على هذا : إن الله بالقيروان ، ومدينة السلام ، ودمشق ، وإنه مع الثور ، والحمار ، وإنه مع الفساق ، ومع المصعدين الى حلوان ، قياساً على قوله : (إن الله مع الذين اتقوا) النحل : ١٢٨ فوجب التأويل على ما وصفنا ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً .

وقوله : (ثم استوى): يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه . وقال في كتاب « الذب عن أبي الحسن الأشعري » كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ، إذا صح من إثبات اليدين ، والوجه ، والعينين . ونقول : إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وإنه ينزل الى السماء الدنيا ، وإنه مستو على عرشه ... الى أن

قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة ، أن هـــذه الصفات تمر كما جاءت ، بغير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير ، كما روي عن الزهري، وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز هذا فقد تعدى ، وابتدع ، وضل .

قال الحافظ الذهبي : فهذا نفس هذا الامام ، وأين مثله في تبحره ، وذكائه وبصره بالملل والنحل ، فلقد امتلأ الوجـــود بقوم لايدرون ما السلف ، ولا يعرفون الا السلب ، ونفي الصفات وردها ، صم بـــكم غتم عجم ، يدعون الى العقل ، ولايكونون على النقل ، فانا لله وانا إليه راجعون .

مات القاضي أبو بكر رحمه الله في سنة ثلاث وأربعمائة وهو في عشر السبعين، وقد سارت بمصنفاته الركبان

وانظر الى قول ابن كلاّب وما يقضي بـــه لمعطل الرحمن

أُخرج من النقل الصحيح وعقله من قال قول الزور والبهتان

ليس الإله بداخل في خلقه أَو خارج من جملة الاكوان

قد تقدم نقل كلام ابن كلاب بما يغني عن الاعادة .

وانظر الى ما قاله الطبري في الـــتفسير والتهذيب قول معان

وانظر الى ما قاله في سورة الأعـــراف مع طه ومع سبحان

أي وانظر الى ما قاله الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطـــبري في « تفسيره » وفي « تهذيب الآثار » قال الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، أنبأ زين الأمناء الحسن بن محمد ، أنبأ أبو القاسم الأسدي ، أنبأنا أبو القاسم ابن أبي العلاء ، أنبأ عبد الرحمن ابن

أبي نصر ، أنبأ أبو سعيد الدينوري مستملي محمد بن جرير ، قال : قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته ، قال : وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر . انتهى . «تفسير ابن جرير» مشحون بأقوال السلف على الاثبات ، نقل في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ عن الربيع بن أنس (استوى) : بمعنى ارتفع ، ونقـــل في تفسير (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ في المواضع كلها ؛ أي: علا وارتفع . وقد روى قول مجاهد ، ثم قال : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره من الجهمية ونحوهم . وقال في كتاب « التبصير في معالم الدين » : القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً ، وذلك نحو اخباره عز وجل أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له وجهاً بقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن : ٢٧ وان له قدماً بقول النبي ﷺ « حتى يضع الرب فيها قدمه »[١] وأنه يضحك بقوله : « لقي الله وهو يضحك إليه »[٢] وأنه يهبط الى سماء الدنيا ، لخبر

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول : قط قط » ورواه أحمد ومسلم عن انس ايضاً بلفظ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها الى بعض وتقول: قط قط ».

(٢) روى البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ».

رسول الله ﷺ بذلك[١] وأن له أصبعاً بقول رسوله : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٢] فان هــذه المعاني التي وصفت ، ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ، مالا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية ، لانكفر بالجهل بها أحداً الا بعد انتهائها اليه . أخرج هذا الكلام لابن جرير القاضي أبو يعلى في كتاب « إبطال التأويل » له. وقال في قوله عز وجل : (وقـال فرعون ياهامان ابن لي صرحـاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا . توفي ابن جرير رحمه الله سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة .

وانظر الى ماقاله البغوي في ... تفسيره والشرح بالاحسان
في سورة الأعراف عند الاستوا ... فيها وفي الأولى من القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ قـال الكلبي

---

(١) أخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

(٢) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح ، وأقره الذهبي . وقال الحافظ العراقي : وسنده جيــد . ورواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك » .

ومقاتل : استقر . وقال ابو عبيدة : صعد . وأولت المعـــتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة ، فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، يجب الايمان به . وقال في قوله (ثم استوى إلى السماء) البقرة :٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع إلى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الأولى في هذه الآية وماشاكلها ، أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحـــدث ، على ذلك مضت السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ ؛ أي : من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم .

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعية، وهو الحسين بن مسعود ابن محمد أبو محمد البغوي صاحب «التفسير » و « شرح السنة » و «التهذيب » في الفقة و « الجمع بين الصحيحين » و « المصابيح » في الصحاح والحسان ، وغير ذلك . تفقه على القاضي حسين ، وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ، ورعاً ، زاهداً ، عابداً صالحاً . توفي في شوال سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة . وقيل : سنة عشر .

وانظر الى ما قاله ذو سنة وقراءة ذاك الامام الداني

قال الحافظ امام القراء أبو عمرو ، عثمان بن سعيد[١] الداني صاحب «التيسير» في أرجوزته التي في عقود الديانة .

كلم موسى عبده تكليما ولم يزل مدبراً حكيما

كلامه وقوله قديم وهو فوق عرشـــه عظيم

---

(١) في الاصل : سعد ، وهو خطأ .

والقول في كتابه المفصل بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق ليس بمخلوق ولا بخالق

توفي الداني رحمه الله في شوال سنة ٤٤٤ أربع واربعين وأربعمائة ، بـ « دانية » من الاندلس ، ومشى السلطان أمام نعشه .

وكذاك سنة الاصبهاني أبي الشيخ الرضى المستل من حيان

قال محدث أصبهان - مع الطبراني - أبو محمد ابن حيان رحمه الله في كتاب « العظمة » له : ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه ، وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه ، ثم ساق جملة من الاحاديث في ذلك. أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، صاحب المصنفات السائرة ، ويعرف بأبي الشيخ . ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع في سنة أربع وثمانين وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ، ولقي الكبار ، وسمع من جده لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، وابراهيم بن سعدان ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمداني ، رئيس أصبهان ، وأبي بكر ابن أبي عاصم ، وأبي يعلى الموصلي ، وأبي عروبة الحراني ، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه ، صالحاً ، خيراً ، قانتاً لله ، صدوقاً ، حدث عنه أبو بكر ، أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي ، وأبو بكر ابن مردويه ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو نعيم ، والفضل بن محمد القاشاني ، وأبو طاهر بن عبدالرحيم الكاتب ، وخلق كثير . قال ابن مردويه : ثقة مأمون ، صنف « التفسير » ، والكتب الكثيرة في الأحكام ، وغير ذلك . وقال أبو بكر الخطيب : كان حافظاً ، ثبتاً ، متقناً . وروي عن بعض العلماء قال : ما دخلت على الطبراني إلا وهو يمزح أو يضحك ، وما دخلت على أبي الشيخ إلا وهو يصلي . قال أبو نعيم :

كان أحد الاعلام صنف «الأحكام» و«التفسير» ، وكان يفيد عن الشيوخ ، ويصنف لهم ستين سنة ، وكان ثقة . قال الذهبي : وله كتاب « السنة » وكتاب « فضائل الأعمال » و « السنة الكبير » وكان إماماً في الحديث ، رفيع الاسناد . توفي سنة ٣٦٩ تسع وستين وثلاثمائة وهو في عشر المائة .

وانظر ما قاله ابن سريج ذاك البحر الخضم الشافعي الثاني

سريج : بضم السين وفتح الراء وبعدها ياء ثم جيم ، وهو أبو العباس ، أحمد بن عمر بن سريج ، فقيه العراق . قال أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني : سألت أيدك الله بيان ماصح لدي من مذهب السلف ، وصالحي الخلف في الصفات ، فاستخرت الله تعالى ، وأجبت بجواب الفقيه أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله ، وقد سئل عن هذا ، ذكره أبو سعيد عبد الواحد بن محمد الفقيه ، قال: سمعت بعض شيوخنا يقول : سئل ابن سريج رحمه الله عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ، وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا هذا ، أن جميع الآي ، والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ ، يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منه كما ورد ، وأن السؤال عن معانيها بدعة ، والجواب كفر وزندقة ، مثل قوله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ ونظائرها مما نطق به القرآن ، كالفوقية ، والنفس ، واليدين ، والسمع ، والبصر ، وصعود الكلم اليه ، والضحك ، والتعجب ، والنزول .. الى أن قال : اعتقادنا فيه وفي

الآي المتشابه في القرآن ، أن نقبلها ، ولا نردها ، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها .

كان ابن سريج اليه المنتهى في معرفة المذهب ؛ بحيث أنه كان (يفضل) على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني . قال الامام أبو اسحاق صاحب « التنبيه » سمعت أبا الحسن الشيرجي يقول : إن فهرست كتب أبي العباس تشتمل على أربعمائة مصنف ، وكان العلامة أبو حامد الاسفرايبني يقول : نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقاق . توفي سنة ٣٠٦ ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى ... أعني أبا الخير الرضى النعمان

وكتابه في الفقه وهو بيانه ... يبدي مكانته من الايمان

قال الناظم في « الجيوش الاسلامية »[1] له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث ، صرح فيه في مسألة الفوقية ، والعلو ، والاستواء حقيقة ، وتكلم الله عز وجل بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة ، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله سبحانه حقيقة ، وصرح فيه باثبات الصفات الخبرية ، واحتج لذلك ونصره ، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة .

وانظر الى السنن التي قد صنف العلماء بالآثار والقرآن

زادت على المائتين منها مفرد ... أوفى من الخمسين في الحسبان

---

(١) هو كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية في غزو المعطلة والجهمية » للناظم ابن القيم رحمه الله تعالى .

منها لأُحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان

واللائي في ضمن التصانيف التي شهرت فلم تحتج الى حسبان

فكثيرة جداً فمن يك راغباً فيها يجد فيها هدى الحيوان

أصحابها هم حافظو الاسلام لا أصحاب جهم حافظو الكفران

وهم النجوم لكل عبد سائر يبغي الإله وجنة الحيوان

وسواهم والله قطاع الطريـــق أئمة تدعو الى النيران

مافي الذين حكيت عنهم آنفاً من حنبلي واحد بضمان

بل كلهم والله شيعة أحمد فأصوله وأصولهم سيان

أقول : في كلامه نظر ، فان عبـــد الله ابن أبي داود ، والأثرم ، والخلال ، وعبدالله ابن الامام أحمد ، وحرب الكرماني ، كلهم معدودون من الحنابلة ، والأصحاب يذكرونهم في «طبقات الحنابلة» وهو رحمه الله قد حكى كلام المذكورين . وهؤلاء وان لم يكونوا متبعين للامام أحمد على سبيل التقليد الصرف ، فهم يعدون في الحنابلة ، والله أعلم .

قوله :

منها لأحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان

منها رسالته الى مسدد بن مسرهد وغيرها ، وهي مذكورة في « مناقب الامام أحمد » لابن الجوزي .

وبذاك في كتب لهم قد صرحوا وأخو العماية ماله عينان

أتظنهم لفظيـــة جهليـــة مثل الحمير تقـاد بالارسان

حاشوهمُ من ذاك بل والله هم أهل العقول وصحة الاذهان

فانظر الى تقريرهم لعلوه بـالنقل والمعقول والبرهان

عقلان عقل بالنصوص مؤيد ومؤيد بالمنطق اليونان

والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

أفتقذفون أولاء بل أضعافِهم من سادة العلماء كل زمان

بالجهل والتشبيه والتجسيم والـــتبديع والتضليل والبهتان

ياقومنا الله في إسلامكم لا تفسدوه بنخوة الشيطان

ياقومنا اعتبروا بمصرع من خلا من قبلكم في هذه الأزمان

لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم وقتالهم بالزور والبهتان

كلا ولا التدليس والتلبيس عــند الناس والحكام والسلطان

وبدالهم عند انكشاف غطائهم مالم يكن للقوم في حسبان

وبدالهم عند انكشاف حقائق الـــ ايمـــان أنهم على البطلان

ما عندهم والله غير شكاية فأتوا بعلم وانطقوا ببيـان

مايشتكي الا الذي هو عاجز فاشكوا لنعذركم الى القرآن

ثم اسمعوا ماذا الذي يقضى لكم وعليكمُ فالحق في الفرقان

لبّستم معنى النصوص وقولنا فغدا لكم للحق تلبيسان

من حرّف النص الصريح فكيف لا يأتي بتحريف على الانسان

ياقوم والله العظيم أساتمُ بأئمة الاسلام ظن الشان

ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما قالوا كذاك منزل الفرقان

ما الذنب الا للنصوص لديكم إذ جسمت بل شبهت صنفان

ما ذنب من قد قال مانطقت به من غير تحريف ولا عدوان

هذا كما قال الخبيث لصحبه كلب الروافض أخبث الحيوان

لما أفاضوا في حديث الرفض عند القبر لاتخشون من إنسان

ياقوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب القبر الذي تريان

كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا يثني عليه ثناء ذي شكران

ويقول في مرض الوفاة يؤمكم عني أبو بكر بلا روغان

ويظل يمنع من إمامة غيره حتى يرى في صورة الغضبان

ويقول لو كنت الخليل لواحد في الناس كان هو الخليل الداني

لكنه الأخ والرفيق وصاحبي وله علينا منة الاحسان

ويقول للصديق يوم الغار لا تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان

الله ثالثنا وتلك فضيلة ما حازها إلا فتى عثمان

يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا ... لم يدهكم الا كبير الشان
فتفرقت تلك الروافض كلهم ... قد أُطبقت أسنانه الشفتان
وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم ... فهما رضيعا كفرهم بلبان
ثوبان قد نسجا على المنوال يا ... عريان لا تلبس فما ثوبان
والله شـــر منهما فهما على ... أهل الضلالة والشقا علمان

أقول : لم أقف على تعيين هذا الرافضي الذي قال هذا القول ، والمعنى أن هذا الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم ﷺ : ياقوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب هذا القبر ، لأنه كم قدم ابن أبي قحافة ، يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويثني عليه ، ويقول في مرض موته : يؤمكم أبو بكر ، ويمنع من إمامة عمر رضي الله عنه ، ويقول : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض »خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا[١] ويقول للصديق يوم الغار « لاتحزن إن الله معنا »[٢] وتلك فضيلة ماحازها إلا فتى عثمان ، يعني أبا بكر رضي الله عنه ، فانه عبد الله بن عثمان ، فيقول ذلك الرافضي لأصحابه : ماذنب النواصب بعد هذا ؛ أي : فان الرسول ﷺ هو الذي قدم أبا بكر ، فلا لوم على النواصب .

قوله : النواصب . قال في « القاموس » : النواصب ، والناصبة وأهل النصب : المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له ، أي : عادوه

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « لو كنت متخذاً من أهل الارض خليلا ، لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله ».

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » في باب : مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر . وجاء في « الصحيحين » و « مسند أحمد » أن أبا بكر قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار : لو أن أحدكم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : « ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

قولـــه :

وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم فهما رضيعا كفرهم بلبان

رضع أمه كسمع وضرب رضعاً، ويحرك، ورضاعاً ورضاعة، ويكسران، ورضعاً، ككتف : امتص ثديها، قاله في «القاموس» واللبان بكسر اللام. قال الأعلم : هو للآدميين . واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع . قال ابن السكيت : يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه ، انمـــا اللبن الذي يشرب . انتهى ؛ أي : فعلى زعم الجهمي لا ذنب للمجسمة ، اذ قالوا بالنصوص الدالة على الاستواء ، والنزول ، والمجيء والصفات ، كالوجه ، واليدين ، والقدرة ، والارادة ، والرضى ، والسخط والحب وغيرها مما تقدم .

قوله : أبو قحافة ، قال في «القاموس» : (وسيل) قحاف كغراب : (جراف[1]) . وبنو قحافة : بطن من خثعم ، وأبو قحافة : عثمان بن عامر ؛ صحابي ، والد الصديق رضي الله عنهما .

فصل

هذا وسابع عشرها أخباره سبحانه في محكم القرآن

عن عبده موسى الكليم وحربه فرعون ذي التكذيب والطغيان

تكذيبه موسى الكليم بقوله الله ربي في السما نبـــاني

(١) أي جارف .

ومن المصائب قولهم إن اعتقا ... د الفوق من فرعون ذي الكفران

فاذا اعتقدتم ذا فأشياع له ... أنتم وذا من أعظم البهتان

فاسمع اذاً من ذا الذي أولى بفر ... عون المعطل جاحد الرحمن

وانظر الى ماجاء في القصص التي ... تحكي مقال امامهم ببيان

والله قد جعل الضلالة قدوة ... بأئمة تدعو الى النيران

فامام كل معطل في نفيه ... فرعون مع نمرود مع هامان

طلب الصعود الى السماء مكذباً ... موسى ورام الصرح بالبنيان

بل قال موسى كاذب في زعمه ... فوق السماء الرب ذو السلطان

فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني ... أرقى اليه بحيلة الانسان

وأظن موسى كاذباً في قوله ... الله فوق العرش ذو سلطان

وكذاك كذبه بأن إلهه ... ناداه بالتكليم دون عيان

هو أنكر التكليم والفوقية الـ ... ـعليا كقول الجهم ذي صفوان

فمن الذي أولى بفرعون اذاً ... منا ومنكم بعد ذا التبيان

هذا هو الدليل السابع عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو أنه سبحانه أخبر عن عبده موسى الكليم ، وعدوه فرعون ، أن فرعون اللعين كذب موسى في قوله : ربي في السماء ، وأنه بنى الصرح ، ورام الصعود الى السماء ، وقال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب

السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ في قوله : إن الله في السماء . وقد قال ابو الحسن الاشعري في « الابانة » لما ذكر بعض الآيات الدالة على علو الله تعالى على عرشه ، قال : وقال تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات . انتهى كلامه .

قوله : ومن المصائب قولهم : إن اعتقاد الفوق من فرعون ذي الكفران الخ ... أي : من المصائب قول النفاة : إن اعتقاد العلو هو مذهب فرعون ، فاذا اعتقدتموه فأنتم أشياع له ، وعلى مذهبه ، كما قال بعضهم في تفسير قوله : (وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٧ فيما يقول من أن له رباً في السماء ، وما قال موسى له ذلك قط ، ولكنه لما قال له : (وما رب العالمين) الشعراء : ٢٣ قال موسى (رب السموات والأرض) الشعراء : ٢٤ ظن باعتقاده الباطل أنه لما لم ير في الأرض ، أنه في السماء ، فرام الصعود الى السماء لرؤية إله موسى . انتهى .

ثم بين الناظم وجه أولويتهم بفرعون ، وأن مذهبه جحد العلو ، فانه طلب الصعود الى السماء مكذباً لموسى ، ورام بناء الصرح ، وقال : أظن موسى كاذباً في زعمه : إن الله فوق السماء ، وكذلك كذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : إن الله تعالى ناداه وكلمه ، فكان مذهبه إنكار التكليم والفوقيه ، كقول جهم وأتباعه ، فقد تبين الآن من هو أولى بفرعون ، وان المعطلة أولى به في كل حالة ، والله اعلم .

قال الناظم :

ياقوم والله العظيم لقولنا ... ألف تدل عليه بل ألفان

عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الـ ... أولى وذوق حلاوة الايمان

كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباين الأكوان

أترون أنا تاركو ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

ياقوم ما أنتم على شيء الى ... أن ترجعوا للوحي بالاذعان

وتحكموه في الجليل ودقه ... تحكيم تسليم مع الرضوان

قد أقسم الله العظيم بنفسه ... قسماً يبين حقيقة الايمان

أن ليس يؤمن من يكون محكماً ... غير الرسول الواضح البرهان

بل ليس يؤمن غير من قد حكم الـ ... وحيين حسب فذاك ذو ايمان

هذا وما ذاك المحكم مؤمناً ... إن كان ذا حرج وضيق بطان

هذا وليس بمؤمن حتى يسـ ... ـلم للذي يقضي به الوحيان

ياقوم بالله العظيم نشدتكم ... وبحرمة الايمان والقرآن

هل حدثتكم قط أنفسكم بذا ... فسلوا نفوسكم عن الايمان

لكن رب العالمين وجنده ... ورسوله المبعوث بالقرآن

هم يشهدون بأنكم أعداء من ... ذا شأنه ابداً بكل زمان

ولأي شيء كان أحمد خصمكم ... أعني ابن حنبل الرضى الشيباني

ولأي شيء كان بعد خصومكم　　أهل الحديث وعسكر القرآن

ولأي شيء كان أيضاً خصمكم　　شيخ الوجود العالم الحراني

أعني أبا العباس ناصر سنة الـ　　ـمختار قامع سنة الشيطان

والله لم يك ذنبه شيئاً سوى　　تجريـده لحقيقة الايمان

إذ جرد التوحيد عن شرك كذا　　تجريده للوحي عن بهتان

فتجرد المقصود عن قصد له　　فلذاك لم ينضف الى انسان

ما منهمُ أحد دعا لمقالة　　غير الحديث ومقتضي الفرقان

فالقوم لم يدعوا الى غير الهدى　　ودعوتم أنتم لرأي فلان

شتان بين الدعوتين فحسبكم　　يا قوم ما بكمُ من الخذلان

قالوا لنا لما دعوناهم الى　　هذا مقالة ذي هوى ملآن

ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة الـ　　ـعلماء بل عبرتهم العينان

وتركتمُ أقوالهم هدراً وما　　أصغت اليها منكم أذنان

لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم　　نعد الذي قالوه قدر بنان

ياقوم والله العظيم كذبتمُ　　وأتيتمُ بالزور والبهتان

ونسبتم العلماء للأمر الذي　　هم منه أهل براءة وأمان

والله ما أوصوكم أن تتركوا　　قول الرسول لقولهم بلسان

كلا ولا في كتبهم هذا بلا بالعكس أوصوكم بلا كتمان

إذ قد أحاط العلم منهم أنهم ليسوا بمعصومين بالبرهان

كلا وما منهم أحاط بكل ما قد قاله المبعوث بالقرآن

فلذاك أوصوكم بأن لاتجعلوا أقوالهم كالنص في الميزان

لكن زنوها بالنصوص فان توا فقها فتلك صحيحة الأوزان

لكنكم قدمتم أقوالهم أبداً على النص العظيم الشان

والله لا لوصية العلماء نفـــــــذتم ولا لوصية الرحمن

وركبتم الجهلين ثم تركتم النــــصين مع ظلم ومع عدوان

قلنا لكم فتعلّموا قلتم أمــا نحن الأئمة فاضلو الأزمان

من أين والعلماء أنتم فاستحوا أين النجوم من الثرى التحتاني

لم يشبه العلمــاء الا أنتم أشبهتم العلماء في الأذقان

والله لا عــلم ولا دين ولا عقل ولا بمروءة الانسان

عاملتم العلمــاء حين دعوكمُ للحق بل بالبغي والعدوان

إن أنتم الا الذباب اذا رأى طعماً فيالمســاقط الذبان

واذا رأى فزعاً تطاير قلبه مثل البغاث يساق بالعقبان

وإذا دعوناكم الى البرهان كا ن جوابكم جهلاً بلا برهان

نحن المقلدة الألى ألفوا كذا آباءهم في سالف الأزمان

قلنافكيف تكفّرون ومالكم علم بتكفير ولا ايمان

اذأجمع العلماء أن مقلداً للناس كالأعمى هما أخوان

والعلم معرفة الهدى بدليله ماذاك والتقليد مستويان

حرنا بكم والله لا أنتم مع الـعلماء تنقادون للبرهان

كلا ولا متعلمون فمن ترى تدعوه نحسبكم من الثيران

لكنها والله أنفع منكم للارض في حرث وفي دوران

نالت بهم خيراً ونالت منكم الـمعهود من بغي ومن عدوان

فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان؟

شرع الناظم رحمه الله في ذكر الأدلة الدالة على ثبوت العلو إجمالاً ، فقال : ياقوم والله العظيم لقولنا الخ . . أي أن الدلائل الدالة على علوه تعالى على خلقه ، ومباينته لهم ، من المعقول والمنقول والفطرة ، ألف دليل ، بل ألفا دليل ، وذلك ظاهر بحمدالله لمن تتبعه . ثم شرع في بيان وجوب تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل ، والتسليم له ، والرضى بحكمه ، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيم شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ قال الناظم رحمه الله في تفسيرهذه الآية : أقسم سبحانه بأجل مقسم به ، وهو نفسه عز وجل ، على أنه لا يثبت لهم الايمان ، ولايكونون من أهله حتى يحكموا رسوله

ﷺ في جميع موارد النزاع ، في جميع أبواب الدين ، فان لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لايجدون في أنفسهم حرجاً ، وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ، ويقابلونه بالقبول ، لا يأخذونه عن اغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للايمان ، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح ، ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله ، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار ومادونها ، بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، فسبحان الله ، كم من حزازة في نفوس كثير من النصوص ، وبودهم أن لوترد، وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم من موردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم اليه قوله : (ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعاً ورضى وتسليماً ، لاقهراً ومصابرة ، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهاً ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء اليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه . انتهى

قوله : ولأي شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود الخ . يعني شيخ الاسلام أبا العباس ابن تيمية رحمه الله ، ثم أقسم أنــــه لا ذنب له سوى تجريده لحقيقة الايمان .

قوله : إذ جرد التوحيد عن شرك الخ ؛ أي : أنه رحمــــه الله جرد التوحيد عن الشرك ، وجرد الوحي عن البهتان والكذب ، وكذلك سائر العلماء الربانيين لم يدعوا إلى اتباع غير الهدى ، وأما أنتم فدعوتم الى الآراء

المتناقضة ، والأقوال المتهافتة ، وهي أقوال الرجال التي ماأنزل الله بها من سلطان .

قوله : ونسبتم العلماء الأمر الذي الخ . أي : أن العلماء رحمهم الله ، كالأئمة الأربعة وغيرهم ، أوصوكم باتباع الكتاب والسنة ، وترك أقوالهم إذا خالفت كتاب الله وسنة رسوله ، كما قال الشافعي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وروى البيهقي في « السنن » عن الشافعي أنه قال : إذا قلت قولاً وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي ، فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى ، فلا تقلدوني .

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ماقلت . وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط .

وقال مالك : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ .

وقال أبو حنيفة : اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ ، فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة ، فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال .

وفي « روضة العلماء » سئل أبو حنيفة : اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لكتاب الله . قيل : اذا كان قول رسول الله يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول الله ﷺ . قيل : اذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة .

وقال ابو طالب عن الامام احمد . وقيل له : إن قوماً يدعون الحديث

ويذهبون الى رأي سفيان ، فقال : أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته ، يدعونه ويذهبون الى رأي سفيان وغيره . قال الله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الكفر . قال الله تعالى : (والفتنة أكبر من القتل) البقرة : ٢١٧ فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتغلبهم أهواؤهم الى الرأي . ذكر ذلك شيخ الاسلام .

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ، والثوري ، والاوزاعي ، ولكن تعلموا كما تعلمنا .

قوله : اذ أجمع العلماء أن مقلدا الخ . قد نقل هذا الاجماع الحافظ أبو عمر بن عبد البر .

قوله : مثل البغاث . قال الفراء : بغاث الطير ، بفتح الباء وضمها وكسرها : شرارها ومالا يصيد منها ، ثم قيل : هو جمع بغاثة ، وهي اسم للذكر والانثى ، مثل نعامة ، ونعام . وقيل : هو فرد ، وجمعه : بغثان ، كغزال ، وغزلان ، قاله في « مختار الصحاح » . والعقبان ، جمع عقاب بضم العين : طائر معروف .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه ... سبحانه عن موجب النقصان

وعن العيوب وموجب التمثيل والـ ... ـتشبيه جل الله ذو السلطان

ولذاك نزه نفسه سبحانه عن أن يكون له شريك ثان

أو أن يكون له ظهير في الورى سبحانه عن إفك ذي بهتان

أو أن يوالي خلقه سبحانه من حاجة أو ذلة وهوان

أو أن يكون لديه أصلا شافع الا باذن الواحد المنان

وكذاك نزه نفسه عن والد وكذاك عن ولدهما نسبان

وكذاك نزه نفسه عن زوجة وكذاك عن كفء يكون مدان

ولقد أتى التنزيه عما لم يقل كي لا يدور بخاطر الانسان

فانظر الى التنزيه عن طعم ولم ينسب اليه قط من انسان

وكذلك التنزيه عن موت وعن نوم وعن سنة وعن غشيان

وكذلك التنزيه عن نسيانه والرب لم ينسب الى نسيان

وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الـ أفعال عن عبث وعن بطلان

وكذلك التنزيه عن تعب وعن عجز ينافي قدرة الرحمن

هذا هو الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو أنه سبحانه نزه نفسه عن موجب النقصان ، وعما يوجب التمثيل والتشبيه ، ونزه سبحانه نفسه عن الشركة ، وعن أن يكون له ظهير في الورى ، أو أن يشفع عنده أحد الا باذنه ، أو ان يوالي خلقه من حاجة أو ذلة ، وكذا نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد ، والزوجة ، والكفء ، وكذا نزه

نفسه سبحانه عما لم يقل ، أي : نزه نفسه سبحانه عن اشياء لم يقلها أحد فيه تعالى ، كالطعم، والموت ،والنوم ، والسنة ، والغشيان ، والنسيان ، والظلم والتعب ، والعجز ، فاذا كان سبحانه قد نزه نفسه عما يوجب النقص مما قيل وما لم يقل ، ومعلوم أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ، قد طبقت شرق البلاد وغربها ، فلأي شيء لم ينزه نفسه سبحانه عنها في القرآن؟! وكذا لم ينزه الرسول ربه سبحانه عنها في السنة ، بل دائماً يبدي سبحانه في القرآن اثباتها بأنواع الادلة ، وكذا رسوله ﷺ ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة ، كعبادة الأوثان ، أو كقول المثلثة عباد الصليب ، وهم النصارى ، فلأي شيء لم يحذر الله تعالى خلقه عنها ، وينزه نفسه عنها كما نزه نفسه عما يوجب النقص او التشبيه والتمثيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد حكى الرحمن قولاً قاله فنحاص ذو البهتان والكفران
إن الإله هو الفقير ونحن أصحاب الغنى ذو الجد والامكان
ولذاك أضحى ربنا مستقرضاً أموالنا سبحان ذي الاحسان

أما قصة فنحاص المذكورة فهي على ماحكى ابن اسحاق في « سيرته » قال: دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً كانوا قد اجتمعوا الى رجل منهم ، يقال له : فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع . فقال أبو بكر لفنحاص : ويلك يافنحاص ، أسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل ، فقال فنحاص

لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر، وانه لفقير، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو بغني، ولو كان غنياً عنا مااستقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا، ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده: لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله، فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر، «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولاً عظيماً، إنه زعم أن الله فقير وهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت بما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه، وتصديقاً لأبي بكر: (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران: ١٨١ وأنزل الله في أبي بكر ومابلغه في ذلك من الغضب: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامـــور) آل عمران: ١٨٦ ثم قال في فنحاص وأحبار يهود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون. لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) آل عمران: ١٨٨،١٧٨ يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبـــار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على مازينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. أي: بقول الناس: علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى وحق، ويحبون ان يقول الناس: قد فعلوا.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحكى مقالة قائل من قومه ... أن العزير ابن من الرحمن

هذا وما القولان قط مقالة ... منصورة في موضع وزمان

يعني أن الله سبحانه قد حكى قول اليهود: إن عزير ابن الله، كما قال تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله) التوبة : ٣٠ وحكى مقالة فنحاص لعنه الله ، وما القولان منصورين ، فلو كانت المقالة المذكورة وهي اثبات علو الله تعـالى على خلقه باطلا لحكاها الله سبحانه ، ونهى عنها ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبادة الاوثان ، أو كمقالة المثلثـة عباد الصليب ، ولم تزل المعطلة ينبزون المثبتة بالالقاب القبيحة ، ويرمونهم بالعظائم والبهت والكذب الفاحش . وقد حكى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب ، في «طبقات الحنابلة» في ترجمة شيخ الاسلام ، أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري قال : قال ابن طاهر : وسمعت بعض أصحابنا بـ « هراة » يقولون : لما قدم السلطان ألب أرسلان «هراة» في بعض قدماته ، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ، ودخلوا على الشيخ ابي اسماعيل الأنصاري ، وسلموا عليه ، وقالوا : قد ورد السلطان ونحن على عزمٍ أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الامام ، ثم نخرج (الى) هنا ، وقد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً صغيراً من صفر وجعلوه في المحراب ، تحت سجادة الشيخ ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع الى خلوته ، ودخلوا عـلى السلطان واستغاثوا من الانصاري ، وقالوا: إنه مجسم ، وانه يترك في محرابه صنما . يقول : إن الله عز وجل على صورته ، وإن يبعث السلطان الآن اليه ، يجد الصنم في قبلة مسجده . فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلاماً ومعه جماعة

ودخلوا الدار،وقصدوا المحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدي السلطان ، فبعث السلطان بغلمان فأحضروا الانصاري ، فلما دخلوا رأى شيوخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه ، فقال له السلطان : ماهذا؟ قال :هذا صنم يعمل من الصفر ، شبه اللعبة ، فقال : لست عن هذا أسألك. فقال : عما ذا يسأل السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وإنك تقول: إن الله عزوجل على صورته . فقال الانصاري : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بصوت جهوري وصولة ، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً ، وقال لهم : تصدقوني القصـــة أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً . فقالوا : نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شره عنا. فأمر بهم ، ووكل بكل واحد منهم ، فـــلم يرجع الى منزله ، حتى كتب بخطه مبلغاً عظيماً من المال،يؤديه إلى خزانة السلطان،جنايةلما فعلوه،وسلموا بأرواحهم ، بعد الهوان العظيم . انتهى. وكذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فلا يخفىماافتروه عليه ، ورموه به من الإفك ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه ، وذكر ابن بطوطة في رحلتـه المشهورة . قال : وكان دخولي لبعلبك ، عشية النهار ،وخرجت منهابالغدو لفرط اشتياقي الى دمشق ،وصلت يوم الخميس ، التاسع من شهر رمضان المعظم ، عام ست وعشرين وسبعمائة إلى مدينة دمشق الشام ،فنزلت فيها بمدرسةالمالكيةالمعروفة بـ(الشرابيشية) . ...الىأن قال: وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة ، تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون...الى أن قال : فحضرته يوم الجمعـة ، وهو يعظ الناس ، على منبر الجامع ، ويذكرهم ،فـكان من جملة كلامه أن قال:

ان الله ينزل إلى سماء الدنيا ، كنزولي هذا . ونزل درجة من المنبر. فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء.. الى آخر ماهذا به ابن بطوطة. أقول: وأغوثاه باللهمن هذا المكذب . الذي لم يخف الله كاذبه ، ولم يستحي مفتريه ، وفي الحديث : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت »[1] ووضوح هذا الكذب ، أظهر من أن يحتاج إلى الاطناب ، والله حسيب هذا المفتري الكذاب ، فانه ذكرأنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة ٧٢٦ وشيخ الاسلام ابن تيمية اذ ذاك قد حبس في القلعة ، كما ذكر ذلك العلماء الثقات ، كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، والحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » قال في ترجمة الشيخ من « طبقاته » المذكورة: مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين ، الى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ، وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان ، فانظر الى هذا المفتري ، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع . فياليت شعري ، هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق ، والحال أن الشيخ رحمه الله لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش ، وكذا ذكر الحافظ عمادالدين بن كثير في « تاريخه » . قال: وفي يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان سنة ٧٢٦ اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق . حضر إليه من جهة نائب السلطنة مشد الاوقاف ، وابن الخطير ، أحد الحجاب ، وأخبراه أن مرسوم السلطان حضر

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري البدري رضي الله عنه ، ولفظه بتمامه « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

بذلك ، وأحضر إليه معها مركوباً ، وأظهر السرور بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً لذلك ، وفيـــه خير كثير،وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة ، وأجري إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وكان معه اخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم بما يقوم بكفايته . انتهى كلامه . فانظر كلام تلامذته وغيرهم ، من العارفين بحاله ، أهـــل الورع والأمانة والديانة ؛ يتضح لك كذب ، هذا المغربي عامله الله بما يستحق ، والله أعلم . وكم كذبوا عليه ، وبهتوه وقولوه اشياء هوبريء منها ، والأمر كما قال تلميذه الناظم :

فالبهت عندكم رخيص سعره ... حثوا بلا كيل ولا ميزان

ولله در القائل :

إن كان إثبات الصفات لديكمُ ... فيما أتى مستوجبـــاً لومي

وأصير تيمياً بذلك عندكم ... فالمســلمون جميعهم تيمي

وكذا كذبوا على غيره من علماء الاثبات رحمهم الله تعالى وعفا عنهم .

قال الناظم رحمه الله :

لكن مقالة كونه فوق الورى ... والعرش وهو مباين الأكوان

قد طبّقت شرق البلاد وغربها ... وغدت مقررة لذي الأذهان

فلأي شيء لم ينزه نفســه ... سبحانه في محكم القرآن

عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها ... وظهورها في سائر الأديان

بل دائماً يبدي لنا إثباتها ويعيده بأدلة التبيان

لا سيما تلك المقالة عندكم مقرونة بعبادة الأوثان

أو أنها كمقالة لمثلث عبد الصليب المشرك النصراني

إذ كان جسماً كل موصوف بها ليس الإله منزل الفرقان

فالعابدون لمن على العرش استوى بالذات ليسوا عابدي الديان

لكنهم عباد أوثان لدى هذا المعطل جاحد الرحمن

ولذاك قد جعل المعطل كفرهم هو مقتضى المعقول والبرهان

هذا رأيناه بكتبهم ولم نكذب عليكم فعل ذي البهتان

ولأي شيء لم يحذر خلقه عنها وهذا شأنها ببيان

هذا وليس فسادها بمبين حتى يحال لنا على الأذهان

ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها بظهورها للوهم في الانسان

وخفاء ما قالوه من نفي على الأذهان بل تحتاج للبرهان

مضمون هذه الأبيات ، أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ، صرحت به الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل ، وكذا الفرقان يبدي إثباتها ، ويعيده بجميع أنواع الأدلة ، فلو كان هذا كفراً ، كما زعمت المعطلة ، لنهى عنها القرآن ، لأنها عند المعطلة كالشرك ، وعبادة الأوثان . وهذا أظهر من الشمس لمن له عينان[1] ، ونعوذ بالله من الخذلان . قوله : ولذاك قد شهدت

(١) في الاصل : عينا

أفاضلكم الخ أي أفاضل النفاة قد شهدوا بظهور مقـــالة الإثبات ، في الكتاب والسنة ، وخفاء ما قالوا من النفي ، كما قال السعـد التفتازاني في «شرح المقاصد» فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية ، والأحاديث النبوية، مشعرة في مواضـع لاتحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك وتحقيق؟! كذا كما كررت الدلالة على وجود الصانع ، ووحدته ، وعلمه ،وقدرته ، وحقيقة المعاد، وحشر الأجساد في عدة مواضع ، وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضاً حقيق بغاية التأكيد والتحقيق ، لما تقرر في فطرة العقلاء ـ مع اختلاف الأديان ؛ والآراء في التوحيد ـ إلى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء ، ثم أجاب عن ذلك التفتازاني بما يظهر ضعفه من أول وهلة ، وكذا ذكر ذلك غيره .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التـــعطيل أفســـد لازم ببيان

وفساد لازم قوله هو مقتض   لفساد ذاك القول بالبرهان

فسل المعطل عن ثلاث مسائل   تقضي على التعطيل بالبطلان

ماذا تقول أكان يعرف ربه   هذا الرسول حقيقة العرفان

أم لا وهل كانت نصحيته لنا   كل النصيحة ليس بالخوان

أم لا وهل حاز البلاغة كلها   فاللفظ والمعنى له طوعان

فإذا انتهت هذي الثلاثه فيه كا   ملة مبرأة من النقصان

فلأي شيء عاش فينا كاتما   للنفي والتعطيل في الأزمان

بل مفصحاً بالضد منه حقيقية الـ   إفصاح موضحة بكل بيان

ولأي شيء لم يصرح بالذي   صرحتم في ربنا الرحمن

ألعجزه عن ذاك أم تقصيره   في النصح أم لخفاء هذا الشان؟

حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التـ   عطيل لا المبعوث بالقرآن

هذا هو الدليل التاسع عشر ، من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وحاصله أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل ، وكلها مسلمة عند المنازعين . وهو أن تسأل المعطل: هل تقول: إن الرسول ﷺ يعرف ربه ؟ فبالضرورة يقول: نعم ، ثم سله: هل كان في غاية النصح؟ فلا بد أن يقول: نعم . ثم سله: هل حاز البلاغة كلها ؟ فلا بد أن يقول: نعم. فإذا أقر بهذه الثلاثة ، فقل له: فلأي شيء عاش منذ أرسله الله تعالى الى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه وهو يفصح بالإثبات ، ويعيد فيه في كل محضر ومجمع ؟ ولأي شيء كتم النفي والتعطيل ، ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى؟ وهل كان عاجزاً عن أن يقول: استولى ، وينزل أمره أو ملك ، ويقول: (من الله) موضع (أين الله) ، فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه ، أو عدم النصح ، أو عدم البلاغة ، وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها ، فيدل على فساد لازمه وبطلانه ، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولأي شيىء كان يذكر ضد ذا　　في كل مجتمع وكل زمان

أتراه أصبح عاجزاً عن قوله استــــتولى وينزل أمره وفلان

ويقول أين الله يعني من بلفــــظ الأين هل هذا من التبيان

والله ما قال الأئمــة كل ما　　قد قاله من غير ما كتمان

لكن لأن عقول أهل زمانهم　　ضاقت بحمل دقائق الايمان

وغدت بصائرهم كخفاش أتى　　ضوء النهار فكف عن طيران

حتى اذا ما الليل جاء ظلامه　　أبصرته يسعى بكل مكان

وكذا عقولكمُ لو استشعرتمُ　　ياقوم كالحشرات والفئران

أنست بايحاش الظلام ومالها　　بمطالع الأنوار قط يدان

الخفاش معروف ، تقدم ، تعريفه . والحشرات .قال في« القاموس » الهوام،أو الدواب الصغار ، كالحشرة محركة فيها . انتهى . والفئران جمع فأر بالهمز ، وهو حيوان معروف ، يعني الناظم رحمه الله تعالى أن هؤلاء المعطلة ضاقت عقولهم عن حمل دقائق الايمان ، فصاروا كالحشرات والخفاش التي لا تسعى الا بالليل ، فان هؤلاء المعطلة لم تحمل عقولهم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما وصف الرب تعالى به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، فصار ذلك لبصائر المعطلة ، كالنهار لأبصار الخفاش والحشرات ونحوها ، نعوذ بالله من عمي البصائر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لوكان حقاً مايقول معطل لعلوه وصفاتــــه الرحمن

لزمتكم شنع ثلاث فارتؤوا أو خلة منهن أو ثنتان

تقديمهم في العلم أو في نصحهم أو في البيان أذاك ذو إمكان

إن كان ما قد قلتم حقاً فقد ضل الورى بالوحي والقرآن

إذ فيهما ضد الذي قلتم وما ضدان في المعقول يجتمعان

بل كان أولى أن يعطل منهما ويحال في علم وفي عرفان

أما على جهم وجعد أو على النــ ـظام أوذي المذهب اليونان

وكذاك أتباع لهم فقع الفلا صم وبكم تابعو العميان

وكذاك أفراخ القرامطة الأُلى قد جاهروا بعداوة الرحمن

كالحاكمية والأُلى والوهم كأبي سعيد ثم آل سنان

وكذا ابن سينا والنصير نصير أهل الشرك والتكذيب والكفران

وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصائبين وكل ذي بهتان

إخوان ابليس اللعين وجنده لا مرحباً بعساكر الشيطان

أفمن حوالته على التنزيل والـــ ـوحي المبين ومحكم القرآن

كمحير أضحت حوالته على أمثاله أم كيف يستويان؟!

أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان

قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان

ومفاتح الاقفال في يد من له التـصريف سبحان العظيم الشان

فاسأله فتح القفل مجتهداً على الـ أسنان إن الفتح بالاسنان

أي : إن كان حقاً ما تقوله المعطلة لعلو الرب وصفاته ، لزمتم ثلاث شناعات .

وقوله . فارتؤوا ؛ أي : اطلبوا رأياً تخلصون به من هذه الشنع ، لأن الكتاب والسنة ضد لما قالوه ، والضدان لايجتمعان ، فكان الكتاب والسنة على هذا سبباً لاضلال الناس ، فكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم ، ويحالون في العلم والعرفان على جهم ، وجعد ، والنظام ، وحكماء اليونان ، والقرامطة ونحوهم ، وهذا معنى ماذكره شيخ الاسلام في مقدمة «الحموية» قال : فلو كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هـــذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً ، وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده أن لا يبوحوا به قط ولا يدلون عليـه قط لا نصاً ، ولا ظاهراً ، حتى يجيء أنباط الفرس ، والروس ، وفروخ اليهود ، والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل ، أن يعتقدها ، لئن كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون ، هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقوم ، وأن

يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معاشر العباد لاتطلبون معرفة الله ، وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً ، لامن الكتاب ، ولامن السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات ، فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة ، أو لم يكن ، ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم ، فلا تصفوه به ، ثم هم هنا فريقان ، أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف (الناس) على وجه الارض ، فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف مقاييس عقولكم ، أو يثبت مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني أمتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن ليجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله ، مع طي دلالته على شيء من الصفات ، وهذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء المتكلمين ، وهذا كلام رأيته قد صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لايردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية ، أو إلى مثل من يتحاكم اليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كالبراهمة ،

والفلاسفة ، وهم المشركون ، والمجوس ، وبعض الصابئين . وان كان هذا الرد لايزيد الأمر إلا شدة ، ولا يرتفع الخلاف به ، اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم .

وقوله : فقع الفلا : قال في « القاموس » الفقع ويكسر:البيضاءالرخوة من الكمأة ، جمع ، كعنبة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

قوله : أفراخ . قال في « القاموس » : الفرخ : ولد الطائر ، وكل صغير من الحيوان والنبات،جمع أفرخ،وأفراخ ،وفراخ،وفروخ،وأفرخة، وفرخان،والرجل الذليل المطرود . انتهى .

قوله : والحاكمية.هم شيعة الحاكم العبيدي المعتقدون فيه الالهية ، وهو أبو علي منصور بن نزار العزيزبالله،ابن معد المعز لدين الله العبيدي،لأتباعه فيه من الاعتقادات الخبيثة ،ما تصم عنه الآذان ، ويقضي على معتقده بالزور والبهتان . وقد ذكر طرفاً من ذلك الحافظ الذهبي ، والحافظ ابن كثير في«تاريخهما» وغيرهما ، والامام أبو شامة في كتاب «الروضتين في أخبارالدولتين » . وأبوسعيد هوالحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة . قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثيرالجزري في تاريخه الكبير المسمى بـ«الكامل » قال : في هذه السنة ، يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين ، تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة . ثم بسط القول في ابتداء أمرهم . وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف ، وكان يسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، كان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رضي الله عنهم ، وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال ، أوجبت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر

ذكرهم بسواد الكوفة . ثم قال ابن الأثير بعد هذا : في سنة ست وثمانين ومائتين ، وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة ، يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع اليه ناس كثير من الاعراب ، والقرامطة . وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع الناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم . ثم عظم أمرهم ، وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز اليهم الخليفة المقتدر بالله جيشاً ، فقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحاب العباس ، وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان من سنة سبع وثمانين ، فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى ، وأحرقهم واستبقى العباس ، ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض الى صاحبك ، وعرفه ما رأيت . فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المقتدر ، فخلع عليه . ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام ، في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها . ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة . قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان ابن ابي سعيد ، ولما قتل أبوه أبو سعيد ، كان قد استولى على هجر والقطيف والطائف ، وسائر بلاد البحرين . وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، في شهر ربيع الآخر منها ، قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكها بغير قتال ، بل صعدوا اليها بليل بسلالم الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ثاروا اليهم فقتلوا متولي البلد ، ووضعوا السيف في الناس ، فهربوا منهم . وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منهم الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزالوا يعيثون في البلاد ، ويكثرون فيها الفساد ، من القتل والسبي والنهب والحريق الى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فحج الناس فيها ، وسلموا في طريقهم ،

ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية . فنهبوا أمـــوال الحاج ، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الاسود ، وأنفذه الى هجر ، فخرج اليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ، فقاتلوهم فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجـلًا ليقلع المـيزاب ، فسقط فمات ، فطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ، ولا غسل ولا صلاة على أحـد منهم ، وأخذ كسوة البيت ، فقسمها في اصحابه ، ونهب دور أهـل مكة . ثم ذكر ابن الأثـير في سنـة ستين وثلاثمائة أن القرامطة وصلوا الى دمشق ، فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين ، ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عـين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم . ثم انتصر أهل مصر عليهم ،فرجعوا عنهم . انتهى .

قال ابن خلـكان : وعلى الجملة . فالذي فعلوه في الاسـلام ، لم يفعله أحـد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين ، وملكوا كثـيراً من بلاد العـراق والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الشام الى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة . والقرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة . والقرمطة في اللغة : تقارب الشيء بعضه من بعض. يقال : خط مقرمط ، ومشي مقرمط إذا كان كذلك[١] وكان أبو سعيد المذكور قصيراً ، مجتمع الخلق ، أسمر كريه المنظر ، فلذلك قيل له: قرمطي . وقدذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلًا طويلًا من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » . وأما الجنابي فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف باء موحده ، وهذه النسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من اعمـال فارس ، متصلة بالبحرين عند سيراف ، والقرامطة منها فنسبوا اليها . انتهى كلام ابن خلـكان رحمه الله تعالى .

---

(١) أي إذا كان فيه مقاربة الخطو .

قوله : ثم آل سنان ، هو البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخاتم هذه العشرين وجـــهاً وهو أقربها الى الأُذهان

سرد النصوص فانها قد نوعت طرق الأدلة في أتم بيـــان

والنظم يمنعني من استيفائها وسياقـــة الألفاظ بالميزان

فأشير بعض إشارة لمواضع منها وأين البحر من خلجان ؟

فاذكر نصوص الاستواء فانها في سبـــع آيات من القرآن

واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلا ث قد غدت معلومة التبيان

واذكر نصوص علوه في خمسة معلومة برئت من النقصان

واذكر نصوصاً في الكتاب تضمنت تنزيله من ربنـــا الرحمن

فتضمنت أصلين قام عليهما الـــ اسلام والايمان كالبنيان

كون الكتاب كلامه سبحانه وعلوه من فوق كل مكان

وعدداها سبعون حين تعد أو زادت على السبعين في الحسبان

هـذا هو الدليل العشرون من أدلة علو الله تعـالى على خلقـه ، وهي

النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز .

قوله : فاذكر نصوص الاستواء الخ . تقدم ذكر آيات الاستواء .

قوله : واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلاث الخ . وهي قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ وقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) الانعام : ١٨ .

وقوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الآية .

قوله : واذكر نصوص علوه في خمسة الخ . وهي قوله تعالى في آية الكرسي (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ وفي الرعد : ٩ (وهو الكبير المتعال) وقوله في الشورى : ٤ (وهو العلي العظيم) وقوله تعالى في سورة غافر : ١٢ (فالحكم لله العلي الكبير) وقوله تعالى في سورة سبح : ١ (سبح اسم ربك الاعلى) .

قوله : واذكر نصوصاً في الكتاب الخ . تقدم الكلام في ذلك بما أغنى عن إعادته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر نصوصاً ضمنت رفعاً ومعـــراجاً وإصعاداً الى الديان

هي خمسة معلومـــة بالعد والـــحسبان فاطلبها من القرآن

وهي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : (بل رفعه الله اليه) النساء: ١٥٨ وقوله في سورة سأل : ٤ (تعرج الملائكة والروح اليه) وقوله في سورة السجدة : ٥ (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠
وقوله تعالى عن عيسى (إني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى في سورة الملك التي تنجي لقاريها من النيران
نصان إن الله فوق سمائه عند المحرِّف ما هما نصان

قوله في سورة الملك الخ . روى أحمد ، والحاكم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « سورة القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك)»[١] وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة (تبارك)» الاية :أخرجه الطبراني في «الاوسط» وابن مردويه ،والضياء في « المختارة »[٢]
والنصان : هما قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور)الملك: ١٦ (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا)الملك: ١٧ الاية ،لأن (في) بمعنى (على) أو المراد بذلك مطلق العلو في الآيتين ، كما هو مبسوط في موضعه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى التخصيص بالعند الذي قلنا بسبع بل أتى بثمان

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، وابو داود ،و النسائي وابن ماجه ، وسنده حسن.

(٢) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « سورة من القرآن ماهي الا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة » . رواه الطبراني في «الاوسط» والضياء عن انس بن مالك . قال المناوي في شرحه : قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح . وقال ابن حجر: حديث صحيح .

منها صريح موضعان بسورة الـ أعراف ثم الأنبيـاء الثاني

فتدبر النصين وانظر ماالذي لسواه ليست تقتضي النصـان

وبسورة التحريم أيضاً ثالث بادي الظهور لمن لـه أذنان

ولديه في مزّمل قد بيّنت نفس المراد وقيّـدت ببيان

لاتنقص البـاقي فما لمعطل من راحـة فيها ولا تبيان

في سورة الاعراف ١٨٧ (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الاهو) الى قوله (قل انما علمها عند الله) (ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادتـه ويسبحونه وله يسجدون) الاعراف : ٢٠٦ وفي الأنبياء : ١٩ (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الايه .وفي سورة التحريم : ١١ (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) الاية.وفي سورة المزمل : ٢٠ (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وفي سورة القمر : ٥٥ (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

قوله : لاتنقص الباقي . هو بالصاد المهملة ، أي : لا تنقص المواضع السبعة التي ذكرها الناظم ، لانه لم يذكر الا بعضها ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبسورة الشورى وفي مزّمل سر عظيم شأنه ذو شان

في ذكر تفطير السماء فمن يرد علماً به فهو القريب الداني

لم يسمح المتأخرون بنقله جنباً وضعفاً عنه في الايمان

بل قاله المتقدمون فوارس الـــ إسلام هم أمراء هذا الشان

ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره حكيت به القولان

يعني قوله تعالى في سورة الشورى : ٥ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) الاية وقوله تعالى في سورة المزمل : ١٧ ، ١٨ (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به) الاية

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحاديها وعشرين الذي قد جاء في الأخبار والقرآن

إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئــه للفصل بالميزان

فانظر الى التقسيم والتنويع في الـــقرآن تلفيه صريح ببيان

ان المجيء لذاته لا أمره كلا ولا ملك عظيم الشان

إذ ذانك الأمران قد ذكرا وبيـــنهما مجيء الرب ذي الغفران

والله ما احتمل المجيء سوى مجيء الذات بعد تبين البرهان

من أين يأتي يا أولي المعقول إن كنتم ذوي عقل مع العرفان

من فوقنا أو تحتنا (وأمامنا)[1] أو عن شمائلنا وعن أيمان

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الاصل ، ولا في غيره ولا يستقيم الوزن بدونها.

والله لا يأتيهمُ من تحتهم ... أبداً تعالى الله ذو السلطان

كلا ولا من خلفهم وأمامهم ... وعن الشمائل أو عن الأيمان

والله لا يأتيهمُ الا من الـــ ... علو الذي هو فوق كل مكان

هذا هو الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه الذي جاء في القرآن ، والاحاديث.

قال الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وقال (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام : ١٥٨ وقال تعالى (هل ينظرون الى أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة : ٢١٠ الاية ويؤخذ من القرآن أن المجيء لذاته ، لا أمره ، ولا ملك ، كما في قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام : ١٥٨ لأن المعطلة يفسرون المجيء والاتيان بمجيء أمره ، او ملك . والمجيء في الاية وهي قوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) الانعام: ١٥٨ لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى، لأن مجيء الملائكة قد تقدم ، ومجيء الأمر —وهو بعض الآيات —تأخر، ومجيء الرب بينهما ، فلا يحتمل ذلك غير مجيء الرب سبحانه .

قال شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني في « عقيدته » : ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ

وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ قال : وأخبرنا ابوبكر بن زكريا ، سمعت أبا حامد ابن الشرقي ، سمعت حمدان السلمي وأبا داود الخفاف ، قالا : سمعنا اسحاق ابن ابراهيم الحنظلي يقـول : قال لي الأمـير أبو عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا الحديث الذي ترويه عن رسـول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا »[1] كيف ينزل ? قال : قلت : أعز الله الأمـير ، لا يقال لأمر الرب : كيف ، إنما ينزل بلا كيف ، قال: وسمعت أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن ابراهيم العنبري ،سمعت ابراهيم ابن أبي طالب ، سمعت أحمـد بن سعيد بن ابراهيم أبا عبـد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم ، وحضر اسحاق ابن إبراهيم ، فسئل عن حديث النزول ، أصحيح هو ? قال : نعم . فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا عبد الله ، تزعم أن الله ينزل كل ليلة ? قال: نعم قال : كيف ينزل ? قال اسحاق : أثبته فوق . فقال : أثبته فوق . فقال اسحاق : قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة . فقال اسحاق : أعز الله الأمير ، من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ? وقال أبو عثمان : قرأت في رسالة أبي

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

بكر الاسماعيلي إلى أهل جيلان : إن الله ينزل الى السماء الدنيا[1] على ما صح به الخبر عن النبي ﷺ . وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ نؤمن بذلك كله على ماجاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل ، فانتهينا الى ما أحكمه ، وكفينا عن الذي تشابه ، إذ كنا قد أمرنا به في قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب)

آل عمران : ٧ .انتهى . فاذاً قد ثبت مجيء الرب تعالى وإتيانه من الكتاب والسنة ، فمعلوم انه لا يأتي الا من فوق ، تعالى الله عما يصفه به الجاحدون والمعطلون علواً كبيراً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الاشارة الى ذلك من السنة

واذكر حديثاً في الصحيح تضمنت　　　كلماته تكذيب ذي البهتان

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة . « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا .. » .

لما قضى الله الخليقة ربنــا كتبت يداه كتاب ذي الاحسان
وكتابه هو عنده وضع على الــعرش المجيد الثابت الأركان
إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني

يشير الى حديث ابي الزناد عن الاعـرج عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل ان يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو عنده فوق العرش » اخرجه البخاري ومسلم ، وذكره الذهبي في كتاب « العلو » بلفظ آخر عن ابي هريرة قال : قــال رسول الله ﷺ» : لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي سبقت غضبي » قال : ولفظ حديث الثوري عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي حديث صفوان بن عيسى ، ثنا ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي تغلب غضبي » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أشار نبينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان
مستشهداً رب السموات العلى ليرى ويسمع قوله الثقلان
أتراه أمسى للسما مستشهداً أم للذي هو فوق ذي الأكوان

يعني حديث جابر في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وقد تقدم[1] .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر في باب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » .

قال الناظم :

ولقد أتى في رقية المرضى عن الـهادي المبين أتم ما تبيان
نص بأن الله فوق سمائه فأسمعه إن سمحت لك الأذنان

يشير الى حديث ابي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا ، وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل علينا رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » أخرجه ابو داود في « سننه »[١] .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى خبر رواه عمه الـعباس صنو أبيه ذو الاحسان
إن السموات العلى من فوقها الكرسي عليه العرش للرحمن
والله فوق العرش يبصر خلقه فانظره إن سمحت لك العينان

يشير الى حديث الأوعـال : وهو حديث العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال : « ماتسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب . قال : « والمزن ؟» قالوا : والمزن . قال : « والعنان ؟ » قالوا : والعنان . قال : «هل تدرون مابعد ما بين السماء والارض ؟» قالوا: لا ندري . قال : « إن بعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك ،

---

(١) رقم (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد الانصاري . قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب » منكر الحديث ، وأخرجه النسائي ايضاً.

حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة ، بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل مابين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك » رواه ابو داود [١] وابن ماجه وله طرق [٢] .

قوله : صنو أبيه . قال ابن الاعرابي : الصنو : المثل ، أراد مثل أبيه . وقيل في قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) الرعد : ٤ أن يكون الاصل واحداً ، وفيه النخلتان ، والثلاث ، والاربع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديث حصين بن المنذر [٣] الثـقة الرضى أعني أبا عمران

إذ قال ربي في السماء لرغبتي	ولرهبتي أدعوه كل أوان
فأقره الهادي البشير ولم ويقل	أنت المجسم قائل بمكان
حيّزت بل جهّيت بل شبّهت بل	جسّمت لست بعارف الرحمن
هذي مقالتهم لمن قد قال ما	قد قاله حقاً أبو عمران
فالله يأخذ حقه منهم ومن	أتباعهم فالحق للرحمن

---

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد ابن ابي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقريب » : ضعيف . وفيه ايضاً (عبد الله بن عميرة) قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : فيه جهالة .

(٢) وكلها لاتخلو من مقال .

(٣) هو ابن عبيد (ابن مانع)

يعني حديث حصين بن المنذر الخزاعي . وهو ما رواه عمران بن خالد ابن طليق ، حدثني أبي عن أبيه عن جده قال : اختلفت قريش الى حصين والد عمران ، فقالوا : إن هذا الرجل يذكر آلهتنا ،فنحب أن تكلمه وتعظه، فمشوا الى قريب من باب النبي ﷺ . فجلسوا ، ودخل حصين ، فلما رآه النبي ﷺ قال: «أوسعوا للشيخ» فأوسعوا له، وعمران وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون،فقال حصين: ماهذا الذي بلغنا عنك؟إنك تشتم آلهتنا،وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيراً.«فقال ياحصين: كم إلهاً تعبد اليوم؟»قال: سبعة ، ستة في الأرض ، وإلهاً في السماء . قال : « فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ » قال : الذي في السماء . قال :« فاذا هلك المال فمن تدعو ؟» ، قال : الذي في السماء .قال: «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟» .قال: رضيته في الشكر أو كلمة نحوها- أم تخاف أن يغلب عليك؟قال: ولا واحدة من هاتين،وعرفت أني لم أكلم مثله . فقال ياحصين : اسلم تسلم ... وذكر الحديث . أخرجه ابن خزيمة في كتاب « التوحيد »[١] .

وقول الناظم : حيزت الخ. أي : اذا قلت بما قال حصين بن المنذر قالوا : حيزت . أي : قلت بأن الله في حيز . وجهت . أي قلت بأن الله تعالى في جهة.وشبهت . أي : قلت بما يقتضي التشبيه. وجسمت . أي : قلت بأن الله تعالى جسم ، تعالى الله عن ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر شهادته لمن قد قال ربي في السما بحقيقة الايمان

وشهادة العدل المعطل للذي قد قال ذا بحقيقة الكفران

---

(١) ورواه الترمذي بأخصر منه ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

واحكم بأيهما تشاء وإنني لأراك تقبل شاهد البطلان

ان كنت من أتباع جهم صاحب التـعطيل والبهتان والعدوان

يشير الى حديث الجارية[١] وقد تقدم بعض ألفاظه . قال الناظم :

واذكر حديثاً لابن اسحاق الرضى ذاك الصدوق الحافظ الرباني

في قصة استسقائهم يستشفعو ن الى الرسول بربه المنان

فاستعظم المختار ذاك وقال شأ ن الله رب العرش أعظم شان

الله فوق العرش فوق سمائه سبحان ذي الملكوت والسلطان

ولعرشه منه أطيط مثل ما قد أط رحل الراكب العجلان

لله ما لقي ابن اسحاق من الـجهمي إذ يرميه بالعدوان

ويظل يمدحه اذا كان الذي يروي يوافق مذهب الطعان

كم قد رأينا منهم أمثال ذا فالحكم لله العلي الشان

هذا هو التطفيف لا التطفيف في ذرع ولا كيل ولا ميزان

يعني الناظم حديث ابن اسحاق . وقد رواه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : اخبرنا التاج عبد الخالق ، وبنت عمه ست الاهل ، قالا : أنبأنا البهاء عبد الرحمن بن ابراهيم ، أنبأ عبد المغيث بن زهير ، أنبأنا أبو العز ابن

---

(١) رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في باب « تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من اباحته »

كادش ، أَنبأنا أبو طالب محمد بن علي ، أنبأنا أبو الحسن الدارقطني ، ثنا يحيى بن صاعد ، ثنا محمد بن يزيد أخي كرخويه ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت ابن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير عن أبيه عن جده قال : أتى رسول الله ﷺ اعرابي ، فقال : يارسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ، وهلكت الانعام ، ونهكت الاموال ، فاستسق الله لنا ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال : ويحك ، أتدري ما تقول ؟ ان الله لايستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه لعلى سمواته ،وأرضه هكذا ،قال: وأرانا وهب بيده هكذا ،وقال :مثل القبة ، وانه ليئط أطيط الرحـــل بالراكب »[1] قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً ، وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم هل قال رسول الله ﷺ هذا ، أم لا ؟ والله عزوجل ليس كمثله شيء . جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ولا اله غيره. والاطيط الواقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل والعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل .ثم لفظ (الأطيط) لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الاحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وما اتفق السلف على اقراره وإمراره ، فأما ما في اسناده مقـــال ، أو احتلف العلماء في قبوله أو تأويله ، فإننا لانتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث انما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب .

---

(١) اسناده ضعيف ، فيه عنعنة محمدبن إسحاق ، ولايصح في أطيط العرش حديث .

قال الناظم رحمه الله

واذكر حديث نزوله نصف الدجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان

فنزول رب ليس فوق سمائه ... في العقل ممتنع وفي القرآن

تقدم سياق حديث النزول . وقول الناظم : فنزول رب ليس فوق سمائه الخ . هذا نحو ما ذكر شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول[1] قال : سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول ، فقال . ينزل أمره. فقال له السائل : فممن ينزل ؟ ما عندك فوق العرش شيء . فممن ينزل الأمر من العدم المحض ؟ فبهت .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر حديث الصادق ابن رواحة ... في شأن جارية لدى الغشيان

فيه الشهادة أن عرش الله فو ... ق الماء خارج هذه الأكوان

والله فوق العرش جل جلاله ... سبحانه عن نفي ذي البهتان

ذكر ابن عبد البر في استيعابه ... هذا وصححه بلا نكران

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمة له ، فنالها ، فرأته امرأته فلامته ، فجحدها . فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فان الجنب لا يقرأ القرآن ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

(١) وقد قمنا بطبعه بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيمية .

وأن العرش فوق الماء طاف ‏ ‏ ‏ وفوق العرش رب العالمينا

قالت امرأته: صدق الله[١]، وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن، ولا تقرؤه.

قال الناظم رحمه الله:

وحديث معراج الرسول فثابت ‏ ‏ ‏ وهو الصريح بغاية التبيان

وإلى إله العرش كان عروجه ‏ ‏ ‏ لم يختلف من صحبه رجلان

تقدم الكلام على المعراج بما أغنى عن إعادته، والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر بقصة خندق حكماً جرى ‏ ‏ ‏ لقريظة من سعدٍ الرباني

شهد الرسول بأن حكم الهنا ‏ ‏ ‏ من فوق سبع وفقه بوزان

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة: قرأ على عبد الله بن منصور وأنا أسمع: أخبركم أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار، أنبأ محمد بن عبد الواحد، أنبأ أبو بكر بن شاذان، أنبأ أبو عبدالله المغلس، ثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني ابي، ثنا محمد بن اسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله ﷺ « لقد حكمت فيهم حكماً حكم الله به من فوق سبعة أرقعة » وأصل القصة في «الصحيحين»[٢].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر حديثا للبراء رواه أصـــحاب المسانـد منهمُ الشيباني

---

(١) في الاصل: آمنت بالله، والتصحيح من « الاستيعاب » لابن عبد البر.

(٢) الذي في « الصحيحين » بلفظ: « قضيت فيهم بحكم الملك » ورواية أخرى حكمت فيهم بحكم الله عز وجل ».

وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضى　　　وأبو نعيم الحافظ الرباني

قد صححوه وفيه نص ظاهر　　　مالم يحرفه أولو العدوان

في شأن روح العبد عند وداعها　　　وفراقها لمساكن الأبدان

فتظل تصعد في سماء فوقها　　　أخرى إلى خلاّقها الرحمن

حتى تصير إلى سماء ربها　　　فيها وهذا نصه بأمان

تقدم الحديث ببعض طرقه ، والله اعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحـذير لذات البعل من هجران

من سخْط ربٍ في السماء على التي　　　هجرت بلا ذنب ولا عدوان

يشير الى حديث ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو المرأة الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى » اخرجه البخاري ومسلم[1] .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد رواه جابر　　　فيه الشفاء لطالب الايمان

في شأن أهل الجنة العليا وما　　　يلقَون من فضل ومن إحسان

بيناهمُ في عيشهم ونعيمهم　　　وإذا بنور ساطع الغشيان

لكنهم رفعوا اليه رؤوسهم　　　فاذا هو الرحمن ذو الغفران

---

(١) واللفظ لمسلم .

فيسلم الجبار جل جلاله حقاً عليهم وهو ذو الاحسان

قد تقدم حديث جابر.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر حديثاً قد رواه الشافعي طريقه فيه أبو اليقظان

في فضل يوم الجمعة اليوم الذي بالفضل قد شهدت له النصان

يوم استواء الرب جل جلاله حقاً على العرش العظيم الشان

هذا الحديث ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : أخبرنا أحمد بن عبد المنعم القزويني ، أنبأ محمد بن سعيد ببغداد ، وأنبأ علي بن محمد وجماعة ، قالوا : أنبأ ابن الزبيدي .

ح[1] وأنبأ التاج أبو محمد المغربي ، أنبأ عبد الله بن أحمد الفقيه ببعلبك ، قالوا : أنبأ أبو زرعة ، أنبأ مكي بن منصور أبو بكر الحيري ، ثنا أبو العباس الأصم .

ح وأنبأ محمد بن الحسين ، أنبأ ابن رفاعة ، أنبأ الخلعي ، أنبأ أبو العباس ابن الحاج الاشبيلي ، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصابوني إملاء قالا : ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا الشافعي ، أنبأ ابراهيم بن محمد ، حدثني موسى بن عبدة ، حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة ، عن عبيدالله بن عمير[2] أنه سمع أنس بن مالك يقول : أتى جبريل بمرآة

---

(١) هذا الرمز(ح)يعني ان الاسناد تحول الى اشخاص آخرين.

(٢) في الاصل: عبد الله بن عبيد بن عمير، والتصحيح من «مسند الامام الشافعي».

بيضاءفيها وكتة[١] سوداء الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ماهذه ؟» قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، والناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، لكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو (الله) بخير الا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد . فقال النبي ﷺ : « وما يوم المزيد ؟ » قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح فيه كثب من مسك ، فاذا كان يوم القيامة أنزل الله فيه من شاء من الملائكة ، وحوله الصديقون والشهداء ، فيجلسون من ورائهم على تلك الكتب ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم ، قد صدقتكم وعدي ، فسلوني أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك الرضى . فيقول : رضيت عنكم ، ولكم ماشئتم ، ولدي مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة ، لما يعطيهم ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة » إبراهيم وموسى ضعفا ، أخرجه الامام محمد بن ادريس في « مسنده »[٢] وقد اخرجه الدارقطني من طريق حمزة ابن واصل المنقري ، عن قتادة ، عن أنس ، ومن طريق عنبسة الرازي عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن انس . (وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ، ثنا)[٣] محمد بن شعيب بن

---

(١) في الأصل: نكتة ، والتصحيح من « مسند الشافعي » والوكتة : أثر في شيء كالنقطة من غير لونه والجمع وكت.

(٢) ورواه الطبراني في الاوسط ، والبزار ، وأبو يعلى مختصراً ، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه « القول في جملة الاسانيد الواردة في حديث يوم المزيد » قال فيه : ان لهذا الحديث عن أنس عدة طرق في جميعها مقال ، وقد تكلم عليه الهيثمي في «مجمع الزوائد» في فضل يوم الجمعة ، وباب صفة الجنة ، فليراجع.

(٣) مابين القوسين بياض في الاصل : استدركناه من كتاب « الرد على الجهمية » لابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، وقد طبعناه قريبا .

سابور عن عمر مولى غفره عن أنس . وأخرجه القاضي أبو أحمد العسال في في كتاب « المعرفة » له، عن رجاله : عن جرير بن عبد الحميد، عن ليث ابن أبي سليم ، عن عثمان بن أبي حميد ، وهو أبو اليقظان ، عن أنس . ورواه من طريق سلام بن سليمان عن شعبة واسرائيل وورقاء ، عن ليث أيضاً ، وساقه الدار قطني من رواية شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عثمان بن ابي سليمان عن أنس . والظاهر أن عثمان أبو اليقظان . وحدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن سالم بن عبد الله عن أنس بن مالك ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً . رزقنا الله وإياكم لذة النظر الى وجهه الكريم . انتهى كلام الذهبي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر مقالته ألست أمين من ... فوق السماء الواحد المنان

واذكر حديث أبي رزين ثم سقه بطوله كم فيه من عرفان

والله مالمعطل بسماعه ... أبداً قوى إلا على النكران

فأصول دين نبينا فيه أتت ... في غاية الايضاح والتبيان

وبطوله قد ساقه ابن إمامنا ... في سنّة والحافظ الطبراني

وكذا أبو بكر بتاريخ له ... وأبوه ذاك زهيرٌ الرباني

يشير بقوله : ألست أمين الخ الى حديث ابي سعيد الخدري قال : بعث علي من اليمن الى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ[1] لم تحصل من

(١) في الأصل : مقروض ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

ترابها ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة ، بين زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ،أو عامر بن الطفيل، شك عمارة ، فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم . فقال رسول الله ﷺ : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء[١] صباحاً ومساء...» الحديث.رواه البخاري ومسلم . وحديث أبي رزين ، ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله ، وجماعة ، عن محمد بن عبد الواحد ، ثنا اسماعيل بن علي ، أنا محمد بن علي النحوي ، أنا أبو بكر ابن المقري ، ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عمر بن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : « كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي وابن ماجه ،واسناده حسن وقد رواه شعبة وغيره عن يعلى ، وقالوا : عدس بدل حدس ، ورواه اسحاق ابن راهويه ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث . عن حماد . وعنده :« ثم كان العرش فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هـــواء وفوقه هواء » يعني السحاب . وقال ابو عبيد: العماء : الغمام . وقال الحسن ابن عمران الحنظلي الهروي : سمعت ابا الهيثم خالد بن يزيد الرازي يقول : أخطأ أبو عبيد ، إنما العما مقصور ، ولا يدرى أين كان الرب ، يعني قبل خلق العرش . ويروى عن أبي رزين حديث طويل باسنادين مدنيين في الباب ، لكنه ضعيف . انتهى كلام الذهبي .

---

(١) في الاصل : خبر من السماء . والتصحيح من « صحيح مسلم » .

قلت هذا كلام الذهبي ، وقد ساقه بتمامه الناظم في كتاب « الهدي » وقال : هذا حديث كبير ، جليل الشأن ، ينادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ... إلى أن قال : ولم يطعن أحد فيه ، وفي أحد من رواته ، فممن رواه الامام بن الامام أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل في « مسند أبيه » وفي كتاب « السنة » ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب « السنة » له ، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد الغسال في كتاب « المعرفة » ، وحافظ زمانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، والحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب « السنة » وحافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وجماعة من الحفاظ يطول ذكرهم . قال ابن منده : روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصغاني ، وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وغيرهما . وقد رواه بالعراق بجمع من العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرعة الرازي ، وأبو حاتم ، وأبو عبدالله محمد بن اسماعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في اسناده ، بل رووه على سبيل القبول والتسليم ، ولاينكر هذا الحديث الى جاهل ، أو مخالف للكتاب والسنة . هذا كلام أبي عبد الله بن منده . انتهى كلام الناظم ملخصاً

قوله : وبطوله قد ساقه ابن إمامنا . أي : ساقه عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب « السنة » له .

قوله : وكذا أبو بكر بتاريخ له . أي : أبو بكر ابن أبي خيثمة في « تاريخه » وأبوه زهير بن حرب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر كلام مجاهد في قوله ... أقم الصلاة وتلك في سبحان

في ذكر تفسير المقام لأحمد ... ما قيل ذا بالرأي والحسبان

ان كان تجسيماً فان مجاهداً ... هو شيخهم بل شيخه الفوقاني

ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي ... أثر رواه جعفر الربـاني

أعني ابن عم نبينا وبغيره ... أيضاً أتى والحق ذو تبيـان

قد تقدم ذكر كلام مجاهد في ذلك ، وبسطنا الكلام فيه بما أغنى عن الاعادة.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والدار قطنيّ الامام يثبت الـ ... آثار في ذا الباب غير جبـان

وله قصيد ضمنت هذا وفيـ ... ـها لست للمروي ذا نكران

وجرت لذلك فتنة في وقته ... من فرقة التعطيل والعدوان

والله ناصر دينه وكتابـه ... ورسوله في سائر الأزمان

لكن بمحنة حزبه من حربه ... ذا حكمة مذ كانت الفئتان

قال الذهبي في كتاب « العلو » : كان العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن عمر ، نادرة العصر ، وفرد الجهابذة ، ختم به هذا الشـأن ، فما صنف كتاب « الرؤية » وكتاب « الصفات » وكان اليه المنتهى في السنة ومذاهب السلف ، وهو القائل : ما أنبأني أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش ، أنبا بن كادش ، أنشدنا أبو طالب العشاري ، أنشدنا الدارقطني رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحمد　　الى أحمد المصطفى نسنده

وأمـا حديث باقعـاده　　على العرش أيضاً فلا نجحده

أمرّوا الحديث على وجهه　　ولا تدخلوا فيه ما يفسده

توفي الدارقطني رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . انتهى كلام الذهبي ،
ولم أقف على المحنة التي ذكرها الناظم رحمه الله تعـالى ، وهي التي جرت
للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله

أبو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة في زمانه ،
وقبلها بمدة ، وبعدها الى زماننا هذا ، سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وألف
وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والاعتقاد والانتقاد . وكان فريد
عصره ، ونسيج وحده ، وإمام دهره في اسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح
والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف والترصيف ، واتساع الرواية ، والاطلاع
التام في الدراية ، له كتاب «السنن» المشهور ، من أحسن المصنفات في بابه ، لم
يسبق الى مثله ، ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله ،
وله كتاب « العلل » بين فيه الصواب من الزلل ، والمتصل من المرسـل ،
والمنقطع والمعضل . وكتاب «الافراد» الذي لا يفهمه ـ فضلاً عن أن ينظمه ـ
الا هو من الحفاظ الافراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك
من المصنفات التي هي كالعقود في الاجياد . قال ابن الجوزي : وقد اجتمع فيه
مـع معرفة الحديث ، العلم بالقراآت ، والنحو ، والفقه ، والشعر ، مع
الامامة والعدالة ، وصحة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من

° ذي القعدة سنة ٣٨٥ وله من العمر تسع وسبعون سنة ودفن من الغد بمقربة معروف الكرخي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقد اقتصرت على يسير من كثير فائت للعد والحسبان

ما كل هذا قابل التأويل بالتحريف فاستحيوا من الرحمن



تم - بعون الله وتوفيقه - الجزء الأول

من كتاب « شرح الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية »

ويليه

الجزء الثاني

وأوله : فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود فيه والمقبول .

الفهرس

☐ ✶ ☐ ✶ ☐ ★



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شرح
قصيدة الإمام ابن القيم

تأليف
أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيم
الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف
أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي

الطبعة الاولى ١٣٨٢ دمشق

الطبعة الثانية ١٣٩٤ بيروت

المكتب الإسلامي

دمشق: ص.ب ٨٠٠ ـ هاتف: ١١١٦٣٧ ـ برقيًا: إسلامي

بيروت: ص.ب ٣٢٧١ ـ هاتف: ٢٨٥٨٢٢ ـ برقيًا: إسلاميًا

فصل

في جناية التأويل على ماجاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول.

شرع الناظم رحمه الله في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة من البلايا والمحن، والشرور والفتن، وذكر ما يقبل منه وما يرد. قال:

هذا وأصل بلية الاسلام من   تأويل ذي التحريف والبطلان

وهو الذي قد فرق السبعين بل   زادت ثلاثاً قول ذي البرهان

يشير الى قوله ﷺ «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة..» الحديث[1]

وهو الذي قتل الخليفة جامع الـ   ـقرآن ذا النورين والاحسان

يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وهو الذي قتل الخليفة بعده   أعني علياً قاتل الأقران

وهو الذي قتل الحسين وأهله   فغدوا عليه ممزقي اللحمان

وهو الذي في يوم حرتهم أبا   ح حمى المدينة معقل الايمان

حتى جرت تلك الدماء كأنها   في يوم عيد سنة القربان

أي وقعة الحرة، وذلك أن يزيد بن معاوية وجه مسلم بن عقبة المري

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة» وهو حديث صحيح.

في جيش عظيم من أهل الشـام ، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، وفيها يقول الشاعر .

فان تقتلونا يوم حرة واقم فانا على الاسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجـــة سنة ثلاث وستين ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بـ (واقم) على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقتل بهـا بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين ، وهم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ، من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهراً ظلماً في الحـــرب ، وصبراً . كذا ذكر القرطبي رحمه الله في « التذكرة » وفي كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الصفدي الحنفي قال : كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وستين على باب طيبة ، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصحابة . قال خليفة : فجميع من أصيب من قريش والأنصـــار ثلاثمائة وستون[1] . وروي أن رسـول الله ﷺ وقف على الحرة وقال : « ليقتلن بهذا المكان رجـال هم خيـــار أمتي بعد أصحابي » وكـان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معـاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم ، وبني أمية ، وأمروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل ، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم ، فجهز اليهم يزيد

---

(١) في الاصل : وستين

ابن معاوية مسلم بن عقبة ، فأوقع بهم . قال السهيلي : وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا خف ، ومجازفة ، والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها : حرة زهرة ، وعرفت (حرة زهرة) بقرية كانت لبني زهرة ، قوم من اليهود قال الزبير في فضائل المدينة : كانت قرية كبيرة في الزمن القديم ، وكان فيها ثلثمائة صائغ ، وكان يزيد قد أعذر الى أهل المدينة ، وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس ، واجتهد في استمالتهم الى الطاعة ، والتحذير من الخلاف ، ولكن أبى الله الا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . انتهى .

وغدا له الحجاج يسفكها ويقتل صاحب الايمان والقرآن

وجرى بمكة ما جرى من أجله   من عسكر الحجاج ذي العدوان

وهو الذي أنشا الخوارج مثلما   أنشا الروافض أخبث الحيوان

ولأجله شتموا خيار الخلق بعد الرسل بالعدوان والبهتان

ولأجله سل البغاة سيوفهم   ظناً بأنهم ذوو إحسان

ولأجله قد قال أهل الاعتزا   ل مقالة هدّت قوى الايمان

ولأجله قالوا بأن كلامهُ   سبحانه خلق من الاكوان

ولأجله قد كذبت بقضائه   شبه المجوس العابدي النيران

ولأجله قد خلدوا أهل الكبا   ئر في الجحيم كعابدي الأوثان

ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـــمختار فيهم غاية النكران

ولأجله ضرب الامام بسوطهم صدّيق أهـــل السنة الشيباني

ولأجله قد قـــال جهم ليس رب العرش خارج هذه الأكوان

كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمان

ما فوقها رب يطاع جباهنا تهوي له بسجود ذي خضعان

ولأجله جحدت صفات كماله والعرش أخلوه من الرحمن

ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـــمأوى مقالة كاذب فتّان

ولأجله قالوا الاله معطل أزلاً بغير نهـــاية وزمان

ولأجله قد قال ليس لفعله من غـــاية هي حكمة الديان

ولأجله قـــد كذبوا بنزوله نحو السماء بنصف ليـــل ثان

ولأجله زعموا الكتاب عبارة وحـــكاية عن ذلك القرآن

ما عندنا شيىء سوى المخلوق والـــقرآن لم يسمع من الرحمن

مـاذا كلام الله قط حقيقة لكن مجاز ويح ذي البهتان

ولأجله قتل ابن نصر أحمدا ذاك الخزاعي العظيم الشان

إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان

أي : ولأجـــله قتل الواثق أحمـــد بن نصر بن مالك الخزاعي ،

وقصته معروفة ، ذكرها ابن الجوزي في « مناقب الامام أحمد » رحمه الله تعالى. قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « مناقب الامام أحمد » أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، كان من أهل الدين والصلاح ، والأمارين بالمعروف ، وسمع الحديث من مالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وهشيم في آخرين . وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره. وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة ، فأخذ وحمل الى الواثق . فقال له : دع ما أخذت له ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله . قال : أفترى ربك في القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية . قال : ويحك وكما يرى المحدود المجسم ؟ ودعـــا بالسيف ، وأمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بحبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى اليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه الى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقي أياماً ، وفي الجانب الغربي أياماً .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز باسناده عن أبي بكر المروذي قال : سمعت أباعبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر أحمد بن نصر . فقال : رحمه الله ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه . قال الخطيب : ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد ، وجسده مصلوباً بـ « سر من رأى » ست سنين الى أن حط ، وجمع بين رأسه وبدنه ، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفـــة بالمالكية ، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين .

وهو الذي جر ابن سينا والأُلى　　قالوا مقالته على الكفران

فتأولوا خلق السموات العلى　　وحدوثها بحقيقة الامكان

وتأولوا عـــلم الإله وقوله　　وصفاته بالسلب والبطلان

وتأولوا البعث الذي جاءت به رسل الإله لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد ركّبت حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جر القرامطة الأُلى يتأولون شرائع الايمان
فتأولوا العملي مثل تأول الـــعلمي عندكمُ بلا فرقان
وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران
فجرى على الاسلام أعظم محنة وخمارها فينا الى ذا الآن

قوله : وخمارها فينا الى ذا الآن ؛ أي : أن فتن التتار لم تزل الى زمان الناظم ، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان

وما جرى على الاسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير ، فان حديثهم يأكل الاحاديث ، ولكن نشير الى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبله ، وما فعله شيخ الاسلام رحمه الله ، فان له اليد البيضاء في جهادهم ، قرأت في ترجمته لبعض أصحابه قال : وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمائة كانت وقعــة شقحب المشهورة ، وحصل للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من كرامات الشيخ ، وإجابة دعــائه ، وعظيم جهاده ، وفرط شجاعته ، ونهاية كرمه ، ونصحه للاسلام ، وغير ذلك ما يتجاوز الوصف . قال بعض أصحابه : ثم ساق الله جيش الاسـلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سوقاً حثيثاً للقاء التتار ، فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأعيان الأمراء ، وكلهم ببرج الصفر قبلي دمشق ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، وبقي الشيخ هو

وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بجهاده ولأمة حربه ، يوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، والفوز باحدى الحسنيين ، الى أن صدق الله وعده ، وأعز جنده ، وهزم التتار وحده ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق ، والشيخ في أصحابه شاك في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، مقبولة شفاعته ، مكرماً ، معظماً ، يقول للمداحين : أنا رجل ملة ، لا رجل دولة ، وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة وصدق . قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء : يا فلان الدين ، أوقفني موقف الموت ، فسقته الى مقابلة العدو ، وهم منحدرون لسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ، فرفع طرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، ثم انبعث وأقبل على القتال ، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيته ، حتى فتح الله وانحاز التتار الى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار ، واذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضاً على القتال ، وتخويفاً للناس من الفرار . فقلت : لك البشارة بالنصر ، فهاهم محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم ، قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ودعالي دعاء رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده . وقال ابن فضل الله : وحكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ، ونوبة كسروان ، ما لم يسمع الا عن صناديد الرجال ، وأبطال اللقاء ، وأحلاس الحرب ، تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه ، وركب البريد الى مهنا بن عيسى أمير العرب ، واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان ، واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره ، ولما جاء السلطان الى شقحب ، لاقاه الى قرب الحرة ، وجعل يشجعه ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال : ياخالد بن الوليد . فقال له : لا تقل هذا ، بل قل يا الله ،

«واستغث بالله ربك وحده ، ووحده تنصر ، وقل : يامالك يوم الدين ، إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة ، وتارة على السلطان ، ويهديها ، ويربط جأشها ، حتى جاء نصر الله والفتح . وحكي أنه قال للسلطان : اثبت فانك منصور . فقال له بعض الأمراء : قل : ان شاء الله . فقال : ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فكان كما قال ، وقبل ذلك في نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير، من انفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك ما هو معروف مشهور ، فرحمه الله ورضي عنه .

وجميع مافي الكون من بدع وأحـــداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان لا تأويل أهل العلم والايمان

إذ ذاك تفسير المراد وكشفه وبيان معناه الى الأذهان

قد كان أعلم خلقه بكلامه صلى عليه الله كل أوان

يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان

هذا الذي قالتــه أم المؤمنـــين حكاية عنه لها بلسان

فانظر الى التأويل ما تعني به خير النساء وأفقه النسوان

أتظنها تعني به صرفـــاً عن الـــمعنى القوي لغير ذي الرجحان

وانظر الى التأويل حين يقول علّـــمه لعبد الله في القرآن

ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معنـــاه له ببيان

قول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهمي أخي بهتان

وحقيقة التأويل معناه الرجو ع الى الحقيقة لا الى البطلان

وكذاك تأويل المنام حقيقة المرئي لا التحريف بالبهتان

وكذاك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الايمان

نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد برؤية وعيان

لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان

هذا كلام الله ثم رسوله وأئمة التفسير للقرآن

تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهان

ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان

كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان

تأويل أهل الباطل المردود عند أئمة العرفان والايمان

وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطلان

فجعلتم للفظ معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان

وحملتم لفظ الكتاب عليه حتى جاءكم من ذاك محذوران

كذب على الالفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان

وتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان

إذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعلم أن كلام الناظم في هذه الأبيات هو معنى ما ذكره شيخ الاسلام في « التدمرية » فانه قال : القاعدة الخامسة : إنا نعلم ما أخبرنا من وجه دون وجه ، فان الله قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ وقال : (أفلم يدبروا القول) المؤمنون : ٦٨ وقال : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص : ٢٩ وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤ فأمر بتدبر القرآن كله . وقد قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) آل عمران : ٧ .

وجمهور سلف الأمة وخلفها ، على أن الوقف على قوله : (وما يعلم تأويله الا الله) .

وهذا هو المأثور ، عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم . وروي عن ابن عباس ، أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وقد روي عن مجاهد ، وطائفة ، أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته الى خاتمته ، أقفه عند كل آية ، وأسأله عن تفسيرها ، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق ، فان لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات ، مستعملاً في ثلاثة معان : أحدها ، وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه

وأصوله ، أن التأويـــل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ،وهل ذلك محمود ، أو مذموم ، أوحق ، أوباطل ? والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين . واختلف علماء التأويل ، ومجاهـد إمام المفسرين ، قال الثوري : اذا جاءك التفسير عن مجاهد ، فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي ، والبخاري ، وغيرهما ، فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشـــابه ، فالمراد معرفة تفسيره . الثالث من معاني التأويل : هو الحقيقة التي يؤول اليها الكلام ، كما قـــال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنابالحق) الاعراف : ٦٣ فتأويل مافي القرآن من أخبار المعاد : هو ما أخبر الله به فيه ، مما يكون من القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ونحوذلك ، كما قال في قصة يوسف لما سجدأبواه واخوته : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ فجعل عين ما وجد في الخارج : هو تأويل الرؤيا ، فالتأويل الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ ، حتى يفهم معناه ، أو تعرف علته ، أو دليله ، وهذا التأويل الثالث هو عين ماهو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلي » يتأول القرآن[١] يعني قوله (فسبح بحمد ربك وستغفره) النصر : ٤ وقول سفيان بن عيينة : السنة : هي تأويل الأمر

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ،

والنهي ، فان نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر عنه ، هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر ؛ ولهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ماأمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم بمقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما ، من مقاصدهما ، ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي ، لابد من معرفته ، بخلاف تأويل الخبر . اذا عرف ذلك ، فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد . ولهذا ما يجيء في الحديث ؛ يعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهه ، لأن ما أخبر الله عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة ، يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحماً ، ولبناً ، وعسلاً ، وخمراً ، ونحو ذلك ، وهذا يشبه مـا في الدنيا لفظاً ومعنى ، ولكن ليس هو مثله ، ولا حقيقته كحقيقته ، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، ان لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته ، والاخبار عن الغائب ، لايفهم ، إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها مافي الغائب ، بواسطة العلم بما في الشاهد ، مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب ، أعظم مما في الشاهد ، وفي الغائب ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ؛ فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار ؛ علمنا معنى ذلك ، وفهمنا ما أريد منا فهمه ، بذلك الخطاب ،

وفسرنا ذلك . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها ، مثل التي لم يكن بعد ، وإنما يكون يوم القيامة ؛ فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ؛ ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعـــة ، وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الايمان . فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهولة ، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة ، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى ، وأنه لا يعلم كيف الله الا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو . وقد قال النبي ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في « صحيح مسلم » وغيره . وقال في الحديث الآخر : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو نزلته في ، كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في « المسند » . و « صحيح أبي حاتم » ، وأطال الكلام . وهو كلام نفيس ، وهو معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع   والله ليس لكم بهن يدان

منها دليل صارف للفظ عن   موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدّعي نفس الحقيقة مدّع   للأصل لم يحتج إلى برهان
فاذا استقام لكم دليل الصرف يا   هيهات طولبتم بأمر ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي   قلتم هو المقصود بالتبيان
فاذا أتيتم ذاك طولبتم بأمـــر   ثالث من بعد هذا الثاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما   ذا دلكم أتخرص الكهان
هب أنه لم يقصد الموضوع لـــكن   قد يكون القصد معنى ثان
غير الذي عينتموه وقد يكو   ن اللفظ مقصوداً بدون معان
كتعبد وتلاوة ويكو ذا   ك القصد أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريف لها يسمى بتأ   ويل مع الاتعاب للاذهان
والله ما القصدان في حدسوا[1]   في حكمة المتكلم المنان
بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحــ   ـريف حاشا حكمة الرحمن
وكذاك تبطل قصده إنزالها   من غير معنى واضح التبيان
وهما طريقا فرقتين كلاهما   عن مقصد القرآن منحرفان

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل ، إلزام أهل التأويل أربعة لوازم ، ولا سبيل لهم إلى دليل قاطع بها . الأول : المطالبة بدليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي ، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقية ، فالمدعي النقل عن الحقيقة ، يحتاج إلى دليل قاطع ، فاذا أقاموا الدليل الموجب للصرف

(١) اي في سواه .

عن الحقيقة ، وهيهات ، طولبوا بالأمر الثاني ، وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قلوه. فاذا أقاموا احتمالاً أو احتمالين أو ثلاثة ، طولبوا بالدليل على أن المراد أحد المحتملات ، وليس عندهم إلا التخرص والظن ، وإذا قدرنا أنه لم يقصد الموضوع ، فقد يكون القصد معنى آخر ، كالتعبد ونحوه . وإذ كان المقصود بها التعبد والتلاوة ، فذاك القصد أنفع ، وهو ممكن ، وهو أولى من أن يكون القصد بإنزالها ، تحريفها المسمى بالتأويل ، ولهذا قال الناظم : والله ما القصدان في حد سوا الخ .. أي : أن حكمة المولى سبحانه تأبى ذلك ، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف ، إلا أن ينزل ألفاظاً ليس لها معان . وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان ، طريقتين لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن . وقوله : وعليكم في ذا وظائف أربع الخ .. تقدمت ثلاث منها ، ويأتي الرابع في الفصل بعده ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة   أخرى ولم يأنف من الكفران

قال المراد حقائق الألفاظ تخـ   ـييلاً وتقريباً إلى الأذهان

عجزت عن الأدراك للمعقول إلا   في مثال الحس كالصبيان

كي يبرز المعقول في صور من الـ   ـمحسوس مقبولاً لذي الأذهان

فتسلط التـأويل إبطال لهـــذا القصد وهو جناية من جـان
هذا الذي قد قاله مـع نفيه لحقائق الأُلفاظ في الأُذهان
وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هــذه الخلجـان
وكلاهما اتفقـا على أن الحـــقيقة منتف مضمونهــا ببيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم مـا إن أريدت قطه بالتبيان
لكنّ عندهمُ أريد ثبوتها في الذهن إذ عدمت من الإحسان
اذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهــان أمر ثان
فكلاهما ارتكبا أَشد جناية جنيت على القرآن والايمان
جعلوا النصوص لأجلها غرضاً لهم قـد خرّقوه بأسهم الهذيان

يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة لما فتح المتكلمون باب التأويل ، الذي هو تحريف النصوص ، فإن حقيقة قول المتكلمين : إن الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكناً له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة ، أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وإرادته بعلة أزلية ؛ والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح . وكل هـذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيتـه ، وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الإسلام . والذين اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات . قالوا : بريد جميع المرادات بإرادة واحدة ، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به ، إنما هو شيء واحد لا يتعدد

ولا يتبعض، وإذا رؤي رؤي بلا مواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع، ولم ير الأشياء حتى وجدت، لم يقم به أنه موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك، إلى امثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح، فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء، وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء، وعلموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل - بعد أن لم يكن، ممتنع، بل لا بد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائماً، ثم ادعوا دعوى كاذبة، لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها. وهو أنه إذا كان الفعل دائماً، لزم قدم الأفلاك والعناصر، ثم لما أرادوا تقرير، النبوة جعلوها فيضاً فاض من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم أن له رسولاً معيناً، ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا يعلم الجزئيات ولا نزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ﷺ، وهو العقل الفعال، وأنكروا أن تكون السموات تنشق، وتنفطر، وغير ذلك مما أخبرنا به الرسول ﷺ. وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ، إنما أراد به خطاب الجمهور، بما يخيل إليهم، بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه. وهذا معنى قول الناظم، حكاية عن ابن سينا. قال: المراد حقائق الألفاظ تخييلا وتقريباً إلى الاذهان. لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول، إلا في مثال محسوس. فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس، حتى تقبله أذهان الجمهور. فيقول الناظم: هذا هو الذي قد قاله ابن سينا، مع نفيه لحقائق الألفاظ في

الأذهان . فالتأويل عند ابن سينا الأجل إبطال هذا القصد ، ولهـــذا يحرم التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف ، وأشار الناظم إلى ذلك بقوله :

فلذاك يحرم عندهم تأويله ... لكنه حل لذي العرفان

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتسلط الأوغاد والأوقاح والـــ ... أرذال بالتحريف والبهتان

كل إذا قابلته بالنص قا ... بله بتأويل بلا برهان

ويقول تأويلي كتأويل الذيـــن ... تأولوا فوقية الرحمن

بل دونه فظهورها في الوحي بالنـــصين مثل الشمس في التبيان

أيسوغ تأويل العلو لكم ولا ... تتأولوا الباقي بلا فرقان

وكذاك تأويل الصفات مع انها ... ملء الحديث وملء ذي القرآن

والله تأويل العلو أشد من ... تأويلنا لقيامة الأبدان

وأشد من تأويلنا لحياته ... ولعلمه ومشيئة الاكوان

وأشد من تأويلنا لحدوث هـــذا العالم المحسوس بالإمكان

وأشد من تأويلنا بعض الشرا ... ئع عند ذي الانصاف والميزان

وأشد من تأويلنا لكلامه ... بالفيض من فعال ذي الاكوان

وأشد من تأويل أهل الرفض أخبـــار الفضائل حازها الشيخان

وأشد من تأويل كل مؤول ... نصاً بأن مراده الوحيان

إذ صرح الوحيان مع كتب الإلـــه جميعها بالفوق للرحمن

فلأي شيء نحن كفار بذا التــأويل بـل أنتم على الايمـان

إنا تأولنـا وأنتم قد تـــأولتم فهاتوا واضح الفرقان

ألكم على تأويلـكم أجران حيـث لنا على تأويلنا وزران

هذي مقالتهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان

ردوا عليهم إن قدرتم أو فـنحوا عن طريق عساكر الايمان

لا تحطمنكمُ جنودهم كحطـم السيل ما لاقى من الديدان

الأوغاد : جمع وغد وهو الذي يخدم بملء بطنه . والأوقاح : جمع وقح وهو الذي لاحياء له . يعني أن الأوغاد والأوقاح والارذال من الباطنية والفلاسـفة وغيرهم ، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سبحانه وتعالى ، وفوقيته على خلقه ، وكذا تأويلهم لصفاته تعالى . فقال أولئك للمتكلمين : تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة ، وأشـــد من تأويلنا لحياته سبحانه وعلمه ومشيئته ، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان ، وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال ، وأشد من تأويل الروافض الأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأشد من تأويل كل مؤول ، لأنه قد صرح الوحيان ، وجميع الكتب الإلهية بالفوقيه فلأي شيء نكفر بتأويلنا ، وأنتم مؤمنون . فنحن قد تأولنا كما تأولتم ، فهاتوا فرقاً واضحاً ، وهذا معنى قول الناظم : هذي مقالتهم لكم في كتبهم الخ . فردوا عليهم إن قدرتم ، وهيهات ، وإلا فتنحوا عن

طريق عساكر الإيمان ، فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد ، وذلك أنهم قبلوا ما أخبر الله بـه عن نفسـه ، أو أخبر به رسوله ، إثباتاً بلا تأويل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله . وقالوا : آمنا به كل من عند ربنا ، والحمد لله وحده .

قال الناظم :

وكذا نطالبكم بأمر رابع ... والله ليس لكم بذا إمكان

وهو الجواب عن المعارض إذ به الد ... عوى تتم سليمة الأركان

لكنّ ذاعين المحال ولو يسا ... عدكم عليه رب كل لسان

فأدلة الإثبات حقاً لا يقو ... م لها الجبال وسائر الاكوان

تنزيل رب العالمين ووحيه ... مع فطرة الرحمن والبرهان

أنّى يعارضها كناسة هذه الـ ... أذهان بالشبهات والهذيان

وجعاجع وفراقع ما تحتها ... إلا السراب لوارد ظمآن

فلتهنكم هذي العلوم اللاء قد ... ذخرت لكم عن تابع الإحسان

بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفـ ... قتم لها من بعد طول زمان

والله ما ذخرت لكم لفضيلة ... لكمُ عليهم يا أولي النقصان

لكن عقول القوم كانت فوق ذا ... قدراً وشأنهم فأعظم شان

وهم أجل وعلمهم أعلى وأشـ ... رف أن يشاب بزخرف الهذيان

فلذاك صانهم الإله عن الذي ... فيه وقعتم صون ذي إحسان

سميتم التحريف تأويلاً كذا الـتعطيل تنزيها هما لقبان

وأضفتم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان

فجعلتم الإثبات تجسيماً وتشـبيهاً وذا من اقبح العدوان

فقلبتم تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الإيمان

وجعلتم الممدوح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللبسان

وأردتم أن تحمدوا بالاتبا ع نعم لمن يافرقة البهتان ؟

وبغيتم أن تنسبوا للابتدا ع عساكر الآثار والقرآن

وجعلتم الوحيين غير مفيدة للعلم والتحقيق والبرهان

لكن عقول الناكبين عن الهدى لهما تفيد ومنطق اليونان

وجعلتم الايمان كفراً والهدى عين الضلال وذا من الطغيان

ثم استخفيتم عقولاً ما أرا د الله أن تزكو على القرآن

حتى استجابوا مهطعين لدعوة التـعطيل قد هربوا من الايمان

يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود جبان

هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت في الفصل قبله ، لأنه طالبهم بثلاثة أشياء ، وبقي الرابع : وهو أنا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم ، وهو أدلة الإثبات ، وجوابهم عنها عين المحال . وكيف يعارض النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والفطرة ؛ كناسة الآراء والأذهان ،

وجعاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمآن ، فليهنهم الاعتياض بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين ، والأئمة المهديين ، فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء ، نعوذ بالله من الخذلان .

وقوله : سميتم التحريف تأويلًا الخ . أي : أنهم سموا تحريفاتهم تأويلًا ، وسموا التعطيل تنزيهاً ، وأضافوا الى ذلك أمراً ثالثاً أقبح وأشنع ، وهو أنهم سموا الاثبات تجسيماً وتشبيهاً ، فقلبوا الحقائق ، وجعلوا الممدوح مذموماً ، والمذموم ممدوحاً ، فدلسوا ولبسوا .

وقوله : وأردتم أن تحمدوا بالاتباع الخ .. أي : أنهم أرادوا أن يحمدوا باتباع الكتاب والسنة ، وهم عن ذلك بمراحل ، وهذا معنى قوله : لكن لمن ، ومع ذلك نسبوا للابتداع عساكر الآثار والقرآن ، وصرحوا بأن نصوص الوحيين لاتفيد اليقين ، وأن العلم واليقين إنما يستفاد من غيرهما ، كعقولهم ، ومنطق اليونان ، وقالوا : إذا تعارضت الأدلة اللفظيه والقواطع العقليه بزعمهم ، قدمنا القواطع العقلية ، وجعلوا الايمان كفراً ، والهدى ضلالاً ، ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة غير الزكية ، فاستجابوا مهطعين لدعوتهم ، واتبعوهم على تحريفهم وتأويلهم .

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود وارثهم التحريف منهم وبراءة أهل الاثبات مما رموهم به من هذه الشبه .

هذا وثَمَّ بلية مستورة   فيهم سأبديها لكم ببيان

ورث المحرّف من يهود وهم أولو الـ ـتحريف والتبديل والكتمان
فأراد ميراث الثلاثة منهمُ فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النص محفوظاً فما التـ ـبديل والكتمان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي الـ ـمقصود من تعبير كل لسان
فأتى اليها وهي بارزة من الـ ألفاظ ظاهرة بلا كتمان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقان
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان
وأتى الى حزب الهدى أعطاهمُ شبه اليهود وذا من البهتان
إذ قال إنهم مشبهة وأنـ ـتم مثلهم فمن الذي يلحاني
في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن

مراد الناظم رحمه الله أن المحرف ، أي : المؤول ورث ، التحريف من اليهود . وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان ، فأراد المحرف ميراث الثلاثة منهم ، فعصت عليه ، ولم يمكنه ذلك ، لأن لفظ النص محفوظ ، قد تولى الله حفظه ، كما قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، الحجر : ٩ فعدل الى تبديل المعاني ، لأنها هي المقصودة بالتعبير ، ولم يمكنه الكتمان أيضاً ، فنفى حقائقها ، وأعطى لفظها معنى غير معناه الموضوع له ، فجحد المعنى ، وجنى على اللفظ بالعدوان ، ثم بعد ذلك سمى أهل الاثبات والهدى مشبهة ، وأنهم مثل اليهود ، وهذا معنى قول الناظم : فمن الذي

يلحاني في هتك أستار اليهود وشبههم . ومعنى يلحاني : ينازعني . قال في « القاموس » لاحاه ملاحاة ولحاء : نازعه . انتهى . أي : من ينازعني في هتك أستار المعطلة ، وتشبيههم باليهود . ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال :

يامسلمين بحق ربكم اسمعوا　　قولي وعوه وعي ذي عرفان

ثم احكموا من بعد من هذا الذي　　أولى بهذا الشبه بالبرهان

أم اليهود بأن يقولوا حطة　　فأبوا وقالوا حطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوى　　فأبى وزاد الحرف للنقصان

قال استوى استولى وذا من جهله　　لغة وعقلاً ما هما سيان

عشرون وجهاً تبطل التأويل باستولى فلا تخرج عن القرآن

قد أفردت بمصنف هو عندنا　　تصنيف حبر عالم رباني

ولقد ذكرنا أربعين طريقة　　قد أبطلت هذا بحسن بيان

هي في الصواعق إن ترد تحقيقها　　لا تختفي الا على العميان

نون اليهود ولام جهمي هما　　في وحي رب العرش زائدتان

وكذلك الجهمي عطل وصفه　　ويهود قد وصفوه بالنقصان

فهما اذاً في نفيهم لصفاته العليا كما بينته أخوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ايضاح ماذكره من شبه المعطلة باليهود ،

وأنهم ورثوا منهم التحريف ، فذكر أن اليهود قيل لهم : (قولوا حطة) البقرة : ٥٨ والأعراف : ١٦١ فأبوا وقالوا : حنطة ، وكذلك الجهمية . قيل لهم : استوى ؟ فأبوا وقالوا : استولى : وليس كذلك ، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلاً ، وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهاً ، أفردها شيخ الاسلام في مصنف مفرد ، وقد ساقها الناظم فيما تقدم ، وزاد وجهاً فصارت إحدى وعشرين وجهاً .

قوله : ولقد ذكرنا أربعين طريقة . أي : وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقاً ، ذكرها الناظم رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » وهو في مجلدات في غاية الاجادة والنفاسة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

وقوله : قد أفردت بمصنف هو عندنا الخ . يعني به شيخ الاسلام كما تقدم .

قولـه :

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان

أي : أن الجهمية شابهوا اليهود أيضاً ، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه ، واليهود وصفوه بالنقصان ، فوصفوه بأنه فقير ، تعالى الله عن ذلك ، وأن يده مغلولة ، ووصفوه بالندم ، والتعب ، تعالى الله وتقدس عن افكهم .

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهـــل الاثبات بفرعون ، وقولهم : إن مقالة العلو عنه أخذوها وإنهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه .

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هبه العلو وذاك في القرآن

ولذاك قد طلب الصعود اليه بالصــرح الذي قد رام من هامان

هذا رأيناه بكتبهم ومن أفواههم سمعاً الى الآذان

فاسمع إذاً من الذي أولى بفر عون المعطل جاحد الرحمن

وانظر الى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن

فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الايمان

ويقول ذاك مبدل الدين سا ع بالفساد وذا من البهتان

ان المورث ذالهم فرعون حــين رمى به المولود من عمران

فهو الامام لهم وهاديهم بتــبوع يقودهم الى النيران

هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتــكليم انكاراً على البهتان

إذ قصده إنكار ذات الرب فالتــعطيل مرقاة لذا النكران

وسواه جاء بسلّم وبآلة وأتى بقانون على بنيان

وأتى بذاك مفكراً ومقدراً ورث الوليد العابد الاوثان

وأتى الى التعطيل من أبوابه لا من ظهور الدار والجدران

وأتى به في قالب التنزيه والتـــعظيم تلبيساً على العميان

وأتى الى وصف العلو فقال ذا التــجسيم ليس يليق بالرحمن

فاللفظ قد أنشاه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان

والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيخان

الا أناساً سلموا للوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان

فأتى الصبيان فانقادوا له كالشاء اذ تنقاد للجوبان

فانظر الى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقى من الشيطان

أي : ومن العجائب أن المعطلة تزعم أن العلو مذهب فرعون ، وهذا من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك . قوله : إذ قصده إنكار ذات الرب تعالى الخ . أي : إن قصد فرعون اللعين انكار ذات الرب تعالى. قوله: وسواه جاء بسلم وبآلة الخ ، أي : أن هؤلاء النفاة ، وضعوا القوانين فيما جاءت به الانبياء عن الله ، فما وافق تلك القوانين قبلوه ، وما خالفها لم يتبعوه ، وتأولوه أو فوضوه ، قوله : وأتى بذاك مفكراً ومقدراً . أي : النافي فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسله ، وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة ، الذي ذكره الله تعالى في قوله : (انه فكر وقدر) المدثر : ١٣ الآية . ورحم الله الناظم ، فلقد استعظم نسبتهم مذهب العلو الى فرعون ، فلو دفع الى زمن من زاد في الطنبور نغمة ، وصنف مصنفاً في إيمان فرعون ، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك ،

فمذهبه معلوم ، ومشربه مذموم ، فالله المستعان . قوله : إذ تنقاد للجوبان ، وهو الراعي .

فصل

في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل

قالوا اذا قال المجسم ربنا حقاً على العرش استوى بلسان

فسلوه كم للعرش معنى واستوى أيضاً له في الوضع خمس معان

وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى عمرو فذاك إمام هذا الشان

بين لنا تلك المعاني والذي منها أريـــد بواضح التبيان

يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتلبيسهم ، قالوا : إذا قالت المثبتة : إن الله تعالى استوى على العرش ، فسلوه: كم للعرش معنى . واستوى : كم معنى لها لدى عمرو. أي عند عمرو ، وهو سيبويه ، إمام النحاة ، فإن اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر . قال صاحب « العواصم والقواصم » : إذا قال لك المجسم (الرحمن على العرش استوى) : طه : ٥ فقل : استوى على العرش ، تستعمل على خمسة عشر وجهاً ، فأيها تريد ؟ انتهى . قال شيخ الاسلام في تفسير سورة (الإخلاص) : ومن قال: الاستواء له معان متعددة، فقد أجمل كلامه ، فإنهم يقولون : استوى فقط، ولا يصلونه بحرف ، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا ، وله معنى، واستوى إلى كذا، وله معنى ، واستوى مع كذا ، وله معنى ، فتنوع معانيه بحسب صلاته .

وأما استوى على كذا ، فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : (فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) الفتح : ٢٩ وقال : (واستوت على الجودي)هود : ٤٤ وقال : (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ستويتم عليه) الزخرف : ١٣ وقد أتي النبي ﷺ بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » . وقال ابن عمر : أهل رسول الله ﷺ بالحج ، فلما استوى على بعيره... وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله ايضاً ، فلا يسمون المائل على الشيء مستوياً عليه . ومنه حديث الخليل بن أحمد لما قال : استووا .

وقوله :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

هو من هذا الباب ، فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها ، أي على كرسي ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضاً على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ، ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا ، وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد : فإنه مستو على سرير ملكه ، كما يقال : جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) يوسف : ١٠٠ وقوله : (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء

ولها عرش عظيم) النمل : ٢٣ وقول الزمخشري وغيره: استوى على كذا، بمعنى ملك دعوى ، مجردة ، فليس لها شاهد في كلام العرب . ولو قدر ذلك لكان بهـذا المعنى باطلاً في استواء الله على العرش ، لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والارض، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستيلاء عليـــه مؤخراً عن خلق السموات والارض ؟! وايضاً فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، لا يخص العرش بالاستواء ، وليس هـــذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : (ورب العرش) المؤمنون : ٨٦ فانه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل شيء، وأما الاستواء المختص بالعرش ، فلا يقال: استوى على العرش ، وعلى كل شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا وجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحـــوه من الالفاظ التى تخص وتعم ، كقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق) العلق: ١-٢ فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصاً ولا عموماً ، وهذا مبسوط في موضع آخر . انتهى كلامه .

قال الناظم :

فاسمع فداك معطـل هذي الـــــجعاجع ما الذي فيها من الهذيان

قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي   قد قلته إن كنت ذا عرفان

العرش عرش الرب جل جلاله   واللام للمعهود في الأذهان

ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعان

ومحمد والانبياء جميعهم شهدوا به للخالق الرحمن

منهم عرفناه وهم عرفوه من رب عليه قد استوى ديان

لم تفهم الأذهان منه سرير بلـقيس ولا بيتاً على الأركان

كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان

كلا ولا العرش الذي إن ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني

كلا ولا عرش الكروم وهذه الـأعناب في حرث وفي بستان

لكنها فهمت بحمد الله عـرش الرب فوق جميع ذي الاكوان

وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن

اي أن قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ المراد به عرش الرب سبحانه ، واللام للعهد الذهني ولا تفهم الاذهان من العرش غير ذلك ، كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى : (ولها عرش عظيم) النحل : ٢٣ ولا بيتاً على الأركان كما في قوله تعالى : (خاوية على عروشها) البقرة : ٢٥٩ ولا عرشاً على الماء المذكور في حديث رواه سنيد بن داود في تفسيره مرفوعاً الى النبي ﷺ قال : « إن ابليس اتخذ عرشاً على الماء مثل عرش الرحمن عز وجل ... » الحديث ، وهو حديث منكر ، ولا عرشاً لجبريل ولا العرش المذكور في قولهم : ثل عرشه ، أي : ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : كاد عرشي ان يثل ، ولا عرش الكروم . قال ابن عباس : معروشاً : ما يعرش

من الكروم ، والعروش الأبنية ،وعرش البيت سقفه ، ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه . وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج الى الاسهاب والاطناب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان

لا فيه إجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثاني

تركيبه مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان

فاذا تركب مع الى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان

وإلى السماء قد استوى فمقيد بتمام صنعتها مع الاتقان

لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قد تم بالاركان

لكنما الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان

فاذا اقتضى واو المعية كان معناه استواه مقدم والثاني

فاذا أتى من غير حرف كان معناه الكمال فليس ذا نقصان

لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان

وعلى للاستعلاء فهي حقيقة فيه لدى أرباب هذا الشان

اما الاستواء المطلق فله عدة معان، فإن العرب تقول : استوى كذا ، أي : انتهى ، وكمل. ومنه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص: ١٤ وتقول : استوى وكذا نحو قولهم : استوى الماء والخشبة ، واستوى الليل

والنهار إذا ساواه. وتقول : استوى إلى كذا : إذا قصد اليه علواً وارتفاعاً، نحو : استوى الى السطح والجبل . واستوى على كذا ؛ أي : ارتفع عليه، ولا تعرف العرب غير هذا ، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه، كما هو نص في قوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) القصص : ١٤ لا يحتمل غير معناه، ونص في قولهم : استوى الليل والنهار، في معناه لا يحتمل غيره.

وقول الناظم : تركيبه مع حرف الاستعلاء نص الخ . أي : أن استواء الرب سبحانه المعدى بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السموات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ، لا يحتمل معنيين البتة ، فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة على ، نص في معناه لا يحتمل سواه ، والله علم.

قال الناظم رحمه الله :

وكذلك الرحمن جل جلاله ... لم يحتمل معنى سوى الرحمن

ياويحه بعماه لو وجد اسمه الـــرحمن محتملاً لخمس معان

لقضى بأن اللفظ لا معنى له ... إلا التلاوة عندنا بلسان

فلذاك قال أئمة الاسلام في ... معناه ما قد ساءكم ببيان

ولقد أحلناكم على كتب لهم ... هي عندنا والله بالكيمان

يقول الناظم رحمـــه الله : وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى سوى الرحمن .

قوله : ياويحه بعماه ، اي : ياويح المعطل بسبب عماه ، لو وجد اسم

الرحمن محتملا لخمسة معان لأظهرها، وقضى، أي حكم بأنه لا معنى للرحمن الا التلاوة . وقد قال أئمة الاسلام في معناه : ما ساءكم أيها المعطلة ، وهو موجود في كتبهم بالكيمان ، أي : بالكثرة . ولنذكر بعض ماذكره العلماء في معنى الرحمن الرحيم . كما أحال على ذلك الناظم ، فهما اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين ، أو بتنزيله منزلة اللازم، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً . كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيده زائده من المبالغة، كحذر وحاذر، فان حذر أبلغ من حاذر . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها، وهو الله . والرحيم : ذو الرحمة الكثيرة .

وقال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ، ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم في القرآن ورد غير تابع معنى ، كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى ،حسن مجيئه مفرداً غير تابع ، كمجيء اسمه (الله) كذلك ، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ،ولم يجيء قط تابعاً لغيره، بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ، ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله تعالى : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم . وكأن الأول الوصف ،والثاني الفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه رحمة ، أي : صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته .

قال رحمه الله تعالى : وهذه النكته لا تكاد تجدها في كتاب ، وان تنفست عندها مرآت قلبك ، لم تنجل لك صورتها . انتهى .

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها .

واللفظ منه مفرد ومركب   في الاعتبار فما هما سيان

واللفظ في التركيب نص في الذي   قصد المخاطب منه في التبيان

أو ظاهر فيه وذا من حيث نسبته إلى الأفهام والأذهان

فيكون نصاً عند طائفة وعند سواهمُ هو ظاهر التبيان

ولدى سواهم مجمل لم يتضح   لهمُ المراد به اتضاح بيان

فالأُولون لإلفهم ذاك الخطا ... ب وإلفهم معناه طول زمان

طال المراس لهم لمعناه كما اشــتدت عنايتهم بذاك الشان

والعلم منهم بالمخاطب إذ همُ ... أولى به من سائر الإنسان

ولهم أتم عناية بكلامه ... وقصوده مع صحة العرفان

فخطابه نص لديهم قاطع ... فيما أريد به من التبيان

لكنّ من هو دونهم في ذاك لم ... يقطع بقطعهم على البرهان

ويقول يظهر ذا وليس بقاطع ... في ذهنه لا سائر الأذهان

ولإلفه بكلام من هو مقتد ... بكلامه من عالم الازمان

هو قاطع بمراده وكلامه ... نص لديه واضح التبيان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هـذا الفصل أن الألفاظ قسمان : مفرد ومركب ، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب ،أو ظاهر،وأن ذلك من الامور النسبية ،أي: بالنسبةالى الافهام والأذهان ، فيكون نصاً بالنسبة الى طائفة ، وعند طائفة هو ظاهر ، وعند غيرهم هو مجمل ، و المجمل هو اللفظ المتردد بين محتملين فأكثر على السواء ، وقيل : ما لم تتضح دلالته ، وقيل : ما أفاد جملة من الاشياء .وقيل: مالا يفهم منه عند الإطلاق معنى . أي : معين . وقيل : ما لا يفهم منه مراد المتكلم .

قوله : فالأولون ، أي : الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم للمعنى ، وطول ممارستهم لمعناه لشـــدة عنايتهم بمعرفة الخطاب ، وعلمهم

بالمخاطب ـ بكسر الطاء ـ فيكون خطابه عندهم نصاً قاطعاً . وأما الطائفة الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الخصال التي تقدمت ، يرون ذلك ظاهراً ، أي : بالنسبة إليهم لا الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : وليس بقاطع الخ . وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه يقطع بمراده ، وكلامه عنده نص واضح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والفتنة العظمى من المتسلق المـــخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان

لم يعرف العلم الذي فيه الكلا　　م ولا له إلف بهذا الشان

لكنه منه غريب ليس من　　سكانه كلاً ولا والجيران

فهو الزنيم دعيّ قوم لم يكن　　منهم ولم يصحبهم بمكان

وكلامهم أبداً لديه مجمل　　وبمعزل عن إمرة الايقان

شد التجارة بالزيوف يخالها　　نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان

حتى إذا ردت إليه ناله　　من ردها خزي وسوء هوان

فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن　　نقد الزيوف يروج في الأثمان

ورأى استحالة ذا بدون الطعن في　　باقي النقود فجاء بالعدوان

واستعرض الثمن الصحيح بجهله　　وبظلمه يبغيه بالبهتان

عوجا ليسلم نقده بين الورى　　ويروج فيهم كامل الأوزان

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال ، وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ، ولا إلف لهم به ، فهم غرباء منه ليسوا من سكانه ولا جيرانه ، فاذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل وبمعزل عن اليقين .

قوله : فهو الزنيم دعي قوم ... الخ . قال في « القاموس » : الزنيم : المستلحق في قوم ، والدعي مزنم كمعظم : اللئيم المعروف بلؤمه أو شره انتهى . وفي « مختار الصحاح » : الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم لايحتاج إليه ، وكأنه فيهم زنمة ، وهي شيء يكون للمعز في آذانها كالقرط ، وهي أيضاً شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقاً . وقوله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) القلم : ١٣ قال عكرمة : هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها . انتهى .

قوله : شد التجارة بالزيوف .. الخ . قال في « القاموس » : والدراهم زيوفاً ، صارت مردودة لغش درهم زيف وزائف ، أو الأولى ردية جمع زياف ، وفلان الدراهم جعلها زيوفاً كزيفها هي ، أي : أن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقوداً صحيحة ، فلما ردت عليه ناله من ردها أشد الخزي وأعظم الهوان ، فأراد تصحيحها ، وأنى ذلك!؟ فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجهله وظلمه ، يبغيها عوجاً حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطغام.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس ليسوا أهل نقد للذي ... قد قيل إلا الفرد في الازمان

والزيف بينهم هو النقد الذي ... قد راج في الأسفار والبلدان

إذهم قد اصطلحوا عليه وارتضوا بجوازه جهراً بلا كتمان

فإذا أتاهم غيره ولو انه ذهب مصفي خالص العقيان

ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره بمراسم السلطان

فاذا تعاملنا بنقد غيره قطعت جوامكنا من الديوان

والله منهم قد سمعنا ذا ولم نكذب عليهم ويح ذي البهتان

أي : أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيوف ، اللهم إلا الواحد بعد الواحد في الأزمنة . والنقد الزائف هو الذي قد راج بين الناس ، فإذا أتى الناس غيره ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان : أي : الذهب ، لأن العقيان هو الذهب ، ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره، فإذا تعاملنا بغير ذاك النقد قطعت جوامكنا من الديوان .

قوله : والله منهم قد سمعنا ذا ... الخ . وبئس ما فعلوا حيث اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله :

يا من يريد تجارة تنجيه من غضب الإله وموقد النيران

وتفيده الأرباح بالجنات والـ ـحور الحسان ورؤية الرحمن

في جنة طابت ودام نعيمها ما للفناء عليه من سلطان

هيء لها ثمناً تباع بمثله لا تشترى بالزيف من أثمان

نقداً عليه سكة نبوية ضرب المدينة أشرف البلدان

أظننت يامغرور بائعها الذي يرضى بنقد ضرب جنكسخان

منتك والله المحال النفس إن طمعت بذا وخدعت بالشيطان

فاسمع إذاً سبب الضلال ومنشأ التـــخليط اذ يتناظر الخصمان

يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان

واللفظ حين يساق بالتركيب محـــفوف به للفهم والتبيان

جند ينادي بالبيان عليه مثـــل ندائنا باقامة وأذان

كي يحصل الإعلام بالمقصود من إيراده ويصير في الأذهان

فيفك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الاركان

ويروم منه لفظه قد حملت معنى ســـواه في كلام ثان

فيكون دبوس السلاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان

فيقول هذا مجمل واللفظ محـــتمل وذا من أعظم البهتان

وبذاك يفسد كل علم في الورى والفهم من خبر ومن قرآن

إذ أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الـــأفراد قبل العقد والتبيان

لكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملا لدى الوحدان

فاذا تجرد كان محتملا لغـــير مراده أو في كلام ثان

لكنّ ذا التجريد ممتنع فان يفرض يكن لاشك في الاذهان

والمفردات بغير تركيب كمثـــل الصوت تنعقه بتلك الضان

وهنالك الاجمال والتشكيك والتـجهيل والتحريف والاتيان بالبطلان

فاذا همُ فعلوه راموا نقله لمركب قد حف بالتبيان

وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الوحدان

جهلا وتجهيلا وتدليساً وتلـــبيساً وترويجاً على العميان

يعني الناظم رحمه الله أن اللفظ حين يساق بالتركيب فمحفوف بـــه من القرائن ما يبين المراد ، وذلك معنى قوله : جند ينادي عليه ...الخ . أي : فإذا أتى معاند وفك تركيب الكلام وقلقل أركانه ، وأراد منه لفظة قد حملت معنى آخر في كلام ثان .

وقوله : فيكون دبوس السلاق. قال في « القاموس » : دبوس كتنور واحد الدبابيس للمقامع كأنه معرب . سلق العظم : التحاه وفلاناً طعنه ، فيقول: يحتمل ويحتمل ، وهذا اللفظ مجمل ، فبذاك تفسد علوم الورى ، لأن ، أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الإفراد قبل التركيب . ولكن الأمر كما قال الناظم :التجريد ممتنع ، وإن فرض فهو في الأذهان. وأما المفردات فهي كمثل الصوت تنعقـــه بالضان ، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف والله المستعان .

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضلالهم ... وضلالهم في المنطق اليونان
كمجردات في الخيال وقد بنى ... قوم عليها أوهن البنيان
ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً ... ووجودها لو صح في الاذهان
أني وتلك مشخصات حصّلت ... في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت ... أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين ... فرد كذا المعنى هما سيان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج ... عن كل قيد ليس في الامكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج ... هو كالخيال لطيفة السكران
لكن تجردها المقيد ثابت ... وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرد الاعيان عن وصف وعن ... وضع وعن وقت لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر ... ض المستحيل هما لها فرضان
الله أكبركم دهى من فاضل ... هذا التجرد من قديم زمان
تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها ... وكذاك تجريد المعاني الثاني

والحق أن كليهما في الذهن مفـــروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان

فيقودك الخصم المعاند بالذي سلمته للحكم في الأعيان

فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجملوا فعليك بالتبيان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن غلط المتكلمين في تجريد الألفاظ، يشبه غلط الفلاسفة في تجريد المعاني، وذلك أن الفلاسفة يزعمون أن الجواهر العقلية التي هي العقل والنفس والمـــادة والصورة، لها حقيقة في الخارج، والصواب أنه لا حقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن يجردها العقل من الأمور المعينة، كما يجوز العقل الكليات المشتركة بين الأصناف كالحيوانية الكلية، والانسانية الكلية. والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان، وهذا معنى قول الناظم : يدعونه الكلي وهو معين ... الخ .

ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات، وأن في الخارج ماهيات كلية مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة، وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية، ومنهم يثبت دهراً مجرداً عن المتحرك والحركة، ويثبت خلاءاً مجرداً ليس متحيزاً، ولا قائماً بمتحيز، ويثبت هيولى مجردة عن جميع الصور. الهيولى في لغتهم بمعنى : المحل. يقال للفضة هيولى الخاتم، والدرهم والخشب هيولى الكرسي، أي هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة. وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض، ويدعون أن الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه، وهذا غلط، وإنما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد، وعدد مجرد عن كل معدود، ومقدار مجرد عن كل مقدر وهـذه كلها أمور

مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان ، وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها، وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها، ؛ ماهياتها جميع القيود الخارجة، فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها ، فأثبتوا إنساناً لا طويلاً ولا قصيراً، ولا أسود ولا أبيض، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا ساكناً ولا متحركاً ، ولا هو في العالم ولا خارجه ، ولا له لحم ولا عظم ، ولا عصب ولا ظفر، ولا له شخص ولا ظل، ولا يوصف بصفة ، ولا يتقيد بقيد . ثم رأوا الإنسان الخارجي بخلاف ذلك كله، فقالوا: هذه عوارض خارجة عن حقيقته، وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها ، فهي المعنى لحقيقة هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود ، وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنساناً في الخارج ، لأنها خارجة عن حقيقته، كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيداً إلا بها ، مقتضية لمجازه ، فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين ، هؤلاء في تجريد المعاني ، وهؤلاء في تجريد الألفاظ ، وتأمل ما دخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في اللفظ والمعنى ، وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وهذا معنى قول الناظم : فتجرد الأعيان عن وصف ... الخ . أي أن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل.

قوله : الله أكبر كم دهي من فاضل ، فإياك والإصغاء إلى التجريدين ، لأن الحق أنهما مفروضان في الذهن ، فلا تسلم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيهما، فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوباً معه مقهوراً والله أعلم .

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان

وأبوا بأن يتمسكوا بظواهر النـــصين واعجبا من الخذلان

قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان

فاذا تأولنا عليهم كان إبــطالا لما راموا بلا برهان

فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيــان

ياليتهم أجروا نصوص الوحي ذا الــمجرى من الآثار والقرآن

بل عندهم تلك النصوص ظواهر لفظية عزلت عن الايقان

لم تغن شيئاً طالب الحق الذي يبغي الدليل ومقتضى البرهان

وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ سموه تأويلا بوضــع ثان

فانظر الى الأعراف ثم ليوسف والكهف وافهم مقتضى القرآن

فاذا مررت بآل عمران فهمــت القصد فهم موفق رباني

معنى كلام الناظم في هذا الفصل أن النفاة تمسكوا بظواهر المنقول عن مشايخهم ، وأبوا عن التمسك بظواهر النصين ، ويحرم عندهم تأويل قول المشايخ ، لان قصدهم الشرح والبيان قالوا : فاذا تأولنا عليهم ، كان

ذلك إبطالاً لما قصدوه ، فلذاك حملوا نصوصهم على ظواهرها، واعتقدوها على حقيقتها ، فياليتهم أجروا نصوص الكتاب والسنة هذا المجرى ، ولكن عندهم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، ولذلك سطوا عليها بالتحريف، وسموه تأويلاً، وتأويلهم هذا ليس هو المعنى بالتأويل في الكتاب والسنة ، ولهذا قال الناظم : فانظر الى الأعراف .. الخ يعني قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) الأعراف : ٥٣ وقوله تعالى في سورة يوسف : (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يوسف : ١٠٠ وقوله تعالى في سورة الكهف عن الخضر في قصة موسى: (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً) الكهف : ٨٣ .

قوله : فاذا مررت بآل عمران ... الخ . يعني قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) آل عمران : ٧ .

قال شيخ الاسلام : إن الصواب قول من يجعله معطوفاً ، وتكون الواو لعطف المفرد على مفرد ، أو يكون كلا القولين حقاً ، وهي قراءتان ،والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، وأن الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله ، هو الكيفيات التي لايعلمها غيره ، وهذا فيه نظر، وابن عباس جاء عنه أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ، أن الراسخين لايعلمون تأويله ، وجاء عنه أنه قال : التفسير على اربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ،ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم ،وأن فيه مالا يعلمه إلا الله ، فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله :

(الا الله) آل عمران : ٧ جعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .
انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعلمت أن حقيقة التأويل تبـ ـيين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا ك الاصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا الى الالحاد في الأسماء والتـ ـحريف للألفـاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تلبيساً وتد ليساً على العميان والعوران

تقدم معنى هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاستن كل منافق ومكذب من باطني قرمطي جـاني
في ذا بسنتهم وسمى جحده للحق تأويلا بلا فرقان
وأتى بتأويل كتأويلاتهم شبرا بشبر صارخاً بأذان
إنّا تأولنا كما أولتمُ فأتوا نحاكمكم الى الوزان
في الكفتين تحط تأويلاتنا وكذاك تأويلاتكم بوزان
هذا وقد أقررتم أنا بأيـ ـدينا صريح العدل والميزان
وغدوتم فيه تلاميذاً لنـا أو ليس ذلك منطق اليونان

منا تعلمتم ونحن شيوخكم لاتجحدونا منة الاحسان

فسلوا مباحثكم سؤال تفهم وسلوا القواعد ربة الاركان

من أين جاءتكم وأين أصولها وعلى يدي من ياأولي النكران؟!

فلأي شيء نحن كفار وأنـــتم مؤمنون ونحن متفقان؟

إن النصوص أدلة لفظيــة لم تفض قط بنا الى إيقان

فلذاك حكمنا العقول وأنتم ايضاً كذاك فنحن مصطلحان

فلأي شيء قد رميتم بيننا حرب الحروب ونحن كالاخوان

الاصل معقول ولفظ الوحي معــزول ونحن وأنــتم صنوان

لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضاً كذاك فنحن مصطلحان

فذروا عداوتنا فان وراءنا ذاك العدو الثقل ذو الاضغان

فهمُ عدوكمُ وهم أعداؤنا فجميعنا في حربهم سيان

تقدم الكلام في معنى هذه الابيات، ومعنى ذلك أن القرامطة والباطنية ونحوهم من أعداء الشريعة، كلهم يقولون لنفاة علو الرب تعالى على عرشه وصفاته: تأويلنا ما في الكتاب والسنة، من ذكر المعاد، وحياة الرب ومشيئته، وعلمــه، وتأويلنا لحدوث العالم ونحو ذلك كتأويلكم، فلأي شيء نحن كفار، وأنتم مؤمنون؟! فهاتوا واضح الفرق بيننا وبينكم، ولن يجد المتكلمون إلى ذلك سبيلاً، فإن القرامطة والباطنيــة

لما جحدوا الشريعة ، وتأولوا التأويلات الشنيعة ، فتأولوا العلميات مع العمليات ، فقالوا : الصلوات الخمس معرفة أسرارنا ، وصيام شهر رمضان كتمان أسرارنا ، والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين ، وإنما فتح لهم هـــذا الباب الجهمية والرافضة ، حيث صـــار بعضهم يقول : الامام المبين علي بن أبي طالب ، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، والبقرة المأمور بذبحها عائشة ، واللؤلو والمرجان الحسن والحسين ، فلســـان حال القرامطة أو قالهم يقول للجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل التحريف والتأويل : إذا كنا نحن وانتم قـــد حكمنا العقول ، فلأي شيء تنصبون لنا العداوة ، وترمون بيننا الحرب؟! فإن العرش عندنا وعندكم ليس فوقه إلا العدم المحض ، والنفي الصرف ، وكذا عنـــدنا أن الكتب المنزلة ليست كلام الله ، بل هي فيض من (العقل) الفعال ، وعندكم أنها مخلوقة ، فعندنا وعندكم أنه لا قول لله سبحانه في الأرض ، وليس فوق السماء رب ، وكذا عندنا رؤيته تعالى محال ، وعند متقدميكم أنه لا يرى ، لكن متأخروكم يقولون : يرى رؤية المعدوم ، لأنهم يقولون : يرى ولكن لا بشرط اتصال الأشعة ، ومقابلة الرائي المرئي ، فعلام هذا الحرب مع الوفاق ، والصلح الذي بيننا ؟ ! فدعوا عداوتنا ، واحملوا معنا على المجسمة ، فانهم أعداؤنا وأعداؤكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

تلك المجسمة الألى قالوا بـــأن الله فوق جميع ذي الاكوان

واليه يصعد قولنا وفعالنـــا واليه ترقى روح ذي الايمان

واليه قد عرج الرسول حقيقة وكذا ابن مريم مصعد الابدان

وكذاك قالوا إنه بالذات فو ق العرش قدرته بكل مكان

وكذاك ينزل كل آخر ليلة نحو السماء فهاهنا جهتان

للابتداء والانتهاء وذان للـ أجسام اين الله من هذان

وكذاك قالوا إنه متكلم قام الكلام به فيا إخوان

أيكون ذاك بغير حرف أم بلا صوت فهذا ليس في الامكان

وكذاك قالوا ما حكينا عنهم من قبل قول مشبه الرحمن

فذروا الحراب لنا وشدوا كلنا جمعاً عليهم حملة الفرسان

حتى نسوقهم بأجمعنا الى وسط العرين ممزقي اللحمان

قال في « القاموس » : العرين كأمير : مأوى الاسد ، والضبع ، والذئب ، والحية . انتهى .

ولقد كووا بالنصوص ومالنا بلقائها أبد الزمان يدان

كم ذا بقال الله قال رسوله من فوق أعناق لنا وبنان

اذ نحن قلنا قال آرسطو المعـ لم اولاً او قال ذاك الثاني

وكذاك ان قلنا ابن سينا قال ذا او قاله الرازي ذو التبيان

قالوا لنا قال الرسول وقال في الـ قرآن كيف الدفع للقرآن

وكذاك أنتم منهم ايضاً بهـ ـذا المنزل الضنك الذي تريان

ان جئتموهم بالعقول أتوكم بالنص من أثر ومن قرآن

فتحالفوا إنا عليهم كلنا حزب ونحن وأنتم سلمان

فاذا فرغنا منهم فخلافنا سهل فنحن وأنتم أخوان

فالعرش عند فريقنا وفريقكم ما فوقه أحد بلا كتمان

مافوقه شيء سوى العدم الذي لا شيء في الاعيان والاذهان

ما الله موجود هناك وانما الـعدم المحقق فوق ذي الاكوان

والله معدوم هناك حقيقة بالذات عكس مقالة الديصان

هذا هو التوحيد عند فريقنا وفريقكم وحقيقة العرفان

وكذا جماعتنا على التحقيق في التـوراة والانجيل والفرقان

ليست كلام الله بل فيض من الـفعال او خلق من الاكوان

فالأرض مافيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان

بشر أتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان

ولذاك قلنا إن رؤيتنا له عين المحال وليس في الامكان

وزعمتم أنا نراه رؤية الـمعدوم لا الموجود في الاعيان

اذ كل مرئي يقوم بنفسه او غيره لابد في البرهان

من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان

ولقد تساعدنا على ابطال ذا   أنتم ونحن فما هنا قولان

أما البلية فهي قول مجسم   قال القران بدا من الرحمن

هو قوله وكلامه منه بدا   لفظا ومعنى ليس يفترقان

سمع الامين كلامه منه وأداه الى المختار من انسان

فله الأداء كما الأدا لرسوله   والقول قول الله ذي السلطان

هـذا الذي قلنا وأنتم إنه   عين المحال وذاك ذو بطلان

فاذا تساعدنا جميعاً انه   مـا بيننا لله من قرآن

إلا كبيت الله تلك اضافة الـمخلوق لا الأوصاف للديان

فعلام هذا الحرب فيما بيننا   مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان!؟

فاذا أبيتم سلمنا فتحيزوا   لمقالة التجسيم بالاذعان

عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ   إثبات دين مشبه الديان

أولا فلا منا ولا منهم وذا   شأن المنافق إذ له وجهان

هذا يقول مجسم وخصومه   ترميه بالتعطيل والكفران

هو قائم هو قاعد هو جاحد   هو مثبت تلقاه ذا لونان

يوماً بتـأويل يقول وتارة   يسطو على التأويل بالنكران

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان

فيقول ما يفضي الى التجسيم أو لناه من خبر ومن قرآن

كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذاك لفظ يدان

إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للواحد المنان

فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفضي الى التجسيم والحدثان

فوصفته بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسيّ وهو معان

أو واحد والجسم حامل هذه الـ أوصاف حقاً فأت بالفرقان

بين الذي يفضي الى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان

والله لو نشرت شيوخك كلهم لم يقدروا أبدا على الفرقان

شرع الناظم رحمه الله في مطالبة المتكلمين في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من نصوص الكتاب والسنة ، وذلك أن بعض المتكلمين يثبت الصفات السبعة ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . وبعضهم يزيد على هذه الصفات صفة التكوين ، فتصير الصفات الثابته عندهم ثمانية ، فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه ونفيتموه ، بل القول في

أحدهما كالقول في الآخر ، فان قلتم : إن ارادته مثل إرادة المخلوقين ، فكذلك محبته ، ورضاه، وغضبه ، وهذا هو التمثيل .وإن قلتم : له ارادة تليق به . قيل لكم: وكذلك له محبة تليق بـه ، والمخلوق محبةتليق به . وله سبحانه رضى وغضب يليق به ، وللمخلوق رضى وغضب يليق به ، وان قلتم : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال لكم : الارادة ميل النفس الى جلب منفعة، أو دفع مضرة . فان قلتم : هذه ارادة المخلوق قيل لكم: وهذا غضب المخلوق، وكذلك يلزمون بالقول في كلامه، وسمعه، وبصره ، وعلمه ، وقدرته، إن نفوا عنه المحبة والرضى ، والغضب، ونحو ذلك بماهو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتف عن السمع ، والبصر ، والكلام ، وجميع الصفات . وان قلتم : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين . قيل لكم : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والقدرة ، والعلم ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض،يقال له فيما نفاه، كمايقوله هو لمنازعه فيما أثبته، وهذاهو معنىقول الناظم:فيقول ما يفضي الى التجسيم الخ . . . وهذا الالزام لازم لهم كما ترى ، وجوابهم عنه في غاية الصعوبة . ولهذا قال الناظم :

واللہ لو نشرت شيوخك كلهم   لم يقدروا أبداً على الفرقان

وقوله : فأت بالقرآن، كذا في النسخ ، والصواب فأت بالفرقان.أي بالفرقان بين ما يتأول وما لا يتأول .

فصل

في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمهم في نفسه فرقاً سوى هذا الذي تريان
هذي الصفات عقولنا دلت على إثباتها مع ظاهر القرآن
فلذاك صناها عن التأويل فاعـجب يا أخا التحقيق والعرفان
كيف اعتراف القوم أن عقولهم دلت على التجسيم بالبرهان
فيقال هل في العقل تجسيم أم الـ معقول ينفيه كذا النقصان
إن قلتم ينفيه فانفوا هذه الـ أوصاف وانسلخوا من القرآن
أو قلتم يقضي باثبات له ففراركم منها لأي معان؟!
أو قلتم ينفيه في وصف ولا ينفيه في وصف بلا برهان
فيقال ما الفرقان بينهما وما الـ برهان فأتوا الآن بالفرقان
ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان
مـع رأفة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن
ولذاك خصوا بالكرامة دون أعـداء الإله وشيعة الكفران
وهو الدليل لنا على غضب وبغـض منه مع مقت لذي العصيان

والنص جاء بهذه الأوصاف مع ... مثل الصفات السبع في القرآن

ويقال سلّمنا بأن العقل لا ... يقضي اليها فهي في الفرقان

أفنفي آحاد الدليل يكون للـ ... ـمدلول نفياً يا أولي العرفان

أو نفي مطلقه يدل على انتفا المـ ... ـدلول في عقل وفي قرآن

أفبعد ذا الانصاف ويحكم سوى ... محض العناد ونخوة الشيطان

وتحيز منكم اليهم يا أولي الـ ... ـقرآن والآثار والايمان؟!

ذكر الناظم لمثبتي بعض الصفات دون بعض فرقاً آخر، وبين بطلانه، وذلك أنهم إن قالوا: أثبتنا تلك الصفات، لأن العقل دل على إثباتها مع النقل، فان الفعل الحادث دل على القدرة، والتخصيص دل على الارادة، والإحكام دل على العلم، وهذا الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع، والبصر، والكلام. أو ضد ذلك، فيقال لهم عن هذا جوابان:

أحدهما أن يقال: عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكتموه من الدليل العقلي لايثبت ذلك، فإنه لا ينفيه، وليس لكم أن تنفوه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت، والسمع قد دل عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولاسمعي، فيجب اثبات ماأثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يقال: يمكن لاثبات هـذه الصفات بنظير ما أثبتم به تلك من العقليات، فيقال: نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، واكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكافرين

يدل على بغضهم ، كما قد ثبت بالشهادة والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة ، تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى ، لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان مافي القرآن من بيان ما في المخلوقات من النعم والحكم ، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة، وهذا شرح كلام الناظم في هذا الفصل ، والله أعلم .

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامه عقلاً ونقلاً

واعلم بأن طريقهم عكس الطريـــق المستقيم لمن له عينـــان
جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحـــكام موزونا به النصـــان
وكلام رب العالمين وعبده متشـابهاً متحملاً لمعان
فتولدت من ذينك الأصلين أو لاد أتت للغي والبهتان
إذ من سفاح لا نكاح كونها بئس الوليد وبئست الألوان
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم فكأنها جيش لذي سلطان
والعزل والابقاء مرجعه الى السـلطان دون رعية السلطان
وكذاك أقوال الشيوخ فإنها المـــيزان دون النص والقرآن

إن وافقا قول الشيوخ فمرحباً | أو خالفت فالدفع بالإحسان
إما بتأويل فإن أعيى فتفـــويض ونتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم | فظواهر المنقول ذات معان
والنص فهو به عليم دوننا | وبحاله مـــا حيلة العميان
الا تمسكهم بأيدي مبصر | حتى يقودهم كذي الأرسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا | كون المقلَّد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا | ه بغيرما (هدي ولا)[1] برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا | معناهما عجباً لذي الحرمان

أشار الناظم رحمه الله تعالى لهذه الأبيات إلى أن طريق النفاة عكس طريق أهل الاستقامة، فإن النفاة جعلوا كلام شيوخهم نصاً محكماً. وقول الناظم: جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الاحكام، هو بكســـر الهمزة، أي محكماً، وكلام الله ورسوله متشابهاً مجملاً، فلما بنوا الأمر على هـــذين الأصلين الباطلين تولد من ذلك أنهم يعرضون النصوص على كلام مشايخهم، فإن وافقتها قبلوها وإن خالفتها دفعوها إما بالتأويل، فإن عجزوا عن ذلك فالتفويض. ويقولون: كلام الشيخ أولى، وهو أعلم منا بالنصوص، ونحن مقلدون، ونحن كالعميان، والأعمى لا بد له من قائد ونحو ذلك.

قال الناظم: فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلد صاحب البرهان. المقلد بفتح اللام، أي عجبـــاً لعميان البصائر كيف أبصروا أن مقلدهم أولى بالصواب من غيره من المقلدين، فاعجب لهذا الحرمان.

---

(١) زيادة ليست في الاصل، ولا في غيره من النسخ، ولايستقيم الوزن بدونها.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قول الشيوخ أتم تبيانا على الـــوحيين لا والواحد المنـــان

النقل نقل صادق والقول من ذي عصمة في غاية التبيان

وسواه إما كاذب أو صح لم يك قول معصوم وذي تبيان

أفيستوي النقلان يا أهل النهى والله لا يتماثل النقلان

هذا الذي ألقى العداوة بيننا في الله نحن لأجله خصمان

أي أنهم لما عموا عن الوحيين ، وزعموا أنهم لا يفهمون معناهما، فكيف يفهمون كلام الشيوخ ، مع أن الوحيين أتم بياناً من كلامهم، ولأن الوحيين نقل صادق عن قائل معصوم . وأما أقوال الشيوخ فهي إما نقل كاذب، وان صحت فهي عن غير معصوم ، فهل يستوي النقلان ؟ كلا وهيهات .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم لكن نصرنا موجب القرآن

ولنا سلوك ضد مسلكهم فما رجلان منا قط يلتقيان

إنا أبينا أن ندين بما بـــه دانوا من الآراء والبهتان

إنا عزلناها ولم نعبأ بهـا يكفي الرسول ومحكم الفرقان

من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمـان

من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ه الله في قلب ولا أبدان

من لم يكن يغنيه ذان رماه رب العرش بالإعدام والحرمان

من لم يكن يهديه ذان فلا هدا ه الله سبل الحق والإيمان

إن الكلام مع الكبار وليس مع تلك الأراذل سفلة الحيوان

أو ساخ هذا الخلق بل إنتانه جيف الوجود وأخبث الانتان

الطالبين دماء أهل العلم بالـــكفران والعدوان والبهتان

الشاتمي أهل الحديث عداوة للسنة العليا مع القرآن

جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم فالله يقطعها من الأذقان

كبراً وإعجاباً وتيها زائداً وتجاوزاً لمراتب الإنسان

لو كان هذا من وراء كفاية كنا حملنا راية الشكران

لكنه من خلف كل مخلّف عن رتبة الإيمان والإحسان

قوله : كبراً وإعجاباً ... الخ هذا مأخوذ من قول القائل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلى بتكلف

فلو كان هذا من وراء كفاية لهان[1] ولكن من وراء تخلف

قال الناظم رحمه الله تعالى :

من لي بشبه خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا إحسان

ولهم نصوص قصروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان

وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

---

(١) في الاصل لهاء ، وهو خطأ .

يقول الناظم : إن الخوارج أحسن حالاً منكم أيها الخصوم ، لأن الخوارج في تكفيرهم بالذنوب أخذوا بنصوص الوعيد لكن أخطؤوا في ذلك ، وقصرت أفهامهم . وأما أنتم فخالفتم النصوص وكفرتم من أخذبها وقدمها على غيرها، بل كفرتم بما هو غاية التوحيد والإيمان .

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج .

ومن العجائب أنهم قالوا لمن ‏ قد دان بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج إنهم ‏ أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان

فانظر الى ذا البهت هذا وصفهم ‏ نسبوا إليه شيعة الإيمان

سلوا على سنن الرسول وحزبه ‏ سيفين سيف يد وسيف لسان

خرجوا عليهم مثلما خرج الألى ‏ من قبلهم بالبغي والعدوان

والله ما كان الخوارج هكذا ‏ وهم البغاة أئمة الطغيان

كفرتم أصحاب سنته وهم ‏ فساق ملته فمن يلحاني

إن قلت هم خير وأهدى منكم ‏ والله ما الفئتان مستويان

شتان بين مكفر بالسنة العليا وبين مكفر العصيان

قلتم تأولنا كذاك تأولوا ‏ وكلاكما فئتان باغيتان

ولكم عليهم ميزة التعطيل والتـحريف والتبديل والبهتـان

ولهم عليكم ميزة الاثبات والتـصديق مع خوف من الرحمن

ألكم على تأويلكم أجران إذ لهـمُ على تـأويلهم وزران

حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيـان

وكلاكما للنص فهو مخالف هـذا وبينكما من الفرقان

هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان

لكنكم خالفتم المنصوص للـشبه التي هي فكرة الأذهان

فلأي شيء أنتم خير وأقـرب منهم للحـق والإيمـان

هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا ب على الحديث الموجب التبيان

لكنكم قدمتمُ رأي الرجا ل عليهما أفأنتمُ عـدلان

أم هم إلى الاسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينـان

والله يحكم بينكم يوم الجزا بالعدل والإنصاف والميزان

هذا ونحن فمنهمُ بل منكمُ برآء الا من هـدى وبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان كذبهم في رميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج ، وأوضح شبههم المحقق بالخوارج ، وذلك أن النفاة قالوا للمثبتة : أنتم أخذتم بالضواهر ولم تهتدوا للمعاني كالخوارج .

قال الناظم : فانظر إلى ذا البهت هـذا وصفهم . . أي : أنهم وصفوا

المثبتة بما هو وصفهم ، وذلك أنهم سلوا السيوف على السنة وأهلها ، وخرجوا عليهم كخروج الخوارج على الأمة ، لكن الخوارج مع بغيهم وطغيانهم كفروا فساق الملة ، وأما هم فكفروا من اتبع الكتاب والسنة ، فيقول الناظم : فمن يلحاني ؛ أي : ينازعني إن قلت : إن الخوارج خير وأهدى منكم ، وشتان بينكم وبينهم ، لأنكم تكفرون باتباع السنة وتقديم النصوص على غيرها ، وهم يكفرون بالذنوب والمعاصي ، وإذا قلتم : تأولنا ، فهم كذلك تأولوا ، وكلاكما فئتان باغيتان ، ولكن زدتم عليهم بالتعطيل والتحريف والتبديل والبهتان ، وهم تميزوا عنكم بالإثبات والتصديق والخوف من الله ، أفلكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران ؟! وحاشا رسول الله من هذا الحكم ، بل أنتم وهم في حكمه سيان ، ومع هذا فكلاكما مخالف للنص ، ولكن بينكما فرق كثير ، لأنهم خالفوا نصاً لنص آخر لما لم يفهموا التوفيق بين النصوص ، وأما أنتم فخالفتم النصوص بالعدوان والشبه التي ما نزل الله بها من سلطان ، وهم أيضاً قدموا ما فهموه من القرآن على الحديث وأما أنتم فخالفتم القرآن والحديث ، وقدمتم عليهما آراء الرجال فهم أقرب منكم إلى الاسلام ، والله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة وهو العليم الحكيم ، ومع هذا فنحن منكم ومنهم براء إلا من هدى وبيان .

ثم شرع الناظم في بيان الموازنة بينهم وبين الخوارج وترجيح الخوارج عليهم فقال :

فاسمع إذاً قول الخوارج ثم قو ... ل خصومنا واحكم بلا ميلان

من ذا الذي منا إذاً أشباههم ... إن كنت ذا علم وذا عرفان

قال الخوارج للرسول اعدل فلم ... تعدل وما ذي قسمة الديان

وكذلك الجهمي قال نظير ذا لكنه قد زاد في الطغيان!

قال الصواب بأنه استولى فلم قلت استوى وعدلت عن تبيان

أي: أن الخوارج قال قائلهم وهو ذو الخويصرة التميمي للنبي ﷺ وهو يقسم : اعدل يارسول الله كما في الصحيح عن أبي سعيد قال : بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : « ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل »قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه.قال :«دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... » الحديث[1] .

وكذلك الجهمي قال : الصواب : استولى على العرش ، فلم قلت يارسول الله : استوى ؟ .

وكذاك ينزل أمره سبحانه لمْ قلت ينزل صاحب الغفران

ماذا يعدل في العبارة وهي موهمة التحيز وانتقال مكان

أي وكذلك الجهمي لما قال الرسول : «ينزل ربنا» . قال الجهمي : بل ينزل أمره» لأن النزول يقتضي الحركة والانتقال .

وكذاك قلت بأن ربك في السما أوهمت حيز خالق الأكوان

كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السما سلطان ذي السلطان

أي:قال الجهمي : إنك قلت أيها الرسول عن الله إنه في السماء وذلك يقتضي

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

التحيز والمكان لله ، كان الصواب بأن يقال بأنه فوق السماء سلطانه سبحانه .

وكذاك قلت اليه يعرج والصوا ب إلى كرامة ربنا المنان

أي : أن الجهمي لنفيه علو الرب سبحانه فوق خلقه يقول : الصواب أن العروج إلى كرامة الله ، لا إلى الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بأن منه ينزّل القـــرآن تنزيلاً من الرحمن

كان الصواب بأن يقال نزوله من لوحه أو من محل ثان

أي : أن الجهمي قال للرسول : لم ذكرت أن القرآن ينزل من الرحمن ، والصواب أن نزوله من اللوح المحفوظ ، أو من محل آخر .

وتقول أين الله والأين فممـــتنع عليه وليس في الإمكان

لو قلت من كان الصواب كما ترى في القبر يسأل ذلك الملكان

أي : يقول الجهمي للرسول : إنك تقول : أين الله ؟ والأين ممتنع على الله تعالى ومحال ، وليس بممكن ، والصواب أن تقول : من الله ؟ كما يسأل الملكان في القبر الميت فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتقول اللهم أنت الشاهد الـــأعلى تشير بأصبع وبنان

نحو السماء وما إشارتنا له حسية بل تلك في الأذهان

والله ما ندري الذي نبديه في هذا من التأويل للاخـــوان

قلنا لهم إن السما هي قبلة الـــداعي كبيت الله ذي الاركان
قالوا لنا هذا دليل أنه فوق السماء بأوضح البرهان
فالناس طراً إنما يدعونه من فوق هذي فطرة الرحمن
لا يسألون القبلة العليا ولـــكن يسألون الرب ذا الاحسان
قالوا وما كانت إشارته إلى غير الشهيد منزّل الفرقان
أتراه أمسى للسما مستشهداً حاشاه من تحريف ذي البهتان

أى : أن الجهمي يقول للرسول : انك تشير بأصبعك إلى السماء ـ في خطبته بعرفة ـ في الموقف العظيم ، وتقول : « اللهم اشهد »[1] ونحن لا ندري ما تبديه من التأويل في هذا . فإن قلنا للناس : ان السماء قبلة الداعي كبيت الله . قالوا لنا : هذا دليل أنه فوق السماء ، لأن الناس إنما يدعونه من فوق ، وعلى هذا فطر الله الخلق ، ومعلوم بالضروره أنهم لا يسألون القبلة ، وكذلك معلوم أنهم لا يستشهدون السماء ، وانما يستشهدون من فوقها سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك قلت بانه متكلم وكلامه المسموع بالآذان
نادى الكليم بنفسه وكذاك قد سمع الندا في الجنة الأبوان
وكذا ينادي الخلق يوم معادهم بالصوت يسمع صوته الثقلان
إني أنا الديان آخذ حق مظـــلوم من العبد الظلوم الجـــاني

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر رضي الله عنه في باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وتقول إن الله قال وقائل وكذا يقول وليس في الإمكان

قول بلا حرف ولا صوت يرى من غير ما شفة وغير لسان

أوقعت في التشبيه والتجسيم من لم ينف ما قد قلت في الرحمن

لو لم تقل فوق السماء ولم تشر بإشارة حسية ببيان

وسكت عن تلك الأحاديث التي قد صرحت بالفرق للديان

وذكرت أن الله ليس بداخل فينا ولا هو خارج الأكوان

كنا انتصفنا من أولي التجسيم بل كانوا لنا أسرى عبيد هوان

لكن منحتهم سلاحاً كلما شاؤوا لنا منهم أشد طعان

وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم يرموننا غرضاً بكل مكان

لو كنت تعدل في العبارة بيننا ما كان يوجد بيننا رجفان

هذا لسان الحال منهم وهو في ذات الصدور يغل بالكتمان

يبدو على فلتات ألسنهم وفي صفحات أوجههم يرى بعيان

سيما إذا قرىء الحديث عليهم وتلوت شاهده من القرآن

فهناك بين النازعات وكورت تلك الوجوه كثيرة الألوان

ويكاد قائلهم يصرح لو يرى من قابل فتراه ذا كتمان

يعني أن الجهمي يقول : إنك يارسول الله قلت بأنه سبحانه متكلم

بكلام مسموع ، وذكرت أنه نادى الكليم ،وكذا نادى الأبوين في الجنة ، وأنه ينادي الخلق يوم المعاد، وتقول: إن الله قال، وقائل، ويقول ، ولا يمكن قول بلا حرف ولا صوت ولا شفة ولا لسان ، فإذا نحن لم ننف ما قلته في الرحمن وقعنا في التشبيه والتجسيم ، ولكن لو لم تقل : فوق السماء ، ولم تشر إليه الإشارة الحسية ، ولم تنطق بالأحاديث التي صرحت بالفوقية ، وذكرت أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ، كنا انتصفنا من المجسمة وكانوا لنا أسرى ، ولكنك منحتهم سلاحاً كلما شاؤوا طاعنونا به أشد المطاعنة، وغدوا يرموننا بتلك الأسهم التي أعطيتهم، وصرنا لهم غرضاً بكل مكان . والغرض قال في « القاموس » الغرض محركة: هدف يرمى فيه جمعه أغراض ، فلو كنت عدلت بيننا في العبارة لم يوجد بيننا رجفان: قال في « القاموس » رجف حرك وتحرك واضطرب شديداً رجفا ورجفانا ورجوفا ورجيفا .

قوله : هذا لسان الحال منهم ... الخ ؛ أي : إنهم يقولون هذا بلسان حالهم . ولكنه مكتوم في صدورهم مغلول ، ومع ذلك فهو يبدو على فلتات ألسنتهم ، ويرى في صفحات وجوههم ، لا سيما إذا قرىء الحديث عليهم ، وتلي شاهده من القرآن، فهناك بين (النازعات) و (كورت)، أي إنك إذا قرأت عليهم الحديث وتلوت مايصدقه من القرآن تلونت وجوههم فتارة تظلم ، وتارة تصفر وتغير كحالة من في نزع الموت . والنازعات في قوله تعالى (والنازعات غرقا) النازعات : ١ هي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم على قول أكثر المفسرين . وقوله تعالى : (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ قال ابن عباس : أظلمت . وقال مقاتل والكلبي : ذهب ضوؤها. وقال مجاهد : اضمحلت. وقيل : غورت، والله أعلم .

قوله : ويكاد قائلهم يصرح . أي : بما في نفسه لو يرى قابلاً ، بل ذكر شيخ الاسلام في بعض رسائله أن بعض من خاطبه صرح بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ ما يقوله في هذا الباب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياقوم شاهدنا رؤوسكمُ على هذا ولم نشهده من إنسان

إلا وحشو فؤاده غل على سنن الرسول وشيعة القرآن

أي إنا رأينا رؤوسهم على هذا الذي ذكرناه ، ولم نشهده من أحد إلا وفؤاده محشو غلاً على سنن الرسول ﷺ وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الذي في كتبهم لكن بلطف عبارة منهم وحسن بيان

وأخو الجهالة نسبة للفظ والمعنى فنسب العالم الرباني

يقول الناظم : إن هذا الذي ذكرناه عنهم هو الذي في كتبهم ، لكنهم يلطفون العبارة ويحسنون الكلام ، ولكن الجاهل نسبه للفظ والمعنى ، فنسب العالم الرباني ؛ أي : أن العالم الرباني نظره إلى ما يتضمنه اللفظ ، وأما الجاهل فنظره مقصور على اللفظ .

وقوله : نسبة . بفتح النون وإسكان السين ، وضم الباء ؛ أي : أن العالم ينسب الى المعاني ، وأما الجاهل فهو ينسب إلى الألفاظ ، فهو دائر معها .
ثم اعتذر الناظم عما لعله ينسبه من لا علم عنده الى الحيف عليهم فيما نسبه اليهم ، فقال :

يامن يظن بأننا حفنا عليهم كتبهم تنبيك عن ذا الشان

أي : ظلمناهم وجرنا عليهم. قال في « القاموس» الحيف : الجور، والظلم.

فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذراً عليك مصائد الشيطان

فشباكها والله لم يعلق بها من ذي جناح قاصر الطيران

ألا رأيت الطير في قفص الردى يبكي له نوح على الأغصان

ويظل يخبط طالباً لخلاصه فتضيق عنه فرجة العيدان

والذنب ذنب الطير خلى أطيب الثمرات في عال من الأفنان

وأتى الى تلك المزابل يبتغي الفضلات كالحشرات والديدان

ياقوم والله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في تلك الشباك وكنت ذا طيران

يقول الناظم رحمه الله : يامن يظن بأنا حفنا عليهم ؛ أي : على النفاة أي : جرنا عليهم وظلمناهم ، كتبهم تنبئك عما ذكرنا ، وقد أثقلت ظهر البسيطة ، فطالعها إن شئت ، لكن نرى لك تركها حذراً عليك أن تصيدك شبههم الشيطانية ، فكم وقع في تلك الشباك من قاصر الطيران ، فتراه عند وقوعه في تلك المصائد حائراً ندماناً يبكي لوقوعه في مهامه الحيرة والشكوك ، وكل هذا على طريق النصح من الناظم ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، عملاً بقوله ﷺ « الدين النصيحة »[1] ثم بين أنه قد جرب ذلك ، وأنه وقع

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه .

في بعض تلك الشباك والمصائد حتى أتاح له المولى بفضله من أوضح له تلك الشبه ، وأزاح عنه تلك الشكوك ، وهو شيخ الاسلام ، وأشار الى ذلك بقوله :

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

حبر أتى من أرض حران فيا ... أهلاً بمن قد جاء من حران

فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الايمان

ورأيت أعلام المدينة حولها ... نزل الهدى وعساكر القرآن

ورأيت آثاراً عظيماً شأنها ... محجوبة عن زمرة العميان

ووردت رأس الماء أبيض صافياً ... حصباؤه كلالىء التيجان

ورأيت أكواباً هناك كثيرة ... مثل النجوم لوارد ظمآن

ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي ... لازال يشخب فيه ميزابان

ميزاب سنته وقول إلهه ... وهما مدى الأيام لا ينيان

والناس لا يردونه إلا من الـ ... آلاف أفراداً ذوو ايمان

وردوا عذاب مناهل أكرم بها ... ووردتم أنتم عذاب هوان

قوله : حران . قال في « القاموس » : حران كشداد : موضع بالشام ، والنسبة حرناني ، ولا تقل : حراني وان كان قياساً .

قوله : حتى أتاح لي الإله بفضله الخ . قال في « القاموس » تاح له الشيء

يتيح : بِتَهيأ انتهى . وكم أنقذ الله بشيخ الاسلام ومصنفاته العظام من حيرة تلك الشبهات والأضاليل ، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل .

قال الشيخ الامام أبو حفص عمر بن علي البزاز أحد تلامذة شيخ الاسلام في ترجمته : حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لاصابة الصواب ، وتمييز القشر من اللباب : إن كلًّا منهم لم يزل حائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ، ومعقولاتهم ، وإنه لم يستقر في قلبه منها قول : ولم يبن له من مضمونها حق ، بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل ، وجلها مذعن بتكافيء الأدلة والتعطيل ، وانه كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل ، حتى من الله عليه بمطالعة مؤلفات هذا الامام أحمد بن تيمية شيخ الاسلام ، مما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام . فما هو الا أن وقف عليها وفهمها ، فرآها موافقة للعقل السليم ، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك ، فظفر بالمرام . انتهى .

قوله : ورأيت أكواباً ، هي جمع كوب ، وهي أقداح بلا عرى

وقوله: وردوا عذاب الخ ... بكسر العين •وعذاب هوان بالفتح ؛ أي: وردوا المناهل الحلوة العذبة من الكتاب والسنة ، ووردتم الشكوك والحيرة ، وهي العذاب بعينه ، بل ربما تفضي الى العذاب الأكبر ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبحق من أعطاكم ذا العدل والـ ـإنصاف والتخصيص بالعرفان

من ذا على دين الخوارج بعد ذا أنتم أم الحشوي مـاتريان ؟

والله ما أنتم لدى الحشوي أهـــلاً أن يقـــدمكم على عثمان

فضلاً عن الفاروق والصديق فضـلا عن رسول الله والقرآن

والله لو أبصرتم لرأيتم الـــحشوي حامل راية الإيمان

وكلام رب العالمين وعبده في قلبه أعلى وأكبر شان

من أن يحرف عن مواضعه وأن يقضى له بالعزل عن إيقان

ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر أو المولود من صفوان

أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقلدهم من العميان

ياقومنا بالله قوموا وانظروا وتفكروا في السر والاعلان

نظراً وإن شئتم مناظرة فمن مثنى على هذا ومن وحدان

أي الطوائف بعد ذا أدنى إلى قول الرسول ومحكم القرآن

فإذا تبين ذا فإما تتبعوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

أقسم الناظم على النفاة بحق الله الذي أعطاهم العدل والانصاف ، وهذا على طريق التهكم ؛ أي : إذا سمعتم ما تقدم، فهل أنتم مثل الخوارج أو أعظم منهم مضرة على الدين ،أم المنبوذ عندكم بالحشو ؟ ثم أقسم قسماً آخر: انكم لستم بأهل أن يقدمكم على عثمان رضي الله عنه، فضلًا عن الفاروق والصديق، فضلًا عن رسول الله والقرآن ؟ وان كلام رب العالمين وعبده أعلى في قلبه من أن يحرفـــه عن مواضعه ، وأن يرميه بأنها نصوص لفظيـة لا تفيد اليقين ، ويرى الولاية لابن سينا أو أبي نصر ، هو الفارابي ، أو المولود من صفوان ، وهم الجهم .

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين، وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدعة :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشواً في الوجـــود وفضلة في أمة الانسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الاكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن في للظرف والـــرحمن محويٌّ بظرف مكان

والله لم يسمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تباً لذي البهتان

بل قولهم إن السموات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان

حقاً كخردلة ترى في كف ممـــسكها تعالى الله ذو السلطان

أترونه المحصور بعد أم السما ... ياقومنا ارتدعوا عن العدوان

شرع الناظم رحمه الله في بيان عدوان النفاة، وتلقيبهم أهـــل السنة والحديث بالالقاب الشنيعة لتنفير الطغـــام وأشباه الأنعام، كما لقبوهم بالحشوية وغيرذلك من الألقاب الآتية. والحشوية : قال في « شرح مختصر

التحرير » سموا حشوية لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري أمامه، فلما أنكر كلامهم ، قال : ردوهم إلى حشو الحلقة ، أي جانبها . وقال ابن الصلاح : فتح الشين غلط ، وإنما هو بالإسكان ، وكذلك قال البرماوي بالسكون، لأنه إمام من الحشو، لأنهم يقولون بوجود الحشو في كلام المعصوم، أو نحو ذلك . ورأيت كلاماً لشيخ الاسلام في معنى الحشو فيه مخالفة لهذا.

وقد فسر الناظم معنى الحشوية بقوله : يعنون حشواً في الوجود وفضلة ... الخ أي : أن المعطلة يعنون بقولهم : حشوية ، أن المثبتة حشو في الوجود وفضلة في الناس ، وجهالهم يظنون أن معنى الحشو أنهم بقولهم : إن الله سبحانه في السماء وفوق خلقه ، قد حشوا رب العباد بالأكوان ، وهذا معنى قوله : ظن الحمير ... الخ .

قوله : ظن الحمير بأن في للظرف، أي : إذا ظنوا أنا إذا قلنا : الله في السماء، ففي للظرفية ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا قال : والله لم يسمع بذا من فرقة قالته في زمن من الأزمان . وقد صنف أبو اسحق ابراهيم بن عثمان ابن درباس الشافعي مصنفاً سماه « تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة » .

وقوله : بل قولهم : إن السموات العلى ... الخ أي : أن قول أهل السنة والحديث : إن السموات السبع في كف الرحمن جل وعلا كخردلة في كف ممسكها، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » وفي « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون » ؟ أين المتكبرون ؟ وفي لفظ في « الصحيح » عن عبد الله بن مقسم : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال : « يأخذ الله (عز وجل) سمواته وأرضيه بيديه ويقول: أنا الله ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، أنا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « يأخذ الجبار (عز وجل) سمواته وأرضيه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، ، أنا الذي أعيدها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ » وفي لفظ : « أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ » ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ ؟ .

والحديث مروي في « الصحيح » و « المسانيد » وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه : قال : « قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الزمر : ٦٧ الآية . قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ : « يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلها في كفه ، ثم يقول بها هكذا كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

في يد أحدكم. قال شيخ الإسلام في كتاب «العرش» وهذه الآثار معروفة.

قال الناظم .

كم ذا مشبهة وكم حشويـــة فالبهت لايخفى على الرحمن

ياقوم إن كان الكتاب وسنة الـــمختار حشواً فاشهدوا ببيان

إنا بحمد إلهنـــا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان

تدرون من سمَّت شيوخكمُ بهـــذا الاسم في الماضي من الأزمان

سمي به ابن عبيد عبد الله ذا ك بن الخليفة طارد الشيطان

فورثتم عَمْراً[1] كما ورثوا لعـــبد الله أنى يستوي الارثان

تدرون من أولى بهذا الاسم وهـــو مناسب أحواله بوزان

من قد حشى الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن

هذا هو الحشوي لا أهل الحـــديث أئمة الاسلام والإيمان

وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الاذهان

ووردتمُ القلّوط مجرى كل ذي الأوساخ والاقذار والانتان

وكسلتم أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان

يقول الناظم : كم ذا تنبزون أهل الإثبات بهذا البهت والكذب الصريح ، فإن كان الكتاب والسنة حشوا ، فاشهدوا أنا حشوية بلا جحد ولا كتمان .

---

(١) هو عمرو بن عبيد .

ونحو من هذا قولـــه رحمه الله :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته وتنزيهها عن كل تأويل مفتري

فاني بحمد الله ربي مجسم هلموا شهوداً واملؤوا كل محضر

قولـــه : سمي به ابن عبيد عبد الله ، أي : أول من نطق بهذا الاسم هو عمرو بن عبيد المعتزلي . قال : كان عبد الله بن عمر حشوياً ، يعني عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهذا معنى قول الناظم : ذاك ابن الخليفة طارد الشيطان . و مراده بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقولـــه : طارد الشيطان ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » [1] .

قولـــه : تدرون من أولى بهذا الاسم ... الخ أي : أن الأولى والأحق بهذا الاسم منه حشو الأوراق والأذهان من البدع المضلة ، والآراء المضمحلة المخالفة للقرآن والسنة ، فهذا هو الحشوي على الحقيقة ، لا أئمة الحديث وأئمـة الإسلام والإيمـان .

قولـــه : موجب القرآن ، هو بفتح الجيم .

قولـــه : وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان ، أي : أن أهل الحديث والسنة وردوا مناهل السنن العذبة التي ليست زبالة الأذهان ، والزبالة : قال في «القاموس» : زبل زرعه يزبله : سمده . و ككتاب : ما تحمله النحلة .

ووردتم القلوط ... الخ . سيأتي بيان القلوط في الفصل المعقود له .

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً غير فجك » .

فصل

في بيان عداوتهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا   بتة مشبّهة جاهل فتان
أسماء سميتم بها أهل الحديث وناصري القرآن والايمان
سميتموهم أنتمُ وشيوخكم   بهتاً بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سبة لتنفروا   عنهم كفعل الساحر الشيطان
ما ذنبهم والله إلا أنهم   أُخذوا بوحي الله والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة   غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به   من هذه الآراء والهذيان
وصفوه بالأوصاف في النصين من   خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكمُ فيا   أهلا به مافيه من نكران
إنا مجسمة بحمد الله لم   نجحد صفات الخالق الرحمن
والله ما قال امرؤ منا بأن الله   جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا في وصفه   لم نعو ما قد قال في القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهـــو الصادق المصدوق بالبرهان

أو قاله أصحابه من بعده فهمُ النجوم مطالع الإيمان

سموه تجسيما وتشبيهاً فلســنا جاحديه لذلك الهذيان

أي : أن النفاة والمعطلة سموا أهل الإثبات بأسماء بشعة قصداً للتنفير عنهم ، فإنهم يسمونهم مشبهة ؛ أي : أنهم يشبهون الله بخلقه ، وسموهم مجسمة ، أي : يقولون بأن الله جسم ، تعالى الله عن ذلك ، وسموهم نوابت ، والنوابت هم كما قال في « القاموس » : الأغمار من الأحداث ، ونبتت لهم نابتة نشأ لهم نشأ صغار . وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي ، علامة أهل البدع ، الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الجهمية ، أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة ، وعلامة القدرية ، أن يسموا أهل السنة مجبرة ، وعلامة الزنادقة ، أن يسموا أهل الأثر حشوية . انتهى . نقله عنـــه الذهبي في كتاب « العلو » .

قوله لتنفروا عنهم ... الخ ؛ أي : أنهم سموا أهل الحديث بهذه الأسماء ولقبوهم بهذه الألقاب للتنفير عنهم ، وإلا فهم لم يتعدوا ما قال الله ورسوله ، ولم يقل أحد منهم : إن الله تعالى جسم ، جل عن ذلك ، ومع ذلك فأهل الأثبات لما أثبتوا ما أثبته الله ورسوله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ، وإن سمت المعطلة ذلك تشبيهاً وتجسيماً ، فأهل الإثبات لا يجحدونه لأجل تشنيعاتهم وهذيانهم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بل بيننا فرق لطيف بل هو الـــفرق العظيم لمن له عينان

إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لاحقيقة تحته تبدو الى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم ياأولي العرفان
وإذا جعلتم ذا مجازاً صح ان ينفى على الأطلاق والامكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت فيما زعمتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ إن دلت عليه فحظكم نفيان
ونصيبنا اثبات ذاك جميعه لفظاً ومعنى ذاك اثباتان
فمن المعطل في الحقيقة غيركم لقب بلا كذب ولا عدوان
وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك ستركم وتبين جهلكم مع العدوان
يابعد مابين السباب بذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم ان يك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان

فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا   في كل مجتمع وكل مكان
أنا مجسمة بفضل الله وليشـــهد بذلك معكم الثقلان
الله أكبر كشرت عن نابها الـــحرب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصفاز وانقسم الورى   قسمين واتضحت لنا القسمان

معنى كلام الناظم أن الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان، وأما عندكم أيها النفاة فهي غير مرادة، لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على التشبيه والتجسيم، فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات، وكذا كلام رسوله ﷺ ليس بحقيقة بل هو مجاز. والمجاز هو ما يصح نفيه. وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى؛ أي: تم عندكم نفيان: نفي الحقيقة، ونفي دلالة اللفظ عليها. وأما المثبتة فهم أثبتوا اللفظ والمعنى بغير تشبيه ولا تمثيل فلهم اثباتان، فأنتم المعطلة حقاً، وإذا سببتم بالكذب والمحال فسبنا بالأدلة والحجج، ويابعد ما بين السبابين[1]، لأنكم تسبون بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان، فمن سب بالبرهان فليس بظالم وإنما الظلم هو السب بالبهتان.

وقوله: كشرت عن نابها الخ ... قال في «القاموس» كشر عن أسنانـــه يكشر كشراً: أبدى، يكون في الضحك وغيره.

قـوله: العوان: هي الحرب بعد الحرب. قال في «مختار الصحاح» العوان النصف في سنها من كل شيء، والجمع عُون. والعوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكراً.

---

(١) في الأصل: السباب.

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وانهم تعرضوا بالقلوط عن مورد السلسبيل

ياوارد القلّوط ويحك لو ترى ماذا على شفيتك والاسنان

أو ماترى آثارها في القلب والـ نيات والاعمال والاركان

لو طاب منك الورد طابت كلها أنى تطيب موارد الانتان

ياوارد القلوط طهر فاك من خبث به واغسله من انتان

ثم اشتم الحشوي حشو الدين والـ قرآن والآثار والايمان

أهلاً بهم حشو الهدى وسواهمُ حشو الضلال فما هما سيان

أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم حشو الشكوك فما هما صنوان

أهلاً بهم حشو المساجد والسوى حشو الكنيف فما هما عدلان

أهلا بهم حشو الجنان وغيرهم حشو الجحيم أيستوي الحشوان؟!

ياوارد القلوط ويحك لو ترى الـ حشوي وارد منهل القرآن

وتراه من رأس الشريعة شارباً من كف من قد جاء بالفرقان

وتراه يسقي الناس فضلة كأسه وختامها مسك على ريحان

لعذرته إن بال في القلوط لم يشرب به مع جملة العميان

ياوارد القلوط لاتكسل فرا ... س الماء فاقصده قريب دان
هو منهل سهل قريب واسع ... كاف إذا نزلت به الثقلان
والله ليس بأصعب الوردين بل ... هو أسهل الوردين للظمآن

القلوط ، بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة ، هو نهر بدمشق الشام يحمل أقذار البلد وأوساخه وإنتانه ويسمى في هذا الوقت: قليطاً بالتصغير والله أعلم .

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص السنة والقرآن

ياقوم بالله انظروا وتفكروا ... في هـذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي ... قد قاله ذو الرأي والحسبان
فأقل شيء أن يكونا عندكم ... حداً سواء يا أولي العدوان
والله ما استويا لدى زعمائكم ... في العلم والتحقيق والعرفان
عزلوهما بل صرحوا بالعزل عن ... نيل اليقين ورتبة البرهان
قالوا وتلك أدلة لفظيــة ... لسنا نحكّمها على الايقان
ما أنزلت لينال منها العلم با ... لـإثبات للأوصاف للرحمن

بل بالعقول ينال ذاك وهذه   عنه بمعزل غير ذي سلطان

فبجهدنا تأويلها والدفع في   أكنافها دفعاً لذي الصولان

أشار الناظم رحمه الله الى أنهم بما فعلوه وهو عزلهم النصوص عن إفادة اليقين هدموا قواعد الإسلام والإيمان، فقال : ياقوم بالله انظروا الخ ، أي : تفكروا وتدبروا في الكتاب والسنة كتدبركم وتفكركم في كلام المشايخ، فأقل شيء أن يكونا عندكم سواء، ثم أقسم أنهما ما استويا عند زعمائكم في العلم والتحقيق والعرفان ، بل يقولون : تلك أدلة لفظية وما وضعه مشايخنا قواطع عقلية ، وتلك الظواهر اللفظية لم تنزل لتعلم منها صفات الرب عز وجل، وإنما يعلم ذلك بالعقل ؛ ومع ذلك فنجتهد في دفعها كدفع الصائل، فإن أمكن تأويلها فذاك ، وإلا فآخر الأمر التفويض .

قوله : في أكنافها ،الكنف: الجانب والظل والناحية، قاله في «القاموس» ثم ضرب الناظم لذلك مثلًا فقال :

ككبير قوم جاء يشهد عند ذي   حكم يريد دفاعه بليان

فيقول قدرك فوق ذا وشهادة   لسواك تصلح فاذهبن بأمان

وبوده لو كان شيء غير ذا   لكن مخافة صاحب السلطان

أي: أن مثل نصوص الكتاب والسنة الدالة على إثبات العلو والصفات عندهم كرجل كبير ذي منصب ، جاء يشهد عند بعض الحكام وهو يريد أن لا يقبل شهادته ، ويريد دفعه بالأسهل فيقول : أنت جليل القدر ،عظيم المنصب ، وقدرك فوق هذا، والشهادة تصلح لسواك ، مع أن ذلك الحاكم يود أن

يرده بغير هذا الرد ، لكن لأجل مخافة صاحب السلطان يدفعه بهذا الدفع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد أتانا عن كبير فيهمُ   وهو الحقير مقالة الكفران

لو كان يمكنني وليس بممكن   لحككت من ذا المصحف العثماني

ذكر استواء الرب فوق العرش لـ   ـكن ذاك ممتنع على الانسان

يعني جهم بن صفوان ، وقد تقدمت قصته هـذه أول الشرح ، وقد رواها ابن أبي حاتم كما ذكره الذهبي في كتاب « العلو » .

قال أبي حاتم : ثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي ، ثنا يحيى بن أيوب ، ثنا أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال : كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد صيح به ، وندر به ووقع فيه . فقلت له : قد كان يكرمك ! فقال : إنه قد جاء منـه ما لا يحتمل ؛ بينا هو يقرأ (طه) والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت . فاحتملت هذه . ثم إنه بينا هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمداً إذ قالها ، ثم إنه بينا هو يقرأ (طسم القصص) والمصحف في حجره ، إذ مر بذكر موسى فرفع المصحف بيده ورجليه وقال : أي شيء هذا ذكره هنا ؟! فلم يتم ذكره . ثم قال الذهبي : أخرجها عبد الله بن أحمد عن الصنعاني عن يحيى بن أيوب . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله لولا هيبة الاسلام والـــقرآن والأمراء والسلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكدكوا الــــإسلام فوق قواعد الاركان
فلقد رأيتم ماجرى لأئمة الــــإسلام من محن على الأزمان
لاسيما لما استمالوا جــاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وسعوا إليه بكل إفك بيّن بل قاسموه بأغلظ الأيمان
أن النصيحة قصدهم كنصيحة الــــشيطان حين خلا به الأبوان

يشير الناظم بهذه الأبيات إلى أنه لولا هيبة الإسلام والقرآن والأمراء لأتت المبتدعة بكل مصيبة ، ولدكدكوا الإسلام ، وشاهد هذا انهم لما استمالوا المأمون عبد الله بن الرشيد العباسي ، وقام بامتحان الناس بأن القرآن مخلوق ، وحصل للأئمة ما حصل من الكروب والمشاق ، ولكن أعجلته المنية فأوصى إلى أخيه أبي اسحق المعتصم وحصل ما حصل من المحن ، وحبسوا الإمام أحمد وضربوه ، وبعد ذلك في خلافة الواثق قتل أحمد ابن نصر الخزاعي ، وامتحن الإمام محمد بن عبد الرحمن الأدرمي ، وكانوا لايولون قاضياً ولاغيره إلا إن كان ممن يقول بخلق القرآن ، وذلك مشهور في كتب التواريخ مع أن المأمون قبل ذلك لم يزل يداري العلماء في القول بهذه المسألة ثم صدع بذلك .

قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » أخبرني جماعــة إجازة أن الكندي أخبرهم ، انبأنا القزاز ، أنبأ الخطيب ، أنبأ أبوبكر الحيري ، ثنا الأصم ،

ثنا يحيى بن أبي طالب أخبرني الحسن بن شاذان الواسطي الحافظ ، حدثني ابن عرعرة ، حدثني يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت: القرآن مخلوق فقيل : ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك إني لا أتقيه لأن له سلطنة ، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس ويكون فتنة . وأما المأمون فهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور أبو العباس الهاشمي ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد ، وقرأ العلم في صغره ، وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وطبقتهم وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن . روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكثم والأمير عبد الله بن طاهر ودعبل الخزاعي وآخرون ، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها وصمم عليها في سنة ٢١٨ وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل . مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ . انتهى ملخصاً من « تاريخ الاسلام » للذهبي رحمه الله تعالى :

قوله : بل قاسموه بأعظم الأيمان أن النصيحة قصدهم ... الخ ؛ أي : يحلفون له بأعظم الايمان أن قصدهم النصيحة ، كما قاسم ابليس الأبوين كما في قوله تعالى : (وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين) الأعراف : ٢١

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فيرى عمائم ذات أذناب على تلك الفشور طويلة الأُردان

ويرى هيولى لاتهول لمبصر وتهول أعمى في ثياب جبان

فإذا أصاخ بسمعه ملؤوه من كذب وتلبيس ومن بهتان

فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم يامحنـة العينين والآذان

فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ واحمل بلا كيل ولا ميزان

وأتوا الى قلب المطاع ففتشوا عما هناك ليدخلوا بأمان

فإذا بدا غرض لهم دخلوا به منه اليه كحيلة الشيطان

فاذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان

هو في الطريق يعوق مولانا عن الـمقصود وهو عدو هذا الشان

فإذاهم غرسوا العداوة واظبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان

حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم وقت الجذاد وصار ذا إمكان

ركبوا على جرد لهم وحمية واستنجدوا بعساكر الشيطان

فهنالك ابتليت جنود الله من جند اللعين بسائر الألوان

ضرباً وحبساً ثم تكفيراً وتبـديعاً وشتماً ظاهر البهتان

تقدم الكلام في تفسير الهيولى .

قوله : ظفروا وقالوا ويح آل فلان ، يحتمل أنه بالظاء المشالة من الظفر ، ويحتمل أنه بالطاء وهو الوثب في ارتفاع .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلقد رأينا من فريق منهم　　أمراً تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث ودينهم　　أخذ الحديث وترك قول فلان
يا أمة غضب الإله عليهم　　ألأجل هذا تشتموا بهوان ؟!
تباً لكم إذ تشتمون زوامل الـ　　ـإسلام حزب الله والقرآن
وسببتموهم ثم لستم كفأهم　　فرأوا مسبتكم من النقصان
هذا وهم قبلوا وصية ربهم　　في تركهم لمسبة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم　　بمسبة القرآن والرحمن
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم　　ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبوكم جهالهم فسببتم　　سنن الرسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن　　قول الرسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـ　　ـياخ لكم بالخرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا　　إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديـ　　ـث خلاصة الانسان والأكوان

يشير إلى أن المعطلة يسبون أصحاب الحديث غاية السب ، ويثلبونهم أعظم الثلب ، وأن أهل الحديث قبلوا وصية ربهم في قوله تعالى :(ولا تسبوا

الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الأنعام : ١٠٨ فالله سبحانه قد نهى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا الله سبحانه ، فكذلك أَصحاب الحديث تركوا مسبة النفاة والمعطلة لئلا يسبوهم فيتعدى السب إلى الرحمن والقرآن والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

قوم أقامهم الإله لحفظ هـذا الدين من ذي بدعة شيطان

وأقامهم حرساً من التبديل والـتحريف والتتميم والنقصان

يزكٌ على الاسلام بل حصن له يأوي اليه عساكر الفرقان

فهم المحك فمن يرى متنقصا لهم فزنديق خبيث جنان

إن تتهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والإحسان

أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى والعلم والآثار والقرآن

وهو الحقيق بذاك إذ عادى روا ة الدين وهي عداوة الديان

فاذا ذكرت الناصحين لربهم وكتابه ورسوله بلسان

فاغسله ويلك من دم التعطيل والتـكذيب والكفران والبهتان

أتسبهم عدواً ولست بكفئهم فالله يفدي حزبه بالجاني

قوم هم بالله ثم رسوله أولى وأقرب منك للايمان

شتان بين التاركين نصوصه حقاً لأجل زبالة الأذهان

والتاركين لأجلها آراء من آرائهم ضرب من الهذيان

لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى ، وتيمموا من أرض طيبة مطلع الايمان
وأتوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى صاحوا به طراً بكل مكان
ورثوا رسول الله لكن غيرهم قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهاب سواهم بالنص لم يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة فيـه وليس لديهم بهتان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة وتلاوة قصدا بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره كأبي الربيع خليفة السلطان

أي : أن النفاة والمعطلة نزلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منزلة الخليفة أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ، وقد بويع المذكور بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة إحدى وسبعمائة ، لأن الخليفة المذكور يدعى له على المنابر ، ويضرب اسمه فوق السكة . وليس له من الأمر شيء ، فحال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عندهم كحال أبي الربيع مع السلطان محمد بن قلاوون الألفي . قوله يزك على الإسلام . (قال في «القاموس» : زك يزك زكاً وزككاً وزكيكاً وزكزك : مر يقارب خطوه ضعفاً ، ومشي زكيك : مقرمط . والزكة بالكسر : السلاح ، وبالضم : الغيظ والغم ، وتزكزك : أخذ عدته)(١)

---

(١) «بياض» في الأصل ، استدركناه من « القاموس » .

قوله : فهم المحك . يشبه هذا ماأنشده ابن أعين في الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصاً ... فاعـلم بأن ستوره ستهتك

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ذكروه فوق منابر وبسكة ... رقموا اسمه في ظاهر الأثمان

والأمر والنهي المطاع لغيره ... ولمهتد ضربت بذا مثلان

ياللعقول أيستوي من قال بالـ ... ـقرآن والآثار والبرهان ؟!

ومخالف هذا وفطرة ربه ... الله أكبر كيف يستويان

بل فطرة الله التي فطروا على ... مضمونها والعقل مقبولان

والوحي جاء مصدقاً لهما فلا ... تلق العداوة ماهما حربان

سلمان عند موفق ومصدق ... والله يشهد إنهما سلمان

فاذا تعارض نص لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيان

فالعقل إما فاسد ويظنه الـ ... ـرائي صحيحاً وهو ذو بطلان

أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ماقاله المعصوم بالبرهان

ونصوصه ليست تعارض بعضها ... بعضاً فسل عنها عليم زمان

وإذا ظننت تعارضاً فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان

أو أن يكون البعض ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآن

لكنّ قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان

إلا ويطرد كل قول ضده فإذا هما اجتمعا فمقتتلان

يقول الناظم: إذا تعارض النقل والعقل، فإما أن يكون العقل فاسداً، وإما أن يكون النص ليس بثابت، والنصوص لاتتعارض وما يظن فيها من التعارض فهو من آفة الأفهام والاذهان أو بعضها ليس بثابت، ما قاله الرسول ﷺ.

قوله: إنهما سلمان. هو بكسر الهمزة وتسكين النون للوزن. وأصله إن المؤكدة. ثم قال الناظم: لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان الا ويطرد كل قول ضده.

والناس بعد على ثلاث حزبه أو حربه أو فارغ متوان

قوله: حزبه ... الخ الحزب: الورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس.

قوله. أو حربه. الحـــرب معروف وهو بفتح الحاء وبالراء الساكنة ويذكر، مفرد حروب، ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لاصلح بيننا وبينهم.

فا... لنفسك أين تجعلها فلا والله لست برابع الأعيان

من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل الله والفرقان

إن المعطل لا إله له سوى الـــمنحوت بالأفكار في الأذهان

وكذا إله المشركين نحيتة الـــأيدي هما في نحتهم سيان

قوله : نحيتة هي فعيلة بمعنى مفعولة ؛ أي : منحوتة . قال في «القاموس» نحته ، ينحته كيضربه وينصره ويعلمه: براه . انتهى .

لكن إله المرسلين هو الذي ... فوق السماء مكون الأكوان

تالله قد نسب المعطل كل من ... بالبينات أتى إلى الكتمان

والله مافي المرسلين معطل ... نافي صفات الواحد الرحمن

كلا ولا في المرسلين مشبه ... حاشاهم من إفك ذي بهتان

فخذ الهدى من عبده وكتابه ... فهما إلى سبل الهدى سببان

فصل

في بيان بطلان قول الملحدين : إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لايفيد العلم واليقين .

واحذر مقالات الذين تفرقوا ... شيعاً وكانوا شيعة الشيطان

واسأل خبيراً عنهم ينبيك عن ... أسرارهم بنصيحة وبيان

قالوا الهدى لايستفاد بسنة ... كلا ولا أثر ولا قرآن

إذ كل ذاك أدلة لفظية ... لم تبد عن علم ولا إيقان

فيها اشتراك ثم إجمال يرى ... وتجوز بالزيد والنقصان

وكذلك الإضمار والتخصيص وال ... حذف الذي لم يبد عن تبيان

والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان

إذ بعضهم في البعض يقدح دائماً والقدح فيهم فهو ذو إمكان

وتواتر وهو القليل ونادر جداً فأين القطع بالبرهان

هذا ويحتاج السلامة بعد من ذاك المعارض صاحب السلطان

وهو الذي بالعقل يعرف صدقه والنفي مظنون لدى الانسان

فلأجل هذا قد عزلناها وواسينا العقول ومنطق اليونان

فانظر الى الإسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذي البطلان

وانظر إلى القرآن معزولاً لديهم عن نفوذ ولاية الايقان

وانظر الى قول الرسول كذاك معزولاً لديهم ليس ذا سلطان

والله ماعزلوه تعظيماً له أيظن ذلك قط ذو عرفان

ياليتهم إذ يحكمون بعزله لم يرفعوا رايات جنكسخان

ياويلهم ولوا نتائج فكرهم وقضوا بها قطعاً على القرآن

ورذالهم ولو إشارات ابن سينا حين ولوا منطق اليونان

وانظر إلى نص الكتاب مجدلا وسط العرين ممزق اللحمان

بالطعن بالاجمال والاضمار والتخصيص والتأويل بالبهتان

والاشتراك وبالمجاز وحذف ما شاؤوا بدعواهم بلا برهان

وانظر إليه ليس ينفذ حكمه بين الخصوم وماله من شان

وانظر إليه ليس يقبل قوله في العلم بالأوصاف للرحمن

لكنما المقبول حكم العقل لا أحكامه لا يستوي الحكمان

يبكي عليه أهله وجنوده بدمائهم ومدامع الأجفان

عهدوه قدماً ليس يحكم غيره وسواه معزول عن السلطان

إن غاب ثابت عنه أقوال الرسو ل فمالهم دون الورى حكمان

فأتاهمُ مالم يكن في ظنهم في حكم جنكسخان ذي الطغيان

بجنود تعطيل وكفران من الـ مغول ثم اللاص و العلان

فعلوا بملته وسنته كما فعلوا بأمته من العدوان

والله ما انقادوا الجنكسخان حتى أعرضوا عن محكم القرآن

والله ما ولوه الا بعد عز ل الوحي عن علم وعن إيقان

عزلوه عن سلطانه وهو اليقـ ـين المستفاد لنا من السلطان

هذا ولم يكف الذي فعلوه حـ ـتى تمموا الكفران بالبهتان

جعلوا القران عضين إذ عضوه أنـ ـواعاً معددة من النقصان

منها انتفاء خروجه من ربنا لم يبد من رب ولا رحمن

لكنه خلق من اللوح ابتدا ء وجبرئيل أو الرسول الثاني

ماقاله رب السموات العلى ليس الكلام بوصف ذي الغفران

تباً لهم سلبوه أكمل وصفه عضهوه عضه الريب والكفران

هل يستوي بالله نسبته الى بشر ونسبته الى الرحمن

من اين للمخلوق عز صفاته الله أكبر ليس يستويان

بين الصفات وبين مخلوق كما بين الإله وهذه الأكوان

هذا وقد عضهوه أن نصوصه معزولة عن أمرة الإيقان

لكن غايتها الظنون وليته ظناً يكون مطابقا ببيان

لكن ظواهر لايطابق ظنها ما في الحقيقة عندنا بوزان

إلا إذا ما أولت فمجازها بزيادة فيها أو النقصان

أو بالكناية واستعارات وتشـ ـبيه وأنواع المجاز الثاني

فالقطع ليس يفيده والظن منـ ـفي كذلك فانتفى الأمران

فلم الملامة اذ عزلناها ووا ـينا العقول وفكرة الأذهان؟!

فالله يعظم في النصوص أجوركم ياأمة الآثار والقرآن

ماتت لدى الأقوام لايحيونها أبداً ولا تحييهم لهوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الرد على الملحدين القائلين بأن الاستدلال بكلام الله ورسوله لايفيد اليقين ، وهو المراد عندهم بالأدلة اللفظية ، وذلك أنهم قالوا : الاستدلال بكلام الله ورسوله موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك والنقل ، ومعارضة العقل للسمع ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون .

قال شيخ الاسلام في اول كتاب «العقل والنقل» ذكر الرازي في اول كتابه «نهاية العقول» أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لايمكن بحال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لايمكن ، اذ يجوز ان يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض مادل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع . وقد بسطنا الكلام على مازعمه هؤلاء من أن الاستدلال بالأدلة السمعية موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة والنحو والتصريف ، ونفي المجاز والاضمار والتخصيص ، والاشتراك والنقل والمعارض العقلي بالسمعي . وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفاً قديماً من نحو ثلاثين سنة ، وذكرنا طرفاً من بيان فساده في الكلام على المحصل وفي غير ذلك ، فذاك كلام في تقرير الأدلة السمعية وبيان أنها قد تفيد اليقين والقطع . انتهى كلامه .

قوله : جعلوا القرآن عضين ... الخ العضين : جمع عضه ، وأصلها عضوة فعلة من عضه الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا الذي جعلوه أجزاء متفرقة بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك ونذكر هنا ماذكره المفسرون في معنى قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن

عضين) الحجر : ٩١ عن المشركين ثم نبين كيفية جعل الملحدين القرآن عضين . روى البخاري عن ابن عباس : جعلوا القرآن عضين قال : هم اهل الكتاب جزؤوه اجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وروي أيضاً عن ابن عباس قال : (كما انزلنا على المقتسمين) الحجر : ٩٠ قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : (جعلوا القرآن عضين) قال : السحر . وقال عكرمة : العضة : السحر بلسان قريش . يقول السحرة : إنها الكهانة. وقال مجاهد: عضوه أعضاء، قالوا: سحر وقالوا: كهانة، وقالوا : أساطير الاولين. وقال عطاء: قال بعضهم: ساحر وقالوا: مجنون، وقالوا : كاهن فذلك العضين . وكذا روي عن الضحاك وغيره

ومعنى كلام الناظم : إن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن أجزاء ونقصوه أعظم النقصان ، منها أنهم قالوا : لم يبدأ من الله سبحانه وإنما بدأ من غيره ، إما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثاني وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائلون بالكلام النفسي جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى، وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه إذ قالوا : لم يتكلم الله به .

وعضهوه أيضاً أي نقصوه بأن قالوا : إن نصوصه لا تفيد اليقين ، وأي تنقص أعظم من هذا ؟ ! نعوذ بالله من موجبات غضبه .

قوله منها انتفاء خروجه من ربنا ... الخ قال النبي ﷺ « ماتقرب العباد

«الى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن . وقال خباب بن الأرت : ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت ، فلن تقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه لما قرىء عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال : إن هذا كلام لم يخرج من ال، يعني رب .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولهم خلاف الحس والـــمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الـــأولى وسنّة ربنا الرحمن
والله قد فطر العباد على التفا هم بالخطاب لمقصد التبيان
كل يدل على الذي في نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فترى المخاطب قاطع بمراده هذا مع التقصير في الانسان
اذ كل لفظ غير لفظ نبيــنا هو دونه في ذا بلا نكران

شرع الناظم في بيان بطلان قول النفاة ، وأنه خلاف الحس والعقل والنقل والفطرة ، وذلك أن الله سبحانه فطر العباد على التفاهم بالخطاب ، فكل يدل على الذي في نفسه بكلامه من جميع الألسنة .

قــوله فترى المخاطب قاطع بمراده ؛ أي : ترى المخاطب بفتح الطاء قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير في الإنسان ، إذ كل لفظ غير لفظ الرسول ﷺ هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله تعالى فهو

الغاية القصوى في التبيان ولهذا قال الناظم :

حاشا كلام الله فهو الغاية الـــقصوى له أعلى ذرى التبيان

لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبـار والقرآن

فهو الذي استولى على التبيان كاســتيلائه حقــاً على الإحسان

مابعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان

ثم شرع الناظم في بيان أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان فقال :

فانظر الى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن

حقاً ترون الهكم يوم اللقـا رؤيا العيان كما يرى القمران

كالبدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ماهما مثلان

بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر مايرى بعيان

ونفى السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن

فإذا أتى بالمقتضي ونفى الموا نع خشية التقصير في التبيان

صلى عليه الله ماهــذا الذي يأتي به من بعد ذا التبيان

ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان

فبأي لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الايقان

وضربتم في وجهه بعساكر التـــأويل دفعا منكم بليان

يعني الناظم بهذه الأبيات أن بيان الرسول ﷺ فوق كل بيان كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن اناساً قالوا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يارسول ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا : لا . قال فإنكم ترونه كذلك » . . . الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، « أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم فهل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحواً ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : ماتضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ... » الحديث . فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء .

قوله : فإذا أتى بالمقتضي هو بكسر الضاد اسم فاعل وهو أن ليس دون الرؤية سحاب والشمس في نحر الظهيرة ، فإذا تم المقتضي حصل المقتضى ولكن لاحيلة في أهل التحريف والتعطيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لو أنكم والله عاملتم بذا	أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها	وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم	مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذي قد قلتم	قطعت سبيل العلم والايمان

فالعقل لايهدي إلى تفصيلها لكنّ ماجاءت به الوحيان

فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعـــزولاً عن الايقان والرجحان

فهناك لاعلم أفادت لا ولا ظناً وهذا غاية الحرمان

لوصح ذاك القول لم يحصل لنا قطع بقول قط من إنسان

وغدا التخاطب فاسداً وفساده أصل الفساد لنوع ذا الانسان

ماكان يحصل علمنا بشهادة ووصية كلا ولا إيمان

وكذلك الاقرار يصبح فاسداً إذ كان محتملاً لسبع معان

وكذا عقود العالمين بأسرها باللفظ إذ يتخاطب الرجلان

أيسوغ للشهدا شهادتهم بها من غير علم منهم ببيان

إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة للعلم بل للضر ذي الرجحان

بل لايسوغ لشاهد أبداً شها دته على مدلول نطق لسان

بل لايراق دم بلفظ الكفر من متكلم بالظن والحسبان

بل لايباح الفرج بالاذن الذي هو شرط صحته من النسوان

أيسوغ للشهداء جزمهم بأن رضيت بلفظ قابل لمعان

هذا وجملة مايقال بأنه في ذا فساد العقل والأديان

أي لوأنكم عاملتم اهل الكتاب وكتبهم بما عاملتم به الوحيين لفسدت تصانيف النـــاس ، وأيضاً لو صح هذا الذي قلتموه لانقطعت سبيل العلم

والإيمان لأن العقل لا يهدي الى تفصيلها ولا سبيل الى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله ، فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ لاتفيد علماً ولا ظناً . وأيضاً لو صح ماقلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان فلا يصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار، بل لايراق دم بلفظ كفر، ولا يباح فرج بالإذن الذي هو شرط صحته من النساء ولا يسوغ للشهداء جزمهم بأنها رضيت إذ ذاك قابل للمعاني المذكورة بل تفسد بذلك العقول والأديان ، ونعوذ بالله من العمى والخذلان .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

هذا ومن بهتانهم أن اللغا ... ت أتت بنقل الفرد والوحدان

فانظر إلى الألفاظ في جريانها ... في هذه الأخبار والقرآن

أتظنها تحتاج نقلاً مسنداً ... متواتراً أو نقل ذي وحدان

أم قد جرت مجرى الضروريات لا ... تحتاج نقلاً وهي ذات بيان

إلا الأقل فإنه يحتاج للنـ ... ـقل الصحيح وذاك ذو تبيان

حاصل معنى هذه الأبيات أن المعطلة يقولون : إن اللغات أتت بنقل الآحاد ، وهذا تدليس وتلبيس لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة الى النقل ، اللهم إلا الأقل كما قال الناظم فإنه يحتاج للنقل الصحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومن المصائب قول قائلهم بأن الله أظهر لفظه بلسان

وخلافهم فيه كثير ظاهر ... عربي وضع ذاك أم سرياني

وكذا اختلافهمُ أمشتقاً يرى　　أم جامداً قولان مشهوران

والأُصل ماذا فيه خلف ثابت　　عند النحاة وذاك ذو ألوان

هذا ولفظ الله أظهر لفظة　　نطق اللسان بها مدى الأزمان

فانظر بحق الله ماذا في الذي　　قالوه من لبس ومن بهتان

هل خالف العقلاء أن الله ر　　ب العالمين مدبر الأكوان

مافيه إجمال ولا هو موهم　　نقل المجاز ولا له وضعان

والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا　　في وضعه لم يختلف رجلان

وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة　　فيه لهم قولان معروفان

أفبينهم خلف بأن مرادهم　　حرم الإله وقبلة البلدان

وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد　　فيه لهم قولان مذكوران

أفبينهم خلف بأن مرادهم　　منه رسول الله ذو البرهان

ونظير هذا ليس يحصر كثرة　　ياقوم فاستحيوا من الرحمن

أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو　　ص الوحي عن علم وعن إيقان

فالحمد لله المعافي عبده　　مما بلاكم ياذوي العرفان

فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم　　ومضوا على آثار كل مهان

ولأجل ذاك غدوا على السنن الـــتي جاءت وأهليها ذوي أضغان

يرمونهم كذباً بكل عظيمة حاشاهم من إفك ذي بهتان

أي: ومن المصائب التي تلبس بها المعطلة إنهم قالوا بأن لفظة الله فيهـا خلاف، هل هو عربي أم سرياني؟ وكذا فيه اختلاف؛ هل هو مشتق أم هو جامد؟ وأصله ماذا؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها. فانظر أيها الناظر في هذا الكتاب ما في هذا الكلام من التلبيس والبهتان، وذلك أنه لاخلاف بين العقلاء ان الله اسم لرب العالمين، خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت، وهو رب كل شيء ومليكه، فهم لايختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل اسم وضع لكل مسمى، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه، ولا يتطرق الى ذلك إجمال ولامجاز، ومن غير نظر إلى أنه عربي أم سرياني؟ وهل هو مشتق أم جامد؟ فإن هذا خلاف في أحوال اللفظ لا في وضعه.

ثم ضرب الناظم لذلك مثلاً فقال: وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة ... الخ وفيه لهم قولان، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين.

ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد، ولهم في ذلك قولان فليس بينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ﷺ، ونظائر هذا لاتحصى. أفبمثل هـذا الهذيان تعزل نصوص الكتاب والسنه عن إفادة اليقين؟ ثم حمد الله على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة، وخلاف نصوص الكتاب والسنة.

فصل

في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة :

فرموهم بغياً بما الرامي به أولى ليدفع عنه فعل الجاني

يرمي البريء بما جناه مباهتاً ولذاك عند الغر يشتبهان

سموهم حشوية ونوابتا ومجسمين وعابدي أوثان

وكذاك أعداء الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان

نصبوا العداوة للصحابة ثم سموا بالنواصب شيعة الرحمن

وكذا المعطل شبّه الرحمن بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان

وكذاك شبّه قوله بكلامنا حتى نفاه وذان تشبيهان

وكذاك شبه وصفه بصفاتنا حتى نفاها عنه بالبهتان

وأتى إلى وصف الرسول لربه سماه تشبيهاً فيا اخوان

بالله من أولى بهذا الاسم من هذا الخبيث المخبث الشيطان

إن كان تشبيهاً ثبوت صفاته سبحانه فبأكمل ذي شان

لكنّ نفي صفاته تشبيهه بالجامدات وكل ذي نقصان

بل بالذي هو غير شيء وهو معدوم وإن يفرض ففي الأذهان

فمن المشبه بالحقيقة أنتم أم مثبت الاوصاف للرحمن

أي : إن المعطلة رموا أهل الحديث بألقاب قبيحة شنيعة ، ولقبوهم بما هم أولى به — أعني النفاة — فسموهم حشوية ونوابت ومجسمة وعباد أوثان وقد تقدم معنى ذلك و كذلك الروافض أعداء الرسول وصحبه نصبوا العداوة للصحابة رضي الله عنهم ، ثم سموا أهل السنة نواصب ، و كذلك المعطلة شبهوا الله تعالى بالمعدوم ولم يفهموا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إلا التشبيه ، فنفوا ذلك ثم شبهوا الله تعالى بالمعدوم ، فجمعوا الوصفين ، شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً ، وسموا أهل الحديث أيضاً مشبهة ، وهم قد شبهوا الله تعالى وتقدس بالجامدات وكل ذي نقص ، بل شبهوه بالمعدوم ، فيقول الناظم : فمن الذي أولى بهذا الاسم — يعني التشبيه — أنتم أم المثبتة؟ وحاشا المثبتة فهم أولى بالله ورسوله ، وقولهم هو الحق الذي دل عليها النقل الصريح .

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين من المشركين والموحدين . والملقبين الأولى بفتح القاف ، والثانية بكسرها .

هذا وثم لطيفة عجب سأبـــديها لكم يامعشر الاخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه واعقل فذاك حقيقة الانسان
لابد أن يرث الرسول وضده في الناس طائفتان مختلفان

فالوارثون له على منهاجه والوارثون لضده فئتان

إحداهما حرب له ولحزبه ما عندهم في ذاك من كتمان

فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن

فأتى الألى ورثوهم فرموا بها وراثه بالبغي والعدوان

هذا يحقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان

والآخرون أولو النفاق فأضمروا شيئاً وقالوا غيره بلسان

وكذا المعطل مضمر تعطيله قد أظهر التنزيه للرحمن

هذي مواريث العباد تقسمت بين الطوائف قسمة المنان

أي : من المعلوم أنه لابد أن يرث الرسول ﷺ وضده طائفتان : إحداهما : حرب له ، أي : محارب له ولدينه . والثانية : ورثته وأتباع سنته.

قوله : فرموه من ألقابهم بعظائم الخ ؛ أي : ان أعداء الرسول ﷺ الذين في وقته رموه بعظائم كقولهم : ساحر ومجنون ، كذاب ومفتر مذمم وكذا ورثة أعدائه رموا به وراثه بغياً وعدواناً ، وهذا يحقق إرث كل منهما .

قوله : فاسمع وعه ، فعل أمر من الوعي ، وأتى بهاء السكت لاستجلاب النطق بالساكن ، أي : إن المنافقين أضمروا النفاق ، وأظهروا غيره وكذا المعطل أظهر التنزيه وأضمر غيره والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثم لطيفة أخرى بها سلوان من قد سب بالبهتان

تجد المعطل لاعناً لمجسم ومشبه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى ... كمحمد ومذمم اسمان

هم يشتمون مذمما ومحمدٌ ... عن شتمهم في معزل وصيان

صان الإله محمداً عن شتمهم ... في اللفظ والمعنى هما صنوان

كصيانة الأتباع عن شتم المعطل للمشبه هكذا الإرثان

والسب مرجعه عليهم إذ هم ... أهل لكل مذمة وهوان

وكذا المعطل يلعن اسم مشبه ... واسم الموحد في حمى الرحمن

هذي حسان عرائس زفت لكم ... ولدى المعطل هن غير حسان

والعلم يدخل قلب كل موفق ... من غير بواب ولا استئذان

ويرده المحروم من خذلانه ... لا تشقنا اللهم بالحرمان

يافرقة نفت الاله وقوله ... وعلوه بالجحد والكفران

موتوا بغيظكم ، فربي عالم ... بسرائر منكم وخبث جنان

فالله ناصر دينه وكتابه ... ورسوله بالعلم والسلطان

والحق ركن لايقوم لهده ... أحد ولو جمعت له الثقلان

توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم ... فالرب يقبل توبة الندمان

من تاب منكم فالجنان مصيره ... أو مات جهمياً ففي النيران

مضمون هذه اللطيفة التي ابداها الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة دائماً يلعنون المجسمة والمشبهة ، والله يصرف ذلك عن أهل الهدى والسنة المتبعين ،

لما أثبت الله ورسوله من صفات الله تعالى بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، وكذلك كانت حال قريش مع رسول الله ﷺ يسمونه اسم مذمم ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ لأنهم يسمونه مذمماً وهو ﷺ في معزل عن سبهم وصيانة من الله تعالى ، ففي هـذا تسلية للسلف فأتباعهم ، لأن السب يرجع إلى المعطلة لأنهم أهل كل مذمة وهوان وكذا المعطل يلعن اسم مشبه واسم الموحد في حمى الرحمن تبارك وتعالى .

قال ابن اسحق في « سيرته » : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمما ثم يسبونه ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « ألا تعجبون لما يصرف الله عني من قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد »

فصل

في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الانبياء

واسمع وعه سراً عجيباً كان مكـتوماً من الأقوام منذ زمان

فأذعته بعـد اللتيا والتي نصحاً وخوف معرة الكتمان

جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان

فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان

فإذا رأيت النور فيه تقارن الـجيات بالتثليث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها　　سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبروا رجاءٌ ثم جيم تجهم　　فتأمل المجموع في الميزان

قوله : بعد اللتيا والتي . هما من اسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الاسماء الموصولة ، وحذفت صلتها وذلك في عظم الأمر وشدته ، كأنه قال : كفيته التي عظمت شدتها ، وتناهت بليتها ، وكأنه يريد باللتيا صغار المغارم ؛ أي : غرمها في ماله ، وبالتي عظامها كالدم يعقله عن القاتل ونحوه .

قوله : جيم وجيم الخ ؛ أي : تلك الجيمات مقرونة مع أحرف ؛ أي : جبروا ، رجاء وتجهم .

قوله : طلسم ، هو واحد الطلاسم وهي اسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعارف وغيرها مع قوة نفس صالحة لهذا العمل ، فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه .

قوله : فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث ... هذا شيء عند المنجمين يسمى بالتثليث والتربيع ، ويسمونه النصبة ؛ أي إذا تقارنت الجيمات الثلاث في برج الثور وهو أحد البروج الاثني عشر المذكورة في قوله :

حمل الثور جوزة السرطان　　ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بالقوس جديا　　فملا الدلو بركة الحيتان

يقول الناظم : إذا حصل هـــذا القران في البرج المذكور فاحكم لمن حصل له هـــذا الطالع بخلاصه من ربقة الإيمان ، ثم شرع الناظم في بيان كيفية الخروج عن جميع ديانات الأنبياء لمن حصلت له هذه الجيمات ، فقال :

فاحكم بطالعها لمن حصلت له　　بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الاقدار ذنبك كله　　حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذرك إذترى الأ　　فعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها　　مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لافاعل أبداً ولا هو قادر　　كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجها　　فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحف　　أو شكلها حذراً من الالحان

وهذه جيم الجبر لأن عند الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنها مثل ارتعاش المرتعش أو كالميت يدرج في الأكفان ، وكأمر الأعمى بنقط المصاحف أو شكلها .

قوله :

واذا ارتفعت دريجة أخرى رأيـــت الكل طاعات بلا عصيان
إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل　　لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما　　يقضي به وكلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة　　عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم التي　　للجبر من كفر ومن بهتان

أي : لما ارتفع الجبري درجة أخرى رأى الكل طاعات ، وفي هذه الحال يقول قائلهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره　　مني ففعلي كله طاعات

ويقول : إن خالفت الشرع فقد أطعت القدر والإرادة ، ومطيع الأمر مثل مطيع القضاء ، وعبد الأمر مثل عبد المشيئة . ونحو ذلك. قوله عند المحقق ، أي : بزعمهم، فهذا ماقادته جيم الجبر من الكفر والبهتان .

قولـــه :

وكذلك الارجاء حين تقر بالـــمعبود تصبح كامل الايمان

فارم المصاحف في الحشوش وخوب البيت العتيق وجد في العصيان

واقتل إذا ما اسطعت كل موحد ... وتمسحن بالقس والصلبان

واشتم جميع المرسلين ومن أتوا ... من عنده جهراً بلا كتمان

وإذا رأيت حجارة فاسجد لها ... بل خر للأصنام والأوثان

وأقر أن الله جل جـــلاله ... هو وحده البادي لذي الأكوان

وأقر أن رسوله حقاً أتى ... من عنده بالوحي والقرآن

فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا ... وزر عليك وليس بالكفران

هذا هو الإرجاء عند غلاتهم ... من كل جهمي أخي الشيطان

فأضف الى الجيمين جيم تجهم ... وانف الصفات والق بالأرسان

قل ليس فوق العرش رب عالم ... بسرائر منا ولا إعلان

بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا ... بصر ولا عدل ولا إحسان

بل ليس فوق العرش معبود سوى الـــعدم الذي لاشيء في الأعيان

بل ليس فوق العرش من متكلم بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعد أبداً ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كحظ ما تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم للعرش نسبته الى البنيان
فعليهما استولى جميعاً قدرة وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم حشواً بلا كيل ولا ميزان
تالله مااستجمعن عند معطل جياتها ولديه من إيمان

شرع الناظم في بيان ماتقتضيه جيم الإرجاء ، وهو أن عندهم إذا أقر الإنسان بأن الله وحده هو الخالق ، وأن رسوله حق أتى من عند الله فهذا هو الإيمان عندهم ، وإن فعل مافعل فهو ذنب ووزر وليس بكفر .

قوله : فارم المصاحف في الحشوش ، وخرب البيت العتيق ، واقتل إن استطعت الموحدين ، واشتم جميع المرسلين ، واسجد للأصنام ، ولا يضرك ذلك إذا أقررت بأن الله الخالق ، وأن رسوله ﷺ حق ، فهذا هو الإرجاء عند غلاة الجهمية .

قوله : فأضف الى الجيمين جيم تجهم ، وهذه الجيم تقتضي نفي الصفات ، وأن الله سبحانه ليس فوق العرش بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم ، وليس فوق العرش رب متكلم ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل من عنده شيء ، بل نسبة الرحمن عندهم للعرش والحضيض التحتاني سواء ، وهو سبحانه

قد استولى عليها بالقدرة ، فهذا الذي أعطته جيم التجهم ، ثم أقسم الناظم أن من اجتمعت له هذه الجيمات الثلاث فقد خلص من ربقة الإيمان، ثم قال :

والجهم، أصّلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان

والوارثون له على التحقيق هم أصحابها لا شيعة الإيمـــان

لكن تقسمت الطوائف قوله ذو السهم والسهمين والسهمان

لكن نجا أهل الحديث المحض أتـــباع الرسول وتابعوا القرآن

عرفوا الذي قد قال مع علم بما قال الرسول فهم أولو العرفان

وسواهم في الجهل والدعوى مع الــكبر العظيم وكثرة الهذيان

مدوا يداً نحو العلى بتكلف وتخلف وتكبر وتوان

أترى ينالوها وهذا شأنهم حاشا العلى من ذا الزبون الفاني

قوله : والجهم أصلها بفتح الهمزة وتشديد الصاد أي : أسسها ، ولكن تقاسمها النـاس، فبعضهم أخذ سهماً، وبعضهم سهمين ، وبعضهم أخذ السهام الثلاثة ، نعوذ بالله من ذلك. والسهان بضم السين جمع سهم. ولم ينج من هذه الجيمات إلا أهل الحديث المحض الذين تبعوا القرآن والرسول ، وعضوا على سنته بالنواجذ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة ، إذا سئل المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما :

وسل المعطل ماتقول إذا أتى … فئتان عند الله تختصمان

إحداهما حكمت على معبودها … بعقولها وبفكرة الأذهان

سمته معقولاً وقالت إنه … أولى من المنصوص بالبرهان

والنص قطعاً لايفيد فنحن أو … لنا وفوضنا لنا قولان

قالت وقلنا فيك لست بداخل … فينا ولست بخارج الأكوان

والعرش أخليناه منك فلست فو … ق العرش لست بقابل لمكان

وكذاك لست بقائل القرآن بل … قد قاله بشر عظيم الشان

ونسبته حقاً إليك بنسبة التشـ … ـريف تعظيماً لذي القرآن

وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى … إن النزول صفات ذي الجثمان

وكذاك قلت ألست ذا وجه ولا … سمع ولا بصر فكيف يدان

وكذاك قلنا لاترى في هذه الـ … ـدنيا ولا يوم المعاد الثاني

وكذاك قلنا مالفعلك حكمة … من أجلها خصصته بزمان

ماثم غير مشيئة قد رجحت   مثلاً على مثل بلا رجحان

لكنّ منا من يقول بحكمة   ليست بوصف قام بالرحمن

هذا وقلنا مااقتضته عقولنا   وعقول أشياخ ذوي عرفان

قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر الـ   ـوحيين تنسلخوا من الإيمان

بل فكروا بعقولكم إن شئتم   أو فاقبلوا آراء عقل فلان

فلأجل هذا لم نحكّم لفظ آ   ثار ولا خبر ولا قرآن

إذ كل تلك أدلة لفظيـة   معزولة عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله   من غير تحريف ولا كتمان

قالوا تلقينا عقيدتنا عن الـ   ـوحيين بالأخبار والقرآن

فالحكم ما حكما به لا رأي أهـ   ـل الاختلاف وظن ذي الحسبان

آراؤهم أحداث هذا الدين نا   قضة لأصل طهارة الإيمان

آراؤهم ريح المقاعد أين تلـ   ـك الريح من روح ومن ريحان

قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا   من فوق عرشك ياعظيم الشان

إنا أبينا أن ندين ببدعة   وضلالة أو إفك ذي بهتان

لكن بما قد قلته أوقاله ... من قد أتانا عنك بالفرقان

وكذاك فارقناهمُ حين احتياج الناس للأنصار والأعوان

كيلا نصير مصيرهم في يومنا ... هذا ونطمع منك بالغفران

فمن الذي منا أحق بأمنه ... فاختر لنفسك ياأخا العرفان

لابد أن نلقاه نحن وأنتمُ ... في موقف العرض العظيم الشان

وهناك يسألنا جميعاً ربنا ... ولديه قطعاً نحن مختصمان

فنقول قلت كذا وقال نبينا ... أيضاً كذا فإمامنا الوحيان

فافعل بنا ماأنت أهل بعد ذا ... نحن العبيد وأنت ذو الإحسان

أَفتقدرون على جواب مثل ذا ... أم تعدلون إلى جواب ثان

مافيه قال الله قال رسوله ... بل فيه قلنا مثل قول فلان

وهو الذي أدت اليه عقولنا ... لما وزنا الوحي بالميزان

إن كان ذلكم الجواب مخلصاً ... فامضوا عليه ياذوي العرفان

تالله ما بعد البيان لمنصف ... إلا العناد ومركب الخذلان

حاصل كلام الناظم في هذين الفصلين أنه يحكي جواب المعطل والمثبت عن قول كل واحد منهما إذا سألهما الرب تعالى يوم القيامة ، ومعنى ماذكره أن المعطل يقول لربه إذا سأله يوم القيامة : يارب اني حكمت عليك بالعقل والفكرة . وهذا أولى من المنصوص ، وقلت : إنك لست بداخل العالم ولا خارجه ، وإنك لست فوق العرش ، وإنك لست بقائل القرآن ، بل هو

عبـــارة أو حكاية عبر بها رسولك البشري وهو محمد ﷺ عن المعنى النفسي ، وإن نسبته إليك نسبة تشريف كما يقال : بيت الله ، وكذاك قلنا : لست تنزل في الدجى لأن النزول من صفات الأجسام ، وكذا قلنا : لا وجه لك ولا سمع ولا بصر ولا يدان ، وكذا قلنا : إنك لاترى في الآخرة ؛ وكذا قلنا : مالفعلك حكمة ، وليس ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل ، ومع ذلك فمنا من يقول : الحكمة ليست تقوم بالرحمن سبحانه ، لأن ذلك يستلزم قيام الحوادث به تعالى ، وقلنا مااقتضته عقولنا وعقول أشياخنا ، وهم قد قالوا : لا تأخذوا بظواهر الوحيين ، بل فكروا بعقولكم أو فاقبلوا رأي فلان وفلان ، قالوا : فلأجل هذا لم نحكم لفظ آثار ولا قرآن ، لأنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين ، وأما الآخرون وهم المثبتة فإنهم أتوا بما قد قاله الله ورسوله من غير تحريف ولا كتمان ، وقالوا : تلقينا عقيدتنا عن الوحيين ، والحكم عندنا ما حكما به ، لا رأي أهل الاختلاف والظنون الفاسدة . قالوا : لابد أن نلقاه نحن وأنتم في موقف العرض ، وهناك يسألنا جميعاً ربنا فنقول : قلت كذا وقال نبينا كذا ، فافعل بنا ماأنت أهل له ، فنحن عبيدك وأنت ذو الإحسان ، أفتقدرون أيها المعطلة على مثل هذا الجواب ؟ أم تجيبون بجواب ليس فيه قال الله قال رسوله ؟ بل تقولون : قولنا مثل قول فلان ، وهذا هو الذي أدت إليه عقولنا ، فإن كان هذا الجواب مخلصاً لكم فامضوا عليه ، والله الموفق .

فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين .

يا أيها الباغي على أتباعه بالظلم والبهتان والعدوان
قد حمّلوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن
واشهد عليهم إن سألت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان
فوق السموات العلى حقاً على الـ عرش استوى سبحان ذي السلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في الأ قطار سبحان العظيم الشان
وإليه يصعد مايشاء بأمره من طيبات القول والشكران
واليه قد صعد الرسول وقبله عيسى بن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من ههنا حقاً إلى الديان
وكذاك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن
سمع الأمين كلامه منه وأدا ه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً ومعنى ليس يفترقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلم المولود من عمران

سمع ابن عمران الرسول كلامه منه إليه مسمع الآذان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله ناجاه بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله نادى قبله الأبوان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأن الله يسمع صوته الثقلان
والله قال بنفسه لرسوله إني أنا الله العظيم الشان
والله قال بنفسه لرسوله إذهب الى فرعون ذي الطغيان
والله قال بنفسه حمَ مع طه ومعْ يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإله بكل ماقد جاء في القرآن
وبكل ماقال الرسول حقيقة من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيهم وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران
إن المعطل والممثل ماسما متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الأسماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفات وهذه الأركان للإيمان

قالوا عليم وهو ذو علم ويعـــلم غاية الإسرار والإعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويبـــصر كل مرئي وذي الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويســـمع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه وعليك يقدر ياأخا السلطان
وهو المريد له الارادة هكذا أبداً يريد صنائع الاحسان

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات أن المثبتة قد حملوا المعطلة شهادة تؤدى عند ربهم سبحانه باثبات ماأثبته الله لنفسه أوأثبته له رسوله من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه، ونزول الأوامر منه سبحـــانه، وصعود الكلم الطيب اليه، ومعراج الرسول اليه، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام الى الله، وكذا صعود الملائكة اليه دائماً، وكذا روح المصدق بعد الممات تصعد اليـه، وأنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن، وأن الأمين جبريل سمع كلامه، وأداه الى الرسول ﷺ وأنه قول رب العـــالمين حقيقة لفظه ومعناه. واشهد عليهم أيهـا المعطل أنه سبحـــانه كلم المولود من عمران، وهو موسى عليه السلام، وأن الله ناداه وناجاه وكذا اشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله نادى قبله الأبوين آدم وحواء، واشهد عليهم أنهم قالوا: بأن الله ينادي خلقه يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، واشهد عليهم أنهم قالوا: إن الله سبحانه قال: بنفسه (حم) و (طه) و (يس) وأنهم وصفوه سبحانه

بكل ما قد جاء في القرآن ، وبكل ما قال الرسول ، من غير تحريف ولا عدوان ، واشهد عليهم أن كلام الله ورسوله عندهم نص يفيد علم اليقين ، واشهد عليهم أنهم أنكروا التعطيل والتمثيل ، وأن المعطل والممثل غير متيقنين عبادة الرحمن عز وجل ، لأن المعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً ، تعالى الله وتقدس ، واشهد عليهم أيها المعطل أنهم قد أثبتوا أسماء الرب تعالى وصفاته المقدسة ، وكذا أثبتوا أحكام الصفات ، وأنه سبحانه عليم يعلم ويعلم السر وأخفى ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه بصير وذو بصر ويبصر كل شيء ، وكذا أثبتوا أنه سبحانه سميع وذو سمع ويسمع كل مسموع ، وأنه سبحانه متكلم وله كلام ، ويكلم من شاء سبحانه ، وكذا أثبتوا له سبحانه القوة بقوة هي وصفه وهو على كل شيء قدير ، وأثبتوا أنه تعالى مريد وله الارادة ويريد سبحانه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والوصف معنى قائم بالذات والـــ أسماء إعلام لـــه بوزان

أسماؤه دالت على أوصافه مشتقة منها اشتقاق معان

وصفاته دلت على أسمائـــه والفعل مرتبط بـه الأمران

والحكم نسبتها إلى متعلقا ت تقتضي آثارها ببيـــان

ولربما يعني به الاخبار عن آثارهـا يعني بـه أمـران

والفعل إعطاء الارادة حكمها مع قدرة الفعال والإمكان

فاذا انتفت أوصافه سبحانه فجميع هذا بيّن البطلان

أي إن صفاته سبحانه معان قائمة بذاته ، والأسماء أعلام ، والأسماء تدل على الصفات ، وهي مشتقة منها ، وصفاته دلت على أسمائه . وتوضيح ذلك أنه لما اتصف سبحانه بالعلم اشتق له منه اسم العليم ، ولما اتصف سبحانه بالرحمة اشتق له منها اسم الرحمن ، وهكذا قوله : والحكم نسبتها الى متعلقات تقتضي آثارها ببيان ، يعني أن أحكام الصفات تنسب الى متعلقات تقتضي آثارها وذلك أن نقول: هو سبحانه عليم ويعلم كل شيء ، بصير ويبصر كل شيء ، سميع ويسمع كل شيء ، كما تقدم في الأبيات .

قوله : فإذا انتفت أوصافه سبحانه الخ ... ؛ أي : اذا انتفت صفاته سبحانه ، فجميع هذا باطل بغير شك ، وأهل الاثبات يثبتون جميع ذلك خلافاً للمعطلة القائلين بأنه سبحانه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، بصير بلا بصر ، ونحو ذلك .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قالوا بهـــذا كله جهراً بلا كتمان

واشهد عليهم أنهم برآء من   تأويل كل محرف شيطان

واشهد عليهم أنهم يتأولو   ن حقيقة التأويل في القرآن

هم في الحقيقة أهل تأويل الذي   يعنى به لا قائل الهذيان

واشهد عليهم أن تأويلاتهم   صرف عن المرجوح للرجحان

أي : واشهد عليهم أيها المعطل أنهم يتأولون ، ولكن لا بالمعنى المصطلح عليه عند كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، فهذا القسم

من التأويل باطل عند المثبتة ، والتأويل الذي يثبتونه هو بمعنى التفسير ، وهذا معنى قول الناظم : هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعني به الخ . وذلك كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين ، ومجاهد إمام المفسرين ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما : فاذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه ، فالمراد معرفة تفسيره ،

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم حملوا النصو ص على الحقيقة لا المجاز الثاني

الا اذا ما اضطرهم لمجازها الـــمضطر من حس ومن برهان

فهناك عصمتها اباحته بغيـــر تجانف للاثم والعدوان

حاصل ما نتكلم به في هذه الأبيات أن نذكر كلام العلماء في المجاز وثبوته أو نفيه ، ثم نتكلم على معنى الأبيات الثلاثة بما يسره الله تعالى[١] فنقول : قال الشيخ علاء الدين المرداوي في كتاب « التحرير » في اصول الفقهاء الأربعة وغيرهم : المجاز واقع ، وخالف الأستاذ والشيخ وغيرهما وردوه الى المتواطىء ، وعلى الأول ليس المجاز بأغلب في الأصح ، وهو في القرآن عند أحمد وأكثر أصحابه . والأكثر ، وعنه : لا ، اختاره ابن حامد والتميمي ، والخرزي وغيرهم . وقيل : ولا في الحديث أيضاً . انتهى كلامه. ومعنى كلامه أن الأئمة الأربعة وغيرهم ذهبوا الى وقوع المجاز ، وخالف في ذلك الاستاذ يعني الشيخ أبا اسحق الاسفرايني الشافعي ، والشيخ ، يعني به

(١) ذكر المصنف رحمه الله ما اراد ذكره من كلام العلماء ، ولكنه لم يتكلم على معنى الابيات الثلاثة . (ابن مانع)

شيخ الاسلام رحمها الله تعالى ، وكلامه رحمه الله معروف في كتاب « الايمان » وهو أنه اختار نفي المجاز في الكتاب والسنة ولغة العرب . والناظم رحمه الله في هذا الموضع اختار في المسألة تفصيلا . وهو ان النصوص تحمل على الحقيقة إلا عند الاضطرار الى المجاز ، فتصرف اليه . وقد قال في كلام له : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وانما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : احدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً . والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معنـــاه لا يقبل تأويلا ولا مجازاً وان قدر تطرق ذلك الى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب اليه وإن تطرق الى واحد بمفرده .

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج الى تأويله ليوافقها ، وأما اذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، (فقد) صارت بمنزلة النص وأقوى وتأويلها ممتنع . انتهى كلامه .

وهذا الذي ذكره قد ذكره غيره من العلماء ، وهو أنهم قالوا : ان الأدلة إذا تكاثرت ودلت على معنى ، ثم ورد دليل واحد يخالف تلك الأدلة ، وجب الأخذ بتلك الأدلة ، وتأويل ذلك الدليل الواحد حتى يوافقها . وقد رأيت شيخ الاسلام أثبت المجاز في بعض كلامه ، قال في «الفتيا الدمشقية » واعلم ان من لم يحكم دلالات اللفظ ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي ، أو العرفي أو الشرعي ، إما في الألفاظ المفردة ، وإما في المركبة ، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من

التركيب الذي يتغير به دلالته في نفسه ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً ، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه ، وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ ، أو يبين أن المراد به هو مجازه ... إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور ، وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع . نعم اذا لم يقترن باللفظ قط شيء من القرائن المتصلة تبين مراد المتكلم ، بل علم مراده بدليل آخر لفظي منفصل ، فهنا أريد به خلاف الظاهر ، كالعموم المخصوص بدليل منفصل ... الى أن قال : إن الألفاظ نوعان : احدهما : ما معناه مفرد ، كلفظ الأسد ، والحمار ، والبحر ، والكلب ، فهذا اذا قيل : أسد الله وأسد رسوله ، أو قيل للبليد : حمار . أو قيل للعالم أو السخي أو الجواد : أمن الخيل بحراً ، أو قيل للأسد : كلب ، فهذا مجاز ، ثم اقترنت به قرينة تبين المراد . كقول النبي ﷺ لفرس أبي طلحة : « ان وجدناه لبحراً » وقوله : « إن خالداً سيف من سيوف الله سله الله على المشركين »(١) وقوله لعثمان : «ان الله مقمصك قميصاً».

---

(١) أورده بهذا اللفظ الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » من رواية ابن عساكر عن عمر . ورمز له بالضعف . ولكن رواه احمد في « المسند » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد » رواه احمد، والطبراني بنحوه ورجالها ثقات ، ورواه الترمذي من رواية زيد بن اسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله » قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا يعرف لزيد بن اسلم سماع من ابي هريرة ، وهو حديث مرسل عندي . ورواه الطبراني عن أنس بن مالك قال : نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مؤتة على المنبر قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله » قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعى اهل مؤتة قال : « ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه» قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن احمد بن حنبل وهو امام ثبت

وقول ابن عباس : الحجر الأسود يمين الله في الارض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه ، [(١)] أوكما قال ، ونحو ذلك ، فهنا اللفظ فيه تجوز. إلى اخر كلامه . فهذا ظاهر في اثبات المجاز والله أعلم .

وأما الناظم رحمه الله تعالى فقد رأيت في كلامه في النظم ، وفي كلامه الذي نقلناه عنه . ولكنه قد بالغ في كتاب « الصواعق المرسلة » في ابطال المجاز ، واستدل لذلك بنحو خمسين وجهاً . ورد على ابن جني كلامه في المجاز من أوجه كثيرة والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

واشهد عليهم أنهم لا يكفرو نكم بما قلتم من الكفران
اذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولي كفر ولا ايمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل لا تعرفون حقيقة الايمان
الا اذا عاندتم ورددتم قول الرسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من انس وجن ساكني النيران

يأتي الكلام في مسألة التكفير ان شاء الله تعالى في الفصل الذي أوله :
ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـــأقدار واردة من الرحمن
واشهد عليهم أن حجة ربهم قامت عليهم وهو ذو غفران

---

(١) هذا الحديث روي موقوفاً على ابن عباس، وروي مرفوعاً بعدة روايات لا تخلو كلها من ضعف .

واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقة الطاعات والعصيان

والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء فبئست الرأيان

واشهد عليهم ان ايمان الورى قول وفعل ثم عقد جنان

ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا بالضد يمسي وهو ذو نقصان

والله ما ايمان عاصينا كايمان الامين منزل القرآن

كلا ولا ايمان مؤمننا كايمان الرسول معلم الايمان

واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا أهل الكبائر في حميم آن

بل يخرجون باذنه بشفاعة وبدونها لمساكن بجنان

واشهد عليهم أن ربهم يرى يوم المعاد كما يرى القمران

واشهد عليهم أن أصحاب الرسول خيار خلق الله من انسان

حاشا النبيين الكرام فانهم خير البرية خيرة الرحمن

وخيارهم خلفاؤه من بعده وخيارهم حقاً هما العمران

والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان

كل بحسب السبق أفضل رتبة من لاحق والفضل للمنان

قد تكلمنا على أكثر مضمون هذه الأبيات في غضون هذا الشرح .

وأما مسألة خلق أفعال العباد ، ومسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية ،

يزيد وينقص ، فينبسط الكلام عليها بعض البسط ، لأنها من الأصول الكبار لأهل السنة والجماعة ، فنقول :

قوله: واشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة الطاعات الخ . . . أي : أن أهل الإثبات،أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين . فالدرجة الأولى الإيمان بأنه تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق. فأول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال: ما أكتب؟ فقال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة[1] ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) الحديد : ٢٤ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه ، يكون في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتب في اللوح المحفوظ : فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح ، بعث إليه ملك ، فيأمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ،[2] وأما الدرجة الثانية،

---

(١) رواه احمد في « المسند » (٥/٣١٧) وسنده حسن ، ورواه أبو داود رقم (٤٧٠٠) ورواه الترمذي في القدر وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأخرجه في التفسير من هذا الوجه وقال : حديث غريب ، فالحديث بمجموع طرقه صحيح .

(٢) يشير بذلك الى ما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . . . » الحديث

فهو مشيئة الله تعالى النافذة ، وقدرته الشاملة ؛ وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى ، لايكون في ملكه ما لايريده سبحانه ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء، الا الله سبحانه خالقه ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه . وقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسوله ، ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي . وللعباد قدرة على أعمالهم ، وإرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التكوير : ٢٨، ٢٩ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ « مجوس هذه الأمة » [١] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختيـــاره ، ويخرجونه عن أفعال الله وحكمها ومصالحها .

قوله : والجبر عندهم المحال الخ . . . اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر . قال الخـــلال في كتاب « السنة » الرد على القدرية ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) وفي سنده انقطاع ، ورواه أحمد في « المسند » وفيه ضعف . ورواه الآجري في كتاب « الشريعة » ص (١٩٠) وفيه ضعف أيضاً ولكن ربما كان بمجموع طرقه يصلح للاحتجاج .

وقولهم . إن الله أجبر العباد على المعاصي ، ثم روي عن عمر ، وابن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء ، والقدر ، والخلق ، والجبل ؛ فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين ، من أحسن الأجوبة .

أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري ، فإنه قال : أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، فنفى الجبر ، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة ؛ هو إلزام الإنسان بخلاف رضاه ، كما يقول الفقهاء في باب النكاح : هل تجبر المرأة على النكاح ، أو لا تجبر ؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع ؟ فيعنون بجبرها ، إنكاحها بدون رضاها واختيارها ، ويعنون بعضلها ، منعها مما ترضاه وتختاره . فقال : الله أعظم من أن يجبر أو يعضل ، لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله ؛ ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يحبه ويرضاه ويريده ، وهي أفعاله الاختيارية ، ولا يكون معضولاً عما يتركه فيبغضه ويكرهه ، أو لا يريده ، وهي تروكه الاختيارية .

وأما الأوزاعي : فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ ، وإن عنى به هذا المعنى ، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيفضي إلى اطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل ، وذلك لا يسوغ .

فان قيل : إنه يراد به معنى صحيح . قال الخلال : أنا أبو بكر المروذي قال : سمعت بعض المشيخة يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : أنكر سفيان الثوري الجبر وقال : الله جبل العباد . وقال المروذي : أظنه أراد قول النبي ﷺ لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في « صحيح مسلم » « إن فيك لخلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة » فقال : أخلقين تخلقت بهما ، أو خلقين جبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقين جبلت عليهما »[1] فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله . ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق أفعال العباد بقوله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعاً) المعارج : ١٩ - ٢١ فأخبر أنه خلق على هذه الصفة ، واحتج غيره بقول الخليل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) ابراهيم : ٤٠ وقوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة : ١٢٨ وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي ، لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً ، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل ، كما ذكر الخلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » فقال : ثنا محمد بن بكار ، ثنا أبو معشر ، ثنا بن محمد بن كعب ، قال : إنما سمي الجبار ، لأنه يجبر الخلق على ما أراد ، فإذا امتنع من إطلاق اللفظ المجمل المشتبه ، زال المحذور ، وكان أحسن من نفيه ، وإن كان ظاهراً في المعنى الفاسد ، خشية أن يظن أنه ينفي المعنين جميعاً ، وهكذا يقال في نفي الطاقة عن المأمور ، فإن إثبات الجبر في المحظور نظير سلب الطاقة في المأمور ،

---

(١) رواه مسلم عن ابن عباس بلفظ «إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة» وفي رواية لمسلم أيضاً « ان فيك لخصلتين ». ورواه بالزيادة التي في الكتاب أبو يعلى في مسنده وغيره.

وهكذا كان يقول الامام أحمد وغيره من أئمة السنة . قال الخلال : أنبأ الميموني قال : سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يناظر خالد بن خراش، يعني في القدر، فذكروا رجلاً فقال عبد الله : إنما كره من هذا أن تقول : أجبر الله وقال : أنبأ المروذي ، قلت لأبي عبد الله : رجل يقول : ان الله أجبر العباد . فقال : هكذا لا نقول ، وأنكر هذا . وقال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء . قال : أنبأ المروذي ، قال : كتب الى عبد الوهاب في أمر حسن بن خلف العكبري ، وقال : إنه تنزه عن ميراث أبيه . فقال : رجل قدري . قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن رجاء فقال : ان الله جبر العباد على ما أراد ، أراد بذلك إثبات القدر ، فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتاباً ؟! وأنكر عليهما جميعاً ، على ابن رجاء حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري حين قال : يجبر ، وأنكر على أحمد ابن علي وضعه الكتاب ، واحتجاجه ، وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب ، وقال لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد ، فقلت لأبي عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة ؟ قال : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء. قال المروذي في هذه المسألة: إنه سمع أبا عبد الله لما أنكر على الذي قال : لم يجبر ، وعلى من رد عليه جبر . فقال أبو عبد الله : كلما ابتدع رجل بدعة اتسع الناس في جوابها ، وقال: يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثة ، وأنكر على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن له فيها إمام تقدم . قال المروذي : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن علي من عكبر ، ومعه مشيخة وكتاب من أهل عكبر ، فأدخلت أحمد بن علي على ابي عبد الله فقال :

يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب ، ادفعه الى أبي بكر حتى يقطعه ، وأنا أقوم على منبر عكبر ، وأستغفر الله عز وجل . فقال أبو عبد الله لي : ينبغي أن يقبلوا منه ، فرجعوا اليه . وقد بسطنا الكلام في هذا المقام في غير هذا الموضع . انتهى كلام شيخ الاسلام .

قوله : واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل الخ . . . هذه المسألة من مسائل الأصول الكبار ، ومذهب أهل السنة والجماعة ، أن الإيمان تصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان ، وأنه يزيد وينقص . وذهب جهم ، والصالحي ، والأشعري في المشهور من قوليه ، إلى أن الإيمان هو تصديق القلب . وذهبت المرجئة ، إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب . وذهبت الكرامية ، إلى أن الإيمان هو تصديق اللسان فقط . قال الامام الشافعي رحمه الله في « الأم » : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، لاتجزىء واحدة من الثلاثة الا بالأخرى .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ولهذا كان القول ! إن الايمان قول، وعمل عند أهل السنة ، ومن شعائر السنة .

وروى أبو عمر الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال : أملى علينا اسحاق بن راهويه ، أن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص، لاشك أن ذلك كما وصفنا ، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة ، والآثار العامة المحكمة ، وأقوال أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين هلم جرا على ذلك ، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد ، لايختلفون فيه ؛

وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام ، وسفيان الثوري بالعراق ، ومالك بن أنس بالحجاز ، ومعمر باليمن على مافسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وقال اسحاق : من ترك الصلاة متعمداً حتى ذهب وقتها ، الظهر إلى المغرب ، والمغرب الى نصف الليل ، فانه كافر بالله العظيم ، يستاب ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع وقال : تركها كفراً ، ضربت عنقه ، يعني تركها وقال ذلك ، وأما اذا صلى وقال ذلك ، فهذه مسألة اجتهاد . قال : واتبعهم على ماوصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم ، الا من باين الجماعة ، واتبع الأهواء المختلفة ، فأولئك لايعبأ الله بهم لما باينوا الجماعة .

قوله : ويزيد بالطاعات قطعاً الخ ؛ اي : أن أهل السنة والحديث ، على أن الايمان يتفاضل ، وجمهورهم يقول : يزيد وينقص ، ومنهم من يقول : يزيد ، ولا ينقص ، كما روي عن مالك في احدى الروايتين ، ومنهم من يقول : يتفاضل ، كعبد الله بن المبارك ، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ، ولم يعرف فيه مخالف منهم ، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة ، عن ابي جعفر ، عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : الايمان يزيد وينقص. قيل له : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فتلك زيادته ، واذا غفلنا ونسينا ، فتلك نقصانه .

وروى اسماعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد ، عن أبي الدرداء ، قال : الايمان يزيد وينقص . وقال احمد بن حنبل : ثنا يزيد ، ثنا جرير بن عثمان قال : سمعت أشياخنا أو بعض أشياخنا أن أبا الدرداء ، قال : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد

إيمانه ، أم ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه ؟

وروى أسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي ، عن أبي هريرة قال : الايمان يزيد وينقص . وقال أحمد بن حنبل : ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن ذر قالا : كان عمر بن الخطاب يقول لاصحابه : هلموا نزدد إيمانا ، فيذكرون الله عز وجل . وقال أبو عبيد : في « الغريب » في حديث علي : إن الايمان يبدو لمظة في القلب ، كلما ازداد الايمان ، ازدادت اللمظة . وروي ذلك عن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي قال . الأصمعي اللمظة مثل النكتة أو نحوها .

وقال أحمد بن حنبل : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن هلال ، عن عبد الله ابن عكيم قال : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيمانا وايقانا وفقها .

وروى سفيان الثوري عن جامع بن شداد ، عن سواد بن هلال قال : كان معاذ بن جبل يقول للرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله تعالى . وروى ابو اليمان : ثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من اصحابه يقول : قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر . وهذه الزيادة قد ذكرها الصحابة ، وأثبتوها بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله . وصح عن عمار بن ياسر أنه قال : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان . الانصاف من نفسه ، والانفاق من الاقتار ، وبذل السلام للعالم . ذكره البخاري عنه في « صحيحه » وقال جندب بن عبد الله : وابن عمر وغيرهما : تعلمنا الإيمان ، تعلمنا القرآن ، فازددنا إيماناً . والآثار في هذا كثيرة ، رواها المصنفون في هذا الباب عن

الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة . وقال الحافظ ابو عمر بن عبدالبر في « التمهيد » أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان . قول وعمل ، ولا عمل إلا بنيـــة ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعصية ، الطاعات كلها عندهم ايمان ، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة و أصحابه ، فإنهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى إيماناً قالوا : انما الايمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد المعرفة ، وذكر ما احتجوا به ... الى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز ، والعراق والشام ، ومصر ، منهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن علي ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الايمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة ، فهو من الايمان ، والايمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر . ألا ترى قوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » الحديث [١] يريد مستكمل الايمان ، ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك ، بدليل الاجماع على توريث الزاني ، والسارق ، والشارب للخمر إذا صلوا الى القبلة ، وانتحلوا دعوة الإسلام ، من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال ، واحتجوا على ذلك ، ثم قال : وأكثر أصحاب مالك قالوا : إن الايمان والاسلام شيء واحد ، قال:

---

(١) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

وأما قول المعتزلة ، فالإيمان عندهم جماع الطاعات ، ومن قصر عن شيء منها فهو فاسق ، لا مؤمن ، ولا كافر ، وهؤلاء هم المحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين ... الى أن قال : وعلى أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الأثر ، والفقهاء من أهل الفتيا في الامصار .

وروى ابن القاسم عن مالك أن الايمان يزيد ، وتوقف في نقصانه . وروى عنه عبد الرزاق ، ومعن بن عيسى ، وابن نافع أنه يزيد وينقص ، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله . ثم ذكر حجج المرجئة ، ثم حجج أهل السنة ، ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة للعصاة في الزنا والسرقة ، ونحو ذلك ، وبالموارثة . وبحديث عبادة بن الصامت من أصاب ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له . وقال : الايمان مراتب ، بعضها فوق بعض ، فليس ناقص الايمان ككامل الايمان . قال الله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال: ٢-٤ وكذلك قوله ﷺ « المؤمن من أمنه الناس ، من المسلم سلم الناس من لسانه ويده »[١] اي حقاً ، ومن هذا قوله « اكمل المؤمنين إيماناً »[٢] ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص . وقوله:

---

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم». وروى البخاري ومسلم الفقرة الأولى من هذا الحديث ،

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ « اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً » رواه احمد وابو داود ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

« أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله » [١] وقوله : «لا ايمان لمن لا امانة له » [٢] يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره «من أحب لله وأبغض لله ..» [٣] الحديث. وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على أن الايمان قول ، وعمل ، ونية ، واصابة السنة . ومن حجج الجهمية على ان الأعمال ليست من الايمان أنهم قالوا: ان القرآن نفى الايمان عن غير هؤلاء كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الأنفال : ٢ — ٤ الايات. ولم يقل :ان هذه الاعمال من الايمان قالوا : فنحن نقول : من لم يعمل هـذه الأعمال لم يكن مؤمناً ، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أنهم سلموا أن هذه الأعمال لازمة لايمان القلب ، فإذا انتفت لم يبق في القلب ايمان ، وهذا هو المطلوب ، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزء، نزاع لفظي :

الثاني : أن نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله : «الايمان بضع وسبعون شعبة ، أو ست وسبعون شعبة» . [٤]

---

(١) رواه احمد في « المسند » عن البراء بن عازب . والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود ، وهو حديث حسن.

(٢) رواه احمد في « المسند » وابن حبان ، والطبراني في «الأوسط » و«الصغير» وهو حديث حسن .

(٣) رواه ابو داود في « سننه » وسنده حسن . وتمامه « واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان .

(٤) اخرجه الشيخان ، ولفظ :ست وسبعون شعبة،من رواية ابي عوانة في صحيحه .

الثالث : أنكم ان قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال عن كل ايمان ، كان قولكم قول الخوارج ، وأنتم في طرف ، والخوارج في طرف ، فكيف توافقونهم في هذه الأمور ؟! ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والإجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لاتكفرون تاركه ، وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج .

الرابع : ان قول القائل إن انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم أن لايكون في قلب الانسان شيء من التصديق بأن الرب حق ، قول يعلم فساده بالاضطرار .

الخامس : أن هذا اذا ثبت في سائر الواجبات ، فيرتفع النزاع المعنوي . ومن حججهم العقلية أيضاً أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله ، ولهذا لما صنف الفخر الرازي « مناقب الامام الشافعي » ذكر قوله في الايمان ، وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشافعي أنه إجماع الصحابة والتابعين ، فاستشكل الرازي قول الشافعي جداً ، لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية ، والكرامية ، وسائر المرجئة ، وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله ، لكن هو لم يذكر الاظاهر شبهتهم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : والجواب عما ذكره هو سهل ، فانه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء . والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون : إن الذنب يقدح في كمال الايمان ، ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء ، فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعاً مع

الذنوب ، لكن يقولون بقي بعضه ، إما أصله وأكثره ، وإما غير ذلك ، فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ، ويبقى بعضه . ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفرتها من لفظ الزيادة ، لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ، إن كان متعدداً متبعضاً عند من يقول بذلك ، وهم الخوارج ، والمعتزلة . وأما الجهمية فهو واحد عندهم ، لا يقبل التعدد ، فيثبتون واحداً لا حقيقة له ، كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ، ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم . ومن العجب أن الاصل الذي أوقعهم في هذا الاعتقاد ، اعتقادهم أنه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان ، وبعض الكفر ، او ما هو ايمان ، وما هو كفر ، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين ، كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره ، فلأجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي ، اجماع السلف الذي ذكر غير واحد من الأئمة ، بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان . انتهى المقصود من كلامه . وقد بسط رحمه الله الكلام في الايمان ، وكلام الناس فيه ، وما لهم وعليهم في كتاب «الايمان» الكبير ، فمن أراد ذلك فليراجعه ، والله أعلم .

قولـــه : العمران ، يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من باب التغليب ، كما قالوا : سيرة العمرين .

فصل

في عهود المثبين مع رب العالمين

ياناصر الاسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
يامن هو الحق المبين وقوله ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كل موحد شرحاً ينال به ذرى الايمان
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما قد قاله ذو الافك والبهتان
وانصر به حزب الهدى واكبت به حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانعش به من قصده إحياؤه واعصمه من كيد امرىء فتان
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان
فوحق نعمتك التي أوليتني وجعلت قلبي واعي القرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى فقرأت فيه أسطر الايمان
ونشلتني من حب أصحاب الهوى بحبائل من محكم الفرقان
وجعلت شربي المنهل العذب الذي هو رأس ماء الوارد الظمآن
وعصمتني من شرب سفل الماء تحت نجاسة الآراء والأذهان

وحفظتني مما ابتليت به الألى حكموا عليك بشرعة البهتان

نبذوا كتابك من وراء ظهورهم وتمسكوا بزخارف الهذيان

وأريتني البدع المضلة كيف يلـــقيها مزخرفة الى الانسان

شيطانه فيظل ينقشها له نقش المشبه صورة بدهان

فيظنها المغرور حقاً وهي في التـــحقيق مثل الآل في القيعان

لأجاهدن عداك ماأبقيتني ولأجعلن قتـــالهم ديداني

ولأفضحنهم على روس الملا ولأفرين أديمهـــم بلسان

ولأكشفن سرائراً خفيت على ضعفاء خلقك منهم ببيان

ولأتبعنهم الى حيث انتهوا حتى يقـال أبعد عبّـــادان

عبّادان بفتح العين وتشديد الباء الموحدة ، وفيه المثل المعروف : ليس وراء عبادان قرية . في « القاموس » عبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس . انتهى .

ولأرجمنهم بأعلام الهدى رجم المريد بثاقب الشهبان

ولأقعدن لهم مراصد كيدهم ولأحصرنهم بكل مكان

ولأجعلن لحومهم ودماءهم في يوم نصرك أعظم القربان

ولأحملن عليهم بعساكر ليست تفر إذا التقى الزحفان

بعساكر الوحيين والفطرات والـــمعقول والمنقول بالاحسان

حتى يبين لمن له عقل من الـــأولى بحكم العقل والبرهان

ولأنصحنّ الله ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان

إن شاء ربي ذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمر للرحمن

قوله : نقش المشبه صورة بدهان . المشبه : المصور ، أي : كما ينقش المصور الصور المنقوشة في الحيطان بالدهـنات من أحمر ، وأخضر ، وأصفر ونحو ذلك .

قال في « القاموس » النقش : تلوين الشيء بلونين أو ألوان ، كالتنقيش . انتهى . قوله : الآل هو السراب .

قوله : القيعان . قال في « القاموس » القـاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، جمع قيع ، وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، وأقواع ، وأقوع . انتهى .

قوله : ولأفرين . قال في « القـــاموس » : فراه يفريه شقه فاسداً أو صالحاً ، كفراه وأفراه . انتهى . يقال : فلان يفري الفرى ، أي : يعمل العمل البالغ .

قوله : المريد ، مرد كنصر ، وكرم ، مروداً ، ومرادةً ، فهو مارد ، ومريد ، ومتمرد : « قاموس » .

فصل

في شهادة أهل الاثبات على أهل التعطيل انه ليس في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي	قلتم نؤديها لدى الرحمن
ماعندكم في الأرض قرآن كلا	م الله حقاً يا أولي العدوان
كلا ولا فوق السموات العلى	رب يطاع بواجب الشكران
كلا ولا في القبر أيضاً عندكم	من مرسل والله عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت	منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكمُ من الأعراض قا	ئمة بجسم الحي كالألوان
وكذا صفات الحي قائمة بـه	مشروطة بحياة ذي الجثمان
فاذا انتفت تلك الحياة فينتفي	مشروطها بالعقل والبرهان
ورسالة المبعوث مشروط بها	كصفاته بالعلم والإيمان
فاذا انتفت تلك الحياة فكل مشـ	ـروط بها عدم لدى الاذهان

أقول: رأيت في كتاب « القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد » لبعض الشافعية ، ونقلته من خط مصنفه .

قال : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » عن الشيخ أبي الحسن الأشعري : إنه يعتقد اذا حاضت الجارية ، أو بلغ الغلام ونبت شعر عانته ولم يعرف الله بالدليل والبرهان ، فكل منهما كافر حلال الدم .

هذا قوله عنه في هذا الكتاب ، وهذا القول في غاية البشاعة ، وما رأيت هذا في كلام أبي الحسن الأشعري . وقد يكون أبو محمد اطلع على مالم أطلع أنا عليه ، فانه لايشك أحد في فضيلته و كثرة علمه ، وانما كان فيه حط على العلماء خصوصاً الأشعري ، فانه ذكر عنه أنه كان يعتقد أن الروح عرض ، وأن الانسان اذا مات لم يبق له وجود ، وسفه ابن حزم هذا الرأي ، وقال: انه يلزم منه خطأ كثير ، وان سائر الأكابر من الخلق ، من الأنبياء ، والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم ، أو رحمهم الله ، كان الكلام فاسداً لاطائل فيه ، لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل ، وهذا الكلام مخالف للكتاب والسنة ، واستشهد على تزييف هذا القول بآيات من الكتاب العزيز ، وأحاديث صحيحة من السنة . وأما آيات الكتاب ، فقوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) آل عمران : ١٦٩ — ١٧٠ ولا شك أن أبدانهم موتى مشاهدة بالحس ، فالكلام عن أرواحهم . قال تعالى عن آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر : ٤٦ ولا شك أن أجسادهم غرقى موات ، وأكل أكثرهم السمك ، وفنوا ، فهو عن ارواحهم . ومتى قال قائل: إن الموات الجماد أو الفاني يدرك أو يحس ، كان هذا الكلام سفسطة ، ويؤيد ذلك ماورد في السنة الشريفة من قوله ﷺ لما وقف على قليب بدر وفيه جثث المشركين « ياأبا جهل بن هشام ، ياعتبة وربيعه ابني شيبة ، يافلان ، يافلان ، قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ماوعدكم حقا ؟ » قالوا : يارسول الله ، أتخاطب الجمادات ؟ قال : « إنهم لأسمع منكم ، ولكن

لا يستطيعون الكلام »[١] وليس ذلك إلا لأرواحهم . وقوله ﷺ في بعض خطبه « حتى إذا حمل الميت على نعشه ، رفرف روحه فوق النعش يقول : يا أهلي ، ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنأة لغيري ، والتبعة علي ، فاحذروا ماحل بي » فهذا قول الروح والجسد ميت فوق النعش ، فلو كانت الروح عرضاً لعدمت عند عدم الجسم ، فان العرض يبطل ببطلان الحامل له وهو الجسم ، فمتى كان يرفرف ويتكلم بذلك الكلام والجسم ميت ؟! قال صاحب « القول المفيد » أقول : ومما يشد كلام ابن حزم أنه ﷺ صلى بالأنبياء ليلة الاسراء ، فلا يخلو إما أن يكون صلى بأرواحهم ، أو بأبدانهم ، لاجائز أن يكون بأبدانهم ، فإن الأبدان موتى مدفونين بالأرض ، فبقي أن يكون بأرواحهم . وان كان يقول : ان الله أحياهم على طريق المعجزة للنبي ﷺ وعليهم أجمعين .

فنقول : إما أن يكونوا استمروا أحياء ، أو عادوا (ماتوا) لا يجوز القول بموتهم ، لقوله تعالى عن أهل السعادة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) الدخان : ٥٦ فكيف يمكن أن يموت من وصل بهم أهل السعادة الى مرتبة السعادة مرتين ، وغيرهم مرة واحدة ؟! هذا فاسد ، ولا يصح استمرارهم أحياء لقوله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »[٢] وقوله عليه السلام : « أنا أول الناس بعثاً يوم القيامة »[٣] فما بقي الا أن يكون صلى بأرواحهم ، والأشعري

---

(١) رواه أحمد والشيخان ، والطبراني وغيرهم بألفاظ متقاربة . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ ، ورواه مسلم بلفظ « أنا أول من ينشق عنه القبر »

(٣) اورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « انا اول الناس خروجاً إذا بعثوا » . وقال : رواه الترمذي ورمز له بالضعف .

لا يقول بالأرواح على ماذكره عنه ابن حزم ، وأنها عرض ، والعرض يفنى عند فساد الأجسام ، فان العرض وجوده بوجود الجسم ، فاذا فسد الحامل فسد المحمول . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الجيوش الاسلامية » وهذا القول في النبوة بنـــاء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن ، كالحيـاة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فاذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الالزام ، وفروا الى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعـــاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت ، وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفـاء الحجج لهم ، وبيان مافي ذلك في كتاب « الكافية الشافية » انتهى .

ونقل الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في « طبقات الحنـابلة » ترجمة الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي أنه قال يوماً على المنبر : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم . ونقل الحافظ ابن رجب في ترجمة الامام شيخ الاسلام عبدالله ابن محمد الأنصاري الحنبلي عن محمد بن طاهر قال : سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير الطوسي وكان أصحابه كلفوه الخروج اليه ؛ وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وأجله ، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة

بين يدي الوزير ، فان أجاب بما يجيب به بـ(هراة) سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي ، يعرف بالعلوي الدبوسي ، فقال : يأذن الشيخ الامام أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل . فقال : لم تلعن فلاناً ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه ، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه . فقال : لا أعرف فلانا ، وانما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف ، وان النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحداً أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بـ(هراة) ، فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا ، وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعة وصلة ، فلم يقبلها ، وخرج من فوره الى هراة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان

قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان

من فوقه أطباق ذاك الترب واللـ ـبنات قد عرضت على الجدران

لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان

ما كان تحت الأرض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمن

أتراه تحت الأرض حياً ثم لا يفتيهمُ بشرائع الإيمان

ويريح أمته من الآراء والـــخلف العظيم وسائر البهتان

أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان

وعن الحراك فما الحياة اللات قد أثبتموها أوضحوا ببيان؟

لما ذكر الناظم قول القائلين بأن الروح عرض، والعرض لا يقوم بنفسه، بل لا يقوم إلا بغيره ، كالألوان ، أي : كما أن الألوان التي هي الأعـراض كالحمرة ، والصفرة ، والخضرة ، ونحوها لا تقوم الا بجسم ، فاذا كانت الروح عرضاً لا تقوم بغيرها ، وفـارقت الجسم ، بطلت صفات الجسم ، والرسالة صفة للرسول ﷺ ، فيلزمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة، فلما رأوا شناعة هذا اللازم ، فروا الى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره كحياته على وجه الأرض ، وهذا معنى قول الناظم : ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه الخ . فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في الضريح كحياته قبل الموات ، فأي حاجة إلى دفنه ؟ بل يكون فوق الأرض ، وهذه سنة الله في الأحياء ، وكيـف يكون حياً تحت الأرض كحياته على وجهها ، ثم لا يفتي أصحابه بالشرائع ، ولا يريح أمته من الآراء والاختلافات العظيمة التي حدثت بعده ؟! فان كان عاجزاً عن النطق ، والجواب ، والحركة فما الحياة التي أثبتموها ؟

قوله : الرجمان هو جمع رجم بالتحريك وهو القبر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا ولمْ لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان

إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه ... سألوه فتيا وهو في الأكون

فأجابهم بجواب حي ناطق ... فأتوا إذاً بالحق والبرهان

هلا أجابهمُ جواباً شافياً ... إن كان حياً ناطقاً بلسان

هذا وما شدت ركائبه عن الـ ... ـحجرات للقاصي من البلدان

مع شدة الحرص العظيم له على ... إرشادهم بطرائق التبيان

أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ... ويكون للتبيان ذا كتمان

أي : اذا كان حيـــاً في قبره كحياته على وجه الأرض ، فلم لم يشك أصحابه إليه بأس الفاجر الفتـان ، يشير الى وقعة الحرة لما قاتلهم مسلم بن عقبة المري ، وقتل من أهـل المدينة من شاء الله ، واستباح المدينة المنورة ثلاثة أيام ، وذلك بأمر الفاجر الفتان يزيد بن معاوية قوله: إذا كان ذاك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم الخ . . أي : أن هذا دأبهم في حياته ﷺ ، انهم كانوا يشكون اليه كما كانوا يشكون اليه إذا نزل بهم القحط ، وغير ذلك .

قوله : هل جاءكم أثر بأن صحابه الخ . . أي : هل جاءكم أثر بان أصحابه استفتوه بعد موته ﷺ فأجابهم بجواب حي ناطق وهو عندهم ﷺ ، هـذا مع شدة حرصه ﷺ على إرشادهم ، كما نعته الله عز وجل بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية .التوبة : ١٢٨ فهل يجوز أن يقـــال بأنه يشاهد اختلافهم ، ويكتم التبيان ، حاشاه من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

إن قلتمُ سبق البيان صدقتمُ ... قد كان بالتكرار ذا إحسان

هذا وكم من أمر اشكل بعده ... أعني على علماء كل زمان

أو ما ترى الفاروق ودّ بأنه ... قد كان منه العهد ذا تبيان ؟

بالجد في ميراثه وكلالة   وببعض أبواب الربى الفتان

قد قصر الفاروق عند فريقكم   إذ لم يسله وهو في الأكفان

أتراهمُ يأتون حول ضريحه   لسؤال أمهمُ أعز حصان

ونبيهم حي يشاهدهم ويســـمعهم ولا يأتي لهم ببيان

أفكان يعجز أن يجيب بقوله   إن كان حياً داخل البنيان؟

ياقومنا استحيوا من العقلاء والـــمبعوث بالقرآن والرحمن

والله لا قدر الرسول عرفتمُ   كلا ولا للنفس والانسان

من كان هذا القدر مبلغ علمه   فليستتر بالصمت والكتمان

ولقد أبان الله أن رسوله   ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعثه لنـــا   في القبر قبل قيامة الأبدان؟

أثلاث موتات تكون لرسله   ولغيرهم من خلقه موتان؟!

إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ   في الأرض حياً قط بالبرهان

أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا   مات الورى أم هل لكم قولان؟!

فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيــــؤوا بالدليل فنحن ذو أذهان

أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـــأصوات حول القبر بالنكران؟

لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده   ميتاً كحرمته لدى الحيوان

قد كان يمكنهم يقولوا إنه   حي فغضوا الصوت بالإحسان

لكنهم بالله أعلم منكم ورسوله وحقائق الإيمان

ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون من قحط وجدب زمان

هذا وبينهم وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان

فنبيهم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولي الإيمان

يقول الناظم : إن قلتم : سبق البيان من الرسول ﷺ ، قلنا ، صدقتم ، لكن يحسن تكرار البيان ، لاسيما لما وقعت تلك الحوادث المهمة والبدع المدلهمة ، فيرشدهم ﷺ الى الصواب ، ويريحهم من تلك الفتن الشديدة الالتهاب ، ﷺ وكم أشكل بعده من الأمور. وفي « الصحيحين » عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا » فعلى هذا قد قصر الفاروق رضي الله عنه عندكم ، فلسان حالكم يقول : قصرت ياعمر هلا سألت رسول الله ﷺ ، إذ هو عندك حي ، فهو يجيبك .

قوله : أتراهم يأتون حول ضريحه لسؤال أمهم الخ . . أتراهم بضم التاء أي : أتظنهم يأتون الى أمهم عائشة رضي الله عنها يسألونها ونبيهم حي يشاهدهم ويسمعهم ، ثم لا يسألونه ولا يبين لهم ماأشكل عليهم ؟! هذا محال من أعظم المحالات ، ولهذا قال : ياقومنا استحيوا من العقلاء ، فانكم لم تعرفوا قدر الرسول ، ولا قدر النفس ، ومن كان هذا مبلغ علمه فالصمت أستر له ، والكتمان أولى به .

قوله : ولقد أبان الله أن رسوله الخ . . أي : أن الله سبحانه قال في القرآن (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر : ٣٠ فاذا صح وثبت أن الرسول ﷺ قد مات ، فهل جاء عنه أن الله باعثه في القبر قبل القيامة ؟! فاذا قلتم

بذلك ، فهل يكون للرسل ثلاث موتات ولغيرهم موتتين ؟! وذلك أنه عند النفخ في الصور لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات ، فاذا كانت الرسل أحياء عند النفخ في الصور ، فهل يموتون ؛ أم يبقون إذا مات الناس؟ فتكلموا بالعلم لا بالدعوى .

قوله : أعز حصان . بفتح الحاء ؛ أي : عفيفة ، ومنه : أحصنت فرجها ، وأحصنت المرأة ، أي : تزوجت ، وتأتي بمعنى العفة ، والحرية ، والاسلام .

قوله : أو لم يقل من قبلكم الرافعي الأصوات حول القبر بالنكران الى آخر الأبيات .

قوله : من قبلكم بفتح القاف . يشير الى مارواه القاضي عياض في «الشفاء» من رواية : محمد بن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : ياأمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوماً فقال : (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية الحجرات : ٣ ومدح قوماً فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية الحجرات : ٣ وذم قوماً فقال : (إن الذي ينادونك) الآية الحجرات : ٤ وان حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . الى آخر الحكاية .

تنبيه : إنما ذكر الناظم هذه الحكاية في معرض الاحتجاج والالزام ، والا فمحمد بن حميد ضعيف .

وقد أطال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في « الصارم المنكي » الكلام على هذه الحكاية ، وبيان حال محمد بن حميد . . . الى أن قال : فانظر هذه الحكاية ، وضعفها ، وانقطاعها ، ونكارتها ، وجهالة بعض رواتها ، ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء . انتهى .

قوله : ولقد أتوا يوماً الى العباس يستسقون الخ . . يشير الى مارواه البخاري عن أنس أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنـــا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون. أفتراهم يعتقدون حياة نبيهم ﷺ كحياته على وجه الأرض؛ ويستسقون بغيره ؟! حاشاهم من ذلك .

فصل

فيما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن

والرسل أكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان

فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والبرهان

وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان

ولأجل هـذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الأزمان

أفليس في هذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان

أو لم ير المختار موسى قائماً في قبره لصلاة ذي القربان

أفميت يأتي الصلاة وأن ذا عين المحال وواضح البطلان؟!

أو لم يقل إني أرد على الذي يأتي بتسليم مع الإحسان؟

أيرد ميتٌ السلام على الذي يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم أحياء في الأجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعـــــرض دائماً في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خص بالفضل العظيم الشان

معنى هذه الأبيات أن القائلين بحياة الرسل في القبور ، احتجوا بأشياء . منها الشهداء ، فانهم أحياء بنص القرآن . كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والرسل أكمل من الشهداء بغير شك ، فهم أحق بالحيـــاة من الشهداء . واحتجوا أيضاً بأن عقد نكاحه ﷺ لم ينفسخ من أزواجه ، وأنهن في عصمته ، ولهذا لم يحل نكاحهن لغيره . واحتجوا أنه ﷺ رأى موسى ليلة المعراج يصلي في قبره[1] وبأنه ﷺ يرد السلام على المسلمين عليه ، كما في قوله ﷺ : « ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[2] واحتجوا أيضاً بالحديث الذي جاء بأنهم أحيـاء في قبورهم . واحتجوا أيضاً

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر » .

(٢) رواه ابو داود عن ابي هـــريرة رضي الله عنه ، وصححه النووي في « رياض الصالحين » و « الاذكار » .

بأن أعمال العباد تعرض عليه في يوم الخميس ، ويوم الاثنين[١] .

ثم شرع الناظم في الجواب عن حججهم فقال :

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حـــجتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده والمال مقسوم على السهمان

---

(١) لقد اشتبه على الشارح حديثان في حديث ، فحديث عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر يوم الخميس ويوم الاثنين . ونصه « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم فاذا انا مت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي اعمالكم ، فان رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رايت شراً استغفرت الله لكم » رواه ابن سعد في « الطبقات » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً ، واورده الحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً من طريقين . ورواه البزار موصولاً ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، فهو حديث ثابت ، وهو مراد الشارح . وحديث عرض الاعمال على الله تعالى الذي فيه ذكر يوم الاثنين ويوم الخميس ، رواه مسلم في « صحيحه » والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تعرض الاعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحناء ، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا» . وفي رواية « تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . . » الحديث .

هذا وإن الأرض تأكل لحمه ... وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح ... مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع ... موت الجسوم وهذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها ... فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا ... أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر إلى قلب الدليل عليهم ... حرفاً بحرف ظاهر التبيان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أن دليل القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم، هو حجتنا عليهم . ولهذا قال: فيقال: أصل دليلكم في ذاك هو حجتنا عليكم، وهو أن الشهيد ثبتت حياته بالنص ، وهو قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) آل عمران : ١٦٩

قوله : مع النهي المؤكد اننا ندعوه ميتاً . يعني قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون) البقرة : ١٥٤ فمع ثبوت حياة الشهيد بالنص لا بالقياس ، فنساؤه حل لنا من بعده بالنكاح ، وماله مقسوم بالميراث مع هذه الحياة ، ومع النهي المؤكد عن أن ندعوه ميتاً ، والأرض والسباع والديدان تأكل لحمه ، ولكنه مع ذلك حي فارح مستبشر بكرامة الله ، كما في قوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران : ١٧٠ فالرسل أولى بالحياة مع موت جسومهم وهي طرية في التراب . وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما في قوله ﷺ : « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلتها ، فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا :

كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي : بليت . فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[١]

قولـــه : ولبعض أتباع الرسول يكون ذا . أي : أن بعض أتبـاع الرسول يكون كذلك . أي : أن الأرض لا تأكل لحمه ، وقد شوهد ذلك رأي عيان ، أي : رؤي ذلك بعين المشاهدة ، فانظر كيف قلبنا الدليل عليهم حرفاً بحرف ، وهذا ظاهر بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكنْ رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان

خيرن بين رسوله وسواه فاخـــترن الرسول لصحة الإيمان

شكر الإله لهن ذاك وربنا سبحانه للعبد ذو شكران

قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذي الإحسان

وكذاك أيضاً قصرهن عليه معـــلوم بلا شك ولا حسبان

زوجاته في هذه الدنيا وفي الـــأخرى يقيناً واضح البرهان

فلذا حرمن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان

لكن أتين بعدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

يشير الناظم الى الجواب عن قولهم : إن نساءه ﷺ لم ينفسخ نكاحهن ، وإنهن حرمن على غيره . ووجه ذلك أن الله سبحـانه خيرهن بين رسوله ،

---

(١) رواه أبو داود في « سننه » وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والحاكم وصححه ، ورواه احمد في « المسند » وهو حديث صحيح

وبين من سواه ؛ فاخترن الرسول ﷺ ، لصحة إيمانهن ، فشكر الله لهن ذلك؛ وقصر رسوله عليهن بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد) الأحزاب : ٥٢ رحمة منه بهن وشكراً لهن . وكذلك أيضاً قصرهن عليه ، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة. ولذلك حرمن على من سواه بعده ، ولكن مع ذلك لما توفي ﷺ أتين بعدة شرعية والله أعلم .

قـــوله :

هذا ورؤيته الكليم مصلياً	في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حسيكة هل قاله	فالحق ما قد قاله البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد[1]	عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمـــام أعله	براوية معلومة التبيـــان
أنس يقول رأى الكليم مصلياً	في قبره فاعجب لذا الفرقان
فرواه موقوفاً عليه وليس بالمـــرفوع واشوقاً إلى العرفان	
بين السياق إلى السياق تفاوت	لا تطرحنه فما هما سيان
لكن تقلد مسلماً وسواه ممـــن صح هذا عنده ببيان	
فرواته الأثبات أعلام الهدى	حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكنّ هذا ليس مختصاً به	والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره	خبراً صحيحاً عنده ذا شان

---

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح »

فيه صلاة العصر في قبر الذي　　قد مات وهو محقق الإيمان

فتمثل الشمس التي قد كان ير　　عاها لأجل صلاة ذي القربان

عند الغروب يخاف فوت صلاته　　فيقول للملكين هل تدعان

حتى أصلي العصر قبل فواتها　　قالا ستفعل ذاك بعد الآن

هذا مع الموت المحقق لا الذي　　حكيت لنا بثبوته القولان

قوله : هذا ورؤيته الكليم مصلياً الخ . . أي : وأما احتجاجهم برؤيته ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ففيه نظر ، وذلك أن الامام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في « صحيحه » وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري ، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً بموسى عليه السلام ، فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ان الميت اذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال : فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ماقبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والاحسان ، ماقبلي مدخل ، فيقول له : اجلس ، فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له : هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه ؟ وما تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ، فيقولون : إنك ستصلي ، أخبرناعما نسألك عنه . . . » الحديث . وقد رواه الامام أحمد في « المسند »[1]

---

(١) ورواه الطبراني في « الاوسط »

وقوله : هذا مع الموت المحقق الخ . أي : أن هذا المذكور في هـــذا الحـديث محقق الموت ، وقد طلب الصلاة وهي في القبر ، والصلاة في القبر ليست مختصة بموسى عليه السلام .

وقوله : لا الذي حكيت بهالقولان . أي : أن صلاة موسى عليـــه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث ، وتقدم أن الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس ، ولهذا لم يروه البخاري في « صحيحه » وأمـــا مسلم فرواه مرفوعاً ، فهذا معنى قول الناظم : لا الذي حكيت به القولان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثابتٌ البناني قد دعى الـــرحمن دعوة صادق الايقان
أن لايزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من إنسان

أي : أن ثابت البناني رحمه الله قد دعى الله أن يرزقه الصلاة في قبره كما قال ابن سعد في « الطبقات » وابن أبي شيبة في « المصنف » والإمـام أحمد في الزهد معاً ، أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني قال : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . وروى أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً يقول لحميد الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره . وروي أيضاً عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ، ومعي حميد الطويل ، فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة ، فاذا أنا به يصلي في قبره ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها ، فما كان الله ليرد دعاءه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكنّ رؤيته لموسى ليلة الـ‍ـمعراج فوق جميع ذي الأكوان

يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران

ولذاك ظن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان

وأجيب عنه بأنه أُسري به ليراه ثم مشاهداً بعيـان

فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أُمكن الوقتان

أي : أن رؤيته موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم ، وهو مقطوع بصحته ، ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره ، ولكن أجيب عنه كما قال الناظم بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ، ورآه أيضاً في الضريح ، وهذا ليس بتناقض ، لأن ذلك ممكن . أي : أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة ، والله أعلم . وقد قال الناظم في كتاب « الروح » وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ليلة الاسراء ، ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه ، وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الأعلى ، ولا تنافي بين الأمرين ، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ، وهذا جمع حسن ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هـذا ورد نبينـا لسـلام من يأتي بتسليم مع الاحسـان

ماذاك مختصاً بـه أيضـا كما قـد قاله المبعوث بالقـرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتسليم عليه وهو ذو ايمان
رد الإله عليه حقا روحه حتى يرد عليه رد بيان

يشير إلى ما رواه أبو داود باسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[1] ويجاب عنه بأن ذلك ليس خاصاً به ﷺ . فقد روى أبو عمر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام » .

تنبيه : اعلم أن القائلين بحياة الأنبياء في القبور أشكل عليهم قوله ﷺ « إلا رد الله علي روحي » وأجابوا عنه بجوابين : أحدهما : ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى : إلا وقد رد الله علي روحي ، يعني أن النبي ﷺ بعد ما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه ، واستمرت في جسده ﷺ .

الجواب الثاني : أنه يحتمل أن يكون رداً معنوياً ، وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الأعلى عن هذا العالم ، فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه .

والجواب أن في كل واحد من الجوابين نظر ، أما الأول وهو الذي ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ، فمضمونه رد روحه ﷺ بعد موته الى جسده ، واستمرارها فيه قبل سلام من يسلم عليه ، وليس هذا المعنى مذكوراً في الحديث ، ولا هو ظاهره ، بل هو مخالف لظاهره ، فإن قوله : « الا رد الله علي روحي » بعد قوله :

---

(١) قال الامام النووي في « رياض الصالحين » : رواه أبو داود باسناد صحيح .

« ما من أحد يسلم علي » يقتضي رد الروح بعد السلام، ولا يقتضي استمرارها في الجسد . وليعلم أن رد الروح في البدن وعودها الى الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه ، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور ، نظير الحياة المعهودة ، بل إعادة الروح الى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت ، وقد ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه[١] ، وفي بيان الميت وحاله ، أن روحه تعاد الى جسده مع العلم بأنها غير مستمرة فيه ، وأن هذه الاعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الميت ، بل هي نوع حياة برزخية ، والحياة جنس تحتها أنواع ، وكذلك الموت ، فإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »[٢] وتعلق الروح بالبدن واتصالها به يتنوع أنواعاً :

أحدها : تعلقها به في هذا العالم يقظة ومناماً .

الثاني : تعلقها به في البرزخ ، والأموات متفاوتون في ذلك ، فالذي للرسل والأنبياء أكمل مما للشهداء ، ولهذا لا تبلى أجسادهم ، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء . والثالث : تعلقها به يوم البعث والنشور في اليوم الآخر . ورد الروح الى البدن في البرزخ ، لا يستلزم الحياة المعهودة ، ومن زعم استلزامه لها لزمه ارتكاب أمور باطلة مخالفة

---

(١) رواه احمد ، وابو داود .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » عن حذيفة وابي ذر ، ومسلم عن ابي البراء ، واصحاب السنن عن حذيفة ولفظ الترمذي « الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها واليه النشور » وقال حديث حسن صحيح .

للحس ، والشرع ، والعقل . وهذا المعنى المذكور في حديث أبي هريرة من رده ﷺ السلام على من يسلم عليه[١] قد ورد نحوه في الرجل يمر بقبر أخيه كما تقدم ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لما يصح وظاهر النكـــران
فانظر الى الاسناد تعرف حاله ... ان كنت ذا علم بهذا الشان

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم ، وهو مارواه أبو يعلى ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه ، انه ﷺ قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » وقد أجاب الناظم عنه بأنه غير صحيح ، ولكن على تقدير صحته ، فلاشك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقة ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها ، من أعمال ، وتكليف ، وعبادة ، ونطق ، وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية الى تلك الحياة البرزخية ، وهذا معنى قول الناظم :

هذا ونحن نقول هم أحياء لـــكن عندنا كحياة ذي الأبدان
والترب تحتهم وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثم عن أيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... بالله من إفك ومن بهتـان
بل عند ربهم تعالى مثلما ... قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجل وحالهم ... أعلى وأكمل عند ذي الاحسان

---

(١) هو حديث ابي داود عن ابي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

قوله : لكن عندنا كحياة ذي الأبدان ، هذا موصوف صفة ؛ أي : مثل الذي قد قلتموه . : لانقول بذلك ، معاذالله من ذلك ؛ أي : لانقول كما قلتم : إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض . نعوذ بالله من إفك ومن بهتان ، بل هم أحياء عند الله كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ لكن حياة أجل وأعلى من حياة الشهداء ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وأما عرض أعمال العبا د عليه فهو الحقّ ذو إمكان

وأتى به أثر فان صح الحديـــث به فحق ليس ذا نكران

لكنّ هذا ليس مختصاً به أيضاً بآثار روين حسان

فعلى أبي الانسان يعرض سعيه وعلى أقاربه مع الإخوان

إن كان سعياً صالحاً فرحوا به واستبشروا باللذة الفرحان

أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا لوا رب راجعه إلى الاحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عقيبه بلسان

يارب إني عائذ من خزية أخزى بها عند القريب الداني

ذاك الشهيد المرتضى ابن روا - المحبوّ بالغفران والرضوان

لكن هذا ذو اختصاص والذي للمصطفى ما يعمل الثقلان

يريد مارواه ابن حبان وغيره ، من حديث أوس رضي الله عنه مرفوعاً « أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (اي بليت) فقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1] وقد أجاب عنه الناظم بأن هذا ليس من خصائصه ﷺ كما روى أحمد ، وابن مندة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فان كان خيراً استبشروا ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » وروى الحكيم الترمذي ، وابن ابي الدنيا في كتاب المنامات ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن النعمان بن بشير ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور ، فان أعمالكم تعرض عليهم » وروى ابن ابي الدنيا ، والاصبهاني في « الترغيب » عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم ، فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور »

قوله : ولذا استعاذ من الصحابة من روى الخ روى ابن المبارك ، والاصبهاني ، عن ابي الدرداء قال : إن أعمالكم تعرض على موتاكم ، فيسرون ويساؤون ، ويقول : اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا تخزي به عبد الله ابن رواحة ، ولكن يجاب عن ذلك أيضاً بأنه مع ذلك لايجوز ان يطلب منهم شيء ، ولا يسألون شيئاً بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة ، أو

---

(١) ورواه ابو داود رقم (١٠٤٧) وسنده صحيح ، ورواه النسائي وابن ماجه ، والدرامي .

توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من وظائف الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة ، وبين مسألة الاستغاثة. ومما يقطع به أن أحداً في زمانه ﷺ أو ممن بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة والصدق — وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب — ما استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه ، بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، ولم يعبدوا إلا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته ﷺ وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، أو قالوا : إنا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ، كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الأنفال : ٩ مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأجل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي نهايات لأقدام الورى	في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيه ليس تحمله عقو	ل بني الزمان لغلظة الأذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها	وصفاتها للالف بالأبدان
فارض الذي رضي الإله لهم به	أتريد تنقض حكمة الديان

هل في عقولهم بأن الروح في أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من أتباعه في سائر الأزمان
وكذاك إن زرت القبور مسلماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهمُ يردون السلام عليك لـــكن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مســكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الأجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان

قال الناظم في كتاب « الروح » له مانصه : واما السلام على أهل القبور وخطابهم ، فلا يدل على أن ارواحهم ليست في الجنة ، وأنها على أفنية القبور ، فهذا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى يسلم عليه عند قبره ، ويرد سلام المسلم عليه ، وقد وافق أبو عمر رحمه الله تعالى على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ويسلم عليهم عند قبورهم ، كما يسلم على غيرهم ، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلم عليهم ، و كما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد ، وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت ، كما تقدم ، ولا يضيق عطنك عن كون الروح

في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام ، وللروح شأن آخر غير شأن البدن ، وهذا جبريل صلوات الله وسلامه عليه ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما مابين المشرق والمغرب ، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم يضع ركبتيه ويديه على فخذيه ، وما أظنك يتسع بطانك أنه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو مستقره . وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو ، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له ، وأهلت لمعرفته ، ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق أن يتسع للايمان بالتنزل الإلهي الى سماء الدنيا كل ليلة ، وهو فوق سمواته على عرشه ، لايكون فوقه شيء البتة ، بل هو العالي على كل شيء ، وعلوه من لوازم ذاته ، وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف ، وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه ، وإشراق الأرض بنوره ، وكذلك مجيئه الى الأرض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها ، وكذلك مجيئه إليها قبل يوم القيامة حين يقبض من عليها ولا يبقى أحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وقد خلت عنه البلاد ، هذا وهو فوق سمواته على عرشه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وقولي إنها مخلوقة ... وحدوثها المعلوم بالبرهان

هذا وقولي إنها ليست كما ... قد قال أهل الافك والبهتان

لاداخل فينا ولاهي خارج ... عنا كما قالوه في الديان

والله لا الرحمن أثبتم ولا ... أرواحكم يامدعي العرفان

عطلتمُ الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمن

قوله : هذا وقولي إنها مخلوقة الخ . هـــذه المسألة ذكرها الناظم في كتاب « الروح » وحاصل كلامه أنه قال : أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق ، و كل ماسواه له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون المفضلة ، وهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها ، وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة ، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج لذلك أنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، وبأن الله أضافها اليه ، كما أضاف اليه علمه ، و كتابه ، وقدرته ، وسمعه ، وبصره ، ويده . وتوقف آخرون فقالوا : لانقول : مخلوقة ، ولا غير مخلوقة ، وقد سئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فان سائلا سأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواماً تكلموا في الروح ، وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح القدس ، وأنها من ذات الله . قال : وأنا أذكر أقاويل متقدميهم ، وأبين مايخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر ، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه ، فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس . فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة . قال : وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقول النبي ﷺ «الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف » رواه الامام أحمد ، ومسلم

وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عنبسة رضي الله عنهم . والجنود المجندة لاتكون إلا مخلوقة وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقول الله تعالى (قل الروح من أمر ربي) الأسراء : ٨٥

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياة من حياته ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « ان الله خلق خلقه من ظلمة ، ثم القى عليهم من نوره » وتمام الحديث : « فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وماتأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى ، وتقدست أسماؤه ، فصار في المؤمن ، فعبد صنف من النصارى عيسى و مريم جميعاً ، لأن عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم . وقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : إن روح آدم عليه السلام مثل ذلك إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله : (ونفخت فيه من روحي) الحجر : ٢٩ وقوله : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة : ٩ فزعموا أن روح ابن آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : إن النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي ، الى أن صار في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ثم في ابنية الحسن ، والحسين ، رضي الله عنهما ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الامام كل شيء ، لايحتاج أن يتعلم من أحد .

قال : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح في آدم وبنيه ، وعيسى ومن سواه من بني آدم ، كلها مخلوقة ، الله خلقها وأنشأها وكونها ، وأخبر عنها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف اليه سائر خلقه . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية : ١٣

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد ابن قتيبة .

قال الناظم في كتاب « الروح » قد تكلم في هذه المسألة طوائف من اكابر العلماء والمشايخ ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخراز ، وأبو يعقوب النهرجوري ، والقاضي أبو يعلى . وقد نص على ذلك الأئمة الكبار ، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه ، فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية . انتهى .

قوله: هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان الخ

قال الناظم في كتاب « الروح » في المسألة التاسعة عشرة: لما سئل عن حقيقة الروح ، وهل هي النفس أو غيرها ؟ وذكر مذاهب الناس في ذلك ، قال : وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً ، وليست في مكان ،

ولا لها طول ، ولا عرض ، ولا عمق ، ولا لون ، ولا بعض ، ولاهي في العالم ، ولا خارج العالم ، ولا مجانبة له ، ولا مباينة . وهذا قول المشائين ، وهو الذي حكاه الأشعري عن أرسطاطاليس ، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ، ولا بالمجاورة ، ولا بالمساكنة ، ولا بالاتصال ، ولا بالمقابلة ، وانما هو التدبير فقط ، واختار هذا المذهب البوشنجي ، ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، والغزالي ، وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو أردأ المذاهب وأبطلها ، وأبعدها من الصواب ، ثم ذكر على ابطال هذا المذهب نحو مائة وستة عشر دليلاً ، ثم اجاب عن أدلة المنازعين بما ليس هذا موضع ذكره ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الاسلام وحصونه جيلا بعد جيل .

لا يفزعنك قراقع وفراقع وجماجع عريت عن البرهان

ماعندهم شيء يهولك غير ذا ك المنجنيق مقطع الاركان

وهو الذي يدعونه التركيب منـ ـصوبا على الاثبات منذ زمان

أرأيت هذا المنجنيق فانهم نصبوه تحت معاقل الايمان

بلغت حجارته الحصون فهدت الشـ ـرفات واستولت على الجدران

لله كم حصن عليه استولت الـــكفار من ذا المنجنيق الجاني

والله مانصبوه حتى عبروا قصداً على الحصن العظيم الشان

ومن البلية أن قوماً بين أهـــل الحصن واطوهم على العدوان

ورموا به معهم وكان مصاب أهـــل الحصن منهم فوق ذي الكفران

فتركبت من كفرهم وو فاق من في الحصن أنواع من الطغيان

وجرت على الاسلام أعظم محنة من ذين تقديراً من الرحمن

والله لولا أن تدارك دينه الـــرحمن كان كسائر الأديان

لكن أقام له الاله بفضله يزكاً من الأنصار والأعوان

فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً وحجارة هدته للأركــان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الجواب عن شبهتهم العظمى التي بها يصولون وعمدتهم الكبرى التي بها يهولون ، وهي حجة التركيب. قوله : لايفزعنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الخفيفة .

قوله : المنجنيق . (آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق معربة ، جمع منجنيقات ، ومجانق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون ، وجنقوا تجنيقاً)

قوله : معاقل الاسلام (جمع معقل ، وهو الحصن والملجأ ، أي حصون الاسلام)

فاسألهم ماذا الذي يعنون بالـــتركيب فالتركيب ست معان

إحدى معانيه هو التركيب من متباين كتركب الحيوان

من هذه الأعضا كذا أعضاؤه قد ركبت من أربع الأركان

أفلازم ذا للصفات لربنا وعلوه من فوق كل مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهتاً ذا لازم الاثبات بالبرهان
فالبهت عندكم رخيص سعره حثواً بلا كيل ولا ميزان

هذا هو المعنى الأول من معاني التركيب ، فان الناظم ذكر أن للتركيب ست معان ، وهذا التركيب كما قال الناظم كتركب الحيوان من هذه الأعضاء، وكذلك تركب الأعضاء من الأركان الأربعة ، وهي الماء والهواء والتراب ، والنار . والرب تعالى موصوف بصفاته العلى ، ولا يلزم هذا التركيب .

وقوله : أفلازم ذا للصفات لربنا ؟ . وهذا استفهام انكار ، أي : ليس بلازم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثانيها فتركيب الجوا ر وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه بجواره لمحله من بان
والأول المدعو تركيب امتزا ج واختلاط وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته أيضاً تعالى الله ذو السلطان ؟

هذا هو المعنى الثاني من معاني التركيب ، وهو تركيب الجوار ، كتركيب الباب على الجسر ، والأول يسمى تركيب امتزاج

قال الناظم رحمه الله تعالى:

والثالث التركيب من متماثل يدعى الجواهر فردة الأركان

هذا هو المعنى الثالث من معاني التركيب ، وهو التركيب من الجواهر المنفردة ، وإثبات ذلك هو قول بعض المتكلمين ، وإنكار ذلك هو قول ابن كلاب وأتباعه ، وهو قول الهشامية ، والنجارية والضرارية ، وبعض الكرامية وستأتي الاشارة الى بطلانه من كلام الناظم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والرابع الجسم المركب من هيو　　لاه وصورته لذي اليونان

فالجسم فهو مركب من ذين عنـــد الفيلسوف وذاك ذو بطلان

ومن الجواهر عند أرباب الكلا　　م وذاك ايضاً واضح البطلان

هذا هو المعنى الرابع من معاني التركيب وهو التركيب من الهيولى والصورة عند الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالمثبتون الجوهر الفرد الذي　　زعموه أصل الدين والايمان

قالوا بأن الجسم منه مركب　　ولهم خلاف وهو ذو ألوان

هل يمكن التركيب من جزئين أو　　من أربع أو ستة وثمان

أو ست عشرة قد حكاه الأشعريّ لذي مقالات على التبيان

أفلازم ذا من ثبوت صفاته　　وعلوّه سبحان ذي السبحان ؟

والحق أن الجسم ليس مركباً　　من ذا ولا هذا هما عدمان

والجوهر الفرد الذي قد أثبتو　　ه ليس ذا أبداً وذا إمكان

لو كان ذلك ثابتاً لزم المحا　　ل لواضح البطلان والبهتان

من أوجه شتى ويعسر نظمها   جداً لأجل صعوبة الأوزان
أتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كل منهما أجزاؤه   لا تنتهي بالعد والحسبان
وإذا وضعت الجوهرين وثالثاً   في الوسط وهو الحاجز الوسطان
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا   حتى يزول اذاً فيلتقيان
ما مسه إحداهما منه هو المـ   ـمسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غيره   فهو انقسام واضح التبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إبطال القول بالجوهر الفرد، مع أن القائلين به من المتكلمين يزعمون أن اثباته هو أصل الدين والإيمان.

قال أبو المعالي الجويني رحمه الله تعالى وغيره: اتفق المسلمون على أن الأجسام تتناهى في تجزئها وانقسامها حتى تصير أفراداً، ومع هذا فقد شك هو فيه، وكذلك شك فيه أبو الحسن البصري، وأبو عبد الله الرازي.

قال شيخ الاسلام: ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين، ولا من الصحابة، ولا التابعين لهم باحسان، ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين. وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة، وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه، ولكن حاكي هذا الاجماع، لما لم يعرف أصول الدين إلا ما في كتب الكلام، ولم يجد إلا من يقول بذلك، اعتقد هذا إجماع المسلمين. والقول بالجوهر الفرد باطل، والقول بالهيولى والصورة باطل. انتهى كلامه.

قوله: هل يمكن التركيب من جزئين الخ. أي: أن القائلين بالجوهر

الفرد اختلفوا ، هل يمكن تركيب الجسم من جزئين ، أوأربعة ، أو ستة ، أو ثمانية ، أو ستة عشر ؛ على خلاف بينهم ، حكاه الأشعري في المقالات .

وفي « العقل والنقل » لشيخ الاسلام : من يثبت الجوهر الفرد ويقول بتماثل الاجسام ، وأن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث ، انما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة مع بقاء أعيانها ، وينكرون الاستحالة ، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وان كان يحيل الجسم الأول الى جرم آخر ، فلا يقولون : ان جرم النطفة باق في بدن الانسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة انتهى كلامه .

وقول الناظم : أتكون خردلة تساوي الطود الخ .. أي : أتكون الخردلة التي في غاية الصغر والحقارة تساوي الجبل العظيم ، بجامع أن أجزاء كل منهما لا تنتهي بالحد والحسبان ، هذا في غاية الاحالة . ثم ذكر الناظم دليلاً آخر على بطلان هذا المذهب ، فقال : واذا وضعت الجوهرين وثالثاً الخ .. أي : اذا فرضنا جزءاً بين جزئين ، فاما أن يكون الوسط حاجباً للطرفين عن التماس ، أو لا ، فعلى الأول يكون للوسط طرفان ، بأحدهما يماس أحد الجزئين ، وبالآخر يماس الآخر ، فلا محالة يكون بين جهتيه امتداد قابل للقسمة ولو وهماً ، وكذا يكون للجزئين الطرفين جهتان ، باحداهما يماس كل من ذينك الجزئين الوسط ، وبالآخر يكون فارغاً من لقائه ، فيكونان منقسمين ، وعلى الثاني ، فاما أن يكون الوسط متداخلاً في أحد الطرفين ، أو في كليهما ، فلا يحصل منهما حجم ، فلا يتألف منهما جسم ، أو لا يكون بين تلك الأجزاء ترتيب ، فلا يتصور منهما تركيب ، وللقائلين بإبطال الجوهر الفرد أدلة أخرى على بطلانه ، تركناها اختصاراً ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والخامس التركيب من ذات مع الـــأوصاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيباً وذلك وضعهم ما ذاك في عرف ولاقرآن
لسنا نقر بلفظة موضوعة بالاصطلاح لشيعة اليونان
أو من تلقى عنهم من فرقة جهمية ليست بذي عرفان
من وصفه سبحانه بصفاته الـــعليا ويترك مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أيضاً كلها قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـــأسماء بالألقاب ذات الشان
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التـــركيب من عقل ومن فرقان
والله لو نشرت شيوخكم لما قدروا عليه لو أتى الثقلان

هذا هو القسم الخامس من أقسام التركيب عندهم ، وهو التركيب من ذات وصفات ، وهذا على اصطلاح اليونان ومن وافقهم من الجهمية ، وهو من أظهر الأمور بطلاناً ، وسيأتي إبطاله في كلام الناظم وقول الناظم: لسنا نقر بلفظة موضوعة الخ.. كذا في جميع ما رأينا من النسخ (نقر) بالقاف من الإقرار، وصواب اللفظة (نفر) بالفاء أي : ليس نفر بسبب هذا الاصطلاح الذي اصطلحتموه ، من وصفه سبحانه بصفاته العليا ، والجار والمجرور وهو قوله : من وصفه ، متعلق بـ (نفر) والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والسادس التركيب من ماهية ووجودها ما هاهنا شيئان

الا اذا اختلف اعتبارهما فذا ... في الذهن والثاني ففي الأعيان

فهناك يعقل كون ذا غيراً لذا ... فعلى اعتبارهما هما غيران

أما اذا اتحدا اعتباراً كان نفـ ... ـس وجودها هو ذاتها لا ثان

من قال شيئاً غير ذا كان الذي ... قد قاله ضرب من الفعلان

هذا وكم خبط هنا قد زال بالـ ... ـتفصيل وهو الاصل في العرفان

هذا هو القسم السادس من أقسام التركيب ، وهو التركيب من الوجود والماهية ، وحاصل كلام الناظم هنا أن الوجود والماهية اذا اختلف اعتبارهما فأخذ أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فالوجود غير الماهية ، وان أخذا ذهنين ، فالوجود هو الماهية ، وكذا إن أخذا خارجيين ، فالوجود هو الماهية.

قوله : من الفعلان . هو بضم الفاء وإسكان العين ، يعني كلمة في وزن الفعلان ، كالبهتان ، والبطلان ، ونحوهما ، وهذا كما في قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة ابن حمدان ، واسمها خولة

كأن فعلة لم تملأ مواكبها ... ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

وذلك أن المتنبي لم يصرح باسمها استعظاماً لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلة ، فلفظ (فعلة) حكمها حكم موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلة ممتنع . قال ابن جني : كنى بفعلة عن اسمها ، واسمها خولة

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وابن الخطيب وحزبه من بعده ... لم يهتدوا لمواقع الفرقان

بل خبطوا نقلاً وبحثاً أوجبا ... شكاً لكل ملدد حيران

هل ذات رب العالمين وجوده أم غيره فهما إذاً شيئان
فيكون تركيباً محالاً ذاك إن قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذاك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلاً ثلاثاً ذينك الـ أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ إبطال والتشكيك للانسان

قوله : ابن الخطيب : يعني الفخر الرازي ، هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي ، العلامة سلطان المتكلمين ، صاحب التصانيف أبو عبد الله القرشي ، البكري ، التميمي ، الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي ، ابن خطيبها المفسر ، امام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى : الفخر ابن الخطيب صاحب التصانيف ، رأس في الذكاء ، والعقليات ، ولكنه عري من الآثار ، وله تشكيكات على مسائل من أصول الدين تورث حيرة . وقال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » مثل ماذكرنا عن الذهبي في شأنه ، وزاد أنه كان يقول مع تبحره في الأصول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ، وكان يعاب ايراد الشبه الشديدة ، ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبهة نقداً ، ويحلها نسيئة ، وقد ذكره ابن دحية ، فمدح وذم ، وذكره ابو شامة ، فحكى عنه أشياء رديئة ، وذكر النجم الطوفي في « الاكسير في علم التفسير » ما ملخصه : مارأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ، ومن تفسير الامام فخر الدين ، إلا أنه كثير العيوب ، فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمساجي المغربي ، أنه صنف كتاب « المآخذ » في مجلدين ، بين فيهما مافي تفسير الفخر من الزيف والبهرج ،

وكان ينقم عليه كثيراً . ويقول : يورد شبه المخالفين في المذهب والدين ، على غاية مايكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهن . قال الطوفي : ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية ، حتى اتهمه بعض الناس ، ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ، ما كان عنده من يخاف منه حتى يستتر عنه ، ولعل سببه أنه كان يستفرغ قواه في تقرير دليل الخصم ، فاذا انتهى الى تقرير دليل نفسه ؛ لايبقى عنده شيء من القوى ، ولا شك أن القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية ، وقد صرح في مقدمة « نهاية العقول » أنه يقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك . وذكر ابن خليل السكوني في كتاب « الرد على الكشاف » أن الامام الرازي ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول . إن مذهب الجبر هو المذهب الصحيح . وقال في تفسير قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ كلاماً يدل على أن مذهب الجبر هو الحق . حيث قال : وقد دللنا بالبراهين العقلية على صحة أن الأمر كذلك ، أي : العبد مجبور . نعوذ بالله من أمثال ذلك . وقال بصحة بقاء الأعراض ، وبنفي صفات الله الحقيقية ، وزعم أنها مجرد نسب وإضافات ، كقول الفلاسفة ، وسلك طريق أرسطو في دليل التمانع ، ونقل عن تلميذه التاج الأرموي أنه نظر في كلامه فهجره الى مصر ، وهموا به ، فاستتر . ونقل عنه أنه قال : عندي كذا وكذا مائة شبهة على القول بحدوث العالم ، ومنها ماقاله شيخه ابن الخطيب في آخر الأربعين ، والمتكلم يستدل على القدم بوجوب تأخر الفعل ، والفيلسوف يدل على قدمه باستحالة تعطل الفاعل عن أفعاله ، ثم أسند عن ابن الطباخ أن الفخر كان شيعياً يقدم محبة أهل البيت كمحبة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه : وكان علي

شجاعاً ، بخلاف غيره ، وعاب عليه تسميته لتفسيره «مفاتيح الغيب» ، ولمختصره في المنطق : «الآيات البينات» ، وتقريره لتلامذته في وصفه بأنه الامام المجتبى أستاذ الدنيا ، أفضل العالم ، فخر بني آدم ، حجة الله على الخلق ، صدر صدور العرب والعجم ، هذا آخر كلامه ، وقد مات الفخر سنة ست وستمائة بمدينة (هراة) وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده . انتهى عبارة «اللسان» . ومما قال فيه : إن له كتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » سحر صريح فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى .

قلت : ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : سنة ثلاث ، واشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ، وهو من تلامذة البغوي ، على الكمال السمناني ، والمجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى ، وأتقن علوماً كثيرة ، وبرز فيها وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، وصنف في فنون كثيرة ، وكان له مجلس كبير في الوعظ ، يحضره الخاص والعام ، ويلحق فيه حال ووجد ، وجرت بينه وبين جماعة من الكرامية مخاصمات وفتن ، وأوذي بسببهم ، وكان ينال منهم في مجلسه ، وينالون منه . وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم . وقيل : كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين في الكلام ، وندم على دخوله في الكلام . وروي عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في التنزيه (والله الغني وأنتم الفقراء) محمد : ٣٨ وقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ و (قل هو الله أحد) واقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ واقرأ في أن الكل من عند الله (قل كل من عند الله) النساء : ٧٨ ثم قال :

وأقول من صميم القلب ، ومن داخل الروح : إني مقر بأن كل ماهو الأفضل الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ماهو عيب أو نقص ، فأنت منزه عنه .
وكانت وفاته بـ (هراة) يوم عيد الفطر ، سنة ست وستمائة . قال أبو شامة : وبلغني أنه خلف من الذهب ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك .
ومن تصانيفه التفسير الكبير لم يتمه في اثني عشر مجلداً كباراً ، أسماه « مفاتيح الغيب » وكتاب « المحصول » و « المنتخب » وكتاب « الاربعين » و « نهاية العقول » و « التبيـــان » و « البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان » « المباحث العمادية في المطالب المعادية » « تأسيس التقديس في تأويل الصفات » « ارشاد النظار الى لطائف الاسرار » « المعالم في أصول الدين » « المعالم في أصول الفقه » « شرح أسماء الله الحسنى » « شرح الاشارات » « الملخص في الفلسفة » ويقال : إنه شرح نصف « الوجيز » للغزالي ، وشرح « سقط الزند » للمعري . وله طريقة في الخلاف ، وشرح « كليات القـــانون » وصنف في « مناقب الشافعي » رضي الله عنه ، الى غير ذلك ، ورزق السعادة في مصنفاته حتى انتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس على الاشتغال بها .

وذلك أن الفخر الرازي وأتباعه حكوا للناس في وجود الرب تعالى ثلاثة أقوال : أحدها : أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي فقط . والثاني : أن وجود الواجب زائد على ماهيته . والثالث : أنه وجود مطلق ليس له حقيقة غير الوجود المشروط بسلب كل ماهية ثبوتية .

قال شيخ الاسلام : فيقال لهم : الأقوال الثلاثة باطلة ، والقول الحق ليس واحداً من الثلاثة ، وانما أصل الغلط هو توهمهم أنا اذا قلنا : إن الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لزم أن يكون في الخارج وجود هو نفسه في الواجب ، وهو نفسه في الممكن ، وهذا غلط ، فليس في الخارج بين الموجودين

شيء هو نفسه فيها ، ولكن لفظ الوجود ومعناه الذي في الذهن ، والخط الذي يدل على اللفظ يتناول الموجودين ، ويعمهما ، وهما يشتركان فيه ، فشمول معنى الوجود الذي في الذهن لهما ، كشمول لفظ الوجود . والخط الذي يكتب به هذا اللفظ لهما ، فهما مشتركان في هذا ، فأما نفس مايوجد في الخارج ، فانما يشتبهان فيه من بعض الوجوه ، فاما أن تكون نفس هذا وصفته فيها شيء من ذات هذا وصفته ، فهذا مما يعلم فساده كل من تصوره ، ومن توقف فيه فلعدم تصوره له . وحينئذ فالقول في اسم الوجود كالقول في اسم الذات ، والعين ، والماهية ، والنفس ، والحقيقة ، وكما أن الحقيقة تنقسم الى حقيقة واجبة ، وحقيقة ممكنة ، وكذلك لفظ الماهية ، ولفظ الذات ، ونحو ذلك ، ، فكذلك لفظ الوجود . فاذا قلنا : ان الحقيقة ، أو الماهية ، تنقسم الى واجبة ، وممكنة ، لم يلزم أن تكون ماهية الواجب فيها شيء من ماهية الممكن ، فكذلك اذا قيل : الوجود ينقسم الى واجب ، وممكن ، لم يلزم أن يكون الوجود الواجب فيه شيء من وجود غيره ، بل ليس فيه وجود مطلق ، ولا ماهية مطلقة ، بل ماهيته هي حقيقته وهي وجوده . واذا كان المخلوق المعين وجوده الذي في الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهيته التي في الخارج ليس فيه من الخارج شيئان ، فالخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لايشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر أن الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وأن الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كأن يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الانسان بحيوانية تخصه ، وكما أن السواد والبياض اذا اشتركا في مسمى اللون تميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر وهؤلاء ،

الضالون يجعلون الواحد اثنين ، والاثنين واحداً ، فيجعلون هذه الصفة هي هذه الصفة ، ويجعلون الصفة هي الموصوف ، فيجعلون الاثنين واحداً ، كما قالوا : إن العلم هو القدرة ، وهو الارادة ، والعلم هو العالم ، ويجعلون الواحد اثنين ، كما يجعلون الشيء المعين الذي هو هذا الانسان هو عدة جواهر : إنسان ، وحيوان ، وناطق ، وحساس ، ومتحرك بالارادة ، ويجعلون كلًا من هذه الجواهر غير الآخر . ومعلوم أنه جوهر واحد ، له صفات متعددة ، وكما يفرقون بين المادة ، والصورة ، ويجعلونها جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما ، وانما المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية ، مثل صورة الخاتم ، والدرهم ، والسرير ، والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر ، هو الفضة ، والخشب ، والغزل . وكذلك الاتصال ، والانفصال ، قائمان بمحل هو الجسم ، وهكذا يجعلون الصورة الذهنية ثابتة في الخارج ، كقولهم في المجردات المفارقات للمادة ، وليس معهم ما يثبت أنه مفارق ، إلا النفس الناطقة اذا فارقت البدن بالموت ، والمجردات هي الكليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة ، فيرجع الأمر الى النفس وما يقوم بها ، ويجعلون الموجود في الخارج هو الموجود في الذهن ، كما يجعلون الوجود الواجب هو الوجود المطلق ، فهذه الأمور من أصول ضلالهم ، حيث جعلوا ما في الخارج في الذهن ، ولزم من ذلك أن يجعلوا الثابت منتفياً ، والمنتفي ثابتاً ، فهذه الأمور من أجناس ضلالهم ، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حتى أتى من أرض أمدا آخراً   ثور كبير بل حقير الشان

قال الصواب الوقف في ذا كله　　　والشك فيه ظاهر التبيان
هذا قصاري بحثه وعلومه　　　إن شك في الله العظيم الشان

الآمدي : هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراآت ، وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل ، وبقي على ذلك مدة ، فكان في أول اشتغاله حنبلي المذهب ، انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق ، وأقام في الطلب مدة ببغداد ، وحصل علم الجدل ، والخلاف ، والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير ، وتمهر فيه ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، وصنف في أصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . وكل تصانيفه مفيدة ، وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ، ويهودها ، فاتهم لذلك في عقيدته ، ففر الى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر ، وأظهر تصانيف في علوم الأوائل ، تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفياً ، ثم استوطن حماة أو دمشق ، وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١ . ومن مصنفاته « الماهر في علوم الأوائل والأواخر » خمس مجلدات ، وكتاب « أبكار الأفكار في أصول الدين » أربع مجلدات ، وكتاب « دقائق الحقائق » في الفلسفة ، وقد دفن في سفح قاسيون ، وكانت ولادته سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد ، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر ، مجاورة لبلاد الروم .

قوله : آخراً . هو بكسر الخاء ، أي : آخر الأمر . أي أن الآمدي توقف في هذه المسألة ، ولم أطلع أنا على كلامه في هذه المسألة ، والله أعلم .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا تعدوهما في اللفظ والأذهان
وكذلك الاعيان أيضاً إنما الـــتركيب فيها ذانك النوعان

أي : الأولان اللذان هما تركيب الامتزاج والاختلاط ، وتركيب الجواد أي : التركيب حقيقة في هذين النوعين .

قال الناظم رحمه الله تعالى .

والأوسطان هما اللذان تنازع الـــعقلاء في تركيب ذي الجثمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيـــناهـا وبينا أتم بيـان

ولهم أقاويل ثلاث قد حكيناها وبيناها أتم بيان ؛ أي : التركيب من الجواهر المنفردة ، ومن المادة والصورة

والآخران هما اللذان عليهما دارت رحى الحرب التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنقل والمعقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثم نفيتمُ مضمونها من غير ما برهـان

فجعلتم المرقاة للتعطيل هــذا الاصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لاحجر في هذا على إنسان
فنقول نفيكم بهذا الاصــطلاح صفاته هو أبطل البطلان
وكذاك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كل مكان
وكذاك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن
وكذاك نفيكم لرؤيتنا له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذاك نفيكم لسائر ماأتى في النقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والاصابع والذي أبداً يسوؤكم بلا كتمان
وبودكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قاله أن ليس يدخل مسمع الانسان
قام الدليل على استناد الكون أجــمعه الى خــلاقه الرحمن
ماقام قط على انتفاء صفاته وعلوه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوه ماللورى رب سواه ثان
فلأي معنى يجحدون علوه وصفاته بالفشر والهذيان
هذا وما المحذور الا إن يقا ل مــع الإله لنا إله ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ماقيل رب واحد أوصافه أربت على الحسبان

وهو القديم فلم يزل بصفاته   متوحداً بل دائم الإحسان

أي : لا محذور في إثبات صفات الكمال لله سبحانه ، وإنه واحد لم يزل بصفاته إلهاً واحداً ، وانما المحذور أن يجعل مع الله إله آخر وتعطل صفات كماله ، فهذان كما قال الناظم: محذوران محظوران .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فبأي برهان نفيتم ذا وقلـــتم ليس هذا قط في الامكان

فلئن زعمتم أنه نقص فذا   بهت فما في ذاك من نقصان

النقص في أمرين سلب كماله   أو شركه بالواحد الرحمن

أتكون أوصاف الكمال نقيصة   في أي عقل ذاك أم قرآن !؟

إن الكمال بكثرة الأوصاف لا   في سلبها ذا واضح البرهان

ما النقص غير السلب حسب وكل نقـص أصله سلب، هذا واضح التبيان

فالجهل سلب العلم وهو نقيصة   والظلم سلب العدل والاحسان

متنقص الرحمن سالب وصفه   حقاً تعالى الله عن نقصان

وكذا الثناء عليه ذكر صفاته   والحمد والتمجيد كل أوان

ولذاك أعلم خلقه أدراهم   بصفاته من جاء بالقرآن

وله صفات ليس يحصيها سوا   ه من ملائكة ولا انســـان

ولذاك يثني في القيامة ساجدا   لما يراه المصطفى بعيـــان

بثناء حمد لم يكن في هذه الـــدنيا ليحصيه مدى الازمان

وثناؤه بصفاته لا بالسـلو ب كما يقول العادم العرفان

حاصل هذه الأبيات أنكم أيها المعطلة ، لماذا نفيتم الصفات ؟ فان زعمتم أنها نقص ، فهذا كذب وبهت ، وانما النقص في أمرين : إما سلب الكمال ، أو إثبات شريك لله تعالى ، وأما أوصاف الكمال ، فحاشا أن تكون نقصاً ، والكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ، اذ السلب المحض لا كمال فيه ، الا إذا تضمن تنزيهاً عن نقص ، كما في سلب النوم ، والسنة ، واللغوب[1] والطعم عنه تعالى وتقدس .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والعقل دل على انتهاء الكون أجـــمعه الى رب عظيم الشـــان

وثبوت أوصاف الكمال لذاته لا يقتضي إبطال ذا البرهـان

والكون يشهد أن خالقه تعا لى ذو الكمال ودائم السلطان

وكذاك يشهد أنه سبحانه فوق الوجود وفوق كل مكان

وكذاك يشهد أنه سبحانه الـــمعبود لا شيء من الاكوان

وكذاك يشهد أنه سبحانه ذو حكمة في غاية الاتقان

وكذاك يشهد أنه ذو قدرة حي عليم دائم الاحسان

وكذاك يشهد أنه الفعال حـــقاً كل يوم ربنا في شان

وكذاك يشهد أنه المختار في أفعاله حقاً بلا نكران

---

(١) اللغوب : التعب والأعياء .

وكذاك يشهد أنه الحي الذي ما للممات عليه من سلطان

وكذاك يشهد أنه القيوم قا م بنفسه ومقيم ذي الأكوان

وكذاك يشهد أنه ذو رحمة وإرادة ومحبة وحنان

وكذاك يشهد أنه سبحانه متكلم بالوحي والقرآن

وكذاك يشهد أنه سبحانه الـ خلاق باعث هذه الأبدان

لاتجعلوه شاهداً بالزور والـ تعطيل تلك شهادة البطلان

واذا تأملت الوجود رأيته إن لم تكن من زمرة العميان

بشهادة الاثبات حقاً قائم لله لابشهادة النكران

وكذاك رسل الله شاهدة به أيضاً فسل عنهم عليم زمان

وكذاك كتب الله شاهدة به أيضاً فهذا محكم القرآن

وكذلك الفطر التي ماغيرت عن أصل خلقتها بأمر ثان

وكذا العقول المستنيرات التي فيها مصابيح الهدى الرباني

أترون أناتاركو ذا كله لشهادة الجهمي واليونان

هذي الشهود فان طلبتم شاهداً من غيرها سيقوم بعد زمان

إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الـ حق المبين مشاهداً بعيان

هذه الأبيات واضحة بحمد الله .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا نفيتم ذا وقلتم إنه ملزوم تركيب فمن يلحاني

إن قلت لاعقل ولا سمع لكم وصرخت فيما بينكم بأذان

هل يجعل الملزوم عين اللازم الـ ـمنفي هذا بيّن البطلان

فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى عقل سليم ياذوو العرفان

قلتم نفينا وصفه وعلوه من خشية التركيب والامكان

لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان

أو كان فوق العرش كان مركباً فالفوق والتركيب متفقان

فنفيتم التركيب بالتركيب مع تغيير إحدى اللفظتين بثان

بل صورة البرهان أصبح شكلها شكلاً عقيماً ليس ذا برهان

لو كان موصوفاً لكان كذاك مو صوفاً وهذا حاصل البرهان

فاذا جعلتم لفظة التركيب بالـ ـمعنى الصحيح امارة البطلان

جئنا الى المعنى فخلصناه منـ ـها واطّرحناها اطّراح مهان

هي لفظة مقبوحة بدعية مذمومة منا بكل لسان

واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ن اللفظ بالتركيب في التبيان

واللفظ بالتوحيد اولى بالصفا ت وبالعلو لمن له أذنان

هذا هو التوحيد عند الرسل لا   أصحاب جهم شيعة الكفران

أي . أن الفلاسفة والجهمية يقولون: إن اثبات الصفات يلزم منه التركيب .

قال الناظم : فاذا نفيتم الصفات ، وقلتم إنه ملزوم التركيب ، فكيف تجعلون الملزوم الذي هو إثبات الصفات عين اللازم الذي هو إثبات الصفات ، فصار المعنى إثبات الصفات ، يستلزم إثبات الصفات ، فيجب نفسه ، فهم على هذا نفوا التركيب بالتركيب ، فاذا نفوا التركيب بكونه تركيباً ، ففيه إبطال الشيء بنفسه ، وهو محال ، فان الشيء لا ينفيه عينه ،

قال الناظم : بل صورة البرهان أصبح شكلها   شكلاً عقيماً ليس ذا برهان

وحاصل ما أبطلوا به إثبات الصفات ، بأن المعنى لو كان موصوفاً ، لكان موصوفاً ، فتأمل قوله : فاذا جعلتم لفظة التركيب الخ . أي : إذا جعلتم لفظة التركيب إمارة البطلان خلصنا المعنى الصحيح منها ، واطرحنا تلك اللفظة ، وهي لفظة التركيب ، لأنها لفظة مقبوحة بدعية مذمومة ، وأبدلنا ، وكأنها التوحيد ، لأنه أولى بالصفات وبالعلو ، وهذا هو التوحيد عنـــد الرسل وأتباعهم ، لا أصحاب جهم شيعة الكفران ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذاً أنواعه هي خمسة   قد حصلت أقسامها ببيان

توحيد أتباع ابن سينا وهو منـــسوب لأرسطو من اليونان

ما للاله لديهم ماهيــة غير الوجود المطلق الواجدان

مسلوب أوصاف الكمال جميعها لكن وجود حسب ليس بفان

ما إن له ذات سوى نفس الوجو د المطلق المسلوب كل معان

فلذاك لاسمع ولا بصر ولا علم ولا قول من الرحمن

ولذاك قالوا ليس ثم مشيئة وإرادة لوجود ذي الأكوان

بل تلك لازمة له بالذات لم تنفك عنه قط في الأزمان

ما اختار شيئاً قط يفعله ولا هذا له أبداً بذي إمكان

وبنوا على هذا استحالة خرق ذا الـــ أفلاك يوم قيامة الأبدان

ولذاك قالوا ليس يعلم قط شيئاً ما من الموجود في الأعيان

لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذانك القمران

بل ليس يسمع صوت كل مصوّت كلا وليس يراه رأي عيان

بل ليس يعلم حالة الانسان تفـــصيلا من الطاعات والعصيان

كلا ولا علم له بتساقط الـــ أوراق أو بمنابت الأغصان

علماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الامكان

بل نفس آدم عندهم عين المحا ل ولم يكن في سالف الأزمان

ما زال نوع الناس موجوداً ولا يفنى كذاك الدهر والملوان

هذا هو التوحيد عند فريقهم مثل ابن سينا والنصير الثاني

قالوا وألجأنا الى ذا خشية الـ ـتركيب والتجسيم ذي البطلان

ولذاك قلنا ماله سمع ولا بصر ولا علم فكيف يدان؟

وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلا المستحيل وليس ذا إمكان

جسم على جسم كلا الجسمين محـ ـدود يكون كلاهما صنوان

فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم وهم الفحول أئمة الكفران

ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الـ ـكفران ينحازوا ولا الايمان

والشرك عندهم ثبوت الذات والـ ـأوصاف إذ يبقى هناك اثنان

غير الوجود فصار ثم ثلاثة فلذا نفينا اثنين بالبرهان

نفي الوجود فلا يضاف اليه شي ء غيره فيصير ذا امكان

قال الناظم : في « الصواعق »[1] في بيان توحيد الفلاسفة : هو انكار ماهية الرب الزائد على وجوده ، وانكار صفات كماله ، وأنه لاسمع له ، ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ، ولا يدين ، وليس فيه معنيان يتميز أحدهما عن الآخر البتة ، قالوا : لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، وكان جسماً مؤلفاً ، ولم يكن واحداً من كل وجه ، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ،

---

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

ولا يتميز منه جانب عن جانب ، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده ، وهذا الواحدالذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده ، وقالوا : لو كان له صفة ، أو كلام ، أو مشيئة ، أو علم ، أو حياة ، أو قدرة ، أو سمع ، أو بصر ، لم يكن واحداً ، وكان مركباً مؤلفاً ، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء ، وهو التوحيد ، وسموا أصح الأشياء ، وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب بأقبح الأسماء ، وهو التركيب والتأليف ، فتولد من بين هذه التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته ، بل وجحد ماهيته وذاته ، وتكذيب رسله ، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم ، مع إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي ، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه ، فجعلوه أصلاً لدينه ، فلما رأى ماجاءت به الرسل يعارضه ، قال : اذا تعارض العقل والنقل ، قدم العقل . انتهى كلامه

قوله : بل نفس آدم عندهم عين المحال ؛ أي : أن نوع الانسان لم يزل ولا يزال ، فلا بداية له ، ولا نهاية ، فلم يوجد آدم فضلاً عن أن يكون النوع الانساني نسلاً له .

قــوله : والشرك عندهم ثبوت الذات والأوصاف الخ ؛ أي : أنهم يقولون : إذا أثبتنا ذاتاً وصفات ، ووجوداً ، لزم التركيب ، فلهذا نفينا اثنين بالبرهان ، فيبقى الوجود فقط ، فوجود الرب عندهم وجود مطلق ، كما تقدم ذلك في كلام الناظم ، والله أعلم .

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبـــــعين وشيعته أولي البهتان
كل اتحادي خبيث عنده معبوده موطوؤه الحقان
توحيدهم إن الاله هو الوجو د المطلق المثبوت في الأعيان
هو عينها لاغيرها ماهاهنا رب وعبد كيف يفترقان
لكن وهم العبد ثم خياله في ذي المظاهر دائماً يلجان
فلذاك حكمهما عليه نافذ فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فاذا تجرد علمه عن حسه وخياله بل ثم تجريدان
تجريده عن عقله أيضاً فان العقل لايدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها وهما وحساً ثم عقل وان
فالوهم منه وحسه وخياله والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقها والا كنت محجوباً عن العرفان
هذا وأكثفها حجاب الحس والـــــمعقول ذانك صاحب الفرقان
فهناك صرت موحداً حقاً ترى هذا الوجود حقيقة الديان

والشرك عندهمُ فتنويع الوجو د وقولنا إن الوجود اثنان
واحتج يوماً بالكتاب عليهم شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكنما التوحيد عند القائلـــين بالاتحاد فهم أولو العرفان
رب وعبد كيف ذاك وانما الـ ـموجود فرد ماله من ثان

هذا هو النوع الثاني من انواع التوحيد للملحدين، وهو توحيد الوجودية القائلين بوحدة الوجود، لعنهم الله تعالى، وقد بينا مذاهبهم عند ذكر ركبهم في أول هذا النظم، ونشير الى ذلك هنا بعض الاشارة، فالتوحيد عندهم كما قال الناظم :[1] إن الاله هو الوجود المطلق الثبوت في الأعيان، وإنه عينها لا غيرها، وإنه ليس ثم عبد ورب، بل الرب هو العبد، والعبد هو الرب، كما قال صاحب «الفتوحات المكية» في أولها :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب أنى يكلف؟

قالوا : ولكن الوهم والخيال يلجآن دائماً في المظاهر، فاذا تجرد الانسان عن العلم، والعقل، والحس، والوهم، والخيال، حصل له هذا العرفان، وأكثفها حجاب الحس والمعقول، فاذا خرق هذه الحجب، صار موحداً حقاً يرى هذا الوجود حقيقة الديان، تعالى الله عن إفك الزائغين والملحدين علواً كبيراً،

قوله : واحتج يوماً بالكتاب عليهم الخ . . الذي قال هذا الكلام، هو

---

(١) أي : حاكياً مقالتهم .

العفيف التلمساني ، لعنه الله تعـالى . فقد ذكر شيخ الاسلام ، والذهبي وغيرهما عنه أنه لما قرأ عليه « الفصوص » قيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال: القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا . فقيل له : فما بال نكاح البنت والأخت والأم حرام ؟ فقال . هو عندنا حـلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا: حرام عليكم ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقـابه . والشرك عند هؤلاء ، هو تنويع الوجود ، وأن يقال : الوجود اثنان .

فصل

في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عنـد الجهم تعطيل بلا إيمان

نفي الصفات مع العلو كذاك نفـي كلامه بالوحي والقرآن

فالعرش ليس عليه شيء بتة لكنه خلو من الرحمـن

مافوقه رب يطاع ولا عليـه للورى من خالق رحمن

بل حظ عرش الرب عند فريقهم منه كحظ الأسفل التحتاني

فهو المعطل عن نعوت كماله وعن الكلام وعن جميع معان

وانظر الى ماقد حكينا عنه في مبدا القصيد حكاية التبيان

هذا هو التوحيد عندفريقهم　　تلو الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فاثبات الصفا　　ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركاً ذا وكل الرسل قد　　جاؤوا به ياخيبة الانسان

هذا وثالثها هو التوحيد عند الجهم تعطيل بلا إيمان

وقد تقدم شرح مذهبهم وأتباعه في الصفات والعلو والقرآن بما أغنى عن إعادته في اول هذا النظم .

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيد لدى　　جبريهم هو غاية العرفان
العبد ميت ماله فعل ولـ　　ـكن ماترى هو فعل ذي السلطان
والله فاعل فعلنا من طاعة　　ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل رب العالمين حقيقة　　ليست بفعل قط للانسان
فالعبد ميت وهو مجبور على　　أفعاله كالميت في الأكفان
وهو الملوم على فعال إلهه　　فيه وداخل جاحم النيران
ياويحة المسكين مظلوم يرى　　في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم　　في نفسه أدباً مع الرحمن

هذا هو التوحيد عند فريقهم   من كل جبري خبيث جنان

والكل عند غلاتهم طاعاتنا   ما ثم في التحقيق من عصيان

والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً   غير الإله المالك الديان

فانظر إلى التوحيد عند القوم ما   فيه من الإشراك والكفران

ما عندهم والله شيء غيره   هاتيك كتبهم بكل مكان

أترى أبا جهل وشيعته رؤوا   من خالق ثان لذي الأكوان

أم كلهم جمعا أقروا أنه   هو وحده الخلاق للانسان

فاذا ادعيتم أن هذا غاية التـ   ـوحيد صار الشرك ذا بطلان

فالناس كلهم أقروا أنه   هو وحده الخلاق ليس اثنان

إلا المجوس فانهم قالوا بأن   الشرك خالقه إله ثان

وقد تقدم الكلام في ذلك أول هذا الشرح بما أغنى عن الاعادة

فصل

في توحيد الانبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثـ   ـم اجعله داخل كفة الميزان

مع هذه الأنواع وانظر أيها   أولى لدى الميزان بالرجحان

توحيدهم نوعان قولي وفعـــلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـــضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب ذا نوعان أيـــضاً في كتاب الله مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني

شرع الناظم رحمه الله في بيـان توحيـد الأنبياء والمرسلين ، وذكر أنه نوعان ، قولي ، وفعلي . ثم ذكر أن القولي نوعان أيضاً في القرآن أحدهما : سلب وهو نوعان أيضاً : سلب النقـــائص والعيوب ، وهو نوعان أيضاً أحدهما : سلب النقائص والعيوب المتصلة ، والثاني : سلب النقائص والعيوب المنفصلة . وأشار بقوله : أما الثاني الى سلب النقائص والعيوب المنفصلة ، فقال .

سلب الشريك مع الظهير مع الــــشفيع بدون إذن المالك الديان

وهذا كما في قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عابدو الصلبان
وكذاك نفي الكفء أيضاً والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران

اي : ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى ، والولد . أما نفي الزوج والولد ، ففي قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) الأنعام : ١٠١ ونفي الولد ، كما في قوله تعالى :

(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية التوبة : ٣٠
وقال تعالى: (ولم يكن له كفواً أحد) الاخلاص : ١ وأما نفي الولي ففي قوله تعالى:
(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي . . .) الشورى : ٩ .

ثم أشار الناظم الى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله :

والأول التنزيه للرحمن عن ... وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ... ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسنة التي هي أصله ... وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العبث الذى تنفيه حكـــمته وحمد الله ذي الاتقان
وكذاك ترك الخلق إهمالاً سدى ... لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهي عليـــهم من إله قادر ديان
وكذاك ظلم عباده وهو الغني ... فماله والظلم للانسان
وكذاك غفلته تعالى وهو علاّم ... الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل إلهنا ... لا يعتريه قط من نسيان
وكذاك حاجته الى طعم ورز ... ق وهو رزاق بلا حسبان

وذلك ظاهر في كتاب الله تعـالى . أما سلب الموت ففي قوله تعالى :
(وتوكل على الحي الذي لا يموت ...) الفرقان : ٥٨ الآية . وأما الإعيـاء
والتعب ، ففي قوله (ولقد خلقنا السموات والأرض ومـا بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ وهو التعب والاعياء . وأما النوم والسنة
ففي قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ والعبث كما في قوله

تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينالاترجعون) المؤمنون : ١١٥
واما ترك الخلق هملا ففي قوله تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى)
القيامة : ٣٦ وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى : (إن الله لايظلم الناس شيئاً)
يونس : ١١٥ الآية وفي قوله تعالى: (ان الله لايظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠
وأما نفي النسيان والغفلة ففي قوله تعالى : (وما كان ربك نسياً) مريم : ٦٤
وأما نفي الطعم ففي قوله تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وفي قوله تعالى (وما خلقت
الجن والانس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

ثم أشار الناظم الى النوع الثاني من نوعي السلب فقال :

هذا وثاني نوعي السلب الذي ... هو أول الأنواع في الأوزان

أي : في قوله في اول الفصل إحداها : سلب وذا نوعان . فذكر الأول ، وهو سلب النقائص والعيوب ، ثم ذكر الثاني بقوله : هذا وثاني نوعي السلب الخ . . .

تنزيه أوصاف الكمال له عن التـ ... ـشبيه والتمثيل والنكران

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... ان المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه ... إن المعطل عابد البهتان

من مثّل الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان

هذا هو الثاني من نوعي السلب ، وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي

وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل ، وعن التحريف والتعطيل ، بل ثبتت إثباتاً بلا تشبيه ، وينزه تنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال نعيم ابن حماد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا ما وصفه رسوله به تشبيهاً .

قوله: فهو النسيب الخ . قال في « القاموس » النسب ، والنسبة بالكسر: القرابة ، والمناسبة : المشاكلة . انتهى. والمراد هنا المشاكلة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الثبوت

أي : من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو صاف الكمال لربنا الرحمن

كعلوه سبحانه فوق السموات العلى بل فوق كل مكان

فهو العليّ بذاته سبحانه إذ يستحيل خلاف ذا ببيان

وهو الذي حقاً على العرش استوى قد قام بالتدبير للأكوان

حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحنان

هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن هي أربع بوزان

ماقبله شيء كذا مابعده   شيء تعالى الله ذو السلطان

مافوقه شيء كذا مادونه   شيء وذا تفسير ذي البرهان

فانظر إلى تفسيره بتدبر   وتبصر وتعقل لمعان

وانظر إلى مافيه من أنواع معـ   ـرفة لخالقنا العظيم الشان

وهو العلي فكل أنواع العلـ   ـوّ له فثابتة له بلا نكران

تقدم الكلام على معاني هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ   ـعظيم لايحصيه من إنسان

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا   ل له محققة بلا بطلان

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا   وجمال سائر هذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها   أولى وأجدر عند ذي العرفان

فجماله بالذات والأوصاف والأ   فعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذه الفصول كثيراً من أسماء الرب سبحانه ، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات معروفة ، ككتاب «الكلام على أسماء الله الحسنى» للناظم و « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » للشيخ أبي عبد الله القرطبي ، والإمام أبي حامد الغزالي ، و « شرح الأسماء الحسنى » للحليمي ، و « شرح أسماء الله الحسنى » لأبي حكيم ابن برجان و « شرح أسماء الله الحسنى » للحافظ أبي بكر البيهقي ، وغيرهم .

لا شيء يشبه ذاته وصفاته   سبحانه عن إفك ذي البهتان

وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فشأن الوصف أعظم شان

وهو السميع يرى ويسمع كل ما   في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر   فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا   يخفى عليه بعيدها والداني

وهو البصير يرى دبيب النملة الـــسوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها   ويرى عروق بياضها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها   ويرى كذاك تقلب الأجفان

وهو العليم أحاط علماً بالذي   في الكون من سر ومن اعلان

وبكل شيء علمه سبحانه   فهو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غداً وما   قد كان والموجود في ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لو كان كيــــف يكون ذاك الأمر ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع   أو كان مفروضاً مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره   من غير ما عدّ ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده   كل المحامد وصف ذي الاحسان

قال الناظم رحمه الله في « بدائع الفوائد » تنبيهات : الاول : مايجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدها : مايرجع الى نفس الذات ؛ كقولك : ذات ، ووجود ، وشيء . الثاني : مايرجع الى صفات معنوية ، كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير . الثالث : مايرجع الى أفعاله ، نحو الخالق ، والرازق . الرابع : مايرجع الى التنزيه المحض ، ولا بد من تضمنه ثبوتاً ، اذ لا كمال في العدم المحض ، كالقدوس ، السلام . الخامس : مادل على جملة أوصاف عديدة لاتختص بصفة معينة ، بل هو دال على معان ، نحو المجيد ، العظيم ، الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة ، والكثرة ، والزيادة . ومنه قولهم : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ ، والعفار ، وأمجد الناقة علفاً . ومنه : رب العرش المجيد ، لسعة العرش ، وعظمته . والعظيم : من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد . السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو الغني ، العفو ، القدير ، الحميد ، المجيد ، ونحو ذلك ، فان الغني من صفات الكمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك نظائرها . وأما صفات السلب المحض ، فلا تدخل في أوصافه تعالى ، الا أن تكون متضمنة لثبوت ، كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص ، وبراءته من كل مايضاد كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلوب ، إنما هو لتضمنها ثبوتاً ، كقوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ متضمن لكمال قدرته ، وكذلك قوله (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الأرض ولا في السماء) يونس : ٦١ متضمن لكمال علمه ، ونظائر ذلك .
الثاني : يجب أن يعلم مايدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فان هذا يخبر به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى. الثالث : أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لا ينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد. ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ، ودلالة على احداهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم ، ولأسمائه الحسنى اعتباران : أحدهما : من حيث الذات . والثاني : من حيث الصفات ، فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة . انتهى كلامه . وهو كلام نفيس جداً ، آثرت نقله لنفاسته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكـــليم الخطاب وقبله الأبوان
كلماته جلت عن الاحصاء والتـــعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها الـــأقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفد بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان

وهو القدير وليس يعجزه اذا ... مارام شيئاً قط ذو سلطان

وهو القوي له القوى جمعاً تعـــالى رب ذي الأكوان والأزمان

وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تيٌ له كالجود والاحسان

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنّى يرام جناب ذي السلطان؟!

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

قد شرح الناظم رحمه الله جميع هذه الأبيات في نفس النظم بما هو واضح.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضاً ما هما عدمان

حكم وأحكام فكل منهما ... نوعان أيضاً ثابتا البرهان

والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما سيان

بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً ... والعكس أيضاً ثم يجتمعان

لن يخلو المربوب من إحداهما ... أو منهما بل ليس ينتفيان

لكنما الشرعي محبوب له ... أبداً ولن يخلو من الأكوان

هو أمره الديني جاءت رسله ... بقيامه في سائر الأزمان

لكنما الكوني فهو قضاؤه ... في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذو رضى والشأن في المقضي كل الشان
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ـمقضي حين يكون بالعصيان
فالله يرضى بالقضاء ويسخط الـ ـمقضي ما الأمران متحدان
فقضاؤه صفة به قامت وما الـ ـمقضي الا صنعة الإنسان
والكون محبوب ومبغوض له وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس كل زمان
ويحل ما قد عقّدوا بأصولهم وبحوثهم فافهمه فهم بيان
من وافق الكوني وافق سخطه أفلم يوافق طاعة الديان !؟
فلذاك لا يعدوه ذم أو فوا ت الحمد مع أجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه أجـ ـر بل له عند الصواب اثنان

حاصل ماذكره الناظم في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه، وأن ذاك نوعان : أحدهما : حكم . والثاني : أحكام . ثم ذكر أن الحكم شرعي، وكوني، وأنها لا يتلازمان، وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة ، فان من قال : كل ماشاءه الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه ، لا يحسن منه ولا عنده هـذا التفصيل ، كما لا يخفى . وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول، وهو مذهب السلف . وأما من لم يفرق بينهما ، فكيف يصح هذا عنده ؟!

قال الناظم في « شرح منازل السائرين »[1] إنما نشأ الاشكال من جعلهم

---

(١) وهو المعروف بـ « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » .

المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضياً محباً لذلك ، والتزم رضاهم به ، والذي يكشف هذه الغمة ، وينجي من هذه الورطة ، التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فليسا واحداً ، ولا هما متلازمان ، بل قد يشاء ما لا يحبه ، ويحب ما لا يشاء كونه ، فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون ، مع بغضه لبعضه . والثاني : كمحبة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فاذا تقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ، وقد زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات . إذا عرف هذا ، فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض . قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان ، والتسليم في مقام الإحسان . ومتى خالطت القلب بشاشة الايمـــان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحيي بروح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى الاسلام بصدر منشرح ، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبـــوب لله ورسوله . انتهى

وقد أحببت أن أذكر هنا الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة ، وبعض جواب شيخ الاسلام عنها ، وقد ذكرها الحافظ محمد ابن عبد الهادي في « مناقب الشيخ » وذكرها ابن السبكي فى « طبقاته »

قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي : ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة ، وكتم اسمه ، وجعله على لسان بعض أهل الذمة ، وهو:

أيا علماء الدين ذمّيٌ دينكم تحيّر دلّوه بأَوضح حجة

إذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضهُ مني فما وجه حيلتي

دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟

قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتي

فإن كنت بالمقضي ياقوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم شكيتي

وهل لي رضى ماليس يرضاه سيدي؟ فقد حرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص في اتباع المشيئة

وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

قال : أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال :

أيا عالماً أبدى دلائل حيرة يروم اهتداء من أهيل فضيلة

لقد سرني أن كنت للحق طالباً عسى نفحة للحق من سحب رحمة

فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه كأهل النهى واترك حبائل حيلة

قضى الله قدماً بالضلالة والهدى بقدرة فعال بأحكم حكمة

إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه ... وليس على الخلاق حكم الخليقة

وأفعالنا من خلقه كذواتنا ... وما فيهما خلق لنا بالحقيقة

ولكنه أجرى على الخلق خلقه ... دليل على تلك الأمور القديمه

عرفنا به أهل السعادة والشقا ... كما شاءه فينا بمحض المشيئة

لباس أثواب جعلن أمارة ... على حالتي حب وسخط لرؤية

تصاريفه فينا تصاريف مالك ... سما عن سؤال الكيف والسببية

أمات وأحيى ثم صار معافيا ... وقبح تحسين العقول الضعيفة

فكن راضياً نفس القضاء ولاتكن ... بمقضي كفر راضياً ذا خطيئة

وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع ... بأعذارنا في يوم بعث البرية

فعبر بسد أو بفتح وعد عن ... ضلالة تشكيك بأوضح حجة

وقد بان وجه الأمر والنهي واضحاً ... ولاشك فيه بل ولا وهم شبهة

قلت : هذا الجواب مبني على إنكار التحسين والتقبيح العقليين ، كما هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ؛ وأحمد ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

وأجاب شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فقال :

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... تخاصم رب العرش باري البرية

وهذا سؤال خاصم الملأ العلى ... قديماً به إبليس أصل البلية

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الاله بعلة
فان جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب العرش باري الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمة
فقولك لمْ قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلمْ قد كان في الأزلية؟
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء في كل شرعة
وفي الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بارادة
وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية
بل الشأن في الاسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة
وقولك لمْ شاء الاله هو الذي ... أزلّ عقول الخلق في قعر حفرة
فان المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهمُ عن علة الشر أوقعت ... رؤوسهم[1] في شبهة المثنوية
وإن ملاحيد الفلاسفة الألى ... يقولون بالفعل القديم بعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة
وإن مبادي الشر في كل أمة ... ذوي ملة ميمونة نبـــوية
بخوضهمُ في ذا كمُ صار شركهم ... وجاء دروس البينات لفترة
ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة

---

(١) في الأصل: أوائلهم.

وهبك كففت اللوم عن كل كافر　　وكل غوي خارج عن محجة

فيلزمك الإعراض عن كل ظالم　　من الناس في نفس ومال وحرمة

فلا تغضبنْ يوماً على سافك دماً　　ولا سارق مالاً لصاحب فاقة

ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا　　ولا ناكح فرجاً على وجه غية

ولا قاطع للناس نهج سبيلهم　　ولا مفسد في الأرض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكاً وفرية　　ولا قاذف للمحصنات بريبة

ولا مهلك للحرث والنسل عامداً　　ولا حاكم للعالمين برشوة

وكف لسان اللوم عن كل مفسد　　ولا تأخذنْ ذا جرمة بعقوبة

وسهل سبيل الكاذبين تعمداً　　على ربهم من كل جاء بفرية

وهل في عقول الناس أو في طباعهم　　قبول لقول النذل ما وجه حيلتي

كما كل سم أوجب الموت أكله　　وكل بتقدير لرب البرية

فكفرك ياهذا كسم أكلته　　وتعذيب نار مثل جرعة غصة

ألست ترى في هذه الدار من جنى　　يعاقب إما بالقضا أو بشرعة؟!

ولا عذر للجاني بتقدير خالق　　كذلك في الأخرى بلا مثنوية

فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى　　ينجيك من نار الاله العظيمة

فدونك رب العرش فاقصده ضارعا　　مريداً لان يهديك نحو الحقيقة

وذلل قياد النفس للحق واسمعن　　ولا تعرضنْ عن فكرة مستقيمة

وما بان حق فلا تتركنّه ولا تعص من يدعو لأقوم ريعة

وأما رضانا بالقضاء فانما أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وفقر ثم ذل وغربة وما كان من سوء بدون جريمة

وأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة

وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى بفعل المعاصي والذنوب الكريهة

وقال فريق نرتضي بقضائه ولا نرتضي المقضي لأقبح خلة

وقال فريق نرتضي باضافة اليه وما فينا فنلقي بسخطة

فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

وأطال رحمه الله تعالى ، وهو جواب في غاية النفاسة ، والوفاء بالمقصود، تركنا نقل جميعه اختصاراً .

قول الناظم : هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس الخ . أي: إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزيل جميع الاشكالات فيها قوله .

أي : من وافق الحكم القدري الكوني ، وافق سخطة الله ، إذ لم يوافق الحكم الديني الشرعي ، فلا يعدوه أجر إن خطأ ، أو أجران إن أصاب ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيـضاً حصلا بقواطع البرهان

إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجاده في غاية الإحكام والاتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذلك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان

قال شيخ الاسلام رحمه الله لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لاتقوم به ، أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً قولان ، وهل يتسلسل الحكم ، أو لايتسلسل؟ أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) المائدة - ٣٢ وقوله (كي لا يكون دولة) الحشر: ٦ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٠ ونظائرها ، لأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٦ والاجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل مايريد بحكمته ، والنافون للحكمة والعلة احتجوا أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول ، وهو محال ، ومن حدوثها افتقارها الى علة اخرى ، وأنه يلزم التسلسل . وقد أجلب الناظم وأطنب في كتابه « شرح منازل السائرين »[١] و « مفتاح السعادة » وغيرهما ، فمما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله

---

(١) هو « مدارج السالكين شرح منازل السائرين »

تعـــالى(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحـــات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فدل على أن هـذا الحكم بشيء قبيح ، يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة قبحه في نفسه ، لا من جهة كونه أنه لا يكون . ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى ، لا يأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعـــاقبهم ، وأن هذا الحساب باطل، والله يتعالى عنه لمنافاته لحكمته . فقال تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٥ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين . ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون: ١١٥ فنزه نفسه سبحانه ، وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، ثم إنه رحمه الله بسط القول في ذلك بسطاً كثيراً لا يحتمله هذا الموضع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الورى ... لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه   شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا   شتماً وتكذيباً من الإنسان

هذا وذاك بسمعه وبعلمه   لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم   يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا   حظ كيف بالافعال بالاركان

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ   ـل بحفظهم من كل أمر عان

وهو اللطيف بعبده ولعبده   واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة   واللطف عند مواقع الاحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه   والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قوله : وهو اللطيف الخ . فسر الناظم اللطف في اوصافه سبحانه بنوعين من اللطف : أحدهما : إدراك أسرار الأمور بخبرة . والثاني : اللطف عند مواقع الاحسان ، وهذا معنى قول من فسر اللطف بأنه هو الذي يوصل اليك أربك في رفق . وقيل : هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية .

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان

وهو القريب وقربه المختص بالـداعي وعابده على الايمان

وهو المجيب يقول من يدعو أجبـه أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر اذ يدعوه في سر وفي اعلان

وهو الجواد فجوده عم الوجـود جميعه بالفضل والاحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلا ولو انه من أمة الكفران

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب اغاثة اللهفان

قولـه : وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان

يعني : أن القرب المذكور في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) البقرة : ١٨٦ إن هذا القرب مختص بالداعي ، فهو سبحانه قريب ممن دعاه كما في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير . فقال : « يأيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب الى احدكم من عنق راحلته » . وكذلك قول صالح عليه السلام : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) فقوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار ، أراد قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب

بالمجيب . ومعلوم أنه لايقال : إنه مجيب لكل موجود ، وانما الاجابة لمن سأله ودعاه

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمنان

وهو الذي جعل المحبة في قلو بهم وجازاهم بحب ثان

هذا هو الاحسان حقا لامعا وضة ولا لتوقع الشكران

لكن يحب شكورهم وشكورهم لا لاحتياج منه للشكران

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسبان

ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الاجر العظيم الشان

كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالاخلاص والاحسان

ان عذبوا فبعدله او نعموا فبفضله والحمد للمنان

قوله : وهو الودود . قال تعالى (وهو الغفور الودود) والبروج : ١٤ ؛ أي : بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين ، لايفضحهم بها ، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه. قال مجاهد : الواد لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : معنى الودود الرحيم . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ أي : يوده عباده الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهري . قال : ويجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل ؛ أي : يكون محباً لهم . قال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه جل ذكره ان أحب عباده المطيعين ، فهو فضل منه ، وان أحبه عباده

العارفون ، فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه ، قـــال ابن عباس : الودود الحبيب .

قـــوله : يحب شكورهم الخ الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر يشكر شكراً فهو شكور ، والثاني بضم الشين . مصدر

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقرابها — من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قرابها — سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه — والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها — بعد المتاب بمنة المنان

يشير الى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن أنس قـــال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قـــال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي — صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجو ه كماله مافيه من نقصان

قال شيخ الاسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى . روينا من طريق غير واحد ، كعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبي جعفر الطبري ، والبيهقي ، وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله تعالى . (الصمد) قال : السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحليم الذي قد كمل في حلمه . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته ، لاتنبغي إلا له ، ليس له كفء وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان

لو لم يكن حياً عزيزاً قادراً ماكان من قهر ولا سلطان

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه من انسان

وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من انسان

من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاتت لكل بنان

قوله : والجبر في أوصافه قسمان . ذكر للجبر معنين في أوصاف الرب سبحانه : أحدهما : جبر الضعيف ، وكل قلب قد غدا الخ . ومنه

الحديث « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه سبحانه .

قـــوله : وله مسمى ثالث وهو العلو. والمعنى : أنه لايدنو منه انسان ومنه قولهم : جبارة ، للنخلة العليا المرتفعة ، والله أعلم .

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية　　والحسب كافي العبد كل أوان

وهو الرشيد فقوله وفعاله　　رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه　　والفعل للارشاد ذاك الثاني

والعدل من أوصافه في فعله　　ومقاله والحكم بالميزان

فعلى الصراط المستقيم إلهنا　　قولا وفعلا ذاك في القرآن

تقدم الكلام على قـــوله تعالى (ان ربي على صراط مستقيم) في أوائل هذا النظم .

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـــتنزيه بالتعظيم للرحمـــن

وهو السلام على الحقيقة سالم　　من كل تمثيل ومن نقصان

والبر في أوصافه سبحانه | هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه | فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن | مولى الجميل ودائم الاحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه | فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلي والارض عن | تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه | والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا | والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما | عدلا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه | والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله | نوعان ايضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والايمان والـ | ـرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا | رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في | تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكـ | ـون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبا | ر وليس بالاطلاق دون بيان

ذكر الناظم رحمه الله في هـذه الأبيات أن الرزق نوعان : رزق القلوب ، العلم والايمان على يد عبده ورسوله محمد ﷺ ، والنوع الثاني :

الرزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه ، لكنه يساق الى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها . فقيل : إن الحرام رزق ، و كل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حراماً ، لحصول التغذي بهما جميعاً ، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام ، خلافاً للمعتزلة ، فانهم قالوا : الحرام ليس برزق ، وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك ، وتارة بما لايمنع عن الانتفاع به ، وذلك لايكون الا حلالاً ، فيلزمهم على التفسير الأول أن مايأكله الدواب ليس برزق ، مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) هود: ٦ فيكون مصادماً للقرآن ، لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية مايأكله الدواب رزقاً مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله ، فيكون لفظ الرزق مجازاً عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأنا نقول : هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة ؛ فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة. ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضاً على الوجهين أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلًا ، وهو خلاف الاجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أن لا رازق الا الله ، وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام ، والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق ، و كل أحد مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حراماً ، ولا يتصور أن يأكل الانسان رزقه ، أو يأكل غير رزقه ، لأن ماقدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والـــقيوم في أوصافه أمــران
احداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظـــيم هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـــ اوصاف أصلا عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الـــدارين ذل شقاً وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشا ء بحكمة والله ذو سلطان

قـــوله : والقيوم في أوصافه أمران الخ ؛ أي : إن القيوم هو الذي قام بنفسه ، وقام به الكون ، فالأول : هو استغناؤه عن غيره ، والثاني: افتقار كل شيء اليه . قـــال المفسرون : (القيوم) القائم على كل نفس بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره . وقيل : القائم بتدبير خلقه وحفظه . وقيل : هو الذي لاينام . وقيل : الذي لابديل له . وقرأ جماعة

(القيام) بالألف . وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه و (الحي) يتلوه (القيوم) فهما كما قال الناظم لأفق سمائها بأي : الصفات قطبان ، فالصفات لاتتخلف عنها كما مثل به من قوله : هو قابض هو باسط هو خافض الخ .

فصل

والنور من أسمائه ايضاً ومن ... اوصافه سبحان ذي البرهان

قال ابن مسعود كلاماً قد حكا ... ه الدارمي عنه بلا نكران

ماعنده ليل يكون ولانها ... ر قلت تحت الفلك يوجد ذان

نور السموات العلى من نوره ... والارض كيف النجم والقمران

من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبراني

فيه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الاكوان

قال عبد الله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه .

وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان

وكذلك الايمان في قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن

وحجابه نور فلو كشف الحجا ... ب لأحرق السبحات للاكوان

تقدم حديث ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » رواه مسلم .

وإذا أتى للفصل يشرق نوره   في الارض يوم قيامة الابدان

قال تعالى (واشرقت الأرض بنور ربها) الزمر:٦٩ فاخبر أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره ، وهو نوره الذي نوره ، فانه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وينصب كرسيه بالأرض ، فإذا جاء الله تعالى أشرقت الأرض ، وحق لها أن تشرق بنوره ، وعند المعطلة لايأتي ولا يجيء ، ولا له نور تشرق له الارض . كذا أفاده الناظم في كتاب « الصواعق »

وكذاك دار الرب جنات العلى   نور تلألأ ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـــف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـــسوس ومعقول هما شيئان

احذر تزل فتحت رجلك هوة   كم قد هوي فيها على الازمان

من عابد بالجهل زلت رجله   فهي الى قعر الحضيض الداني

لاحت له أنوار آثار العبا   دة ظنها الانوار للرحمــن

فأتى بكل مصيبة وبلية   ماشئت من شطح ومن هذيان

وكذا الحلولي الذي هو خدنه   من هاهنا حقاً هما أخوان

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والـــحجب الكثيفة ماهما سيان

ذا في كثافة طبعه وظلامه   وبظلمة التعطيل هذا الثاني

والنور محجوب فلا هذا ولا   هذا له من ظلمة يريان

قولـــه : احذر تزل فتحت رجلك هوة الخ

قال الناظم رحمه الله تعالى : في « شرح منازل السائرين » في شرح الدرجة الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب « المنازل » ولا يعرج دونها على انتظار بعد كلام سبق : ولا سبيل لأحد قط في الدنيا الى مشاهدة الحق، وإنما وصوله الى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه ، وحسن ظنه بترهات القوم وخيالاتهم . ولله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة فقـــال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق هذا ، وهو صاحب الشطحات المعروفة ، وهذا من أحسن كلامه وأبينه . وأراد بشاهد الحق مايغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية ، من ذكره ، ومحبته ، وإجلاله وتعظيمه ، ووقاره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها ، مشهوداً لها ، غير غائب عنها . ومن أشار الى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون في حقارة صدقه ، وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً بحسب استعدادها، تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار الاعمال ، والايمان ، ، والمعارف ، وصفاء البواطن والأسرار ، لا أنها نور الذات المقدسة ، فان الجبل لم يثبت للسير من ذلك النور حتى تدكدك ، وخر الـكليم صعقاً مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟ ! فإياك ثم إياك وترهات القوم ، وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحـكامها ، فان المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب ، وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ،

ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك ، ولا يقرلنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور المحمدية ، فرأى ما الناس فيه ، وما أعز ذلك في الدنيا ، وما أغربه بين الخلق ، وبالله المستعان . انتهى كلامه .

وقـــوله : هوة . قال في « القاموس » الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، كالهوانة ، كرمانة : انتهى :

قولـــه : والنور ذو نوعين الخ

قال الناظم في « الصواعق المرسلة » قد ورد النص . بتسمية الرب نوراً وبأن له نوراً مضافاً اليه ، وبأنه نور السموات والأرض ، وبأن حجابه نور ، فهذه أربعة انواع .

فالاول : يقال عليه سبحانه بالاطلاق ، فانه النور الهادي .

والثاني : يضاف اليه ، كما يضاف اليه حياته ، وسمعه ، وبصره ، وعزته وقدرته ، وعلمه . وتارة يضاف الى وجهه ، وتارة يضاف الى ذاته ، فالأول كقوله «أعوذ بنور وجهك» وقوله : « نور السموات والأرض من وجهه» والثاني كقوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها .) الزمر : ٦٩ وقول ابن عباس : ذاك نوره الذي اذا تجلى به .

وقـــوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر « وإن الله خلق خلقه في ظلمة ؛ ثم ألقى عليهم من نوره ... الحديث . والثالث : وهو إضافة نوره الى السموات والأرض ، كقوله تعالى (الله نور السموات والارض) النور : ٣٥ الرابع : كقوله : حجابه النور ، فهذا النور المضاف اليه يجيء على أحد الوجوه الاربعة . والنور الذي احتجب به سمي نوراً وناراً ، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح ، حديث أبي موسى الاشعري ، وهو قـــوله

« حجابة النور والنار ، فان هذه النار هي نور ، وهي التي كلم الله كليمه موسى منها ، وهي نار صافية ، لها إشراق بلا احراق ، فالاقسام ثلاثة: إشراق بلا احراق ، كنور القمر ، وإحراق بلا إشراق ، وهي نار جهنم فانها سوداء محرقة لا تضيء ، وإشراق باحراق وهي هذه النار المضيئة ، وكذلك نور الشمس له الاشراق والاحراق ، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة ،وحجاب الرب تبارك وتعالى نور ، وهو نار ، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها ، فنور وجهه حقيقة لامجاز ، واذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة ، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة اليه أقل من نسبة سراج ضعيف ألى قرص الشمس ؟ ! فكيف لا يكون هذا النور حقيقة . انتهى كلامه .

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الـــصفان للأفعال تابعان
وهما صفات الذات أيضاً إذهما بالذات لا بالغير قائمتان
ولذاك قد غلط المقسم حين ظـــن صفاته نوعين مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا د قيامها بالفعل ذي الامكان
والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماهما شيئان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إ لا نسبة عدمية ببيـــان
فجميع اسماء الفعال لديه ليـــست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن امور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتـــعطيل للأوصاف بالميزان

فالحق أن الوصف ليس بمورد التـــقسيم هذا مقتضى الـــبرهان

بل مورد التقسيم ماقد قام بالـــذات التي للواحد الرحمن

فهما اذاً نوعـان أوصاف وأفـــعال فهذي قسمة التبيان

فالوصف بالافعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان

فالوصف بالمعنى سوى الافعال ما إن بين ذينك قط من فرقان

ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان

قامت بمن هي وصفه هذا محا ل غير معقول لذي الأذهان

وأتوا الى الاوصاف باسم الفعل قا لوا لم تقم بالواحد الديـان

فانظر اليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان

ان كان هذا ممكناً فكذاك قو ل خصومكم أيضاً فذو إمكان

والوصف بالتقديم والتأخير كو ني وديني وهما نوعـان

وكلاهما أمر حقيقي ونســـبي ولا يخفى المثال على أولي الأذهان

والله قدر ذاك أجمعه باحـــكام واتقان من الرحمن

قولـــه ولذلك قد غلط المقسم ؛ أي : ان الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية قالوا : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، ولنزد ذلك ايضاحاً فنقول : قـــال النسفي

رحمه الله في « عقائده المشهورة » والتكوين صفة لله أزلية ، وهو تكوينه للعالم ، وكل جزء من أجزائه ، وهو غير المكون عندنا . قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني : التكوين : هو معنى المعبر عنه بالفعل ، والخلق والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود، صفة لله تعالى ،لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم ، مكون له ، وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء ، من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائماً به أزلية لوجوه :

الأول : أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

الثاني : أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق ، فلو لم يكن في الأزل خالقا للزم الكذب ، أو العدول الى المجاز ؛ أي : الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز إطلاق الخالق عليه بمعنى القادر ، لجاز إطلاق كل مايقدر عليه من الاعراض

الثالث : أنه لو كان حادثا ، فاما بتكوين آخر ، فيلزم التسلسل وهو محال ، ويلزم منه استحالة تكون ، مع أنه مشاهد ، وإما بدونه ، فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث ، وفيه تعطيل الصانع .

الرابع : أنه لو حدث ، لحدث إما في ذاته تعالى ، فيصير محلا للحوادث ، أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به ، فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ، ولا خفاء في استحالته . ومبنى هذه الادلة أن التكوين صفة حقيقة ، كالعلم ، والقدرة . قال : والمحققون من المتكلمين على أنه من الاضافات والاعتبارات العقلية ، مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعه وبعده ، ومذكوراً بألسنتنا ، ومعبوداً لنا ، ومميتاً ، ومحيياً ، ونحو ذلك قال : والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق ، والترزيق ، والإماتة والإحياء

وغير ذلك ، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة ، والارادة وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء ،لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين . قـــال : ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لايتصور بدون المكون ، كالضرب بدون المضروب ، فلو كان قديماً لزم قدم المكونات ، وهو محال،أشار النسفي الى الجواب بقوله: وهو أي التكوين تكوينه للعالم ، ولكل من أجزائه ، لافي الأزل ، بل لوقت وجوده على حسب علمه وارادته ، فالتكوين باق أزلاً وأبداً ، والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لايلزم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثة ، وهذا تحقيق مايقال: إن وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته، لزم تعطيل الصانع ، واستغناء الحوادث عن الموجد،وهو محال ، وإن تعلق، فإما أن يستلزم ذلك قدم مايتعلق وجوده به، فيلزم قدم العالم ، وهو باطل أولاً ، فليكن التكوين أيضاً قديماً مع حدوث المكون المتعلق به . وما يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه ، إذ القديم مالا يتعلق وجوده بالغير ، والحادث مايتعلق به ، فمنظور فيه ، لأن هذا معنى القديم والحادث بالذات على مايقول به الفلاسفة . وأما عند المتكلمين ، فالحادث مالوجوده بداية ؛ أي يكون مسبوقاً بالعدم ، والقديم بخلافه ، ومجرد تعلق وجوده بالغير لايستلزم حدوثه بهذا المعنى ، لجواز أن يكون محتاجاً الى الغير صادراً عنه دائماً بدوامه ، كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات ، كا لهيولي مثلاً . نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لايتوقف على حدوث العالم ، كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه . ومن هنا يقال : ان التنصيص

على كل جزء من أجزاء العالم إشارة الى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كالهيولى ، وإلا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم ، لا بمعنى عدم تكونه بالغير .

والحاصل أنا لا نسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكون ، وأن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب ، فان الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين . أعني : الضارب والمضروب . وقد بينا أن التكوين صفة حقيقة ، هي مبدأ الاضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، لا عينها ، حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة ، فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء ، فلا بد لتعلقه بالمفعول ، ووصول الألم اليه من وجود المفعول معه ، إذ لو تأخر لانعدم ، كذا قيل ، وهذا بالنسبة لفعل المخلوق ، وهو بخلاف فعل الباري ، فانه أزلي الدوام ، يبقى الى وقت وجود المفعول ، فالتكوين غير المكون عندنا ، لأن الفعل يغاير المفعول بالضرورة ، كالضرب مع المضروب ، والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون ، لزم أن يكون المكون مكوناً مخلوقاً بنفسه ، ضرورة أنه مكون بالتكوين الذي هو عينه ، فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع ، وهو محال وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه ، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ، ضرورة تكونه بنفسه ، وهذا لا يوجب كونه خالقاً للعالم ، والعالم مخلوقاً ، فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، وهذا خلق ، وأن لا يكون الله مكوناً للاشياء ، ضرورة أنه لا معنى للمكون إلا من قام به التكوين ، والتكوين اذا كان عين المكون ، لا يكون قائماً بذات الله تعالى ، وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود ، وهذا الحجر خالق السواد ،

إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد ، وهما واحد ، فمحلهما واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضرورياً. ثم قال السعد التفتازاني : وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول ، لا يتم إلا باثبات أن تكون الأشياء ، وصدورها عن الباري تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات ، مغايرة للقدرة والارادة . قال : والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده ، إذا نسب للقدرة يسمى ايجابها له ، واذا نسب الى القادر يسمي الخلق والتكوين ، ونحو ذلك ، فحقيقة كون الذات بحيث تعلقت قدرته بوجود المقدور لوقته ، ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال ، كالترزيق ، والتصوير ، والاحياء ، والإماتة ، وغير ذلك ، الى مالانهاية له . قال : وأما كون كل من ذلك صفة حقيقية أزلية ، فمما تفرد به علماء ما وراء النهر ، وفيه تكثير للقدماء جداً وإن لم تكن متغايرة . قال : والأقرب ماذهب اليه المحققون منهم ، وهو أن مرجع الكل الى التكوين ، فانه ان تعلق بالحياة سمي إحياء ، وبالموت سمي إماتة ، وبالصورة تصويراً ، وبالرزق ترزيقاً ، الى غير ذلك ، فالكل تكوين ، وانما الخصوص بخصوص التعلقات . انتهى .

قلت : مراده بقوله : بما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر ، علماء الكلام ، والا فهو مذهب السلف ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « شرح العقائد الاصفهانية » الصواب أن الخلق غير المخلوق . قال : والذين يقولون : الخلق هو المخلوق ، قولهم فاسد ، وبين وجه فساده ، وما ذكر من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئاً

كثيراً ، مثل (كل يوم هو في شأن) الرحمن :٢٩ (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهو رضوانه فأحبط أعمالهم) محمد:٢٨ وقوله : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)الزمر:٧ فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وغضبه. وقال تعالى(فاذكروني اذكركم)البقرة: ١٥٢ وجواب الشرط كالمسبب مع السبب . وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، ومن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي « الصحيحين » وغيرهما « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته» وفي «الصحيح» « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » وفي « الصحاح » و « والسنن » و « المسانيد » من هذا شيء كثير ، يتعذر أو يتعسر إحصاؤه . وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ، ثم قال : وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى ، القرآن والتوراة، والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة ، يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة . انتهى .

قـــول الناظم : فلذاك وصف الفعل ليس الا نسبة عدمية الخ . يعني: إن القائلين بأن الفعل هو المفعول عندهم أن صفة الفعل نسبة ، والنسب أمور عدمية ، فجميع أسماء الفعال عندهم نسب ، والنسب أمر عدمي ،

فهذا منهم تعطيل للأفعال ، كما عطلوا الصفات .

قـــوله : والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ؛ أي : بل مورد التقسيم ما قام بالذات ، وهي أوصاف وأفعال ، فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلًا ونقلًا .

قـــوله : ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان. أي : ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في اثباتهم الاسماء دون معانيها . كقولهم : قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلابصر ، مريد بلا إرادة ، ونحو ذلك . ثم أتوا الى الأوصاف باسم الفعل فقالوا : لم يقم بالله تعالى ، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة ، والله أعلم

فصل

هذا ومن أسمائه ماليس يفـــرد بل يقال إذا أتى بقران

وهي التي تدعى بمزدواجتها أفرادها خطر على الإنسان

إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان

كالمانع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الأمران

ونظير هذا القابض المقرون باسـم الباسط اللفظان مقترنان

وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجـان

وحديث افراد اسم منتقم فمو قوف كما قد قال ذو العرفان

ماجاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجابذو نوعان

قال النـــاظم في « بدائع الفوائد » بعد كلام سبق : السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قـــدر زائد على مفرديها ، نحو الغني ، الغفور ، القدير ، الحميد ، المجيد ، وهكذا عامـــة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغناء صفة كمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغناء مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعها ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم ؛ فتأمله فانه من أشرف المعارف . وقال في موضع آخر : ومنهـا ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقروناً بمقابله ، كالمانع ، والضار ، والمنتقم ، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ،فانه مقرون بالمعطي ، والنافع ، والعفو ، فهو المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، العفو ، المنتقم ، المعز ، المذل ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق ، والتصرف فيهم ، عطاء ، ومنعاً ، ونفعاً ، وضراً ، وعفواً ، وانتقاماً . وأما أن يثني عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار ، فلا يسوغ ، فهذه الأسماء المزدوجة يجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جـارية مجرى الاسم الوحد ، ولذلك لم تجيء مفردة ، ولم تطلق عليه الا مقترنة ، فاعلمه ، فلو قلت : يامذل ، ياضار ، يامانع . أو أخبرت بذلك ، لم تكن مثنياً عليه ، ولا حامداً حتى تذكر مقابله . وأما الحديث الذي فيه إفراد اسم المنتقم ، فهو موقوف ، كما قال الناظم ، والله أعلم .

فصل

ودلالة الاسماء أنواع ثلا ث كلها معلومة ببيـــان

دلت مطابقة كـــذاك تضمناً وكذا التزاماً واضح البرهان

أما مطابقة الدلالة فهي ان الاسم يفهم منه مفهومان

ذات الإله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان

لكن دلالته على إحداهما بتضمن فافهمه فهم بيان

وكذا دلالته على الصفة التي مااشتق منها فالتزام دان

وإذا أردت لذا مثالاً بيناً فمثال ذلك لفظة الرحمن

ذات الإله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان

إحداهما بعض لذا الموضوع فهـــي تضمّن ذا واضح التبيان

لكن وصف الحي لازم ذلك المـــعنى لزوم العـــلم للرحمن

فلذا دلالته عليه بالتزا م بيّن والحق ذو تبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أنواع الدلالات الثلاثة ، وهي المطابقة ، والتضمن ، والالتزام ، وذلك مثل مامثل به الناظم ، وهو لفظة الرحمن ، فانها دلت على الصفة المشتق منها ، وعلى ذات الرب سبحانه ، لكن دلالته على إحداهما بالتضمن . وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحيـاة ، والعلم ، فهي بالالتزام ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » الاسم من أسمائه تبارك وتعالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل دلالتان آخرتان بالتضمن واللزوم ، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ؛ ويدل على الصفة الأخرى باللزوم ، فان اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها ، والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام . انتهى .

وهذا واضح في بيان كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في بيان حقيقة الالحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان

إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الالحاد فيها الميل بالـ اشراك والتعطيل والنكران

فالملحدون اذاً ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن

المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إله ثان

هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ س مشبه الخلاق بالانسان

وكذاك أهل الاتحاد فانهم اخوانهم من أقرب الإخوان

أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذي السلطان

والمشركون أقل شركاً منهمُ هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان

ولذاك كانوا أهل شرك عندهم لو عمموا ما كان من كفران

ذكر الناظم رحمه الله في أول الأبيات، أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح، فهي أعلام، وأوصاف، والوصف فيها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد، فانها تنافي علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة، ففاتتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى.

قوله: مشتقة الخ. أي: إذا أطلق الاسم عليه تعالى، جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر عنه فعلاً أو مصدراً، نحو السميع، البصير، القدير، يطلق عليه منه اسم السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك، نحو (قد سمع الله) المجادلة: ١ وقد رأى الله (فنعم القادرون) المرسلات: ٢٣ هذا إذا كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً، لم يخبر عنه به، نحو الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال: حيي، كذا أفاده الناظم في «بدائع الفوائد» وينبغي أن يعلم أن الاسماء الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الاسماء، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة، والله أعلم.

قوله: إياك والالحاد فيها الخ. اعلم أن الالحاد في أسمائه سبحانه، هو العدول بها وبجهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادة (لحد) ومنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين: المائل عن الحق الى الباطل. قال ابن السكيت: الملحد: المائل عن الحق: المدخل فيه ما ليس منه، ومنه الملتحد، وهو مفتعل، ومن ذلك قوله تعالى (ولن تجد من دونه ملتحداً) الجن: ٢٢

أي: من تعدل اليه ، وتهرب اليه ، وتلتجىء إليه ، وتبتهل اليه غيره. تقول العرب : التحد فلان الى فلان ، اذا عدل اليه .

إذا عرف هذا ، فالالحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها : أن تسمى الأصنام بها ، كتسميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة ، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

قوله : وكذاك أهل الاتحاد الخ . أي : أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود ، أعطوا الوجود أسماءه تعالى ، والمشركون أقل منهم شركاً ، لأن المشركين خصصوا العبادة بالأوثان ، وهؤلاء عمموا كل شيء بالعبادة ، قالوا: وانما كانوا مشركين ، لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر ، ولو عمموا كل شيء لما كانوا مشركين . تعالى الله عن قولهم ، كما قال في « الفصوص » في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء ، ثم قال : فإن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله ، فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر حتى عبد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان

ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان

فالقصد دفع النص عن معنى الحـــقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان

عطل وحرف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران

للمثبتين حقائق الاسماء والـــأوصاف بالأخبار والقرآن

فاذاهم احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثان

فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم   لا يستفاد حقيقة الايقان

أني وتلك أدلة لفظيــة   عزلت عن الايقان منذ زمان

فاذا تضافرت الأدلة كثرة   وغلبتَ عن تقرير ذا ببيان

فعليك حينئذ بقانون وضعــناه لدفع أدلة القرآن

ولكل نص ليس يقبل أن يؤو   ل بالمجاز ولا بمعنى ثان

قل عارض المنقول معقول وماالــ   أمران عند العقل يتفقان

ماثم إلا واحد من أربع   متقـابلات كلها بوزان

اعمال ذين وعكسه أو تلغي الــ   معقول ماهذا بذي إمكان

العقل أصل النقل وهو أبوه ان   تبطله يبطل فرعه التحتاني

فتعين الاعمال للمعقول والــ   إلغاء للمنقول ذي البرهان

إعماله يفضي إلى إلغـائه   فاهجره هجر الترك والنسيان

والله لم نكذب عليهم اننا   وهمُ لدى الرحمن مختصمان

وهناك يجزى الملحدون ومن نفى الـ   إلحـاد يجزى ثم بالغفران

فاصبر قليلاً انما هي ساعة   يامثبت الأوصاف للرحمن

فلسوف تجني أجر صبرك حين يجــ   ني الغير وزر الاثم والعدوان

فالله سائلنا وسائلهم عن الــ   إثبات والتعطيل بعد زمان

فأعدّ حينئذ جواباً كافياً   عند السؤال يكون ذا تبيان

قوله ، والملحد الثاني فذو التعطيل الخ . هذا الحاد الطائفة الثانية من الملحدين ، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الاسماء الحسنى من معانيها، وجحدوا حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ، ولا معان ، فيطلقون عليه اسم السميع ، والبصير، والحي، والرحيم ، والمتكلم ، والمريد . ويقولون : لاحياة له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الالحاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، ولغة ، وفطرة ، وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فان أولئك أعطوا أسماءه وصفاته ، لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، فيهم العالي ، والمتوسط ، والمتلون ، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك ، فليستقل أو ليستكثر.

قوله : فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة ، أي : أن هذا القسم من الملحدين قصدهم دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف، والتعطيل، والنفي، وقذف المثبتة ، ونبزهم بالتجسيم ، ورميهم بالكفر، ويقولون : إذا احتجت المثبتة عليك بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، فادفعها بضروب من الدفع ، مثل دعوى أنها مجاز ، فاذا غلبت على المجاز ، فقل : هي أدلة لفظية لاتفيد العلم واليقين ، فاذا تكاثرت الأدلة وتضافرت ، فعليك بالقوانين الموضوعة لدفع أدلة القرآن ، ولكل نص لايقبل التأويل ، وقل عارض المنقول معقول . واذا تعارض العقل والنقل ، فما ثم إلا واحد من أربع : إما أن نعملهما ، وإما أن نهملهما ، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل ، وهو غير ممكن ، لأن العقل أصل النقل ، والنقل فرعه ، فان أبطلناه أبطلنا النقل ، لأنا صدقنا النقل به ، فأعماله يفضي إلى الغائه ، فتعين الإعمال للمعقول وإلغاء

المنقول بالقانون ذي البرهان». وقد بسط شيخ الاسلام رحمه الله الكلام على هذا أتم بسط في أول كتاب « درء تعارض العقل والنقل » فارجع اليه إن شئت ، وكذلك العلامة الناظم ، فانه بسط ذلك ، وأطنب في كتابه « الصواعق المرسلة » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالثهم فنافيها ونا في ما تدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقـــر بخالق أبدا ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعـــل الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة المـــأوى مع الغفران والرضوان
لاتوحشنك غربة بين الورى فالناس كالأموات في الحيان
أو ماعلمت بأن أهل السنة الـــغرباء حقاً عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومعاند ومنافق ومحارب بالبغي والعدوان
وتظن أنك وارث لهم وما ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا بلسان
منتك والله المحال النفس فاســـتحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذتك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد ، وهو إلحاد النفاة

الجاحدين لله ، ولكتبه ، ورسله ، وهذا هو الإلحاد حقاً كما قال الناظم . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . شرع الناظم في تعزية أهل السنة، وأنهم هم الغرباء في كل زمان . ولقد أحسن القائل :

قد عرف المنكر واستنكر الجهل في رتبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لاتنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب « كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة » .

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين .

هذا وثاني نوعي التوحيد توحيد العبادة منك للرحمن
أن لاتكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالاسلام والإيمان والإحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الاخلاص توحيد المراد فلا يزاحمه مراد ثان
لكن مراد العبد يبقى واحداً مافيه تفريق لدى الانسان

إن كان ربك واحداً سبحانه　　فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

إن كان ربك واحداً أنشاك لم　　يشركه اذ أنشاك رب ثان

فكذاك أيضاً وحده فاعبده لا　　تعبد سواه ياأخا العرفان

والصدق توحيد الارادة وهو بذ　　ل الجهد لا كسلاً ولا متوان

والسنّة المثلى لسالكها فتو　　حيد الطريق الأعظم السلطان

فلواحد كن واحداً في واحد　　أعني سبيل الحق والإيمان

هذي ثلاث مسعدات للذي　　قد نالها والفضل للمنان

فاذا هي اجتمعت لنفس حرة　　بلغت من العلياء كل مكان

لله قلب شام هاتيك البرو　　ق من الخيام فهمّ بالطيران

لولا التعلل بالرجاء تصدعت　　أعشاره كتصدع البنيان

وتراه يبسطه الرجاء فينثني　　متمايلاً كتمايل النشوان

ويعود يقبضه الاياس لكونه　　متخلفاً عن رفقة الإحسان

فتراه بين القبض والبسط اللذا　　ن هما لأفق سمائه قطبان

وبدا له سعد السعود فصار مسـ　　ـراه عليه لاعلى الدبران

لله ذياك الفريق فانهم　　خصوا بخالصة من الرحمن

شدت ركائبهم الى معبودهم　　ورسوله ياخيبة الكسلان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو توحيد العبادة. والعبادة في اللغة: الذل. يقال: بعير معبد، أي: مذلل. وطريق معبد: إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام.

وأما العبادة في اصطلاح العلماء، فقد عرفها طائفة بقولهم : العبادة ماأمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال شيخ الاسلام : هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل في العبادة . انتهى[1] وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد .

وإذا عرفت معنى العبادة ، فاعلم أن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الالهية والعبادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ،

---

(١) قال ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول كتابه « العبودية » وقد قام المكتب بطبعه طباعة متقنة وتخريج بعض أحاديثه ، وقدم له مقدمة مطولة الاستاذ الفاضل عبد الرحمن الباني مفتش التربية الاسلامية في وزارة التربية والتعليم في الشام .

ونزلت به الكتب ، فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعـالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه من شاء من عباده ، واثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمته . وقد أفصح القرآن عن هـذا النوع حد الافصاح ، كما في أول (الحديد) وسورة (طـه) وآخر (الحشر) وأول (تنزيل السجدة) وسورة (الاخلاص) بكمالها ، وغير ذلك .

النوع الثاني: ماتضمنته سورة (قل ياأيها الكافرون) وقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ..) آل عمران : ٦٤ الآية وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (المؤمن) ووسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيـد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فان القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ؛ وإما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له ، وخلع مايعبد من دونه ، فهو التوحيد الارادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهـل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء أهل توحيده ، وإمـا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، ومـا يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الاسلام : التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبـات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله الا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل

إلا عليـه ، ولا يوالي الا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وقال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) النحل : ٥١ وقـال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانمـا حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) المؤمنون : ١١٧ وقال تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنـا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) الزخرف : ٤٥ وأخبر عن كل نبي من الانبياء أنهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننـا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة : ٤ وقال عن المشركين : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) الصافات : ٣٥ ، ٣٦ وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غـــايه التوحيد ، وأنهم إذا أشهدوا هذا وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل مايتنزه عنه ، وأقر بأنه وحده خـالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله الا الله وحـده ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبـادة ، ويلتزم بعبـادة الله وحده لا شريك له .

والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن

هذا المعنى هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء ، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يوسف: ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم: من خلق السموات والارض؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره . قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الى قوله (فأنى تسحرون) المؤمنون: ٨٤-٨٩ فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ماسواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع رسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعـــامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً . قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون . قـل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ وقال تعـالى (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس: ١٨ وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) الأنعام : ٩٤ وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ ولهذا كان من أتبـاع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ، ويصوم ، وينسك لها ، ويتقرب اليها .

ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فاذا جعلتها سبباً وواسطة ، لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن هذا شرك . انتهى كلامه .

قوله : والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد . جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق ، بما ذكر . وقال الناظم في بعض كلامه : ومقـــام الصدق جامع للاخلاص والعزم ، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .

قوله : فلواحد . يريد به الاخلاص لله الواحد ، وهذا هو توحيد المراد.

قوله : كن واحداً . يريد به الصدق ، وهو توحيد الارادة .

قوله : في واحد . يريد به توحيد الطريق ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وذلك معنى قوله : والسنة المثلى لسالكها ، فتوحيد الطريق الخ . .

قوله : شام ، هو فعل ماض . يقال : شام يشيم شيماً ، إذا نظر من بعد .

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن انسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

والله ماساووهمُ بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان

فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان

لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي ايمان

جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن

لو كان حبهمُ لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان

ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان

شرط المحبة أن توافق من تحـب على محبته بلا عصيان

فاذا ادعيت له المحبة مع خلا فك مايحب فأنت ذو بهتان

أتحب أعداء الحبيب وتدَّعي حباً له ماذاك في إمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه إن المحبة ياأخا الشيطان

ليس العبادة غير توحيد المحـبة مع خضوع القلب والأركان

والحب نفس وفاقه فيما يحـب وبغض مالا يرتضى بجنان

ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان

هذا هو الإحسان شرط في قبو ل السعي فافهمه من القرآن

والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان

فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان

وتخذت أنداداً تحبهم كحـب الله كنت مجانب الإيمان

ولقد رأينا من فريق يدّعي الـ إسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسووهم به في الحب لا السلطان
والله ماساووهمُ بالله بل زادوهم حباً بلا كتمان
والله ماغضبوا إذا انتهكت محا رم ربهم في السر والإعلان
حتى إذا ماقيل في الوثن الذي يدعونه مافيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعـ ـزير ومن سب ومن سجّان
والله لو عطلت كل صفاته ماقابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصاً صريحاً واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا ل لسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر الـ علماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلبهمُ حقاً لهم ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه وكلامه جهراً بلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فو ق الوصف لايخفى على العميان

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيـــت وجوههم مكسوفة الألوان

بل ينظرون اليك شزراً مثل ما   نظر التيوس إلى عصا الجوبان

وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم   يستبشرون تباشر الفرحـان

والله ماشموا روائح دينه   يازكمة أعيت طبيب زمان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى هذه في الأبيات الشرك ، وذكر أن الله لايغفره ، كما قال تعالى (إن الله لايغفر ان يشرك به) النساء: ٤٨-١١٦

وقوله : وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ؛ أي : إن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويحبه كما يحب الله ، ونحو ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه ، وتكفير أهله ، واستباحة دمائهم وأموالهم .

قـــوله : والله ماساووهم بالله في خلق الخ ؛ أي : إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق ، والرزق ، والاحسان ، وانما ساووهم بالله في المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى عن المشركين : انهم يقولون لآلهتهم (تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ ومعلوم أنهم ماساووهم بالله في الخلق والرزق ، وانما ساووهم به في المحبة والتعظيم ، والا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون ، كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ... الايات المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ وقال تعالى عنهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر: ٣ وكان المشركون يقولون في تلبيتهم : لبيك لا

شريك لك هو لك تملكه وما ملك . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الاية سبأ : ٢٢

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » في الكلام على هذه الآيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ، أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً ، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت . فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ ٢٢ ، ٢٣ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لايكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع ، اما مالكاً لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتباً منتقلا من الأعلى الى الأدنى ، فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يطلبها المشرك ، أثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لايشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك . ثم قال : ومن أنواعه ؛ أي الشرك ، طلب الحوائج

من الموتى ، والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، كأنه لا يقدر أن يشفع عند الله الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه ، وانما السبب كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعادات أهل التوحيد ، ونسبة أهله الى التنقيص بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ومانجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه الى الله ، واستغاثته بالله ، وقصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله ، فهو لله ، وبالله ، ومع الله . انتهى كلامه ،

قولـــه : ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام الخ . قد ذكر الناظم في « شرح المنازل » كلاماً كالشرح لكلامه هذا . قـــال رحمه الله تعالى : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالاكبر لايغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قـــالوا لآلهتهم في النار

(تالله ان كنا لفي ضلال مبين. اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء ٩٧ ، ٩٨ مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ، ومليكه ، وأن آلهتهم لاتخلق ، ولا ترزق ، ولاتميت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ، ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر اللـه وحده ، ويغضبون لتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذ انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم ، غضبوا غضب الليث ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً أعرضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده من دون اللـه على لسانه ، ان قام ، وان قعد ، وان عثر ، وان استوحى ، فذكر الهه ومعبوده من دون اللـه هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لاينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته الى الله ، وشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هوالذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت من الحجر ، وغيرهم اتخذها من البشر . قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن اللـه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) الزمر : ٣ ثم شهد عليهم بالكذب والكفر ، وأخبر أنه لا يهديهم ، فقال (ان اللـه لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر: ٣ فهذه حال من اتخذ من دون اللـه ولياً يزعم أنه يقرب الى اللـه ، وما أعز من تخلص من هذا ، بل

مأ أعز من لا يعادي من أنكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه ، وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله .

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله ، الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده ، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ، ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله الا الله » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم ، وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع . ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة ، تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة الا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول : (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة : ٢٥٥ وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) الأنبياء : ٢٨ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد ، واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الألون والآخرون ، كما قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه

ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها ، لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول الا توحيده واتباع رسوله ، فان الله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره في العبادة ، والموالاة والمحبة ، كما في الآية الأخرى (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧، ٩٨ وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فانه يقول : لا نحبهم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه لله ، ويستبشر بذكرهم ، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم ، من إغاثة اللهفات ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وعباده ، فترى المشرك يفرح ويسر ، ويحن قلبه ، ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم ، والموالاة . وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة ، وضيق ، وحرج ، ورماك بتنقص الآلهة التي له ، وربما عاداك . رأينا هذا والله منهم عياناً ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة ، ولم يكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال : هؤلاء تنقصتم مشايخنا ، وأبواب حوائجنا الى الله ؛ وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم : ان المسيح عبد. تنقصت المسيح ،وعبته ، . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ، ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها ، فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم ،حتى كأنهم قد تواصوا به ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . انتهى كلامه .

قوله: حرب، يحتمل أنه يكون بسكون الراء، وهو معروف، جمعه حروب، ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب. قال في « القاموس » : حرب كفرح كلب، واشتد غضبه فهو حرب.

قوله : مكسوفة الألوان، هو بالسين المهملة. قال في « القاموس » : ورجل كاسف البال، سيء الحال، وكاسف الوجه : عابسه.

قوله : شزر الخ . قال في « القاموس » : شزره، واليه يشزره، نظر منه في أحد شقيه، وهو نظر فيه إعراض، أو نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر يميناً وشمالاً.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في صف العسكرين وتقـــابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران.

العوان : بفتح العين أي : حرب بعد حرب

يامن يشب الحرب جهلاً مالكم   بقتال حزب الله قط يدان

أنى يقاوم جندكم لجنودهم   وهم الهداة وعسكر القرآن

وجنودكم ما بين كذاب ودجا   ل ومحتال وذي بهتان

من كل أرعن يدعي المعقول وهـــــو مجانب للعقل والإيمان

قال في « القاموس » الأرعن : الأهوج في منطقه ، الأحمق المسترخي ، وقد رعن مثلثه رعونة ورعناً محركة ، وما أرعنه انتهى .

أو كل مبتدع وجهمي غدا   في قلبه حرج من القرآن

أو كل من قد دان دين شيوخ أهـ   ـل الاعتزال البيّن البطلان

أو قائل بالاتحاد وأنه   عين الاله وما هما شيآن

أو من غدا في دينه متحيراً   أتباع كل ملدد حيران

وجنودهم جبريل مع ميكال مع   باقي الملائك ناصري القرآن

وجميع رسل الله من نوح إلى   خير الورى المبعوث من عدنان

فالقلب خمستهم أولو العزم الألى   في سورة الشورى أتوا ببيان

في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم   هم خير خلق الله من إنسان

قوله : في سورة الشورى الخ . في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . .) الآية . وفي الأحزاب : ١٣ (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . .) الأحزاب : ٧ الآية .

ولواؤهم بيد الرسول محمد   والكل تحت لواء ذي الفرقان

وجميع أصحاب الرسول عصابة الاسلام   أهل العلم والإيمان

والتابعون لهم بإحسان على   طبقاتهم في سائر الأزمان

أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ   ـفتوى وأصل حقائق العرفان

العارفون بربهم ونبيهم ومراتب الأعمال في الرجحان

صوفية سنية نبوية ليسوا أولي شطح ولا هذيان

هذا كلامهمُ لدينا حاضر من غير ما كذب ولا كتمان

فاقبل حوالة من أحال عليهم هم أملياؤهمُ أولو إمكان

أي: إن كلام المذكورين لدينا حاضر، وقد أحلناكم عليه، فاقبل أيها المحال الحوالة، كما قال ﷺ «من أحيل على مليىء فليتبع»

فاذا بعثنا غارة من أخريا ت العسكر المنصور بالقرآن

طحنتكم طحن الرحى للحب حتى صرتم كالبعر في القيعان

أنى يقاوم ذا العساكر طمطم أو تنكلوشا أو أخو اليونان

طمطم وتنكلوشا من فلاسفة الهند

أعني أرسطو عابد الأوثان أو ذاك الكفور معلم الألحان

ذاك المعلم أولاً للحرف والثاني لصوت بئست العلمان

هذا أساس الفسق والحرف الذي وضعوا أساس الكفر والهذيان

يعني أن أرسطو هو معلم الحرف، والمراد به المنطق، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقة، والمعلم الثاني هو الفارابي، وهو محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوصل بصناعته الى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك ما يبكي، أو ما يضحك، أو ما ينوم. وكان حاذقاً في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا. وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، وتخصيص المعاد للأرواح العالمة

لا الجاهلة . وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه ان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في « كامله » في سنة ٣٣٩ .

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ ـلحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه أعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام أعظم محنة لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أوجهم وأتباع لهم هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظّام ذا ك مقدم الفساق والمجان
والجعفران كذاك شيطان ويد عى الطاق لاحييت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والـ ـنجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع بالوحي رأساً بل برأي فلان
وخيار عسكركم فذاك الأشعري القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش واسـ ـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي الـ ـإثبات تقريراً عظيم الشان

لكنكم أكفرتموه وقلتمُ   من قال هٰذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم   برآء إذ قربوا من الإيمان

تقدمت ترجمة ابن سينا ، والنصير الطوسي ، والجعفران : هما جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وحفص : هو حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي ، وهو من تلاميذ حسين النجار ، وبشر هو ابن غياث المريسي ، والنظام هو ابراهيم بن سيار النظام ، وشيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاق من أجل أنه كان صيرفياً بطاق المحامل من بغداد ، فاختلف هو وصيرفي في نقد درهم فغلبه ، فقال متبجحاً أنا شيطان الطاق ، فغلب عليه هذا الاسم ، والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاق ، وله قضية مع أبي حنيفة رحمه الله ، وله شعر جيد . قال بشار بن برد : شيطان الطاق أشعر مني ، ومذهبه أن الامامة لم تزل الى موسى بن جعفر الصادق ، فلما مات موسى قطع الامامة ، ووافق هشام ابن الحكم في قوله : ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد وقوعها ، ولا يعلم أنها ستقع ، وزعم أن الله تعالى على صورة الانسان ، لقوله عليه السلام : «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن»(١) ليس بجسم . وله كتب عديدة ، منها

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ابي عاصم في السنه ، والطبراني من حديث ابن عمر ، وأعله بعضهم. وقال بعضهم : المراد بالصورة الصفة ، والمعنى إن الله خلق آدم على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك

والذي في الصحيحين عن ابي هريرة : « إن الله خلق آدم على صورته » اي على صورة آدم التي كان عليها من مبدإ فطرته الى موته ، لم تتفاوت قامته ، ولم تتغير هيئته ، بخلاف بنيه ، فان كلًا منهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاماً . . . الخ

والحديث مخرج مخرج الزجر والتهويل ، لوروده عقب قوله: « لا تقولوا قبح الله وجهك ، فان الله خلق آدم على صورته » اي على صورة هذا الوجه المقبح .

كتاب « افعل لما فعلت » وكتاب « افعل لا تفعل » وعنده أن كبار الفرق أربعة : القدرية ، والخوارج ، والعامة ، والشيعة ، فالناجي في الآخرة من الفرق الشيعة . ومن رأيه ورأي هشام الامساك عن الكلام في الله تعالى ، بقوله تعالى . (وأن الى ربك المنتهى) النجم : ٤٢ أي اذا بلغ الكلام الى الله تعالى فأمسكوا . قالا : ولذلك أمسكنا عن القول في الله ، والتفكير فيه . وقيل له : ويحك أما استحيت ؟ أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الامامة : إن الله لم يقل قط في القرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار) التوبة : ٤٠ فضحك طويلًا ، وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة . ومن شعره

ولا تكن في حب الأخلاء مفرطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل

وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف . والنجار هو الحسين بن محمد النجار .

قوله : القرم : السيد . أصله فحل الابل ، قال الخطابي : معناه المقدم في المعرفة بالأمور والرأي

وقوله : لكنكم كفرتموه الخ . هذا تكفير باللزوم . أي لأنهم كفروا من قال بهذا القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي العساكر قد تلاقت جهرة ودنا القتال وصيح بالأقران

صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان

فهمُ الى لقياكم بالشوق كي   يوفوا بنذرهم من القربـان
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما   يشفيه غير موائد اللحمان

قال في « القاموس » : القرم محركة شده شهوة اللحم ، كثر حتى قيل في الشوق الى الحبيب .

تباً لكم لو تعقلون لكنتمُ   خلف الخدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله   والوحي والمعقول بالبرهان
ماعندكم الا الدعاوي والشكا   وي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكمُ   في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله مـاجئتم بقال الله أو   قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجعجعة وفرقعة وغمغمة   وقعقعة بكل شنان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله   أنتم بحاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وان   تحموا مآ كلكم بكل سنان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن   سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصباً ومآ كلاً   قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو   قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاويش تعظيم وإجـــلال كشاويش لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة   وأردتم التعظيم بالبهتـان

فصل

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين الرسول وبين رأي فلان

كلا ولا جحد الصفات لربنا   في قالب التنزيه والسبحان

كلا ولا نفي العلو لفاطر الـ   أكوان فوق جميع ذي الأكوان

كلا ولا عزل النصوص وانها   ليست تفيد حقائق الإيمان

إذ لاتفيدكمُ يقيناً لا ولا   علماً فقد عزلت عن الإيقان

والعلم عندكم ينال بغيرها   بزبالة الأفكار والأذهان

قال في « القاموس » : الزبل بالكسر ، وكأمير : السرقين ، والزبلة بضم الباء : ملقـاه وموضعه . وزبل زرعه يزبله : سمده ، وككتاب : ماتحمله النخلة

سميتموه قواطعاً عقلية   وهي الظواهر حاملات معان

أي إنكم سميتم ما وضعتموه من الفعليات قواطع عقلية بزعمكم ، وأما الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعـان ، وهي الاحتمالات التسعة أو العشرة ، وقد تقدمت ، فلذلك لاتفيد اليقين

كلا ولا إحصاء آراء الرجا   ل وضبطها بالحصر والحسبان

كلا ولا التأويل والتبديل والـــتحريف للوحيين بالبهتان
كلا ولا الاشكال والتشكيك والـــوقف الذي مافيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان

هذه الأبيات التي صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ماأنشده الحافظ مؤرخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله تعالى .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

قال الناظم :

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الالحاد حزب جنكسخان .

قال في « القاموس » : الهدنة بالضم : المصالحة ، كالمهادنة

ياقوم صالحتم نفاة الذات والـــأوصاف صلحاً موجباً لأمان
وأغرتم وهنا عليهم غارة قعقعتم فيها لهم بشنان
ماكان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسير عان
ولطفتم في القول أو صانعتم وأتيتم في بحثكم بدهان
وجلستم معهم مجالسكم مع الـــأستاذ بالآداب والميزان

وضرعتمُ للقول كل ضراعة حتى أعاروكم سلاح الجاني

فغزوتمُ بسلاحهم لعساكر الـ ـإثبات والآثار والقرآن

ولأجل ذا صانعتموهم عند حر بكمُ لهم باللطف والإذعان

ولأجل ذا كنتم مخانيثاً لهم لم تنفتح منكم لهم عينان

حذراً من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنسوان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم لما ابتدعوا دليل الاكوان المعروف ، وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة . قال شيخ الاسلام ، وقالوا : إن دين الاسلام إنما يقوم على هذا الأصل وانه لايعرف أن محمداً رسول الله الا بهذا الأصل ، فان معرفة الرسول متوقفة على معرفة المرسل ، فلا بد من إثبات العلم بالصانع أولاً ، ومعرفة مايجوز عليه وما لايجوز عليه ، قالوا : وهذا لايمكن معرفته الا بهذا الطريق . ويقول كثير منهم : إن هذه طريقة ابراهيم الخليل المذكورة في قوله (لا أحب الآفلين) الأنعام : ٧٦ قالوا : فان ابراهيم استدل بالأفول ، وهو الحركة والانتقال ، على أن المتحرك لايكون إلهاً . قالوا : ولهذا يجب تأويل ماورد عن الرسول مخالفاً لذلك عن وصف الرب بالاتيان ، والمجيء ، والنزول ، وغير ذلك ، فان كونه نبياً لم يعرف الا بهذا الدليل العقلي ، فلو قدح في ذلك ، لزم القدح في دليل نبوته ، فلم يعرف أنه رسول الله ، وهذا ونحوه هو الدليل العقلي الذي تقول : إنه عارض السمع ، وتقول : اذا تعارض السمع والعقل امتنع تصديقهما وتكذيبهما ، وتصديق السمع دون العقل ، لأن العقل هو أصل السمع ، فلو جرح أصل الشرع كان جرحاً له ، ولأجل

هذا الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية ، وقالوا : القرآن مخلوق ، ولأجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ، ولأجلها قال العلاف بفناء حركاتها ، والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح . فقال لهم الناس : أما قولكم : إن هذه الطريقة هو الأصل في معرفة الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مايعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، فانه من المعلوم لكل من عرف حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة ابداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ؟ ! والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا أن هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي ، والحليمي ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه طريقة باطلة في نفسها . ولهذا ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك ابن أنس ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وغير هؤلاء من السلف . وحفص الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن ، وقال : القرآن مخلوق ، وكفره الشافعي ، كان قد ناظره بهذه الطريقة ، وكذلك أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث كان من المناظرين الامام أحمد في مسألة القرآن بهذه الطريقة ، وقال لهم الناس : إن هذا الاصل الذي ادعيتم إثبات الصانع به ، وأنه لايعرف إثبات خالق للمخلوقات إلا به ، هو بعكس ماقلتم ، بل هذا الأصل يناقض كون الرب خالقاً للعالم ، ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ، ولا الرد على

الفلاسفة ، فالمتكلمون الذين ابتدعوه ، وزعموا أنهم به نصروا الاسلام ، وردوا به على أعدائه ، كالفلاسفة ، لا الاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، بل كان ما ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الاسلام على من اتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه ، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين ، وفتحوا لعدو الاسلام باباً الى مقصوده ، فان حقيقة قولهم : ان الرب لم يكن قادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكنا له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لا نهاية لها ، ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هو فعله ، وجعلوا فعله وارادته بعلة قديمة أزلية ، والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وكل هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الاسلام ، والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفات قالوا : يريد جميع المرادات بارادة واحدة ، وكل كلام تكلم به ، أو يتكلم به ، انما هو شيء واحد ، لا يتعدد ولا يتبعض ، واذا رؤي رؤي لا بمواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع ، ولم يرى الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك . . الى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح ، والمنقول الصحيح . ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وان هذا هو الاسلام الذي عليه هؤلاء ، علموا فساد هذا ، أظهروا قولهم بقدم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع ، بل لابد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائماً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها ، وهو أنه اذا كان الفعل دائماً لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم

له رسولاً، معيناً ولا عيز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ماجاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون اليه من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه . ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم: أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس، وهل كانوا جهلاء؟ على قولين لهم . إلى غير ذلك من انواع الالحاد والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقول شيخ الاسلام : انهم ، يعني المتكلمين : لا للاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، هو معنى قول الناظم : وأغرتم وهناً عليهم غارة الخ .

قوله: ولطفتم في القول أو صانعتم . يعني أنكم لضعف دليلكم صانعتم الفلاسفة وتلطفتم بالرد عليهم ، لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافيء الأدلة ، كما قال الامام شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري في كتاب « ذم الكلام » قال : وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة ، أخبرنا المعافى ، سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي بسرخس يقول : سمعت زاهر بن أحمد يقول : أشهد لمات فلان متحيراً لسبب مسألة تكافيء الأدلة ، وذكر إماماً من أئمة المتكلمين ، ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « العقل والنقل » قال : وقد بلغني باسناد متصل عن بعض رؤوسهم ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت . أموت وما علمت شيئاً ، الا أن الممكن يفتقر الى الواجب

ثم قال : الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً ، وكذلك الاصبهاني اجتمع بالشيخ ابراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض ، فما وجدته ، وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال ، أبيت بالليل وأستلقي على ظهري ، وأضع الملحفة على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجح عندي شيء ، كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة . انتهى كلام الشيخ .

قوله : قعقعة فيها لهم بشنان ، القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية ، وهم يحركونها اذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع .

قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش   يقعقع خلف رجليه بشن

مثل يضرب لمن لايتضعضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولايروعه ما لا حقيقة له .

ومعنى كلام الناظم رحمه في هذا الفصل : إنكم أيها النفاة صانعتم الفلاسفة ، وناظرتموهم مناظرة ضعيفة ، لم تزدهم الاشراً وإغراء .

قوله : ولأجل ذا صرتم مخانيثاً لهم الخ . هذا كما يقال المعتزلة مخانيث الفلاسفة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وبحثتم مع صاحب الاثبات بالتكفير   والتضليل والعدوان

وقلبتم ظهر المجن له وأجلبتم عليه   بعسكر الشيطان

والله هذي رتبة لايختفي   مضمونها إلا على الثيران

هـذا وبينهما أشد تفاوت فئتان في الرحمن مختصمان
هذا نفى ذات الاله ووصفه نفياً صريحاً ليس بالكتمان
لكنّ ذا وصف الاله بكل أو صاف الكمال المطلق الرباني
ونفى النقائص والعيوب كنفيه الـتشبيه للرحمن بالانسـان
فلأي شيء كان حربكمُ له بالجد دون معطل الرحمن

قوله : وبحثتم مع صاحب الاثبات الخ ؛ أي أنكم خرجتم عن الحد في بحثكم مع صاحب الاثبات ، و كفرتموه وضللتموه واعتديتم عليه .

قوله : وقلبتم ظهر المجن. قال في « القاموس » المجن ، والمجنة ، بكسرهما والجنان بالضم : الترس ، وقلب مجنه أسقط الحياء ، وفعل ماشاء ، أو ملكه أمره ، أو اشتد به .

قوله : هذا نفى ذات الاله ووصفه الخ . أي : إن المعطل نفى ذات الرب سبحانه وصفاته ، وهذا من الناظم في نفي ذات الرب سبحانه على سبيل الالزام ، والمثبت أثبت صفات الكمال لربه سبحانه ونفى عنه النقائص والعيوب ، فلاي شيء كان حربكم للمثبت بالحد ؛ أي : (حاربتموهم أشد الحرب)[1] وأما المعطلة فصانعتموهم وداهنتموهم في البحث ، وتأدبتم معهم وانما ذلك لخوف استرجاعهم سلاحهم الذي تسلحتم على نفي صفات الرب سبحانه

قال الناظم :

قلنا نعم هذا المجسم كافر أفكان ذلك كامل الايمان ؟!
لاتنطفي نيران غيظكم على هذا المجسم ياأولي النيران

(١) بياض في الأصل .

فالله يوقدها ويصلي حرها | يوم الحساب محرف القرآن
يا قومنا لقد ارتكبتم خطة | لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتمُ أعداءكم بوفاقكم | لهمُ على شيء من البطلان

أي: لما قلنا للمتكلمين: لأي شيء كان حربكم للمثبتة أشد الحرب ، دون المعطلة . قالوا لنا في الجواب : إن المثبت كافر. فيقال لهم ، فهل المعطل كامل الايمان ؟

قــوله : وأعنتم أعداءكم بوفاقكم الخ ؛ أي إنكم معاشر المتكلمين أعنتم أعداءكم المعطلة على شيء من الباطل ، كنفي صفات الرب سبحانه أو بعضها ، وقولكم بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة ، وغير ذلك

قــال الناظم :

أخذوا نواصيكم بها ولحاكمُ | فغدت تجر بذلة وهوان
قلتم بقولهم ورمتم كسرهم | أنى وقد غلقوا لكم برهان
وكسرتم الباب الذي من خلفه | أعداء رسل الله والايمان
فأتى عدو مالكم بقتالهم | وبحربهم أبد الزمان يدان

أي : إن المتكلمين لما قالوا ببعض أقوال المعطلة صعب الرد عليهم منهم ؛ لأنهم قد غلقوا لهم برهان ، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم .

قــال الناظم :

فغدوتم أسرى لهم بحبالهم | أيديكم شدت الى الأذقان

حملوا عليك كالسباع استقبلت   حمراً مقعقرة ذوي أرسان
صالوا عليكم بالذي صلتم به   أنتم علينا صولة الفرسان
لولا تحيزكم الينا كنتم   وسط العرين ممزقي اللحمان
لكن بنا استنصرتم وبقولنا   صلتم عليهم صولة الشجعان
وليتم الاثبات اذ صلتم به   وعزلتم التعطيل عزل مهان
وأتيتم تغزوننا بسرية   من عسكر التعطيل والكفران
من ذا بحق الله أجهل منكم   وأحقنا بالجهل والعدوان
تالله مايدري الفتى بمصابه   والقلب تحت الختم والخذلان

قـــوله: لولا تحيزكم الينا الخ . يعني إن المتكلمين في بعض الأحوال، يتحيزون الى المثبتة وأهل الحديث ، كما صنف الامام أبو الحسن الأشعري المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصرة أهل السنة وأصحاب الحديث. كـ«الابانة في أصول الديانة » و«مقالات الاسلاميين » و « رسائل الثغر » وغير ذلك ، و كما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته ، وهو كتاب « أقسام اللذات » لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ و (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١٠ (ولا يحيطون به علما) طه : ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

قـــال الناظم :

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين .

الأسنة : جمع سنان بكسر السين ، وهو : الرمح.

وإذا أردت ترى مصارع من خلا   من أمة التعطيل والكفران

وتراهم أسرى حقيراً شأنهم   أيديهم غلت الى الأذقان

وتراهم تحت الرماح دريئة   مافيهم من فارس طعان

تقدم معنى الدريئة .

وتراهم تحت السيوف تنوشهم   من عن شمائلهم وعن أيمان

وتراهم انسلخوا من الوحيين والـ   ـعقل الصريح ومقتضى القرآن

وتراهم والله ضحكة ساخر   ولطالما سخروا من الايمان

قد أوحشت منهم ربوع زادها الـ   ـجبار إيحاشا مدى الأزمان

قال في « القاموس » الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمع رباع ، وربوع ، وأربع ، وأرباع ، والمحلة ، والمنزل ، والنفس ، وجماعة الناس ، والموضع يرتبعون فيه في الربيع ، كالمربع ، كمقعد . انتهى .

وخلت ديارهم وشتت شملهم   مافيهم رجلان مجتمعان

قد عطل الرحمن أفئدة لهم　　من كل معرفة ومن ايمان

إذ عطلوا الرحمن من أوصافه　　والعرش أخلوه من الرحمن

بل عطلوه عن الكلام وعن صفا　　ت كماله بالجهل والبهتان

فاقرأ تصانيف الامام حقيقة　　شيخ الوجود العالم الرباني

أعني أبا العباس أحمد ذلك الـ　　ـبحر المحيط بسائر الخلجان

الخليج من البحر : شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، وقيل جانباه : خليجاه والجمع خلج بضمتين . قاله في « مختار الصحاح »

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي　　ما في الوجود له نظير ثان

وكذاك منهاج له في رده　　قول الروافض شيعة الشيطان

وكذاك أهل الاعتزال فانه　　أرادهم في حفرة الجبان

وكذلك التأسيس أصبح نقضه　　أعجوبة للعالم الرباني

التأسيس المذكور : هو « تأسيس التقديس » للفخر الرازي في تأويل الصفات الخبرية ، صنفه للملك العادل ؛ أي : بكر بن أيوب ، وقد نقض شيخ الاسلام بكتاب « تخليص التلبيس من تأسيس التقديس » ويسمى أيضاً « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وهو كتاب عظيم نفيس . قال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطة : لو سافر رجل الى الصين في تحصيله لما كان كثيراً ، وهو كما قال :

وكذاك أجوبة له مصرية　　في ست أسفار كتبن سمان

وكذا جواب للنصارى فيه ما يشفي الصدور وأنه سفران

وهو المسمى بـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

وكذاك شرح عقيدة للاصبها ني شارح المحصول شرح بيان

فيها النبوات التي إثباتها في غاية التقرير والتبيان

والله ما لأولي الكلام نظيره أبداً وكتبهم بكل مكان

وكذا حدوث العالم العلوي والسفلي فيه في أتم بيان

وكذا قواعد الاستقامة أنها سفران فيما بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفي ايمان

هذا ولو حدثت نفسي أنه قبلي يموت لكان غير الشان

وكذاك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران

سفر لطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان

وكذاك تسعينية فيها لـه رد على من قال بالنفساني

تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوحدان

أي : إنه رحمه الله صنف الكتاب المسمى بـ « التسعينية » وهو رد على القائلين بالكلام النفسي ، وان كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس على ما هو معروف . وقوله : ذا الوحدان بالحاء المهملة ؛ أي : إنه معنى واحد .

وكذا قواعده الكبار وانها أوفى من المائتين في الحسبان

لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان

وكذا رسائله الى البلدان والـ أطراف والاصحاب والاخوان

هي في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالي من الأثمان

وكذا فتاواه فأخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان

بلغ الذي ألقاه منها عدة الأيام من شهر بلا نقصان

سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتني منها بلا حسبان

أي : ان فتاوله بلغت ثلاثين سفراً

هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان

وكذا المفاريد التي في كل مسـ ألة فسفر واضح التبيان

ما بين عشر أو تزيد بضعفها هي كالنجوم لسالك حيران

وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان

نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان

أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل مكان

وأصارهم والله تحت نعال أهـ ـل الحق بعد ملابس التيجان

وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام للبلدان

ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما　　منالهم إلا أسـيرعان

فغدت نواصيهم بأيدينا فلا　　يلقوننا الا بحبل أمان

وغدت ملوكهم ممااليكا لأنـ　　ـصار الرسول بمنة الرحمن

وأتت جنودهم التي صالوابها　　منقادة لعساكر الايمان

يدري بهذا من له خبر بما　　قد قاله في ربه الفئتان

والقدم يوحشنا وليس هناكم　　فحضوره ومغيبه سيان

حاصل كلامه في هذا الفصل ذكربعض مؤلفات شيخه شيخ الاسلام وذكر بعض مناقبه ، وهي بحر لاساحل له. وقد أفردت المصنفات الكثيرة في مناقبه كـ «العقودالدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » لتلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في مجلد ، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس ، ومناقبه لتلميذه ، أي حفص البزاز في كراسين ، وترجمته المفردة للحافظ ابي عبدالله الذهبي ، وهي غير تراجمه التي ذكرها في « تواريخه » وقد ذكره الشيخ أبو حفص عمر بن الوردي في « تاريخه » وأطنب في ترجمته ، وكذا ذكره الامام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » وأسهب وأطنب ، والحافظ عماد الدين بن كثير في كتاب « البدايةوالنهاية » والحافظ أبوالفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » والشيخ محمد بن شاكر في « ذيله على تاريخ ابن خلكان » والحافظ ابن حجر العسقلاني ، والامام ابن العماد في «شذرات الذهب » وغيرهم ، ومن أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة ، فليرجع الى هذه المصنفات ير فيها مايثلج صدره ، والله تعالى يغفر له ويرحمه ويجزيه عن الاسلام خيراً .

تنبيـــه : قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له : علاء الدين محمد بن محمد البخاري ، تكلم في شيخ الاسلام بما هو من كلام الطغام [1] وأشباه الأنعام ، وزعم أن من سماه شيخ الاسلام فهو كافر ، وقد تصدى للرد عليه في هذه الضلالة ، وقبيح هذه المقالة : الشيخ الامام العلامة ، والمحدث الفهامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى بكتاب سماه « الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر » وقد أجاد فيه وأفاد ، وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد ، وهو في مجلد لطيف ، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الاسلام ، وقرظوه بما يشفي الأوام ، كشيخ الاسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وقاضي القضاة ، شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، و العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي ، والعلامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، والامام الهمام العلامة الفهامة أحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، والشيخ الامام العالم الهمام ابراهيم بن محمد الحلبي ، والشيخ الامام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم .

قـــوله : والفدم . قال في « القاموس » الفدم : العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ الاحمق الجافي ، جمع فدام ، وهي بهاء ، فدم ككرم ، فدامة ، وفدومة . انتهى .

---

(1) الطغام ، كسحاب : أوغاد الناس ، والأحمق :

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان

ياقوم أصل بلائكم أسماء لم ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكستكم غاية التعكيس واقـتلعت دياركم من الار كان
فتهدمت تلك القصور وأوحشـت منكم ربوع العلم والايمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حق وأمر واضح البطلان
سميتمُ عرش المهيمن حيزاً والاستواء تحيزاً بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى جهة وسقتم نفي ذا بوزان

يعني أن المصيبة والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة الاسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان ، وذلك أنهم سموا عرش المهيمن سبحانه ، حيزاً ، وسموا الاستواء تحيزاً وجهة . قال

وجعلتم الاثبات تشبيهاً وتجسـيما وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسماً قابل الـ اعراض والأكوان والألوان

وجعلتم أوصافه عرضاً وهــــذا كله جسر الى النكران

أي أنكم أيها المعطلة سميتم الاثبات تشبيهاً وتجسيماً ، وقلتم : إذا وصفتم الله بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، فقد قلتم بأن الله جسم قابل للأعراض ، وهي الألوان ونحوها ، والاكوان الأربعة ، ، وهي الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون . تعالى الله عن ذلك .

قــــال :

وكذاك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان

اذ تنفر الاسماع من ذا اللفظ نفـــرتها من التشبيه والنقصان

فكسوتم أفعاله لفظ الحوا دث ثم قلتم قول ذي بطلان

ليست تقوم به الحوادث والمرا د النفي للأفعال للديان

فاذا انتفت أفعاله وصفاته وكلامه وعلو ذي سلطان

فبأي شيء كان رباً عندكم يافرقة التحقيق والعــرفان

والقصد نفي فعاله عنه بذا التـــلقيب فعل الشاعر الفتان

وكذاك حكمة ربنا سميتم عللا وأغراضاً وذان اسمان

لايشعران بمدحه بل ضدها فيهون حينئذ على الاذهان

نفي الصفات وحكمة الخلاق والـــ أفعاله إنكاراً لهذا الشان

وكذا استواء الرب فوق العرش قلـــتم إنه التركيب ذو بطلان

وكذاك وجه الرب جل جلاله وكذاك لفظ يد ولفظ يدان

سميتمُ ذا كله الاعضاء بل سميتموه جوارح الانسان
وسطوتم بالنفي حينئذ عليـــه كنفينا للعيب مع نقصان
قلتم ننزهه عن الاعراض والـــأغراض والابعاض والجثمان
وعن الحوادث أن تحل بذاته سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفي صفاته وفعاله والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة سموا صفات الرب سبحانه وتعالى أعراضاً ، وسموا حكمته أغراضاً وعللاً ، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه سبحانه أبعاضاً ، وقالوا : سبحانه وتعالى منزه عن الأعراض والأغراض والابعاض ، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث ، وذلك كله لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول . ولهذا قال الناظم ، فاذا انتفت أفعاله وكلامه وصفاته وعلوه على عرشه ، فبأي شيء كان رباً عندكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس أكثرهم بسجن اللفظ محـــبوسون خوف معرة السجان
والكل إلا الفرد يقبل مذهباً في قالب ويرده في ثان
والقصد أن الذات والاوصاف والـــأفعال لا تنفى بذا الهذيان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـــأسماء بل في مقصد ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتـــجسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس ان قلنا لكم الله فوق العرش والاكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعا   لى الله عن جسم وعن جثمان

وكذاك إن قلنا القرآن كلامه   منه بدا لم يبد من انسان

كلا ولا ملك ولا لوح ولا   كن قاله الرحمن قول بيان

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى، ومعنى بدايته

قلتم لنا إن الكلام قيامه   بالجسم أيضاً وهو ذو حدثان

عرض يقوم بغير جسم لم يكن   هذا بمعقول لدى الأذهان

أي : قالت النفاة إذا قلتم: إن كلام الله تعالى بدا منه ، لم يبد من انسان ولا ملك ، ولا من اللوح المحفوظ. «فتقول النفاة : الكلام عرض ، والعرض لا يقوم بغير جسم، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول

وكذاك حين نقول ينزل ربنا   في ثلث ليل آخر أو ثاني

قلتم لنا إن النزول لغير أجـ   ـسام محال ليس ذا إمكان

وكذاك ان قلنا يرى سبحانه   قلتم أجسم كي يرى بعيان

أي إذا قلنا : انه سبحانه يرى في الآخرة ، قالت المعطلة : يلزم أنه جسم ، وأن له جهة

أم كان ذا جهة تعالى ربنا   عن ذا فليس يراه من انسان

أما اذا قلنا له وجه كما   في النص أو قلنا كذاك يدان

وكذاك ان قلنا كما في النص إن القلب بين أصابع الرحمن

وكذاك إن قلنا الاصابع فوقها   كل العوالم وهي ذو رجفان

وكذاك ان قلنا يداه لأرضه	وسمائه في الحشر قابضتان
وكذاك ان قلنا سيكشف ساقه	فيخر ذاك الجمع للاذقان
وكذاك ان قلنا يجيىء لفصله	بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذاك قيامة الـ	آتي بهذا القول في الرحمن

أي : إذا قلنا : إن له تعالى وجهاً كما ورد به النص كما يليق بجلاله، أو قلنا : ان له سبحانه يدين، أو قلنا كما في النص : «ان القلب بين أصابع الرحمن » أو أن الاصابع فوقها العوالم، وانه يقبض أرضه وسماءه في الحشر، وأنه سيكشف عن ساق ، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك مما في كتاب الله ، أو في صحيح السنة ، وحسنها ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ؛ قامت قيامتكم ، ورميتمونا بكل حجر ومدر .

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين ، فنقول : وجه الرب سبحانه حيث ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز ، بل على حقيقته . واختلف المعطلة في جهة التجوز في هذا . فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : (ويبقى ربك) (إلا ابتغاء ربه الأعلى) ويريدون ربهم . وقالت فرقة : الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وان اختلفوا في التعبير عنه . وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب. قال عثمان بن سعيد الدرامي : وقد حكى قول المريسي انه قال في قول النبي ﷺ « اذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب . فقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن: ٢٦ أي : ماتوجه به ربك من الأعمال الصالحة .

وقوله: (فأينما تولوافثم وجه الله) البقرة: ١١٥ أي: قبلة الله. قال الدارمي: لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه، كما نفى عنه اليدين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجـــلال والإكرام والجحود به، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادعى انه أعمال مخلوق، يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل، وزعم أنه قبلة الله، وقبلة الله لاشك مخلوقة، ثم ساق الكلام في الرد عليه. وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا: لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت الى الوجه فقال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٢٧ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.

قال الناظم في «الصواعق»: فتأمل رفع قول (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه، وجره في قول (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) الرحمن: ٧٨ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد الاخبار عنه، وذي الوجه المضاف اليه بالجلال والإكرام في آخر الســورة، لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم، فتأمله.

ثم استدل رحمه الله تعالى على إبطال هذه التـأويلات بأوجه، منها أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ماشبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار، فيقال للمعطل المشبه به: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل، لقولك: فان وجه الحائط أحد جـانبيه، فهو مقابل لدبره، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف

اليه ، فلما كان المضاف اليه بناء ، كان وجهه من جنسه ، و كذلك وجه الثوب أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، و كذلك وجه النهار أوله ، ولا يقال لجميع النهار . وقال ابن عباس : وجه النهار أوله ، ومنه قولهم : صدر النهار . قال ابن الاعرابي : أتيته بوجه نهار ، وصدر نهار ، وأنشد للربيع بن زياد

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ومنها أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل. فان اللغة لاتحتمل ذلك، ولايعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجاز . وأيضاً فالثواب مخلوق ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال « أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني ، لا إله الا أنت الحي الذي لايموت ، والجن والانس يموتون » رواه أبو داود وغيره . ومن دعائه يوم الطائف « أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة » ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق .

ومنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « أسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك » ولم يكن ليسأل لذة النظر الى ثواب المخلوق ، ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً .

ومنها أن النبي ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بوجه الله فأعطوه » وفي « السنن » من حديث جابر عن النبي ﷺ قال « لاينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله الا الجنة » فكان طاوس يكره أن يسأل الانسان بوجه الله .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ،

يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » .

ومنها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه . فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق ؟ أو يكون صلة لا معنى له ؟ أو يكون بمعنى القبلة والجهة ؟ وهذا مطابق لقوله عليه السلام « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأضاف النور الى الوجه ، والوجه الى الذات ، واستعاذ بنور الوجه الكريم ، فعلم أن نوره صفة له ، كما أن الوجه صفة ذاتية ، وهو الذي قاله ابن مسعود ، وهو تفسير قوله (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك ، فخذ العلم عن أهله ، فهذا تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وجميع أهل السنة ، والحديث ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم ، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يونس : ٢٦

فروى مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : النظر الى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده الى خيال مجرد ، وان أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب ، نسبته اليه كنسبة النظر الى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ، ولا وجه ، ولا لذة تحصل للناظر .

ومنها أن تفسير وجه الله بقبلة الله ، وان قاله بعض السلف ، كمجاهد ، وتبعه الشافعي ، فانما قالوه في موضع واحد لاغير ، وهو قوله تعالى (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجــه الله) البقرة : ١١٥ فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع ، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه ؟ فما يفيدكم هذا في قوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن: ٢٧ وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل : ٢١ وقوله (إنما نطعمكم لوجه اللـه) الدهر : ١٠ على أن الصحيح في قوله (فثم وجه الله) البقرة : ١١٥ انه كقوله في سائر الآيات التي فيهـا ذكر الوجه ، فانه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً الى الرب تعالى على طريقة واحدة ، ومعنى واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع ، غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة ، وهو قوله (فثم وجه الله) ، وهذا لايتعين حمله على القبلة أو الجهة ، ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة ، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى ،

ومنهـا أنه لايعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً ، بل القبلة لها اسم يخصها ، والوجه له اسم يخصه ، فلا يدخل أحدهمـا على الآخر ، ولا يستعار اسمه له . نعم القبلة تسمى وجهة ، كما قال تعـالى (ولكل وجهة هو موليهـا فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا) البقرة : ١٤٨ وقد تسمى جهة ، وأصلها وجهة ، لكن أعلت بحذف فائها ، كزنة ، وعدة ، وإنما سميت قبلة ، ووجهة ، لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه . وأما تسميتها وجهاً فلا عهد به ، فكيف إذا أضيف الى الله تعالى ؟ مع أنه لا يعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام ، مع أنها تسمى وجهة ، فكيف يطلق عليهـا وجه الله ؟ ولا يعرف تسميتها وجهاً . وايضاً فمن المعلوم أن قبلة الله

التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا اليهـــا حيث كانوا لا كل جهة يولي وجهه اليها ، فانه يولي وجهه الى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة الله ، فكيف يقال: أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله . فان قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلاته النافلة في السفر . قيل : اللفظ لا اشعار له بذلك البتة بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحـــال العلم والاشتباه ، والقدرة والعجز . يوضحه أن إخراج الاستقبال المفروض ، والاستقبال في الحضر وعند العلم ، والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل ، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنقل على الراحلة وحال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها ، وما قصد بها ، فان (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة : ١٥٠ والآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه الله من حضر ، أو سفر في صلاة وغيرها ، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال ، بل سياقها لمعنى آخر ، وهو بيان عظمة الرب تعـــالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأعظم منه ، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي ، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله (ولله المشرق والمغرب) البقرة ١١٥ منبهاً بذلك على ملكه لما بينهما ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولى العبد وجهه ، فثم وجه الله ، ثم ختم باسمين دالين على السعة والاحاطة ، فقال (ان الله واسع عليم) فذكر اسمه الواسع عقيب قوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمله ، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضراً وسفراً بالنسبة الى الفرض والنفل ، والقدرة والعجز ،

وعلى هذا فالآية باقية على عمومهـــا ، وأحكامها ليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، بل لا يصح دخول النسخ فيها ، لأنهـا خبر عن ملكه للمشرق والمغرب ، وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجـه الله ، وعن سعته وعلمه ، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك ؟! وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب والرد على من جعل له عدلاً من خلقه الشركة معه في العبادة ؛ ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولداً فقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض) الى قوله (كن فيكون) البقرة : ١١٦-١١٧ فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ، ولا سيق الكلام لأجلها ، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وحلمه ، والواسع من أسمائه ، فكيف تجعلون له شريكاً بسببه وتمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه ، تسعون في خرابها ؟! فهذا للمشركين ، ثم ذكر ما نسبه اليه النصارى ، من اتخاذ الولد ، ووسط بين كفر هؤلاء وقوله تعالى (ولله المشرق والمغرب) البقرة : ١١٥ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والايمان ، والرد على المشركين ، لا بيان فرع معين جزئي .

ومنها أنه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة ، لكان وجه الكلام أن يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التي تولي نفسها ، وانما يقال : ثم كذا اذا كان أمران ، كقوله تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) الدهر : ٢٠ فالنعيم والملك ، ثم لا أنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فان الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ، فتأمله . ألا ترى أنك إذا أشرت الى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول : ثم جهة الشرق ، ثم جهة الغرب ، بل تقول : هذه جهة الشرق ، وهذه جهة الغرب . ولو قلت :

هناك جهة الشرق والغرب ، لكان ذكر الظرف لغواً ، وذلك لأن (ثم) إشارة الى المكان البعيد ، فلا يشار بها الى قريب ، والجهة والوجهة مما يحاذيك الى آخرها ، فجهة الشرق ، والغرب ، ووجهة القبلة ، مما يتصل الى حيث ينتهي ، فكيف يقال فيها ثم اشارة الى البعيد ؟ ! بخلاف الاشارة الى وجه الرب تبارك وتعالى ، فإنه يشار الى ذاته ، ولهذا قال غير واحد من السلف : فثم الله تحقيقاً ، لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته ، والاشارة اليه بأنه ثم كاشارة اليه بأنه فوق سمواته ، وعلى العرش ، وفوق العالم .

ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ماوجد إليه السبيل ، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم ، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجوه ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف اليه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين .

ومنها أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة ، وجدتها مفسرة للآية ، مشتقة منها ، كقوله ﷺ : « اذا قام أحدكم الى الصلاة فانما يستقبل ربه » وقوله : « فان الله يقبل اليه بوجهه عنه » وقوله « اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه » وقوله : « فان الله بينه وبين القبلة » وقوله : « ان الله يأمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت » رواه ابن حبان في « صحيحه » والترمذي وقال : « ان العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف ، أو يحدث حدث سوء » وقال جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » وقال : « ياابن آدم أنا خير من تلتفت

اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه »
انتهى كلام الناظم باختصار .

قـــوله : وكذلك لفظ يد ولفظ يدان . قال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة: ٦٤ قالت الجهمية ومن تبعهم: هذا مجاز في النعمة أو القدرة، وهذا في الأصل قول الجهمية ، وتبعهم المعتزلة وبعض المتأخرين ممن ينتسب الى الأشعري ، والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ، ويبدعونهم، ويثبتون اليد حقيقة . قال عبد العزيز بن يحيى الكناني المالكي جليس الشافعي والخصيص به وقد مات قبل الامام أحمد ـ في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ـ قـــال : يقال للجهمي : أتقول : إن لله وجهاً ، وله نفس ، وله يد ، فيقول : نعم ، ولكن معنى وجه الله هو الله ، ومعنى نفسه عينه ، ومعنى يده نعمته . قـــال : والجواب أن يقال له ، فذكر كلاماً يتعلق بالوجه والنفس ، ثم قال : وأما قوله في اليد : انها يد النعمة كما تقول العرب : لك عندي يد ، فقد قال الله تعالى (بيدك الخير) آل عمران : ٢٦ وقال : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يس :٨٣ وقال : (تبارك الذي بيده الملك) الملك : ١ وقال : (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ وقال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ قال : فزعم الجهمي أن يد الله نعمته ، فبدل قولا غير الذي قيل له ، فأراد الجهمي أن يبدل كلام الله ، إذ أخبر الله أن له يداً بها ملكوت كل شيء ، فبدل مكان اليد نعمة ، وقال :العرب تسمي اليد نعمة . قلنا : له العرب تسمي النعمة يداً ، وتسمي يد الانسان يداً ، فاذا أرادت يد الذات ، جعلت على قولها علماً ودليلا يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات، واذا أرادت يد النعمة ،

جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة ، ولا تجعل كلامها مشتبهاً على سامعه ، ومن ذلك قول الشاعر :

ناولت زيداً بيدي عطية   يـــدبها رمى كتاباً مخضب[1]

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة .. ، وبالباء حين قال (بيدي) فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين . وقـــال الآخر حين أراد يد النعمة :

اشكر يدين لنا عليك وأنعما   شكراً يكون مكافياً للمنعم

فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ، ثم قـــال : وأنعما ، ثم قال يدين ، فجعل النون مكان الباء ، لم يستقص بها العدد ، فهذا قول العرب ومذهبها في لغاتها ، والله تعالى لم يسم في كتابه يداً بنعمة ، ولم يسم نعمة يداً ، سمى سبحانه اليد يداً ، والنعمة نعمة في جميع القرآن ، فأما ماذكره سبحانه من يدين ويد ، فقد ذكرت ذلك في صدر الكلام . وأما النعمة التي هي عن اليد ، فمن ذلك قوله : (واذكروا نعمة الله عليكم) آل عمران : ١٠٣ وقولـــه : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل : ٥٣ وقولـــه : (وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٤ وقوله (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) الأحزاب : ٣٧ فسمى الله النعم باسم النعمة ، ولم يسمها بغير أسمائها ، ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر الله تعالى أيدي المخلوقين فسماها بالأيدي ، فقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) الأسراء : ٢٩ و قـــال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة : ٣٨ وقـــال : (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام : ٩٣ فهذه أيد لا نعمة ، وذكر نعمته على يد ، ونعمة النبي ﷺ ، فسماها نعمة ، ولم يسمها يداً ، ثم أخبر سبحانه عن يديه أنهما يدان لا ثلاثة ، وجعل الباء استقصاء للعدد

---

(١) هذا البيت لم يكن ظاهراً في الأصل ، وكذلك وجدناه في «الصواعق المرسلة» للناظم غير منقوط ، ولم يتبين لنا صوابه ، ولعله كما أثبتناه .

حين قال : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فدل على أنهما يدي الذات ، لايتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها الا أن هاتين اليدين ، يدي الذات ، لاستقصاء العدد بالباء ، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ابراهيم : ٣٤

قـــال : واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة جاهل بلغة القرآن ، وبلغة العرب ومعانيها وكلامها ، وذلك أن الله إذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع ، ختم الكلام بلفظ الجمع ، وإذا افتتح الكلام بلفظ الواحد ، ختم الكلام بلفظ الواحد ، وانما يعني الخبر عن نفسه ، وإن كان اللفظ جمعاً ، فأما ما كان من لفظ الواحد ، فهو قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد ، وبمثله ختم الكلام فقال : (ألا تعبدوا إلا إياه) الاسراء : ٢٣ وقـــال (رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الأسراء : ٢٤ وقال (ربـكم أعلم بـكم) الاسراء : ٢٥ وأما ماافتتحه بلفظ الجمع ، فهو قـــوله : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) الاسراء : ٤ فافتتحه بلفظ الجمع ، ثم ختمه بمثل ماافتتحه به فقال (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) الإسراء : ٥ وانما عنى بذلك نفسه ، لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب ، وروي ان ابن عباس لقي أعرابياً ومعه ناقة ، فقال : لمن هذه ؟ فقال الاعرابي : لنا . فقال له ابن عباس : كم أنتم ؟ فقال : أنا واحد . فقال ابن عباس : هكذا قول الله تعالى (نحن) و (خلقناه) و (قضينا) انما يعني نفسه ، والمبهم يرد الى المحكم ، فكل كلمة في القرآن من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد ترد اليه ، فمن ذلك قوله : (وقضينا الى بني اسرائيل) الأسراء : ٤ يرد الى قـــوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الاسراء: ٢٣ وقوله : (وخلقناكم أزواجاً) النبأ : ٨ يرد الى قـــوله : (انما أمره) يس : ٨٢ وقوله

(لما جاء أمر ربك) هود : ١٠١ وكذلك قوله (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يردالىقوله (لما خلقت بيدي)ص:٧٥ فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم) يس : ٣١ قال(أيدينا) ولما افتتح بقوله : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي)ص : ٧٥ ختم الكلام على ماافتتحه به ، فهذا بيان لقوم يفقهون . وقد كان أكثر قسم النبي ﷺ اذا أقسم أن يقول : « لاوالذي نفس محمد بيده » وهذا لايليق به النعمة ، وهذا قول النبي ﷺ يصدق كتاب الله. انتهى كلامه .

والاشعري في كتبه يصرح باثبات الصفات الخبرية في كتبه كلها ، ومعلوم أن أحداً لا ينكر لفظها ، وإنما أنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة ، وكلام الأشعري موجود في « الابانة » و« الموجز » و« المقالات » وموجود في تصانيف أئمة أصحابه ، وأجلهم على الاطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب ، وقد ذكر ذلك في كتاب « الابانة » و« التمهيد » وغيرهما ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب ، وكلام الاشعري ، وذكره البيهقي في « الأسماءوالصفات » و« الاعتقاد » وذكره ابو القاسم القشيري في كتاب « الشكاية » له ، وذكره ابن عساكر في كتاب « تبيين كذب المفتري » حتى الفخر الرازي والسيف الآمدي حكوا ذلك عن الأشعري ، وأنه أثبت اليدين صفة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها الاالاثبات ، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة ، وينصره ، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة . نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه ، وصرح بمخالفتهم ، واستمر على ذلك حتى مات . قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « الابانة » الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه ، وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده . قال: فان سألنا سائل فقال: أتقولون : إن لله يدين؟

قيل : نعم ، نقول ذلك لقول الله تعالى (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ ولقوله ﷺ « خلق الله آدم بيده ، وغرس جنة عدن بيده » وقال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة: ٦٤ وفي الحديث « كلتا يديه يمين » وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا وكذا بيدي ، وهو يعني النعمة ، اذا كان الله خاطب العرب بلغاتها ، وما تجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، واذ لا يجوز في خطابها أن يقول القائل: فعلت بيدي؛ ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى بيدي النعمة ، وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جداً ، وقرر أن لفظ اليدين على حقيقته ، وظاهره ، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لاتحتمل ماتأولته الجهمية . وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب « التمهيد » وهو أشهر كتبه : فان قال القائل : فما الحجة في أن لله وجهاً ويدين ؟ قيل : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن: ٢٧ وقوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فأثبت لنفسه وجهاً ويدين ، فان قالوا : انما أنكرتم أن يكون المعنى : خلقت بيدي ، أنه خلقه بقدرته ؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى القدرة ، كما يقال : لفلان عندي يد بيضاء ، وهذا الشيء في يد فلان ، وتحت يده ، ويقال : رجل أيد ، اذا كان قادراً كما قال تعالى (خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يريد: عملنا بقدرتنا .

وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وكذلك قوله (خلقت بيدي) ص: ٧٥ يعني بقدرته ونعمته. قال : فيقال له : هذا باطل ، لأن قوله (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما صفة له ؛ فلو

كان المراد بها القدرة، لوجب أن يكون له قدرة ، ولا تزعمون أن لله تعالى قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين ؟! وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لايجوز أن يكون لله تعالى قدرتان ، فبطل ماقلتم ، وكذلك لايجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على آدم وغيره لاتحصي ، ولأن القائل لايجوز أن يقول : رفعت الشيء ، أو وضعته بيدي ، أو توليته بيدي ، وهو يريد نعمته ، وكذلك لايجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني نعمتين ، وانما يقال : لي عنده يدان بيضاوان ، ولأن : فعلته بيدي ، لايستعمل الا في اليد التي هي صفة الذات ، ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه ، لم يغفل عن ذلك إبليس ، وأن يقول : وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني ؟! وفي العلم أن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه ، دليل على فساد ماقالوه . فان قال القائل : فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارحة ، إذ كنتم لاتعقلون يداً ووجهاً هما صفة الجارحة ، قلنا : لايجب ذلك ، كما لايجب اذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله ، وكما لايجب اذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً ، لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم ان قالوا : فيجب أن يكون علمه ، وكلامه ، وحياته ، وسائره صفات ذاته أعراضا ، أو أجساماً ، أجناساً ، أو حوادث ، أو اغياراً له تعالى ، ومحتاجة الى قلب . انتهى .

والله لو قلنا الذي قال الصحا   بة والألى من بعدهم بلسان

لرجمتمونا بالحجارة ان قدر   تم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتم من قال بعـ   ـض مقالهم يا أمة العدوان

وجعلتم الجسم الذي قدرتم ... بطلانه طاغوت ذي البطلان

ووضعتم للجسم معنى غير معـ ... ـروف به في وضع كل لسان

وبنيتم نفي الصفات عليه فاجـ ... ـتمعت لكم إذ ذاك محذوران

كذب على لغة الرسول ونفي اثـ ... ـبات العلو لفاطر الأكوان

أي: إنكم أيها المعطلة، وضعتم للجسم معنى غير معناه المعروف في لغة العرب، وسميتم كل ما هو مركب من المادة والصورة، أو من الجواهر المنفردة، أو ما يقبل الاشارة الحسية جسماً، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة التي جاء بها القرآن، كما قال الجوهري في «صحاحه المشهورة» قال أبو زيد: الجسم الجسد؛ وكذلك الجسمان، والجثمان. وقال الأصمعي: الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان، والشخص. قال: والأجسم: الضخم البدن.

قال شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول: وقد ادعى طوائف من النفاة أهل الكلام أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار اليه موافق للغة، قالوا: لأن كل ما يشار اليه، فانه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك، فهو مركب من الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض الفلاسفة، قالوا: واذا كان هذا مركباً مؤلفاً، فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، إذ أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم وجسيم الا لمن كثرت الأجزاء المتضممة والتأليف، لأنهم لا يقولون: أجسم فيمن كثرت علومه، وقدره، وسائر تصرفاته، غير الاجتماع، حتى إذا

كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل : أجسم ، ورجل جسيم ، فدل ذلك على أن قولهم : جسم يفيد التأليف ، فهذا أصل قول هؤلاء النفاة ، وهو مبني على أصلين : سمعي لغوي ، ونظري عقلي فطري ، أما السمعي اللغوي ، فقولهم : ان أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب ، وهم استدلوا عليه بقولهم : هو أجسم اذا كان أغلظ وأكثر ذهاباً في الجهات ، وإن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء . فيقال : أما المقدمة الأولى ، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسماً ، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ، ولا يمكن أحداً أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسماً ؛ ولا يسمون روح الانسان جسماً ، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح ، ولهذا قال تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) المنافقون : ٤ يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة ، وقد ذكر نقلة اللغة أن الجسم عندهم هو الجسد ، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة ، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها اذا كانت لطيفة ، كالهواء ، وروح الانسان ، وان كان لذلك مقدار ، يكون بعضه أكبر من بعض ، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسماً ؛ ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا ، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق ، وإن كان أكبر منه ، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء ، ليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسماً ، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ، ولا صعد بجسمه الى السماء ، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء ، إنما يسمون ذلك روحاً ، ويفرق بين مسمى الروح ومسمى الجسم ، كما يفرق بين البدن والروح ، وكما يفرقون بين الجسد والروح ، فلا يطلقون لفظ

الجسد على الهواء ، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد . قال الجوهري : الجسد والبدن . تقول : فيه تجسد ، كما تقول : الجسم تجسم ، كما تقدم نقله عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد ، فعلم أن هذين اللفظين مترادفان ، أو قريبان من الترادف ، ولهذا يقولون : لهذا الثوب جسد ، كما يقولون : له جسم ، إذا كان غليظاً ثخيناً صفيقاً . وتقول العلماء : النجاسة قد تكون مستخبثة ، كالدم ، والميتة ، وقد لاتكون مستجسمة ، كالرطبة ، ويسمون الدم جسداً ، كما قال النابغة :

فلا لعمرو الذي قد زرته حججاً وما أُريق على الانصاب من جسد

المقدمة الثانية : أنه لو سلم ذلك ، فقولهم : إن هذا يطلقونه عند تزايد الأجزاء ، هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، وهذا لو قدر أنه صحيح ، فأهل اللغة لم يعتبروه ، ولا قال أحد منهم ذلك ، فعلم أنهم إنما لحظوا غلظه ، وكثافته ، وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها ، فهذا لا يتصوره أكثر عقلاء بني آدم ، فضلاً عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة أنهم أرادوا ذلك بقولهم : جسيم ، وأجسم ، والمعنى المشهور في اللغة ، لايكون مسماه مالا يفهمه إلا بعض الناس ، واثبات الجواهر المنفردة أمر خص به بعض الناس ، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا بعض الناس ، وهو المركب من ذلك . وأما الأصل الثاني العقلي ، فقولهم : إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا ، فانه مركب من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وهذا بحث عقلي ، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام وغير أهل الكلام ، ينكرون أن يكون ذلك مركباً من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية ، وهو قول الهشامية ، والنجارية ، والضرارية ، وبعض الكرامية ، وهؤلاء الذين

أثبتوا الجوهر الفرد ، وزعموا أنا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئاً قـائماً بنفسه ، وأن جميع مانشهده مخلوقاً ، من السحاب ، والمطر ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن، بني آدم وغير بني آدم ، فانما فيه أنه أحدث أكواناً في الجواهر المنفردة ، كالجمع ، والتفريق ، والحركة ، والسكون . وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبداناً قائمة بأنفسها ، أو شجراً، أو ثمراً ، أو شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما أحدث عندهم أعراضاً . وأما الجواهر المنفردة ، فلم تزل موجودة . ثم من يقول : انها محدثة ، منهم من يقول : إنها محدثة ، ومنهم من يقول: إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث ، وما لم يخل من الحوادث ، فهو حادث ... الى أن قال : ولهذا صارت النفاة اذا أثبت أحد شيئاً من الصفات ، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسماً ، وعندهم الأجسام متماثلة ، فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي يلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم ، وهي متناقضة ، لايتصور أن ينتظم منها قول صحيح ، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء ، وفيها من تغيير اللغة والمعقول مادخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات ، حتى يبقى الرجل حائراً لايهون عليه إبطال عقله ودينه ، والخروج عن الإيمان والقرآن ، فان ذلك كله متطابق على إثبات الصفات ، ولا يهون عليه التزام مايلزمونه من كون الرب مركباً من الأجزاء أو مماثلا للمخلوقات ، فانه يعلم أيضاً بطلان هذا ، وأن الرب عز وجل يجب تنزيهه عن هذا ، فانه سبحانه أحد صمد ، والأحد ينفي التمثيل ، والصمد ينفي أن يكون قـابلا للتفريق والتجسيم والبعضية ، سبحانه وتعالى ، فضلا عن كونه مؤلفاً مركباً ألف من الأجزاء ، فيفهمون من يخاطبونه أن ماوصف به الرب نفسه لايعقل الا في بدن ، مثل بدن الانسان ، بل وقد يصرحون بذلك ويقولون : الكلام لايكون

إلا من صورة ، وصورة مركبة ، مثل فم الانسان ونحو ذلك مما يدعونه ، وإذا قال النفاة لهم : متى قلتم : إنه يرى ؟ لزم أن يكون مركباً مؤلفاً ، لأن المرئي لايكون إلا بجهة من الرائي ، وما يكون بجهة من الرائي لايكون إلا جسماً ، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء ، وقالوا : إذا تكلم بالقرآن أو غيره من الكلام ، لزم ذلك ، واذا كان فوق العرش ، لزم ذلك ، صار المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ ، يعلم أنه يرى في الآخرة ، لما تواتر عنده من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك مع مايوافق ذلك من القضايا الفطرية التي خلق الله بها عباده ، وإذا قالوا : هذا يستلزم أن الله مركب من الأجزاء المنفـــردة ، والمركب لابد له من مركب ، فلزم أن يكون الله محدثاً ، إذ المركب يفتقر الى أجزائه ، وأجزاؤه تكون غيره ، وما افتقر الى غيره لم يكن غنياً واجب الوجود بنفسه ، حيروه وشككوه إن لم يجعلوه مكذباً لما جاء به الرسول ﷺ ، مرتداً عن بعض ما كان عليه من الإيمان ، مع أن شكه وحيرته تقدح في إيمانه ، ودينه ، وعلمه ، وعقله . فيقال : أما كون الرب سبحانه وتعالى مركباً ركبه غيره ، فهـذا من أظهر الأمور فساداً ، وهذا معلوم فساده بضرورة العقل . ومن قال هذا ، فهو من أكفر الناس وأجهلهم ، وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورة من يقول بهذا ، وكذلك إذا قيل : هو مؤلف أو مركب بمعنى أنه كانت أجزاؤه مفرقة ، فجمع بينها كما يجمع بين أجزاء المركبات ، من الأطعمة ، والأدوية والثياب ، والأبنية ، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أكفر الناس وأظلمهم ، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة ، بل أكثر العقلاء عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وانما يقول بهذا من يثبت الجواهر المنفردة ، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم .

وقوله : شر من قول الذين يقولون : إن لله ولداً ، بمعنى أنه انفصل منه فصار ولداً له . وقد بسطنا الكلام على هـذا في تفسير (قل هو الله أحد) وفي غير ذلك . وأطال الكلام رحمـــه الله ، وهذا الذي سقناه من كلامه كالشرح لهذه الأبيات ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

قال الناظم رحمه ا تعالى :

وركبتم إذا ذاك تحريفين تحـــريف الحديث ومحكم القرآن

وكسبتم وزرين وزر النفي والـــتحريف فاجتمعت لكم كفلان

وعداكم أجران أجر الصدق والــإيمان حتى فاتكم حظان

وكسبتم مقتين مقت الحكم والمؤمنين فنالكم مقتان

ولبستم ثوبين ثوب الجهل والـــظلم القبيح فبئست الثوبان

وتخذتم طرزين طرز الكبر والـــتيه العظيم فبئست الطرزان

ومددتم نحو العلى باعين لـــكن لم تطل منكم لها الباعان

وأتيتموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان

وغلقتم بابين لو فتحا لكم فزتم بكل بشارة وتهان

باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البابان

وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان

باب الكلام وقد نهيتم عنه والـــباب الحريق فمنطق اليونان

فدخلتم دارين دار الجهل في الـــدنيا ودار الخزي في النيران

وطعمتم لونين لون الشك والتـــشكيك بعد فبئست اللونان

وركبتم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمان

تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن

والثاني نسبتهم الى الألغاز والتـــلبيس والتدليس والكتمان

ومكرتم مكرين لو تمالكم لتفصمت فينا عرى الإيمان

أطفأتم نور الكتاب وسنة الـــهادي بذا التحريف والهذيان

لكنكم أوقدتم للحرب نا راً بين طائفتين مختلفان

والله مطفيها بألسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان

والله لو غرق المجسم في دم التـــجسيم من قدم إلى الآذان

فالنص أعظم عنده وأجل قد راً أن يعارضه بقول فلان

قوله : طرزين . قال في « القـــاموس » : الطرز : الهيئة ، والطراز بالكسر : علم الثوب ، معرب ، وطرزه تطريزاً : أعلمه ، فتطرز . ومراد الناظم : الهيئة ، أي : اتخذتم هيئتين ، هيئة الكبر ، وهيئة التيه ، والله أعلم

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أهون بذا الطاغوت لاعزاسمه ... طاغوت ذي التعطيل والكفران

كم من أسير بل جريح بل قتيـــل تحت ذا الطاغوت في الأزمان

وترى الجبان يكاد يخلع قلبه ... من لفظه تباً لكل جبان

وترى المخنث حين يقرع سمعه ... تبدو عليه شمائل النسوان

ويظل منكوحاً لكل معطل ... ولكل زنديق أخي كفران

وترى صبي العقل يفزعه اسمه ... كالغول حين يقال للصبيان

كفران هذا الاسم لاسبحانه ... أبداً وسبحان العظيم الشان

قوله : الطاغوت ، هو مشتق من طغا ، وتقديره : طغوت ، ثم قلبت الواو ألفاً ، قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث. قال الله تعالى : (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء : ٦٠ فهذا في الواحد . وقال في الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) البقرة : ٢٥٧ وقـــال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ قال النووي : قال الليث ، وأبو عبيدة، والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ماعبد من دون الله . وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن ، والشيطان، وكل رأس في الضلال.

قوله : أهون بذا الطاغوت ، هي صيغة تعجب ، أي : ماأهونه .

قوله : تباً ، التب ، والتبيب ، والتباب ، النقص ، والخسار .

قوله : المخنث . هو اسم مفعول من خنث ، فهو مخنث ، وهو بضم الميم وفتح الخاء والنون وتشديدها . قال في « القاموس » : الخنث ككتف : من فيه انخناث ، أي: تكسر وتثن. وقد خنث كفرح ، وتخنث ، وانخنث.

قوله: شمائل النسوان. الشمل: الطبع، جمع شمائل، قاله في « القاموس ».

قوله : كالغول . الغول بضم الغين : اسم ، وجمعه أغوال ، وغيلان . قال أبو السعادات : الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن ، والشياطين ، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلوات تتراءى للناس ، تتلون تلوناً في صور شتى ، وتغولهم ، أي : تضلهم عن الطريق ، وتهلكهم . فنفاه النبي ﷺ وأبطله . انتهى .

ومعنى كلام الناظم أن اسم الغول اذا ذكر لصبي العقل ، لا صبي السن، أفزعه وهاله ، كما يفزع الصبي اذا خوف بالغول .

قوله : كفران ، هذا الاسم هو مصدر كفر يكفر كفراناً .

كم ذا التترس بالمحال أما ترى قد مزقته كثرة السهمان

قال في « القاموس » الترس معروف ، جمع أتراس ، وترسة ، وتراس ، وتروس ، والتراس صاحبه وصانعه ، والتراسة صنعته ، والتتريس والتترس: التستر به .

جسم وتجسيم وتشبيه أما تعيون من فشر ومن هذيان

أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم به نفيتم موجب القرآن

وجعلتموه شاهداً بل حاكماً هذا على من ياأولي العدوان

أعلى كتاب الله ثم رسوله؟ بالله فاستحيوا من الرحمن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثـــل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه بالجور والعدوان والبهتان
كم ذا الجعاجع ليس شيء تحتها إلا الصدى كالبوم في الخربان

قوله : إلا الصدى . قال في « مختار الصحاح » الصدى ذكر البوم ، والصدى أيضاً الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، وقد أصدى الجبل. قوله : كالبوم ، قال في « القاموس » البوم والبومة بضمها : طائر ، كلاهما للذكر والأنثى ، وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث .

ونظير هذا قول ملحدكم وقد جحد الصفات لفاطر الاكوان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد هدما دياركم الى الأركان
والله ربي قد أعان بكسر ذا وبقطع ذا سبحان ذي الإحسان

أي أن الله سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت ، وبقطع المنجنيق بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة .

فلئن زعمتم ان هذا لازم لمقالكم حقاً لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها معلومة الايضاح والتبيان
منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة من البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل بل تلك حيلة مفلس فتان
فلئن زعمتم أن منع لزومه منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات : إنكم معاشر المعطلة ألزمتم المثبتة إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه التجسيم والتركيب .

قوله : فلئن زعمتم أن هذا لازم لمقالكم الخ .

قوله : فلنا جوابات ثلاث الى قوله : منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة بلا برهان ، أي : أن ذلك لايلزم المثبتة ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : فلئن زعمتم أن منع لزومه . أي : إذا قلنا باثبات الصفات ، لم يلزمنا تجسيم ، فان زعمتم أن ذلك مكابرة ، فلنا جواب ثان ؛ وهو قوله :

فجوابنا الثاني امتناع النفي في ماتدّعون لزومه ببيان

إن كان ذلك لازماً للنص فالـ ملزوم حق وهو ذو برهان

والحق لازمه فحق مثله أنى يكون الشيء ذا بطلان

ويكون ملزوماً به حقاً فذا عين المحال وليس ذا إمكان

فتعين الإلزام حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن

وجعلتم أنباءه ماتسترا خوفاً من التصريح والكفران

والله ماقلنا سوى ماقاله هذي مقالتنا بلا كتمان

فجعلتمونا جنة والقصد مفـ ـهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم : الجواب الثاني للنفاة : إنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فان كان لازمها التجسيم كما زعمتم ، فاذا صح ذلك ، فالملزوم حق ، لأنا لم نتبع إلا مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ،

لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلًا في نفسه ، وتكون ملزوماته حقاً ، فتعين إلزامكم حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن ، وأنهما لم يدلا إلا على التجسيم والتشبيه ، فرميتم أتباع الرسول بالتشبيه ، والتجسيم ، والتركيب ، تستراً ، وهذا معنى قوله : ماتسترا ، خوفاً من أنكم إذا نسبتم الكتاب والسنة الى التشبيه والتجسيم ، نسبتم الى الكفر والضلال ، والا فالمثبتة لم يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله ، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة ، وقصدكم مفهوم ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالث مانجيب به هو استفساركم يافرقة العرفان

ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتمونا أوضحوا ببيان

تعنون ماهو قائم بالنفس أو عال على العرش العظيم الشان

أوذا الذي قامت به الأوصاف وأ صاف الكمال عديمة النقصان

أو ماتركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان

أو ماهو الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند تخاطب بلسان

أو ماهو الجسم الذي في الذهن ذا ك يقال تعليمي ذي الأذهان

ماذا الذي من ذاك يلزم من ثبو ت علوه من فوق كل مكان

فأتوا بتعيين الذي هو لازم فاذا تعين ظاهر التبيان

فأتوا ببرهانين برهان اللزو م ونفي لازمه فذان اثنان

والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا ولو واطاهم الثقلان

إن كنتمُ أنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوي حيلة النسوان

وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى الى الوحيين لا القاضي ولا السلطان

هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة ، وهو استفسار المثبتة للنفاة ، مامرادهم بالجسم ؟ هل هو القائم بنفسه ، كالهواء ، وروح الانسان ، ونحوهما ، أو ماهو عال على العرش، أو ماقامت به الصفات ، أو هو الجسم التعليمي ، وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث ، أعني : الطول والعرض والعمق ، سمي جسماً تعليمياً ، لكونه موضوعاً للحكمة التعليمية ، أعني : الحكمة الرياضية ، والذي يدل على تغاير المعنيين أنك إذا أخذت شمعة بعينها ، وشكلتها بأشكال مختلفة ، بأن جعلتها تارة كرة، وتار مكعباً ، وتارة أسطوانة مثلا ، فالجسم الطبيعي باق بعينه ، وقد تغيرت كميته السارية في جهاته تغيرات شتى .

قوله : أو صورة حلت هيولى ثان ، أي : وهل المراد بالجسم المركب عند الفلاسفة المشائين من الهيولى والصورة ، أو مرادكم الجسم الذي في العرف ، أو في الوضع ، فاذا بينتم مرادكم بالجسم ، أجبناكم حينئذ بالجواب المركب ، وهذا معنى قوله :

فنجيب بالتركيب حينئذ جوا باً شافياً فيه هدى الحيران

الحق إثبات الصفات ونفيها عين المحال وليس في الإمكان

فالجسم إما لازم لثبوتها فهو الصواب وليس ذا بطلان

أو ليس يلزم من ثبوت صفاته فشناعة الالزام بالبهتان

فالمنع في احدى المقدمتين معـلوم البيان إذاً بلا نكران

المنع إما في اللزوم أو انتفا ء اللازم المنسوب للبطلان
هذا هو الطاغوت قد أضحى كما أبصرتموه بمنة الرحمن

شرع الناظم رحمه الله في الجواب القاطع المركب ، وهو أن الحق إثبات الصفات ، ونفيها عين المحال ، وأبطل الباطل ، وحينئذ فالجسم ، إما لازم لثبوتها ، فيكون هو الصواب ، وإما أن يكون ليس بلازم ، وإنما الإلزام به من تشنيع المعطلة .

قوله : فالمنع في إحدى المقدمتين ، وهما القول بالجسم ، أو انتفاء اللازم ، معلوم بغير إنكار ، ونحن نمنع إحدى المقدمتين ، ونقول : إن كان الكتاب والسنة قد دلا على التجسيم والعياذ بالله ، فهو حق بهذا الاعتبار ، ولكن نحن نمنع اللزوم ، وهو المقدمة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في مبدء العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين

يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان؟
إنا تحيزنا إلى القرآن والنـ ـقل الصحيح مفسر القرآن
وكذا الى العقل الصريح وفطرة الرحمن قبل تغير الانسان
هي أربع متلازمات بعضها قد صدقت بعضاً على ميزان
والله ما اجتمعت لديكم هذه أبداً كما أقررتم بلسان

إذ قلتم العقل الصحيح يعارض الـ ... منقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف الـ ... منقول بالتأويل ذي الألوان
فاذا عجزنا عنه ألفيناه لم ... نعبأ به قصداً الى الاحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم ... لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما ان أصيبوا أقسموا ... لمرادنا توفيق ذي الاحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي ... تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال اذا حصلتها ... أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى ... متعوضين زخارف الهذيان

معنى كلام الناظم في هذه الأبيات أنه يقول : تدرون أيها المعطلة ما مبدء العداوة الواقعة بيننا وبينكم ؟ وما الذي أحدثها ؟ ثم أخذ في بيان ذلك فقال : إنا تحيزنا الى القرآن ، والنقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والفطرة. وأنتم أخذتم فيما زعمتم بالعقل ، وقلتم : إذا تعارض العقل والنقل ، فاما أن نردهما جميعاً ، وإما أن نقبلها جميعاً ، ولا سبيل الى ذلك ، وإما أن نقبل النقل ونترك العقل ، وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو صدقنا النقل وكذبنا العقل ، لأفضى ذلك الى تكذيب النقل ، لأن العقل أصل النقل ، فلذلك قدمنا العقل ، ثم صرفنا النقل المخالف بزعمهم للعقل ، وذلك إما بالتأويل إن أمكن ، وإما بالتفويض .

قولـــه : ولكم بذا سلف الخ . هؤلاء السلف هم المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء : ٦١-٦٣ الايات

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في « العقل والنقل » وفي هذه الآيات أنواع من العبر دالة على ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه ، وأن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية ، وبين مايسميه هو عقليات ، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب ، وغير ذلك من انواع الاعتبار ، فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايمان مثلاً ، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبيل التي نهي عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله ، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً ، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطؤه ، كما قـــال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) إلى قولـــه : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ انتهى كلامه

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واضرب لهم مثلا بشيخ القوم إذ ... يأبى السجود بكبر ذي طغيان

ثم ارتضى ان صار قواداً لأر ... باب الفسوق وكل ذي عصيان

قولـــه : واضرب لهم مثلا بشيخ القوم الخ . المراد به إبليس عليه اللعنة ، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم ، فعصى كبراً وطغياناً ، ثم ارتضى بأن صار قواداً لكل فاسق وعاص ، نعوذ بالله ، وهذا مأخوذ من قول أبي نواس .

عجبت من إبليس في كبره ... وفي الذي أظهر من نخوته

تاه على آدم في سجـــدة ... وصار قواداً لذريتـــه

قوله : نخوته ، قال في « القاموس » نخا ينخو ، نخوة : افتخر وتعظم . وكذا قوله : تاه ، أي ، تكبر .

وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا ... بشر أتى بالوحي والقرآن

ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم ... من هذه الأحجار والاوثان

أي : أن أهل الشرك تكبروا وقالو : الله أكبر وأجل وأعظم من أن يرسل بشراً ، ثم ارتضوا بأن جعلوا آلهتهم من الأحجار والأوثان والجماد أخس حالاً من الحيوان

وكذلك عباد الصليب حموا بتا ... ركهم من النسوان والولدان

وأتوا الى رب السموات العلى ... جعلوا له ولدا من الذكران

أي إن عباد الصليب ، وهم النصارى نزهوا بتاركهم من النساء والولدان ، ثم جعلوا لله سبحانه ولداً ، تعالى الله عن قولهم : البترك الأكبر هو لوقا الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام . وأصل الترتيب عندهم أن القارىء للانجيل من أول وهلة شماس ، فان تأوله وأتقن حفظه صار قسيساً ، ويدوم كذلك مادام عنده زوجة ، وان بلغ في العلم مابلغ ، فان ماتت زوجته ، فان تزوج خرج عن مراتب العلم ، ويسمي سالخ القيسوسية ، فان تنزه عن الزفر وما يخرج من الأرواح ، صار بتركاً في مذهب الأرمن . وأما الروم واليعاقبة والنسطورية ، فيرون أنه لايجوز أن يكون بتركا إلا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح ، وما يخرج منها من أول عمره ، الا العسل ، والسمك ، لأنه خليفة المسيح ، وطاعة هؤلاء فرض على النصارى . وأما الأسقف ، والميرون ، والراهب ، فأسماء للمتعبدين خاصة ، فالماكث في القلة ميرون ، وكثير السياحة أسقف ، وتارك النساء

فقط راهب . وشرط الروم ملازمته للبس المسوح ، وخدمة الدير ، وأن لا يصلي خارج الكنيسة .

وكذلك الجهمي نزه ربه عن عرشه من فوق ذي الاكوان
حذراً من الحصر الذي في ظنه أو أن يرى متحيزاً بمكان
فاصاره عدما وليس وجوده متحققاً في خارج الاذهان
لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات قد وجدت بكل مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والـــخانات والخربات والقيعان

قال في « القاموس » الخان : الحانوت ، أو صاحبه ، وخان التجار معروف قوله القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عليها الجبال والآكام ، جمع قيع وقيعة ، وقيعان بكسرهن ، أي : أن الجهمية نزهوا الله عن أن يكون مستوياً على عرشه ، حذراً من أن يكون محصوراً أو متحيزاً ، ثم قالوا : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، فأوقعوا عليه صفة المعدوم .

قوله : لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات الخ أي : أن قدماء الجهمية قالوا بأنه سبحانه موجود بكل مكان ، تعالى الله عن ذلك ، ولكن هذا ليس قول الجهمية الأولين جميعهم ، فان هذا قول النجارية ، والضرارية ، كما تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح ، ففي كلامه مسامحة .

والقصد أنكم تحيزتم الى الـــآراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجئتم أنتم متلونين عجائب الالوان
وعرضتم قول الرسول على الذي قد قاله الاشياخ عرض وزان

وجعلتم أقوالهم ميزان ما قد قاله والعدل في الميزان

أي : أن هذا ميزان عائل جائر . قال في « القاموس » عال : جار عن الحق والميزان ، نقص .

ووردتم سفل المياه ولم نكن نرضى بذاك الورد للظمآن

وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحن سرنا في الطريق الاعظم السلطان

بنيات الطريق هي الطرق الصغار تتشعب من الطريق الأعظم ثم ترجع اليه

وجعلتم ترس الكلام مجنة تبا لذاك الترس عند طعان

ورميتم أهل الحديث بأسهم عن قوس موتور الفؤاد جبان

فتترسوا بالوحي والسنن التي تتلوه نعم الترس للشجعان

تقدم تفسير الترس .

قوله : موتور . هو اسم مفعول ، من وتره يتره . قال في « القاموس » وتره يتره ، وتراً ، وترة ، والقوم جعل شفعهم وتراً ، كأوترهم ، والرجل أفزعه وأدركه بمكروه ، ووتره ماله : نقصه إياه . انتهى .

قلت : ومنه الحديث « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

هو ترسهم والله من عدوانكم والترس يوم البعث من نيران

أفتاركوه لفشركم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرحمن

ودعوتمونا للذي قلتم به قلنا معاذ الله من خذلان

فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران

وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره　　بقياسه وبعقله الخوان

فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا　　أخباره بالفشر والهذيان

ومعارض للأمر مثل معارض الـ　　أخبار هم في كفرهم صنوان

من عارض المنصوص بالمعقول قد　　ما أخبرونا ياأولي العرفان

أو ما عرفتم أنه القدري والـ　　جبري أيضاً ذاك في القرآن

إذ قال قد أغويتني وفتنتني　　لأزينن لهم مدى الازمان

فاحتج بالمقدور ثم ابان أن　　الفعل منه بغية وزيان

فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتـ　　ـعصيب والميراث بالسهمان

فسألتكم بالله من وراثه　　مناومنكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام الناظم في هذه الأبيات ، أن أصل العداوة بيننا وبينكم يامعشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله ، من حين أمر الله إبليس بالسجود لآدم فعصى وعارض أمر الله بالعقل والقياس ، وذلك فيما حكى الله عنه ، وهو قوله : (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر : ٣٣ وقوله : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢ يعني النار خير وأفضل من الطين ، فأنا خير من آدم ، فهذا معارضة اللعين للأمر بالعقل والقياس .

وقوله : وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره الخ . أي : ان النفاة عارضوا الأخبار بالفشر والهذيان ، وقالوا : العقل يعارض النقل ، والقواطع تعارض الظواهر اللفظية ، والأدلة اللفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك

من القشر والهذيان ، وهذا معنى معارضتهم للخبر ، وهو معنى قول الناظم ومعارض للأمر مثل معارض الاخبار الخ

قوله : من عارض المنصوص بالمعقول قدماً الخ . أي : أن إبليس حين احتج بالقدر ، وهو قوله : (فبما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) الحجر : ٣٩ فاحتج أولا بالقدر والجبر ، وهو قوله : (فبما أغويتني) ثم قال : (لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فتبعته القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر ، وأنهم مجبورون على أفعالهم ، وتبعته القدرية النفاة ، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله :(لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر، والقدرية النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد ، فالطائفتان قد عارضتا المنصوص بالمعقول ، وهذا معنى قول الناظم: فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب كما هو ظاهر،و الله أعلم . وقد تقدم الكلام في مذهب أَهل السنة والجماعة في « خلق أفعال العباد » وفي رد مذهب الجبرية .

هذا الذي ألقى العداوة بيننا   اذ ذاك واتصلت الى ذا الآن

اء لتمُ اصلاًوأصل خصمكم   اصلاً فحين تقابل الأصلان

ظهر التباين فانتشت مابيننا الـــــحرب العوان وصيح بالاقران

أصلتم رأى الرجال وخرصها   من غير برهان ولا سلطان

هذا وكم رأي لهم فبرأي من   نزن النصوص فأَوضحوا ببيان

كل له رأي ومعقول لــه   يدعو ويمنع أخذ رأي فلان

والخصم اصل محكم القرآن مع قول الرسول وفطرة الرحمن

وبنى عليه فاعتلى بنيانه نحو السما أعظم بذا البنيان

وعلى شفا جرف بنيتم أنتم فأتت سيول الوحي والايمان

فعلت أساس بنائكم فتهدّمت تلك السقوف وخر للاركان

الله أكبر لو رأيتم ذلك الـــبنيان حين علا كمثل دخان

تسمو اليه نواظر من تحته وهو الوضيع ولو يرى بعيان

فاصبر له وهناك ورد الطرف تلـــقاه قريباً في الحضيض الداني

ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفر ، وأن الاثبات أساس العلم والايمان . فقال :

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايمان

من قال إن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم به قيام معان

كلا وليس الامر أيضاً قائماً بالرب بـــل من جملة الاكوان

اي : من قال : ان الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والأمر هو المأمور ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك .

قوله : قيام معان ، هو بفتح الميم ، أي : قياماً معنوياً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

كلا وليس الله فوق عباده بل عرشه خلو من الرحمن

فثلاثة والله لاتبقي من الـــ ايمان حبة خردل بوزان

وقداستراح معطل هذي الثلا ث من الاله وجملة القرآن

ومن الرسول ودينه وشريعته الـــ اسلام بل من جملة الاديان

قوله : خلو ، بكسر الخاء ، أي : خال .

قوله : هذي الثلاث ، وهن القول بأن فعله تعالى وأمره لايقومان به ، والقول بنفي الفوقية والعلو لايبقي من الايمان حبة خردل .

وتمام ذاك جحوده لصفاته والذات دون الوصف ذو البطلان

أي : وتمام ذاك جحود صفـــات الرب تعالى ، مع أن وجود ذات بغير صفات باطل .

وتمام ذا الايمان إقرار الفتى بالله فاطر هذي الاكوان

فاذا أقربه وعطل كل مفـــروض ولم يتوق من عصيان

لم ينقص الايمان حبة خردل أنى وليس بقابل النقصان ؟!

هذا هو القول بالايمان ، هو التصديق والمعرفة ، كما هو قول الجهمية والأشعري في المشهور من قوليه ، وأنه لايزيد ولا ينقص .

وتمـام هذا قوله إن النبـــوة ليس وصفاً قام بالانسان

لكن تعلق ذلك المعنى القديـــم بواحد من جملة الانسان

هذا وما ذاك التعلق ثابتاً في خارج بل ذاك في الاذهان

فتعلق الاقوال لايعطي الذي وقفت عليه الكون في الأعيان

هذا اذا ماحصل المعنى الذي قلتم هو النفسيّ في البرهان

لكنّ جمهور الطوائف لم يروا ذا ممكناً بل ذاك ذو بطلان

ماقال هذا غيركم من سائر النـ ـظار في الآفاق والازمان

تسعون وجهاً بينت بطلانه لولا القريض لسقتها بوزان

أي : وتمام هذا قوله : إن النبوة ليس وصفاً قام بالنبي ، وإن المعنى القديم وهو المعنى النفسي ، تعلق به ، ومع ذلك ، فالتعلق ليس ثابتاً في الخارج ، بل هو في الذهن ، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبته الأشاعرة.

قوله : ماقال هذا غيركم الخ . أي : ماقال هذا القول أحد غيركم معشر الأشعرية .

قوله : تسعون وجهاً الخ . هذه الأوجه ساقها شيخ الاسلام في رسالته المعروفة « بالتسعينية »

قوله : لولا القريض . قال في « القاموس » قرضه يقرضه ، قطعه ، وجازاه كقارضه ، والشعر قاله .

ياقوم أين الرب أين كلامه أين الرسول فأوضحوا ببيان

مافوق عرش الرب من هو قائل طه ولا حرفاً من القرآن

ولقد شهدتم ان هذا قولكم والله يشهد مع أولي الايمان

وارحمتاه لكم غبنتم حظكم من كل معرفة ومن ايمان

ونسبتم للكفر أولى منكم   بالله والايمان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها   فقد ارتضى بالجهل والخسران
وتمام هذا قولكم في مبدء   ومعادنا أعني المعاد الثاني

هذا على قول مثبتي الجوهر الفرد ، وقد تكلموا في معاد الابدان على هذا الاصل ، فمنهم من يقول : يفرق الاجزاء ثم يجمعها ، ومنهم من يقول : يعدمها ثم يعيدها . واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيواناً ، فكيف يعاد ؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم ، ومنهم من يقول : هذا لايمكن أن يعلم ثبوته ولاانتفاؤه ، والمعاد عندهم يفتقر الى أن يبتدىء هذي الجواهر ، والجهم بن صفوان منهم يقول : يعدمها بعد ذلك ، ويقول : بفناء الجنة والنار . وأبو الهذيل العلاف يقول : تعدم الحركات .

قال ابن العربي في « عقيدته الوسطى » اختلف أهل السنة في الاعادة هل بالجمع والتفريق ، أو بعد محض العدم ؟ والحق التوقف ، وهو اختيار امام الحرمين ، اذ كلاهما جائز عقلا في قدرته تعالى ، ولا قاطع في ذلك ، فالأحوط التوقف . انتهى

وفي شرح الرسالة ، للشيخ أبي القاسم ابن ناجي . قال بعض الشيوخ : أجمع أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها ، وانما اختلفوا : هل عن عدم أو تفريق ؟ قال أبو المعالي : لادليل قاطع بأحدهما ، والظواهر تقتضي الاعدام لابالتفريق ، وعليه فترد بأعيانها ، وكون الابتداء والاعادة بالعلم والقدرة والارادة . وأما إن قلنا بالتفريق لا بالاعدام ، فتجمع الجواهر ، ثم يخلق تعالى فيها الصفات بأعيانها كما كانت أول مرة ، وكل ماهو ممكن ، فالقدرة صالحة لايقاعه انتهى .

وقال شارح « المواقف » وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها ، أم يفرقها ويعيد تأليفها ؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء ، فلا نجزم فيه نفياً ولا إثباتاً ، لعدم الدليل على شيء من الطرفين ، وليس في قوله تعالى

(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ دليل على الاعدام ، لأن التفريق هلاك كالاعدام ، فهلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف كذلك ، ومثله يسمى فناء عرفاً ، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى (كل من عليها فان) الرحمن : ٣٧ على الاعدام أيضاً ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

فهذا قول النفاة في المعاد ، أما قولهم في المبدأ ، فقد تقدم الكلام عليه ، والله أعلم .

وتمام هذا قولكم بفناء دا ... ر الخلد فالداران فانيتان

أي : إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار

ياقومنا بلغ الوجود بأسره الد ... نيا مع الاخرى مع الايمان

والخلق والامر المنزل والجزا ... ء منازل الجنات والنيران

والناس قد ورثوه بعد فمنهم ... ذو السهم والسهمين والسهمان

بئس المورث والمورث والترا ... ث ثلاثة أهل لكل هوان

ياوارثين نبيهم بشراكم ... ما إرثكم مع إرثهم سيان

شتان بين الوارثين وبين مو ... روثيهما وسهام ذي سهمان

ياقوم ماصاح الأئمة جهدهم ... بالجهم من أقطارها بأذان

الا لما عرفوه من أقواله ... ومآلها بحقيقة العرفان

قول الرسول وقول جهم عندنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان

نصحوكمُ والله جهد نصيحة ... مافيهمُ والله من خوان

فخذوا بهديهم فربي ضامن ... ورسوله أن تفعلوا بجنان

أي : إن قول أهل النفي والتعطيل ، قد بلغت شناعاته الوجود بأسره

الدنيا والآخرة ، والخلق والأمر ، والجزاء ، والجنة ، والنار . وقد توارث الناس تلك الضلالات والشناعات ، فمنهم من ورث السهم ، ومنهم من ورث السهمين ، ومنهم من ورث السهام .

قوله : والله ماصاح الأئمة جهدهم الخ . أي : ما كثر تشنيع الأئمة الكبار في جميع المدن والأقطار ، وتحذيرهم من جهم وأقواله إلا لما عرفوا من مآلها المنافي للدين المباين للحق واليقين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فاذا أبيتم فالسلام على من اتـــبع الهدى وانقاد للقرآن

سيروا على نجب العزائم واجعلوا بظهورها المسرى الى الرحمن

سبق المفرد وهو ذاكر ربه في كل حال ليس ذا نسيان

يشير الى مارواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : جمدان فقال : سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » روي لفظ (المفردون) من التفريد ، ومن الافراد ، والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد

لكن أخا الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان

قال في « القاموس » كسر الطائر كسراً وكسوراً : ضم جناحيه ، يريد الوقوع ، وعقاب كاسر .

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لا يذكر الرحمن كل أوان
والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان
وثبوتها أصل لهذا الذكر والـ ـنافي لها داع الى النسيان
فلذاك كان خليفة الشيطان ذا لا مرحباً بخليفة الشيطان
والذاكرون على مراتبهم فأعـ ـلاهم اولو الايمان والعرفان
بصفاته العلياء اذ قاموا بحمـ ـد الله في سر وفي إعلان
وأخص أهل الذكر بالرحمن أعـ ـلمهم بها هم صفوة الرحمـ ـن
وكذاك كان محمد وأبوه ابـ ـراهيم والمولود من عمران
وكذاك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من انسان
لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الانسان
وهم أولو العزم الذين بسورة الـ أحزاب والشورى أتوا ببيان
وكذلك القرآن مملوء من الـ أوصاف وهي القصد بالقرآن
ليصير معروفاً لنا بصفاته ويصير مذكوراً لنا بجنان
ولسان ايضاً مع محبتنا له فلاجل ذا الاثبات في الايمان
مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الاساس فكيف بالبنيان؟!

يعني الناظم رحمه الله تعالى، أن الذكر أنواع . فأعلاها ذكر الصفات، وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر ، ونافي الصفات داع الى نسيانها ، وهو خليفة الشيطان ، والذاكرون على مراتب ، فأعلاهم أولو الايمان

والعرفان بصفاته سبحانه ، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والاعلان ، وأخص أهل الذكر بالله ، أعلمهم بصفاته ، ولذلك كان أولو العزم من الرسل ، وهم نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، هم خير خلق الله، للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه ، بحيث لم يؤتها غيرهم ، ولذلك القرآن مملوء بصفاته سبحانه ، وهي القصد بالقرآن، ليكون معروفاً لعباده بصفاته ، مذكوراً لهم بقلوبهم ، وهو معنى قوله : مذكوراً لهم بجنان ، وهو القلب ، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة: وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة اليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل الى هذا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجهل ، واليه أكره ، ومنه أبعد ... الى آخر ماذكره . قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الكلم الطيب » الذكر نوعان .أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لا يليق به ، وهذا أيضاً نوعان. أحدهما : إنشاء الثنا عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الاحاديث ، نحو: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر. سبحان الله وبحمده، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو سبحان الله عدد خلقه . فهذا أفضل من نحو: سبحان الله . وقولك: الحمد لله عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق في الأرض ، وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق. أفضل من نحو قولك : الحمد لله . ولهذا جاء في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات - ثلاث مرات - ، لو وزنت بما قلت

اليوم لوزنتهن ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم . وفي الترمذي و « سنن أبي داود » عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الارض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

النوع الثاني : الخبر عن الرب تعالى باحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته ، ونحو ذلك . وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع ، حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد : الاخبار عنه بصفات كماله ، مع محبته والرضى عنه ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً ، حتى يجتمع له المحبة والثناء ، فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء ، كان ثناء ، وان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ، كان مجداً . وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدني عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علي عبدي ، واذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي .

والنوع الثاني من الذكر ، ذكر أمره ونهيه وأحكامه ، وهذا أيضاً نوعان : إلى آخر كلامه ، وهو كلام نفيس .

قوله : أولو العزم الذين بسورة (الاحزاب) و (الشورى) قال تعالى في سورة الاحزاب ٧ : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وفي سورة الشورى : ١٣ (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...) الايه .

قوله : فلأجل ذا الاثبات في الايمان مثل الاساس من البناء ، يعني أن الاثبات في الايمان مثل الأساس مع البناء ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : الاثبات أمكن ، نقله عنه الخطابي .

والله ماقام البناء لدين رسـ ــل الله بالتعطيل للديان

ماقام الا بالصفات مفصلا اثباتها تفصيل ذي عرفان

فهي الاساس لديننا ولكل ديـ ـن قبله من سائر الايان

وكذاك زندقة العباد أساسها التـ ـعطيل يشهد ذا اولو العرفان

والله مافي الأرض زندقة بدت الا من التعطيل والنكران

والله مافي الأرض زندقة بدت من جانب الاثبات والقرآن

هذي زنادقة العباد جميعهم ومصنفاتهم بكل مكان

مافيهم أحد يقول الله فو ق العرش مستول على الاكوان

ويقول ان الله جل جلاله متكلم بالوحي والقرآن

ويقول ان الله كلم عبده موسى فأسمعه بذي الآذان

ويقول ان النقل غير معارض للعقل بل أمران متفقان

والنقل جاء بما يحار العقل فيـــه لا المحال البين البطلان

فانظر الى الجهمي كيف أتى الى أس الهدى ومعاقل الايمان

بمعاول التعطيل يقطعها فما يبقي على التعطيل من ايمان

يدري بهذا عارف بمآخذ الـــ أقوال مضطلع بهذا الشان

والله لو حدثتم لرأيتم هذا وأعظم منه رأي عيان

لكن على تلك العيون غشاوة ماحيلة الكحال في العميان

أقسم الناظم رحمه الله في البيت الذي أوله : والله ماقام الأساس لدين رسل الله الخ . . إن دين الرسل عليهم السلام ماقام بالتعطيل ، وإنه ماقام إلا باثبات الصفات مفصلة ، ثم أخبر أن زندقة العباد أساسها التعطيل ، فانظر زنادقة العباد ومصنفاتهم بكل مكان ، فانه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى على خلقه ، أو يقول : ان الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن ، وان الله كلم عبده موسى فأسمعه النداء .

قوله : ويقول : ان النقل غير معارض للعقل الخ . أي : ان المعطلة تقول : ان العقل يعارض النقل ، وحاشا من ذلك ، لكن النقل جاء بمحارات العقول ، أي : بما تتحير فيه العقول . وأما أن النقل يجيء بالمحال الباطل ، فكلا ، ومعاذ الله .

فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيص الرسول ﷺ

قالوا تنقصتم رسول الله وا ... عجبا لهذا البغي والبهتان
عزلوه ان يحتج قط بقوله ... في العلم بالله العظيم الشان
عزلوا كلام الله ثم رسوله ... عن ذاك عزلاً ليس ذا كتمان
جعلوا حقيقته وظاهره هو الـ ... ـكفر الصريح البين البطلان
قالوا وظاهره هو التشبيه والـ ... ـتجسيم والتمثيل حاشا ظاهر القرآن
من قال في الرحمن مادلت علـ ... ـيه حقيقة الاخبار والفرقان
فهو المشبه والممثل والمجـ ... ـسم عابد الأوثان لا الرحمن
تالله قد مسخت عقولكم فليـ ... ـس وراء هذا قط من نقصان
ورميتم حزب الرسول وجنده ... بمصابكم يافرقة البهتان
وجعلتم التنقيص عين وفاقه ... اذ لم يوافق ذاك رأي فلان
أنتم تنقصتم إله العرش والـ ... ـقرآن والمبعوث بالقرآن
نزهتموه عن صفات كماله ... وعن الكلام وفوق كل مكان
وجعلتم ذا كله التشبيه والـ ... ـتمثيل والتجسيم ذا البطلان

وكلامكم فيه الشفاء وغاية الـ ـتحقيق ياعجباً لذا الخذلان
جعلوا عقولهمُ أحق بأخذ ما فيها من الأخبار والقرآن
وكلامه لايستفاد به اليقيـ ـن لأجل ذا لايقبل الخصمان
تحكيمه عند اختلافهما بل المـ ـعقول ثم المنطق اليونان
أي التنقص بعد ذا لولا الوقا حة والجراءة ياأولي العدوان

معنى كلامه في هذه الأبيات أن أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما جردوا التوحيد، والمتابعة، وأفردوا الله تعالى بجميع أنواع العبادة خوفاً، ورجاء، وتوكلا، وخشية، وقالوا: لايجوز صرف العبادة ولا شيء منها لملك مقرب، ولا نبي مرسل، وقدموا أقوال الرسول على غيره، فلأجل ذلك رموهم بتنقص الرسول، والمعطلة مع ذلك قد تنقصوا الله تعالى ورسوله وكتابه، أما تنقصهم الله تعالى، فانهم سلبوه صفات كماله، ونزهوه عن الكلام والفوقية، وجعلوا ذلك تشبيهاً وتجسيماً، وأما تنقصهم الرسول، فانهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله، وأما تنقصهم القرآن، فانه عندهم لايفيد اليقين، إذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية بزعمهم، وأن القرآن لايحكم عند الاختلاف، وإنما يرجع الى المعقول والمنطق، وأما أهل الاثبات، فانهم حكموا الرسول ﷺ وما جاء به في الدق والجل، ولهذا قال: أي التنقص بعد ذا لولا الوقاحة والجراءة الخ.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يامن له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقاً وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الـــرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهى عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به اياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والـــتهليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حـــق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها ياأولي العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـــمقبول إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لاتخيير فيه عند ذي عقل وذي إيمان

من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسبر والميزان

إن وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان

أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان

أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان

هذا الذى أدى إليه علمنا وبه ندين الله كل أوان

فهو المطاع وأمره العالي على أمر الورى وأمر ذي السلطان

وهم المقدم في محبتنا على الأهلين والأزواج والولدان

وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجنبان

شرع الناظم رحمه الله في بيان الحقوق التي لله ورسوله ، فذكر أن حق الله سبحانه ، هو عبادته بأمره ، لا بهوى النفس ، وذلك ، كالحج والصلاة ، والذبح ، والسجود ، والنذر ، واليمين ، والتوبة ، والتوكل ، والانابة ، والتقى ، والرجاء ، والخشية ، والاستعانة ، والتكبير ، والتهليل ، ونحوها ، فكل هذا حق لله ، لا يشركه فيه غيره ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وأما المختص بالرسول ﷺ ، فهو التعزير ، والتوقير ، كما في قوله تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) الفتح : ٩ وأما الحب والإيمان والتصديق ، فهي مشتركة بين الله ورسوله ، فقد وضحت الحقوق الثلاثة ، وهذا معنى قوله : هذي تفاصيل الحقوق الثلاثة الخ .

قوله : ورسوله فهو المطاع وقوله الخ . يدل على هذا قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) النساء : ٦٥ الآية

قوله : فهو المقدم في محبتنا الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وقول عمر رضي الله عنه : يارسول الله لأنت أحب الي من كل شيء الا من نفسي ، فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك » فقال عمر : إنك الآن أحب إلي من نفسي . فقال « الآن ياعمر » رواه البخاري .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا قول أعداء المسيـــح من النصارى عابدي الصلبان

انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقصان

لو قلتمُ ولد إله خـــالق وفيتموه حقه بوزان

وكذاك أشباه النصارى مذ غلوا في دينهم بالجهل والطغيان

صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحباب والاخوان

أي : ونظير غلوهم في الرسول ﷺ غلو عباد الصليب من النصارى في المسيح ، لما قال لهم النبي ﷺ : « ان المسيح عبد » فقالوا له : تنقصت المسيح وعبته ، وقد تقدم من كلام الناظم في « شرح منازل السائرين » ما يتضح به في معنى هذه الأبيات في الفصل الذي أوله : والشرك فاحذره فشرك ظاهر الخ .

فانظر الى تبديلهم توحيده بالشرك والإيمان بالكفران

وانظر الى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن

واجمع مقالتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزّان

عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لا تطغ في الميزان

فهناك تعلم أي حزبينا هو الـــمتنقص المنقوص ذو العدوان
رامي البريء بدائه ومصابه   فعل المباهت أوقح الحيوان
كمعيّر للناس بالزغل الذي   هو ضربه فاعجب لذا البهتان

الزغل بفتح الزاي

يافرقة التنقيص بل ياأمة الـــدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ماقدمتمُ يوماً مقـــا   لته على التقليد للانسان
والله ماقال الشيوخ وقال إلاّ كنتم معهم بلا كتمان
والله أغلاط الشيوخ لديكمُ   عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا قضيتم بالذي حكمت به   جهلاً على الاخبار والقرآن
والله انهم لديكم مثل معصـــوم وهذا غاية الطغيان
تباً لكم ماذا التنقص بعد ذا   لو تعرفون العدل من نقصان
والله مايرضيه جعلكمُ له   ترساً لشرككمُ وللعدوان
وكذاك جعلكم المشايخ جنة   لخلافه والقصد ذو تبيان
والله يشهد ذا بجذر قلوبكم   وكذاك يشهده أولو الإيمان

قوله : بجذر قلوبكم الخ . الجذر بالذال المعجمة . قال في « مختار الصحيح » جذر كل شيء أصله، بفتح الجيم عن الاصمعي، وبكسرها عن أبي عمرو . وفي الحديث : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » .

والله ماعظمتموه طاعة ومحبة يا فرقة العصيان
أنى وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحي معلومان؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالفتم قول الشيوخ وقوله فغدا لكم خلفان متفقان

أي : إنكم معاشر النفاة خالفتم قول الرسول ﷺ ، وخالفتم أقوال الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، فانهم أوصوكم ، بخلاف أقوالهم اذا خالفت قول الرسول ﷺ كما قد تقدم بعض أقوالهم ، فخالفتم الرسول ﷺ ، وخالفتم الأئمة في ترك أقوالهم اذا خالفت أقواله ، وهذا معنى قول الناظم : فغدا لكم خلفان متفقان ، وهما خلاف قول الرسول ﷺ ، وخلاف قول الأئمة رضي الله عنهم .

والله أمركم عجيب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان؟!
كفرتم من جرد التوحيد جهـــــلا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبـــدع المضلة في رضى الشيطان
والله لم نقصد سوى التجريد للتـــوحيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لا غـــلو الشرك أصل عبادة الأوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الاذعان
والله لو يرضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقان
والله ما يرضيه منا غير اخــــلاص وتحكيم لذا القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قوله : ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه الخ . يشير الى قوله ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » متفق عليه [1] .

قوله : ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً الخ . يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيىء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه في « المختارة » ورواه أبو يعلى ، والقاضي اسماعيل . وقال سعيد ابن منصور في « سننه » : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل ابن أبي صالح ، قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء . فقلت: لا أريده . فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ ، فقال : اذا دخلت المسجد ، فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ

(١) كذا في الأصل : متفق عليه ، ولم يروه مسلم ، فهو من رواية البخاري وحده ورواه الترمذي ، والدارمي ، والطيالسي ، وأحمد .

قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن علي ، ثنا محمد بن عجلان ، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني » قال شيخ الاسلام : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين ، يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله ، وذلك يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين ، فكيف وقد تقدم مسنداً .

وقال أيضاً : فانظر الى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ، لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا له أضبط . انتهى .

قوله : ودعا بأن لايجعل القبر الذي قد ضمه الخ . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعاوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل اليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ، إذ كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لايتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى . وهذا معنى قول الناظم : حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ باللعن يصرخ فيهم بأذان

وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً　　وهم اليهود وعابدو الصلبان

والله لولا ذاك أبرز قبره　　لكنهم حجبوه بالحيطان

قصدوا الى تسنيم حجرته ليمـــتنع السجود له على الأذقان

قصدوا موافقة الرسول وقصده التجريد للتوحيد للرحمن

قوله : ولقد غدا عند الوفاة الخ . يشير الى حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق طفق خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

قولها : غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . روي بفتح الخاء ، وضمها ، فعلى الفتح هو الذي خشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة ، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن فاعله .

قوله : قصدوا الى تسنيم حجرته الخ . تقدم كلام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك . ولعل الناظم أخذ هذا المعنى من كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يافرقة جهلت نصوص نبيهم　　وقصوده وحقيقة الإيمان

فسطوا على أتباعه وجنوده　　بالبغي والعدوان والبهتان

لاتعجلوا وتبينوا وتثبتوا　　فمصابكم مافيه من جبران

قلنا الذي قال الأئمة قبلنا | وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الـ | ـرحمن واجبة على الأعيان
ورحالنا شدت اليه من بقا | ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الإله فماله | من حجه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالنا للمسجد النـ | ـبوى خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الاطلاق فيـ | ـه الخلف عند الناس منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النـ | ـعمان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه | ماجنسه فرض على الانسان
ولنا براهين تدل بأنه | بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل ناذر طاعة | بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا | ه ماخلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة | في أجرها والفضل للمنان
فاذا أتينا المسجد النبوي صلـ | ـينا التحية أولاً ثنتان
بتمام اركان لها وخشوعها | وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ | ـقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع | متذلل في السر والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطق | فالواقفون نواكس الاذقان

ملكتهم تلك المهابة فاعترت | تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها | ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة | ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه | كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسـ | ـبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجهاً | لله نحو البيت ذي الاركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً | بشريعة الاسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا | رة وهي يوم الحشر في الميزان
لاتلبسوا الحق الذي جاءت به | سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى الـ | ـبدع المضلة ياأولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت | يجب المصير اليه بالبرهان

مراد الناظم رحمه الله انا قلنا بما قالت به الأئمة قبلنا ، ودلت عليه النصوص ، فذكر أن حج البيت فريضة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام .

قوله : ورحالنا شدت اليه الخ . يشير الى الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » الحديث

وكذا نشد رحالنا للمسجد النبوي الخ . أقول :

قوله هذه مسألة الزيارة ، وهي التي أفتى فيها شيخ الاسلام ، وحبس بسببها حتى مات في الحبس ، ولنذكر جوابه في المسألة ، وذلك أنه سئل عن رجل نوى زيارة قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ، مثل نبينا ﷺ وغيره ،

فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هي زيارة شرعية ، أم لا ؟ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال « من حج فلم يزرني فقد جفاني » و« من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » وقد روي عنه أنه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » .

أجاب الشيخ رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له القصر ؟ على قولين ، أحدهما وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي عبد الله ابن بطة ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لايجوز القصر في هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه . ومذهب مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه ، والقول الثاني أنه يقصر ، وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ، كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون: ان هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ « زوروا القبور » وقد يحتج بعض من لايعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ، وابن ماجه . وأما مايذكره بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد جفاني » فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » فان هذا أيضاً باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ، ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني

ونحوه ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور ، بأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث « لاتشد الرحال.. » بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب . وأما الأولون ، فانهم يحتجون بما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق العلماء على صحته ، والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد ، أو يعتكف فيه ، أو يسافر اليه ، غير هذه الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحـــرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك باتفـاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى ، لصلاة أو اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه ، وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لايجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع . أما الجمهور ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه .. » الحديث . رواه البخاري .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليها إذا نذره ، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في « الصحيح » من « تطهر في بيتـه ، ثم أتى مسجد قبـاء لايريد الا الصلاة فيه ، كان كعمرة » قالوا : ولأن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها ، فهذا مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في « الابانة الصغرى » .

من البدع المخالفة للسنة ، والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي ، فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لايجب بالنذر .

وقوله : إن قوله : « لاتشد الرحال » محمول على نفي الاستحباب . يجاب عنه من وجهين : أحدهما : أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قربة وطاعة ، ومن اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وأنه قربة وطاعة ، فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاد أنها طاعة ، فذلك محرم باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحداً لايسافر اليها الا لذلك . وأما اذا قدر أن شد الرحل اليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن الحديث يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ، فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة منها بشيء ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، مشروعاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ ، لم يكرهه عالم المدينة . والإمام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه في ذلك ، إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « مامن رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » وعلى هذا اعتمد أبو داود في « سننه » وكذلك مالك في « الموطأ » روى عن عبدالله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك

يا أبت ، ثم ينصرف . وفي « سنن أبي داود » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني » وفي «سنن سعيد بن منصور » عن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب أنه رأى رجلاً يختلف الى قبر النبي ﷺ ، ويدعو عنده . فقال : ياهذا ، إن رسول الله ﷺ قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلو علي أينما كنتم ؛ فان صلاتكم تبلغني » فما أنت ورجل بالأندلس منه الاسواء ، وكان الصحابة والتابعون ، لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد ابن عبدالملك لا يدخل عنده أحد لا لصلاة هناك ، ولا لمسح قبر ، ولا لدعاء ، بل هذا انما كانوا يفعلونه في المسجد . وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه ، وأرادوا الدعاء ، دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر. وأما الوقوف للسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر . وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولا يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء . واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله سبحانه ، اتخاذ القبور مساجد ، كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالو لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) نوح : ٢٣ وقالوا : هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا ، عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها . وقد ذكر هذا المعنى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس ، وذكره محمد ابن جرير الطبري وغيره في التفسير ، عن غير واحد من السلف ، وذكره

وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع . وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد أهل البدع الرافضة ، ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد فيها وحده لاشريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فان الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد لا المشاهد . كما قال الله تعالى : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الأعراف : ٢٩ وغير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . انتهى.

واعلم أن من أدلة المجوزين لشد الرحل الى. ماذكره التقي السبكي في كتابه « شفاء السقام » من الأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله عليه السلام « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني . وفي رواية « حلت له شفاعتي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءني زائراً لا يعمله حاجة الا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وقوله ﷺ « من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي، كتب له حجتان مبرورتان » رواه ابن عباس . وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدار قطني ، والحديث الذي روي « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عمر ، وأطنب السبكي في الأدلة . وقد أجاب المانعون عن جميع ذلك ، كما قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الذي سماه «الصارم المنكي في الرد على السبكي » مانصه : أما بعد ، فاني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال ، واعمال المطي الى القبور ، وذكر

أنه سماه « شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة » ثم زعم أنه اختار أن يسميه « شفاء السقام في زيارة خير الأنام » فوجدته كتاباً مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة ، ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً مماريا ً، معجباً برأيه ، متبعاً لهواه ، ذاهباً في كثير مما يعتقده الى الأقوال الشاذة ، والآراء الساقطة ، صائراً في أشياء مما يعتمده ، الى الشبه المخيلة ، والحجج الداحضة ، وربما خرق الاجماع في مواضع لم يسبق اليها ، ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها ، وهو في الجملة لون عجيب ، ونبأ غريب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين ، فيكون مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، ونسأل الله سبحانه أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه إن ذكر حديثاً مرفوعاً أو أثراً موقوفاً وهو غير ثابت ، قبله اذا كان موافقاً لهواه ، وان كان ثابتاً رده ، إما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفاً لهواه . وان نقل عن بعض الأئمة الأعلام كمالك أو غيره مايوافق رأيه ، قبله، وان كان مطعوناً فيه غير صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه ، رده ولم يقبله وان كان صحيحاً ثابتاً عنه ، وان حكى شيئاً مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كالامام أحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وأبي حاتم ابن حبان البستي ، وأبي جعفر العقيلي ، وأبي أحمد ابن عدي ، وأبي عبدالله الحاكم صاحب « المستدرك » وأبي بكر البيهقي وغيرهم من

الحفاظ وكان مخالفاً لما ذهب اليه ، لم يقبل قوله ، ورده عليه ، وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب في ذلك القول ، ووافقه غيره من الأئمة عليه ، وإن كان موافقاً لما صار اليه ، تلقاه بالقبول ، واحتج به ، واعتمد عليه ، وان كان ذلك الامام قد خولف في ذلك القول ولم يتابعه غيره من الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم ، وعدم القيام بالقسط . نسأل الله تعالى التوفيق ، ونعوذ به من الخذلان ، واتباع الهوى . هذا مع أنه حمله إعجابه برأيه ، وغلبة اتباع هواه ، على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من العلماء الأعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الأحكام ، حتى زعم أن مانقله الشيخ أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » عن الشيخ أبي محمد الجويني ، من النهي عن شد الرحال وإعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، كالذهاب الى قبور الأنبياء والصالحين ، والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك ، هو مما غلط فيه الشيخ أبي محمد ، أو أن ذلك مما وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال : ولو قاله هو ، يعني الشيخ أبا محمد ، أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط ، لحكمنا بغلطه ، وأنه لم يفهم مقصود الحديث . فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ماحكاه عن شيخ الاسلام من الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو مانقله عنه من أنه جعل زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور سائر الانبياء عليهم السلام ، معصية بالاجماع ، مقطوعاً بها ، هكذا ذكر هذا المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لايشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ، ولا يوجد في شيء من كتبه ، ولأول كلامه عليه ، بل كتبه كلها ، ومناسكه ، وفتاويه ، وأقواله ، وأفعاله

تشهد ببطلان هذا النقل عنه، ومن له أدنى علم وبصيرة، يقطع بأن هذا مفتعل مختلق على الشيخ، وأنه لم يقله قط. وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) الحجرات : ٦ وهذا المعترض يعلم أن مانقله عن القاضي المشهور بما لاأحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام، كذب مفترى، لايرتاب في ذلك، ولكن يطفف ويداهن، ويقول بلسانه ماليس في قلبه. ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كثيرة، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمله، ولم يتفق عنده، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعترض كتابه لأجله من أعداء الشيخ المشهورين. وقد زعم هذا المعترض أيضاً مع هذا الأمر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق، والتصديق بالكذب، أن الفتاوي المشهورة التي أجاب بها علماء اهل بغداد، موافقة للشيخ، مختلقة موضوعة، وضعها بعض الشياطين، هكذا زعم، مع علم العام والخاص بأن هذه الفتاوي مما شاع خبرها وذاع، واشتهر امرها وانتشر، وهي صحيحة ثابتة متواترة عمن أفتى بها من العلماء، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها... الى ان قال : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض، أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى، لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم ينه عنها، ولم يكرهها، بل استحبها، وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، وسائر القبور.

قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه : باب زيارة قبر النبي ﷺ إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده، فليقل ماتقدم، فاذا

دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستقبل جدار القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، ليكون قائماً وجاه النبي ﷺ ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون ، منكسر الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ماجزى نبياً ورسولاً عن أمته ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشرباً روياً لا نظمأ بعده أبداً . ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقول : السلام عليك ياأبا بكر الصديق ، السلام عليك ياعمر الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

قـــال : ويزور قبور أهل البقيع ، وقبور الشهداء إن أمكن . هذا كلام الشيخ بحروفه ، وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافاً ، الا نقلاً غريباً ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم في مسألة شد الرحـــال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين : أحدهما : القول بإباحة ذلك ، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي ، وأحمد . والثاني : أنه منهي عنه ، كما نص عليه إمـــام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن الأئمة الثلاثة خلافه ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد . هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحـــال واعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل ، واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة ، وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلهما مسألة واحدة ، وحكم عليهما بحكم واحد ، وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما ، وبالغ في التنفير عنه ، فقد حرم التوفيق ، وحـاد عن سواء الطريق . واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحل بالحديث المشهور المتفق على صحته ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، بحديث « لاتشد الرحـال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » هذا هو الذي نقله الشيخ رحمه الله تعالى ، حكى الخلاف في مسألة بين العلماء ، واحتج لأحد القولين بحديث متفق على صحته ، فأي عتب عليه في ذلك ؟ ! ولكن نعوذ بالله تعالى من الحسد ، والبغي ، واتباع الهوى ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا واخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من العمل الصالح ، والقول الجميل ، فانه يقول الحق ويهدي السبيل . انتهى .

وهذا الذي ذكرناه شرح لما تضمنته هذه الأبيات التي تقدمت والله أعلم .

قـــوله : من بعد مكة أو على الاطلاق الخ . هذه المسألة فيها خلاف مشهور بين العلماء فذهب أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد في احدى الروايتين ، إلى أن مكة أفضل ؛ وذهب مـــالك الى أن المدينة أفضل ، وهو الرواية الثـــانية عن أحمد ، واحتج من فضل مكة بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك لخير ارض الله وأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ماخرجت » رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح . واحتجوا أيضاً بأن مضاعفة الصلاة فيها أكثر . وأما الحديث المروي « اللهم إنهم أخرجوني من أحب البقاع الي ؛ فأسكني أحب البقاع اليك » فهو حديث لايعرف .

قـال شيخ الاسلام : هو حديث موضوع كذب ، لم يروه أحد من أهل العلم .

واحتج من فضل المدينة بأخبار صحيحه تدل على فضلها ، لا على فضليتها على مكة ، والله أعلم .

وقول الناظم رحمه الله : ونراه عند النذر فرضاً الخ . . اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن نذر طاعة بشرط يرجوه ؛ كأن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك ، فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب الوفاء بكل طاعة . وحكي عن أبي حنيفة أنه لايجب الوفاء الا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم . أما ماليس كذلك ، كالاعتكاف ، فلا يوجب الوفـاء به . وحجة الجمهور قوله ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه » رواه البخاري. والله علم .

فصل

في تعيين ان اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران

يامن يريد نجاته يوم الحسا ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والـ أعمال لاتخرج عن القرآن
وخذ الصحيحين اللذين هما لعقـ ـد الدين والإيمان واسطتان
واقرأهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكماً ولاتحكم على مافيهما أصلاً بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الـ أشياخ تنصرها بكل أوان
وانصر مقالته كنصرك للذي قلدته من غير مابرهان
قدر رسول الله عندك وحده والقول منه اليك ذو تبيان
ماذا ترى فرضاً عليك معيناً ان كنت ذا عقل وذا إيمان
عرض الذي قالوا على أقواله أو عكس ذاك فذلك الامران
هي مفرق الطرقات بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدر مقالات العباد جميعهم عدماً وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد وتلق معهم عنه بالإحسان

وتلق عنهم ماتلقوه همُ   عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر   يبغي الإله وجنة الحيوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الوصية بما ينجي يوم الحساب من العذاب والنار ، وبين أن ذلك يكون باتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال ، كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران : ٣١ ثم حث على لزوم « الصحيحين » أي : « صحيح البخاري » و « مسلم » واتخاذهما حكماً ، فيحكم بهما ، ولا يحكم عليهما ، وذلك بعد أن تتجرد من الهوى والتعصب والحمية . قال : واجعل مقالته كبعض مقالات الأشياخ ، أي : اجعل مقالته ﷺ كبعض مقالات الأشياخ التي ينصرها المقلدون بكل أوان ، وكنصرك للذي قلدته من غير برهان ، الذي غاية أقواله أن تكون سائغه الاتباع . وأما أقوال الرسول ﷺ ، فهي واجبة الاتباع ، كما قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) الآية النساء : ٦٥ ثم قال : قدر رسول الله عندك وأنت تسمع كلامه منه بلا واسطة ، فهل ترى فرضاً عليك عرض أقواله على أقوال من قلدته ، أو عكس ذلك ؟ أي : عرض أقوالهم على أقواله ، وهذان الأمران هما مفرق الطرق بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان .

قوله : قدر مقالات العباد جميعهم عدماً الخ . أي : قدر عدم مقالات العباد ، ثم راجع مطلع الايمان ، أي : الكتاب والسنة ، وقدر نفسك جالساً بين صحب محمد ﷺ وأنت تسمع منه ، فاذا كان فرض عليك اتباع ماجاء به ﷺ ، وعرض كلام الناس على كلامه لو كنت حاضراً بين يديه ، فما الذي أسقط هذا الفرض عنك وأنت تسمع كتابه الذي جاء به ، وسنته الصحيحة الصريحة غضة طرية :

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لولا التنافس بين هذا الخلق ما كان التفرق قط في الحسبان
فالرب رب واحد وكتابه حق وفهم الحق منه دان
ورسوله قد أوضح الحق المبـــين بغاية الإيضاح والتبيان
ماثم أوضح من عبارته فلا يحتاج سامعها الى تبيان
والنصح منه فوق كل نصيحة والعلم مأخوذ عن الرحمن
فلأي شيء يعدل الباغي الهدى عن قوله لولا عمى الخذلان؟!
فالنقل عنه مصدق والقول من ذي عصمة ماعندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا من يهتدي هل يستوي النقلان؟!
تالله قد لاح الصباح لمن له عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمايته يقو ل الليل بعد أيستوي الرجلان؟!
تالله قد رفعت لك الأعلام ان كنت المشمر نلت دار أمان
وإذا جنيت وكنت كسلاناً فما حرم الوصول اليه غير جبان
فاقدم وعد بالوصل نفسك واهجر الـمقطوع منه قاطع الانسان
عن نيل مقصده فذاك عدوه ولو انه منه القريب الداني

ذكر الناظم في هذه الأبيات ، أنه لولا التنافس بين هذا الخلق ، لم يوجد التفرق ، وذلك أن الرب سبحانه واحد ، وكتابه واحد ، وفهمه يسير ، والرسول ﷺ قد أوضح الحق بغاية الايضاح ، فلا عبارة أوضح من عبارته ،

ولا نصح فوق نصحه ، وعلمه مأخوذ عن الله تعالى ، فعدول الباغي عن ذلك هو عين الخذلان ، ثم ذكر أن عكس الأمرين عند غيره ، وقد لاح الصباح لذي عينين ، وأخو العماية في عماية جهله ، نعوذ بالله من العمى .

فصل

في تيسير السير الى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين

ياقاعداً سارت به أنفاسه   سير البريد وليس بالذملان

قال في « القاموس » : الذميل كأمير : السير اللين ماكان ، أو فوق العنق ، ذمل يذمِل ويذمُل ذملًا وذمولا ، وذميلا ، وذملاناً . وناقة ذمول ، من ذمل .

حتى متى هذا الرقاد وقد سرى   وفد المحبة مع أولي الاحسان

وحدت بهم عزماتهم نحو العلى   لا حادي الركبان والاظعان

قوله : وحدت بهم عزماتهم الخ . قال في « القاموس » : حدا الإبل حدواً ، وحداء : زجرها وساقها . انتهى .

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها   وسروا فما حنوا الى نعمان

ساروا رويداً ثم جاؤوا أولا   سير الدليل يؤم بالركبان

ساروا باثبات الصفات اليه لا الـ   ـتعطيل والتحريف والنكران

عرفوه بالأوصاف فامتلأت قلو بهمُ له بالحب والإيمان
فتطايرت تلك القلوب اليه بالـــأشواق إذ ملئت من العرفان
وأشدهم حباً له أدراهمُ بصفاته وحقائق القرآن
فالحب يتبع للشعور بحسبه يقوى ويضعف ذاك ذو تبيان
ولذاك كان العارفون صفاته أحبابه هم أهل هذا الشان
ولذاك كان العالمون بربهم أحبابه وبشرعة الإيمان
ولذاك كان المنكرون لها هم الـــأعداء حقاً هم أولو الشنآن
ولذاك كان الجاهلون بذا وذا بغضاءه حقاً ذوي شنآن
وحياة قلب العبد في شيئين من يرزقهما يحيى مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكو ن الحي ذا الرضوان والإحسان
ذكر الإله وحبه من غير اشـــراك به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا ع الطائر المقصوص من طيران
أيحبه من كان ينكر وصفه وعلوه وكلامه بقران
لا والذي حقاً على العرش استوى متكلماً بالوحي والفرقان
الله أكبر ذاك فضل الله يؤ تيه لمن يرضى بلا حسبان
وترى المخلف في الديار تقول ذا إحدى الأثا في خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقــضيه على من شاء من إنسان

وله على هذا وهذا الحمد في الـــأولى وفي الأخرى هما حمدان

حمد لذات الرب جل جلاله وكذاك حمد العدل والإحسان

يامن تعز عليهمُ أرواحهم ويرون غبنا بيعها بهوان

ويرون خسراناً مبيناً بيعها في إثر كل قبيحة ومهان

ويرون ميدان التسابق بارزاً فيتاركون تقحم الميدان

وبرون أنفاس العباد عليهمُ قد أحصيت بالعد والحسبان

ويرون أن أمامهم يوم اللقا لله مسئلتان شاملتان

مـــاذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم من أتى بالحق والبرهان

هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا أيضاً صواباً للجواب يداني

وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمان

يشير إلى الحديث، وهو قوله ﷺ « كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ »

تجريدكم توحيده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان

وكذاك تجريد اتباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان

والله ماينجي الفتى من ربه شيء سوى هذا بلا روغان

يارب جرد عبدك المسكين را جي الفضل منك أضعف العبدان

لم تنسه وذكرته فاجعله لا ينساك أنت بدأت بالإحسان

وبه ختمت فكنت أولى بالجميـــل وبالثناء من الجهول الجاني

فالعبد ليس يضيع بين فواتح وخواتم من فضل ذي الغفران

أنت العليم به وقد أنشأته من تربة هي أضعف الاركان

كل عليها قد علا وهوت الى تحت الجميع بذلة وهوان

وعلت عليها النار حتى ظن أن يعلو عليها الخلق من نيران

وأتى إلى الابوين ظناً أنه سيصيِّر الأبوين تحت دخان

فسعت الى الأبوين رحمتك التي وسعتهما فعلاً بك الأبوان

هذا ونحن بنوهما وحلومنا في جنب حلمهما لدى الميزان

جزء يسير والعدو فواحد لهما وأعدانا بلا حسبان

والضعف مستول علينا من جمـــيع جهاتنا سيماً من الإيمـــان

قـــوله : من تربة هي أضعف الأركان ، أي : إن الانسان مخلوق من تراب .

قوله : أضعف الأركان ، أي : الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .

قوله : وعلت عليها النار الخ . يعني قوله تعـالى عن ابليس اللعين (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢

قوله : هذا ونحن بنوهما الخ . يعني أن عقولنا في جنب عقلهما جزء يسير ، وعدوهما واحد ، وأعداؤنا بلا حسبان .

يارب معذرة اليك فلم يكن قصد العباد ركوب ذا العصيان

لكن نفوس سوّلته وغرها　　هذا العدو لها غرور أمان

فتيقنت يارب أنك واسع الـ　　ـغفران ذو فضل وذو إحسان

ومقالنا ماقاله الأبوان قبـ　　ـل مقالة العبد الظلوم الجاني

نحن الألى ظلموا وإن لم تغفر الـ　　ـذنب العظيم فنحن ذو خسران

يارب فانصرنا على الشيطان ليـ　　ـس لنا به لولا حماك يدان

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذي عينين

والفرق بينكم وبين خصومكم　　من كل وجه ثابت ببيان

ماأنتم منهم ولا هم منكمُ　　شتان بين السعد والدبران

فاذا دعونا للقران دعوتمُ　　للرأي أين الرأي من قرآن

وإذا دعونا للحديث دعوتمُ　　أنتم الى تقليد قول فلان

وكذا تلقينا نصوص نبينا　　بقبولها بالحق والاذعان

من غير تحريف ولا جحد ولا　　تفويض ذي جهل بلا عرفان

لكن باعراض وتجهيل وتأ　　ويل تلقيتم مع النكران

أنكرتموها جهدكم فاذا أتى　　ما لاسبيل له الى نكران

أعرضتم عنه ولم تستنبطوا ... منه هدى لحقائق الإيمان
فاذا ابتليتم مكرهين بسمعها ... فوضتموها لاعلى العرفان
لكن بجهل للذي سيقت له ... تفويض اعراض وجهل معان
فاذا ابتليتم باحتجاج خصومكم ... أوليتموها دفع ذي صولان
فالجحدوالاعراض والتأويل والـ ... ـتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع ... حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ... ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحيين شاهدة لنا ... وعليكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا ... أيضاً فقاضونا الى البرهان
وكذاك فطرة ربنا الرحمن شا ... هدة لنا أيضاً شهود بيان
وكذاك إجماع الصحابة والألى ... تبعوهم بالعلم والاحسان
وكذاك إجماع الأئمة بعدهم ... هذا كلامهم بكل مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم ... من شاهد بالنفي والنكران

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم　　وجنودكم فعساكر الشيطان

وهي قواطع الوحيين ، وأدله المعقول والفطرة ، واجماع الصحابة والتابعين والأئمة .

وخيامنا مضروبة بمشاعر الـ　　ـوحيين من خبر ومن قرآن

وخيامكم مضروبة بالتيه فالسـ　　ـكان كل ملدد حيران

هذي شهادتهم على محصولهم　　عند الممات وقولهم بلسان

يعني الناظم رحمه الله ماتقدم عن بعض المتكلمين أنه قال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، وإلا فالويل لفلان ، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي . وقال آخر : اكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام . وقال آخر عند موته : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يفتقر الى واجب ، ثم قال: الافتقار وصف عدمي، أموت وما علمت شيئاً ،

والله يشهد أنهم أيضاً كذا　　تكفي شهادة ربنا الرحمن

ولنا المسانيد والصحاح وهذه السـ　　ـنن التي نابت عن القرآن

ولكم تصانيف الكلام وهذه الـ　　ـآراء وهي كثيرة الهذيان

شبه يكسر بعضها بعضا كبيـ　　ـت من زجاج خر للأركان

هو مأخوذ من قول القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها　　حقاً وكل كاسر مكسور

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هل ثم شيىء غير رأي أو كلا م باطل أو منطق اليونان

ونقول قال الله قال رسوله في كل تصنيف وكل مكان

لكن تقولوا[1] قال آرسطو وقا ل ابن الخطيب وقال ذو العرفان

ابن الخطيب ، هو الفخر الرازي .

شيخ لكم يدعى ابن سينا لم يكن متقيداً بالدين والإيمان

وخيار ما تأتون قال الاشعري وتشهدون عليه بالبهتان

أي : خيار ماتقولون قال الأشعري : وقد خالفتموه عين المخالفة ، فانه يقول باثبات العلو والاستواء ، ويقول باثبات الصفات الخبرية ، وليس له في ذلك قولان ، ومع ذلك خالفتموه في نفي العلو والصفات ، تعالى الله عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

فالأشعري مقرر لعلو رب العرش فوق جميع ذي الأكوان

في غاية التقرير بالمعقول والـ ـمنقول ثم بفطرة الرحمن

هذا ونحن فتاركوا الآراء للنـ ـقل الصحيح ومحكم الفرقان

لكنكم بالعكس قد صرحتم ووضعتم القانون ذا البهتان

أي : نحن نترك الآراء للنقل الصحيح ، وأنتم صرحتم بالعكس ، وأعددتم لدفع النصوص ضروباً من العدد ، وأنواعاً من القوانين .

والنفي عندكم على التفصيل والـ اثبات إجمالاً بلا نكران

(١) كذا الأصل بحذف النون من (تقولوا) والاصل أن يقول (تقولون) ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

والمثبتون طريقهم نفي على الـــ إجمال والتفصيل بالتبيان
فتدبروا القرآن مع من منكما وشهادة المبعوث بالفرقان
وعرضتم قول الرسول على الذي قال الشيوخ ومحكم القرآن
فالمحكم النصّ الموافق قولهم لا يقبل التأويل في الأذهان
لكنما النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعـــان

أي : إن أهل التأويل عرضوا كتاب الله وسنة رسوله على ما قاله شيوخهم ، وجعلوا النص الموافق لقولهم محكماً لا يقبل التأويل ، أما النص المخالف لقولهم ، فهو عندهم متشابه يحتمل لعدة معان .

وإذ تأدبتم تقولوا[1] مشكل أفواضح ياقوم رأي فلان ؟
والله لو كان الموافق لم يكن متشابهاً متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيو خ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النصين لم نعبأ به شيئاً وقلنا حسبنا النصان

قوله : والله لو كان النص موافقاً لقولكم لم يكن متشابهاً عندكم متأولاً بعدة من التأويلات .

قوله : لكن عرضنا نحن أقـــوال الشيوخ الخ . أي : إن قولنا عكس قولكم ، وذلك أنا عرضنا أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة ، فما وافقها قبلنا ، وما خالفها لم نعبأ به شيئاً ، وقلنا حسبنا كتاب الله وسنة رسوله .

والمشكل القول المخالف عندنا في غاية الاشكال لا التبيان

---

(١) وكذلك حذف النون لضرورة الشعر .

والعزل والابقاء مرجعه الى الـ ... آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه الى ... قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والاسلام عين خلافه ... ووفاقه لاغير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيوخكم ... ووفاقهم فحقيقة الايمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا ... والموعد الرحمن بعد زمان
وهناك يعلم أى حزبينا على الـ ... ـحق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً انما هي ساعة ... فاذا أصبت ففي رضى الرحمن
فالقوم مثلك يألمون ويصبرو ... ن وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

ياطالب الحق المبين ومؤثراً ... علم اليقين وصحة الايمان
اسمع مقالة ناصح خبر الذي ... عندالورى مذ شب حتى الآن
مازال مذ عقدت يداه إزاره ... قد شد مئزرة الى الرحمن
وتخلل الفترات للعزمات امـ ... ـر لازم لطبيعة الانسان
وتولد النقصان من فتراته ... أوليس سائرنا بني النقصان ؟!

طاف المذاهب يبتغي نوراً ليهـديه وينجيه من النيران

وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليـل البهيم ومذهب الحيران

والليـل لايزداد إلا قوة والصبح مقهور بذا السلطان

حتى بدت في سيره نار على طود المدينة مطلع الايمان

فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود منالها بأمان

لولا تداركه الاله بلطفه ولّى على العقبين ذا نكصان

لكن توقف خاضعاً متذللاً مستشعر الافلاس من أثمان

فأتاه جند حل عند قيوده فامتد حينئذ له الباعان

والله لولا ان تحل قيوده وتزول عنه ربقة الشيطان

كان الرقي الى الثريا مصعدا من دون تلك النار في الامكان

فرأى بتلك النار آطام المدينـة كالخيام تشوفها العينان

ورأى على طرقاتها الأعلام قد نصبت لاجل السالك الحيران

ورأى هنالك كل هاد مهتد يدعو الى الإيمان والإيقان

فهناك هنّا نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان

والمستهام على المحبة لم يزل حاشا لذكراكم من النسيان

لو قيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على الأجفان

تالله ان سمح الزمان بقربكم وحللت منكم بالمحل الداني
لأعفرن الخد شكراً في الثرى ولأكحلن بتربكم أجفاني

يخبر الناظم عما حصل له في سيره الى الله جلا وعلا ، وأنه طاف المذاهب
نغي نوراً ليهتدي به ، وينجو به من النيران ، وأنه لم يحصل له في طوافه ذلك الا
لمة والحيرة ، ومع امعانه في ذلك والظلمة تزيد والحيرة تقوى ، حتى بدت
أنوار الهدى من الكتاب والسنة ، وكنى عن ذلك بقوله : حتى بدت له
سيره نار على طود المدينة ، فأتى ليقبسها فلم يمكنه ذلك مع تلك القيود التي
من الانقياد ، فلولا أن الله سبحانه تداركه بلطفه ، لرجع ونكص على
بيه ، فلما جاءه ذلك اللطف الالهي ، انحلت قيوده ، وسار الى الله مقتدياً
نوار الكتاب والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ن رمت تبصر ماذكرت فغض طر فاً عن سوى الآثار والقرآن
اترك رسوم الخلق لا تعبأ بها في السعد ما يغنيك عن دبران
حدّق بقلبك في النصوص كمثل ما قد حدقوا في الرأي طول زمان
ا كحل جفون القلب بالوحيين واحـذر كحلهم يا كثرة العميان
الله بيّن فيهما طرق الهدى لعباده في أحسن التبيان
م يحوج الله الخلائق معهما لخيال فلتان ورأي فلان
الوحي كاف للذي يعنى به شاف لداء جهالة الانسان
تفاوت العلماء في أفهامهم للوحي فوق تفاوت الأبدان

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما الا من الهذيان

قال في « القاموس » حذلق : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده كتحذلق . انتهى .

يعني أن العلم ثلاثة أقسام : أولها : العلم بصفات الرب ، وأفعاله ، وأسمائه . والثاني : علم الأمر والنهي . والثالث : علم المعاد ، والكل في القرآن والسنة . قوله : بسواهما . يعني الكتاب والسنة .

ان قلتم تقريره فمقرر بأتم تقرير من الرحمن
أو قلتم إيضاحه فمبيّن بأتم ايضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي في غاية الايجاز والتبيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
او قلتم نحن التراجم فاقصدوا الـــمعنى بلا شطط ولا نقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم في غاية الانكار والبطلان

ـر قلتم قسنا عليه نظيره   فقياسكم نوعان مختلفان

ـع يخالف نصه فهو المحا   ل وذاك عند الله ذو بطلان

ـكلامنا فيه وليس كلامنا   في غيره أعني القياس الثاني

ـا لا يخالف نصه فالناس قد   عملوا به في سائر الأحيان

ـكنه عند الضرورة لا يصا   ر إليه إلا بعد ذا الفقدان

هذا جواب الشافعي لأحمد   لله درك من امام زمان

والله ما اضطر العباد إليه فيـــما بينهم من حادث بزمان

قال الناظم رحمه الله تعالى في « أعلام الموقعين » بعد أن ذكر أن فتوى
لامام أحمد رحمه الله تعالى تدور على خمسة أصول : الأصل الرابع من أصول
لامام أحمد : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن في الباب شيء
ـدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل،
ـلا المنكر ، ولا ما في رواته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به ،
ـبل الحـــديث الضعيف عنده قسيم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ،
ـلم يكن يقسم ا'ديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح
ـضعيف . والضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا
قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس،
وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة ، فانه
ما منهم أحد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القيـاس ، فقدم أبو حنيفة
حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ،
وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ،
وقدم حديث أكثر الحيض عشرة أيام ، وهو ضعيف باتفـاقهم ، على محض

القياس ، فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر ، وقدم حديث « لا مهر أقل من عشرة دراهم » وأجمعوا على ضعفه ، بل بطلانه ، على محض القياس ، فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة بذل البضع ، فما تراضيا عليه ، جاز قليلاً أو كثيراً . وقدم الشافعي تحريم صيد وج ، مع ضعفه ، على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلدان ، وقدم في أحد قوليه حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن على صلاته » على القياس مع ضعف الخبر وارساله . وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل ، والمنقطع والبلاغات ، وقول الصحابي على القياس ، فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص ، ولا قول الصحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ، عدل الى الأصل الخامس ، وهو القياس فاستعمله للضرورة . وقد قال في كتاب « الخلال » سألت الشافعي عن القياس فقال : انما يصار اليه عند الضرورة . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا رأيت النص عنه ساكتا   فسكوته عفو من الرحمن
وهو المباح اباحة العفو الذي   مافيه من حرج ولا نكران
فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمـــعني وحسن الفهم في القرآن
فهناك تصبح في غنى وكفاية   عن كل ذي رأي وذي حسبان

قال الحافظ ابن رجب في « شرح الأربعين » على قوله ﷺ « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها .. » الحديث . قال : وأما المسكوت عنه فهو مالم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم ، فيكون معفواً

عنه ، لاحرج على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا ، كحديث أبي ثعلبة الخشني وغيره ... الى أن قال : ولكن مما ينبغي أن يعلم أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة ، فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح ، وقد تكون بطريق العموم والشمول ، وقد تكون دلالتـــه بطريق الفحوى والتنبيه ، كما في قوله تعـالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) الاسراء : ٢٣ فان دخول ماهو أعظم من التأفيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى ، ويسمى ذلك معهوم الموافقة ، وقد تكون دلالته بطريق مفهوم المخالفة ، كما في قوله ﷺ « في الغنم السائمة الزكاة » فانه يدل بمفهومه على أنه لازكاة في غير السائمة . وقد أخذ الأكثرون بذلك ، واعتبروا مفهوم المخـــالفة ، وجعلوه حجة . وقد تكون دلالته من المعنى موجوداً في غيره ، فانه يتعدى الحكم الى كل ماوجد في ذلك المعنى عند جمهور العلماء ، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله ، وأمر بالاعتبار به ، فهذا كله مما تعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحريم ، فأما ماانتفى فيه ذلك كله ، فهنا يستدل بعدم ذكره بإيجاب أو تحريم ، على أنه معفو عنه . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومقدرات الذهن لم يضمن لنا   تبيانها بالنص والقرآن

وهي التي فيها اعتراك الرأي من   تحت العجاج وجولة الأذهان

لكن هنا أمران لو تما لما احـــتجنا إليه فحبذا الأمران

جمع النصوص وفهم معناها المرا   د بلفظها والفهم مرتبتان

احداهما مدلول ذاك اللفظ وضـــعاً أو لزوماً ثم هذا الثاني

فيه تفاوتت الفهوم تفـاوتاً لم ينضبط أبداً له طرفـان

فالشيء يلزمه لوازم جمة عند الخبير به وذي العرفان

فبقدر ذاك الخبر يحصى من لوا زمه وهذا واضح التبيان

قوله : ومقدرات الذهن الخ . أي : إن الأمور التي تقدرها الأذهـان كثيرة ، ولكن لم يضمن لنا تبيانها بالكتاب والسنة .

قوله : لكن هنا أمران الخ . أي : إن هذين الأمرين ، وهما جمـــع النصوص ، وفهم معناها ، لو تما لنا لم نحتج الى الرأي .

قوله : والفهم مرتبتان إحداهما مدلول ذاك اللفظ الخ . أي : فهم مدلول اللفظ مطابقة أو لزوماً .

قوله : ثم هذا الثاني ، وهو اللزوم ، فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لا ينضبط

ولذاك من عرف الكتاب حقيقة عرف الوجود جميعه ببيـان

وكذاك يعرف جملة الشرع الذي يحتاجه الانسان كل زمان

علماً بتفصيل وعلماً مجمـــلاً تفصيله أيضاً بوحي ثان

وكلاهما وحيـان قد ضمنا لنـا أعلى العلوم بغـــاية التبيـــان

ولذاك يعرف من صفات الله والـــأفعال والأسماء ذي الإحسان

ماليس يعرف من كتاب غيره أبداً ولا ماقالت الثقلان

وكذاك يعرف من صفات البعث بالـــتفصيل والاجمـــال في القرآن

مايجعل اليوم العظيم مشاهداً بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذاك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخـلوقة مربوبة ببيـان
وكذاك يعرف ماالذي فيها من الـحاجات والاعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه وصفاته أيضاً بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لهـا إن كنت ذا علم وذا عرفـان
بالضد والأولى كذا بالامتنا ع لعلمنا بالنفس والرحمـن
فالضد معرفة الإله بضد مـا في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

قوله : بالضد . أي : إنه سبحانه ينزه عن العيب والنقصان ، إذ ضدها السلامة من العيوب والنقائص ، تعالى الله وتقدس .

قوله : والأولى الخ . بفتح الهمزة أي: إنما يستعمل في حق الرب تعالى قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ، فالرب سبحانه أولى به ، لأنه معطيه وواهبه ، وواهب الكمال أولى بالكمال ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزه عنه .

قـوله : بالامتناع الخ . أي بأن يقال : هذه صفة نقص ، فتمتنع على الله سبحانه .

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بتجـــريد التلقي عنهما لمعان
وكذاك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ الى الأذقـان
وكذاك مشروط بهدم قواعد ماأنزلت ببيانها الوحيان
وكذاك مشروط باقدام على الـــآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لاتعبأ بهـــا شيئاً إذا مافاتها النصان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى شروط كفاية النصين ، وهي ثلاثة: أحدها : تجريدالتلقي عن الكتاب والسنة ، وعدم الالتفات الى غيرهما ، واتباعهما وترك ماسواهما . الثاني : خلع القيود التي توهن الانقياد كما قال شيخ الاسلام في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لايعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، ولايحملا على علة توهن الانقياد ، وذلك بأن يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلاً ماأمر به ، سواء ظهرت له حكمته أولم تظهر ، فان ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حمله ذلك على مزيد الانقياد ، والبذل والتسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين الى التصوف . الثالث : هدم القواعد المؤسسة على الفساد ، والبطلان ، والأمور التي ماأنزل الله بها من سلطان ، العارية عن الدليل والبرهان .

لولا القواعد والقيود وهذه الـ آراء لاتسعت عرى الايمان
لكنها والله ضيقت العرى فاحتاجت الايدي لذاك توان
وتعطلت من أجلها والله أعـداد من النصين ذات بيان
وتضمنت تقييد مطلقها واطـلاق المقيد وهو ذو ميزان
وتضمنت تخصيص ماعمته والـتعميم للمخصوص بالاعيان
وتضمنت تفريق ماجمعت وجمـعاً للذي وسمته بالفرقان
وتضمنت تضييق ماقد وسعـته وعكسه فلتنظر الأمران
وتضمنت تحليل ماقد حرمتـه وعكسه فلتنظر النوعان
سكتت وكان سكوتها عفواً فلم تعف القواعد باتساع بطان
وتضمنت إهدار مااعتبرت كذا بالعكس والامران محذوران
وتضمنت ايضاً شروطاً لم تكن مشروطة شرعاً بلا برهان
وتضمنت أيضاً موانع لم تكن ممنوعة شرعاً بلا تبيان
إلا بأقيسة وآراء وتقلـليد بلا علم ولا استحسان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي وضعوها ، والقيود التي قيدوا بها الكتاب والسنة ، والآراء التي خالفوا بها الكتاب والسنة ، فذكر أنه تعطلت من أجلها أعداد من النصين ، وتضمنت تقييد المطلق ، وإطلاق المقيد ، وتخصيص العموم ، وتعميم المخصوص ، وتفريق ماجمعت النصوص بينه ، وجمع مافرقت بينه ، وتضييق ماوسعته

وعكسه ، وتحليل ماحرمته ، وتحريم ماخللته ، وغير ذلك مما ذكره الناظم .

عمن أتت هذي القواعد من جميـ ـع الصحب والاتباع بالاحسان
ماأسسوا إلا اتباع نبيهم لاعقل فلتان ورأي فلان

قال في « القاموس » وفلتات المجلس ، هفواته وزلاته .

بل أنكروا الآراء نصحاً منهم لله والداعي وللقرآن
أو ليس في خلف بها وتناقض مادل ذالب وذا عرفان ؟!
والله لوكانت من الرحمن ماا خـ ـتلفت ولا انتقضت مدى الازمان
شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وقد سقطت على صفوان
والله لايرضى بها ذو همة علياء طالبة لهذا الشان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أن هذه القواعد لم تأت عن أحد من الصحابة وتابعيهم باحسان ، وأن القوم ماأسسوا الا اتباع نبيهم ﷺ ، ولم يؤسسوا اتباع عقل فلان ، ورأي فلتان .

قوله : والله لو كانت من الرحمن الخ . هذا مأخوذ من قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ فالدليل على أن هذه الآراء والقواعد من عند غير الله ، كثرة اختلافها ، وتناقضها ، فلو كانت من عند الله لم تختلف ، ولم تنتقض الى آخر الدهر ، ولكنها كما قـال القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكلٌ كاسر مكسور

قـال الناظم :

فمثالها والله في قلب الفتى وثباتها في منبت الايمان

كالزرع ينبت حوله دغل فيمـــنعه النما فتراه ذا نقصان

وكذلك الايمان في قلب الفتى غرس من الرحمن في الانسان

والنفس تنبت حوله الشهوات والـــشبهات وهي كثيرة الأفنان

فيعود ذاك الغرس يْبساذاوياً أو ناقص الثمرات كل أوان

فتراه يحرث دائباً ومغله نزر وذا من أعظم الخسران

والله لو نكش النبات وكان ذا بصر لذاك الشوك والسعدان

لأتى كأمثال الجبال مغله ولكان أضعافاً بلا حسبان

قـــوله : نزر . أي : قليل . قال في « القاموس » النزر القليل ، كالنزير ، والمنزور .

قوله : نكش . قال في « القاموس » نكش الركية ، ينكشها ، وينكشها : أخرج مافيها من الحمأة والطين ، كانتكشها ، والشيء أفناه ، ومنه فرغ .

فصل

هذا وليس الطعن بالاطلاق فيـــها كلها فعل الجهول الجاني

بل في التي قد خالفت قول الرسو ل ومحكم الايمان والفرقان

أو في التي ماأنزل الرحمن في تقريرها ياقوم من سلطان

فهي التي كم عطلت من سـنّة بل عطلت من محكم القرآن

هذا ونرجو أن واضعها فلا يعدوه أجرأو له أجران
اذ قال مبلغ علمه من غير ايـــجاب القبول له على انسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه نصاً بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصو ص عليه من خبر ومن قرآن
نصح العباد بذا وخلّص نفسه عند السؤال لها من الديان
والخوف كل الخوف فهو على الذي ترك النصوص لأجل قول فلان
وإذا بغى الاحسان أوّلها بما لو قاله خصم له ذو شان
لرماه بالداء العضال منادياً بفساد ماقد قاله بأذان

ولما خشي الناظم رحمه الله تعالى من بعض الجهال أن يتوهم ذم الرأي مطلقاً ، دفع ذلك بقوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها الخ . أشار الى أن الرأي نوعان : مذموم ، ومحمود، فالمذموم : ماخالف الكتاب والسنة، والمحمود : ماوافق الكتاب والسنة ، وقد بسط الكلام في ذلك بسطاً مستوفى في أول كتاب « اعلام الموقعين » وهذا معنى قوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها ؛ أي : لايطعن فيها كلها وانما يطعن فيما خالف الكتاب والسنة فقط .

قوله : هذا ونرجو أن واضعها الخ ؛ أي : نرجو أن المجتهد إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، كما صح في « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

قوله : إذ قال مبلغ علمه الخ ؛ أي : إن الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا بمبلغ علمهم ، ونهوا الناس عن قبول كلامهم إذا خالف النصوص ، وأوصوا بتقديم النصوص عليه ، كالامام أحمد ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فرحمة الله عليهم ، فلقد نصحوا العباد ، وخلصوا أنفسهم عند سؤال الرب تعالى لهم يوم القيامة.

قوله : والخوف كل الخوف الخ ؛ أي : ان الخوف العظيم ، والخطر الشديد على الذين تركوا النصوص لأجل قول فلان وفلان ، واذا أرادوا الاحسان أولوها بالتأويلات الباطلة ، وحملوها على الاحتمالات البعيدة ، ومع ذلك لو قال ذلك خصمهم في تأويل كلام مشايخهم ، ومن يرضونه ، رموه بالداء العضال ، ونادوا على فساد ماقاله .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب ام لا ؟

ولوازم المعنى تراد بذكره ... من عارف بلزومها الحقان

وسواه ليس بلازم في حقه ... قصد اللوازم وهي ذات بيان

اذ قد يكون لزومها المجهول أو ... قد كان يعلمه بلا نكران

لكن عرته غفلة بلزومها ... اذ كان ذا سهو وذا نسيان

ولذاك لم يك لازماً لمذاهب الـ ... ـعلماء مذهبهم بلا برهان

ذكر الناظم في هذا الفصل أن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : ولوازم المعنى الخ ؛ أي : إن لوازم المعنى تراد من عارف بلزومها ، وأما سواه ، فليس ذلك بلازم في حقه ، اذ قد يكون جاهلاً لزومها ، أو يكون عالماً به ، ولكن عرته ؛ أي : حصل له سهو ونسيان فلذاك : لازم المذهب ليس بمذهب .

قال شيخ الاسلام في جواب له : وأما قول السائل : هل لازم المذهب مذهباً ، أم ليس بمذهب ؟ فالصواب : أن لازم مذهب الانسان ليس بمذهب له ، اذا لم يلتزمه ، فانه اذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت إضافته اليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ، غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر والمحال ، فالذين قالوا بأقوال يلزمها أقوال ، يعلم أنه لايلتزمها ، لكن لم يعلم أنها تلزمه ، ولو كان لازم المذهب مذهباً ، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة ، فان لازم هذا القول يقتضي أن لايكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة . انتهى .

فالمقدمون على حكاية ذاك مذ ... هبهم أولو جهل مع العدوان

لافرق بين ظهوره وخفائه ... قد يذهلون عن اللزوم الداني

سيما إذا ما كان ليس بلازم ... لاكن يظن لزومه بجنان

لاتشهدوا بالزور ويحكم على ... ماتلزمون شهادة البطلان

بخلاف لازم مايقول آلهنا ... ونبينا المعصوم بالبرهان

فلذادلالات النصوص جلية ... وخفية تخفى على الأذهان

والله يرزق من يشاء الفهم في آياته رزقاً بلا حسبان

ولما ذكر الناظم رحمه الله أن المذهب ليس بمذهب ، شرع في ذكر ماألزمه أهل التعطيل أهل الاثبات ، فقال :

واحذر حكايات لأرباب الكلا م عن الخصوم كثيرة الهذيان

فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لوا ذاك مذهبهم بلا برهان

كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان

فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو لهمُ بأن الله ذو جثمان

وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله ليس يرى لنا بعيان

وحكى المعطل أنهم قالوا يجو ز كلامه من غير قصد معان

وحكى المعطل أنهم قالوا بتحـــيز الاله وحصره بمكان

وحكى المعطل أنهم قالوا اله الـ أعضاء جل الله عن بهتان

وحكى المعطل أن مذهبهم هو الـ ـتشبيه للخلاق بالانسان

وحكى المعطل عنهم ما لم يقو لوه ولا أشياخهم بلسان

ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان

فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها متحقق البطلان

ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتمام ذاك شهادة الكفران

حاصل هذه الأبيات أن الناظم رحمه الله يحكي أشياء مما ألزم بها أهل التعطيل أهل الاثبات ، فحكت المعطلة عن المثبتة أنهم يقولون : إن الله

تعالى وتقدس جسم ، وحكوا عنهم أن مذهبهم أن الله لايرى في الآخرة ، كما قال الفخر الرازي في « المعالم » أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى . وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والمجسمة ذلك ، ثم قال : أما إنكار الفلاسفة والمعتزلة ، فظاهر ، وأما انكار الكرامية والحنابلة ، فلأنهم أطبقوا على أن الله تعالى لو لم يكن جسما في مكان ، امتنعت رؤيته . انتهى .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري في كتابه « غاية السول في علم الأصول » بعد أن حكى كلام الرازي هذا ، وماأدري أي الأمرين أسرع الى فضيحته ، نقله أو تقريره ؟ أما نقله ، فلأن الحنابلة لايختلف أولهم وآخرهم في أن المنكر لرؤية الله تعالى ، جاحد لكتابه ، وسنة رسوله ، واجماع اهل النقل ، وأما تقريره ، فلأن قوله : أطبقوا على أنه لو لم يكن جسما في مكان ، لامتنعت رؤيته ، إنما هو استدلال يقتضي اثبات الجسم ، بدليل صحة الرؤية ، لأن التقدير يكون : لولم يكن جسما ، لامتنعت رؤيته ، فيكون جسماً ، فمثل هذا لايخفى على الفخر الرازي ، وانما هو الهوى إذا غلب أعمى وأصم ، فان كل لبيب يعلم من كلام هذا الرجل ، أن في قلبه من الحنابلة داء لادواء له ، فانه أولاً أخرجهم عن أهل السنة ، فتراه يرى السنة ماابتدعه في دين الاسلام والشرعة المحمدية ، من المباحث الكلامية ، والشبه العقلية ، والآراء الفيلسوفية ، فحكم على من لايقوم مقامهم بأنهم ليسوا من أهل السنة . وثانياً أطلق عليهم اسم التجسيم ، والتجسيم لايعتقده مسلم ، وأطال الفزاري الكلام . قوله : وحكى المعطلة عنهم أنهم قالوا : يجوز كلامه من غير قصد معان . أقول : قال ابن السبكي في « جمع الجوامع » ولا يجوز ورود مالا معنى له في الكتاب والسنة ، خلافاً للحشوية . قال

المحلي في شرحه : أي في تجويزهم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، قالوا : لوجوده فيه ، كالحروف المقطعة في أوائل السور. انتهى .قال بعض محشيه : وقد اضطرب القائلون بهذا في معنى هذا . فقال الزركشي ، والكوراني: إن أحداً لم يقل: ان في القرآن مالا معنى له . وقال الآمدي : لايتصور اشتمال القرآن الكريم على مالا معنى له أصلاً ، وقد استدلت الحشوية أيضاً بآية (وما يعلم تأويله الا الله) آل عمران : ٧ بالوقف، فقالوا : الكون المتشابه غير معلوم لنا ، فقد خاطبنا الله بما لانفهمه ، وهو المهمل ،نقله الجخندي . ومعلوم أن فواتح السور والآيات المتشابهات ، وان فهم لها معنى صحيح ، إلا أنه غير مقطوع بأنه مراد قائله تعالى ،ولذلك سلك كثير من المفسرين هذا، حيث قالوا في الفواتح : والله أعلم بمراده . ولما رأى الحشوية أن مثل هذا غير مفهوم منه مراد قائله ، نفوا المعنى عنه أصلاً ، وقالوا : إنه لامعنى له ، لابمعنى أنه غير موضوع ، بل بمعنى ماذكرنا ، هذا ما في وسعي من توجيه هذا الكلام الذي اضطربت فيه الأفهام ، ولم أر لأحد ممن كتب هنا كلاماً شافياً . انتهى كلامه .

وحكت المعطلة عنهم أنهم قالوا بجواز ورود مالا معنى له في القرآن وأنهم يقولون بتحيز الله وحصره . وحكى المعطلة أنهم قالوا :له أعضاء، وأنهم شبهوا الله تعالى بخلقه . وحكت المعطلة عنهم غير هذا ، مما لم يقولوه، ولم تقله أشياخهم ، والأمر كما قال الناظم : إن المعطلة ظنوا أن هذا لازماً لقولهم ، فحكوه عنهم ، وكذبوا عليهم ، واعتدوا ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ولهذا قال الناظم : فعليه ؛ أي : على المعطل في نسبة ذلك الى أهل الاثبات ، معاذير ثلاث ، وكلها باطلة : الأول : ظن اللزوم ، والثاني قذفهم بلزومه . والثالث : شهادته عليهم بالكفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياشاهداً بالزور ويحك لم تخف ... يوم الشهادة سطوة الديان
ياقائل البهتان غط لوازما ... قد قلت ملزوماتها بلسان
والله لازمها انتفاء الذات والـ ... أوصاف والأفعال للرحمن
والله لازمها انتفاء الدين والـ ... قرآن والاسلام والايمان
ولزوم ذلك بيّن جداً لمن ... كانت له أذنان واعيتان
والله لولا ضيق هذا النظم بيـ ... ـنت اللزوم بأوضح التبيان
ولقد تقدم منه مايكفي لمن ... كانت له عينان ناظرتان
إن الذكي ببعض ذلك يكتفي ... وأخو البلادة ساكن الجبّان

شرع الناظم في بيان اللوازم التي تلزم المعطلة ، ويلزم منها انتفاء ذاته تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، بل يلزم منها انتفاء الدين ، والاسلام ، والقرآن وقد تقدم مايعرف من ذلك في غضون هذا النظم .

قوله : ساكن الجبان . الجبان ، والجبانة : مشددتين : المقبرة ، والصحراء ، قاله في « القاموس » :

قال الناظم :

ياقومنا اعتبروا بجهل شيوخكم ... بحقائق الايمان والقرآن
أو ماسمعتم قول أفضل وقته ... فيكم مقالة جاهل فتان
إن السموات العلى والأرض قبـ ... ـل العرش بالاجماع مخلوقان؟!
والله ماهذي مقالة عالم ... فضلاً عن الاجماع كل زمان

من قال ذا قد خالف الاجماع والـــخبر الصحيح وظاهر القرآن

فانظر الى ماجرّه تأويل لفـــظ الإستواء بظاهر البطلان

زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان

كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن

فأصاره هذا إلى أن قال خلـــق العرش بعد جميع ذي الاكوان

يهنيه تكذيب الرسول له وإجـــماع الهداة ومحكم الفرقان

لم أقف على تعيين قائل هذا القول ، ومعنى ذلك أن هذا القائل الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالاجماع ، واعجب لهذا الجهل العظيم ، ومخالفة الاجماع ، والخبر الصحيح ، وظاهر القرآن . وذلك أن للسلف قولين في أول المخلوقات ، ما هو؟ أحدهما : أن العرش أول المخلوقات والثاني : أن القلم هو أول المخلوقات ، فكان في هذا إجماع السلف ، على أن المخلوقات العرش أو القلم ، وهذا الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش ، فخرق الاجماع . والخبر الصحيح الذي أشار اليه هو مارواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »

وقول الناظم : زعم المعطلة أن تأويل استوى بالخلق والاقبال ؛ أي : إن المعطل زعم أن تفسير الاستواء بالاقبال يتضمن . أن الأرض والسموات مخلوقان قبل العرش ، وهذا غاية الجهل

قوله : قول المعطل : ان تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان ، أي :

زعم أن تأويل الاستواء بقولهم : أقبل على خلق السماء ، هو المعروف في لغة العرب ، وليس كذلك ، واذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ، فكيف يكون استواؤه عمده الى خلقه له ؟ ! لو كان هذا يعرف في اللغة أن الاستواء على كذا ، بمعنى أنه عمد الى فعله ، وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا نثر ، ومن قال : استوى بمعنى عمد ، ذكره في قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فصلت : ١١ لأنه عدى بحرف الغاية كما يقال : عمدت الى كذا ، ولا قصدت عليه ، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ، ولا هو قول أحد من مفسري السلف ، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ، وانما هذا القول وأمثاله ابتدع في الاسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بمشيئته وقدرته واختياره ، فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك ، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما يوافق أقاويلهم ، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف ، فلا ، بل أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب ، لا يعرف لهم فيه قولان ، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات ، وان اختلفت عباراتهم ، فمقصودهم واحد ، وهو اثبات علو الله على العرش . ثم قال الناظم على سبيل التهكم : يهنيه تكذيب الرسول له واجماع الهداة ومحكم الفرقان .

فصل

في الرد عليهم تكفيرهم أهل العلم والايمان وذكر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن

إذ خالفوا رأياً له رأي ينا قضه لأجل النص والبرهان

وجعلتم التكفير عين خلافكم ووفاقكم فحقيقة الايمان

فوفاقكم ميزان دين الله لا من جاء بالبرهان والفرقان

ميزانكم ميزان باغ جاهل والعول كل العول في الميزان

أهون به ميزان جور عائل بيد المطفف ويل ذا الوزان

لو كان ثم حيا وأدنى مسكة من دين أو علم ومن ايمان

لم تجعلوا آراءكم ميزان كفـــر الناس بالبهتان والعدوان

هبكم تأولتم وساغ لكم أيكـــفر من يخالفكم بلا برهان

هذي الوقاحة والجراءة والجها لة ويحكم يافرقة الطغيان

الله أكبر ذا عقوبة تارك الـــوحيين للآراء والهذيان

أي : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث، إذ خالفوا آراء الرجال للنصوص ، فجعلتم الكفر والايمان لأجل خلافكم ووفاقكم ، فعلى هذا

فالميزان وفاقكم ، فمن وافقكم شهدتم له بالايمان ، ومن خالفكم شهدتم عليه بالكفران، ووفاقكم فحقيقة الايمان، مبتدأ وخبر ووفاقكم مبتدأ، وحقيقته خبره.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكننا نأتي بحكم عادل ... فيكم لأجل مخافة الرحمن

فاسمع إذاً يامنصفاً حكيمها ... وانظر إذاً هل يستوي الحكمان

هم عندنا قسمان أهل جهالة ... وذوو العناء وذانك القسمان

جمع وفرق بين نوعين هما ... في بدعة لاشك يجتمعان

وذوو العناد فأهل كفر ظاهر ... والجاهلون فانهم نوعان

متمكنون من الهدى والعلم بالـ ... أسباب ذات اليسر والامكان

لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا ... واستسهلوا التقليد كالعميان

لم يبذلوا المقدور في إدراكهم ... للحق تهويناً بهذا الشان

فهم الألى لاشك في تفسيقهم ... والكفر فيه عندنا قولان

والوقف عندي فيهم لست الذي ... بالكفر أنعتهم ولا الايمان

والله أعلم بالبطانة منهم ... ولنا ظهارة حلة الاعلان

لكنهم مستوجبون عقابه ... قطعاً لأجل البغي والعدوان

هبكم عذرتم بالجهالة إنكم ... لن تعذروا بالظلم والطغيان

والطعن في قول الرسول ودينه ... وشهادة بالزور والبهتان

وكذلك استحلال قتل مخالفيـــكم قتل ذي الاشراك والكفران
ان الخوارج ماأحلوا قتلهم الا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتمُ قول الرسول وحكمه فيهم وذلك واضح التبيان
لكنكم أنتم أبحتم قتلهم بوفاق سنته مع القرآن
والله مازادوا النقير عليهما لكن بتقرير مع الإيمان
فبحق من قد خصكم بالعلم والـــتحقيق والانصاف والعرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالذي قال الرسول فأوضحوا ببيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بل يدعون أهل عبادة الأوثان
هذا وليسوا أهل تعطيل ولا عزل النصوص الحق بالبرهان

حاصل كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي بعده ، تقسيم أهل الجهل والتعطيل الى قسمين : أهل عناد ، وجهال ، ثم قسم الجهال الى قسمين : القسم الأول : متمكنون من الهدى والعلم بالاسباب المتيسرة ، ولكن أخلدوا الى الجهالة ، واستسهلوا التقليد . والقسم الثاني : من الجهال أهل عجز عن بلوغ الحق ، مع حسن قصد وايمان بالله ورسوله ، ولقائه . ثم قال : وهم اذا ميزتهم حزبان : الأول : قوم أحسنوا الظن بما قالته الأشياخ وأهل الديانة عندهم ، ولم يجدوا سوى أقوالهم ، فرضوا بها . والضرب الثاني من هؤلاء : فطالبوا الحق ، لكن صدهم عن علمه أنهم طلبوا الحقائق من سوى أبوابها ، وسلكوا طرقاً غير موصلة الى اليقين ، فتشابهت الطرق عليهم ، وصاروا حيارى . فاما القسم الأول وهم أهل العناد والعياذ بالله ، فحكم بكفرهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله في هذا النظم :

فالكفر ليس سوى العناد وردما قال الرسول لأجل قول فلان

وأما القسم الأول من الجهال . وهم المتمكنون من الهدى والعلم ، ولكنهم أخلدوا الى التقليد ، ولم يبذلوا وسعهم في طلب الحق ، فهؤلاء حكم الناظم بفسقهم . وأما الكفر ففيه قولان ، واختار الوقف ، وأما القسم الثاني : وهم أهل العجز عن بلوغ الحق مع ايمانهم بالله ورسوله ، ولكنهم قلدوا المشايخ وأهل الديانة ، وقال فيهم الناظم :

فأولاء معذورون إن لم يظلموا ويكفّروا بالجهل والعدوان

أي : إنهم وان عذروا بالجهالة ، فهم غير معذورين بالظلم والطغيان والطعن في قول الرسول ودينه ، والشهادة بالزور والبهتان ، واستحلال قتل مخالفيهم من المثبتة الذين أثبتوا ماأثبته الله ورسوله من الصفات ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ودعوى أنهم أهل شرك وكفر ، فان الخوارج لم يحل قتالهم الا لما ارتكبوه من العصيان ، واستحلال قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن عليهم ، مع عبادتهم العظيمة ، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم » وقد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه ، كما قاله الأمام أحمد وغيره . فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قدحكم بقتل الخوارج مع عبادتهم العظيمة ، فأنتم أيها الجهال المقلدة إذااستحللتم دماء المثبتة أحق من الخوارج بالقتل . والقسم الثاني من هذا القسم ،فهم الذين طلبوا الحق ،لكن من غير طرقه ، وغلب عليهم الشك والحيرة والوقف ، من غير شك في الله أو دينه ، أو كتابه ، ولقائه . فقال :

فاؤلاء بين الذنب والأجرين أو احداهما أو واسع الغفران

هذا حاصل ماذكره في هذا الفصل ، قسمهم الى أربعة أقسام ، وقد

ذكر الناظم في « شرح منازل السائرين » في ذكر أجناس مايتـاب منه ، وهي اثنا عشر جنساً : أربعة مذكورة في كتاب الله عز وجل . الأول : الكفر . والثاني : الشرك . فأنواع الكفر خمسة : كفر تكذيب ، و كفر استكبار وإباء مع التصديق ، و كفر اعراض ، وكفر شك، و كفر نفاق. وبين هذه الأنواع ، ثم قال: وأما الشرك الأكبر فهو نوعان ، ثم بين ذلك بأحسن بيان .

وقـــال شيخ الاسلام في رده على ابن البكري : فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للانسـان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليـك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، و كذلك التكفير حق لله تعـالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . وأيضاً فان تكفير الشخص المعين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ... الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال .

وقال شيخ الاسلام أيضاً في كلام له بعد كلام سبق: وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال : من قـال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد ، فان الله يقول : (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النساء : ١٠ فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن

الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنـار ، لجواز أن لايلحقه الوعيد ، لفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لايكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، ونحو ذلك ، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، أو لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، أو لم يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فان الله يغفر له خطأه كائناً ما كان ، سواء في المسائل النظرية أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وجماهير أئمة الاسلام .

وقال رحمه الله تعالى في بعض أجوبته : فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ؛ ومن ممادح أهل العلم يخطؤون ولا يكفرون ، وسبب ذلك أن أحدهم يظن ماليس بكفر كفراً ، وقد يكون كفراً ، لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ، وسب للخالق ، والآخر لم يتبين له ذلك ، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ، أن يكفر من لم يعلم بحاله . قال : واذا كان ـ يعني الامام أحمد ـ رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله تعالى وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وكان رضي الله عنه قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة قولهم وأمرهم ، وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فان الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، وان الله لايرى في الآخرة، وغير ذلك من تعطيل أسمائه وصفاته ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويمتحنونهم

ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ، ويكفرون من لم يجبهم ، حتى إنهم كانوا إذا قيدوا الأسير لايطلقونه حتى يقر بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، ولا يولون مستول ، ولا يرزقون من بيت المال الا من يقول ذلك ، ومع هذا فالامام أحمد ترحم عليهم ، واستغفر لهم ، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يكذبون الرسول ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا فأخطؤوا ، وقلدوا من قال ذلك ، وكذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال : القرآن مخلوق ، كفرت بالله العظيم ، فبين بذلك أن هذا القول كفر ، لم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها ، ولو اعتقد أنه مرتد لسعي في قتله . وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء ، والصلاة خلفهم ، وكذلك قال الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد في القدري : إن جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وان جحدوه كفروا . وسئل الامام أحمد عن القدري : هل يكفر ؟ فقال : إن جحد العلم كفر ، حينئذ فجاحده من جنس الجهمية ، وأما قتل الداعية للبدع ، فقد يقتل لكف ضرره على الناس ، كما يقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافراً ، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون قتله لردته ، وعلى هذا يكون قتل غيلان القدري وغيره من أهل البدع قد يكون على هذا الوجه . انتهى كلامه .

وقال رحمه الله تعالى بعد كلام سبق في ذكر ماعليه كثير من النـاس من الكفر والخروج عن الاسلام ، قـال : وهذا كثير غالب ، لاسيما في الأعصار والامصار التي تغلب فيها الجـاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجهل ، والظلم ، والكذب ، والكفر ، والنـفاق ، والضلال ، ما لايتسع لذكره المقال . واذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقـال : إنه

فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الاسلام ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين أو غيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معادات اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون . . . الى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ، كما صنف الرازي كتابه في « عبادة الكواكب » وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ، ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد الى الاسلام . انتهى[1] .

فانظر الى تفريقه بين المقالات الخفية ، والأمور الظاهرة . فقال في المقالات الخفية التي هي كفر : قد يقال : إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلا ، كاستحلال محرم ، أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالأمور الخفية جهلا ، كالجهل ببعض الصفات ، فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً ، وان كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال .

وقوله : عندي . يبين أن عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه ، لكنه اختياري ، وقوله في هذه المسألة خلاف المشهور في المذهب ، فان الصحيح من

---

(١) لم يخرج من الاسلام حتى يكون قد عاد اليه ، وإن كان له أخطاء .

المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن ، أو نفي الرؤيه ، أو الرفض ، ونحو ذلك ، وتفسيق المقلد .

قــال الشيخ مجد الدين ابن تيمية رحمه الله : الصحيح أن كل بدعة كفرنافيها الداعية، فانانفسق المقلدفيها ، كمن يقول في خلق القرآن ، أو ان علم الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة ، أو أنه لا يرى في الآخرة، أو يسب الصحابة تديناً ، أو يقول : إن الإيمان مجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان في شيء من هذه البدع يدعو اليه ، ويناظر عليه ، فهو محكوم بكفره . نص أحمد على ذلك في مواضع . انتهى .

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ رحمه الله يختار عدم كفرهم ، ويفسقون عنده ، ونحوه قول الناظم : فانه قال : وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويحرمون مـاحرم الله ، ويوجبون ماأوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلًا وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كالخوارج المارقة ، وكثير من الروافض ، والقدرية ، والمعتزلة ، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة التجهم . وأما غلاة الجهمية ، فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباينون للملة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو غ الحق مع قصد ومع ايمان

بالله ثم رسوله ولقائه وهمُ اذا ميزتهم ضربان

قوم دهاهم حسن ظنهم بما قالته أشياخ ذوو أسنان

وديانة في الناس لم يجدوا سوى أقوالهم فرضوا بها بأَمان

لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا بدلاً به من قائل البهتان

فأُولاء معذورون ان لم يظلموا ويكفروا بالجهل والعدوان

والآخرون فطالبون الحق لـــكن صدهم عن علمه شيئان

مع بحثهم ومصنفات قصدهم منها وصولهمُ الى العرفان

احداهما طلب الحقائق من سوى أبوابها متسوري الجدران

وسلوك طرق غير موصلة الى درك اليقين ومطلع الإيمان

فتشابهت تلك الأمور عليهمُ مثل اشتباه الطرق بالحيران

فترى أفاضلهم حيارى كلها في التيه يقرع ناجذ الندمان

ويقول قد كثرت عليّ الطرق لا أُدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات بها الـــآفات حاصلة بلا حسبان
فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامة الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر الى أحكامهم فينا لأجـــل خلافهم اذ قاده الوحيان
هل يستوي الحكمان عند الله أو عند الرسول وعند ذي الإيمان
الكفر حق الله ثم رسوله بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده قد كفراه فذاك ذو الكفران
فهلم ويحكمُ نحاكمكم الى النـــصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزبينا على الـــكفران حقاً أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حكمت باســلام وإيمان له النصان
لكنَّ غايته كفاية من سوى الـــمعصوم غاية نوع ذا الإحسان
فيصير الأجرين أجراً واحداً إن فاته من أجله الكفلان
ان كان ذاك مكفر ياأمة الـــعدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأُجرين والـــتكفير بالدعوى بلا برهان
كفّرتمُ والله من شهد الرسولـــ بأنه حقاً على الإيمان

ثنتان من قبل الرسول وخصلة　　　من　عندكم أفأنتما عدلان ؟!

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

كم ذا التلاعب منكم بالدين والـ　　ـإيمان مثل تلاعب الصبيان

خسفت قلوبكم كما كسفت عـ　　ـقولكم فلا تزكوا على القرآن

كم ذا تقولوا مجمل ومفصل　　وظواهر عزلت عن الإيقان

حتى اذا رأي الرجال أتاكم　　فاسمع لما يوحى بلا برهان

يقول الناظم رحمه الله : إنكم معاشر المخالفين للكتاب والسنة ، تلاعبتم بالدين ، كتلاعب الصبيان ، فاذا احتج أهل الاثبات بنصوص الوحيين تحيلتم في ردها بأنواع الحيل ، فتارة بدعوة الاجمال ، وتارة بالتأويل ، وتارة بقولكم : ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك ، فاذا جاءت آراء الرجال نزلوها منزلة النصوص ، ثم ضرب لهم مثلاً بقوله :

مثل الخفافيش التي ان جاءها　　ضوء النها ففي كوى الحيطان

عميت عن الشمس المنيرة لاتـ　　ـطيق هداية فيها الى الطيران

حتى إذا ما الليل جاء ظلامه　　جالت بظلمته بكل مكان

فترى الموحد حين يسمع قولهم　　ويراهم في محنة وهوان

وارحمتاه لعينه ولأذنه يامحنة العينين والأذنان

قوله : مثل الخفافيش الخ . قال في « القاموس » : خفاش كرمان : الوطواط ، سمي لصغر عينيه ؛ وضعف بصره . وأما الكوى فقال في « القاموس » : الكوة بفتح الكاف ويضم والكو : الخرق في الحائط جمع كوى ، وكواء ، وتكوى دخل مكاناً ضيقاً ، أي : إن هؤلاء المعطلة ، لضعف بصائرهم ، مثل الخفافيش ، متى سمعوا نصوص الوحيين ، ورأوا نور الكتاب والسنة ؛ لم تحتملها بصائرهم لضعفها ، فاذا جاءت ظلمة آراء الرجال ، جالوا بها وصالوا ، ولهذا قال الناظم : وارحمتاه لعينه ولأذنه ، أي : مما يرى ويسمع من كثرة الآراء والهذيان والشبه التي ماأنزل الله بها من سلطان . ولهذا قال الناظم :

إن قال حقاً كفّروه وإن يقو اوا باطلاً نسبوه للايمان

حتى اذا مارده عادوه مثـل عداوة الشيطان للانسان

قالوا له خالفت أقوال الشيو خ ولم يبالوا الخلف للفرقان

خالفت أقوال الشيوخ فأنتم خالفتمُ من جاء بالقرآن

خالفتمُ قول الرسول وانما خالفت من جرّاه قول فلان

أي : إن قال المثبت بما دلت عليه نصوص الوحيين كفروه ، وإن قالوا هم باطلاً نسبوه للايمان ، فان رده المثبت عادوه مثل عداوة الشيطان للانسان ، يحتمل أن مراده بالشيطان والانسان آدم وإبليس ، ويحتمل أن مراده الجنس ، أي : عادوه مثل عداوة الشيطان لجنس بني آدم .

قوله : قالوا : خالفت أقوال الشيوخ ، أى : قالوا له : خالفت أقوال الشيوخ ، وهم قد خالفوا القرآن من غير مبالاة ، فيقول لهم المثبت : إن كنت خالفت أقوال الشيوخ ، فلم أخالفها الا لأجل من جاء بالقرآن .

قوله : من جراه بضم الجيم والمد . أي : من أجل الرسول ﷺ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياحبذا ذاك الخلاف فانه ... عين الوفاق لطاعة الرحمن

أو ماعلمت بأن أعداء الرسو ... ل عليه عابوا الخلف بالبهتان

لشيوخهم ولما عليه قد مضى ... أسلافهم في سالف الأزمان

ماالعيب الا في خلاف النص لا ... رأي الرجال وفكرة الاذهان

أنتم تعيبون بهذا وهو من ... توفيقنا والفضل للمنان

فليهنكم خلف النصوص ويهننا ... خلف الشيوخ أيستوي الخلفان

والله ماتسوي عقول جميع أهـ ... ـل الأرض نصاً صح ذا تبيان

حتى نقدمها عليه معرضـ ... ـين مؤولين محرفي القرآن

والله ان النص فيما بيننا ... لأجلّ من آراء كل فلان

والله لم ينقم علينا منكم ... أبداً خلاف النص من انسان

أي : ينبغي لك أيها الناظر في هذا النظم أن تعلم أن أعداء الرسول عابوا عليه ، خلاف آبائهم وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ومن معائبهم للرسول ﷺ أنهم يقولون له : ضللت آباءنا ، فيقول الناظم : ماالعيب الا في خلاف النص ، وأما خلاف آراء الرجال المخالفة للنصوص ، فهو

عين الوفاء لطاعة الرحمن ، ولهذا قال متهكماً بهم : فليهنكم خلف النصوص ويهننا الخ . ثم قال : والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من إنسان ، أي : والله مانقمتم علينا مرة واحدة خلاف النص ، وإنما خلاف الأشعري ، وأشار الى ذلك بقوله :

إلا خلاف الاشعري بزعمكم ... وكذبتم أنتم على الانسان

كفرتم من قال من قد قاله ... في كتبه حقاً بلا كتمان

هذا وخالفناه في القرآن مثـ ... ـل خلافكم في الفوق للرحمن

فالأشعري مصرح بالاستوا ... ء وبالعلو بغاية التبيان

ومصرح أيضاً باثبات اليديـ ... ـن ووجه رب العرش ذي السلطان

ومصرح أيضاً بأن لربنا ... سبحانه عينان ناظرتان

ومصرح أيضاً باثبات النزو ... ل لربنا نحو الرفيع الداني

ومصرح أيضاً باثبات الأصا ... بع مثل ماقد قال ذو البرهان

ومصرح أيضاً بأن الله يو ... م الحشر يبصره أولو الايمان

جهراً يرون الله فوق سمائه ... رؤيا العيان كما يرى القمران

ومصرح أيضاً باثبات المجيء ... وأنه يأتي بلا نكران

ومصرح بفساد قول مؤول ... للاستواء بقهر ذي السلطان

ومصرح أن الألى قالوا بذا ... التأويل أهل ضلالة ببيان

ومصرح أن الذي قد قاله ... أهل الحديث وعسكر القرآن

هو قوله يلقي عليه ربه وبه يدين الله كل أوان

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فيه فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قول أصحاب الحديث ، وأهل السنة ، الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأن له يدين ، بلا كيف ، كما قال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن أسماء الله لا يقال : إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) فاطر : ١١ وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فصلت : ١٥ وذكر مذهبهم في القدر . . . الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق ، ويقرون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، وذكر قولهم في الاسلام ، والإيمان ، والحوض ، والشفاعة ، وأشياء . . . .
الى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار . .
الى أن قال : وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم ، ويسلمون الروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي جاء بها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ، لايقولون (كيف) ولا (لم) لأن ذلك بدعة . . . الى أن قال : ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ... الى أن قال : ويرون مجانبة كل داع الى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع الاستكانة ، والتواضع ، وحسن الخلق ، مع بذل المعروف ، وكف الأذى . وترك الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب .
قال : فهذه جملة مايؤمرون به ، ويستسلمون اليه ، ويرونه ، وبكل ماذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، ومـا توفيقنا الا بالله ، وهو المستعان .
وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ، وأنه استوى على العرش ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ولا يتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول : استوى بلا كيف . وأنه له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين ، كما قـال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وأن له عينين ، كما قال (تجري بأعيننا) البقرة ١٤

وأنه يجيء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأنه ينزل الى سماء الدنيا ، كما جـاء في الحديث ، ولم يقولوا شيئاً الا ماوجدوه في الكتاب ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ . وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش ، بمعنى استولى ، وذكر مقالات أخرى . وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه « الابانة في أصول الديانة » : وقد ذكر أصحـابه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة. فان قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الـشاكين ، فرحمـة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم .

وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاؤوا به من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانرد من

ذلك شيئاً ، ون الله واحد ، لا اله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله مستو على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) طـــه : ٥ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ ومن زعم أن أسماء الله غيره ، كان ضالاً ، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق . . إلى أن قال : ونقول : إن الاسلام أوسع من الايمان ، وليس كل اسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، يضع السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الي أن قال : وأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم الروات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي الى الرسول صلى الله عليه وسلم . الى أن قال : ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر مانقلوه وأثبتوه ، خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، واجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله مالم يأذن لنا به ، ولا نقول على الله مالا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأن الله يقرب من

عباده كيف شاء ، كما قال :(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق :١٦
وكما قال : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨ ، ٩
إلى أن قال : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً ،
ثم نتكلم على أن الله يرى ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن
غير مخلوق ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن ،
وقال : لاأقول : إنه مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ورد عليه ، ثم قال : باب
ذكر الاستواء على العرش ، فقال : إن قال قائل : ماتقولون في الاستواء؟
قلنا له : نقول : إن الله مستو على عرشه . كما قال: (الرحمن على العرش
استوى) طه : ٥ وقد قال الله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقال : (يدبر
الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال حكاية عن
فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع
الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في
قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف
بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق
السموات قال : (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على عرشه الذي هو
فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات ، وليس
إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماء ، وانما أراد العرش الذي
هو أعلى السموات. ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال : (وجعل
القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ فلم يرد أن القمر يملأهن ، وأنه فيهن جميعاً ،
ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش

الذي فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها اذا دعوا إلى الأرض ، ثم ذكر رحمه الله فصلاً رد فيه على من تأول الاستواء بالاستيلاء من الجهمية ، والمعتزلة أبلغ رد ، واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع والعقل . وقد تقدم ذلك ، وهذا الذي ذكرناه من كلام أبي الحسن الأشعري ، هو مضمون ماذكره الناظم عنه .

قلت : ومن العجب أن المنتمين الى الامام أبي الحسن الاشعري ، مع شدة تعظيمهم له ، قد خالفوه في أكثر ماذهب اليه وخالف فيه المعتزلة ، فانه في بدايته وأول أمره كان معتزلياً ، ودرس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة ، ثم لما بين الله له الحق رجع عن الاعتزال ، ونابذ المعتزلة ، ورد عليهم أبلغ الرد ، وصار متكلماً للسنة ، بل هو كما قيل فيه : انه حجز المعتزلة في قمع السمسمة ، ثم قد خالفوه في أكثر مارجع عنه ، ورجعوا إلى مذهب المعتزله ، فتأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو القدرة ، والنزول بنزول الأمر والملائكة ، والمجيء بمجيء الأمر والملائكة ، والرضى بالاثابة ، والغضب بالانتقام ، والرحمة بالانعام ، أو ارادة الانعام ، بل لعلهم زادوا على المعتزلة في التأويلات الباطلة ، والتمحلات العاطلة ، فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

وقول الناظم : هذا وخالفناه في القرآن الخ . أي : خالفناه في قوله : ان كلام الله تعالى هو المعنى النفسي ، وان القرآن عبارة عن ذلك المعنى ، كما خالفتموه في الاستواء ، والعلو ، واثبات الصفات الخبرية ، فلم كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟ ! وخالفتم النصوص أيضاً ، ونحن خالفنا آراء جهم ذي البهتان .

ثم أقسم الناظم : والله مالكم جواب غير تكفير الخ أي : ليس لكم جواب غير تكفيرنا بلا علم . ثم قال متهكما : أستغفر الله العظيم الخ . أي : لكم جواب آخر وهو الشكوى إلى السلطان بغير علم ولا برهان .

قولــــه ، والله لا الأشعري تبعتم الخ . أي إنهم لم يتبعوا الأشعري ، ولا النصوص ، ولكنهم وافقوا المعتزلة في أكثر ماذهبوا اليه . كما تقدم ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم :

لكنه قد قال إن كلامه — معنى يقوم بربنا الرحمن

في القول خالفناه نحن وأنتم — في الفوق والأوصاف للديان

لو كان نفس خلافنا كفراً وكا — ن خلافكم هو مقتضى الايمان

هذا وخالفتم لنص حين خا — لفنا لرأي الجهم ذي البهتان

والله مالكم جواب غير تكـــفير بلا علم ولا ايقان

أستغفر الله العظيم لكم جوا — ب غير ذي الشكوى إلى السلطان

فهو الجواب لديكم ولنحن منـــتظرون منكم يا أولي البرهان

والله لا الأشعــري تبعتم — كلا ولا للنص بالاحسان

ياقوم فانتبهوا لأنفسكم وخــــلوا الجهل والدعوى بلا برهان

مافي الرياسة بالجهالة غير ضحكة عاقل منكم مدى الأزمان

لاترتضوا برياسة البقر التي — رؤساؤها من جملة الثيران

لما ذكر الناظم رحمه الله أن النفاة لم ينقموا علينا ولله الحمد أنا خالفنا

النصوص ، وانما نقموا علينا مخالفة الأشعري ، أخذ يبين كذب هذه الدعوى ، ويوضح أنهم خالفوه أعظم المخالفة ، فانه رحمه الله قد صرح باثبات الاستواء والعلو ، واثبات اليدين ، والوجه ، والعينين ، والنزول الى سماء الدنيا ، والأصابع ، وصرح باثبات رؤية الله تعالى بالابصار يوم القيامة ، وصرح باثبات المجيء ، وصرح بفساد قول أهل التأويل للاستواء بالقهر ، وصرح باثبات الصفات الخبرية ، وصرح بأنه يقول بجميع ماقاله أهل الحديث ، كما تقدم نقل ذلك عنه ، ولكن نحن قد خالفناه في قوله بالكلام النفسي وأنتم معاشر النفاة خالفتموه في الفوق ، واثبات الصفات ، فلأي شيء كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟! ومع خلافكم له ، فقد خالفتم النصوص القطعية ، ونحن خالفناه في ذلك لأنه خلاف المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح . ثم أقسم الناظم : أنه لاجواب لهم إلا التكفير بغير علم ولا حجة ، ثم استثنى أن لهم جواباً آخر ، وهو شكاية مخالفيهم الى السلطان اذا غلبهم بالحجة والبرهان ، ومع هذا قد خالفوا النصوص وخالفوا الاشعري ، فحاصل كلامهم كثرة الدعاوى بلا برهان ، وتكفير أهل العلم والايمان ، نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يامبغضاً أهل الحديث وشاتماً أبشر بعقد ولاية الشيطان

أو ما علمت بأنهم أنصار ديـــن الله والايمان والقرآن ؟!

أو ماعلمت بأن أنصار الرسو ل هم بلاشك ولا نكران؟!

هل يبغض الأنصار عبد مؤمن أو مدرك لروائح الايمان ؟!

شهد الرسول بذاك وهي شهادة من أصدق الثقلين بالبرهان

أو ما علمت بأن خزرج دينه والأوس هم أبداً بكل زمان؟!

ماذنبهم إذ خالفوك لقوله ماخالفوه لأجل قول فلان

لو وافقوك وخالفوه كنت تشـــهد أنهم حقاً أولو الايمان

لما تحيزتم الى الأشياخ وانـــحازوا إلى المبعوث بالقرآن

نسبوا اليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان

هذا انتساب أولي التفرق نسبة من أربع معلومة التبيان

قوله نسبة من أربع الخ. وهي النسب المعروفة وهي المماثلة والموافقة والمناسبة والمخالفة (١)

فلذا غضبتم حيثما انتسبوا إلى ... غير الرسول بنسبة الاحسان

فوضعتم لهم من الألقاب ما ... تستقبحون وذا من العدوان

تقدمت الألقاب التي وضعوها لأهل الحديث ومعانيها.

هم يشهدونكم على بطلانها ... أفتشهدونهم على البطلان ؟!

ماضرهم والله بغضكم لهم ... إذ وافقوا حقاً رضى الرحمن

يا من يعاديهم لأجل مآكل ... ومناصب ورياسة الاخوان

تهنيك هاتيك العداوة كم بها ... من حسرة ومذلة وهوان

ولسوف تجني غيها والله عن ... قرب وتذكر صدق ذي الايمان

فاذا تقطعت الوسائل وانتهت ... تلك المآكل في سريع زمان

فهناك تقرع سن ندمان على الـ ... ـتفريط وقت السير والامكان

وهناك تعلم مابضاعتك التي ... حصلتها في سالف الأزمان

إلا الوبال عليك والحسرات والـ ... ـخسران عند الوضع في الميزان

قيل وقال ماله من حاصل ... الا العناء وكل ذي الأذهان

(١) وعلى هامش الأصل : الظاهر ان النسب الاربع هي ماأشار اليه الناظم بقوله: نسبوا اليه ، يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون الانتساب الى مذهب أو غيره من الأربع المذكورات في البيت والله أعلم . قال ذلك شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري عفا الله عنه .

والله مايجدي عليك هناك إلاّ ذا الذي جاءت به الوحيان
والله ماينجيك من سجن الجحـــيم سوى الحديث ومحكم القرآن
والله ليس الناس إلا أهله وسواهم من جملة الحـــيوان
ولسوف تذكر بر ذي الايمان عن قرب وتقرع ناجذ الندمان
رفعوا به رأساً ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان
فهمُ كما قال الرسول ممثلاً بالماء مهبطه على القيعان
لا الماء يمسكه ولا كلأ بها يرعاه ذو كبد من الحيوان

يشير الى الحديث الذي في الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا إذا لم تحرق الزرع الذي بجوارها بالنار أو بدخان
والجاهلون بذا وهذا هم زوا ن الزرع أي والله شرزواني
وهم لدا غرس الاله كمثل غر س الدلب بين مغارس الرمّان

قوله : زوان . قال في « القاموس » الزوان : الذي يخالط البر .

قوله : الدلب . قال في « القاموس » : الدلب بالضم : الصغار «

واحدته بهاء ، وأرض مدلبة : كثيرته . وفي « مختار الصحاح » : الدلب : شجر ، الواحدة دلبة .

يمتص ماء الزرع مع تضييقه أبداً عليه وليس ذا قنوان
ذا حالهم مع حال أهل العلم أنـــصار الرسول فوارس الايمان
فعليه من قبل الاله تحية والله يبقيه مدى الأزمان
لولاه ماسقي الغراس فوق ذا ك الماء للدلب العظيم الشان
فالغرس دلب كله وهو الذي يسقى ويحفظ عند أهل زمان
فالغرس في تلك الحضارة شارب فضل المياه مصاوة البستان
لكنما البلوى من الحطاب قـــطّاع الغراس وعاقر الحيطان
بالفوس يضرب في أصول الغرس كي يجتثها ويظن ذا إحسان
ويظل يحلف كاذباً لم أعتمد في ذا سوى التثبيت للعيدان
ياخيبة البستان من حطّابه ما بعد ذا الحطاب من بستان
في قلبه غل على البستان فهـــو موكل بالقطع كل أوان
فالجاهلون شرار أهل الحق والـــعلماء سادتهم أولو الاحسان
والجاهلون خيار أحزاب الضلا ل وشيعة الكفران والشيطان
وشرارهم علماؤهم هم شر خلـــق الله آفة هذه الأكوان

يشير الى الحديث الذي ورد « علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة ، وفيهم تعود »

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الامصار الى بلدته عليه السلام

ياقوم فرض الهجرتين بحاله   والله لم ينسخ إلى ذا الآن

والهجرة الأولى الى الرحمن بالـ   ـإخلاص في سر وفي إعلان

حتى يكون القصد وجه الله بالـ   ـأقوال والأعمال والإيمان

ويكون كل الدين للرحمن ما   لسواه شيىء فيه من انسان

والحب والبغض اللذان هما لكـ   ـل ولاية وعداوة أصلان

لله أيضاً هكذا الاعطاء والمـ   ـنع اللذان عليهما يقفان

والله هذا شطر دين الله والـ   ـتحكيم للمختار شطر ثان

وكلاهما الإحسان لن يتقبل الـ   ـرحمن من سعي بلا إحسان

والهجرة الأخرى الى المبعوث بالـ   ـإسلام والايمان والاحسان

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن فرض الهجرتين باق لم ينسخ، فالهجرة الاولى الى الله تعالى، وذلك بالاخلاص له في السر والعلن، وأن يكون القصد وجهة الله بالاقوال والأعمال والايمان، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون الحب والبغض لله تعالى، وكذلك الإعطاء والمنع، وهذا شطر الدين، وشطره الثاني تحكيم المختار ﷺ، كما قال الناظم: والهجرة

الثانية هي الهجرة الى الرسول ﷺ ، باتباعه في الدق والجل ، ورد ما تنازع الناس فيه إلى سنته ، ورد كل قول لقوله .

أترون هذي هجرة الابدان لا ... والله بل هي هجرة الايمان

قطع المسافة بالقلوب اليه في ... درك الأصول مع الفروع فذان

ابداً إليه حكمها لا غيره ... فالحكم ما حكمت به النصان

ياهجرة طالت مسافتها على ... من خص بالحرمان والخذلان

ياهجرة طالت مسافتها على ... كسلان منخوب الفؤاد جبان

قال في « القاموس » : رجل نخب ، ونخب ، ونخبة ، ونخب ، كهجف ، ومنتخب ، ومنخوب ، ونخب ، ونخيب : جبان ، جمع نخب ، انتهى .

ياهجرة والعبد فوق فراشه ... سبق السعادة لمنزل الرضوان

ساروا أحث السير وهو فسيره ... سير الدلال وليس بالذملان

قوله : الدلال . قال في « القاموس » : أدل عليه : انبسط ، كتدلل .

قولــــه : الذملان محركة : هو السير اللين .

قال في « القاموس » العلم محركة : الجبل الطويل ، أو عام ، جمع أعلام ، وعلام . انتهى . وقاع ، وأرض وقيعة ، لاتكاد تنشف الماء ، قاله في « القاموس » .

رفعت له أعلام هاتيك النصو ... ص رؤوسها شابت من النيران

نار هي النور المبين ولم يكن ... ليراه إلا من له عينان

مكحولتان بمرود الوحيين لا بمراود الآراء والهذيان

فلذاك شمر نحوها لم يلتفت لا عن شمائله ولا أيمان

ياقوم لو هاجرتم لرأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان

ورأيتم ذاك اللواء وتحته الـرسل الكرام وعسكر القرآن

أصحاب بدر والألى قد بايعوا أزكى البرية بيعة الرضوان

وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا الـأنصار أهل الدار والايمان

والتابعون لهم باحسان وسا لك هديهم أبداً بكل زمان

لكن رضيتم بالاماني وابتليـتم بالحظوظ ونصرة الاخوان

بل غركم ذاك الغرور وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان

ونبذتم عسل النصوص وراءكم وقنعتم بقطارة الأذهان

قال في «القاموس» القطارة بالضم: ماقطر من الشيء، والقليل من الماء

وتركتم الوحيين زهداً فيهما ورغبتم في رأي كل فلان

وعزلتم النصين عما وليا للحكم فيه عزل ذي عدوان

وزعمتم ان ليس يحكم بيننا الا العقول ومنطق اليونان

فهما بحكم الحق أولى منهما سبحانك اللهم ذا السبحان

حتى اذا انكشف الغطاء وحصلت أعمال هذا الخلق في الميزان

واذا انجلى هذا الغبار وصار ميـدان السباق تناله العينان

وبدت على تلك الوجوه سماتها وسم المليك القادر الديان

مبيضة مثل الرياض بجنة والسود مثل الفحم للنيران

معنى هذه الأبيات أنكم معاشر النفاة لما تركتم الوحيين ، وهما الكتاب والسنة ، وعزلتم النصين ، وزعمتم أن ليس يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا العقول والمنطق ، فاذا انكشف الغطاء ، وذلك يوم القيامة ، وحصلت أعمال الناس ، وانجلى الغبار ، وصار ميدان السباق ، وبدت على الوجوه سماتها ، أي علاماتها ، وصارت وجوه مبيضة في الجنة ، ووجوه مسودة في النار ؛ عرفتم حاصلكم ومحصولكم ، ورأيتم ماأوجبته لكم أصولكم .

فهناك يعلم راكب ما تحته وهناك يقرع ناجذ الندمان

وهناك تعلم كل نفس ما الذي معها من الارباح والخسران

وهناك يعلم مؤثر الآراء والـ ـشطحات والهذيان والبطلان

أي البضائع قد أضاع وما الذي منها تعوض في الزمان الفاني

قولـــه : فهناك يعلم راكب الخ أي : إذا انجلى الغبار ، عرف راكب ماتحته ، أفرس أم حمار ؟ وهناك يقرع الندمان ناجذالندم وهناك تعلم نفس ماالذي معها من الربح والخسران ، وهناك يعلم مؤثر شطحات الصوفية وآراء المتكلمين وهذيانهم وأباطيلهم على الكتاب والسنة أنه فاته أعظم بضاعة ، وأنه تعوض أخسر بضاعة ، وأخس نصيب ، وأنه فاته أعظم الربح ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

سبحان رب الخلق قاسم فضله والعدل بين الناس في الميزان

لو شاء كان الناس شيئاً واحداً مافيهمُ من تائه حيران

لكنه سبحانه يختص بالـــفضل العظيم خلاصة الانسان
وسواهمُ لايصلحون لصالح كالشوك فهو عمارة النيران
وعمارة الجنات هم أهل الهدى الله أكبر ليس يستويان
فسل الهداية من أزمّة أمرنا بيديه مسألة الذليل العاني

قولـــه : لو شاء كان الناس شيئاً واحداً الخ . هذا كما قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ...) هود : ١١٨ الآية ، ولكنه سبحانه يهدي من يشاء بفضله ، ويضلّ من يشاء بعدله ، كما قال تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يونس : ٢٥ فعمّ بالدعوة ، وخص بالهداية

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

قال الناظم :

وسل العياذ من اثنتين هما اللتا ن يهلك هذا الخلق كافلتان
شر النفوس وسيىء الأعمال ما والله أعظم منهما شران
ولقد أتى هذا التعوذ منهما في خطبة المبعوث بالقرآن

يشير الى خطبة الحاجة : وهي ماروى ابن مسعود قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... »

الحديث رواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي ، حديث حسن .

لو كان يدري العبد أن مصابه ... في هذه الدنيا هو الشران

جعل التعوذ منهم ديدانه ... حتى نراه داخل الأكفان

وسل العياذ من التكبر والهوى ... فهما لكل الشر جامعتان

وهما يصدان الفتى عن كل طر ... ق الخير إذ في قلبه يلجان

فتراه يمنعه هواه تارة ... والكبر أخرى ثم يشتركان

والله مافي النار إلا تابع ... هذين فاسأل ساكني النيران

والله لو جردت نفسك منهما ... لأتت اليك وفود كل تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين .

والفرق بين الدعوتين فظاهر ... جداً لمن كانت له أذنان

فرق مبين ظاهر لايختفي ... ايضاحه إلا على العميان

فالرسل جاؤونا باثبات العلـ ... ـو لربنا من فوق كل مكان

وكذا أتونا بالصفات لربنا الـ ... ـرحمن تفصيلاً بكل بيان

وكذاك قالوا إنه متكلم ... وكلامه المسموع بالآذان

وكذاك قالوا انه سبحانه الـــمرئي يوم لقائه بعيان
وكذاك قالوا إنه الفعال حــــقاً كل يوم ربنا في شان
وأتيتمونا أنتم بالنفي والتـــعطيل بل بشهادة الكفران
للمثبتين صفاته وعلوه ونداءه في عرف كل لسان
شهدوا بايمان المقر بأنه فوق السماء مباين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي قد قال ذلك ياأولي العدوان
وأتى بأين الله إقراراً ونطـــقاً قلتم هذا من البهتـان
فسؤالنا بالاين مثل سؤالنا ما الكون عندكم هما شيئان ؟
وكذا أتونا بالبيان فقلتم باللغز أين اللغز من تبيان
إذكان مدلول الكلام ووضعه لم يقصدوه بنطقهم بلسان
والقصد منهم غير مفهوم به ما اللغز عند الناس الا ذان
ياقوم رسل الله أعرف منكم وأتم نصحاً في كمال بيان
أترونهم قدألغزوا التوحيد إذ بينتموه ياأولي العرفان ؟
أترونهم قدأظهروا التشبيه وهـــو لديكم كعبادة الأوثان

مضمون ماذكره الناظم في هذه الأبيات ، هو اثبات الفرق بين دعوة المرسلين ، ودعوة المعطلين ، وذلك أن الرسل جاؤوا باثبات العلو والفوقية

واثبات الصفات تفصيلاً، وأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع ، وأنه سبحانه يرى يوم القيامة رؤية العيان ، وأنه الفعال سبحانه ، وأنه كل يوم في شأن. وأما المعطلون فأتوا بالنفي والتعطيل ، بل شهدوا بالكفر لمثبتي علوه سبحانه فوق عباده بائناً عن المخلوقات ، أترونهم أيها المعطلة قد ألغزوا التوحيد وبينتموه أنتم ؟ أو أنهم أظهروا التشبيه بزعمكم والعياذ بالله

ولأي شيء لم يقولوا مثل ما   قد قلتموا في ربنا الرحمن؟

ولأي شيء صرحوا بخلافه   تصريح تفصيل بلا كتمان ؟

ولأي شيء بالغوا بالوصف بالـ   اثبات دون النفي كل زمان

ولأي شيء أنتم بالغتم   في النفي والتعطيل بالقفزان

فجعلتم نفي الصفات مفصلاً   تفصيل نفي العيب والنقصان

وجعلتم الاثبات أمراً مجملاً   عكس الذي قالوه بالبرهان

أي مابال الرسل أيها المعطلة لم يقولوا مثل ما قلتم في الله تعالى ؟ ! بل صرحوا دائماً بخلافه تصريحاً على التفصيل بغير كتمان ، وأما أنتم فبالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان . القفيز : مكيال ثمانية مكاكيك ، ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، جمع أقفزة ، وقفزان ، قاله في « القاموس » فجئتم بنفي مفصل ، واثبات مجمل . وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فجاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا قال :

أتراهم عجزوا عن التبيان واسـ   ـتوليتم أنتم على التبيان ؟

أترون أفراخ اليهود وأمة التـ   ـعطيل والعباد للنيران

ووقاح أرباب الكلام الباطل الـ ـمذموم عند أئمة الايمان
من كل جهمي ومعتزل ومن والاهما من حزب جنكسخان
بالله أعلم من جميع الرسل والـ ـتوراة والانجيل والقرآن

أي أترى الرسل عليهم الصلاة والسلام عجزوا عن التبيان ، واستوليتم أيها المعطلة عليه ؟ أم هل ترون أفراخ اليهود ، والمعطلة ، وأبناء المجوس عباد النيران ، وأوقاح أهل الكلام وغيرهم من الجهمية والمعتزلة ومن والاهم من حزب جنكسخان أعلم بالله من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن؟!

ثم قال رحمه الله تعالى :

فسلوهم بسؤال كتبهم التي جاؤوا بها عن علم هذا الشان
وسلوهم هل ربكم في أرضه أو في السماء وفوق كل مكان؟
أم ليس من ذا كله شيء فلا هو داخل أو خارج الاكوان
فالعلم والتبيان والنصح الذي فيهم يبين الحق كل بيان
لكنما الألغاز والتلبيس والـ ـكتمان فعل معلم الشيطان

فصل

في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما الى الرحمن

لما كان أهل التعطيل يشكون أهـل الحديث والسنة الى السلاطين ،

ويرمونهم بالعظائم والبهت ، قابلهم أهل السنة بالشكاية الى الرحمن سبحانه .

يارب هم يشكوننا أبداً ببغـــيهم وظلمهم إلى السلطان
ويلبسون عليه حتى أنه ليظنهم هم ناصروا الايمان
فيرونه البدع المضلة في قوا لب سنة نبوية وقران
ويرونه الاثبات للأوصاف في أمر شنيع ظاهر النكران
فيلبسون عليه تلبيسين لو كشفا له باداهم بطعان
يافرقة التلبيس لا حييتم أبداً وحييتم بكل هوان
لكننا نشكوهم وصنيعهم ابداً اليك فأنت ذو السلطان
فاسمع شكايتنا وأشك محقنا والمبطل اردده عن البطلان

أشك بقطع الهمزة .

راجع به سبل الهدى والطف به حتى تريه الحق ذا تبيان
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد ضل الطريق وتاه في القيعان
يارب قد عم المصاب بهذه الـــ آراء والشحطات والبهتان
هجروا لها الوحيين والفطرات والـــ آثار لم يعبوا بذا الهجران
قالوا وتلك ظواهر لفظية لم تغن شيئاً طالب البرهان
فالعقل أولى أن يصار اليه من هذي الظواهر عند ذي العرفان
ثم ادعى كل بأن العقل ما قد قلته دون الفريق الثاني

يارب قد حار العباد بعقل من يزنون وحيك فأت بالميزان

وبعقل من يقضي عليك فكلهم قد جاء بالمعقول والبرهان

يارب أرشدنا إلى معقول من يقع التحاكم أننا خصمان

هذا كما قال شيخ الاسلام في « الحموية » : ثم المخالفون للكتاب والسنة في أمر مريج ، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة ، وأن يكون كلامه غير مخلوق ، ونحو ذلك ، يقول : إن العقل أحال ذلك ، فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر الى التأويل ، ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله ، فياليت شعري ، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي الله عن مالك بن أنس الامام حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟! انتهى قوله .

جاؤوا بشبهات وقالوا إنها معقولة ببداية الأذهان

كل يناقض بعضه بعضاً وما في الحق معقولان مختلفان

وقضوا بها كذباً عليك وجرأة منهم وما التفتوا إلى القرآن

يارب قد أوهى النفاة حبائل الـــ قرآن والآثار والايمان

يارب قد قلب النفاة الدين والـــ إيمان ظهرا منه فوق بطان

يارب قدبغت النفاة وأجابوا بالخيل والرجل الحقير الشان

نصبوا الحبائل والغوائل للألى أخذوا بوحيك دون قول فلان

ودعوا عبادك أن يطيعوهم فمن يعصيهم ساموه شر هوان

وقضوا على من لم يقل بضلالهم باللعن والتضليل والكفران

وقضوا على أتباع وحيك بالذي هم أهله لا عسكر الفرقان

وقضوا بعزلهم وقتلهم وحبـــسهم ونفيهم عن الأوطان

وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب الـــحمر التي نفرت بلا ارسان

حتى كأنهم تواصوا بينهم يوصي بذلك أول للثاني

هجروا كلامك هجر مبتدع لمن قد دان بالآثار والقرآن

فكأنه فيما لديهم مصحف في بيت زنديق أخي كفران

أو مسجد بجوار قوم همهم في الفسق لا في طاعة الرحمن

وخواصهم لم يقرؤوه تدبرا بل للتبرك لا لفهم معان

وعوامهم في السبع أو في ختمه أو تربة عوضاً لذي الاثمان

هذا وهم حرفية التجويد أو صوتية الأنغام والالحان

يارب قد قالوا بأن مصاحف الـــ اسلام ما فيها من القرآن

إلا المداد وهذه الأوراق والـــجلد الذي قد سل من حيوان

هذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتاب « الملل والنحل » قال: ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية

ينطح المصحف برجله . قال : فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل ؟! فقال لي : ويحك والله مافيه الا السخام والسواد . وأما كلام الله تعالى فلا ، أو كلاماً هذا معناه . قال أبو محمد : وكتب إلي أبو المرجى علي بن زوار المصري رحمه الله تعالى أن بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبره أن رجلًا من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول : ان الله تعالى قال : (قل هو الله احد . الله الصمد) ألف لعنة. قال أبو محمد : بل على من ينكر أن الله تعالى قالها ألف ألف لعنة وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقرأ كلام الله عز وجل ألف ألف لعنة تترى عليه من عند الله عز وجل ، ثم من ملائكته ، وأنبيائه ، وجميع الصالحين من الانس والجن ، فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن ، وتكذيب رسول الله ﷺ ، ومضادة جميع أهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة . انتهى كلامه .

قوله : وعوامهم في السبع . قال في « القاموس » السبع بالضم وكأمير : جزء من سبعة .

قوله : أو في ختمة . ختم الشيء ختماً : بلغ آخره .

والكل مخلوق ولست بقائل أ ءلا ولا حرفاً من القرآن
إن ذاك الا قول مخلوق وهل هو جبرئيل أو الرسول فذان
قولان مشهوران قد قالتهما أشياخهم يامحنة القرآن

يشير الى قول الأشاعرة : إن كلام الله عز وجل هو المعنى النفسي ، وإن الفاظ القرآن مخلوقة ، ولكن هل الذي أنشأها جبريل ، أو محمد ﷺ ؟ على قولين لهم مشهورين .

لو داسه رجل لقالوا لم يطأ إلا المداد وكاغد الانسان

يارب زالت حرمة القرآن من تلك القلوب وحرمة الايمان
وجرى على الافواه منهم قولهم مابيننا لله من قرآن
ما بيننا إلا الحكاية عنه والـ ـتعبير ذاك عبارة بلسان
هذا وما التالون عمالا به إذهم قد استغنوا بقول فلان
إن كان قد جاز الحناجر منهم فبقدر ماعقلوا من القرآن
والباحثون فقدموا رأي الرجا ل عليه تصريحاً بلا كتمان
عزلوه إذ ولوا سواه وكان ذا ك العزل قائدهم إلى الخذلان
قالوا ولم يحصل لنا منه يقـ ـين فهو معزول عن الايقان
إن اليقين قواطع عقليـة ميزانهـا هو منطق اليونان
هذا دليل الرفع منه وهذه أعلامه في آخر الأزمـان
يارب من أهلوه حقا كي يرى أقدامهم منا على الأذقان
أهلوه من لا يرتضي منه بديـ ـلاً فهو كافيهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم الى الـ ـايمان والايقان والعرفان
هو موصل لهمُ إلى درك اليقـ ـين حقيقة وقواطع البرهان
يارب نحن العاجزون بحبهم يـاقلة الأنصـار والأعوان

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهراً على رؤوس منابر الاسلام

ياقوم قد حانت صلاة الفجر فانـــتبهوا فاني معلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل تأذين حق واضح التبيان
وهو الذي حقاً أجابته على كل امرىء فرض على الأعيان

هذا تأذين لغوي ، لأن الأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى (وأذان من الله ورسوله ...) التوبة : ٣ الآية .

الله أكبر أن يكون كلامه الـــعربي مخلوقا من الأكوان
والله أكبر أن يكون رسوله الـــملكي أنشأه عن الرحمن
والله أكبر أن يكون رسوله الـــبشري أنشأه لنا بلسان

خلافاً للجهمية والمعتزلة ، والله أكبر أن يكون رسوله الملكي أنشأه عن الرحمن ؛ أي : جبريل عليه السلام كما يقوله القائلون بالكلام النفسي ، والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان . أي : محمد ﷺ ، كما هو أحد القولين للقائلين بالكلام النفسي .

هذي مقالات لكم يا أمة التـــشبيه ما أنتم على ايمان

أي : إنهم شبهوا الرحمن تعالى بالأصنام التي لا تتكلم ، ثم بين وجه التشبيه

بقولـــه :

شبهتم الرحمن بالأوثان في عدم الكلام وذاك للأوثان

مما يدل بأنها ليست بآ لهة وذا البرهان في القرآن

في سورة الأعراف مع طه وثا لثها فلا تعدل عن القرآن

يعني قوله تعالى في سورة الاعراف : ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يرو أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا) الآية وفي سورة طه : ٨٨ (فأخرج لهم عجلاً جسدا لهخوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً) الآية .

أيصح كون الجاحدين لكونه متكلماً بحقيقة وبيان

هم أهل تعطيل وتشبيه معاً بالجامدات عظيمة النقصان

لاتقذفوا بالداء منكم شيعة الـــرحمن أهل العلم والعرفان

أي : لاتسموا أهل الحديث والسنة مشبهة ، فانكم أهل التشبيه ، لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام .

ان الذي نزل الأمين به على قلب الرسول الواضح البرهان

هو قول ربي اللفظ والمعنى جميـــعاً اذ هما أخوان مصطحبان

لاتقطعوا رحماً تولى وصلها الـــرحمن تنسلخوا من الايمان

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي قال الصواب وجاء بالاحسان

إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الاشياخ والشبان

هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان

الرق بفتح الراء الورق .

والله أكبر من على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

والله أكبر ذو المعارج من الـــيه تعرج الاملاك كل أوان

والله أكبر من يخاف جلاله أملاكه من فوقهم ببيان

والله أكبر من غدا لسريره أط به[1] كالرحل للركبان

والله أكبر من أتانا قوله من عنده من فوق ست ثمان

نزل الأمين به بأمر الله من رب على العرش استوى رحمان

والله أكبر قاهر فوق العبا د فلا تضع فوقية الرحمن

من كل وجه تلك ثابتة له لاتهضموها ياأولي العدوان

قهراً وقدراً واستواء الذات فو ق العرش بالبرهان والقرآن

أي : إن أنواع العلو ثابتة لله سبحانه ، وهي علو القهر ، وعلو القدر ، وعلو الذات .

فبذاته خلق السموات العلى ثم استوى بالذات فافهم ذان

فضمير فعل الاستواء يعود للـــذات التي ذكرت بلا فرقان

أي : إن الضمير في قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ يعود على الله أي : استوى هو .

---

(١) لا يصح في أطيط العرش حديث .

هو ربنا هو خالق هو مستو　　بالذات هذي كلها بوزان
والله أكبر ذو العلو المطلق الـــمعلوم بالفطرات للانسان
فعلوه من كل وجه ثابت　　فالله أكبر جل ذو السلطان
والله أكبر من رقى فوق الطبا　　ق رسوله فدنا من الديان
واليه قد عرج الرسول حقيقة　　لاتنكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبار جل جلاله　　ودنا اليه الرب ذو الاحسان[1]
والله قد أحصى الذي قد قلتم　　في ذلك المعراج بالميزان
قلتم خيالاً أو أكاذيباً أو الـــمعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان مافوق السموات العلى　　رب اليه منتهى الانسان
والله أكبر من أشار رسوله　　حقاً اليه بأصبع وبنان
في مجمع الحج العظيم بموقف　　دون المعرف موقف الغفران

قد تقدم الحديث في ذلك .

من قال منكم من أشار بأصبع　　قطعت فعند الله يجتمعان

هذا اشارة الى قول من قال من المعطلة : إن من اشار بأصبعه الى السماء ، وإن الله تعالى فوق خلقه ، تقطع أصبعه .

والله أكبر ظاهر مافوقه　　شيء وشأن الله أعظم شان
والله أكبر عرشه وسع السما　　والارض والكرسي ذا الاركان
وكذلك الكرسي قد وسع الطبا　　ق السبع والأرضين بالبرهان

---

(١) هذا على من قال بأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى ، وهو غير صحيح وهو أيضاً خلاف ما اختاره المصنف في بعض كتبه ، كمدارج السالكين وغيره . والصحيح أن جبريل عليه السلام هو الذي دنا فتدلى . انظر الجزء الأول صفحة (٣٩٩) و(٤٠٠).

واللهفوقالعرشوالكرسيلا يخفى عليه خواطر الانسان

لاتحصروه في مكان إذ تقو لوا ربنا حقاً بكل مكان

نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان

اشارة الى قول النجارية ، والضرارية : إنه تعالى في كل مكان .

لاتعدموه بقولكم لاداخل فينا ولا هو خارج الأكوان

اشارة الى قول الجهمية وأتباعهم : إنه تعالى لا داخل العالم ، ولا خارجه ، فان ذلك صفة المعدوم .

الله أكبر هتكت أستاركم وبدت لمن كانت له عينـــان

والله أكبر جل عن شبه وعن مثل وعن تعطيل ذي كفران

والله أكبر من له الأسماء والـــ أوصاف كاملة بلا نقصان

والله أكبر جل عن ولد وصا حبة وعن كفء وعن أخدان

والله أكبر جل عن شبه الجما دكقول ذي التعطيل والكفران

هم شبهوه بالجماد وليتهم قد شبهوه بكامل ذي شان

الله أكبر جل عن شبه العبا د فذان تشبيهان ممتنعان

الله أكبر واحد صمد وكـــل الشأن في صمدية الرحمن

نفت الولادة والأبوة عنه والـــكفء الذي هو لازم الانسان

وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

واليه يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان

تقدم الكلام في تفسير الصمد بما يغني عن الاعادة .

لاشيء يشبهه تعالى كيف يشـــبهه خلقه ماذاك في الامكان

لكن ثبوت صفاته و كلامه وعلوه حقاً بلا نكـــران

لاتجعلو الاثبات تشبيهاً له يافرقة التلبيس والطغيان

كم ترتقون بسلم التنزيه للـــتعطيل ترويجاً على العميان

أي انكم تسمون التعطيل تنزيهاً للترويج على العميـــان والجهال ، فاستعار لفظة السلم لهذا المعنى .

فالله أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جل العظيم الشان

هذا هو التشبيه لا إثبات أو صاف الكمال فما هما سيان

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لاشك مصطحبان

أبداً فكل معطل هو مشرك حتماً وهذا واضح التبيان

فالعبد مضطر إلى من يكشف الـــبلوى و يغني فاقة الانسان

واليه يصمد في الحوائج كلها ... واليه يفزع طالب لأمان

فاذا انتفت أوصافه وفعاله ... وعلوه من فوق كل مكان

فزع العباد إلى سواه وكان ذا ... من جانب التعطيل والنكران

فمعطل الأوصاف ذاك معطل الـ ... ـتوحيد حقاً ذان تعطيلان

قد عطلا بلسان كل الرسل من ... نوح إلى المبعوث بالقرآن

والناس في هذا ثلاث طوائف ... ما رابع أبداً بذي امكان

إحدى الطوائف مشرك بالهه ... فإذا دعاه دعا إلهاً ثاني

هذا وثاني هذه الاقسام ذا ... لك جاحد يدعو سوى الرحمن

هو جاحد للرب يدعو غيره ... شركاً وتعطيلاً له قدمان

هذا وثالث هذه الأقسام خـ ... ـير الخلق ذاك خلاصة الانسان

يدعو الاله الحق لا يدعو سوا ... ه قط في الاكوان والأزمان

يدعوه في الرغبات والرهبات والـ ... ـحالات من سر ومن اعلان

لما ذكر في هذا الفصل أن الشرك والتعطيل متلازمان ، ذكر أن الناس ثلاث طوائف أحدها : المشركون وهم الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر. والثانية: الجاحدون الذين يدعون غير الله ويجحدونه ، وهؤلاء قد جمعوا الشرك والتعطيل. والثالثة : الموحدون خلاصة الانسان الذين يدعون الله سبحانه في الرغبات والرهبات وجميع الحالات ، ثم قال :

توحيده نوعان علمي وقصـ ... ـدي كما قد جرد النوعان

في سورة الاخلاص مع تالنصـــــر الله قــل ياأيهــا ببيـان

ولذاك قد شرعا بسنة فجرنا ... وكذاك سنة مغرب طرفان

فيكون مفتتح النهار وختمه ... تجريدك التوحيد للديان

وكذاك قد شرعا بخاتم وترنا ... ختما لسعي الليل بالآذان

وكذاك قدشرعا بركعتي الطوا ... ف وذاك تحقيق لهذا الشان

فهما إذاً أخوان مصطحبان لا ... يتفارقان وليس ينفصلان

فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ... ذو الشرك فهو معطل الرحمن

أو بعض أوصاف الكمال له فحـــقق ذا ولا تسرع إلى النكران

قوله : توحيده قصدي الخ . شرح هذه الأبيات ماذكره الناظم رحمه تعالى في «بدائع الفوائد» في الكلام على سورة (قل يا أيها الكافرون) قال : ولهذا كان النبي ﷺ يقرأبها وبـ (قل هو الله أحد) في سنة الفجر، وسنة المغرب، فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص، وقد اشتملا على نوعي التوحيد الذي لا فلاح للعبد ولا نجاة الا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزية الله عما لا يليق به من الشرك، والولد، والوالد، وأنه إله أحد صمد، لم يلد . فيكون له فرع، ولم يولد فيكون له أصل، ولم يكن له كفواً أحد فيكون له نظير، ومع هذا الذي قد اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله، من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلاً وفرعاً ونظيراً، فهذا توحيد العلم والاعتقاد، والثاني توحيد القصد والارادة، وهو أن لا يعبد الا الله، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود . وسورة (قل يا ايها الكافرون)

مشتملة على هذا التوحيد، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد، وأخلصت له، فكان النبي ﷺ يفتتح بها النهار في سنة الفجر، ويختم بها في سنة المغرب. وفي «السنن» أنه كان يوتر بها فيكونا خاتمة عمل الليل، كما كانا خاتمة عمل النهار. انتهى.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخو التعطيل شر من أخي الـــإشراك بالمعقول والبرهان

إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها هذان تعطيلان

متضمناً للقدح في نفس الالو هة كم بذاك القدح من نقصان

والشرك فهو توسل مقصوده الـــزلفى من الرب العظيم الشان

بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان

فالشرك تعظيم بجهل من قيا س الرب بالأمراء والسلطان

ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ن توسط الشفعاء والاعوان

ودهاهمُ ذاك القياس المســـتبين فساده ببديهة الانســـان

الفرق بين الله والسلطان من كل الوجوه لمن له أذنان

إن الملوك لعاجزون ومالهم علم بأحوال الدعا بأذان

كلا ولاهم قادرون على الذي يحتاجه الانسان كل زمان

كلا وما تلك الارادة فيهم تقضي حوائج كلها انسان

كلا ولا وسعوا الخليقة رحمة من كل وجه هم أولو النقصان

فلذاك احتاجوا إلى تلك الوسا ئط حاجة منهم مدى الأزمان

ذكر رحمه الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك ، ثم بين ذلك بقوله : إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية ، وأما الشرك فهو توسل ، أي تقرب مقصوده الزلفى ، أي : تقريباً من الرب سبحانه ، وذلك بعبادة المخلوقات ، سواء كانت حجراً ، أو قبراً ، أو بشراً ، أو وثناً . وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه ، لكن بجهل ، وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ، قالوا: إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء ، وهذا القياس من أبطل الباطل ، وفساده ظاهر ببديهة العقل ، وذلك أن الملوك عاجزون لا علم لهم بأحوال الرعايا ، ولا قدرة لهم على حوائج الخلق ، ولا وسعوا الخلائق رحمة ، بل هم عاجزون ، ناقصون ، فقراء الى الله سبحانه فقراً ذاتياً ، والفرق بين الله تعالى وبين الملوك ظاهر من جميع الوجوه . ثم بين غناء الرب سبحانه وكمال علمه وقدرته ، وأن الخلق جميعهم في قبضته ، وهم فقراء اليه ، وهو الغني عنهم غناء ذاتياً ، وهم في غاية الحاجة اليه ، فقال :

أما الذي هو عالم للغيب مقـ ـتدر على ماشاء ذو إحسان

وتخافه الشفعاء ليس يريد منـ ـهم حاجة جل العظيم الشان

بل كل حاجات لهم فإليه لا — لسواه من ملك ولا انسان

وله الشفاعة كلها وهو الذي — في ذاك يأذن للشفيع الداني

لمن ارتضى ممن يوحده ولم — يشرك به شيئاً كما قد جاء في القرآن

سبقت شفاعته اليه فهو مشـ — ـفوع اليه وشافع ذو شان

فلذا أقام الشافعين كرامة — لهمُ ورحمة صاحب العصيان

فالكل منه بدا ومرجعه اليـ — ـه وحده ما من اله ثان

غلط الألى جعلوا الشفاعة من سوا — ه اليه دون الإذن من رحمن

هذي شفاعة كل ذي شرك فلا — تعقد عليها يا أخا الايمان

والله في القرآن أبطلها فلا — تعدل عن الآثار والقرآن

وكذا الولاية كلها لله لا — لسواه من ملك ولا انسان

تقدم بسط الكلام في معاني هذه الابيات بما أغنى عن الاعادة .

والله لم يفهم أولو الاشراك ذا — ورآه تنقيصاً اولو النقصان

إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الـ — ـرحمن بل أحدية الرحمن

بل كل مدعو سواه من لدن — عرش الاله إلى الحضيض الداني

هو باطل في نفسه ودعاء عا — بده له من أبطل البطلان

فله الولاية والولاية مالنا — من دونه وال من الأكوان

فإذا تولاه امرؤ دون الورى　　طراً تولاه عظيم الشان

الولاية الأولى بفتح الواو لاغير ؛ أي المحبة والنصر . والثانية بكسر الواو : الامارة . قوله طراً ، أي : جميعاً .

وإذا تولى غيره من دونه　　ولاه مايرضى به لهوان

في هذه الدنيا وبعد مماته　　وكذاك عند قيامة الأبدان

حقاً يناديهم نداً سبحانه　　يوم المعاد فيسمع الثقلان

يامن يريد ولاية الرحمن دو　　ن ولاية الشيطان والأوثان

فارق جميع الناس في إشراكهم　　حتى تنال ولاية الرحمن

يكفيك من وسع الخلائق رحمة　　وكفاية ذو الفضل والاحسان

يكفيك من لم تخل من احسانه　　في طرفة تتقلب الأجفان

يكفيك رب لم تزل ألطافه　　تأتي اليك برحمة وحنان

يكفيك رب لم تزل في ستره　　ويراك حين تجيء بالعصيان

يكفيك رب لم تزل في حفظه　　ووقاية منه مدى الأزمان

يكفيك رب لم تزل في فضله　　متقلباً في السر والاعلان

يدعوه أهل الأرض مع أهل السما　　ء فكل يوم ربنا في شان

وهو الكفيل بكل مايدعونه　　لايعتري جدواه من نقصان

فتوسط الشفعاء والشركاء والـ　　ـظهراء أمر بيّن البطلان

مافيه إلا محض تشبيه لهم بالله وهو فأقبح البهتان

مع قصدهم تعظيمه سبحانه ماعطلوا الأوصاف للرحمن

لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفي أين النفي من ايمان

والقلب ليس يقر إلا بالتعبد فهو يدعوه الى الأكوان

فترى المعطل دائماً في حيرة متنقلاً في هذه الأعيان

يدعو إلهاً ثم يدعو غيره ذا شأنه أبداً مدى الأزمان

وترى الموحد دائماً متنقلا بمنازل الطاعات والاحسان

مازال ينزل في الوفاء منازلا وهي الطريق له إلى الرحمن

لكنما معبوده هو واحد ماعنده ربان معبودان

قولـــه : لايعتريي جدواه من نقصان .

قولـــه : جدواه الخ . الجدا بكسر الجيم والجدى بالقصر والجدوى العطية ، وجداه واجتداه واستجداه ؛أي : طلب جدواه ، وأجداه : أعطاه الجدوى ، قاله في « مختار الصحاح » وهذا كما في الحديث القدسي حديث أبي ذر الذي رواه مسلم : « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد ، ثم سألوني فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر »

وقولـــه ﷺ « يمين الله ملأى لايغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض ما في يمينه ، وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع الى يوم القيامة » ثم ضرب الناظم

مثلًا للمشرك والمعطل فقال :

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظـــيم لست فينا قط ذا سلطان
مافي صفاتك من صفات الملك شـــيء كلها مسلوبة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان
أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذانهي وتكـــليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلماً متكلماً متصرفاً بالفعل كل زمان
أو كنت تفعل ماتشاء حقيقة الـــ فعل الذي قد قام بالأذهان
أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة وبقدرة أفعال ذي السلطان
فهل يقوم بغير فاعله محا ل غير معقول لذي الانسان
بل حالة الفعال قبل ومع وبعـــد هي التي كانت بلا فرقان
والله لست بفاعل شيئا إذا ماكان شأنك منك هذا الشان

لا داخلا فينا ولست بخارج عنا خيالاً درت في الأذهان

فبأي شيء كنت فينا مالكاً ملكاً عظيماً قاهر السلطان

إسماً ورسماً لاحقيقة تحته شأن الملوك أجل من ذا الشان

هذا وثان قال أنت مليكنا وسواك لانرضاه من سلطان

إذ حزت أوصاف الكمال جميعها ولأجل ذا دانت لك الثقلان

وقد استويت على سرير الملك واسـ ـتوليت مع هذا على البلدان

لكنّ بابك ليس يغشاه امرؤ إن لم يجيء بالشافع المعوان

ويذل للبواب والحجاب والشـ ـفعاء أهل القرب والاحسان

أفيستوي هذا وهذا عندكم والله مااستويا لدى انسان

والمشركون أخف في كفرانهم وكلاهما من شيعة الشيطان

ان المعطل بالعداوة قائم في قالب التنزيه للرحمن

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل أنه ضرب مثلاً للمشرك والمعطل ، فلسان حال المعطل يقول في إلهه سبحانه : إنك لست فينا ذا سلطان ، لأنك لم تستو على سرير الملك ، ولم تدبر أمر الملك والسلطان ، ولم تكلم ولاتتكلم ولست بفاعل فعلاً حقيقة ، بل فعلك هو المفعول ، بل حالك قبل الفعل ومعه وبعده سواء ، ولست داخلاً في العالم ولاخارجاً منه ، بل أنت خيال في الأذهان ، فبأي شيء كنت فينا مالكاً ؟! تعالى الله عما تقول المعطلة علواً كبيراً .

قـــوله : هذا وثان الخ . هذا هو المشرك ؛ أي :إن المشرك قال : يارب أنت مليكنا وخالقنا ، والمتصرف فينا ، وقد حزت أوصاف الكمال جميعها ، وقد استويت على سرير الملك ، واستوليت على المخلوقات والاكوان ، ولكن بابك لايغشى إلا بالشفعاء ، ولا بد مع ذلك من الذل للبواب والحجاب والشفعاء المقربين ، أفيستوي هذان عندكم ؟! حاشا وكلا ، بل المشركون أخف في كفرانهم ، والكل من شيعة الشيطان ، ولكن المعطل يزيد على المشرك بأنه قائم بالعداوة في قالب التنزيه .

فصل

فيما أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند فساد الزمان .

هذا وللمتمسكين بسنة الـــمختار عندفساد ذي الأزمان

أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للإنسان

فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني

أثراً تضمن أجر خمسين امرىء من صحب أحمد خيرة الرحمن

إسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه فهم بيان

ان العبادة وقت هرج هجرة حقاً إليّ وذاك ذو برهان

هذا فكم من هجرة لك أيها الــسني بالتحقيق لا بأمان

هذا وكم من هجرة لهمُ بما قال الرسول وجاء في القرآن

ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان

في أجر محيي سنة ماتت فذا لك مع الرسول رفيقه بجنان

هذا ومصداق له ايضاً أتى في الترمذي لمن له عينان

تشبيه أمته بغيث أول منه وآخره فمشتبهان

قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته . والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في اسناده ، وبتقدير صحته إنما معناه أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشتبه على بعض الناس أيها خير ، كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع بأن الأول خير من الآخر ، فانه قال : لايدرى ، ومعلوم أن هذا السلب ليس عاماً ، فانه لابد أن يكون معلوماً أيها أفضل .

فلذاك لايدري الذي هو منهما قد خص بالتفصيل والرجحان

ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني

والوسط ذو ثبج فأعوج هكذا جاء الحديث وليس ذا نكران

ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلثين و ذاك في القرآن

أهل اليمين فثلة مع مثلها والسابقون أقل في الحسبان

قال في « القاموس » : الثبج محركة : وسط الشيء ، ومعظمه . قال الله تعالى : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً. عرباً أتراباً . لأصحاب

اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ٣٥ - ٤٠ الثلة: الجماعة التي لا يحصيها عدد . قال الزجاج : معنى ثلة : فرقة ، من ثللت الشيء إذا قطعته ، والمعنى أنهم جماعة ، أو أمة ، أو فرقة ، أو قطعة من الأولين ، وهم من لدن آدم إلى نبينا ﷺ . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك : ثلة من الأولين بمعنى من سابقي هذه الأمة ، وثلة من الآخرين من هذه الأمة .

أخرج مسدد ، وابن المنذر بسند حسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ في الآية قال : « جميعها من هذه الأمة » وعنه قال : « هما جميعاً من هذه الأمة » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « هما جميعاً من أمتي » . أخرجه عبد بن حميد ، وابن عدي ، والفريابي ، وغيرهم . قال السيوطي : بسند ضعيف ، وعنه قال : « الثلثان جميعاً من هذه الأمة » وبه قال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك ، وهو اختيار الزجاج فان قيل : كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) الواقعة : ٤٠ قيل ذاك في السابقين الأولين ، وقليل من يلحق بهم من الآخرين ، وهذا في أصحاب اليمين ، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعاً .

ما ذاك الا ان تابعهم هم الـــــغرباء ليست غربة الاوطان
لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبههم به متبوعهم فى الغربتين وذاك ذو تبيان
لم يشبهوهم في جميع امورهم من كل وجه ليس يستويان
فانظر الى تفسيره الغرباء بالـــــمحيين سنته بكل زمان

طوبى لهم والشوق يحدوهم الى | أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنجاته الـ | أفكار او بزبالة الاذهان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا | ئم قاصدين لمطلع الايمان
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئاً بذي الـ | آراء اذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وامامهم دون الورى | من جاء بالايمان والفرقان
والله ما ائتموا بشخص دونه | الا اذا ما دلهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها | أعيت على العلماء في الأزمان
اذا أجمع العلماء ان صحابة الـ | مختار خير طوائف الانسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بـ | ين اثنين ما حكيت به قولان
فلذاك ذي الآثار أعضل امرها | وبغوا لها التفسير بالاحسان
فاسمع اذاً تأويلها وافهمه لا | تعجل برد منك أو نكران
ان البدار برد شيء لم تحط | علماً به سبب الى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيد | وهما لأهل الفضل مرتبتان

قوله : والفضل منه مطلق ومقيد ، معنى ذلك أن الفضل منه مطلق ومقيد ، فالفضل المطلق كفضل رسول الله ﷺ ، وفضل أصحابه على من بعدهم ، والفضل المقيد ، مثل خلق الله سبحانه آدم بيده ، فهذا الفضل المقيد لا يوجب تفضيله على سيدنا محمد ﷺ ، وكذا خصائص من أتى من بعد آدم

من الرسل لايوجب تفضيلهم عليه ﷺ ، و كذا الأثر الذي فيه أن المتمسك بدينه في آخر الزمان له أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ، لايوجب ذلك أفضلية على رسول الله ﷺ ، لأنه في آخر الزمان ، وغربة الدين ، قد عدم المعين ، وصعب عليه القيام في وجوه أعداء الدين. وأما الصحابة رضي الله عنهم ، فهم ذوو أعوان وأنصار .

والفضل ذو التقييد ليس بموجب فضلا على الاطلاق من انسان
لا يوجب التقييد أن يقضى له بالاستواء فكيف بالرجحان؟!
إذ كان ذو الاطلاق حاز من الفضا ئل فوق ذي التقييد بالاحسان
فاذا فرضنا واحداً قد حاز نو عاً لم يحزه فاضل الانسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليـــه ولا مساواة ولا نقصان
ماخلق آدم باليدين بموجب فضلا على المبعوث بالقرآن
و لذا خصائص من أتى من بعده من كل رسل الله بالبرهان
فمحمد أعلاهمُ فوقا وما حكمت لهم بمزية الرجحان
فالحائز الخمسين أجراً لم يحز ها في جميع شرائع الايمان
هل حازها في بدر أو أُحد أو الـــفتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم الـــمعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع ما يتحمل الـــمتحملون لأجله من شان
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان

مما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفـــان

أي : تحمل العبد مع ضعفه للمشاق لأجل رضى ربه ، يدل على صدق يقينه ، وشدة محبته له ، ومعرفته به .

يكفيه ذلاً واغتراباً قلة الـــأنصار بين عساكر الشيطان

في كل يوم فرقة تغزوه ان ترجع يوافيه الفريق الثاني

فسل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدى بلا حسبان

هذا وقد بعد المدى وتطاول الـــعهد الذي هو موجب الاحسان

ولذاك كان كقابض جمراً فسل أحشاءه عن حر ذي النيران

يشير الى الحديث « القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر » (١)

والله أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان

في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للانسان

بر وتوحيد وصبر مع رضى والشكر والتحكيم للقرآن

سبحان قاسم فضله بين العبا دفذاك مولي الفضل والاحسان

فالفضل عند الله ليس بصورة الـــأعمال بل بحقائق الايمان

وتفاضل الأعمال يتبع مايقو م بقلب صاحبها من البرهان

حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان

(١) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وهو حديث حسن .

هذا وبينهما كما بين السما ... والأرض في فضل وفي رجحان

ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا ... رتب مضاعفة بلا حسبان

هذا عطاء الرب جل جلاله ... وبذاك تعرف حكمة الديان

أي : إن الفضل عند الله بحسب مافي القلوب من الايمان واليقين ، لا بحسب صور الأعمال وكثرتها ، كما قال بكر بن عبد الله المزني : ماسبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في قلبه .

فصل

فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

ياخاطب الحور الحسان وطالباً ... لوصالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ ... ـت بذلت ماتحوي من الأثمان

أو كنت تدري أين مسكنها جعـ ... ـلت السعي منك لها على الاجفان

ولقد وصفت طريق مسكنها فان ... رمت الوصال فلا تكن بالواني

أسرع وحث السير جهدك انما ... مسراك هذا ساعة لزمان

فاعشق وحدث بالوصال النفس وابـ ... ـذل مهرها مادمت ذا امكان

واجعل صيامك قبل لقياها ويو ... م الوصل يوم الفطر من رمضان

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر ... تلقى المخاوف وهي ذات أمان

لما حث الناظم رحمه الله تعالى على طلب الوصال للحور العين كما قال بعضهم : وصم عن لذات الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، شرع في ذم الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة فقال :

لايلهينك منزل لعبت به أيدي البلى مذسالف الأزمان

البلى : بكسر الباء .

فلقد ترحل عنه كل مسرة وتبدلت بالهم والأحزان

سجن يضيق بصاحب الايمان لـــكن جنة المأوى لذي الكفران

سكانها أهل الجهالة والبطـ لة والسفاهة أنجس السكان

وألذهم عيشاً فأجهلهم بحـق الله ثم حقائق القرآن

عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والايمان

قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـــفاني على الجنات والرضوان

صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلة وهوان

كدحاً وكداً لايفتّر عنهم مافيه من غم ومن أحزان

والله لو شاهدت هاتيك الصدو ر رأيتها كمراجل النيران

المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر .

ووقودها الشهوات والحسرات والـــآلام لاتخبو مدى الأزمان

أبدانهم أحداث هاتيك النفو س اللاء قد قبرت مع الأبدان

أرواحهم في وحشة وجسومهم ... في كدحها لا في رضى الرحمن

هربوا من الرق الذي خلقوا له ... فبلوا برق النفس والشيطان

أي : إنهم والعياذ بالله هربوا من الرق الذي خلقوا له ، وهو عبادة الله وحده ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات : ٥٦ فبلوا برق النفس والشيطان ؛ أي : فاستخدمتهم الشياطين ، واسترقتهم في تحصيل الشهوات الفانية ، وجمع عرض الدنيا الخسيس ، وحطامها الفاني ، فأعقبهم ذلك الحسرة والندامة ، وصار عاقبة ذلك العذاب الأليم ، نعوذ بالله من موجبات سخطه

لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم ... فقد ارتضوا بالذل والحرمان

لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسق منها الرب ذا الكفران

لكنها والله أحقر عنده ... من ذا الجناح القاصر الطيران

هذا معنى الحديث « لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » (١)

ولقد تولت بعد عن أصحابها ... فالسعد منها حل في الدبران

لا يرتجي منها الوفاء لصبها ... أين الوفا من غادر خوان

طبعت على كدر فكيف تنالها ... صفواً أهذا قط في الامكان؟

ياعاشق الدنيا تأهب للذي ... قد ناله العشاق كل زمان

أو ما سمعت بل رأيت مصارع الـ ... ـعشاق من شيب ومن شبان

---

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذاً أوصافها وصفاتها تيك المنازل ربة الاحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنـــزل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتـــين فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين ها ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكنّ عاليها هو الفردوس مســـقوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا نت قبة من أحسن البنيان
منها تفجر سائر الأنهار فالـــمنبوع منه نازل بجنان

«في مسند الامام أحمد» ، من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » وفيه أيضاً من حديثه ﷺ « إن في الجنة مائة درجة ، ولو ان العالمين اجتمعوا في احداهن وسعتهم » وفيه عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه » قال الناظم رحمه الله في « حادي الأرواح » وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة مائة درجة » فاما ان هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن يكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان ، كان حقاً على الله أن يغفر له هاجراً ، وقعد حيث ولدته أمه » قلت : يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا ، دع الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين مثل مابين السماء والارض ، وأعلاها درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي . وروي أيضاً عن عبادة بن الصامت نحوه ، وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة » ورواه أحمد بدون لفظة « في » فان كان المحفوظ ثبوتها ، فهي من جملة درجها ، وان كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، ولا تناقض بين تقدير مابين الدرجتين بالمائة ، وتقديرها بالخمس ، لاختلاف السير في

السرعة والبطء، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « في الجنة مائة درجة، مابين الدرجتين مابين السماء والأرض، وأبعد مما بين السماء والارض » قلت : يارسول الله لمن ؟ قال: « للمجاهدين في سبيل الله عز وجل » انتهى كلامه .

فصل

في أبواب الجنـــة

أبوابها حقاً ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الاحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وباب الصوم يدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من ابوابها جمعاً اذا وفى حلى الايمان
منهم ابو بكر هو الصديق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن

في « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لايدخله إلا الصائمون » وفيهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة : ياعبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة،

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ماعلى من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها ؟ فقال : «نعم وأرجو أن تكون منهم » .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » زاد أبو داود والامام أحمد « ثم يرفع نظره إلى السماء » وعند أحمد عن أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله الخ. وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد .

فصل

في مقدار مابين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين منـــها قدرت بالعد والحسبان
هذا حديث لقيط المعروف بالخـــبر الطويل وذا عظيم الشان
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

قال الناظم في « حادي الأرواح » روينا في « معجم الطبراني » عن عاصم ابن لقيط بن عامر ، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت : يارسول الله ، فما الجنة والنار ؟ قال : لعمرو الهك ، ان للنار سبعة أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وان للجنة ثمانية أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً . » الحديث بطوله ، وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين هذا الباب والباب ، لان بين مكة وبصرى ، لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، بقوله « مامنها بابان » . انتهى كلامه .

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينهما مسيرة أربعيـــن رواه حبر الأمة الشيباني

في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان

ولقد روي تقديره بثلاثة الـــأيام لكن عند ذي العرفان

أعني البخاري الرضى هو منكر وحديث راويه فذو نكران

عن أبي هريرة في حديث الشفاعة بطوله قال ﷺ « فأنطلق فآتي العرش ، فأقع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحدا قبلي ، ولا يقيمه أحداً بعدي ، فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن » وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب « والذي نفس محمد بيده إن مابين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفي لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته ، وفي لفظ خارج الصحيح باسناده « ان ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » وفي خطبة عتبة بن غزوان : لقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع . فان كان رسول الله ﷺ هو الذاكر لهم

ذلك ، كان هذا سعة مابين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم ، وان كان الذاكر غير رسول الله ﷺ ، لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقـــدم ، ولكن قد روى أحمد عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم موفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن ابي داود عنه يرفعه « مابين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » وفي « مسند عبد بن حميد » ثنا الحسن بن موسى ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا دراج أبو السمح ، عن ابي الهيثم ، عن ابي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال « ان مابين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة » وحديث ابي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم .

وروى ابو الشيخ عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « الباب الذي يدخل منه اهل الجنة مسيرة الراكب المجـــد » ثلاثاً « ثم انهم ليضغطون عليه ، حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه ابو نعيم عنه . وهـــذا مطابق للحديث المتفق عليه « ان مابين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فان الراكب المجود غاية الاجادة على اسرع هجين لايقر ليلاً ولانهاراً ، يقطع هذه المسافه في هذا القدر ، أو قريب منه . وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري « أربعين عاماً » وخالد ذكر عنه « سبع سنين » . وفي حديث ابي سعيد المرفوع « أربعون عاماً » وفي طريقه دراج . قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي ، فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث ابي هريرة المتفق على صحته ، على أن حديث حكيم ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ؛ فيكون كحديث عتبة بن غزوان ، والله اعلم . انتهى كلام الناظم في « حادي الارواح » ملخصاً فهذا كلامه في « حادي الأرواح »

وظاهره ترجيح رواية التقدير بثلاثة أيام ، ولهذا جمع بينه وبين حديث ابي هريرة المتفق عليه الذي فيه « ان مابين المصراعين لكما بين مكة وبصرى » وفي هذا النظم ذكر عن البخاري أنه منكر ، والله اعلم .

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن   الا بمفتـــاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الاخلاص والتـــوحيد تلك شهادة الايمان
أسنانه الاعمال وهي شرائع الـــاسلام والمفتاح بالاسنان
لاتلغين هذا المثال فكم به   من حل إشكال لذي العرفان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « مفتاح الجنة شهادة ان لا اله الا الله » رواه احمد . وذكر البخاري في « صحيحه » عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح ، والا لم يفتح . وعن أنس قال : قال أعرابي : يارسول الله ، مامفتاح الجنة ؟ - قال : « لا اله الا الله » رواه ابو نعيم . وذكر ابو الشيخ عن يزيد بن سخبرة أن السيوف مفاتيح الجنة . وفي « المسند » من حديث معاذ بن جبل

قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على باب من أبواب الخير ؟ قلت : بلى ، قال : « لاحول ولاقوة الا بالله » .

قال الناظم في « حادي الارواح » : وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ، وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الايمان التفكر فيما دعا الله عباده الى التفكر فيه ، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب ، وسلامته له ، والاخلاص له في الحب والبغض له ، والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن ، والتضرع بالاسحار ، وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة ؛ الاحسان في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعـــة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد الآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا باب عظيم من أنفع ابواب العلم ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، ولا يوفق لمعرفته ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه ، فان الله سبحانه جعل لكل خير وشر ومفتاحاً وباباً يدخل منه اليه ، كما جعل الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره ، والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، كما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغناء مفتاح الزنا ، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح العشق والطلب ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير

حله ، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلال ، وهذه أمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وماجعلت مفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك ، وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها .

المنشور : ما كان غير مختوم من كتب السلطان .

هذا ومن يدخل فليس بداخل　　　الا بتوقيع من الرحمن

وكذاك يكتب للفتى لدخوله　　　من قبل توقيعان مشهوران

إحداهما بعد الممات وعرض أر　　　واح العباد به على الديان

فيقول رب العرش جل جلاله　　　للكاتبين وهم أولو الديوان

ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديـ　　　ـوان الجنان مجاور المنان

ديوان عليين أصحاب القرا　　　ن وسنة المبعوث بالقرآن

فاذا انتهى للجسر يوم الحشر يعـ　　　ـطى للدخول اذاً كتاباً ثاني

عنوانه هذا كتاب من عزيـ　　　ـز راحم لفلان ابن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار　　تفعت ولكن القطوف دواني

هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الـ　　ـأرحام قبل ولادة الإنسان

بل قبل ذلك وهو وقت القبضتيـ　　ـن كلاهما للعدل والاحسان

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ　　ـاجلال والاكرام والسبحان

والله أكبر عالم الاسرار والـ　　ـاعلان واللحظات بالأجفان

والحمد لله السميع لسائر الـ　　ـأصوات من سر ومن اعلان

وهو الموحد والمسبح والممجـ　　ـد والحميد ومنزل القرآن

والأمر من قبلُ ومن بعدُ له　　سبحانك اللهم ذا السلطان

قال الله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون) المطففين : ١٨-٢١ فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقـة ، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به ، بشهد المقربين من الملائكه والنبيين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء كتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار ، وماوقع به لهم واشهاراً له ، واظهاراً بين خواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه من بين الامراء وخواص أهل المملكة ، تنويهاً باسم المكتوب ، واشارة بذكره ، وهذا نوع من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده .

وروى أحمد ، وابن حبان ، وابو عوانة في « صحيحيهما » من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن القبر مرفوعاً « فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه الى الارض» وقال : «فيقول الله عز وجل

اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى، وتطرح روحه طرحاً . ورواه ابو داود بطوله ، فهذا التوقيع والمنشور الأول ، وأما المنشور الثاني وهو التوقيع الثاني الذي ذكره الناظم ، فعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » رواه الطبراني في « معجمه » وعنه أن النبي ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » أخرجها الطبراني في « معجمه » .

قوله : هذا وقد كتب اسمه الخ . أي : إن المؤمن وقع في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، والله المستعان . فهذا ما اشتمل عليه هذا الفصل .

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع   مئة وهذي الامة الثلثان

يرويه عنه بريدة اسناده   شرط الصحيح بمسند الشيباني

وله شواهد من حديث أبي هريـــرة وابن مسعود وحبر زمان

أعني ابن عباس وفي اسناده   رجل ضعيف غير ذي إتقان

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم　　شطر وما اللفظان مختلفان
إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم　　هذا الرجاء منه للرحمن
أعطاه رب العرش ما يرجو وزا　　د من العطاء فعال ذي الاحسان

في « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ مسلم . وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه أحمد والترمذي ، واسناده على شرط الصحيح . ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث ابن عباس ، وفي سنده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه . ورواه أيضاً من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف انتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلثها؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : كيف أنتم والشطر لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً » . قال الطبراني : تفرد به خالد بن زياد . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ١٣ ، ١٤ قال رسول الله ﷺ : «أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وروى خيثمة بن سليمان ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال:

« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أنتم ثمانون صفاً » .

قال الناظم : وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها ، واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها ، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله ، وزاد عليه سدساً آخر . وروى أحمد عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، فقال : أرجو أن يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم .

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوههم كالبدر ليل الست بعد ثمان

السابقون همُ وقد كانوا هنا أيضاً أولي سبق إلى الاحسان

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الاخرى كأضوء كوكب في الافق تنظره به العينانِ

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسك خالص ياذلة الحرمانِ

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ، ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » وفيها أيضاً عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » .

فصل

في تفاضل اهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

ماذاك مختصاً برسل الله بل لهمُ وللصدّيق ذي الايمان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يارسول

الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخاري « في الافق » وهو أبين .
الغابر : هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب . وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس فائدتان ، إحداهما بعده عن العيون ، والثانية أنّ الجنة درجات ، بعضها أعلى من بعض ، وان لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم : في « حادي الأرواح »

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان

لكنّ أدناهم وما فيهم دني إذ ليس في الجنات من نقصان

فهو الذي تلقى مسافة ملكه بسنيننا ألفان كاملتان

فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ يته لأدناه القريب الداني

أَو ما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه رب العرش ذو الغفران

أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمـــثال لها سبحان ذي الاحسان

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة

ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ رواه الترمذي وقال : روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر غير مرفوع . ورواه ابن الجبر موقوفاً .

قلت : ورواه الطبراني في « معجمه » مرفوعاً « إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره ، وخدمه ... الحديث » ورواه أبو نعيم أيضاً عنه مرفوعاً .

قوله : أو ماسمعت بأن آخر أهلها الخ . روى مسلم من حديث المغيرة ابن شعبة ، عن النبي ﷺ « ان موسى سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له ! أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت رب . قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قال : فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة

قال: فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو أنّ لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي ، أو تضحك بي وأنت الملك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهمُ ثلاث مع ثلا ... ثين التي هي قوة الشبان

وصغيرهم وكبيرهم في ذا على ... حد سواء ماسوى الولدان

ولقد روى الخدري أيضاً أنهم ... أبناء عشر بعدها عشران

وكلاهما في الترمذي وليس ذا ... بتناقض بل هاهنا أمران

حذف الثلاث ونيف بعد العقـــود وذكر ذلك عندهم سيان

عند اتساع في الكلام فعندما ... يأتوا بتحرير فبالميزان

قال الناظم : روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد. وروى الترمذي واستغربه عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال « يدخل

أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين» . وروى أبو بكر ابن أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

قوله : ولقد روى الخدري الخ . قال الناظم في « حادي الأرواح » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » رواه الترمذي . قال الناظم : فان كان محفوظاً لم يناقض ماقبله ، فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف ، فان لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرز ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرداً مرداً مكحلين » وروى ابن وهب عن أبي هريرة أنه قال ﷺ : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سررهم » وفي « الصحيحين » « أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » والرواية « على خلق » بفتح الخاء وسكون اللام ، والاخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة « إن أول زمرة

تلج الجنة ... الحديث ، وفيه « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لكن عرضهم سبع بلا نقصان

الطول صح بغير شك في الصحيحين اللذين هما لنا شمسان

والعرض لم نعرفه في احداهما لكن رواه أحمد الشيباني

هذا ولا يخفى التناسب بين هذا العرض والطول البديع الشان

كل على مقدار صاحبه وذا تقدير متقن صنعة الانسان

قد تقدمت الأحاديث في طول أهل الجنة في « الصحيحين » وغيرهما . وأما العرض فهو كما قال الناظم : ليس في « الصحيحين » لكن قد رواه أحمد . قال الناظم : وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فانه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، ولا يخفى التناسب بين هذا الطول والعرض ، وأنه لو زاد أحدهما على الآخر ، فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، ويصير طولا مع دقة ، أو غلظاً مع قصر ، وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم. انتهى .

فصل

في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى   جعد الشعور مكحلو الأجفان

هذا كمال الحسن في أبشارهم   وشعورهم وكذلك العينان

اللحى بضم اللام جمع لحية بكسرها ، وقد تقدمت الأحاديث بذلك ، كالحديث الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين » وروي عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع » .

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم   بالمنطق العربي خير لسان

لكنّ في اسناده نظر ففيه   راويان وماهما ثبتان

أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحـــيى الأشعري وذان مغموزان

تقدم حديث أنس بن مالك عند ابن ابي الدنيا ، وفيه « يدخل أهل الجنة الجنة على لسان محمد ﷺ » وروي عن ابن عباس قال : لسان أهل الجنة عربي . وكذا قال الزهري .

فصل

في ريح الجنة في مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعـــين وان تشأ مائة فمرويان

وكذا روي سبعين أيضاً صح هـ ذا كلـه وأتى به أثران

مافي رجالهما لنا من مطعن والجمع بين الكل ذو إمكان

ولقد أتى تقديره مائة بخمـــس ضربها من غير ما نقصان

إن صح هذا فهو أيضاً والذي من قبله في غاية الامكان

أما بحسب المدركين لريحها قرباً وبعداً ماهما سيان

أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان

أو باختلاف السير أيضاً فهو أنـــواع بقدر إطاقة الانسان

مابين ألفاظ الرسول تناقض بل ذاك في الافهام والاذهان

روى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » وصححه . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : واسناده عندي على شرط الصحيح ، وعند الطبراني مرفوعاً « وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » وعن أبي بكرة عنده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » .

قال الناظم : وهذه الألفاظ لاتعارض فيها . وفي « الصحيحين » من حديث انس في قصة عمه قال : فشهد مع رسول الله ﷺ أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : الجنة ورب الكعبة إني لأجد ريحها من دون أحد . فقال : فقاتلهم حتى قتل .

قال الناظم : وريح الجنة نوعان ، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العبارة ، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وروى الطبراني عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ريح الجنة يوجد من مسيرة الف ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم » وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها

ليوجد من مسيرة خمسين عاماً » وقد أشهدالله سبحانه عباده في هذه الدار من آثار الجنة وأنموذجاً منها ، من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهاة ، والمناظر البهية الحسنة ، والنعيم والسرور وقرة العين . وقد روى أبو نعيم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل للجنة طيبي لأهلك » فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذي يجده الناس في السحر . والله أعلم

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر للجنات في تقديره أثران
مائة بخمس ضربها او أربعين كلاهما في ذاك محفوظان
فأبو هريرة قد روى اولاهما وروى لنا الثاني صحابيان
هذا بحسب تفاوت الفقراء في استحقاق سبقهم الى الاحسان
أوذا بحسب تفاوت في الاغنيا ، كلاهما لا شك موجودان

روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يدخل فقراء المسلمين إلى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم » وهو خمسمائة ، وصححه الترمذي ، ورجال اسناده احتج بهم مسلم في « صحيحه » وروى الترمذي عن جابر أنه قال : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » . وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً» وروى الطبراني عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام ..» الحديث بطوله، والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً، فاما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً، ويختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جزائهم

قال الناظم رحمه الله:

هذا وأولهم دخولاً خير خلـــق الله من قد خص بالقرآن

والأنبياء على مراتبهم من التـــفضيل تلك مواهب المنان

روى مسلم في «صحيحه» من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، ومفتاح الجنة بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي، ولا فخر، يطوف علي ألف خادم، وكأنهم اللؤلؤ المكنون» رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له. وفي «صحيح مسلم» من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وروى الطبراني عن أنس مرفوعاً « فيقوم الخازن ، فيقول : لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك» وروى الدار قطني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال الدارقطني : غريب

هذا وأمة أحمد سبّاق با ... في الخلق عند دخولهم لجنان

وأحقهم بالسبق أسبقهم الى الـ ... اسلام والتصديق بالقرآن

وكذا أبو بكر هو الصديق أسـ ... بقهم دخولاً قول ذي البرهان

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ قال : نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم »

قولــه : وكذا أبو بكر الصديق الخ . روى أبو داود في «سننه» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل فأخذ بيدي ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يارسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر اليه . فقال: « أما إنك ياأبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

وروى ابن ماجة أن أولهم يصا ... فحه اله العرش ذو الاحسان

ويكون أولهم دخولاً جنة الـ ... فردوس ذلك قامع الكفران

فاروق دين الله ناصر قوله ورسوله وشرائع الايمان

لكنه أثر ضعيف فيه مجـروح يسمى خالداً ببيان

لوصح كان عمومه المخصوص بالصـديق قطعاً غير ذي نكران

روى ابن ماجه في « سننه » عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده ، فيدخله الجنة »

قال الناظم في « حادي الأرواح »: هو حديث منكر جداً ، قال أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء . وقال البخاري : منكر الحديث ، ثم لو صح لكان مخصوصاً بالحديث الذي تقدم ، وفيه قوله ﷺ « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »

هذا وأولهم دخولاً فهو حـماد على الحالات للرحمن

ان كان في السراء أصبح حامداً او كان في الضرا فحمد ثاني

هذا الذي هو عارف بالهه وصفاته وكماله الرباني

وكذا الشهيد فسبقه متيقن وهو الجدير بذلك الاحسان

وكذلك المملوك حين يقوم بالـحقين سباق بغير توان

وكذا فقير ذو عيال ليس بالـملحاح بل ذو عفة وصيان

وفي « صحيح مسلم » من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه مرفوعاً قال : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال »

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ، النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره الا لله في الجنة » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة ، وباقي الحديث على شرطه .

فصل

في عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة　　جداً ولكن أصلها نوعان

ذهبيتان بكل ما حوتاه من　　حلي وآنية ومن بنيان

وكذاك ايضاً فضة ثنتان من　　حلي وبنيان وكل أوان

لكنّ دار الخلد والمأوى وعد　　ن والسلام اضافة لمعان

أوصافها استدعت اضافتها اليـ　　ـها مدحة مع غاية التبيان

لكنما الفردوس اعلاها وأو　　سطها مساكن صفوة الرحمن

أعلاه منزلة لأعلى الخلق منـ　　ـزلة هو المبعوث بالقرآن

وهي الوسيلة وهي اعلى رتبة　　خلصت له فضلاً من الرحمن

قولـه : والجنة اسم الجنس الخ . أي : انها أجناس كثيرة ، ولهذا قال : اسم جنس ، لأن الجنس يصدق على بعض أفراده ، فالجنة اسم شامل

بجميع ماحوته من البساتين ، والمساكن ،والقصور ، وهي جنات كثيرة جداً ، ولكن أصلها نوعان. وفي حديث أنس يرفعه : « إنها جنان ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري . وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من ذهب آنيتها وحليتها وما فيها، وجنتان من فضة آنيتها وحليتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » :

قال الناظم : وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن :٤٥ فذكرهما ، ثم قال : (ومن دونهما جنتان) الرحمن : ٦١ فهذه أربع . قالت طائفة: من دونها أي : أقرب منها الى العرش ، فيكونان فوقها . وقالت طائفة: تحتها ،وهذا في لغة العرب . وفي الصحاح دون نقيض فوق. ويقال :دون هذا،أي أقرب منه ، والسباق يدل على تفضيل الجنتين الأولين بوجوه ، أحدها قوله : (ذواتا أفنان) الرحمن :٤٧ جمع فنن ، وهو الغصن أو جمع فن ، وهو الصنف ، أي : أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما. الثاني (فيها عينان تجريان) الرحمن :٤٩ وفي الأخريين(فيهما عينان نضاختان) الرحمن :٦٥وهي الفوارة. والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة ، لأنها تتضمن الفوارة والجريان . الثالث : (فيهما من كل فاكهة زوجان) الرحمن : ٥١ وفي الأخريين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) الرحمن:٦٧ ولاريب أن الأول أكمل. قالت طائفة . الزوجان . الرطب واليابس ، وفيه نظر . وقالت طائفة : صنف معروف ، وصنف من شكل غريب . وقال آخرون : نوعان ، ولم يزيدوا،والظاهر أنه الحلو والحامض ، والأبيض والأحمر ، لأن اختلاف أصناف الفواكه أعجب وألذ

للعين والفم ، والله أعلم . الرابع : (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٣ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الأخريين (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وفسر الرفرف بالمجالس ، والبسط ، والفرش ، وعلى كل فلم يصفه بما وصف به فرش الأولين. الخامس (وجنى الجنتين دان) الرحمن : ٥٤ أي قريب سهل ، يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك في الأخريين . السادس : (فيهن قاصرات الطرف) الرحمن ٥٦ أي على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وقال في الأخريين (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ ومن قصرت طرفها على زوجها أكمل ممن قصرت بغيرها . السابع أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون واشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها . الثامن (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) الرحمن : ٦٠ وهذا يقتضي أن أصحابها من أهل الاحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم باحسان كامل . التاسع : أنه جعلهما جزاء لمن خاف مقامه . والخائفون نوعان ، مقربون، وأصحاب يمين ، فذكر جنتي المقربين، ثم جنتي أصحاب اليمين . العاشر : أنه قال : (ومن دونهما جنتان)الرحمن : ٦٢ السياق يدل على أنه نقيض فوق، فكان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين اللتان دونهما ، والراجح أن لكل واحد جنتان . وقيل: لمجموع الخائفين ، يشتركون فيها ، ويرجح الأول قوله ﷺ « هما شأنان في رياض الجنة ، إحداهما جزاء أداء الأوامر ، والثانية جزاء اجتناب المحارم » انتهى كلامه .

قولـــه : إضافة لمعان . أي : أنها سميت دار الخلد ، وجنة المأوى ، وجنات عدن ، ودار السلام ، ونحو ذلك ، للمعاني التي تدل عليها هذه

الأسماء ، فسميت دار الخلد لأن أهلها لايظعنون عنها ، كما قال تعالى (عطاء غير مجذود) هود : ١٠٨ وقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ) ص : ٥٤ وقال (أكلها دائم وظلها) الرعد : ٣٥ وقال : (وماهم منها بمخرجين) الحجر ٤٨ وأما اسمها دارا لمقامة ، فقد قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها ، أبداً لايموتون ، ولا يتحولون منها أبداً . وقال الفراء والزجاج : المقامة مثل الاقامة . يقال : أقمت بالمكان اقامة ، ومقامة ، ومقاماً . وأما جنة المأوى فقد قال تعالى (عندها جنة المأوى) النجم : ١٥ والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار اليه واستقر به . قال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي اليها جبريل والملائكة . وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي اليها أرواح الشهداء . وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر يرتقي فيها أرواح الشهداء . وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) النازعات : ٤٠ وأما جنة عدن . فقيل : اسم لجنة من الجنان . قال الناظم : والصحيح أنه اسم لجملة الجنات ، فكلها جنات عدن . قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) مريم : ٦١ وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) فاطر : ٣٣ وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن) الصف : ١٢ والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن ، فانه من الاقامة والدوام . يقال : عدن بالمكان إذ أقام به ، وعدنت البلد ، توطنته ، وعدنت الابل بمكان كذا : لزمته فلم تبرح منه . قال الجوهري : ومنه جنات عدن ، أي جنات الاقامة ، ومنه سمي

المعدن بكسر الدال، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه ، والعادن ، الناقة المقيمة في المرعى ، وأما اسمها دار السلام فقد سماها الله تعالى بهذا الاسم في قوله : (لهم دار السلام عند ربهم) الانعام ١٢٧ وقوله :(والله يدعو إلى دار السلام) وهي أحق بهذا الاسم ، فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله ، واسمه سبحانه (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها ، وتحيتهم فيها سلام ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم) وكلامهم كله فيها سلام ، أي لا لغو فيها ، ولا فحش ، ولا باطل ، كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) مريم : ٦٢ وقد ذكر الناظم رحمه الله تعالى للجنة اثني عشر اسماً في كتابه «حادي الأرواح» وتكلم عن معانيها وبسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قولـــه : لكنما الفردوس أعلاها الخ . عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » أخرجه مسلم . وروى أحمد عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال : « إذا صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة » قيل : وما الوسيلة قال « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون (أنا) فصلاً ولا توكيداً ، بل مبتدأ . وفي « الصحيحين » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين

يسمع النداء « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامـــاً محموداً الذي وعدته ، الا حلت له الشفاعة يوم القيامة » قال الناظم : هذا لفظ الحديث مقاما بالتنكير ليوافق لفظ الآية ، ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه ، جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا لفظ من جعل (الذي وعدته) بدلا ، فتأمله ، وفي « المسند » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فاسألوا الله لي الوسيلة » ورواه ابن أبي الدنيا وقال : « فيه درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق » وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، ومعنى الوسيلة والوصلة والقربة والزلفى واحد ، ولهذا كانت أفضل الجنة ، وأشرفها وأعظمها نوراً . قال فضيل بن عياض : تدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها . وقال ابن عباس : نور سقف مساكنكم نور عرشه . وقال الحسن : انما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور . وفي الوسيلة معنى القرب اليه بأنواع الوسائل . قال الكلبي : اطلبوا اليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف الله سبحانه هذا المعنى بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الاسراء : ٥٧ فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير الوسيلة . ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل الى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة . وقوله « حلت عليه » يروى عليه وله ، فمن رواه باللام

فمعناه حصلت له ، ومن رواه بـ(على) فمعناه وقعت عليه شفاعتي . انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى .

ولقد أتى في سورة الرحمن تفـــضيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان و يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
واذا تأملت السياق وجدتها فيه تلوح لمن له عينان

تقدم الكلام على مضمون هذه الابيات ، وذكرنا الأوجه العشرة في تفضيل الجنتين الأولين من كلام الناظم .

سبحان من غرست يداه جنة الـــفردوس عند تكامل البنيان
ويداه أيضاً أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما تفضيله من أجل هذا الشان

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله بنى الفردوس بيده ، وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر » رواه الحسن بن سفيان . وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا الديوث » رواه الدارمي ، والنجاد ، وغيرهما .

قال الناظم : المحفوظ أنه موقوف ، وفيه أبو معشر متكلم فيه . وقال ابن عمر : خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم ،

ثم قال لسائر الخلق (كن) فكان » رواه الدارمي. وعن ميسرة :إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده. ونحوه عن كعب،زاد ثم قال لها : تكلمي فقالت: (قدأفلح المؤمنون)المؤمنون: ١رواهما الدارمي ،وذكر البيهقي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله أحاط حائطها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرس غرسها بيده ، وقال لها تكلمي ،فقالت:(قد أفلح المؤمنون) فقال طوبى لك منزل الملوك» . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لايجاورني فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن: ١٩ . فتأمل هذه العناية كيف جعل الجـنة التي غرسها بيده ، لمن خلقه بيده ، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً واظهاراً لفضل ماخلقه بيده ، وشرفه بذلك عن غيره ، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان .

لكنما الجهمي ليس لديه من ... ذا الفضل شيء فهو ذو نكران

ولد عقوق عق والده ولم ... يثبت بذا فضلا على الشيطان

فكلاهما تأثير قدرته وتأ ... ثير المشيئة ليس ثم يدان

إلا هما أو نعمتاه وخلقه ... كل بنعمة ربه المنان

أي أن الجهمية لما أنكروا يده سبحانه ، وقالوا : هي يد القدرة ، أويد

النعمة ، فلم يثبتوا فضيلة لأبيهم آدم عليه السلام ، لأن اليد إذا كان معناها القدرة ، استوى آدم وابليس ، فإن كلاهما مخلوق بقدرة الله تعالى ، وقد عقوا أباهم آدم عليه السلام بذلك ، أي فآدم والشيطان كلاهما تأثير قدرته ومشيئته ، أو نعمتيه ، فان الكل مخلوق بنعمة ربه . والله أعلم .

لما قضى رب العبادالعرش قا — ل تكلمي فتكلمت ببيـــان

قد أفلح العبدالذي هو مؤمن — ماذا ادخرت له من الاحسان

يشير إلى حديث أنس الذي رواه ابن أبي الدنيا قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، قال لها : انطقي قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لايجاورني فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر : ٩ والتغابن : ١٦ .

ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذا — ك عويمر أثراً عظيم الشان

يهتز قلب العبد عند سماعه — طرباً بقدر حلاوة الايمان

مامثله أبداً يقـــال برأيه — أو كان ياأهلا بذا العرفـان

فيه النزول ثلاث ساعات فاحـــ — ـــداهن ينظر في الكتاب الثاني

يمحو ويثبت مايشاء بحكمة — وبعزة وبرحمة وحنـان

فترى الفتى يمسي على حال ويصـــ — ـــبح في سواها ماهما مثلان

هو نائم وأموره قد دبّرت ليلا ولا يدري بذاك الشان

والساعة الأخرى إلى عدن مسا كن أهله هم صفوة الرحمن

الرسل ثم الأنبياء ومعهم الصديـــق حسب فلا تكن بجبان

فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به الأذنان

كلا ولا قلب به خطر المثا ل له تعالى الله ذو السلطان

والساعة الأخرى إلى هذي السما ويقول هل من تائب ندمان

أو داع او مستغفر أو سائل أعطيه إني واسع الاحسان

حتى تصلى الفجر يشهدها معالـــ أملاك تلك شهادة القرآن

هذا الحديث بطوله وسياقه وتمامه في سـنة الطبراني

قولـــه : ولقد روى حقاً أبو الدرداء الخ ، أي أن أبا الدرداء روى هذا الأثر موقوفاً عليه. ومثله لا يقال بالرأي . قوله :أوكان ؛أي: أوكان قاله برأيه ، فيا أهلا بذلك ، ولفظه « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فينظر الله تعالى في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره ، فيمحو ما يشاء ، ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها مالم يره أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل ، فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفرله ، ألا سائل يسألني فأعطيه ، ألا داع يدعوني فأستجيب له ، حتى يطلع الفجر » رواه الطبراني في « معجمه » .

فصل

في بناء الجنـــة

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخـــرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا ن جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لاتنكرهما فهما الملاط لذلك البنيان

قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو بكر بن مردويه ، عن ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ، فقال : « من يدخل الجنة يحيى لايموت، وينعم لا ييأس ، لاتبلى ثيابه ،ولايفنى شبابه » قيل : يارسول الله ، كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب، ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران ، وكذلك روى يزيد بن زريع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، ترابها الزعفران ، وطينها المسك » وفي « الصحيحين » عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المعراج. وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء ،

مسك خالص. فقال : صدق . وروى سفيان بن عيينة عن جابر بن عبد الله في قصة اليهود : فلما أن جاؤوه ، قالوا: ياأبا القاسم كم عدد خزنة أهل النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما « هكذا ، وهكذا » وقبض واحـدة ، أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة ؟ » فنظر بعضهم إلى بعض ، وقـالوا : خبزة ، فقال : « الخبزة من الدرمكة » فهذه ثلاث صفات في تربتها ، لاتعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران . قال مغيث بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين ، أحدهما أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالمـاء صار مسكاً ، والطين يسمى تراباً . ويدل على هذا قوله : « ملاطها المسك » والملاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد « ترابها الزعفران ، وطينها المسـك » فلما كانت تربتها طيبة ، وماؤها طيباً فأنظم أحدهما إلى الآخر حدث لها طيب آخر فصار مسكاً . الثاني : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من احسن شيء يكون في البهجة ، والاشراق في لون الزعفران ، والرائحة في رائحـة المسك ، وكذلك شبهها بالدرمك ، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة ، مع لينها ونعومتها ، وهو معنى ماذكره سفيان بن عيينة عن مجاهد أن أرض الجنة من فضة ، وترابها المسك ، فاللون في البياض لون الفضة ، والرائحة رائحة المسـك . وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال : قيل : يارسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : « لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » وروى أبو الشيخ عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « قلت ليلة أسري بي : ياجبريل : انهم يسألوني عن الجنة قال : فأخبرهم أنها من درة بيضاء ،

وأن أرضها عقيان ، والعقيان الذهب ، فان كان محفوظاً فهي أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبر بأعلى الجنتين وأفضلهما، والله أعلم. آخر كلامه.

قوله : وقصورها من لؤلؤ وزبرجد الخ . في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ومن حديث ابن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: هذه خديجة أقرأها السلام ربها ، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . والقصب ههنا اللؤلؤ المجوف . وروى ابن أبي الدنيا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ان في الجنة لقصراً من لؤلؤ ، ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله ابراهيم ».

فصل

في أرض الجنة وحصبائها وترابها

والأرض مرمرة كخالص فضة مثل المراة[1] تنالها العينان

في مسلم تشبيهها بالدرمك الصافي وبالمسك العظيم الشان

هذا لحسن اللون لكن ذا لطيب الريح صار هناك تشبيهان

حصباؤها در وياقوت كذا ك لآلىء نثرت كنثر جمان

---

(١) أي المرآة ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

وترابها من زعفران أو من الـــمسك الذي ماستل من غزلان

تقدم شرح هذا الفصل في الفصل الذي قبله

فصل

في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان

سكانها أهل القيام مع الصيا م وطيّب الكلمات والاحسان

ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضاً لهم ثنتان

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ورواه ابن وهب عن ابن عمرو ، ولفظه « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » قال محمد بن عبد الواحد ، وهذا عندي إسناد حسن . وفي حديث أبي سعيد « إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف فوقهم ، كما تراؤون الكوكب الغابر في الافق » وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » فقام اعرابي ، فقال : لمـن هي يارسول الله ؟ قال : « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام »

فصل

في خيام أهل الجنة

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ　　قد جوفت هي صنعة الرحمن

ستون ميلا طولها في الجو في　　كل الزوايا أجمل النسوان

يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم　　بعضاً وهذا لاتساع مكان

فيها مقاصير بها الأبواب من　　ذهب ودر زين بالمرجان

وخيامها منصوبة برياضها　　وشواطىء الأنهار ذي الجريان

ما في الخيام سوى التي لو قابلت　　للنيرين لقلت منكسفان

لله هاتيك الخيام فكم بها　　للقلب من علق ومن أشجان

فيهن حور قاصرات الطرف خيـــرات حسان هن خير حسان

خيرات أخلاق حسان أوجهاً　　فالحسن والاحسان متفقان

قد تقدم حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضاً » متفق عليه . وعن ابن مسعود في قوله (مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال : « در مجوف » وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در.

فصل

في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر عليـــهن الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دونها تيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخانة يدعونها بلسان فا رس وهو ظهر البيت ذي الأركان

قال تعالى (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) الطور : ٢٠ وقال تعالى (ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين) الواقعة : ١٣ - ١٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة) الغاشية : ١٣ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ، ولا بعيداً من بعض ، والوضين في لغتهم النضة والنسج المضاعف بعضه فوق بعض . وقال الليث : الوضن نسج السرير وأشباهه . قـالوا : موضونة : منسوجة بقصبات الذهب ، مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد . قال ابن عباس : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة . وقال الكلبي : طول السرير في السماء مائة ذراع ، فاذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه . وأما الأرائك ، فهي جمع أريكة حتى يكون السرير في الحجلة ، فان كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة، وان كانت حجلة بغير سرير لم يكن أريكة، ولا يكون أريكة إلا والسرير

في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة . وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال . وقال الليث : الأريكة : سرير حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة . وقال أبو ابو اسحق : الأرائك الفرش في الحجال .

قال الناظم في « حادي الأرواح » قلت : هاهنا ثلاثة أشياء ، أحدها السرر ، والثاني الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه ، والثالثة الفراش الذي على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة حتى يجتمع ذلك كله . وفي « الصحاح » الاريكة : سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة . وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة ، وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها .

قوله : بشخانة يدعونها الخ . أي : إن الأريكة تسمى بلسان الفرس بشخانة .

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعان منها ماله ... في هذه الدنيا مثال ثان

كالسدر أصل النبق مخضود مكا ... ن الشوك من ثمر ذوي ألوان

هذا وظل السدر من خير الظلا ... ل ونفعه الترويح للأبدان

وثماره أيضاً ذوات منافع ... من بعضها تفريح ذي الأحزان

والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقراً حملا مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأعناب والـــنخل التي منها القطوف دواني

ذكر الناظم في هذا الفصل أن أشجار الجنة نوعان ، منها ماله نظير في هذه الدنيا ، والنوع الثاني مالا نظير له في الدنيا ، وبدأ بالنوع الأول وهو الذي له مثل في هذه الدنيا . وقد قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لامقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٢٧ - ٣٣ وقال تعالى (ذواتا أفنان) الرحمن : ٤٨ جمع فنن وهو الغصن . وقال (فيها فاكهة ونخل ورمان) الرحمن :٦٨

قال الناظم في « حادي الأرواح » والمخضوض الذي قد خضد شوكه ، أي : نزع وقطع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ، وقتادة ، وأبي الأحوص ، وقسامه بن زهير . واحتجوا بحجتين . الأولى : أن الخضد في اللغة القطع . خضدت الشجر : قطعت شوكه ، فهو خضيد ، ومخضود . والثانية : ماروى ابن أبي داود عن عتبة السلمي قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : أسمعك تذكر في الجنة شجرة لاأعلم شجرة أكثر شوكاً منها ، يعني الطلح . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ، فيها سبعون لوناً من الطعام ، لايشبه لوناً آخر » الملبود الذي قد اجتمع شعره بعضه إلى بعض . وروى ابن المبارك عن سليم بن عامر قال : أقبل أعرابي يوماً فقال : ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية ، وما كنت أرى في الجنة

شجرة تؤذي صاحبها . قال : وما هي؟ قال: السدر ، فإن له شوكاً مؤذياً قال : أليس يقول عز وجل (في سدر مخضود) الواقعة : ٢٨ خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة . وقالت طائفة : هو الموقر حملاً، ولم يصب الذي أنكروا هذا القول ، وهو صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله لما خضد شوكه فأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقره بالحمل ، والحديثان المذكوران يجمعان القولين ، ومن قال المخضود مالا يعقر ولا يرد اليد منه شوك ولا أذى ، فقد فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراده تارة ، ومثالاً من أمثلته ، فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها . وأما الطلح ، فأكثر المفسرين أنه شجر الموز ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وقالت طائفة : بل هو شجر عظام طوال من البوادي الكثير الشوك ، وله نور ورائحة طيبة ، وظل ظليل . قال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق ، فليس له ساق بارز . وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري من غير أخدود . وقال الليث : الطلح شجر أم غيلان ، من أعظم العضاة شوكا وأصلبه عوداً، وأجوده صمغاً . قال أبو اسحاق : له نور طيب الرائحة ، وليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي ؛ والظاهر أن التفسير بالموز تمثيل به لحسن نضده ،وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من البوادي . والله أعلم

هذا ونوع ماله في هذه الـ ـدنيا نظير كي يرى بعيان

يكفي من التعداد قول إلهنا من كل فاكهة بها زوجان

وأتوا به متشابهاً في اللون مخـ ـتلف الطعوم فذاك ذو ألوان

أو أنه متشابهاً في الاسم مخـــتلف الطعوم فذاك قول ثاني

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) البقرة : ٢٥ . قال الناظم : قال مجاهد : ماأشبهه به . وقال ابن زيد : يعرفونه . وقال آخرون : قيل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم ، وهو أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو . قال أبو عبيدة : كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى . قال الحسن وقتادة وابن جريج وجماعة : خيار كله لارذل فيه ، وعلى هذا ، فالمراد بالمشابهة التوافق والتماثل . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والمرئى ، وليس يشبه الطعم الطعم . وقال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذلك قال الربيع ابن أنس . وقـال يحيى ابن أبي كثير : عشب الجنة الزعفران ، وكثبانها المسك . ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ، ثم يأتون بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وقـال عبـد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمـــان بالرمان ، وليس هو مثله في الطعم ، واختاره ابن جرير .

أو أنه وسط خيار كله   فالفحل منه ليس ذا ثنيان

أو أنه لثمارنا ذي مشبه   في اسم ولون ليس يختلفان

لكن لبهجتها ولذة طعمها   أمر سوى هذا الذي تجدان

فيلذها في الأكل عند منالها ... وتلذها من قبله العينان

قال ابن عباس وما بالجنة الـ ... ـعليا سوى أسماء ما تريان

يعني الحقائق لاتماثل هذه ... وكلاهما في الاسم متحدان

ياطيب هاتيك الثمار وغرسها ... في المسك ذاك الترب للبستان

وكذلك الماء الذي يسقى به ... ياطيب ذاك الورد للظمآن

تقدم شرح ماتضمنته هذه الأبيات

وإذا تناولت الثمار أتت نظـ ... ـيرتها فحلت دونها بمكان

لم تنقطع أبداً ولم ترقب نزو ... ل الشمس من حمل إلى ميزان

وكذاك لم تمنع ولم تحتج إلى ... أن ترتقي للقنـو في العيدان

قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة. لامقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٢، ٣٣ روى الطبراني عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »

قولـه : لم تنقطع أبداً الخ . قال الله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي : لاتكون في وقت دون وقت ، ولا يمنع من أرادها .

بل ذللت تلك القطوف فكيفما ... شئت انتزعت بأسهل الامكان

قال الله تعالى (قطوفها دانية) الحاقة : ٢٢ القطوف : جمع قطف ، وهو مايقطف ، أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف شاء . قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم . وقال تعالى (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) الدهر : ١٤ قال ابن عباس : إذا هم أن يتناولها تدلت اليه حتى يتناول مايريد . وقال غيره : قربت اليهم مذللة كيف شاؤوا، فهم

يتناولونها قياماً وقعوداً، ومضجعين، فيكون كقوله (قطوفها دانية) الحاقة : ٢٢ ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله . وفي نصب (دانية) وجهان، أحدهما أنه على الحال عطفا على قوله (متكئين) والثاني أنه صفة الجنة .

وكذاك لم تمنع ولم يحتج إلى   أن يرتقي للقنو في العيدان

القنو واحد الأقناء، والعيدان جمع عيدانه، وهي النخل الطوال

بل ذللت تلك القطوف فكيفما   شئت انتزعت بأسهل الامكان

ولقد أتى خبر بأن الساق من   ذهب رواه الترمذي ببيان

روى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »

قال ابن عباس وهاتيك الجذو   ع زمرد من أحسن الألوان

ومقطعاتهمُ من الكرم الذي   فيها ومن سعة من العقيان

وثمارها مافيه من عجم كأمـــ   ـثال القلال فجل ذو الاحسان

روى ابن المبارك عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال، والدلاء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس له عجم .

وظلالها ممدودة ليست تقي   حراً ولا شمساً وأنى ذان؟

أو ماسمعت بظل أصل واحد   فيه يسير الراكب العجلان

مائة سنين قدرت لاتنقضي   هذا العظيم الأصل والأفنان

ولقد روى الخدري أيضاً أن طو   بى قدرها مائة بلا نقصان
تتفتح الأكمام فيها عن لبا   سهم بما شاؤوا من الألوان

في « الصحيحين » عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها » واقرؤو ان شئتم (وظل ممدود)الواقعة:٣٠ وروى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال : الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر مايسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج اليها أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا». وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال :قال رجل: يارسول الله ، ماطوبى ! قال « شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » وقد رواه حرملة عنه بزيادة في أوله أن رجلاً قال: طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » وروى أبو يعلى عن سلمى بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة » أو قال : « يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش من الذهب ، كأن ثمارها القلال » رواه الترمذي وقال : مثله يحيى ، وهو حديث حسن غريب

فصل

في سماع اهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصان

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ انسان كالنغمات بالأوزان

يالذة الأسماع لاتتعوضي بلذاذة الأوتار والعيدان

أو ماسمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان

واهاً لذياك السماع فانه ملئت به الأذنان بالاحسان

واهاً لذياك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان

واهاً لذياك السماع فكم به للقلب من طرب ومن أشجان

واهاً لذياك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان

ماظن سامعه بصوت أطيب الـ أصوات من حور الجنان حسان

نحن النواعم والخوالد خيّرا ت كاملات الحسن والاحسان

لسنا نموت ولا نخاف ومالنا سخط ولا ضغن من الأضغان

طوبى لمن كنا له وكذاك طو بى للذي هو حظنا لفظان

في ذاك آثار روين وذكرها في الترمذيّ ومعجم الطبراني

ورواه يحيى شيخ الاوزاعي تفـــسيراً للفظة يحبرون أغانه

قوله : واهاً قد تقدم تفسير ذلك .

قال الله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) الروم : ١٥ قال يحيي بن أبي كثير : الحبرة : اللذة والسماع ، ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون . وقول مجاهد وقتادة : ينعمون. فلذة الاذن بالسماع من الحبرة والنعم. وروى الترمذي واستغربه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتهم ، لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ان في الجنة نهراً طول الجنة ، حافتاه العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ، مايرون في الجنة لذة مثلها . قلنا يا أبا هريرة ، وماذلك الغناء ؟ قال: إن شاء الله التسبيح ، والتقديس ، والتحميد ، وثناء على الرب عز وجل. هكذا رواه موقوفاً جعفر الفريابي . وروى أبو نعيم عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ ، فتهب لها ريح فتصفق ، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه » وروى جعفر الفريابي عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال « مامن عبد يدخل إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين ، تغنيانه بأحسن صوت سمـــعه الانس والجن ، وليس بزامير الشيطان » وروى الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط . إن مما

يغنين به : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان».
وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا تمتنه ، نحن الآمنات فلا تخفنه ، نحن
المقيمات فلاتظعنه». تفرد به ابن أبي مريم . وروى ابن وهب أنه قال رجل من
قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع ، فانه حبب الي السماع؟ فقال : إي
والذي نفس ابن شهاب بيده ، ان في الجنة شجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد ،
تحته حور ناهدات ، يغنين بألوان، يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن
الخالدات فلا نموت ،فإذاسمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجواري :
فلا ندري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر ، ولهم سماع أعلى من
هذا . وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال : بلغني أنـه ليس من خلق
الله أحسن صوتاً من اسرافيل ، فيأمره الله تعالى ، فيأخذ في السماع ،فما يبقى
ملك إلا وقطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث ، فيقول
الله عز وجل : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ماعبدوا غيري . وعن محمد
ابن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا ينزهون
أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟ أسكنوهم رياض
المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم تمجيدي وتحميدي . وروى ابن أبي
الدنيا عن مالـك بن دينار في قولـه تعالى : (وإن له عندنا لزلفى وحسن
مآب) ص : ٤٠ قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع ، فيوضع في
الجنة ، نودي ياداود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني
به في دار الدنيا ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة . وروى حماد
ابن سلمة ، عن شهر بن حوشب أن الله جل ثناؤه يقول لملائكته : إن عبادي
كانو يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونـه من أجلي ، فأسمعوا عبادي ،

فيأخذون بأصوات ، من تسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط . وعن ابن عباس قال : في الجنة شجرة على ساق قدر مايسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها ، فيشتهي بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا ، ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله ، وسلامه عليهم ، وخطابه ، ومحاضرته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل ذلك . روى أبو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم وأحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد

نزه سماعك ان أردت سماع ذياك الغنا عن هذه الألحان

لاتؤثر الأدنى على الأعلى فتحـــــرم ذا وذا ياذلة الحرمان

إن اختيارك للسماع النازل الـــ أدنى على الأعلى من النقصان

والله إنّ سماعهم في القلب والـــ ايمان مثل السم في الأبدان

والله ماانفك الذي هو دأبه أبداً من الاشراك بالرحمن

فالقلب بيت الرب جل جلاله حباً واخلاصاً مع الاحسان

فاذا تعلق بالسماع أصاره عبداً لكل فلانة وفلان

حب الكتاب وحب ألحان الغنا   في قلب عبد ليس يجتمعان

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا   تقييده بشرائع الايمان

واللهو خف عليهم لما رأوا   مافيه من طرب ومن ألحان

قوت النفوس وانما القرآن قو   ت القلب أنى يستوي القوتان؟!

ولذا تراه حظ ذي النقصان كالجـ   ـهال والنسوان والصبيان

وألذهم فيه أقلهم من الـ   ـعقل الصحيح فسل أخا العرفان

يالذة الفساق لست كلذة الـ   أبرار في عقل ولا قرآن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في التحذير من سماع الأغاني والألحان. وللعلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة مصنفات مفردة، كالامام أبي بكر الطرطوشي، والقاضي أبي الطيب الطبري، وللحافظ ابن رجب «نزهة الأسماع في مسألة السماع» وغيرهم، وهو من مكائد الشيطان التي كادبها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع المكاء والتصديه. والغناء بالآلات المحرمة، هو الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كادبه الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه، وغروراً، وأوحى اليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت النفوس وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبابها انصبابة

واحدة اليه ، فتمايلوا له كتمايل النشوان ، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ، ولا تحرك المخانيث والنسوان ، ويحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ، ففعل فيها أعظم مما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان قلوب هناك تمزق ، وأثواب تشقق ، وأموال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر في عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله ، واستفزهم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزاً ، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالذباب يترقص وسط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام ، واسوأتا من أشباه الحمير والأنعام وشماتة أعداء الاسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الاسلام . قال الامام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه في تحريم السماع : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ونسأل الله أن يرينا الحق حقاً فنتبعه ، والباطل باطلاً فنجتنبه ، وقد كان الناس فيما مضى يتستر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ، ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ، ثم كثر الجهل ، وقل العلم ، وتناقص الأمر ، حتى صار أحدهم يأتي بالمعصية جهاراً ، ثم ازداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين ، وفقنا الله وإياهم ، استزلهم الشيطان ، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين ، وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) النساء: ١١٥ فرأيت أن أوضح الحق ، وأكشف من شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور

الفتيا عليهم في أقاصي الأرض وأدانيها ، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها ، والله ولي التوفيق . ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، قال : واذا اشترى جارية فوجدها مغنية ، فله أن يردها بالعيب . وسئل مالك عما ترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق . قال : وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة ، سفيان ، وحماد ، وابراهيم ، والشعبي وغيرهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه . قال الناظم رحمه الله تعالى : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالمزمار ، والدف ، حتى والضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك قالوا : إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر ، هذا لفظهم . ورووا في ذلك حديثاً لا يصح رفعه ، قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وأما الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب اليه حله ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي اسحاق ، وابن الصباغ . قال الشيخ أبو اسحاق في « التنبيه » ولا يصح يعني الاجارة على منفعة محرمة ، كالغناء والزمر ، وحمل الخمر ، ولم يذكر فيه خلافاً . وقال في « المهذب » : ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم ، فقد تضمن كلامه أموراً . أحدها : أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة . الثاني : أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال باطل ، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم . الرابع : أنه لايجوز للرجل بذل ماله للمغني ، ويحرم عليه ذلك ، فانه بذل ماله في مقابلة محرم ، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة . الخامس : أن الزمر حرام ، فان كان الزمر الذي هوأخف آلات اللهوحراماً ، فكيف بما هو أشد منه ؟ ! كالعود والطنبور ، واليراع ، ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك ، فأقل مافيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر ، وقد تواتر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير ، يصدون به الناس عن القرآن ، فإذا كان هذا قوله في التغبير ، وتعليله أنه يصد عن القرآن ، وهو شعر مزهد في الدنيا ، يغني به مغن ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب نطع ، أو مخدة على توقيع غناه ، فليت شعري مايقول في سماع التغبير عنده كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وكل محرم ؟! فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون ، وعبد جاهل ، وأما مذهب الامام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لايعجبني ، ثم يذكر قول مالك : إنما يفعله عندنا الفساق . قال عبد الله : وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل مكة في المتعة ، لكان فاسقاً . قال أحمد : وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله ، ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها ، قال : لاتباع إلا على أنها ساذجة ، قالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفاً أو نحوها ، واذا بيعت ساذجة لاتساوي ألفين ، ، فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة . ولو كانت

منفعة الغناء مباحة ، لما فوت هذا المال على الأيتام . وقد أحسن الناظم رحمه الله تعالى في قوله :

تلي الكتاب فأطرقوا لاخيفة ... لكنه إطراق ساه لاهي

وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله مارقصوا لأجل الله

دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى شهدت عبادة بملاهي

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي

سمعوا له رعداً وبرقاً إذحوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي

ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها ياويحها المتناهي

وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذا غدا عظيم الجاه

أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه عند الجهول الساهي

إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي

فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند ملاهي

وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي

واحكم بأي الخمرتين أحق بالـــتحريم والتأثيم عند الله

وقد أكثر العلماء الكلام على هذا السماع الشيطاني المحدث ، ولكن آثرنا الاختصار ، والله أعلم .

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـــرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـــــر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه وهو اشتراك قام بالأذهان

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : إنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض ، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض ، إحدى حافتيها اللؤلؤ ، والآخر الياقوت ، وطينه المسك الأذفر ، قال معاوية بن قرة : ما الأذفر ؟ قال : الذي لا خلط له . رواه ابن مردويه في تفسيره عن أنس مرفوعاً هكذا ، وروى ابو خيثمة عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا اعطيناك الكوثر) فقال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر » فاذا هو نهر يجري ، ولم يشق شقاً ، واذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلى تربته ، فاذا مسك أذفر ، واذا حصباؤه اللؤلؤ » وروى سفيان الثوري عن مسروق في قوله تعالى (وماء مسكوب) الواقعه : ٣١ قال : أنهار تجري في غير أخدود ، ونخل طلعها هضيم من أصلها الى فرعها ، أو كلمة نحوها .

قولـــه : من تحتهم تجري الخ . قد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) طه : ٧٦ وفي موضع (تجري تحتها الأنهار) التوبة : ١٠٠ وفي موضع (تجري من تحتهم الأنهار) الأنعام : ٦ وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . والثاني : أنها جارية لا واقفه . والثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ، كما هو المعهود في أنهار الدنيا . وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم ، وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم ، فان أنهارها وإن جرت في غير أخدود ، فهي تحت القصور ، والمنازل ، والغرف ، وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها . وقد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيـــا . فقال (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأوض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) الأنعام : ٦ فهذا على المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه عن قول فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الزخرف : ٥١ وقال تعالى (فيهما عينان نضاختان) الرحمن : ٦٦ أي بالماء والفواكه ، قاله سعيد . وقـال أنس : بالمسك والعنبر تنضحان على دور أهل الجنة ، كما ينضح المطر على دور أهل الدنيا . وقال البراء : اللتان تجريان أفضل من النضاختين . رواها ابن أبي شيبة ، وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) محمد : ١٥ فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه الى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ،

وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب تعالى أن يجري أنهاراً من أجناس لم تجر العاده في الدنيا باجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا ، من الصداع ، والغول ، واللغو ، ونزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كريهة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان ، توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو الى الزنا ، وربما دعت الى الوقوع على البنت ، وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الانسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الاسماء والصفات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ماذكرناه ، وكلها منفية عن خمر الجنة .

فصل

في طعام أهل الجنة

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ... ولحوم طير ناعم وسمان

وفواكه شتى بحسب مناهم ... ياشيعة كملت لذي الايمان

لحم وخمر والنسا وفواكه ... والطيب مع روح ومع ريحان

وصحافهم ذهب يطوف عليهم ... بأكف خدام من الولدان

وانظر إلى جعل اللذاذة للعيو ن وشهوة للنفس في الشيطان

للعين فيها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران

سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما نالت العينان

قال تعالى (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) المرسلات : ٤١ وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) الواقعة : ٢٥ وقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) الرعد : ٣٥ وفي « صحيح مسلم » من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد » . وفي « المسند » والنسائي بسند صحيح ، عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال: ياأبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . قال : فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : « يكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه » . ورواه الحاكم في « صحيحه » بنحوه ، وروى الحسن بن عرفة عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إنك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه ، فيخرج من يديك مشوياً » وروي الحاكم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي » فقال أبو بكر: إنها لناعمة يارسول الله . قال « أنعم منها من

يأكلها، وأنت ممن يأكلها» . وروى الحاكم عن قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) الواقعة : ٢١ نحوه بلفظة اخرى . وعن ابن عمرو في قوله تعالى (ويطاف عليهم بصحاف من ذهب) الزخرف : ٧١ قال : بسبعين صحفة، كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى . وروى الدراوردي عن أنس بن مالك أنه قال في الكوثر : ويرفعه فيه طيور أعنافها كأعناق الجزر ، فقال : عمر : إنها لناعمة، فقال : أكلها أنعم منها، وفي رواية (أبوبكر) بدل (عمر) وقـال تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) الدهر : ٣٠ قـال أبو عبيدة والفراء : مخلدون لايهرمون ولا يتغيرون . وقال آخر : مخلدون مقرطون مسورون، في آذانهم القرطة ، وفي أيديهم الأساور ، وهذا ابن الأعرابي . قـال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : لايموتون، وهذا قول مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، وجمعت طائفة بين القولين ، لايعرف لهم الكبر والهرم ، وفي آذانهم القرطة ، وشبههم باللؤلؤ لما فيه من البياض وحسن الخلقة . وفي كونه منثوراً فائدتان : احداهما : أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم . والثاني : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً لاسيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره ، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان . وفي حديث انس عن النبي ﷺ « أنا أول النـاس إذا بعثوا » وفيه يطوف على ألف خادم ، كأنهم لؤلؤ مكنون . المكنون : المستور المصون الذي لم تبتذله الأيدي .

وقول الناظم : وانظر إلى جعل اللذاذة للعيون الخ . أي : انظر إلى اللذاذة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كاللؤلؤ المنثور، وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها ، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة

الشهوة ، لما في الصحاف ، وذلك يوجب لذة أخرى ، فتكمل لهم اللذة . والله أعلم .

فصل

في شـــرابهم

يسقون فيها من رحيق ختمه	بالمسك أوله كمثل الثاني
من خمرة لذت لشاربها بلا	غول ولا داء ولا نقصان
والخمر في الدنيا فهذا وصفها	تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأدواء ماهي أهله	ويخاف من عدم لذي الوجدان
فنفى لنا الرحمن أجمعها عن الـ	ـخمر التي في جنة الحيوان

قـــال تعالى (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) المطففين : ٢٥، ٢٦ رحيق مختوم ، أي : الخمر ختم بالمسك . وعن ابن مسعود : ختامه مسك ، أي : خلطه ، وليس بخاتم ختم .

قال الناظم : قلت : يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه ، فهو من الخاتمة ، ليس من الخاتم ، وهو قول علقمة ومسروق ، قال : يجدون عاقبتها طعم المسك ، وقال مجاهد : طيبه مسك ، كأنه يريد مايبقى في أسفل الاناء

من الدردي . وقال أبو الدرداء: هو، أي : ختامه مسك ، شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . رواه الحاكم .

قوله : من خمرة لذت لشاربها الخ . نفى الله سبحانه عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع ، والغول ، واللغو ، والانزاف ، وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل ، وتكثر اللغو على شربها، بل ولا يطيب شربها ذلك إلا باللغو ، وتنزف في نفسها ، وتنزف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كريهة المذاق ، وقد تقدم بعض آفاتها في فصل أنهار الجنة . والله أعلم .

وشرابهم من سلسبيل مزجه الـــكافور وذاك شراب ذي الاحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـــ أبرار شربهم شراب ثاني
يدعى بتسنيم سنام شرابهم شرب المقرب خيرة الرحمن
صفّى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكنّ أصحاب اليمين فأهل مز ج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجوا هم الـــأعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مزجى أمره والحكم فيه لربه الديان

قال تعالى (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) الدهر: ٥-٦ قال بعض السلف : معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم . قيل : الباء بمعنى من ؛ أي : يشرب منها .

وقيل : يروى بها ، وهذا أصح وألطف وأبلغ. وقيل : الباء الظرفية ، والعين اسم للمكان. وقال تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عيناً فيها تسمى سلسبيلا) الدهر : ١٧، ١٨ فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ان شراب الابرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الاعمال كلها لله تعالى فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله (يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون) المطففين ٢٥ ، ٢٨ فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ، بالكافور ، وبالزنجبيل ، فما في الكافور من البرد ، وطيب الرائحة ماىحدث لهم باجتماع الشرابين ، ومجيء أحدهما على الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر. وما ألطف ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فان شرابهم مزج أولا بالكافور والزنجبيل بعده فيعدله ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الاولى وأنها نوعان لذيذان من الشراب ، أحدهما مزج بالكافور ، والثاني بالزنجبيل. وايضاً فانه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ماوصفهم به من حرارة الخوف والايثار ، والصبر ، والوفاء ، بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعافها وهو ما أوجبوه على انفسهم بالنذر على الوفاء : باعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم ، ولهذا قال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الدهر : ١٢ فان في الصبر الخشونة ، وحبس النفس عن شهواتها مااقتضى ان يكون في إجزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير مايقابل ذلك الحبس والخشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال بواطنهم كما جملوا في الدنيا

ظواهرهم بشرائع الاسلام ، وبواطنهم بحقائق الايمان ، أفاده الناظم رحمه الله تعـــالى .

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه

هذا وتصريف المآ كل منهم عرق يفيض لهم من الابدان

كروائح المسك الذي مافيه خلـ ـط غيره من سائر الالوان

فتعود هاتيك البطون ضوامراً تبغي الطعام على مدى الازمان

لاغـائط فيها ولابول ولا مخط ولابصق من الانسان

ولهم جشاء ريحه مسك يكو ن به تمام الهضم بالاحسان

هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم ولأحمد الأثران

قوله : هذا وهذا صح عنه فواحد في مسلم الخ . تقدم الحديث الذي رواه مسلم في ذلك من حديث جابر ، وتقدم الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي من حديث زيد بن أرقم قال : جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم . . . الحديث . قوله هذا وهذا اصح عنه الخ . أي أن تصريف مآكل أهل الجنة قد بينه النبي ﷺ ، ففي حديث جابر أن ذلك جشاء ورشح كرشح المسك . وفي حديث زيد بن أرقم أن ذلك يكون رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك : قوله . ولأحمد الأثران ، اي ان حديث

جابر وحديث زيد بن أرقم قد رواهما الامام أحمد، وأما مسلم فلم يرو الا حديث جابر، ومع ذلك فهما صحيحان ، والله اعلم

فصل

في لباس اهل الجنة

وهم الملوك على الأسرة فوق ها	تيك الرؤوس مرصّع التيجان
ولباسهم من سندس خضر ومن	إستبرق نوعان معروفان
ماذاك من دود بني من فوقه	تلك البيوت وعاد ذو طيران
كلا ولا نسجت على المنوال نسـ	ـج ثيابنا بالقطن والكتان
لكنها حلل تشق ثمارها	عنها رأيت شقائق النعمان
بيض وخضر ثم صفر ثم حمـ	ـر كالرباط بأحسن الالوان
لاتقرب الدنس المقرب للبلى	ماللبلى فيهن من سلطان
ونصيف إحداهن وهو خمارها	ليست له الدنيا من الاثمان
سبعون من حلل عليها لاتعو	ق الطرف عن مخ ورا الساقان
لكن يراه من ورا ذا كله	مثل الشراب لدى زجاج أوان

قال الله تعالى (ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) الدخان : ٥٣، ٥٤ وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا

لانضيع اجر من أحسن عملا. اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك) الكهف: ٣١،٣٠ قال جماعة من المفسرين: السندس: من مارق الديباج والاستبرق ماغلظ منه. وقال آخرون: المراد به الصفيق. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الالوان الأخضر والبني للابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم فلا يبأس، لاتبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر». قال الناظم في «حادي الارواح»: والظاهر أن الثياب المعينة لايلحقها البلى، ويحتمل ان المراد الجنس، بل لاتزال عليه الثياب الجدد، كما انها لاينقطع أكلها في جنسه، بل كل مأكول يخلفه مأكول آخر، والله أعلم. وروى أحمد عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «قيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم خير من الدنيا ومثلها معها، ونصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قلت: وما النصيف؟ قال: «الخمار» وروى ابن وهب عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل ان يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه، فيظهر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء مابين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت فتقول: انا المزيد، وانه ليكون عليها سبعون حلة ثوباً، ادناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وان عليها التيجان، وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء مابين المشرق والمغرب»

وروى احمد عن ابن عمرو مرفوعاً ، وفيه : فقام آخر اي اعرابي فقال : اخبرني عن ثياب اهل الجنة ، أتخلق خلقاً او تنسج نسجاً ؟ فضحك بعض القوم . فقال ﷺ « تضحكون من جاهل يسأل عالماً ؟ » فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال : « أين السائل ؟ » قال : ها هو ذا يارسول الله . قال : تشقق عنها ثمار الجنة ثلاث مرار . وروى البيهقي عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه وجعله رفيق السفرة البررة ، واذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، الا فلاناً كان يقوم بي آناء الليل والنهار ، ويحل حلالي ، ويحرم حرامي ، يقول : رب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملك ثم يكسوه من حلل الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ، فيقول : يارب أرغب في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ثم يقول هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري ، ان رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى (يحلون فيها من اساور من ذهب) الكهف : ٣١ فقال : ان عليهم التيجان ، إن ادنى لؤلؤة فيها لتضيىء ما بين المشرق والمغرب . قوله : المنوال . قال في « القاموس » : والنول الوادي السائل ، وحبل السفينة . وخشبة الحائك كالمنوال ، والمنوال جمع أنوال . انتهى كلامه .

فصل

في فرشهم وما يتبعها

والفرش من إستبرق قد بطنت ... ماظنكم بظهارة لبطان
مرفوعة فوق الأسرة يتكي ... هو والحبيب بخلوة وأمان
يتحدثان على الأرائك ماترى ... حبين في الخلوات ينتجيان
هذا وكم زربية ونمارق ... ووسائد صفت بلا حسبان

قال الله تعالى (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) الرحمن : ٥٤. قال تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق، وهذا يدل على أمرين، احدهما أن ظهارتها أعلى واحسن من بطانتها لانها للارض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. قال سفيان الثوري : عن عبد الله في قوله (بطائنها من إستبرق) قال : هذه البطائن قد خبرتم عنها، فكيف بالظهائر ؟ الثاني : أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة. وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة، فالمراد ارتفاع محلها. كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) الواقعة : ٣٤ قال : ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام، واستغربه الترمذي. وقيل : معناه ان الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها. وروى ابن وهب عنه عن النبي

ﷺ قال « بين الفراشين كما بين السماء والارض » وهذا أشبه ان يكون هو المحفوظ. وروى الطبراني عن كعب قال : مسيرة أربعين سنة . وعن أبي أمامة عند الطبراني قال : سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة. قال : « لو طرح فراش في أعلاها لوقع الى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر . فقد روى ابن أبي الدنيا عنه قال : لو أن أعلاها سقط مابلغ أسفلها أربعين خريفا . وأما البسط ، والزرابي ، فقد قال تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) الرحمن : ٧٦ وقال تعالى (فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابي مبثوثة) الغاشية : ١٣ . ١٦ عن سعيد بن جبير قال : الرفرف رياض الجنة ، والعبقري عتاق الزرابي . وقال الحسن : هي البسط ، وبه قال أهل المدينة . وأما النمارق ، فقال الواحدي : هي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وكسرها . قال مقاتل : هي الوسائد مصفوفة على الطنافس ، وزرابي يعني: البسط. والطنافس واحدها زربية في قول جميع أهل اللغة والتفسير، ومبثوثة مبسوطة، منشورة.

قوله : فوق الأسرة يتكي الخ . الأسرة : جمع سرير. متكئين . قال في « القاموس » توكأ عليه تحامل واعتمد ، وانما جعل له متكأً .

وقوله ﷺ «أما أنا فلا آكل متكأً » أي : جالساً جلوس المنكمش المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل ، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً ، مقعياً غير متربع ولا متمكن ، وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة ، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن ، بخلاف المريض المهموم .

وقوله تعالى (متكئين على فرش . .) الاية الرحمن : ٥٤ منصوب على الحال من فاعل قوله (ولمن خاف مقام ربه) الرحمن : ٤٦ وانما جمع حملا على معنى من . وقيل : منصوب على المدح . وقيل : عاملها محذوف ، والتقدير : يتنعمون متكئين ، أي : مضطجعين أو متربعين

فصل

في حلي اهل الجنة

والحلي أصفى لؤلؤ وزبرجد وكذاك أسورة من العقيان
ماذاك يختص الاناث وانما هو للاناث كذاك الذكران
التاركين لباسه في هذه الـ ـدنيا لأجل لباسه بجنان
أوماسمعت بأن حليتهم الى حيث انتهاء وضوئهم بوزان
وكذاوضوءابي هريرة كان قد فازت به العضدان والساقان
وسواه أنكر ذا عليه قائلا ماالساق موضع حليه الانسان
ماذاك الاموضع الكعبين والـ ـزندين لا الساقان والعضدان

قال الله تعالى (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من أحسن عملا . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب . . .) الكهف : ٣٠، ٣١ الاية يحتمل ان يكون اساور من لؤلؤ ، وان تكون مركبة منهما معاً . والله اعلم . وروى ابن ابي الدنيا عن وهب قال : ان الله عز جل منذ يوم خلق يصوغ علي اهل الجنة . وعن الحسن : الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء . وروى أحمد ابن منيع عن سعد ابن ابي وقاص عن النبي ﷺ قال : « لوأن رجلا من أهل الجنة

اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، وروى ابن وهب عن ابي أمامة ان رسول الله ﷺ حدثهم ، وذكر حلي اهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضه مكللون بالدر ، عليهم اكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب جرد مكحلون » وفي « الصحيحين » والسياق لمسلم عن ابي حازم قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة وكان يمد يده حتى يبلغ إبطه . فقلت : يا أبا هريرة هذا الوضوء فقال : يابني فروخ ، انتم ها هنا ، لو علمت انكم ها هنا ما توضأت بهذا الوضوء : سمعت خليلي ﷺ يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

وكذاك اهل الفقه مختلفون في   هذا وفيـــه عندهم قولان

والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا   للمرفقين كذلك الكعبان

هذا الذي قد حدد الرحمن في الـــقرآن لا تعدل عن القرآن

واحفظ حدود الرب لا تتعدها   وكذاك لا تجنح الى النقصان

وانظر الى فعل الرسول تجده قد   أبدى المراد وجاء بالتبيان

ومن استطاع يطيل غرته فمو   قوف على الراوي هو الفوقاني

فأبو هريرة قال ذا من كيسه   فغدا يميزه اولو العرفان

ونعيم الراوي له قد شك في   رفع الحديث كذا روى الشيباني

وإطالة الغرات ليس بممكن   أبداً وذا في غاية التبيان

قال الناظم في « حادي الارواح » وقد ساق حديث أبي هريرة المتقدم وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه

لايستحب وهوقول اهل المدينة . وعن احمد روايتان ، والحديث لا يدل على الاطالة ، فان الحلية انما تكون زينا في الساعد والمعصم ، لا في العضد والكتف . واما قوله : فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل . فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام ابي هريرة ، لا من كلام النبي ﷺ ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ. وفي « مسند الامام أحمد » في هذا الحديث قال نعيم : فلا ادري قوله : فمن استطاع ان يطيل غرته فليفعل . من تمام كلام النبي ﷺ ، اوشيء قاله ابو هريرة من عنده . وكان شيخنا رحمه الله يقول : هذه اللفظة لايمكن ان تكون من كلام النبي ﷺ ، فان الغرة لاتكون في اليد ، لاتكون الا في الوجه ، وإطالتها غير ممكنة ، اذ تدخل في الرأس ، ولايسمى ذلك غرة .

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن

يامن يطوف بالكعبة الحصن التي ... حفت بذاك الحجر والاركان

ويظل يسعى دائماً حول الصفا ... ومحسر مسعاه لا العلمان

ويروم قربان الوصال على منى ... والخيف يحجبه عن القربان

فلذا تراه محرما أبداً ومو ... ضع حله منه فليس بدان

يبغي التمتع مفردا عن حبه ... متجرداً يبغي شفيع قران

فيظل بالجمرات يرمي قلبه　　هذي مناسكه وكل زمان

والناس قد قضّوا مناسكهم وقد　　حثوا ركائبهم الى الأوطان

وخدت بهم همم لهم وعزائم　　نحو المنازل اول الازمان

يعني الى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليهما السلام كما اشار الى ذلك الناظم في الميمية بقوله :

وحيّ على جنات عدن فانها　　منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى　　نعود الى أوطاننا ونسلم

واشار الناظم بهذه الاستعارات

رفعت لهم في السير أعلام الوصا　　ل فشمروا يا خيبة الكسلان

ورأوا على بعد خياماً مشرفا　　ت مشرقات النور والبرهان

فتيمموا تلك الخيام فآنسوا　　فيهن أقمارا بلا نقصان

من قاصرات الطرف لا تبغي سوى　　محبوبها من سائر الشبان

وقصرت عليه طرفها من حسنه　　والطرف في ذا الوجه للنسوان

أو أنها قصرت عليه طرفه　　من حسنها فالطرف للذكران

والاول المعهود من وضع الخطا　　ب فلا تحد عن ظاهر القرآن

ولربما دلت اشارته على الـــثاني فتلك اشارة للمعان

قوله : من قاصرات الطرف الخ . . . قال الله تعالى (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الرحمن : ٥٩ (كأنهن الياقوت والمرجان)

الرحمن : ٦٠ وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع : أحدها هذا ، والثاني قوله في الصافات : ٤٨ (وعندهم قاصرات الطرف عين) والثالث قوله في سورة ص : ٥٢ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على ان المعنى قصر طرفهن على ازواجهن ، فلا يطمحن الى غيرهم ، وهذا معنى قول الناظم : قصر عليه طرفها من حسنه الخ . وقيل: قصر طرف ازواجهن عليهم ، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن ان ينظروا الى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى دون اللفظ . قال مجاهد : والله ماهن متبرجات ، ولا متطلعات . وهذا معنى قول الناظم : أو أنها قصرت عليه طرفه الخ . قوله : والأول المعهود من وضع الخطاب . أي أن القول الاول وهو ان المعنى قصرت عليه طرفها من حسنه هو ظاهر القرآن .

هذا وليس القاصرات كمن غدت   مقصورة فهما اذاً صنفان

قال تعالى (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ أي محبوسات في الخيام ، قاله مقاتل . وقال ابو عبيدة: خدرن في الخيام . وقال الفراء محبوسات على ازواجهن لا يطمحن الى من سواهم . قال النـاظم : قلت : هـذا معنى قاصرات الطرف ، وهؤلاء مقصورات ، أي هن في الخيام . قال الناظم :

يامطلق الطرف المعذب في الألى   جردن عن حسن وعن احسان

لا تسبينك صورة من تحتها الـــداء الدوي تبوء بالخسران

قحبٌ خلائقها وقبّح فعلها   شيطانة في صورة الانسـان

تنقاد للأنذال والارذال هم   اكفاؤها من دون ذي الاحسان

ماثم من دين ولاعقل ولا　　خلق ولا خوف من الرحمن

وجمالها زور ومصنوع فإن　　تركته لم تطمح لها العينان

طبعت على ترك الحفاظ فمالها　　بوفاء حق البعل قط يدان

ان قصر الساعي عليها ساعة　　قالت وهل أوليت من احسان

اورام تقويماً لها استعصت ولم　　تقبل سوى التعويج والنقصان

أفكارها في المكر والكيد الذي　　قد حار فيه فكرة الانسان

فجمالها قشر رقيق تحته　　ماشئت من عيب ومن نقصان

نقد رديء فوقه من فضة　　شيىء يظن به من الاثمان

فالناقدون يرون ماذا تحته　　والناس اكثرهم من العميان

شرع الناظم رحمه الله تعال في ذكرعيوب نساء الدنيا، فقال: لاتسبينك صورة من تحتها الخ . أي : ان صورتها وان حسنت، فتحتها مالا يحصى من القبائح . قوله : تنقاد للانذال والارذال الخ . قال في «القاموس » : النذل والنذيل : الخسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله ، جمع انذال ، ونذول، ونذلاء ، ونذال . وقد نذل ككرم نذالة ، ونذولة . قال : والرذل ، والرذال، والرذيل والارذل : الدون الخسيس ، او الرديء من كل شيء، جمع أرذال ، ورذول، ورذلاء ، ورذال ، وأرذلون . وقد رذل ككرم وعلم رذالة ، ورذولة بالضم . انتهى : قوله هم اكفاؤها الخ . اي : انها لنذالتها ورذالتها تنقاد للانذال والأرذال . قوله : طبعت على ترك الحفاظ

الخ . اي : انها طبعت على عدم الوفاء بحق الزوج. قوله : ان قصر الساعي عليها ساعة الخ . يدل على ذلك الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ « يامعشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فاني اطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء » فقامت امرأة جزلة فقالت : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : « انكن تكفرن العشير ، وتكثرن اللعن » قوله : أورام تقويما لها استعصت الخ . يشير الى ما في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج مافي الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه . وفي رواية في « الصحيحين » « المرأة كالضلع ان اقمتها كسرتها ، وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » قال الناظم :

أماجميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهن للأخدان

الأخدان جمع خدن . قال في « القاموس » الخدن بالكسر وكأمير : الصاحب ، ومن يخادنك في أمر ظاهر وباطن .

والاخدان : الاحباب يزنون بهن في السر . قال الحسن : المسافحة هي ان كل من دعاها تبعته ، وذات خدن ، اي تختص بواحد لاتزني الا معه ، والعرب تحرم الاولى ، وتجوز الثانية .

والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فرداً من النسوان

فانظر مصارع من يليك ومن خلا ... من قبل من شيب ومن شبان

وارغب بعقلك ان تبيع العالي الـ ... باقي بذا الادنى الذي هو فاني

ان كان قد أعياك خود مثلما تبغي ولم تظفر الى ذا الآن

فاخطب من الرحمن خوداً ثم قـــدم مهرها مادمت ذا امكان

ذاك النكاح عليك أيسر اريكن لك نسبة للعلم والايمـــان

والله لم تخرج الى الدنيا للذة عيشها او للحطـام الفـاني

لكن خرجت لكي تعد الزاد للا أخرى فجئت بأقبح الخسران

أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي ألهاك عن ذا الشان

والله لوأن القلوب سليمـة لتقطعت أسفا من الحرمان

لكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان

قوله: خود . الخود : الحسنة الخلق الشابة الناعمة . قوله : والحافظات للغيب . أي : حافظات للفروج في غيبة الأزواج . وقيل : حافظات لسرهم. وقيل : حافظات للغيب بحفظ الله . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة ، ان نظرت اليها سرتك ، وان أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها » ثم تلا (الرجال قوامون على النساء) النساء : ٣٤ الاية. قوله : فانظر مصارع من يليك ومن خلا الخ . اي: انظر مصارع العشاق ، واقرأ ما صنفه العلماء في ذلك كـ« مصارع العشاق » للشيخ ابي محمد جعفر السراج ، ترى ماجرى على عشاق الصور . قوله : والله لوأن القلوب سليمة الخ . (لو) تدل على امتناع الشيىء لامتناع غيره ، فاذا كان ما بعدها مثبتاً كان منفياً ، نحو: لوجاءني أكرمته . واذا

كان منفياً كان مثبتاً ،نحو: لولم يسيء لم أعاقبه . هكذا ذكر النحاة ، فمعنى البيت على هذا : إن القلوب ليست بسليمة لأن مابعد (لو) مثبت ، والله أعلم.

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك ياأخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقا ومحاسناً من أجمل النسوان

قال الله تعالى (وزوجناهم بحور عين) الدخان : ٥٤ الحور جمع حوراء وهي : المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين التي يحار الطرف فيها من رقة الجلد وصفاء اللون، قاله مجاهد . والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين ، وهوشدة بياضها مع قوة سوادها ، فهو يتضمن الأمرين . وقال تعالى (وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون) الواقعة : ٢٢ ، ٢٣ روى الطبراني عن أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (وحورعين) قال : « حور، بيض، عين، ضخام العيون، شفر، الحوراء بمنزلة جناح النسر. قلت : اخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال صفاؤهن صفاء الدر في الاصداف الذي لم تمسه الأيدي . قلت : أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) الرحمن : ٧٠ قال : خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) الصافات : ٤٩ قال : رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر ...الحديث .

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حسنها سبحان معطي الحسن والاحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان

والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الانسان

لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنـــد مجيئه حتى الصباح الثاني

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان

وكلاهما مرآة صاحبه إذا ماشاء يبصر وجهه يريان

فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

روى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «ان الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة..» الحديث. وروى أبو يعلى الموصلي عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه، فذكر حديث الصور. وفيه «والذي بعثني بالحق نبياً، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة مما ينشىء الله، وثنتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله، لعبادتهما الله عز وجل

في الدنيا ، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليها سبعون حلة من سندس وإستبرق ، وانه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر الى مخ ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة . . . إلى آخر الحديث ، هذا قطعة من حديث الصور الذي تفرد به اسمعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمد يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب.. الحديث .

قال الناظم : قال شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ، ساقه اسماعيل وغيره ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد ، وما تضمنه معروف في الأحاديث ، والله أعلم .

حمر الخدود ثغورهن لآلأ ... سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

ولقد روينا أن برقاً ساطعاً ... يبدو فيسأل عنه من بجنان؟

فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك ... في الجنة العليا كما تريان

لله لاثم ذلك الثغر الذي ... في لثمه إدراك كل أمان

روى ابو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «سطع نور في الجنة رفعوا رؤوسهم ، فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»

وروى ابن أبي الدنيا عن يزيد الرقاشي قال : بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه . فقيل : ماهذا ؟

قيل : حوراء ضحكت في وجه زوجها . قال صالح : فشهق رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشهق حتى مات . ورواه الخطيب في « تاريخه » مرفوعاً ، ولم يذكر (الشهق)

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ... ب فغصنها بالماء ذو جريان

لما جرى ماء النعيم بغصنها ... حمل الثمار كثيرة الألوان

فالورد والتفاح والرمان في ... غصن تعالى غارس البستان

والقد منها كالقضيب اللدن في ... حسن القوام كأوسط القضبان

في مغرس كالعاج تحسب أنه ... عالي النقا أو واحد الكثبان

لا الظهر يلحقها وليس ثديها ... بلواحق للبطن أو بدوان

لكنهن كواعب ونواهد ... فثديهن كألطف الرمان

القضيب : الغصن وهو واحد القضبان . الكثيب : التل من الرمل . النقا من الرمل ، والنقو والنقا : عظم العضد . وقوله : وليس ثديها هو بضم الثا و كسر الدال جمع ثدي

والجيد ذو طول وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكران

يشكو الحلي بعاده فله مدى الـ ... أيام وسواس من الهجران

والمعصمان فإن تشأ شبههما ... بسبيكتين عليهما كفان

كالزبد ليناً في نعومة ملمـس ... أصداف در دورت بوزان

والصدر متسع على بطن لها ... حفت به خصران ذات ثمان

وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ ... خصرين قد غارت من الأعكان

حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جل ذو الاتقان

وإذا انحدرت رأيت أمر أهائلاً ما للصفات عليه من سلطان

لا الحيض يغشاه ولا بول ولا شيء من الآفات في النسوان

فخذان قد حفا به حرساً له فجنابه في غرة وصيان

قوله : والجيد ذو طول الخ . وصف الجيد وهو الرقبة بأنه ذو طول وحسن ، وأنه ليس بالطويل ولا بالقصير ، كما قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش اذا هي رضته ولا بمعطل

قوله : والمعصمان الخ . المعصمان تثنية معصم ، وهو موضع السوار من الزند . والزند : طرف الذراع الذي انحسر عنه اللحم .

قوله : ذات ثمان . قال العلامة الميداني : لما تكلم على المثل المشهور : أخنث من هيت ، وذكر قوله لعبد الله بن أبي امية : إن فتح الله عليكم الطائف ، فسل ان تنفل بادية بنت غيلان بن سلمة ، فانها متبلة هيفاء شموع نجلاء ، تناصف وجهها في القسامة ، وتجزأ معتدلا في الوسامة ، ان قامت تثنت ، وان قعدت تبنت ، وان تكلمت تغنت ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، اذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان الخ ،

قوله : تقبل بأربع ، يعني : بأربع عكن في بطنها .

وقوله : وتدبر بثمان . يعني : أطراف هذه العكن الأربع في جنبها ، لكل عكنة طرفان ، لأن العكن تحيط بالطرفين والجنبين ، حتى تلحق بالمتنين من مؤخر المرأة . وقال : بثمان ، وانما هي عدد الأطراف ، وواحدها طرف ، وهو مذكر ، لأن هذا كقولهم : هذا الثوب سبع في ثمان ، على نية الأشبار . انتهى .

قاما بخدمته هو السلطان بينهما وحق طاعة السلطان

وهو المطاع أميره لاينثني عنه ولاهو عنده بجبان

وجماعها فهو الشفاء لصبها فالصب منه ليس بالضجران

وإذا يجامعها تعود كما أتت بكراً بغير دم ولا نقصان

فهو الشهي وعضوه لاينثني جاء الحديث بذا بلا نكران

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ، عدن أبكاراً » تفرد به يعلى . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل : هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال : « نعم بذكر لايمل ، وفرج لايحفى ، وشهوة لاتنقطع » .

ولقد روينا أن شغلهم الذي قد جاء في (يس) دون بيان

شغل العروس بعرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان

بالله لاتسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شان

قال عكرمة في قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) يسن : ٥٥ أي افتضاض الأبكار . رواه سعيد بن منصور . وروى عبد الله ابن احمد ، عن ابن مسعود في الآية المذكورة قال : شغلهم افتضاض العذارى . وروى الحاكم عن الأوزاعي في الآية المذكورة قال : شغلهم افتضاض الأبكار . ومثله قال ابن عباس فيها . رواه ابن أبي الدنيا .

واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن محبوبه في شاسع البلدان

والشوق يزعجه اليه وماله ... بلقـــائه سبب من الامكان

وافي اليه بعد طول مغيبه ... عنه وصار الوصل ذا إمكان

أتلومه أن صار ذا شغل به ... لا والذي أعطى بلا حسبان

يارب غفراً قد طغت أقلامنا ... يارب معذرة من الطغيان

قوله : غفراً هو بفتح الغين مصدر منصوب . أي : اغفر غفراً ، والغفر التغطية . يقال : غفر الله ذنبك ، أي : ستره . ومعنى قول « رب اغفرلي » استر علي ذنبي في الدنيا وقني عقوبته في الآخرة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت ... من فوقها ساقان ملتفـــان

والساق مثل العاج ململوم يرى ... مخ العظام وراءه بعيـــان

والريح مسك والجسوم نواعم ... واللون كالياقوت والمرجان

وكلامها يسبي العقول بنغمة ... زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدلها ... وتحبب للزوج كل أوان

وهي التي عند الجماع تزيد في ... حركاتها للعين والأذنان

لطفاً وحسن تبعل وتغنج … وتحبب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا … اطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها … هي أول وهي المحل الثاني
فإذاهما اجتمعا لصب وامق … بلغت به اللذات كل مكان

قوله : وهي العروب الخ. قال الله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً. عرباً...) الواقعة : ٣٥ - ٥٧ الآية. عرباً جمع عروب، وهن المتحببات إلى أزواجهن ، وزاد ابن الأعرابي : المطيعات لأزواجهن . وقال أبو عبيد : الحسنة التبعل ، يريد حسن مواقعتها وملاطفتها عند الجماع ، وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها ، وذكر المفسرون في تفسير العرب : أنهن العواتق ، المتحببات ، الغنجات ، الشكلات ، الغلمات ، المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . قال البخاري في « صحيحه » عرباً : متصلة ، واحدها عروب ، تسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة : الغنجة ، وأهل العراق : الشكلة ، فجمع سبحانه بين حسن صورتها ، وحسن عشرتها ، وهذا غاية مايطلب من النساء ، وبه تكمل لذة الرجل بهن ، فان لذته بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي قوله : تبعل . قال في « القاموس » تبعلت : أطاعت بعلها أو تزينت له .

قوله : تغنج . قال في « القاموس » ، الغنج بالضم وبضمتين وكغراب : الشكل ، غنجت الجارية كسمع ، وتغنجت ، وهي مغناج ، وغنجة ، وهذا شرح ماذكر الناظم في هذه الأبيات ، والله أعلم .

فصل

أتراب سن واحد متماثــل سن الشباب لأجمل الشبان

بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الــ محبوب من انس ولا من جان

حصن عليه حارس من أعظم الـــحراس بأساً شأنه ذو شان

فإذا أحس بداخل للحصن ولى هارباً فتراه ذا إمعان

ويعود وهناً حين رب الحصن يخـــرج منه فهو كذا مدى الأزمان

وكذا رواه أبو هريرة إنها تنصاع بكراً للجماع الثاني

لكن دراجا أبا السمح الذي فيه يضعفه أولو الاتقان

هذا وبعضهم يصح عنه في الـــتفسير كالمولود من حبان

فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان

يعطى المجامع قوة المائة التي اجـــتمعت لأقوى واحد الانسان

لا أن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أضعف الأركان

ويكون أقوى منه ذا نقص من الـــإيمان والأعمال والاحسان

قوله : أتراب . الاتراب جمع ترب ، وهو لدة الانسان .

قوله : سن الشباب . وهو ثلاث وثلاثون سنة ، كما تقدم .

قوله : بكراً الخ . قال الله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) الرحمن : ٥٦ أي لم يمسهن . قاله أبو عبيدة. وقال الفراء الطمث : الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم ، والطامث هي الحائض . قال المفسرون : لم يطأهن ، ولم يغشهن ، ولم يجامعهن . هذه ألفاظهم . وقال بعضهم : هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها ، قالـــه مقاتل . وبعضهم يقول : يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً ، قاله الشعبي . وزاد : لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً . قال ابن عباس : هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً.

قـــال الناظم : قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة ليس من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، وأما نساء الدنيا ، فقد طمثهن الانس ، ونساء الجن قد طمثهن الجن ، والآية تدل على ذلك كما قال أبو اسحاق ، ويدل عليـــه التي بعدها (حور مقصورات في الخيام) الرحمن : ٧٢ قال الامام أحمد : والحور العين لايمتن عندالنفخة في الصور ، لأنهن خلقن للبقاء. وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ، أن مؤمني الجن في الجنة ، كما أن كافرهم في النار ، وبوب عليه البخاري في « صحيحه » فقال : باب ثواب الجن وعقابهم ونص عليه غير واحد من السلف .

قـوله : وكذا رواه أبو هريرة الخ . هو ما روى ابن وهب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يارسول الله ، أنطأ في الجنة ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده ، دحماً ، دحماً ، فاذا قام رجعت مطهرة بكراً » وذكر الناظم أن في اسناده دراجا أبا السمح ، وهو ضعيف . قال أحمد : عامة أحاديثه مناكير . وقال النسائي منكر الحديث . وقال أبو حاتم ، والدارقطني . ضعيف ومتروك . وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوي ، وساق

له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها ، ووثقه يحيى . وأخرج عنه ابن حبان في « صحيحه » . وقال ابن المديني : ثقة .

قولـــه : وبعضهم يصح عنه في التفسير الخ . المراد أبوحاتم : ابن حبان. وذكر الناظم في النظم أن حديثه دون الصحيح ، وفوق الضعيف ، والله أعـــلم .

قوله : يعطى المجامع الخ . روى ابو نعيم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة » فقلنا : يارسول الله ، أوله قوة على ذلك ? قال : « انه ليعطى قوة مائة رجل » في اسناده أحمد بن حفص السعدي ، له مناكير .

ولقد روينا أنه يغشى بيو ... م واحد مائة من النسوان

ورجاله شرط الصحيح رووا لهم ... فيه وذا في معجم الطبراني

هذا دليل أن قدر نسائهم ... متفاوت بتفاوت الايمان

وبه يزول توهم الاشكال عن ... تلك النصوص بمنة الرحمن

وبقوة المائة التي حصلت له ... أفضى إلى مائة بلا خوران

وأعفهم في هذه الدنيا هو الـــ ... أقوى هناك لزهده في الفاني

فاجمع قواك لما هناك وغمض الـــ ... عينين واصبر ساعة لزمان

ماهاهنا والله مايسوى قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان

ماهاهنا الا النقار وسيء الـــ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان

همّ وغـم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق وبالفراق الثـاني

والله قد جعل النساء عوانياً   شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
لاتؤثر الأدنى على الأعلى فان   تفعل رجعت بذلة وهوان

روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قيل : يارسول الله ، هل نصل الى نسائنا في الجنة ». فقال : « ان الرجل ليصل في اليوم الواحد الى مائة عذراء» تفرد به الجعفي . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : رجاله عندي على شرط الصحيح . وروى ابو الشيخ عن ابن عباس قال : قيل : يارسول الله ، أنفضي الى نسائنا في الجنة كما نفضي اليهن في الدنيا ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ، ان الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء » فيه زيد ابن أبي الحواري ، وهو العمي . قال فيه ابن معين : صالح . وقال مرة : لا شيء ، وقال مرة : ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال ابو حاتم . وقال الدار قطني : صالح ، وضعفه النسائي . وقال السعدي : متماسك .

قال الناظم : قلت : وحسبه رواية شعبة عنه ، والاحاديث الصحيحة إنما فيها «لكن منهم زوجتان » وليس في الصحيح زيادة على ذلك . فان كانت هذه الاحاديث محفوظة ، فاما أن يراد بها لكل واحد من السراري زيادة على الزوجين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة ، كالخدم ، والولدان . واما أن يراد به أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال : له كذا وكذا زوجة . قال : وقد روى الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع» قيل : يارسول الله ، أويطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه

«يفضي الى مائة عذراء» بالمعنى، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات ، والله اعلم .

قال : ولا ريب أن للمؤمن في الجنة اكثر من اثنتين ، لما في «الصحيحين» من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ان للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للعبد المؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم ، لا يرى بعضهم بعضاً » . انتهى كلامه .

قوله : والله قد جعل النساء عوانياً الخ . قال في « القاموس » : العواني : النساء ، لأنهم يظلمن ، فلا ينتصرن .

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها ... وتمايلت كتمايل النشوان

تهتز كالغصن الرطيب وحمله ... ورد وتفاح على رمان

وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... ك لمثلها في جنة الحيوان

قوله : ورد الخ . الورد في الخدود ، والتفاح في الوجنات ، والرمان في الصدر ، وهما النهدان .

قوله : وتبخترت : البخترة والتبختر : مشية حسنة ، والبختري : الحسن المشي والجسم ، والمختال كالبختير ، قاله في القاموس » .

ووصائف من خلفها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان

كالبدر ليلة تمه قد حف في غسق الدجى بكواكب الميزان

فلسانه وفؤاده والطرف في دهش وإعجاب وفي سبحان

فالقلب قبل زفافها في عرسه والعرس إثر العرس متصلان

حتى إذا ما واجهته تقابلا أرأيت إذ يتقابل القمران

فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضم وتقبيل وعن فلتان

وسل المتيم أين خلّف صبره في أي واد أم بأي مكان؟

وسل المتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذنان والعينان

من منطق رقت حواشيه ووجـــه كم به للشمس من جريان

وسل المتيم كيف عيشته إذاً وهما على فرشيهما خلوان

يتساقطان لآلئاً منثورة من بين منظوم كنظم جمان

جمان كغراب: اللؤلؤ وهنوات اشكال اللؤلؤ من فضة، الواحدة جمانة قاله في «القاموس».

قوله: بكواكب الميزان؛ اي: كوكب الجوزاء.

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـــمحبوب في روح وفي ريحان

وتدور كاسات الرحيق عليهما بأكف أقمار من الولدان

يتنازعان الكأس هذا مرة والخود اخرى ثم يتكئان

فيضمها وتضمه أرأيت معشـــوقين بعد البعد يلتقيان

غاب الرقيب وغاب كل منكد ‏ وهما بثوب الوصل مشتملان

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا ‏ وحياة ربك ماهما ضجران

ويزيد كل منهما حباً لصا ‏ حبه جديداً سائر الأزمان

ووصاله يكسوه حباً بعده ‏ متسلسلاً لاينتهي بزمان

فالوصل محفوف بحب سابق ‏ وبلاحق وكلاهما صنوان

فرق لطيف بين ذاك وبين ذا ‏ يدريه ذو شغل بهذا الشان

ومزيدهم في كل وقت حاصل ‏ سبحان ذي الملكوت والسلطان

ياغافلا عما خلقت له انتبه ‏ جد الرحيل فلست باليقظان

سار الرفاق وخلّفوك مع الألى ‏ قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني

ورأيت أكثر من ترى متخلفاً ‏ فتبعتهم ورضيت بالحرمان

لكن أتيت بخطتي عجز وجهـ ‏ ـل بعد ذا وصحبت كل أمان

منّتك نفسك باللحاق مع القعو ‏ د عن المسير وراحة الأبدان

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ‏ ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟

والناس بينهمُ خلاف هل بها حبل وفي هـذا لهم قولان

فنفاه طاووس وابراهيم ثم مجاهـــد وهم أُولو العرفان

وروى العقيلي الصدوق ابورزيـــن صاحب المبعوث بالقرآن

أن لاتوالد في الجنان رواه تعلـــيقا محمـــدٌ العظيم الشان

وحكاه عنه الترمذي وقال اســـحاق بن ابراهيم ذو الاتقان

لا يشتهي ولداً بها ولو اشتها ه لكان ذاك محقق الامكان

وروى هشام لابنه عن عامر عن ناجي عن سعد بن سنان

إن المنّعم بالجنان إذا اشتهى الـــولد الذي هو نسخة الانسان

فالحمل ثم الوضع ثم السن في فرد من الساعات في الأزمان

اسناده عندي صحيح قد روا ه الترمذيّ واحمد الشيباني

ورجال ذا الاسناد محتج بهم في مسلم وهمُ اولو إتقان

لكن غريب ماله من شاهد فرد بذا الاسناد ليس بثان

لولا حديث ابي رزين كان ذا ... كالنص يقرب منه في التبيان

ولذاك أوله ابن ابراهيم بالشـــرط الذي هو منتفي الوجدان

وبذاك رام الجمع بين حديثه ... وأبي رزين وهو ذو إمكان

هذا وفي تأويله نظر فان اذا لتحقيق وذي إتقـــان

ولربما جـــاءت لغير تحقق ... والعكس في ان ذاك وضع لسان

حاصل هـذا الفصل قد ذكره الناظم في « حادي الأرواح » ولنذكر كلامه ملخصاً. قال: فصل في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة؟ روى الترمذي واستغربه، عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنـــه في ساعة كما يشتهي » قال اسحق بن ابراهيم: ولكن لا يشتهي. قال بعضهم: في الجنة جماع، ولا يكون ولد. وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي ﷺ قال « ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد ».

قال الناظم: قلت: حديث أبي سعيد على شرط الصحيح، ورجاله محتج بهم فيه، ولكنه غريب جداً، وتأويل اسحاق فيه نظر. وروى أبو نعيم عن أبي سعيد المذكور قال: قيل: يارسول الله، أيولد لأهل الجنة، فان الولد من تمام السرور؟ فقال: « نعم والذي نفسي بيده ماهو كقدر مايتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه في ساعة واحدة » وروى الحاكم مثله أيضاً عنه. قال البيهقي: وهذا إسناد ضعيف بمرة، وفي حديث أبي رزين الطويل الذي أشار اليه البخاري « غير أن لا توالد » رواه احمد، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن منده، وابن مردويه، وأبو نعيم، وغيرهم،

على سبيل القبول والتسليم ، فهذا حديث صريح في انتفاء الولد .

وقوله : إذا اشتهى . معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ، ولا المعلق به ، و(اذا) وان كانت ظاهرة في المحقق ، فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتبين ذلك بوجوه عشرة ، ثم ذكرها الناظم ، ثم قال : النافون للولادة في الجنة ، لم ينفوها لزيغ في قلوبهم ، ولكن لحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » وقد حكى الترمذي في ذلك قولين للسلف والخلف ، وحديث الترمذي غريب ، فان كان رسول الله ﷺ قد قاله ، فهو الحق الذي لا شك فيه ، ولا تناقض بينه وبين حديث أبي رزين « غير أن لا توالد » إذ ذلك نفي للتوالد المعهود في الدنيا لا ينفي ولادة حمل الولد ووضعه ، وسنه ، وشبابه في ساعة واحدة . انتهى كلامه .

قوله : وروى هشام لابنه الخ . هذا هو حديث أبي سعيد الذي تقدم أول الفصل .

قوله : عن سعد بن سنان . هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه .

قال الناظم :

واحتج من نصر الولادة أن في الجـــــنات سائر شهوة الانسان

والله قد جعل البنين مع النسا من أعظم الشهوات في القرآن

فأجيب عنه بأنه لا يشتهي ولداً ولا حبلاً من النسوان

واحتج من منع الولادة أنها ملزومة أمرين ممتنعـــان

حيض وإنزال المني وذانك الــ أمران في الجنات مفقودان

وروى صدي عن رسول الله أن منيهم إذ ذاك ذو فقدان

بل لا مني ولا منية هكذا يروي سليمان هو الطبراني

وأجيب عنه بأنه نوع سوى الـــمعهود في الدنيا من النسوان

فالنفي للمعهود في الدنيا من الــ ايلاد والاثبات نوع ثـاني

والله خالق نوعنا من أربع متقابلات كلها بوزان

ذكر وأنثى والذي هو ضده وكذاك من انثى بلا ذكران

والعكس أيضاً مثل حوا أمنا هي أربع معلومة التبيـان

وكذاك مولود الجنان يجوز أن يأتي بلا حيض ولا فيضان

والأمر في ذا ممكن في نفسه والقطع ممتنع بلا برهـان

قوله: واحتج من نصر الولادة الخ . أي : احتج من نصر القول بالولادة في الجنة ، بأن في الجنة جميع الشهوات ، والنساء والبنين من أعظم الشهوات كما قال تعـالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين . .) آل عمران : ١٤ الآية .

قوله : وأجيب عنه الخ . أي : أجاب من منع الولادة بأنه لا يشتهي ولداً وحبلاً .

قوله : واحتج من منع الولادة . أي : احتج مانعو الولادة بأنه يلزمها

أمران ممتنعان في الجنة ، وهما الحيض ، وانزال المني .

قوله : وروى صدي ، أي : روى أبو أمامة صدي بن عجلان ، عن رسول الله ﷺ أنه سئل : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال « بذكر لايمل وشهوة لاتنقطع ، دحماً دحماً » وفي لفظ عنه « دحماً دحماً ، ولكن لا مني ولا منية » أي : لا انزال ولا موت ، فهو صريح في انتفاء المني في الجنة ، فاحتج من أنكر الولادة بأنه نوع سوى المعهود في الدنيا من النسوان ، فالنفي للمعهود في الدنيا من الايلاد ، والاثبات نوع آخر .

قوله : والله خالق نوعنا من أربع الخ . أي : ان الله خلق نوع الانسان من أربعة أشياء متقابلة ، من ذكر وأنثى ، كبني آدم ، ولا من ذكر ولا أنثى ، كآدم عليه السلام ، وذكر بلا أنثى كحواء أمنا ، ومن أنثى بلا ذكر ، كعيسى عليه السلام ، فهذه أربع كما ذكره الناظم .

قوله : وكذاك مولود الجنان الخ . أي : ان مولود الجنان يجوز أن يوجد بلا حيض ولا فيضان ، أي مني ، وقدرة الله صالحة . والله أعلم .

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويرونه سبحانه من فوقهم   رؤيا العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم   ينكره إلا فاسد الايمان

وأتى به القرآن تصريحاً وتعـــريضاً هما بسياقه نوعـــان

وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسيره قد جاء بالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيحه يروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره أبو بكر هو الصدّيق ذو الايقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو هم بعدهم تبعية الاحسان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ، كما يرى القمر . وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعين ، وأئمة الاسلام ، وأنكرها أهل البدع ، كالجهمية ، والمعتزلة ، والباطنية ، والرافضة .

قوله : وأتى بها القرآن تصريحاً وتعريضاً الخ . التصريح كما في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ وقوله تعالى (اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة ٢٢٣ وقوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الاحزاب : ٤٤ وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف : ١١٠ وقوله (الذين يظنون أنهم ملاقو الله) البقرة : ٢٤٩ وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والتعريض ، كقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥ وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ .

قوله : وهي الزيادة قد أتت في يونس الخ . في « صحيح مسلم » عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : ياأهل

الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النـار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ، وهي الزيادة . وروى الحسن بن عرفة عن أنس عنه ﷺ قال : «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى ، وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

قوله : وهو المزيد . كذا فسره أبو بكر الخ . يعني قوله تعالى (لهم مايشاؤون فيها ولدينا مزيد) ق : ٣٥ قال علي وأنس : هو النظر إلى وجه الله تعالى ، وقاله من التابعين زيد بن وهب ، وغيره .

قوله : وعليه أصحاب الرسول وتابعوهم الخ . أي إن إثبات رؤيته سبحانه هو قول أصحاب رسول الله ﷺ ، وتابعيهم باحسان .

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الـــرحمن في سور من الفرقان

ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الــــاجماع فيه جماعة ببيان

وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغة وعرفاً ليس يختلفان

يعني قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) البقرة : ٢٢٣ وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الأحزاب : ٤٤ وقد أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى الرؤية والمعاينة ، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه) التوبة: ٧٧ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة ، على أن المنافقين يرونه في عرصات القيامة والكفار أيضاً . كما في « الصحيحين » في حديث التجلي يوم القيامة .

وفي هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لايراه إلا المؤمنون . والثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك . والثالث : يراه المنافقون دون الكفار ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم . ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد .

هذا ويكفي أنه سبحانه   وصف الوجوه بنظرة بجنان

وأعاد أيضاً وصفها نظراً وذا   لاشك يفهم رؤية بعيان

وأتت أداة (إلى) لرفع الوهم من   فكر كذاك ترقب الانسان

وأضافه لمحل رؤيتهم بذكـــــر الوجه إذ قامت به العينان

تا لله ماهذا بفكــر وانتظا   ر مغيّب أو رؤية لجنان

مافي الجنان من انتظـار مؤلم   واللفظ يأباه لذي العرفان

لاتفسدوا لفظ الكتاب فليس فـــيه حيلة يافرقة الروغــان

مافوق ذا التصريح شيء ماالذي   يأتي به من بعد ذا التبيان ؟

لو قال أبين مايقال لقلتم   هو مجمل مافيه من تبيان

قال الناظم في « حادي الأرواح » في الكلام على قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربهـا ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها فيا أراد منها ، وجدتهـــا منادية نداء صريحا : إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامـة ، وإنّ أبيت الا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلا، فتأويل نصوص المع

والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا . واسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الاسلام لهذه الاية . روى ابن مردويه عن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ قال : من البهاء والحسن (إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٣ وقال ابن عباس : تنظر الى وجه ربها عز وجل . وقال عكرمة : (ناضرة) من النعيم الى ربها (ناظرة) تنظر نظرا . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث . وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية ، فمتواترة ، منها حديث ابي بكر الصديق عند أحمد في ذكر استشفاع الناس من نبي الى نبي ، وهو طويل جداً ، فيه : « فاذا نظر إلى ربه عز وجل ، خر ساجداً » ومنها حديث أبي هريرة وأبي سعيد في « الصحيحين » أن أناسا قالوا : يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا. قال « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا لا . قال « فانكم ترونه كذلك . . . » الحديث . وفي « الصحيحين » عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . . . » الحديث . والأحاديث بذلك كثيرة ، وهي متواترة ، كما تقدم قوله : وصف الوجوه بنظرة بجنان ، والمراد الحسن والجمال ، ثم قال (الى ربها ناظرة) وهي الرؤية بالعيان . قوله : وأتت أداة (الى) لرفع

الوهم من فكر الخ . أي : أن المعنى النظر الى الرب تعالى وأتت أداة (الى) الدفع توهم الانتظار ، وذلك كما يقول المؤولة : ان معنى ناظرة : تنتظر الثواب ، قوله : وإضافـــة لمحل رؤيتهم بذكر الوجه أي : إنه تعالى قال : (وجوه يومئذ ناضرة) القيامة : ٢٢ فاضاف النظر الى الوجوه لأن العينان فيـــه .

ولقد أتى في سورة التطفيف أنَّ القوم قد حجبوا عن الرحمن

فيدل بالمفهوم ان المؤمنـــين يرونه في جنة الحيوان

وبذا استدل الشافعي واحمد وسواهما من عالمي الازمان

واتى بذا المفهوم تصريحاً بآ خرها فلا تخدع عن القرآن

واتى بذاك مكذبا للكافريـــن الساخرين بشيعة الرحمن

ضحكوا من الكفار يومئذ كما ضحكوا همُ منهم على الايمان

وأثابهم نظرا اليه ضـــد ما قد قاله فيهم اولو الكفران

فلذاك فسره الأئمـــة انه نظر الى الرب العظيم الشان

لله ذاك الفهم يؤتيه الذي هو اهله من جاد بالاحسان

يشير الى قوله تعالى في سورة المطففين عن الكفار (كلا انهم عـــن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥ فمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه .

قال الناظم في « حـــادي الأرواح » (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) . أي : عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا

كلامه ، كانوا أيضاً محجوبين عنه . وقد احتج بهذا الشافعي وغيره من الأئمة . انتهى كلامه .

قوله : وأتى بذا المفهوم تصريحاً بآخرها الخ . يعني قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون) المطففين : ٣٤، ٣٥ أي : ينظرون الى الرب سبحانه كما فسرها الأئمة بذلك ، وذلك أن الكفار في الدنيا كانوا من المؤمنين يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، فجزاهم الله تعالى بأن جعلهم يضحكون على الكفار وهم على الأرائك ، كما كانوا يضحكون عليهم في الدنيا ، والله أعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وروى ابن ماجة مسنداً عن جابر ... خبراً وشاهده ففي القرآن

بيناهمُ في عيشهم وسرورهم ... ونعيمهم في لذة وتهان

وإذا بنور ساطع قد أشرقت ... منه الجنان قصيّها والداني

رفعوا اليه رؤوسهم فرأوه نو ... ر الرب لايخفى على انسان

وإذا بربهم تعالى فوقهم ... قد جاء للتسليم بالاحسان

قال : السلام عليكم فيرونه ... جهراً تعالى الرب ذو السلطان

مصداق ذا (يس) قد ضمنته عنـ ... ـد القول من رب بهم رحمان

من رد ذا فعلى رسول الله رد ... وسوف عند الله يلتقيان

في ذا الحديث علوّه ومجيئه ... وكلامه حتى يرى بعيان

هذي أصول الدين في مضمونه   لا قول جهم صاحب البهتان

يعني قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ روى ابن ماجه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ، ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى فيهم بركته ونوره »

وكذا حديث أبي هريرة ذلك الـ   ـخبر الطويل أتى به الشيخان

فيه تجلي الرب جل جلاله   ومجيئه وكلامه ببيان

وكذاك رؤيته وتكليم لمن   يختاره من أمة الانسان

فيه أصول الدين أجمعها فلا   تخدعك عنه شيعة الشيطان

وحكى رسول الله فيه تجدد الـ   ـغضب الذي للرب ذي السلطان

إجماع أهل العزم من رسل الالـ   ـه وذاك اجماع على البرهان

لا تخدعن عن الحديث بهذه الـ   آراء فهي كثيرة الهذيان

أصحابها أهل التخرص والتنا   قض والتهاتر قائلو البهتان

حديث أبي هريرة الذي أشار اليه ، هو ما في « الصحيحين » واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع اليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ،

فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ماأنتم فيه ؟ ألا ترون ماقد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ، إيتوا آدم ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ، فيقول آدم : ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون إلى ابراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته ، وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون

عيسى ، فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد » وكلمة منه ألقاها الى مريم وروح منه ، فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً » نفسي ، نفسي ، إذهبوا الى محمد ،فيأتونني فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين ، وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ؟ ألا ترى إلى ماقد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب ،أمتي أمتي ، فيقال: يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفسي بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر » أو « كما بين مكة وبصرى » .

يكفيك أنك لو حرصت فلن ترى ... فئتين منهم قط يتفقان

الا اذا ماقلدا لسواهما ... فتراهما جيلا من العميان

ويقودهم أعمى يظن كمبصر ... يامحنة العميان خلف فلان

هل يستوي هذا ومبصر رشده ... الله أكبر كيف يستويان

أو ما سمعت منادي الايمان يخـــبر عن منادي جنة الحيوان ؟

يا أهلها لكم لدى الرحمن وعـــد وهو منجزه لكم بضمان

قالوا أما بيضت أوجهنا كذا أعمالنا ثقلت في الميزان

وكذاك قد أدخلتنا الجنات حـين أجرتنا من مدخل النيران

فيقول عندي موعد قد آن أن أعطيكموه برحمتي وحناني

فيرونه من بعد كشف حجابه جهراً روى ذا مسلم ببيان

روى مسلم في « صحيحه » عن صهيب أن النبي ﷺ قال : « اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ماهو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ألم يبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، وينجينا من النـار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب اليهم من النظر اليه .

ولقد أتانا في الصحيحين اللذيـن هما أصح الكتب بعد قران

برواية الثقة الصدوق جرير البجلي عمن جاء بالقرآن

أن العباد يرونه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران

قد تقدم حديث جرير في الرؤية .

قـوله : البردين . قال في « القاموس » الابردان : الغداة والعشي ، كالبردين .

فان استطعتم كل وقت فاحفظوا البردين ماعشتم مدى الأزمان

ولقد روى بضع وعشرون امرءاً من صحب احمد خيرة الرحمن

أخبار هذا الباب عمن قد أتى بالوحي تفصيلا بلا كتمان

وألذ شيء للقلوب فهذه الـ أخبار مع امثالها هي بهجة الايمان

نقل الناظم في « حادي الارواح » قال الطبراني : فتحصل في الباب ممن
روى عن رسول الله ﷺ حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفساً ، ثم سرد
أسماءهم . قال : وروى الدارقطني عن يحيى بن معين قال : عندي سبعة
عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح . وقال البيهقي : روينا في اثبات الرؤية
عن أبي بكر ومن تقدم غيرهم ، ولم يرد عن أحد نفيها ، ولو كانوا فيها
مختلفين لنقل اختلافهم الينا ، فعلمنا أنهم كانوا على القول برؤيته بالأبصار
في الآخرة متفقين ، وقد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة
الاسلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ، ونزك الايمان ، وخاصة رسول
الله ﷺ ، على أن الله سبحانه يرى يوم القيامة بالابصار ، كما يرى القمر ليلة البدر
صحواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه
من ذلك حقيقة ، فلا يمكن أن يروه الا من فوقهم ، لاستحالة أن يروه
من أسفل منهم ، أو خلفهم ، وأمامهم ، أو عن شمائلهم ، وان لم يكن لما أخبر
حقيقة كما تقوله فروخ الصابئة ، والفلاسفة ، والمجوس ، والفرعونية ،
والمعتزلة ، والرافضة ، وغيرهم من أهل البدع ؛ بطل الشرع والقرآن ، فان
الذي جاء بهذه الاحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة ، والذي بلغها
هو الذي بلغ الدين ، فلايجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين ، حيث يؤمن ببعض
ويكفر ببعض ، فــلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطـــلاع على
هذه الاحاديث وفهم معناها انكارها ، والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت
رسل ربنا بالحق . والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:
أحدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر . والثاني : من يزعم

أنه لا يرى في الآخرة البتة ، ولا يكلم عباده ، وما أخبر به الله ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين ، وبالله التوفيق .

والله لولا رؤية الرحمن في الـــجنات ماطابت لذي العرفان

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه   وخطابه في جنة الحيوان

وأشد شيء في العذاب حجابه   سبحانه عن ساكني النيران

وإذا رآه المؤمنون نسوا الذي   هم فيه مما نالت العينان

قوله : أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه الخ ؟ اي : أن أعلى نعيم اهـل الجنة هو نعيم رؤية وجه ربهم تعالى كما في حديث صهيب الذي رواه مسلم قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الاية وقال : يكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ؟ وهي الزيادة . وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه مرفوعـاً « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم ياأهـل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم . . . » الحديث .

قوله : وأشد شيء في العذاب حجابـه الخ . دليله قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين : ١٥

فاذا توارى عنهمُ عادوا الى   لذاتهم مـن سائر الألوان

فلهم نعيم عند رؤيته سوى ... هـذا النعيم فحبذا الأمران

أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه ... بجلاله المبعوث بالقرآن؟!

شوقا اليه ولذة النظر الذي ... بجلال وجه الرب ذي السلطان

فالشوق لذة روحه في هذه الـدنيا ... ويوم قيامة الابـدان

تلتذ بالنظر الذي فازت بـه ... دون الجوارح هـذه العينان

يعني الحديث الذي رواه الامام أحمد ، والحاكم في « صحيحه » من حديث زيد بن ثابت . وفيه « وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق الى لقائك ».

والله ما في هذه الدنيا ألذ من ... اشتياق العبد للرحمن

وكذاك رؤية وجهه سبحانه ... هي أكمل اللذات للانسان

لكنما الجهمي ينكر ذا وذا ... والوجه أيضاً خشية الحدثان

تباً له المخدوع أنكر وجهه ... ولقاءه ومحبة الديـان

وكلامه وصفاته وعلوه ... والعرش عطله من الرحمن

فتراه في واد ورسل الله في ... واد وذا من أعظم الكفران

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ ماسمعت بأنه سبحانه حقاً يكلم حزبه بجنان؟!
فيقول جل جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذو رضوان
أم كيف لانرضى وقد أعطيتنا مالم ينله قط من انسان
هل ثم شيء غير ذا فيكون أفضل منه نسأله من المنان
فيقول أفضل منه رضواني فلا يغشاكمُ سخط من الرحمن
ويذكّر الرحمن واحدهم بما قد كان منه سالف الأزمان
منه اليه ليس ثم وساطة ماذاك توبيخاً من الرحمن
لكنّ يعرفه الذي قد ناله من فضله والعفو والاحسان
ويسلم الرحمن جل جلاله حقاً عليهم وهو في القرآن

في « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : ياأهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ؟! فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك . قالوا : ربنا

وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط أبداً »
ومن تراجم البخاري عليه : باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة ، وساق فيه عدة أحاديث ، وقد أخبر سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة ، وأن ذلك السلام حقيقة ، وهو قوله (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ وقد فسر النبي ﷺ الآية في حديث جابر في الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ، ويقول : سلام عليكم ياأهل الجنة ، فيرونه عياناً . وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم ، والعلو . والمعطلة تنكر هذه الامور الثلاثة ، وتكفر القائل بها ، وفي حديث أبي هريرة في سوق الجنة قال النبي ﷺ « ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول : يافلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ..؟» الحديث . وفي حديث عدي بن حاتم « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة » وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « فيقول تبارك وتعالى للعبد : ألم أكرمك وأسودك؟... » الحديث . وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً . وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها التكليم .

وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه سبحانه بتلاوة الفرقان
فكأنهم لم يسمعوه قبل ذا هذا رواه الحافظ الطبراني
هذا سماع مطلق وسماعنا الـ ـقرآن في الدنيا فنوع ثاني
والله يسمع قوله بوساطة وبدونها نوعان معروفان
فسماع موسى لم يكن بوساطة وسماعنا بتوسط الانسان
من صير النوعين نوعاً واحداً فمخالف للعقل والقرآن

روى أبو الشيخ عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريده قال : ان أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين ، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد .

قوله : فسماع موسى لم يكن بو ساطة . أي : ان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير وساطة ، وأما سماعنا كلام الله فهو بوساطة .

قوله : من صير النوعين نوعاً واحداً . أي : كالجهمية وأتباعهم ، ومخالفتهم للعقل والقرآن ظاهرة .

فصل

في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيـــد وأنه شأن عظيم الشان ؟!

هو يوم جمعتنا ويوم زيارة الـــرحمن وقت صلاتنا وأذان

والسابقون إلى الصلاة هم الأُلى فازوا بذاك السبق بالاحسان

سبق بسبق والمؤخر هاهنا متأخر في ذلك الميدان

والأقربون إلى الامام فهم أولو الـــزلفى هناك فها هنا قربان

قرب بقرب والمباعد مثله بعد ببعد حكمة الديان

ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد ومنابر الياقوت والعقيان

هذا وأدناهم ومافيهم دنا من فوق ذاك المسك كالكثبان

ماعندهم أهل المنابر فوقهم مما يرون بهم من الاحسان

فيرون ربهم تعالى جهرة نظر العيان كما يرى القمران

ويحاضر الرحمن واحدهم محا ضرة الحبيب يقول يابن فلان

هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيـــه مبارزاً بالذنب والعصيان

فيقول رب أما مننت بمغفرة قدماً فانك واسع الغفران

فيجيبه الرحمن مغفرتي التي قد أوصلتك إلى المحل الداني

يشير الى حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عزوجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . قلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير قسم له ، أعطاه اياه ، أوليس له قسم ، إلا ذخر له ما هو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : وماتدعونه يوم المزيد ؟ قال : ان ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم

حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فيسألونه ، ويسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، الى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كرسيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، درة بيضاء ، لا فصم فيها ، ولا نظم ، أو ياقوتة حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، فيها غرفها وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ، ليزدادوا من كرامته عز وجل ، وليزدادوا نظراً الى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد . أخرجه عبد الله ابن أحمد في كتاب السنة .

قوله : والسابقون الى الصلاة الخ . روى أبو نعيم وأبو النضر وجماعة قالوا : حدثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو ، وعن أبي عبيدة عن عبد الله قال : سارعوا الى الجمعة ، فان الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كثب من كافور أبيض ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة .

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلهم إذ ذاك منه سحابة تأتي بمثل الوابل الهتان
بيناهم في النور إذ غشيتهم سبحان منشيها من الرضوان
فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا شبهاً له في سالف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالاً فوق ما بهم وتلك مواهب المنان

روى ابن ابي عاصم في كتاب « السنة » عن سعيد بن المسيب أنه لقي
ا هريرة ، فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة .
ل سعيد : أو فيها سوق؟ قال: نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ ، أن أهل الجنة إذا
خلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ،
زورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ، ويتبدى لهم في روضة من
ياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
برجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس
ناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب
كراسي بأفضل منهم مجلساً . قال : يا أبا هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل؟
ل : نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا: لا . قال:
كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره

الله محاضرة، حتى يقول : يافلان بن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا و كذا؟ فيذكره ببعض عذراته في الدنيـــا ، فيقول : بلى ، أفلم تغفرلي ؟ فيقول : بـــلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هـذه ، فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجـدوا مثـــل ريحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا مااشتهيتم . قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا مااشتهينا ، ليس يباع ولايشرى . وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة ، فيلقى من هو دونه ومافيهم دني ، فيروعه مايرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضي آخر حديثـــه حتى يتمثل له أحسن من ذلك ، وذلك أنه لاينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف الى منازلنا ، فيلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئتنا ، وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا . ورواه الترمذي وابن ماجه .

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا الى ماقدذخرت لكم من الاحسان

يأتون سوقاً لا يباع ويشتري　　فيه فخذ منه بلا أثمان

قد أسلف التجار أثمان المبيـــع بعقدهم في بيعة الرضوان

لله سوق قد أقامته الملا　　ئكة الكرام بكل ما احسان

فيها الذي والله لا عين رأت　　كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ　　فيكون عنه معبراً بلسان

فيرى امرءاً من فوقه في هيئة　　فيروعه ماتنظر العينان

فاذا عليه مثلها اذ ليس يلـــحق أهلها شيء من الأحزان

واهاً لذا السوق الذي من حله　　نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف مافيه من　　صخب ولاغش ولا أيمان

وتجارة من ليس تلهيه تجار　　ات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروءة والفتوة والتقى　　والذكر للرحمن كل أوان

يامن تعوض عنه بالسوق الذي　　ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم　　تركن الى سوق الكساد الفاني

فصل

في حالهم عند رجوعهم الى أهليهم ومنازلهم

فاذا هم رجعوا الى أهليهم　　بمواهب حصلت من الرحمن

قالوا لهم أهلاورحباً ما الذي　　أعطيتمُ من ذا الجمال الثاني؟

والله لاازددتم جمالاً فوق ما　　كنتم عليه قبل هذا الآن

قالوا وأنتم والذي أنشاكم　　قد زدتم حسناً على الاحسان

لكن يحق لنا وقد كنا اذاً　　جلساء رب العرش ذي الرضوان

فهم الى يوم المزيد أشد شو　　قاً من محب للحبيب الداني

تقدم حديث أبي هريرة في شرح ما تضمنه هذا الفصلان في الفصل قبلها ، والله أعلم .

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحاله النوم والموت عليهم .

هذا وخاتمة النعيم خلودهم　　ابداً بدار الخلد والرضوان

أوَ ما سمعت منادي الايمان يخـــبر عن مناديهم بحسن بيان
لكمُ حياة ما بها موت وعا فية بلا سقم ولا أحزان
ولكم نعيم مابه بؤس وما لشبابكم هرم مدى الأزمان
كلا ولا نوم هناك يكون ذا نوم وموت بيننا أخوان
هذا علمناه اضطراراً من كتا ب الله فافهم مقتضى القرآن
والجهم أفناها وأفنى اهلها تباً لذاك الجاهل الفتان
طرد النفي دوام فعل الرب في الـــماضي وفي مستقبل الازمان
وأبو الهذيل يقول يفنى كل ما فيها من الحركات للسكان
وتصير دار الخلد مع سكانها وثمارهـــا كحجارة البنيان
قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا رب لأجل تسلسل الأعيان
فالقوم إما جاحدون لربهم أو منكرون حقائق الايمان

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : نادي مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وان لكم أن تحيوا : تموتوا أبداً ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تنعموا : تبأسوا أبداً ، وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلكم الجنة رثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف : ٤٣ وروى نحوه عثمان بن أبي بة مختصراً .

قوله : هذا علمناه اضطرارا الخ . يعني قوله تعالى (ونودوا أن تلكم

الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وروى ابن مردويه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » وروى الطبراني عنه بلفظ قال : سئل نبي الله ﷺ فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » .

قوله : والجهم أفناها الخ . تقدم الكلام في معنى فناء الجنة والنار عند الجهمية ، وفناء حركاتها عند ابي الهذيل بما أغنى عن الاعادة .

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال ان الذبح لملك الموت وان ذلك مجاز لاحقيقة له .

أو ما سمعت بذبحه للموت بيـــن المنزلين كذبح كبش الضان
حاشا لذا الملك الكريم وانما هو موتنا المحتوم للانسان
والله ينشي منه كبشا أملحاً يوم المعاد يرى لنا بعيان
ينشي من الاعراض أجساماً كذا بالعكس كلٌّ قابل الامكان

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيتوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل

النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة ...) مريم : ٣٩ الآية . متفق عليه . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار الى النار ، أتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً الى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً الى حزنهم » وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أتي بالموت ملبباً ، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون ـ هؤلاء وهؤلاء ـ قد عرفناه ، وهو الموت الذي وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت » رواه النسائي ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قال الناظم في « حادي الأرواح » : وهذا الكبش ، والاضجاع ، والذبح ، ومعاينة الفريقين ، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً ، قال : الموت عرض ، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فان الله سبحانه وينشىء من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشىء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشىء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشىء من الأجسام أعراضاً ، ومن الأجسام أجساماً ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال . ولا حاجة الى تكلف من قال : إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله

ورسوله ، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح ، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ، ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان الى هذا القول الذي ذكرناه ، الى آخر ما ذكره . ثم احتج الناظم لما ذكره بأن أعمال العباد توزن فتخف تارة ، وتثقل أخرى ، فقال :

أفما تصدق أن أعمال العبا د تحط يوم العرض في الميزان؟

وكذاك تثقل تارة وتخف أخـــرى ذاك في القرآن ذو تبيان

وله لسان كفتاه تقيمه والكفتان اليـه ناظرتان

ما ذاك أمراً معنوياً بل هو الـــمحسوس حقاً عند ذي الايمان

أقول : يدل لما ذكره الناظم أن الأعمال توزن يوم القيامة ، فتثقل تارة ، وتخف أخرى ، كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ...) الأنبياء ٤٧ الآية ، وذلك أمر محسوس ، فتوزن الأعمال بميزان له كفتان ولسان ، وليس ذلك أمراً معنوياً ، بل هو محسوس ، والله أعلم .

أوَ ما سمعت بأن تسبيح العبا د وذكرهم وقراءة القرآن؟

ينشيه رب العرش في صور تجا دل عنه يوم قيامة الأبدان

أوَ ما سمعت بأن ذلك حول عر ش الرب ذو صوت وذو دوران؟

يشفعن عند الرب جل جلاله ويذكرون بصاحب الاحسان

أوَ ما سمعت بأن ذلك مؤنس   في القبر للملفوف في الأكفان؟

في صورة الرجل الجميل الوجه في   سن الشباب كأجمل الشبان

في الحديث أن ماتذكرون من جلال الله ، وتسبيحه، وتحميده ، وتهليله يتعاطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي النحل ، يذكرن بصاحبهن . ذكره أحمد ، وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه ، للصورة التي يراها . فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، وأنا عملك السيء ، وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله أنشأ له من عمله صورة حسنة ، وصورة قبيحة . وقال قتادة : بلغنا أن نبي الله ﷺ قال : « ان المؤمن اذا خرج من قبره ، صور له عمله في صورة حسنة ، فيقول له : من أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ الصدق ، فيقول له : أنا عملك ، فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة . وأما الكافر اذا خرج من قبره ، صور له عمله في صورة سيئة ، وبشارة سيئة ، فيقول : ما أنت ، فوالله اني لأراك امرأ السوء ، فيقول : أنا عملك ، فينطلق به حتى يدخله النار .

أوَ ما سمعت بأن ما تتلوه في   أيام هذا العمر من قرآن؟

يأتي يجادل عنك يوم الحشر للرحمن كي   ينجيك من نيران

في صورة الرجل الذي هو شاحب   ياحبذا ذاك الشفيع الداني

أو-ماسمعت حديث صدق قد أتى   في سورتين من اول القرآن؟

فرقان من طير صواف بينها   شرق ومنه الضوء ذو تبيان

شبههما بغمامتين وان تشأ   بغيايتين هما لذا مثلان

هذا مثال الأجر وهو فعالنا ... كتلاوة القرآن بالاحسان

فالموت ينشيه لنا في صورة ... خلاّقة حتى يرى بعيان

والموت مخلوق بنص الوحي والـ ... ـمخلوق يقبل سائر الألوان

في نفسه وبنشأة أخرى بقد ... رة خالق الأعراض والألوان

أوَ ماسمعت بقلبه سبحانه الـ ... أعيان من لون إلى ألوان ؟

وكذلك الأعراض يقلب ربها ... أعيانها والكل ذو إمكان

لم يفهم الجهال هذا كله ... فأتوا بتأويلات ذي البطلان

فمكذّب ومؤوّل ومحير ... ماذاق طعم حلاوة الايمان

لما فسا الجهال في آذانه ... أعموه دون تدبر القرآن

فثنى لنا العطفين منه تكبراً ... وتبختراً في حلة الهذيان

إن قلت: قال الله قال رسوله ... فيقول جهلا: أين قول فلان؟

في « الصحيح » عن النواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ، مانسيتهن بعد قال: « كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » قال النووي في « شرح مسلم » قال أهل اللغة : الغمامة والغياية: كل شيء أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما . قال العلماء : المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين ، وقوله ﷺ « أو كأنهما فرقان من طير صواف » وفي الرواية الأخرى « كأنهما

حزقان من طير صاف » الفرقان بكسر الفاء واسكان الراء. والحزقان بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ومعناهما واحد ، وهما قطيعان وجماعتان . يقال في الواحد : فرق ، وحزق ، وحزيقة ، أي : جماعة .

قوله : « أو ظلتان سوداوان بينهما شرق » . الشرق بفتح الراء واسكانها ، أي ضياء ونور . وفي « الصحيح » عنه ﷺ « تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنها غمامتان ... » الحديث ، فهذه القراءة ينشئها الله تعالى غمامتين ، فان الله سبحانه ينشيء من الأعراض أجساماً ، ويجعلها مادة لها . وذكر ابن المبارك في رقائقه : أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة ، أحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء أمنه ، وكلما تخوف شيئاً هون عليه ، فيقول له : جزاك الله من صاحب خيراً ، من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ؟ أنا عملك كان والله حسناً ، فلذلك تراه حسناً ، وكان طيباً ، فلذلك تراني طيباً ، تعال فاركبني فطالما ركبتك في الدنيا . وهو قوله سبحانه (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) الزمر : ٦١ حتى يأتي به إلى ربه ، فيقول : رب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته ، غير صاحبي قد شغل في نفسه ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فما تسأل ؟ قال : المغفرة والرحمة ، أو نحو هذا ، فيقول : فإني غفرت له ، ثم يكسى حلة الكرامة ، ويجعل عليه تاج الوقار ، وفيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ، ثم يقول : يارب ان أبويه قد كان شغل عنهما ، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله ، فيعطيان مثل ما أعطي . ويمثل للكافر عمله

في صورة أقبح ماخلق الله وجهاً ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه ، كلما أفزعه شيء زاده ، وكلما تخوف من شيء زاده خوفاً ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول : لا ، فيقول : أنا عملك كان قبيحاً ، فلذاك تراني قبيحاً ، كان منتناً ، فلذاك تراني منتناً ، فطأطىء رأسك أركبك فطالما ركبتني في الدنيا » وهو قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) النحل : ٢٥

فصل

في أن الجنة قيعان وان أغراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أوَ ماسمعت بأنها القيعان فاغـــرس ماتشاء بذا الزمان الفاني

وغراسها التسبيح والتكبير والـــتحميد والتوحيد للرحمن

تباً لتارك غرسه ماذا الذي قد فاته من مدة الامكان

يامن يقر بذا ولا يسعى له بالله قل لي كيف يجتمعان ؟!

أرأيت لو عطلت أرضك من غرا س ما الذي تجني من البستان ؟

وكذاك لو عطلتها من بذرها ترجو المغل يكون كالكيان

ماقال رب العالمين وعبده هذا فراجع مقتضى القرآن

في « جامع الترمذي » من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ابراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يامحمد

أقرأ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله ،والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». قال الترمذي: حديث حسن غريب ، من حديث ابن مسعود ، وفي الترمذي من حديث أبي الزبير ، عن جابر عن النبي ﷺ قال : «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » قال : الترمذي : حديث حسن صحيح . وروى ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً . فقال : ياأبا هريرة ، ماالذي تغرس؟ قال : غرساً . قال : ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة » .

وتأمل الباء التي قد عينت سبب الفلاح لحكمة الفرقان
وأظن باء النفي قد غرّتك في ذاك الحديث أتى به الشيخان
ان يدخل الجنات أصلاً كادح بالسعي منه ولو على الأجفان
والله ما بين النصوص تعارض والكل مصدرها عن الرحمن
لكنّ بالاثبات والتسبيب والـ ـباء التي للنفي بالأثمان
والفرق بينهما ففرق ظاهر يدريه ذو حظ من العرفان

قال الناظم في « حادي الأرواح » : روى أبو نعيم من حديث جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لايدخل أحداً منكم عمله الجنة، ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله » واسناده على شرط مسلم ، وأصله في الصحيح وههنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله ، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها ، وان كان نبياً ، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في

قوله (بما كنتم تعملون) النحل : ٣٢ ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين أحدهما : ماذكره سفيان وغيره ، قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال . ويدل على هذا حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم . رواه الترمذي . الثاني : أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعارضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً الآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره ، وان لم يكن مستقلاً بحصوله . وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله « سددوا وقاربوا ، واعملوا ان أحداً منكم لن ينجو بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ، قال : ولا أنا إلا يتغمدني الله برحمته » . ومن عرف الله سبحانه ، وشهد مشهد حقه عليه ، وشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه ، عرف ذلك ، وجزم به ، والله المستعان . انتهى كلامه .

فصل

في اقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

المأتم كمقعد : كل مجتمع في حزن او فرح ، او خاص بالنساء ، قاله في « القاموس » .

بالله ما عذر أمرىء هو مؤمن حقاً بهـــذا ليس باليقظان ؟

بل قلبه في رقدة فاذا استفا ق فلبسه هو حلة الكسلان

تالله لو شاقتك جنات النعيم طلبتها بنفائس الأثمان

وسعيت جهدك في وصال نواعم وكواعب بيض الوجوه حسان

جليت عليك عرائس والله لو تجلى على صخر من الصوان

رقت حواشيه وعاد لوقته ينهال مثل نقى من الكثبان

لكنّ قلبك في القساوة جاز حد الصخر والحصباء في أشجان

لو هزك الشوق المقيم وكنت ذا حسن لما استبدلت بالأدوان

أو صادفت منك الصفات حياة قلب كنت ذا طلب لهذا الشان

خود تزف إلى ضرير مقعد يامحنة الحسناء بالعميان

شمس تزف اليه ما ذا حيلة العنين في الغشيان

ومعنى كلام الناظم: أنا تلونا عليك صفات الجنة، ونعوت عرائسها، فلو صادف لك أدنى حياة قلب منك وايمان، لسعيت جهدك في طلبها، وآثرت النعيم الباقي على الخزف الفاني، لكن قلبك أقسى من الصخر، ولكن نحن بما وصفنا لك من صفات الجنة وعرائسها بمنزلة من زف خوداً، وهي المرأة البيضاء الناعمة إلى ضرير مقعد، أو زف أجمل النساء التي هي كالشمس الى عنين عاجز عن الجماع.

ياسلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان

ياسلعة الرحمن ليس ينالها في الالف الا واحد لا اثنان

ياسلعة الرحمن ماذا كفؤها الا أولو التقوى مع الايمان

ياسلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سلفة الحيوان

ياسلعة الرحمن اين المشتري فلقد عرضت بأيسر الاثمان؟

ياسلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان؟

ياسلعة الرحمن كيف تصبّر الـــخطاب عنك وهمُ ذوو ايمان ؟

ياسلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الانسان

ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني

لكنها حجبت بكل كريهة ليصد عنها المبطل المتواني

وتنالها الهمم التي تسمو الى رب العلى بمشيئة الرحمن

قوله : ولكنها حجبت بكل كريهة الخ. روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

قوله : حفت . أصل الحفاف : الدائر بالشيء المحيط به ، الذي لا يتوصل اليه الا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بـذلك ، فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره ، والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها الا بترك الشهوات ، وفطام النفس عنها . وروي عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر ، فقال : طريق الجنة حزن بربوة ، وطريق النار سهل بسهوة . والحزن : هو الطريق الوعر المسلك ، والربوة : المكان المرتفع ، وأراد به أعلى ما يكون في الروابي . والسهوة بالسين المهملة : هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة . والمكاره : كل ما يشق على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله ، كالطهارة في السبرات ، وغيرها من

اعمال الطاعات ، والصبر على المصائب ، وجميع المكروهات . والشهوات : كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ، ويوافقها . وذكر الناظم العلة في حجب الجنة بالمكاره ، وحف النار بالشهوات ، وذلك ليصد عن الجنة المبطل المتواني المتقاعد ، وتنالها الهمم التي تسمو الى معالي الأمور ، وتؤثر الأعلى على الأدنى ، ولو حصل من ذلك أعظم المشقة ، والله أعلم .

فاتعب ليوم معادك الادنى تجد ... راحاته يوم المعاد الثاني

واذا أبت ذا الشأن نفسك فاتهمها ... ثم راجع مطلع الايمان

فاذا رأيت الليل بعد وصبحه ... ما انشق عنه عموده لأذان

والناس قد صلوا صلاة الصبح وانتظروا طلوع الشمس قرب زمان

فاعلم بأن العين قد عميت فنا ... شد ربك المعروف بالاحسان

أي . إذا كان الصبح قد طلع والناس قد صلوا صلاة الصبح ، وقرب طلوع الشمس ، وأنت لجهلك وغفلتك لاتعلم بطلوع الفجر ، وتظن أن الليل لم يزل ، فاعلم بأن عينك قد عميت ، أي : عين بصيرتك ، فاسأل ربك سبحانه ايمانا يباشر قلبك المحجوب .

واسأله إيماناً يباشر قلبك الـ ... ـمحجوب عنه لتنظر العينان

واسأله نوراً هادياً يهديك في ... طرق المسير اليه كل أوان

والله ما خوفي الذنوب فانها ... لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن ... تحكيم هذا الوحي والقرآن

ورضى بآراء الرجال وخرصها ... لا كان ذاك بمنة الرحمن

فبأي وجـــه ألتقي ربي اذا   أعرضت عن ذا الوحي طول زمان

وعزلته عما أريـــد لأجله   عزلا حقيقياً بلا كتمان

صرحت أن يقيننا لايستفـــاد به وليس لديه من إتقان

أوليته هجراً وتأويلا وتحـــريفا وتفويضا بـــلا برهان

وسعيت جهدي في عقوبة ممسك   بعراه لا تقليد رأي فلان

يقول الناظم : والله ما أخشى الذنوب ، لأن أسباب غفرانها متعددة ، وعفو الرب تعالى واسع ، وانما اخشى انسلاخ قلبي عن تحكيم الوحي المبين من كلام رب العالمين ، وقول نبيه الصادق الأمين ، فبأي وجـه ألقى الله تعالى إذا فعلت ذلك وأعرضت عن الوحي المنزل من السماء ، ورضيت بـآراء الرجال وخرصها ، وقدمتها على كلام الله ورسوله ، وعزلت القرآن عما أريد لأجله ، وهو أنه أريد بانزاله الهدى واليقين ، فما حجتي عند الله اذا صرحت بأنه لا يفيد اليقين ، وأوليته هجراً وتأويلاً وتحريفاً وتفويضاً ، ومع ذلك سعيت جهدي في عقوبة من تمسك بالوحي النازل من السماء وقدمه على التقليد والآراء الهراء ، كما فعل ذلك من فعله من المبتدعين ، عياذاً بالله من ذلك .

يامعرضاً عما يراد به وقد   جد المسير فمنتهاه داني

جذلان يضحك آمنـا متبختراً   وكأنـــه قد نال عقد أمـــان

خلع السرور عليه أوفى حله   طردت جميع الهم والاحزان

يختال في حلل المسرة ناسيا   ما بعدها من حلة الا كفان

ماسعيه الا لطيب العيش في الـــدنيا ولو أفضى الى النيران

قد باع طيب العيش في دار النعـــيم بذا الحطام المضمحل الفاني

اني أظنك لاتصدّق كونه بالقرب بل ظن بلا إيقان

بل قد سمعت الناس قالوا جنة ايضا ونار بل لهم قولان

والوقف مذهبك الذي تختاره واذا انتهى الايمان للرجحان

أم تؤثر الأدنى عليه وقالت النـــفس التي استعلت على الشيطان

أتبيع نقدا حاضراً بنسيئة بعد الممات وطي ذي الاكوان

لو أنه بنسيئة الدنيا لهـــا ن الأمر لكن في معاد ثان

دع ماسمعت الناس قالوه وخذ ما قد رأيت مشاهد بعيان

والله لو جالست نفسك خالياً وبحثتها بحثاً بلا روغان

لرأيت هذا كامنا فيها ولو أمنت لألقته إلى الآذان

هذا هو السر الذي من أجله اختارت عليه العاجل المتداني

نقد قد اشتدت اليه حاجة منها ولم يحصل لها بهوان

أتبيعه بنسيئة في غير هـــذي الدار بعد قيامة الابدان؟!

هذا وان جزمت بها قطعاً ولكـــن حظها في حيز الامكان

ما ذاك قطعي لها والحاصل الـــموجود مشهود برأي عيان.

فتألفت من بين شهوتها وشبهـــتها قياسات من البطلان

واستنجدت منها رضى بالعاجل الـ أدنى على الموعود بعد زمان

وأتى من التأويل كل ملائم لمرادها يارقة الايمان

وصغت الى شبهات اهل الشرك والـ تعطيل مع نقص من العرفان

واستنقصت اهل التقى ورأتهم في الناس كالغرباء في البلدان

ورأت عقول الناس دائرة على جمع الحطام وخدمة السلطان

وعلى المليحة والمليح وعشرة الـ أحباب والاصحاب والاخوان

فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد عوضا تلذ به من الاحسان

فالقلب ليس يقر إلا في إنا ء فهو دون الجسم ذو جولان

يبغي له سكنا يلذ بقربه فتراه شبه الواله الحيران

فيحب هذا ثم يهوى غـيره فيظل منتقلا مدى الازمان

لو نال كل مليحة ورياسة لم يطمئن وكان ذا دوران

بل لو ينال بأسرها الدنيا لما قرت بما قد ناله العينان

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى واختر لنفسك أحسن الانسان

فالقلب مضطر الى محبوبه الـ أعلى فلا يغنيه حب ثاني

وصلاحه وفلاحه ونعيمه تجريد هذا الحب للرحمن

فاذا تخلى منه أصبح حائراً ويعود في ذا الكون ذا هيمان

قوله : جذلان . قال في « القاموس » : جـــذل جذولا : انتصب ، ونبت ، وكفرح ، فرح فهو جذل وجذلان : انتهى .

فصل

في زهد أهل العلم والايمان وايثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني .

لكنّ ذا الايمان يعلم ان هـــذا كالظلال وكل هذا فاني

كخيال طيف ما استتم زيارة   الا وصبح رحيله بأذان

وسحابة طلعت بيوم صائف   فالظل منسوخ بقرب زمان

وكزهرة وافى الربيع بحسنها   او لامعاً فكلاهما اخوان

أو كالسراب يلوح للظمآن في   وسط الهجير بمستوى القيعان

او كالأماني طاب منها ذكرها   بالقول واستحضارها بجنان

وهي الغرور رؤوس أموال المفا   ليس الأُلى تجروا بلا أثمان

او كالطعام يلذ عند مساغه   لكنّ عقباه كما تجدان

هذا هو المثل الذي ضرب الرسو   ل لها وذا في غاية التبيان

كما في « المسند » أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ، ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال : بلى قال : فالى مايصير ؟ قال : الى ماقد علمت ، قال : فان الله عز وجل ضرب مثل

الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم .

واذا أردت ترى حقيقتها فخذ منه مثالا واحداً ذا شان
أدخل بجهدك أصبعاً في اليم وانـــظر مـــا تعلقه إذاً بعيـان
هذا هو الدنيا كذا قال الرسو ل ممثلا والحق ذو تبيـان

قال ﷺ « ماالدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجـع »

وكذاك مثلها بظل الدوح في وقت الحرور لقائل الركبان

في قوله ﷺ « مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كمثل راكب قال تحت ظل شجرة ثم راح وتركها »

هذا ولو عدلت جناح بعوضة عند الاله الحق في الميزان
لم يسق منها كافراً من شربة ماء وكان أحـق بالحرمان

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

تالله ما عقل امرىء قد باع ما يبقى بما هو مضمحل فاني
هذا ويفتي ثم يقضي حاكماً بالحجر من سفه لذا الانسان
اذ باع شيئاً قدره فوق الذي يعتاضه من هذه الأثمان
فمن السفيه حقيقة ان كنت ذا عقل واين العقل للسكران ؟!

معنى كلامه أن السفيه يحكم بالحجر عليه إذا باع شيئاً بأقل من قيمته ، فأولى بالسفه من باع الآخرة التي هذا قدرها بالدنيا وهي لاتساوي عند الله جناح بعوضة .

والله لو أن القلوب شهدن مـــنا كان شأن غير هذا الشان

نفس من الانفاس هذا العيش ان قسناه بالعيش الطويل الثاني

ياخسة الشركاء مع عدم الوفا ء وطول جفوتها مع الهجران

هل فيك معتبر فيسلو عاشق بمصارع العشاق كل زمان

لكن على تلك العيون غشاوة وعلى القلوب أكنة النسيان

وأخو البصائر حاضر متيقظ متفرد عن زمرة العميان

يسمو الى ذاك الرفيق الأرفع الـــأعلى وخلى اللعب للصبيان

والناس كلهم فصبيان وإن بلغوا سوى الافراد والوحدان

واذا رأى مايشتهيه قال مو عدك الجنان وجد في الأثمان

واذا أبت الا الجماح أعاضها بالعلم بعد حقائق الايمان

ويرى من الخسران بيع الدائم البـــاقي به يا ذلة الخسران

ويرى مصارع اهلها من حوله وقلوبهم كمراجل النيران

حسراتها هن الوقود فان خبت زادت سعيراً بالوقود الثاني

جاؤوا فرادى مثل ماخلقوا بلا مال ولا أهل ولا اخوان

ما معهم شيء سوي الاعمال فهـــي متاجر للنار او لجنان

تسعى بهم أعمالهم سوقاً الى الـــدارين سوق الخيل بالركبان

صبروا قليلاً فاستراحوا دائماً ياعزة التوفيـــق للانسان

حمدوا التقى عند الممات كذا السرى عند الصباح فحبذا الحمدان

وخدت بهم عزماتهم نحو العلى وسروا فما نزلوا الى نعمان

باعوا الذي يفنى من الخزف الخسيـــس بدائم من خالص العقيان

رفعت لهم في اليسر أعلام السعا دة والهدى ياذلة الحيران

فتسابق الاقوام وابتدروا لها كتسابق الفرسان يوم رهان

وأخو الهوينا في الديار مخلّف مع شكله ياخيبة الكسلان

قوله : وخدت بهم همم الخ . الوخد للبعير : الاسراع ، أوأن يرمي بقوائمه كمشي النعام ، أو سعة الخطو ، كا لوخدان ، والوخيد . وقد وخد كوعد ، فهو واخد ، ووخّاد ، ووخود . قاله في « القاموس » .

قوله : خزف. الخزف محركة : الجر ، وكل ماعمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً . قاله في « القاموس »

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والايمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فان رأى حقاً قبله وحمدالله عليه، وإن رأى باطلاً عرف به وأرشد اليه .

يا أيها القاري لها اجلس مجلس الـ ـحَكَم الأمين أتى له الخصمان
واحكم هداك الله حكماً يشهد الـ ـعقل الصريح به مع القرآن
واحبس لسانك برهة عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فاذا فعلت فعنده أمثالها فنزال آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد ورد ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا دون الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظر لا تختفي الا على العميان
والقلب يعمى عن هداه مثلما تعمى وأعظم هذه العينان

يقول الناظم : يا أيها القارىء لهذه المنظومة المباركة ، اجلس مجلس الحكم لأمين غير الخائن جلس اليه الخصمان ، واحكم حكماً يشهد له العقل لصريح مع محكم القرآن ، ولا تبادر بتكفير قائلها ، بل احبس لسانك رهة ، أي : عن أن تحكم بكفره بمجرد هواك ، حتى تعارض ماقاله بغير

اعتداء ، فاذا فعلت ، أي : فعنده أمثالها ، وآخر الأمر يـــدعوك إلى المبارزة والمنازلة .

قوله : فنزالِ هذا ونحوه. اسم مبني على الكسر ، كحذام ، وقطام ونحوهما ، وهو بفتح أوله . ثم بين أن الكفر ليس إلا العناد ، ورد ماقال الرسول لأجل قول فلان وفلان ، ثم قال : فانظر لعلك هكذا الخ . أي : لعلك ممن يعاند ويرد قول الرسول ﷺ لأجل أقوال الناس . ثم أخذ الناظم في الشكاية من الأربعة الذين ذكرهم فقال :

هذا وإني بعد ممتحن بأر	بعـــة وكلهمُ ذوو أضغان
فظ غليظ جاهل متمعلم	ضخم العمامة واسع الأردان
متفيهق متضلع بالجهل ذو	ضلع وذو جلح من العرفان
مزجي البضاعة في العلوم وإنه	زاج من الايهام والهذيان
يشكو إلى الله الحقوق تظلماً	من جهله كشكاية الأبدان
من جاهل متطبب يفني الورى	ويحيل ذاك على قضا الرحمن

قولـه : متفيهق . قـال في « القاموس » : تفيهق في كلامه ، تنطع ، وتوسع ، كأنه ملأ به فمه .

قوله : متضلع . تضلع : امتلأ شبعاً أو رياً ، حتى بلغ الماء أضلاعه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ذو ضلع . قال في « القاموس » ضلع كمنع : مال وجنف وجار. وفلاناً ضرب ضلعه . وضلع السيف كفرح : اعوج . والضالع : الجائر ،

والضلع محركة : الاعوجاج خلقة ، ويسكن ، ومنه : لأقيمن ضلعك بالوجهين .

قوله : زاج . قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاة : قليلة ، ولم يتم صلاحها ، والزجاء : النفاذ في الأمر ، وهوأزجى منه : أشد نفاذاً .

قوله : من جاهل متطبب الخ . قال الناس : أفسد مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوي . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

عجت فروج الخلق ثم دماؤهم وحقوقهم منه إلى الديان

ماعنده علم سوى التفكير والـــتبديع والتضليل والبهتان

فإذا تيقن أنه المغلوب عنـــد تقابل الفرسان في الميدان

قال اشتكوه إلى القضاة فانهم حكموا وإلا اشكوا إلى السلطان

قولوا له : هذا يحل الملك بل هذا يزيل الملك مثل فلان

فاعقره من قبل اشتداد الأمر منـــه بقوة الأتباع والأعوان

وإذا دعاكم للرسول وحكمه فادعوه كلكمُ لرأي فلان

وإذا اجتمعتم في المجالس فالغطوا والغوا إذا ما احتج بالقرآن

هذا كما قال الشيخ نصر المنبجي لبيبرس الجاشنكير[1] : إن هذا يخشى على الدولة منه - كما جرى لابن التومرت صاحب المغرب - يعني شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

واستنصروا بمحاضر وشهادة قد أصلحت بالرفق والاتقان .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت البربري ، أبو عبد الله المتلقب بالمهدي ؛ ويقال له : مهدي الموحدين ، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب .

لا تسألوا الشهداء كيف تحمّلوا ... وبأي وقت بل بأي مكان؟

وارفوا شهادتهم ومشّوا حالها ... بل أصلحوها غاية الامكان

فإذا همُ شهدوا فزكوهم ولا ... تصغوا لقول الجارح الطعان

قولوا العدالة منهمُ قطعية ... لسنا نعارضها بقول فلان

أي : إذا قدح قادح في شهودكم ، فلا تلتفتوا لقوله ، ولا تصغوا له ، وقولوا : الأصل في الناس العدالة ، ونحو ذلك .

ثبتت على الحكام بل حكموا بها ... فالطعن فيها ليس ذا إمكان

من جاء يقدح فيهمُ فليتخذ ... ظهراً كمثل حجارة الصوان

وإذا هو استعداهمُ فجوابهم ... أتردها بعداوة الأديان؟!

أي : قولوا: لا ترد شهادة العدول بعداوة الأديان .

فصل

في حال العدو الثاني

أو حاسد قد بات يغلي صدره ... بعداوتي كالمرجل الملآن

لو قلت: هذا البحر قال مكذباً ... هذا السراب يكون بالقيعان

أو قلت: هذي الشمس قال مباهتاً ... الشمس لم تطلع إلى ذا الآن

أو قلت: قال الله قال رسوله ... غضب الخبيث وجاء بالكتمان

أو حرّف القرآن عن موضوعه ... تحريف كذّاب على القرآن

صال النصوص عليه فهو بدفعها ... متوكل بالدأب والديدان

فكلامه في النص عند خلافه ... من باب دفع الصائل الطعان

فالقصد دفع النص عن مدلوله ... كي لا يصول إذا التقى الزحفان

فصل

في حال العدو الثالث

والثالث الأعمى المقلد ذينك الـ ... ـرجلين قائد زمرة العميان

فاللعن والتكفير والتبديع والـ ... ـتضليل والتفسيق بالعدوان

وإذا هم سألوه مستنداً له ... قال: اسمعوا ماقاله الرجلان

هذا العدو الثالث ، وهو الجاهل المقلد للعدوين اللذين تقدما ، وهما الجاهل المتمعلم، والحاسد .

قوله : قال : اسمعوا الخ . المراد بالرجلين : الجاهل ، والحاسد .

فصل

في حال العدو الرابع

هذا ورابعهم وليس بكلبهم حاشا الكلاب الآكلي الانتان
خنزير طبع في خليقة ناطق متسوف بالكذب والبهتان
كالكلب يتبعهم يشمشم أعظماً يرمونها والقوم للحمان
يتفكهون بها رخيصاً سعرها ميتاً بلا عوض ولا أثمان
هو فضلة في الناس لا علم ولا دين ولا تمكين ذي سلطان
فإذا رأى شراً تحرك يبتغي ذكراً كمثل تحرك الثعبان

قوله : كالكلب يتبعهم. الظاهر أن مراده أن هذا العدو الرابع يتبع الأعداء الثلاثة في أكل لحوم العلماء أتباع الكتاب والسنة ، والتفكه بها .

قوله : فاذا رأى شراً . أي : إن هذا العدو إذا رأى شرا رفع رأسه وتحرك يبتغي ذكراً كتحرك الثعبان ، وهو كما في « القاموس » الحية الضخمة الطويلة ، او الذكر خاصة ، او عام .

ليزول عنه أذى الكساد فينفق الـ كلب العقور على ذكور الضان
فبقاؤه في الناس أعظم محنة من عسكر يعزى إلى غازان

غازان من ملوك التتار . ثم أخذ الناظم في التشكي من عدم نفاق بضاعته هذه ، وان العلماء الكبار الذين هم أهل لها قد سافروا عن

هذه البلدان والأوطان، أي ماتوا ولم يجدوا الا الصعافقة، وهم كما في «القاموس» قوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال، فاذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم، الواحد صعفقي، وصعفق، وصعفوق بالفتح، جمع: صعافيق أيضاً. انتهى.

هذي بضاعة ضارب في الأرض يبـــغي تاجراً يبتاع بالأثمان

وجد التجار جميعهم قد سافروا عن هذه البلدان والأوطان

إلا الصعافقة الذين تكلفوا أن يتجروا فينا بلا أثمان

فهم الزبون لها فبالله ارحموا من بيعه من مفلس مديان

أي: بالله يامعشر المسلمين ارحموا تاجراً قد جاء ببضاعة، فاذا التجار قد سافروا ولم يجدوا الا هؤلاء الصعافقه الذين لا مال لهم، بل هم مفاليس مديونين.

يارب فارزقها بحقك تاجراً قد طاف بالآفاق والبلدان

ما كل منقوش لديه أصفر ذهباً يراه خالص العقيان

وكذا الزجاج ودرة الغواص في تمييزه ما إن هما مثلان

ثم ختم الكتاب بالتوجه الى الله تعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته أن ينصر كتابه، ورسوله، ودينه، وأن ينصر حزب الايمان على حزب الضلال وعسكر الشيطان، فقال:

فصل

في توجه أهل السنة الى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين .

هذا ونصر الدين فرض لازم لا للكفاية بل على الأعيان

بيد وإما باللسان فإن عجز ت فالبتوجه والدعا بجنان

مابعد ذا والله للايمان حبة خردل ياناصر الايمان

بحياة وجهك خير مسؤول به وبنور وجهك ياعظيم الشان

قوله : بحياة وجهك الخ . لا يقال : هذا يعارض ما رواه ابو داود عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله الا الجنة » لأنه ورد في دعاء النبي ﷺ منصرفه من الطائف ، حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة ، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني » وفي آخره «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ... » الخ والحديث المروي في « الأذكار » «اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد » وفي آخره « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والارض » . وفي حديث آخر « أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم الله القديم ، وبكلماته التامة ، من شر السامة واللامة ، ومن شر ماخلقت اي رب ، ومن شر هذا اليوم ، ومن شر مابعده ، ومن شر الدنيا والآخرة » وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة ، فيجاب عن ذلك بأن ما ورد من ذلك

أنه سؤال مايقرب من الجنة ، أويمنعه من الاعمال التي تمنعه من الجنة ، فيكون قد سأل بوجه الله ، وبنور وجهه مايقرب إلى الجنة ، كما في الحديث الصحيح « اللهم اني أسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار ومايقرب اليها من قول وعمل » وأما ما يختص بالدنيا كسؤال المال ، والرزق ، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا ، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة ، فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله . والناظم إنما سأل بوجه الله ما يقرب الى الجنة ، بل هو طريق الى الجنــــة ، وهو نصره كتاب الله ، ورسوله ، ودينه . وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث كما لا يخفى . والله أعلم .

وبحق نعمتك التي أوليتها ... من غير ماعوض ولا أثمان

وبحق رحمتك التي وسعت جميـــــع الخلق محسنهم كذاك الجاني

وبحق أسمائك الحسنى معا ... فيها نعوت المدح للرحمن

وبحق حمدك وهو حمد واسع الـــ أكوان بل أضعاف ذي الأكوان

وبأنك الله الاله الحق معـــبود الورى متقدس عن ثان

بل كل معبود سواك فباطل ... من دون عرشك للثرى التحتاني

وبك المعاذ ولا ملاذ سواك أنـــت غياث كل ملدّد لهفان

من ذاك للمضطر يسمعه سوا ... ك يجيب دعوته مع العصيان

إنا توجهنا اليك لحاجة ... ترضيك طالبها أحق معانّ

فاجعل قضاها بعض أنعمك التي ... سبغت علينا منك كل زمان

أنصر كتابك والرسول ودينك الـ ـعالي الذي أنزلت بالبرهان
واخترته ديناً لنفسك واصطفيت مقيمه من أمة الانسان
ورضيته ديناً لمن ترضاه من هذا الورى هو قيِّم الأديان
وأقر عين رسولك المبعوث بالـ ـدين الحنيف بنصره المتداني
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما قد كنت تنصره بكل زمان
يارب وانصر خير حزبينا على حزب الضلال وعسكر الشيطان
يارب واجعل شر حزبينا فداً لخيارهم ولعسكر القرآن
يارب واجعل حزبك المنصور أهـ ـل تراحم وتواصل وتدان
يارب واحمهم من البدع التي قد أحدثت في الدين كل زمان
يارب جنّبهم طرائقها التي تفضي بسالكها إلى النيران
يارب واهدهم بنور الوحي كي يصلوا اليك فيظفروا بجنان
يارب كن لهم ولياً ناصراً واحفظهم من فتنة الفتان
وانصرهم يارب بالحق الذي أنزلته يامنزل القرآن
يارب إنهم هم الغرباء قد لجؤوا اليك وأنت ذو الاحسان
يارب قد عادوا لأجلك كل هـ ـذا الخلق إلا صادق الايمان
قد فارقوهم فيك أحوج ماهم ديناً اليهم في رضى الرحمن
ورضوا ولايتك التي من نالها نال الأمان ونال كل أمان

ورضوا بوحيك من سواه وما ارتضوا بسواه من آراء ذي الهذيان

يارب ثبتهم على الايمان واجـ ـعلهم هداة التائه الحيران

وانصر على حزب النفاة عساكر الـ إثبات أهل الحق والعرفان

وأقم لأهل السنة النبوية الـ أنصار وانصرهم بكل زمان

واجعلهم للمتقين أئمة وارزقهم صبراً مع الايقان

تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا ودعوا اليه الناس بالعدوان

وأعزهم بالحق وانصرهم به نصراً عزيزاً أنت ذو السلطان

واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم فلأنت أهل العفو والغفران

ولك المحامد كلها حمداً كما يرضيك لا يفنى على الأزمان

ملء السموات العلى والأرض والـ موجود بعد ومنتهى الامكان

مما تشاء وراء ذلك كله حمداً بغير نهاية بزمان

وعلى رسولك أفضل الصلوات والـ تسليم منك وأكمل الرضوان

وعلى صحابته جميعاً والألى تبعوهم من بعد بالاحسان

وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، وسلم .

وقد كتب في آخر نسخة الأصل المخطوطة مايلي :

وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب بمعونة الملك الوهاب، منتصف شهر رجب من سنة ألف وثلاثمائة وأربعين، بقلم الفقير الى عفو الواحد المنان، سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

وعلى هامشها :

الى هنـــا بلغ التصحيح حسب الطاقـــة والامكان على نسخة عليها خط المؤلف، والتصحيح المذكور في حلقة التدريس، على يد شيخنا الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، نسأ الله في أجله، وختم له بصالح عمله، غير أنا لم نتعرض لمـــا فيه من التحريف من جهـــة الاعراب، وتكسر الاوزان، بل أبقيناه على مافي الاصل[1]

(١) هذا وقد قمنا بتصحيح ذلك حسب الطاقة والجهد. وعـــذر الشيخ العنقري رحمه الله واضح، حيث أن النسخة الخطية لا تقع - غالباً - الا بيد عالم عارف بما فيها من خطأ، وعذرنا أن النسخة المطبوعة تقع في كل يد، فلابـــد من التصحيح.

بعون الله تبارك وتعالى ، تم طبع هذا الكتاب

بجزئيه : الأول والثاني ، للمرة الاولى في مطابع

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق

وذلك في ٢٥ من شوال ١٣٨٢ هـ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ورحم الله الناظم والشارح ، وكل من ساعد

على طبعه وإخراجه .

دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم

فيها سلام ، وآخر دعواهم أن

الحمد لله رب العالمين .

الفهرس

